تاريخ ابن خلدون

المسمى

بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

للمؤرخ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي
المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد الثالث

مؤسسة جمال للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

Bibliotheca Alexandrina
0460144

تاريخ
ابن خلدون

المسمّى

بكتاب العبر، وديوان المبتدإ والخبر، في أيّام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر

لوحيد عصره العلّامة عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي المغربي
المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد الثالث

مؤسسة جمال للطباعة والنشر
وطى المصيطبة شارع حبيب أبي شهلا - بناية المكي
بيروت - لبنان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كان) لبنى عبد مناف فى قريش محل من العدد والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم حيا جميعا ينتمون لعبد مناف وينتسبون اليه وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم الا أن بنى أمية كانوا أكثر عددا من بنى هاشم وأوفر رجالا والعزة انما هى بالكثرة قال الشاعر

وانما العزة للكاثر *

وكان لهم قبيل الاسلام شرف معروف انتهى الى حرب بن أمية وكان رئيسهم فى حرب الفجار وحدث الاخباريون أن قريشا تواقعوا ذات يوم وحرب هذا مسند ظهره الى الكعبة فتبادر اليه غلمة منهم ينادون ياعم أدرك قومك فقام يجر ازاره حتى اشرف عليهم من بعض الربا ولوح بطرف ثوبه اليهم أن تعالوا فبادرت الطائفتان اليه بعد أن كان حمى وطيسهم (ولما) جاء الاسلام ودهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحى وتنزل الملائكة وما وقع من خوارق الامور ونسى الناس أمر العصبية مسلمهم وكافرهم أما المسلمون فنهاهم الاسلام عن أمور الجاهلية كما فى الحديث ان الله أذهب عنكم غبية الجاهلية وفخرها لانا وأنتم بنو آدم وآدم من تراب وأما المشركون فشغلهم ذلك الامر العظيم عن شأن العصائب وذهلو

عنه حينا من الدهر ولذلك لما افترق أمر بنى أمية وبنى هاشم بالاسلام انما كان ذلك الافتراق بحصار بنى هاشم فى الشعب لا غير ولم يقع كبير فتنة لاجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالاسلام حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد ولم يبق الا العصبية الطبيعية التى لا تفارق وهى بعزة الرجل على أخيه وجاره فى القتل والعدوان عليه فهذه لا يذهبها شئ ولا هى محظورة بل هى مطلوبة ونافعة فى الجهاد والدعاء الى الدين ألا ترى الى صفوان بن أمية وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حنين وهو يومئذ مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسلم فقال له أخوه ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن ثم ان شرف بنى عبد مناف لم يزل فى بنى عبد شمس وبنى هاشم فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة كذلك ثم من بعده العباس والكثير من بنى عبد المطلب وسائر بنى هاشم خلا الجو حينئذ من مكان بنى هاشم بمكة واستغلظت رياسة بنى أمية فى قريش ثم استحكمتها مشيخة قريش من سائر البطون فى بدر وهلك فيها عظماء بنى عبد شمس عتبة وربيعة والوليد وعقبة بن أبى معيط وغيرهم فاستقل أبو سفيان بشرف بنى أمية والتقدم فى قريش وكان رئيسهم فى أحد وقائدهم فى الاحزاب وما بعدها (ولما كان الفتح) قال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم لما أسلم أبو سفيان ليلتئذ كما هو معروف وكان صديقا له يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرا فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم من على قريش بعد أن ملكهم يومئذ وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء وأسلموا وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لابى بكر ما وجدوه فى أنفسهم من التخلف عن رتب المهاجرين الاولين وما بلغهم من كلام عمر فى تركه شوراهم فاعتذر لهم أبو بكر وقال أدركوا اخوانكم بالجهاد وأنفذهم لحروب الردة فأحسنوا الغناء عن الاسلام وقوموا الاعراب عن الحيف والميل ثم جاء عمر فرمى بهم الروم وأرغب قريشا فى النفير الى الشأم فكان معظمهم هنالك واستعمل يزيد بن أبى سفيان على الشأم وطال أمد ولايته الى أن هلك فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة فولى مكانه أخاه معاوية وأقره عثمان من بعد عمر فاتصلت رياستهم على قريش فى الاسلام رياستهم قبيل الفتح التى لم تحل صبغتها ولا ينسى عهدها أيام شغل بنى هاشم بأمر النبوة ونبذوا الدنيا من أيديهم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوحى وشرف القرب من الله برسوله ومازال الناس يعرفون ذلك لبنى أمية وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أبى بكر ان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف

(ولما هلك عثمان) واختلف الناس على علىّ كانت عساكر علىّ أكثر عددا لمكان الخلافة والفضل الا أنها من سائر القبائل من ربيعة ويمن وغيرهم وجموع معاوية انما هى جند الشأم من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا بثغور الشأم منذ الفتح فكانت عصبيته أشد وأمضى شوكة ثم كسر من جناح علىّ ما كان من أمر الخوارج وشغله بهم الى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه واتفقت الجماعة على بيعة معاوية فى منتصف سنة احدى وأربعين عندما نسى الناس شأن النبوّة والخوارق ورجعوا الى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم فلم تتعده الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت فى أرض مصر رياسته وتوثق عقده وأقام فى سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التى لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدا من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبنى هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤس العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الاذى والمكروه وكانت غايته فى الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع ومرقاته فيها تزل عنها الاقدام (ذكر) أنه مازح عدىّ بن حاتم يوما يؤنبه بصحبة علىّ فقال له عدىّ والله ان القلوب التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر شبرا لندنين اليك من الشر باعا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة فى علىّ فشم السيف يامعاوية يبعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حق فاكتبوها وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا وأخباره فى الحلم كثيرة

(بعث معاوية العمال الى الامصار)

لما استقلّ معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمال الى الامصار فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبة ويقال انه ولى عليها أوّلا عبد الله بن عمرو بن العاص فأتاه المغيرة متنصحا وقال عمرو بمصر وابنه بالكوفة فأنت بين نابى أسد فعزله وولى المغيرة وبلغ ذلك عمرا فقال لمعاوية يختان المال فلا تقدر على ردّه فعد فاستعمل من يخافك فنصب المغيرة على الصلاة وولى على الخراج غيره وكان على القضاء شريح (ولما ولى) المغيرة على الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الرىّ وأقره زياد بعده وكان يغزو الديلم ثم بعث على البصرة بسر بن أرطاة وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية فبعث بسرا عليها فخطب الناس وتعرض لعلىّ ثم قال نشدت الله رجلا يعلم أنى صادق أو كاذب ولا صدّقنى أو كذبنى فقال أبو بكرة اللهمّ لا نعلمك الا كاذبا فأمر به يخنق فقام أبو لؤلؤة الضبى فدفع عنه وكان على فارس من أعمال

البصرة زياد ابن أبيه وبعث اليه معاويه يطلبه فى المال فقال صرفت بعضه فى وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمه الله فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر فى ذلك فامتنع فلما ولى بسر على البصرة جمع عنده أولاد زياد الاكابر عبد الرحمن وعبد الله وعبادا وكتب اليه لتقدمن أو لاقتلن بنيك فامتنع واعتزم بسر على قتلهم فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لامه فقال أخذتهم بلا ذنب وصالح الحسن على أصحاب علىّ حيث كانوا فأمهله بسر الى أن يأتى بكتاب معاوية ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال ان الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال وان بسرا يريد قتل بنى زياد فكتب اليه بتخليتهم وجاء الى البصرة يوم الميعاد ولم يبق منه الا ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم انتهى (ثم عزل) معاوية بسرا عن البصرة وأراد أن يولى عتبة ابن أبى سفيان فقال له ابن عامر ان لى بالبصرة أموالا وودائع وان لم تولنى عليها ذهبت فولاه وجعل اليه معها خراسان وسجستان وقدمها سنة احدى وأربعين فولى على خراسان قيس بن الهيثم السلمى وكان أهل بلخ وباذغيس وهراة وبوشنج قد نقضوا فسار الى بلخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة وقيل انما صالحهم الربيع ابن زياد سنة احدى وخمسين على ما سيأتى (ثم قدم) قيس على ابن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عبد الله بن حازم وقدم خراسان فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج فى الامان والصلح فأجابهم وحمل لابن عامر مالا انتهى (ثم ولى) معاوية سنة اثنتين وأربعين على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام واستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين وولى مكانه سعد بن العاص وذلك لثمان سنين من ولايته وجعل سعيدا على القضاء ابن عبد الرحمن مكان عبد الله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيدا سنة أربع وخمسين وردّ اليها مروان

(قدوم زياد) وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل علىّ كما قدمناه وكان عبد الرحمن ابن أخيه أبى بكرة يلى أمواله بالبصرة ورفع الى معاوية أن زيادا استودع أمواله عبد الرحمن فبعث الى المغيرة بالكوفة أن ينظر فى ذلك فأحضر عبد الرحمن وقال له ان يكن أبوك أساء الىّ فقد أحسن عمك وأحسن العذر عند معاوية (ثم قدم المغيرة) على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت ويعيد الحرب خدعة فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم أتاه وقال ان معاوية بعثنى اليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره فخذ لنفسك قبل أن يستغنى معاوية عنك قال أشر علىّ

والمستشار مؤتمن فقال أرى أن تشخص اليه وتصل حبلك بحبله وترجع عنه فكتب اليه معاوية بأمانه وخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني واعترضه عبد الله بن حازم في جماعة وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به فلما رأى كتاب الامان تركه وقدم على معاوية فسأله عن أموال فارس فأخبره بما أنفق وبما حمل الى علي وبما بقي عنده مودعا للمسلمين فصدقه معاوية وقبضه منه ويقال انه قال له أخاف أن تكون مكرت بي فصالحني فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها اليه واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له وكان المغيرة يكرمه ويعظمه وكتب اليه معاوية أن يلزم زيادا وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وسيف بن ربعي وابن الكوا وابن الحمق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات

(عمال ابن عامر على الثغور) لما ولي ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطتها عباد بن الحصين ومعه من الاشراف عمر ابن عبيد الله بن معمر وغيره وكان أهل البلاد قد كفروا ففتح أكثرها حتى بلغ كابل وحاصرها أشهرا ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها ولم يقدر المشركون على سد الثلمة وبات عباد بن الحصين عليها يطاعنهم الى الصبح ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اه (ثم سار) الى نسف فملكها عنوة ثم الى خشك فصالحه أهلها ثم الى الرخج فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اه ثم الى زابلستان وهي غزنة وأعمالها ففتحها ثم عاد الى كابل وقد نكث أهلها ففتحها اه (واستعمل) على ثغر الهند عبد الله بن سوار العبدي ويقال بل ولاه معاوية من قبله فغزا القيقان فأصاب مغنما ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها ثم عاد الى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه وكان كريما في الغاية يقال لم يكن أحد يوقد النار في عسكره وسأل ذات ليلة عن نار رآها فقيل له خبيص يصنع لنفساء فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام (واستعمل) على خراسان قيس بن الهيثم فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عبد الله بن حازم فخاف قيسا وأقبل فزاد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلا من يشكر وقيل أسلم بن زرعة الكلابي اه (ثم بعث) عبد الله بن حازم وقيل ان ابن حازم قال لابن عامر ان قيسا لا ينهض بخراسان وأخاف ان لقي قيس حربا أن ينهزم ويفسد خراسان فاكتب لي عهدا ان عجز عن عدو قمت مقامه فكتب وخرجت خارجة من طخارستان فأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده وقام بأمر الناس وهزم العدو وبلغ الخبر الى الامصار فغضبت أصحاب قيس وقالوا خدع صاحبنا وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر

فقبل منه وقال له أقم فى الناس بعذرك ففعل اه (وفى سنة) ثلاث وأربعين توفى عمرو ابن العاص بمصر فاستعمل معاوية مكانه عبدالله ابنه

(عزل ابن عامر) وكان ابن عامر حليما لينا للسفهاء فطرق البصرة الفساد من ذلك وقال له زياد جرّد السيف فقال لا أصلح الناس بفساد نفسى ثم بعث وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ومنهم ابن الكوا وهو عبدالله بن أبى أوفى اليشكرى فلما سألهم معاوية عن الامصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه فقال معاوية تتكلم على أهل البصرة وهم حضور وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان من أعداء ابن الكوا عبدالله بن أبى شيخ اليشكرى أو طفيل بن عوف فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال وددت أنه ولى كل يشكرى من أجل عداوتى ثم ان معاوية استقدم ابن عامر فقدم وأقام أياما فلما ودعه قال انى سائلك ثلاثا قال هن لك قال ترد علىّ عملى ولا تغضب وتهب لى مالك بعرفة ودورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر وانى سائلك ثلاثا ترد على عملى بعرفة ولا تحاسب لى عاملا ولا تتبع لى أثرا وتنكحنى ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما سار اليه أو يعزله ويسوغه ما أصاب فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه الحرث بن عبدالله الازدى

(استخلاف زياد) كانت سمية أم زياد مولاة للحرث بن كلدة الطبيب وولدت عنده أبا بكرة ثم زوجها بمولى له وولدت زيادا وكان أبو سفيان قد ذهب الى الطائف فى بعض حاجاته فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية وولدت زيادا هذا ونسبه الى أبى سفيان وأقر لها به الا أنه كان يخفيه ولما شب زياد سمت به النجابة واستكتبه أبو موسى الاشعرى وهو على البصرة واستكفاه عمر فى أمر فحسن منار دينه وحضر عنده يعلمه بما صنع فأبلغ ما شاء فى الكلام فقال عمرو بن العاص وكان حاضرا لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش ساق العرب بعصاه قال أبو سفيان وعلى يسمع والله انى لاعرف أباه ومن وضعه فى رحم أمه فقال له على اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان اليك سريعا ثم استعمل على زيادا على فارس فضبطها وكتب اليه معاوية يتهدده ويعرض له بولادة أبى سفيان اياه فقام فى الناس فقال عجبا لمعاوية يخوفنى دين ابن عم الرسول فى المهاجرين والانصار وكتب اليه على انى وليتك وأنا أراك أهلا وقد كان من أبى سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس لا توجب ميراثا ولا نسبا ومعاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام اه ولما قتل على وصالح زياد معاوية وضع مصقلة بن هبيرة

الشيبانى على معاوية ليعرض له بنسب أبى سفيان ففعل ورأى معاوية أن يعمله باستلحاقه فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحوق نسبه بأبى سفيان فشهد له رجال من أهل البصرة وألحقه وكان أكثر شيعة على ينكرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى أخوه أبو بكرة (وكتب زياد) الى عائشة فى بعض الاحيان من زياد بن أبى سفيان يستدعى جوابها بهذا النسب ليكون له حجة فكتبت اليه من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وكان عبد الله عامر يبغض زيادا وقال يوما لبعض أصحابه من عبد القيس بن سمية يقبح آثارى ويعترض عمالى لقد هممت بقسامة من قريش ان أبا سفيان لم ير سمية فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الابواب وشكا ذلك الى يزيد فركب معه فأدخله على معاوية فلما رآه قام من مجلسه ودخل الى بيته فقال يزيد نقعد فى انتظاره فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول وقال انى لا أتكثر بزياد من قلة ولا أتعزز به من ذلة ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضى زيادا ورضى له معاوية

(ولاية زياد البصرة) كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة وكان يتشوف الامارة عليها فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه فيقال انه خرج زياد الى الشأم ثم ان معاوية عزل الحرث بن عبد الله الازدى عن البصرة وولى عليها زيادا سنة خمس وأربعين وجمع له خراسان وسجستان ثم جمع له السند والبحرين وعمان وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهى معروفة وانما سميت البتراء لانه لم يفتتحها بالحمد والثناء فحذرهم فى خطبته ما كانوا عليه من الانهماك فى الشهوات والاسترسال فى الفسق والضلال وانطلاق أيدى السفهاء على الجنايات وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم فأطال فى ذلك عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم فى الطاعة من المناصحة والانقياد للائمة وقال لكم عندى ثلاث لا أحتجب عن طالب حاجة ولو طرقنى ليلا ولا أحبس العطاء عن ابانه ولا أجمر البعوث فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الاهم أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب قال كذبت ذاك نبى الله داود ثم استعمل على شرطته عبد الله بن حصين وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل وكان قد قال فى خطبته لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحدا الا قتله وكان أول من شدد أمر السلطان وتشيد الملك فجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه السفهاء والدعار وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشئ يسقط من يد الانسان

فلا يتعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد بابا وأدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف وسئل فى اصلاح السابلة فقال حتى أصلح المصر فلما ضبطه أصلح ما وراءه وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة فاستعفى فولى مكانه عبد الله بن فضالة الليثى ثم أخاه عاصما ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد وكان يستعين بأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب ويقال ان زيادا أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فولى على مرو أمين ابن أحمد اليشكرى وعلى نيسابور خليد بن عبد الله الحنفى وعلى مرو الروذ والعاربات والطالقات قيس بن الهيثم وعلى هراة وبادغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحى ثم ان نافعا بعث اليه بجواد باهر غنمه فى بعض وجوهه وكانت قوائمه منه فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهبا وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى أموره فسعى فيه عند زياد بأمر تلك القائمة فعزله وحبسه وأغرمه مائة ألف كتب عليه بها كتابا وقيل ثمانمائة ألف وشفع فيه رجال من الازد فأطلقه واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفارى وجعل معه رجالا على الجباية منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم سار سنة سبع وأربعين الى جبال الغور وكانوا قد ارتدوا ففتح وغنم وسبى وعبر النهر فى ولايته الى ما وراءه فلا غارة ولما رجع من غزاة الغور مات بمرو واستخلف على عمله أنس بن أبى أناس بن ربين فلم يرضه زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد المحاربى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(طوائف الشأم) ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين الى بلاد الروم فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة وأثخنوا فيها ثم دخل بسر بن أرطاة أرضهم سنة ثلاث وأربعين وشتى بها وبلغ القسطنطينية ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حمص فشتى بهم وغزاهم بسر تلك السنة فى البحر ثم دخل عبد الرحمن اليها سنة ست وأربعين فشتى بها وشتى أبو عبد الرحمن السبيعى على انطاكية ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين فشتى عبد الرحمن بانطاكية أيضا ودخل عبد الله بن قيس الفزارى فى تلك السنة بالصائفة وغزاهم مالك بن هبيرة اليشكرى فى البحر وعقبة بن عامر الجهنى فى البحر أيضا بأهل مصر وأهل المدينة ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم ودخل عبد الله بن كرز البجلى بالصائفة وشتى يزيد بن شجرة الرهاوى فى بلاد الروم بأهل الشأم فى البحر وعقبة بن نافع بأهل مصر كذلك (ثم) بعث معاوية سنة خمسين جيشا كثيفا الى بلاد الروم مع سفيان بن عوف وندب يزيدا ابنه معهم فتثاقل فتركه ثم بلغ

الناس أن الغزاة أصابهم جوع ومرض وبلغ معاوية أن يزيد أنشد فى ذلك

ما ان أبالى بما لاقت جموعهم * بالفدفد البيد من حمى ومن شوم
اذا اتطأت على الانماط مرتفقا * بدير مرّان عندى أم كلثوم

وهى امرأته بنت عبد الله بن عامر فحلف ليلحقن بهم فسار فى جمع كثير جمعهم اليه معاوية فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الانصارى فأوغلوا فى بلاد الروم وبلغوا القسطنطينية وقاتلوا الروم عليها فاستشهد أبو أيوب الانصارى ودفن قريبا من سورها ورجع يزيد والعساكر الى الشأم ثم شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم سنة احدى وخمسين وغزا بسر بن أرطاة الصائفة

(وفاة المغيرة) توفى المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين فولى مكانه معاوية زيادا وجمع له المصرين فسار زياد اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب فلما وصل الكوفة خطبهم فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسى وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك ومن لم يحلف حبسه فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس ثم بلغه عن أوفى بن حسين شئ فطلبه فهرب ثم أخذه فقتله وقال له عمارة بن عتبة بن أبى معيط ان عمر بن الحمق يجتمع اليه شيعة على فأرسل اليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده وقال لا أبيح أحدا حتى يخرج على وأكثر سمرة بن جندب اليتامى بالبصرة يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد اهـ

(كان عمرو بن العاص) قبل وفاته استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس على افريقية وهو ابن خالته انتهى الى لواته ومزاته فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس وفى السنة التى بعدها ودّان وكورا من كور السودان وأثخن فى تلك النواحى وكان له فيها جهاد وفتوح ثم ولاه معاوية على افريقية سنة خمسين وبعث اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه مسلمة البربر فكبر جمعه ووضع السيف فى أهل البلاد لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا فاذا رجعوا عنهم ارتدوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البربر فاختط القيروان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكملت فى خمس سنين وكان يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب ودخل أكثر البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ثم ولى معاوية على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى واستعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر فأساء عزل عقبة واستخفه فسير ابن مخلد الانصارى عقبة الى معاوية

وشكا اليه فاعتذر له ووعده برده الى عمله ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين (وذكر) الواقدى أن عقبة ولى افريقية سنة ست وأربعين فاختط القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبى المهاجر فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه فكتب اليه يزيد يبعثه اليه وأعاده واليا على افريقية فحبس أبا المهاجر الى أن قتلهم جميعا كسيلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد * (كان المغيرة بن شعبة أيام امارته على الكوفة) كثيرا ما يتعرض لعلى فى مجالسه وخطبه ويترحم على عثمان ويدعو له فكان حجر بن عدى اذا سمعه يقول بل اياكم قد أضل الله ولعن ثم يقول أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أحق بالذم فيبعث له المغيرة يقول يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته فانها تهلك أمثالك لا يزيده على ذلك (ولما كان) آخر امارة المغيرة قال فى بعض أيامه مثل ما كان يقول فصاح به حجر ثم قال له مر لنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعا بذم المؤمنين وصاح الناس من جوانب المسجد صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا فالذى أنت فيه لا يجدى علينا نفعا فدخل المغيرة الى بيته وعذله قومه فى جراءة حجر عليه يوهن سلطانه ويسخط عليه معاوية فقال لا أحب أن آتى بقتل أحد من أهل المصر وسيأتى بعدى من يصنع معه مثل ذلك فيقتله ثم توفى المغيرة وولى زياد فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه وقال حجر ما كان يقول فسكت عنه ورجع الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص الى الكوفة حتى دخلها ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع فتهدده وقال لست بشئ ان لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده ثم بعث اليه فامتنع من الاجابة فبعث صاحب الشرطة شداد بن الهيثم الهلالى اليه جماعة فسبهم أصحابه فجمع زياد أهل الكوفة وتهددهم فتبرؤا فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا حتى اذا لم يبق معه الا قومه قال زياد لصاحب الشرطة انطلق اليه فأت به طوعا أو كرها فلما جاء يدعوه امتنع من الاجابة فحمل عليهم وأشار اليه أبو العمرطة الكندى بأن يلحق بكندة فتمنعوه هذا وزياد على المنبر ينتظر ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق فسقط ودخل فى دور الازد فاختفى وخرج حجر من أبواب كندة فركب ومعه أبو العمرطة الى دور قومه واجتمع اليه الناس ولم يأته من كندة الا قليل ثم أرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان ليأتوه بحجر فلما علم أنهم قصدوه تسرب من داره الى النخع ونزل على أخى الاشتر وبلغه أن الشرطة تسأل عنه فى النخع فأتى الازد واختفى عند ربيعة بن ناجد وأعياهم طلبه فدعا حجر محمد بن الاشعث أن يأخذ له

أمانا من زياد حتى يبعث به الى معاوية فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فاستأمنوا له زيادا فأجابهم ثم أحضروا حجرا فحبسه وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق الى الموصل ومعه زواعة بن شداد فاختفى في جبل هنالك ورفع أمرهما الى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية ويعرف بابن أم الحكم فسار اليهما وهرب زواعة وقبض على عمرو وكتب الى معاوية بذلك فكتب اليه انه طعن عثمان سبعا بمشاقص كانت معه فاطعنه كذلك فمات في الاولى والثانية ثم جد زياد في طلب أصحاب حجر وأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسي بأمان فحبسه وجاء قيس بن عباد الشبلي برجل من قومه من أصحاب حجر فأحضره زياد وسأله عن علي فأثنى عليه فضربه وحبسه وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث ثم دخل بيته في الكوفة وسعي به الى الحجاج فقتله ثم أرسل زياد الى عبد الله ابن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتوارى وجاء الشرط فأخذوه ونادت أخته القرار بقومه فخلصوه فأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقال ائتني بعبد الله وخبره جهرة فقال آتيك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فحبسه فنكر ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير طيء قال أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن يلحق بجبل طيء فلم يزل هنالك حتى مات وأتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر وغيره ولما جمع منهم اثني عشر في السجن دعا رؤس الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس ابن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد فشهدوا كلهم أن حجرا جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا الى حربه وزعم أن الامر لا يصلح الا في الطالبيين ووثب بالمصر وأخرج العامل وأظهر غدر أبي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن النفر الذين معه وهم رؤس أصحابه على مقدم رأيه ثم استكثر زياد من الشهود فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر ابن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم وفي الشهود شريح بن الحرث وشريح بن هانئ ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير ابن شهاب ودفع اليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم الارقم بن عبد الله الكندي وشريك ابن شداد الحضرمي وصيفي بن فضيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم ابن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكرام بن حبان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي ومحرز بن شهاب التميمي وعبد الله بن حوية

السعدى ثم أتبع هؤلاء الاحدى عشر بعتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن غوات الهمدانى وأمرهما أن يسيرا بهم الى معاوية ثم لحقهما شريح بن هانئ ودفع كتابه الى معاوية بن وائل ولما انتهوا الى مرج عذراء قريب دمشق تقدم ابن وائل وكثير الى معاوية فقرأ كتاب شريح وفيه بلغنى أن زيادا كتب شهادتى وانى أشهد على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال فان شئت فاقتله أو فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء حتى لحقهم عتبة بن الاخنس وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بهما وجاء عامر بن الاسود العجلى الى معاوية فأخبره بوصولهما فاستوهب يزيد بن أسد البجلى عاصما وورقاء ابنى عمه وقد كتب يزيد يزكيهما ويشهد ببراءتهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر فى الارقم وأبو الاعور السلمى فى ابن الاخنس وحبيب بن سلمة فى أخويه فتركهم وسأله مالك بن هبيرة السكونى فى حجر فرده فغضب وحبس فى بيته وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى والحصين بن عبد الله الكلابى وأبا شريف البدرى الى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله فأتوهم وعرض عليهم البراءة من على فأبوا وصلوا عامة ليلتهم ثم قدموا من الغد للقتل وتوضأ حجر وصلى وقال لولا أن يظنوا بى الجزع من الموت لاستكثرت منها اللهم انا نستعديك على أمتنا أهل الكوفة يشهدون علينا وأهل الشام يقتلوننا ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالى لا أجزع وأنا بين القبر والكفن والسيف وان جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم شريك بن شداد وصيفى بن فضيل وقبيصة بن حنيفة ومحرز بن شهاب وكدام ابن حيان ودفنوهم وصلوا عليهم وبعث بعبد الرحمن بن حسان العنزى وجئ بكريم بن الخثعمى الى معاوية فطلب منه البراءة من على فسكت واستوهبه شمرة بن عبد الله الخثعمى من معاوية فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة فنزل الى الموصل ثم سأل عبد الرحمن بن حسان عن على فأثنى خيرا ثم عن عثمان فقال أول من فتح باب الظلم وأغلق باب الحق فرده الى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حيا وهو سابع القوم (وأما مالك) بن هبيرة السكونى فلما لم يشفعه معاوية فى حجر جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه فلقى القتلة وسألهم فقالوا مات القوم وسار الى عدى فتيقن قتلهم فأرسل فى اثر القتلة فلم يدركوهم وأخبروا معاوية فقال تلك حرارة يجدها فى نفسه وكأنى بها قد طفئت ثم أرسل اليه بمائة ألف وقال خفت أن يعيد القوم حربا فيكون على المسلمين

أعظم من قتل حجر فطابت نفسه (ولما بلغ) عائشة خبر حجر وأصحابه أرسلت عبد الرحمن ابن الحرث الى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا فقال له معاوية أين غاب عنك حلم أبي سفيان فقال حيث غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تثني عليه وقيل في سياقة الحديث غير ذلك وهو أن زيادا أطال الخطبة في يوم جمعة فتأخرت الصلاة فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت اليه وخشي فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء وقام الى الصلاة فقام الناس معه فخافهم زياد ونزل فصلى وكتب الى معاوية وعظم عليه الامر فكتب اليه أن يبعث به موثقا في الحديد وبعث من يقبض عليه فكان ما مر ثم قبض عليه وحمله الى معاوية فلما رآه معاوية أمر بقتله فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيدا ولا تغسلوا دما فاني لاقي معاوية غدا على الجادة وقتل اه (وقالت) عائشة لمعاوية أين حلمك عن حجر قال لم يحضرني رشيد اه (وكان) زياد قد ولى الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة احدى وخمسين بعد أن هلك حسن بن عمرو الغفاري وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفا فيهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة الاسلمي من الصحابة وغزا بلخ ففتحها صلحا وكانوا انتقضوا بعد صلح الاحنف بن قيس ثم فتح قهستان عنوة واستلحم من كان بناحيتها من الترك ولم يفلت منهم الا قيزل طرخان وقتله قتيبة بن مسلم في ولايته فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتل حجر سخط ذلك وقال لا تزال العرب تقتل بعده صبرا ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك لكنهم أقروا فذلوا ثم دعا بعد صلاة جمعة لايام من خبره وقال للناس اني قد مللت الحياة واني داع فأمنوا ثم رفع يديه وقال اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلا وأمن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن عبد الله الحنفي وأقره زياد

(وفاة زياد) ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في يمينه يقال بدعوة ابن عمر وذلك أن زيادا كتب الى معاوية اني ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده بذلك وخاف أهل الحجاز وأتوا عبد الله بن عمر يدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه اللهم اكفناه ثم كان الطاعون فأصيب في يمينه فأشير عليه بقطعها فاستدعى شريحا القاضي فاستشاره فقال ان يكن الاجل فرغ فتلقى الله أجذم (١) كراهية في لقائه والا فتعيش أقطع ويعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد واعتزم على قطعها فلما نظر الى النار والمكاوي جزع وتركه وقيل تركه لاشارة شريح وعذل الناس

شريحا في ذلك فقال المستشار مؤتمن ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك كفنك ستين ثوبا فقال يا بني قد دنا لابيك لباس خير من لباسه ثم مات ودفن بالثوية قرب الكوفة وكان يلبس القميص ويرقعه ولما مات استخلف على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان وعزل بعد ذلك عبد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس

(ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة)

ولما قدم ابنه عبيد الله على معاوية وهو ابن خمس وعشرين سنة قال من استعمل أبوك على المصرين فأخبره فقال لو استعملك لاستعملتك فقال عبيد الله أنشدك الله أن يقول لي أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك استعملتك فولاه خراسان ووصاه فكان من وصيته اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيئا فان في تقواه عوضا وق عرضك من أن تدنسه وان أعطيت عهدا فأوف به ولا تتبعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فكبر أكبر من معك وقاسمهم على كتاب الله ولا تطمعن أحدا في غير حقه ولا تؤيس أحدا من حق هو له ثم ودعه فسار الى خراسان أول سنة أربع وخمسين وقدم اليها أسلم بن زرعة الكلابي ثم قدم فقطع النهر الى جبال بخارى على الابل ففتح رامين ونسف وبيكند ولقيه الترك فهزمهم وكان مع ملكهم امرأته خاتون فأعجلوها عن لبس خفيها فأصاب المسلمون احدهما وقوم بمائتي ألف درهم وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه ثم يرفع رايته تقطر دما وكان هذا الزحف من زحوف خراسان المعدودة وكانت أربعة منها للاحنف بن قيس بقهستان والمرغاب وزحف لعبد الله ابن حازم قضى فيه جموع قارن وأقام عبيد الله واليا على خراسان سنتين وولاه معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة وذلك أن ابن غيلان خطب وهو أمير على البصرة فحصبه رجل من بني ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة يسألونه الكتاب الى معاوية بالاعتذار عنه وانه قطع على أمر لم يصح مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعا فكتب لهم وسار ابن غيلان الى معاوية رأس السنة وأوفاه الضبيون بالكتاب فادعوا أن ابن غيلان قطع صاحبهم ظلما فلما قرأ معاوية الكتاب قال أما القود من عمالي فلا سبيل اليه ولكن أدي صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله بن غيلان عن البصرة واستعمل عليها عبيد الله ابن زياد فسار اليها عبيد الله وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغزو ولم يفتح

(العهد ليزيد)

ذكر الطبري بسنده قال قدم المغيرة على معاوية فشكا اليه الضعف فاستعفاه فأعفاه

وأراد أن يولى سعيد بن العاص وقال أصحاب المغيرة للمغيرة ان معاوية قلاك فقال لهم رويدا ونهض الى يزيد وعرض له بالبيعة وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش وذووا أسنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة وما أدرى ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدى ذلك يزيد الى أبيه واستدعاه وفاوضه فى ذلك فقال قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعهد له يكون كهفا للناس بعدك فلا تكون فتنة ولا يسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة فرد معاوية المغيرة الى الكوفة وأمره أن يعمل فى بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع اليه من شيعة بنى أمية فأجابوه وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه الى عقد البيعة ليزيد فقال أوقد رضيتموه قالوا نعم نحن ومن وراءنا فقال ننظر ما قدمتم له ويقضى الله أمره والاناة خير من العجلة ثم كتب الى زياد يستشيره فكر

وكف عن هدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية يعذله فى ادخال الضغينة بين قرابته ويقول لو لم تكن بنى أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم يجب عليك أن تدعى ذلك فاعتذر له معاوية وتنصل وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيرا فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولى مكانه الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان وقيل سنة ثمان

(عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير)

عزل معاوية الضحاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين وولى مكانه عبد الرحمن بن عبد الله ابن عثمان الثقفى وهو ابن أم الحكم أخت معاوية فخرجت عليه الخوارج الذين كان

المغيرة حبسهم في بيعة المستورد بن علقمة وخرجوا من سجنه بعد موته فاجتمعوا على حيان بن ضبيان السلمي ومعاذ بن جرير الطائي فسير اليهم عبد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أجمعين كما يذكر في أخبار الخوارج ثم ان أهل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوء سيرته فعزله معاوية عنهم وولى مكانه النعمان بن بشير وقال أوليك خيرا من الكوفة فولاه مصر وكان عليها معاوية بن خديج السكوني وسار الى مصر فاستقبله معاوية على مرحلتين منها وقال ارجع الى خالك لا تسر فينا سيرتك في اخواننا أهل الكوفة فرجع الى معاوية وأقام معاوية بن خديج في عمله

(ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان) وفي سنة تسع وخمسين قدم عبد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أما لنا حق قال بلى فماذا قال توليني قال بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالبصرة وخراسان عبيد الله أخوك وبسجستان عباد أخوك ولا أرى ما يشبهك الا أن أشركك في عمل عبيد الله فان عمله واسع يحتمل الشركة فولاه خراسان فسار اليها وقدم بين يديه قيس ابن الهيثم السلمي فأخذ أسلم بن زرعة وحبسه ثم قدم عبد الرحمن فأغرمه ثلثمائة ألف درهم وأقام بخراسان وكان متضعفا لم يغز قط وقدم على يزيد بين يدي قتل الحسين فاستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فقال له يزيد كم معك من مال خراسان قال عشرون ألف ألف درهم فخيره بين أخذها بالحساب ورده الى عمله أو تسويغه اياها وعزله على أن يعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم فاختار تسويغها والعزل وبعث الى ابن جعفر بألف ألف وقال نصفها من يزيد ونصفها مني ثم ان أهل البصرة وفدوا مع عبيد الله بن زياد على معاوية فأذن له على منازلهم ودخل الاحنف آخرهم وكان هيا المنزلة من عبيد الله فرحب به معاوية وأجلسه معه على سريره ثم تكلم القوم وأثنوا على عبيد الله وسكت الاحنف فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال أخشى خلاف القوم فقال انهضوا فقد عزلت عنكم عبيد الله واطلبوا واليا ترضونه فطفق القوم يختلفون الى رجال بني أمية وأشراف الشأم وقعد الاحنف في منزله ثم أحضرهم معاوية وقال من اخترتم فسمى كل فريق رجلا والاحنف ساكت فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال ان وليت علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا وان وليت من غيرهم ينظر في ذلك قال فاني قد أعدته عليكم ثم أوصاه بالاحنف وقبح رأيه في مباعدته ولما هاجت الفتنة لم يعزله غير الاحنف ثم أخذ على وفد البصرة البيعة لابنه يزيد معهم

(بقية الصوائف) دخل بسر بن أرطاة سنة اثنتين وخمسين أرض الروم وشتى بها

وقيل رجع ونزل هنالك سفيان بن عوف الازدى فشتى بها وتوفى هنالك اه وغزا
بالصائفة محمد بن عبد الله الثقفى ثم دخل عبد الرحمن ابن أم الحكم سنة ثلاث وخمسين
الى أرض الروم وشتى بها وافتتحت فى هذه السنة رودس فتحها جنادة بن أبى أمية
الازدى ونزلها المسلمون على حذر من الروم ثم كانوا يعترضونه فى البحر ويأخذون سفنه
وكان معاوية يدركهم بالعطاء حتى خافهم الروم ثم نقلهم يزيد فى ولايته ثم دخل سنة أربع
وخمسين الى بلاد الروم محمد بن مالك وشتى بها وغزا بالصائفة   ابن يزيد
السلمى وفتح المسلمون جزيرة أروى قرب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن أبى أمية
فملكوها سبع سنين ونقلهم يزيد فى ولايته وفى سنة خمس وخمسين كان شتى سفيان بن
عوف بأرض الروم وقيل عمر بن محرز وقيل عبد الله بن قيس وفى سنة ست وخمسين
كان شتى جنادة بن أبى أمية وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فى البحر يزيد
ابن شجرة وفى البر عياض بن الحرث وفى سنة سبع وخمسين كان شتى عبد الله
ابن قيس بأرض الروم وغزا مالك بن عبد الله الخثعمى فى البر وعمر بن يزيد الجهنى
فى البحر وفى سنة ثمان وخمسين كان شتى عمر بن مرة الجهنى بأرض الروم وغزا فى البحر
جنادة بن أمية وفتح المسلمون فى هذه السنة حصن كمخ من بلاد الروم وعليهم عمير
ابن الحباب السلمى صعد سورها وقاتل عليه وحده حتى انكشف الروم وفتحه وفى سنة
ستين غزا مالك بن عبد الله سورية وملك جنادة بن أبى أمية رودس وهدم مدينتها
(وفاة معاوية) وتوفى معاوية سنة ستين وكان خطب الناس قبل موته وقال انى كزرع
مستحصد وقد طالت امارتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم
فراقى ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما أن من كان قبلى خير منى وقد قيل
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم انى قد أحببت لقاءك فأحبب لقائى وبارك لى
فلم يمض الا قليل حتى ازداد به مرضه فدعا ابنه يزيد وقال يا بنى انى قد كفيتك الرحلة
والترحال ووطأت لك الامور وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد
وانى لا أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر الذى انتسب لك الا أربعة نفر من قريش
الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر
فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق غيره بايعك وأما الحسين فان أهل
العراق لم يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحما
ماسة وحقا عظيما وأما ابن أبى بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله وليس له
همة الا فى النساء وأما الذى يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك روغان الثعلب
واذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه

اربا اربا هذا حديث الطبرى عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال لما حضرت وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غائبا فدعا بالضحاك بن قيس الفهرى وكان صاحب شرطته ومسلم بن عتبة المزنى فقال أبلغا يزيد وصيتى انظر أهل الحجاز فانهم أهلك فأكرم من قدم اليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعيبتك وان رابك شئ من عدوك فانتصر بهم فاذا أصبتم فاردد أهل الشأم الى بلادهم فانهم ان قاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم ولست أخاف عليك من قريش الا ثلاثا ولم يذكر فى هذا الطريق عبد الرحمن بن أبى بكر وقال فى ابن عمر قد وقذه الدين فليس ملتمسا شيأ قبلك وقال فى الحسين ولو أنى صاحبه عفوت عنه وأنا أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وقال فى ابن الزبير اذا شخص اليك فالبد له الا أن يلتمس منك صلحا فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت (وتوفى فى منتصف رجب) ويقال جمادى لتسع عشرة سنة وأشهر من ولايته وكان على خاتمه عبد الله بن محصن الحميرى وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم وكان سببه انه أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد بالعراق ففض عمر الكتاب وصير المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وأخذ عمر بردها وحبسه فأداها عنه أخوه عبد الله فأحدث عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم وكان على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى فعزله ابن يزيد بن عمر العدوى وكان على حرسه المختار من مواليه وقيل أبو المخارق مالك مولى حميرة وهو أول من اتخذ الحرس وعلى حجابه مولاه سعد وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومى وعلى القضاء فضالة بن عبد الله الانصارى وبعده أبو ادريس عائذ بن عبد الله الخولانى

(بيعة يزيد)

بويع يزيد بعد موت أبيه وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وعلى مكة عمر ابن سعيد بن العاصى وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان ابن بشير ولم يكن همه الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد بموت معاوية وأن يأخذ حسينا وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة فلما قرأ مروان الكتاب بنعى معاوية استرجع وترحم واستشاره الوليد فى أمر أولئك النفر فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فان بايعوا والا قتلهم قبل أن يعلموا بموت معاوية فيثب كل رجل منهم فى ناحية الا ابن عمر فانه لا يحب القتال ولا يحب الولاية الا أن يرفع اليه الامر فبعث الوليد لوقته عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث فجاء

الى الحسين وابن الزبير في المسجد في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس وقال أجيبا الامير فقالا لا تنصرف الا أن نأتيه ثم حدثنا فيما بعث اليهما فلم يعلموا ماوقع وجمع الحسين فتيانه وأهل بيته وسار اليه فأجلسهم بالباب وقال ان دعوتكم أو سمعتم صوتي عاليا فادخلوا بأجمعكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ودعا لهما باصلاح ذات البين فأقرأه الوليد الكتاب بنعي معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع وترحم وقال مثلي لا يبايع سرا ولا يكتفى بها مني فاذا ظهرت الى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحدا وكنت أول مجيب فقال الوليد وكان يحب المسالمة انصرف فقال مروان لا يقدر منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينك وبينهم ألزمه البيعة والا اضرب عنقه فوثب الحسين وقال أنت تقتلني أو هو كذبت والله وانصرف الى منزله وأخذ مروان في عذل الوليد فقال يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكها وأني قتلت الحسين ان قال لا أبايع وأما ابن الزبير فاختفى في داره وجمع أصحابه وألح الوليد في طلبه وبعث مواليه فشتموه وهددوه وأقاموا ببابه في طلبه فبعث ابن الزبير أخاه جعفرا يلاطف الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ويعده بالحضور من الغداة وأن يصرف رسله من بابه فبعث اليهم وانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما وأخذا طريق الفرع الى مكة فسرح الرجالة في طلبه فلم يدركوه ورجعوا وتشاغلوا بذلك عن الحسين سائر يومه ثم أرسل الى الحسين يدعوه فقال أصبحوا وترون وفرى وسار في الليلة الثانية ببنيه واخوته وبني أخيه الا محمد بن الحنفية وكان قد نصحه وقال تنح عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث دعاتك الى الناس فان أجابوك فاحمد الله وان اجتمعوا على غيرك فلم يضر بذلك دينك ولا عقلك ولم تذهب به مروأتك ولا فضلك وأنا أخاف أن تأتي مصرا أو قوما فيختلفون عليك فتكون الاول اساءة فاذا خير الامة نفسا وأبا أضيعها ذمارا وأذلها قال له الحسين فاني ذاهب قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وان فاتت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال ومن بلد الى آخر حتى تنظر مصير أمر الناس وتعرف الرأي فقال يا أخي نصحت وأشفقت ولحق بمكة وبعث الوليد الى ابن عمر ليبايع فقال أنا أبايع الناس وقيل ابن عمر وابن عباس كانا بمكة ورجعا الى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة وبايعا عنه بيعة الناس ولما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد قال أنا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي ولا يقف معهم ويقف هو وأصحابه ناحية

(عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد)

ولما بلغ الخبر الى يزيد بصنيع الوليد بن عتبة فى أمر هؤلاء النفر عزله عن المدينة واستعمل عليها عمر بن سعيد الاشرق فقدمها فى رمضان واستعمل على شرطته عمر ابن الزبير بالمدينة لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء وأحضر نفرا من شيعة الزبير بالمدينة فضربهم من الاربعين الى الخمسين الى الستين منهم المنذر بن الزبير وابنه محمد وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد ابن عمار بن ياسر وغيرهم ثم جهز البعوث الى مكة سبعمائة أو نحوها وقال لعمر بن الزبير من نبعث الى أخيك فقال لا تجد رجلا أنكى له منى فجهزه معه سبعمائة مقاتل فيهم أنس بن عمير الاسلمى وعذله مروان بن الحكم فى غزو مكة وقال له اتق الله ولا تحل حرمة البيت فقال والله لنغزونه فى جوف الكعبة وجاء أبو شريح الخزاعى الى عمر بن سعيد فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لى بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمر نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ وقيل ان يزيد كتب الى عمر بن سعيد أن يبعث عمر بن الزبير بالجيش الى أخيه فبعثه فى ألفى مقاتل وعلى مقدمته أنيس فنزل أنيس بذى طوى ونزل عمر بالابطح وبعث الى أخيه أن بر يمين يزيد فانه حلف أن لا يقبل بيعة الا أن يؤتى بك فى جامعة فلا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك فى بلد حرام فأرسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع عبد الله بن صفوان فهزموا أنيسا بذى طوى وقتل أنيس فى الهزيمة وتخلف عن عمر ابن الزبير أصحابه فدخل دار ابن علقمة وأجاره عبدة بن الزبير وقال لاخيه قد أجرته فانكر ذلك عليه وقيل ان صفوان قال لعبد الله بن الزبير اكفنى أخاك وأنا أكفيك أنيس بن عمر وسار الى أنيس فهزمه وقتله وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمر فتفرق عنه أصحابه وأجاره أخوه عبدة فلم يجز أخوه عبد الله جواره وضربه بكل من ضربه بالمدينة وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط

(مسير الحسين الى الكوفة ومقتله)

ولما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد فقال مكة وأستخير الله فيما بعد فنصحه أن لا يقرب الكوفة وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ورجع عنه ونزل الحسين بمكة فأقام والناس يختلفون اليه وابن الزبير فى جانب الكعبة يصلى ويطوف عامة النهار ويأتى الحسين فيمن يأتى ويعلم أن أهل الحجاز لا يلقون اليه مع الحسين ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد وكتبوا اليه عن نفر منهم

سليمان والمسيب بن محمد ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم يبايعوا النعمان ولا يجتمعون معه فى جمعة ولا عيد ولو جئتنا أخرجناه وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه ثانيا بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ثم ثالثا يستحثونه للحاق بهم كتب له بذلك شبث بن ربعى وحجار ابن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدى ومحمد ابن عمير التميمى فأجابهم الحسين فهمت ما قصصتم وقد بعثت اليكم ابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل يكتب الىّ بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريبا ولعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدين بدين الحق وسار مسلم فدخل المدينة وصلى فى المسجد وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء فانتهوا اليه وشربوا ونجوا فتطير مسلم من ذلك وكتب الى الحسين يستعفيه فكتب اليه خشيت أن لا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك والسلام وسار مسلم فدخل الكوفة أول ذى الحجة من سنة ستين واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر وعلم مكانه النعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليما يجنح الى المسالمة فخطب وحذر الناس الفتنة وقال لا أقاتل من لا يقاتلنى ولا آخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لاضربنكم بسيفى ما دام قائمه بيدى ولو لم يكن لى ناصر فقال له بعض حلفاء بنى أمية لا يصلح ما ترى الا الغشم وهذا الذى أنت عليه مع عدوك رأى المستضعفين فقال أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الىّ من أن أكون من الأعزين فى معصية الله ثم تركه فكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد بن أبى وقاص الى يزيد بالخبر وتضعف النعمان وضعفه فابعث الى الكوفة رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل عملك فى عدوك فأشار عليه سرجون

مضى ابراهيم الى المختار وأخبره الخبر وبعثوا فى الشيعة ونادوا بثأر الحسين ومضى ابراهيم الى النخع فاستركبهم وسار بهم فى المدينة ليلا وهو يتجنب المواضع التى فيها الامراء ثم لقى بعضهم فهزمهم ثم آخرين كذلك ثم رجع الى المختار فوجد شبث بن ربعى وحجار بن أبجر العجلى يقاتلانه فهزمهما وحاشب بن المطيع فأشار اليه بجمع الناس والنهوض الى القوم قبل فولى أمرهم فركب واجتمع الناس وتوافى الى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة وبعث ابن مطيع شبث بن ربعى فى ثلاثة آلاف وربيع بن اياس فى أربعة آلاف فسرح اليهم المختار ابراهيم بن الاشتر لراشد فى ستمائة فارس وستمائة راجل ونعيم بن هبيرة لشبث فى ثلثمائة فارس وستمائة راجل واقتتلوا من بعد صلاة الصبح وقتل نعيم فوهن المختار لقتله وظهر شبث وأصحابه عليهم وقاتل ابراهيم بن الاشتر راشد بن اياس فقتله وانهزم أصحابه وركبهم القتل وبعث ابن المطيع جيشا كثيفا فهزمهم ثم حمل على شبث فهزمه وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة ورجع المنهزمون الى ابن مطيع فدهش فشجعه عمر ابن الحجاج الزبيدى وقال له اخرج واندب الناس ففعل وقام فى الناس ووبخهم على هزيمتهم وندبهم ثم بعث عمر بن الحجاج فى ألفين وشمر بن ذى الجوشن فى ألفين ونوفل ابن مساحق فى خمسة آلاف ووقف هو بكتائبه واختلف على القصر شبث بن ربعى فحمل بن الاشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره ثم منّ عليه ودخل ابن مطيع القصر وحاصره ابراهيم بن الاشتر ثلاثا ومعه يزيد بن أنس وأحمد بن شميط ولما اشتد الحصار على ابن مطيع أشار عليه شبث بن ربعى بأن يستأمن للمختار ويلحق بابن الزبير وله ما بعده فخرج عنهم مساء ونزل دار أبى موسى واستأمن القوم للمختار فدخل القصر وغدا على الناس فى المسجد فخطبهم ودعاهم الى بيعة ابن الحنفية فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنة والطلب بأهل البيت ووعدهم بحسن السيرة وبلغه أن ابن مطيع فى دار أبى موسى فبعث اليه بمائة ألف درهم وقال تجهز بهذه وكان ابن مطيع قد فرق بيوت الاموال على الناس وسار ابن مطيع الى وجهه وملك الكوفة وجعل على شرطته عبد الله بن كامل وعلى حرسه كيسان أبا عمرة وجعل الاشراف جلساءه وعقد لعبد الله بن الحرث بن الاشتر على أرمينية ولمحمد بن عمير ابن عطارد على أذربيجان ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ولاسحق ابن مسعود على المدائن ولسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واصلاح السابلة وولى شريحا على القضاء ثم طعنت فيه الشيعة بأنه شهد على

حجر بن عدى ولم يبلغ عن هانئ بن عروة رسالته الى قومه وأن عليا غرمه وأنه عثمانى وسمع ذلك هو فتمارض فجعل مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم مرض فولى مكانه عبد الله بن مالك الطائى

(مسيرة ابن زياد الى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه)

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز مع جيش بن دلجة القينى وقد شأنه ومقتله والآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد فكان من أمره وأمر التوابين من الشيعة ما تقدم وأقام محاصرا لزفر بن الحرث بقرقيسيا وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها ثم توفى مروان وولى بعده عبد الملك فأقره على ولايته وأمره بالجد ويئس من أمر زفر وقيس فنهض الى الموصل فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى تكريت وكتب الى المختار بالخبر فبعث يزيد بن أنس الاسدى فى ثلاثة آلاف الى الموصل فسار اليها على المدائن وسرح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغنوى فى ثلاثة آلاف فالتقيا ببابل وعبى يزيد أصحابه وهو راكب على حمار وحرضهم وقال ان مت فأميركم ورقاء ابن عازب الاسدى وان هلك فعبد الله بن ضمرة الفزارى وان هلك فسعد الخثعمى ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهزم أهل الشام وقتل ربيعة وسار الفل غير بعيد فلقيهم عبد الله بن حملة الخثعمى قد سرحه ابن زياد فى ثلاثة آلاف فرد المنهزمين وعاد القتال يوم الاضحى فانهزم أهل الشام وأثخن فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب وأسروا منهم ثلثمائة فقتلوهم وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه وقام بأمرهم ورقاء بن عازب خليفته وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد وقال نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرأ علينا أهل الشام بذلك وانصرف الناس وتقدم الخبر الى الكوفة فأرجف الناس بالمختار وأشيع أن يزيد قتل وسر المختار رجوع العسكر فسرح ابراهيم بن الاشتر فى سبعة آلاف وضم اليه جيش يزيد ثم تأخر ابن زياد فسار لذلك ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شيث بن ربعى وكان شيخهم جاهليا اسلاميا وشكوا من سيرة المختار وايثاره الموالى عليهم ودعوه الى الوثوب به فقال حتى ألقاه وأعذر اليه ثم ذهب اليه وذكر له جميع ما نكروه فوعده الرجوع الى مرادهم وذكر له شأن الموالى وشركتهم فى الفىء فقال ان أعطيتمونى عهدكم على قتال بنى أمية وابن الزبير تركتهم فقال اخرج اليهم بذلك وخرج فلم يرجع واجتمع رأيهم على قتاله وهم شيث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعد بن قيس وشمر ابن ذى الجوشن وكعب بن أبى كعب النخعى وعبد الرحمن بن مخنق الازدى وقد كان ابن مخنق أشار عليهم بأن يمهلوه لقدوم أهل الشام وأهل البصرة فيكفونكم أمره

قبل أن يقاتلكم بمواليكم وعبدانكم وهم عليكم أشد فأبوا من رأيه وقالوا لا تفسد جماعتنا ثم خرجوا وشهروا السلاح وقالوا للمختار اعتزلنا فان ابن الحنفية لم يبعثك قال نبعث اليه الرسل مني ومنكم وأخذ يعللهم بأمثال هذه المراجعات وكف أصحابه عن قتالهم ينتظر وصول ابراهيم بن الاشتر وقد بعث اليه بالرجوع فجاء فرأى القوم مجتمعين ورفاعة بن شداد البجلي يصلي بهم فلما وصل ابراهيم عبى المختار أصحابه وسرح بين يديه أحمد بن شميط البجلي وعبد الله بن كامل الشادى فانهزم أصحابهما وصبرا ومدهما المختار بالفرسان والرجال فوجا بعد فوج وسار ابن الاشتر الى مضر وفيهم شبث ابن ربعي فقاتلوه فهزمهم فاشتد ابن كامل على اليمن ورجع رفاعة بن شداد أمامهم الى المختار فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبد الله بن سعيد بن قيس والفرات بن زحر بن قيس وعمر بن مخنف وخرج أخوه عبد الرحمن فمات وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأسر من الوادعيين خمسمائة أسير فقتل المختار كل من شهد قتل الحسين منهم فكانوا نصفهم وأطلق الباقين ونادى المختار الامان الا من شهد في دماء أهل البيت وفر عمر بن الحجاج الزبيدي وكان أشد من حضر قتل الحسين فلم يوقف له على خبر وقيل أدركه أصحاب المختار فأخذوا رأسه وبعث في طلب شمر بن ذي الجوشن فقتل طالبه وانتهى الى قرية الكلبانية فارتاح يظن انه نجا واذا في قرية أخرى بازائه أبو عمرة صاحب المختار بعثه مسلحة بينه وبين أهل البصرة فنمي اليه خبره فركب اليه فقتله وألقى شلوه للكلاب وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا أكثرهم من اليمن وكان آخر سنة ست وستين وخرج أشراف الناس الى البصرة وتتبع المختار قتلة الحسين ودل على عبد الله بن أسيد الجهني ومالك بن نسير الكندي وحمل بن مالك المحاربي بالقادسية فأحضرهم وقتلهم ثم أحضر زياد بن مالك الضبعي وعمران بن خالد العنزي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين فقتلهم وأحضر عبد الله أو عبد الرحمن بن طلحة وعبد الله بن وهيب الهمداني ابن عم الاعشى فقتلهم وأحضر عثمان بن خالد الجهني وأبا أسماء بشر بن سميط القابسي وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فقتلهما وحرقهما بالنار وبحث عن خولي بن يزيد الاصبحي صاحب رأس الحسين فجيء برأسه وحرق بالنار ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص بعد ان كان أخذ له الامان منه عبد الله بن ابن جعدة بن هبيرة فبعث أبا عمرة فجاءه برأسه وابنه حفص عنده فقال تعرف هذا قال نعم ولا خير في العيش بعده فقتله ويقال ان الذي بعث المختار على قتلة الحسين أن يزيد بن شراحيل الانصاري قدم على محمد بن الحنفية فقال له ابن الحنفية

يزعم المختار انه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسى يحدثونه فلما سمع المختار ذلك تتبعهم بالقتل وبعث برأس عمر وابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه أنه قتل من قدر عليه وهو فى طلب الباقين ثم أحضر حكيم بن طفيل الطائى وكان رمى الحسين بسهم وأصاب سلب العباس ابنه وجاء عدى بن حاتم يشفع فيه فقتله ابن كامل والشيعة قبل أن يصل حذرا من قبول المختار شفاعته وبعث عن مرة بن منقذ بن عبد القيس قاتل على بن الحسين فدافع عن نفسه ونجا الى مصعب بن الزبير وقد شلت يده بضربة وبعث عن زيد وفاد الحسين قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه بسهمين وقد وضع كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه فى جبهته وقتله بالاخرى فخرج بالسيف يدافع فقال ابن كامل ارموه بالحجارة فرموه حتى سقط وأحرقوه حيا وطلب سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل الحسين فلحق بالبصرة وطلب عمر بن صبح الصدائى فقتله طعنا بالرماح وأرسل فى طلب محمد بن الاشعث وهو فى قريته عند القادسية فهرب الى مصعب وهدم المختار داره وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين فلحقوا بمصعب وهدم دورهم

(شأن المختار مع ابن الزبير)

كان على البصرة الحرث بن أبى ربيعة وهو القباع عاملا لابن الزبير وعلى شرطته عباد ابن حسين وعلى المقاتلة قيس بن الهيثم وجاء المثنى بن مخرمة العبدى وكان ممن شهد مع سليمان بن صرد ورجع فبايع للمختار وبعثه الى البصرة يدعوله بها فأجابه كثير من الناس وعسكر لحرب القباع فسرّح اليه عباد بن حسين وقيس بن الهيثم فى العساكر فانهزم المثنى الى قومه عبد القيس وأرسل القباع عسكرا يأتونه به فجاءه زياد بن عمر العتكى فقال له لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فأرسل الاحنف ابن قيس وأصلح الأمر على أن يخرج المثنى عنهم فسار الى الكوفة وقد كان المختار لما أخرج ابن مطيع من البصرة كتب الى ابن الزبير يخادعه ليتم أمره فى الدعاء لاهل البيت وطلب المختار فى الوفاء بما وعده به من الولاية فأراد ابن الزبير أن يتبين الصحيح من أمره فولى عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على الكوفة وأعلمه بطاعة المختار وبعثه اليها وجاء الخبر الى المختار فبعث زائدة بن قدامة فى خمسمائة فارس وأعطاه سبعين ألف درهم وقال ادفعها الى عمر فهى ضعف ما أنفق وأمره بالانصراف بعد تمكث فان أبى فأره الخيل فكان كذلك ولما رأى عمر الخيل أخذ المال وسار نحو البصرة واجتمع هو وابن مطيع فى امارة القباع قبل وثوب ابن مخرمة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوّغتنى ذلك وأعطيتنى مائة ألف درهم سرت الى الشام وكفيتك مروان فمنعه من ذلك فأقام المختار يطاعنه

ويوادعه ليتفرغ لاهل الشأم ثم بعث عبد الملك بن مروان عبد الملك بن الحرث ابن الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى فكتب المختار الى ابن الزبير يعرض عليه المدد فأجابه أن يعجل بانفاذ الجيش الى جند عبد الملك بوادى القرى فسرّح شرحبيل ابن دوس الهمدانى فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وأمره أن يأتى المدينة ويكاتبه بذلك واتهمه ابن الزبير فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره أن يستنفر العرب وان رأى من جيش المختار خلافا ناجزهم وأهلكهم فلقيهم عباس بالرقيم وهم على تعبية فقال سيروا بنا الى العدوّ الذى بوادى القرى فقال ابن دوس انما أمرنى المختار أن آتى المدينة ففطن عباس لما يريد فأتاهم بالعلوفة والزاد وتخير ألفا من أصحابه وحمل عليهم فقتل ابن دوس وسبعين معه من شجعان قومه وأمن الباقين فرجعوا الى الكوفة ومات أكثرهم فى الطريق وكتب المختار الى ابن الحنفية يشكو ابن الزبير ويوهمه أنه بعث الجيش فى طاعته ففعل بهم ابن الزبير ما فعل ويستأذنه فى بعث الجيوش الى المدينة ويبعث ابن الحنفية عليهم رجلا من قبله فيفهم الناس أنى فى طاعتك فكتب اليه ابن الحنفية قد عرفت قصدك ووفاءك بحقى وأحبّ الامر الىّ الطاعة فأطع الله وتجنب دماء المسلمين فلو أردت القتال لوجدت الناس الىّ سراعا والاعوان كثيرا لكنى أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (ثم دعا ابن الزبير) محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته الى البيعة فامتنع وبعث اليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم فاستكانوا وصبروا فتركهم فلما استولى المختار على الكوفة وأظهر الشيعة دعوة ابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فاعتزم عليهم فى البيعة وتوعدهم بالقتل وحبسهم بزمزم وضرب لهم أجلا وكتب ابن الحنفية الى المختار بذلك فأخبر الشيعة وندبهم وبعث أمراء منهم فى نحو الثمانمائة عليهم أبو عبد الله الجدلى وبعث لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وساروا الى مكة فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب كراهة اشهار السيوف فى الحرم وطفقوا ينادون بثأر الحسين حتى انتهوا الى زمزم وأخرج ابن الحنفية وكان قد بقى من أجله يومان واستأذنوه فى قتال ابن الزبير فقال لا أستحلّ القتال فى الحرم ثم جاء باقى الجند وخافهم ابن الزبير وخرج ابن الحنفية الى شعب علىّ واجتمع له أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال (ولما قتل المختار) واستوثق أمر ابن الزبير بعث اليهم فى البيعة فخافه على نفسه وكتب لعبد الملك فأذن له أن يقدم الشأم حتى يستقيم أمر الناس ووعده بالاحسان وخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشأم ولما وصل مدين لقيه خبر مهلك عمر بن سعيد فندم وأقام بأيلة وظهر فى الناس فضله وعبادته

وزهده وكتب له عبد الملك أن يبايعه فرجع الى مكة ونزل شعب أبي طالب فأخرجه ابن الزبير فسار الى الطائف وعذل ابن عباس ابن الزبير على شانه ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هنالك وصلى عليه ابن الحنفية وعاش الى أن أدرك حصار الحجاج لابن الزبير (ولما قتل ابن الزبير) بايع لعبد الملك وكتب عبد الملك الى الحجاج بتعظيم حقه وبسط أمله ثم قدم الى الشأم وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجاج عنه ففعل وقيل انّ ابن الزبير بعث الى ابن عباس وابن الحنفية في البيعة حتى يجتمع الناس على امام فانّ في هذه فتنة فحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس في منزله وأراد احراقهما فأرسل المختار جيشه كما تقدم ونفس عنهما ولما قتل المختار قوى ابن الزبير عليهما فخرجا الى الطائف

(مقتل ابن زياد)

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستين بعث ابراهيم بن الاشتر لقتال ابن زياد وبعث معه وجوه أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه وبعث معه بالكرسي الذي كان يستنصر به وهو كرسي قد غشاه بالذهب وقال للشيعة هذا فيكم مثل التابوت في بني اسرائيل فكبر شأنه وعظم وقاتل ابن زياد فكان له الظهور وافتتن به الشيعة ويقال انه كرسي علي بن أبي طالب وانّ المختار أخذه من ولد جعدة بن هبيرة وكانت أمه أم هانئ بنت أبي طالب فهو ابن أخت علي ثم أسرع ابراهيم بن الاشتر في السير وأوغل في أرض الموصل وكان ابن زياد قد ملكها كما مرّ فلما دخل ابراهيم أرض الموصل عبى أصحابه ولما بلغ نهر الحارم بعث على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعي ونزل ابن زياد قريبا من النهر وكانت قيس مطبقة على بني مروان عند المرج وجند عبد الملك يومئذ فلقي عمير بن الحباب السلمي ابراهيم بن الاشتر وأوعده أن ينهزم بالميسرة وأشار عليه بالمشاجرة ورأى عند ابن الاشتر ميلا الى المطاولة فثناه عن ذلك وقال انهم ملئوا منكم رعبا وان طاولتهم اجترؤا عليكم قال وبذلك أوصاني صاحبي ثم عبى أصحابه في السحر الاول ونزل يمشي ويحرض الناس حتى أشرف على القوم وجاءه عبد الله بن زهير السلولي بأنهم خرجوا على دهش وفشل وابن الاشتر يحرض أصحابه ويذكرهم أفعال ابن زياد وأبيه ثم التقى الجمعان وحمل الحصين بن نمير من ميمنة أهل الشأم على ميسرة ابراهيم فقتل علي بن مالك الخثعمي ثم أخذ الراية فرد بن علي فقتل وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ورجع بالمنهزمين الى الميسرة كما كانوا وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما وعدهم فمنعته الانفة

من ذلك وقاتل قتالا شديدا وقصد ابن الاشتر قلب العسكر وسواده الاعظم فاقتتلوا أشد قتال حتى كانت أصوات الضرب بالحديد كأصوات القصارين وابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم ثم حملوا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب ابن زياد وقال ابن الاشتر انى قتلت رجلا تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك وضربته بسيفى فقصمته نصفين فالتمسوه فاذا هو ابن زياد فأخذت رأسه وأحرقت جثته وحمل شريك بن جدير التغلبى على الحصين بن نمير فاعتنقه وجاء أصحابه فقتلوا الحصين ويقال انّ الذى قتل ابن زياد هو ابن جدير هذا وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع وادّعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن عازب الازدى وعبيد الله بن زهير السلمى واتّبع أصحاب ابن الاشتر المنهزمين فغرق فى النهر أكثر ممن قتل وغنموا جميع ما فى العسكر وطرأ ابن الاشتر بالبشارة الى المختار فأتته بالمدائن وأنفذ ابن الاشتر عماله الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن على نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة وولى زفر بن الحرث قيس وحاتم بن النعمان الباهلى حرّان والرهاء وشمشاط وعمير بن الحباب السلمى كفرنوبى وطور عبدين وأقام بالموصل وأنفذ رؤس عبيد الله وقواده الى المختار

(مسير مصعب الى المختار وقتله اياه)

كان ابن الزبير فى أول سنة سبع وستين أو آخر ست عزل الحرث بن ربيعة وهو القباع وولى مكانه أخاه مصعبا فقدم البصرة وصعد المنبر وجاء الحرث فأجلسه مصعب تحته بدرجة ثم خطب وقرأ الآيات من أول القصص ونزل ولحق به أشراف الكوفة حتى قربوا من المختار ودخل عليه شبث بن ربعى وهو ينادى واغوثاه ثم قدم محمد ابن الاشعث بعده واستوثقوه الى المسير وبعث الى المهلب بن أبى صفرة وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار فأبطأ وأغفل فأرسل اليه محمد بن الاشعث بكتابه فقال المهلب ما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا ببريد ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا فأقبل معه المهلب بالجموع والاموال وعسكر مصعب عند الجسر فأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة سرّا ليثبط الناس عن المختار ويدعو الى ابن الزبير وسار على التعبية وبعث فى مقدمته عباد بن الحصين الحبطى التميمى وعلى ميمنته عمر ابن عبيد الله بن معمر وعلى ميسرته المهلب وبلغ الخبر المختار فقام فى أصحابه وقرّبهم الى الخروج مع ابن شميط وعسكر محمد فى أعفر وبعث رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر مع ابن شميط وأصحابه فثبتوا وحمل المهلب من الميسرة على ابن كامل فثبت ثم كرّ المهلب وحمل حملة منكرة وصبر ابن كامل قليلا وانهزموا وحمل الناس

جمعا على ابن شميط فانهزم وقتل واستمر القتل فى الرجالة وبعث مصعب عبادا فقتل كل أسير أخذه وتقدم محمد بن الاشعث فى خيل من أهل الكوفة فلم يدركوا منهزما الا قتلوه ولما فرغ مصعب منهم أقبل فقطع الفرات من موضع واسط وحملوا الضعفاء وأثقالهم فى السفن ثم خرجوا الى نهر الفرات وسار الى الكوفة ولما بلغ المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أصحابه وأنّ مصعبا أقبل اليه فى البرّ والبحر سار الى مجتمع الانهار نهر الجزيرة والسيلحين والقادسية ونهر يسر فسكر الفرات فذهب ماؤه فى الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين فخرجوا الى السكر وأزالوه وقصدوا الكوفة وسار المختار ونزل حروراء بعد أن حصن القصر وأدخل عدة الحصار وأقبل مصعب وعلى ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندى وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى وعلى الخيل عمر بن عبيد الله النهدى ونزل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة بين العسكرين ولما التقى الجمعان اقتتلوا ساعة وحمل عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى على من بازائه فحطم أصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوهم وحمل مالك ابن عمر النهدى فى الرجالة عند المساء على ابن الاشعث حملة منكرة فقتل ابن الاشعث وعامة أصحابه وقتل عبيد الله بن على بن أبى طالب وقاتل المختار ثم افترق الناس ودخل القصر وسار مصعب من الغد فنزل السبخة وقطع عنهم الميرة وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية ففطن مصعب لذلك فمنعه وأصابهم العطش فكانوا يصبون العسل فى الآبار ويشربون ثم انّ المختار أشار على أصحابه بالاستماتة فتحنط وتطيب وخرج فى عشرين رجلا منهم السائب بن مالك الاشعرى فعذله فقال ويحك يا أحمق وثب ابن الزبير بالحجاز ووثب نجدة باليمامة وابن مروان بالشام فكنت كأحدهم الا أنى طلبت بثأر أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية ثم تقدم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بنى حنيفة أخوين طرفة وطراف ابنى عبد الله بن دجاجة وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة لما رأى عزم المختار على الاستماتة تدلى من القصر واختفى عند بعض اخوانه ثم بعث الذين بقوا بالقصر الى مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وأشار عليه المهلب باستبقائهم فاعترضه أشراف أهل الكوفة ورجع الى رأيهم ثم أمر بكف المختار بن أبى عبيد فقطعت وسمرت الى جانب المسجد فلم ينزعها من هنالك الا الحجاج وقتل زوجه عمرة بنت النعمان بن بشير زعمت أنّ المختار   فاستأذن أخاه عبد الله وقتلها ثم كتب مصعب الى ابراهيم بن الاشتر يدعوه الى طاعته ووعده بولاية أعنة الخيل

وما غلب عليه من المغربة وكتب اليه عبد الملك بولاية العراق واختلف عليه أصحابه فجنح الى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشراف أهل الشام وكتب الى مصعب بالاجابة وسار اليه فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان المهلب بن أبي صفرة وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وانه بعث على مقدمته أحمد بن شميط وبعث مصعب عباد الحبطي ومعه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وتراضوا البلا فناجزهم المختار من ليلته وانكشف أصحاب مصعب الى عسكرهم واشتد القتال وقتل من أصحاب مصعب جماعة منهم محمد بن الاشعث فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا في أصحاب مصعب وليس عنده أحد فانصرف ودخل قصر الكوفة وفقد أصحابه فلحقوا به ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم وأقبل مصعب فحاصرهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل وطلب الذين في القصر الامان من مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعا وكانوا ستة آلاف رجل ولما ملك مصعب الكوفة بعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة على البصرة مكان مصعب فأساء السيرة وقصر بالاشراف ففزعوا الى مالك بن مسمع فخرج الى الجسر وبعث الى حمزة أن الحق بأبيك وكتب الاحنف الى أبيه أن يعزله عنهم ويعيد لهم مصعبا ففعل وخرج حمزة بالاموال فعرض له مالك بن مسمع وقال لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عمر بن عبيد الله العطاء فكف عنه وقيل ان عبد الله بن الزبير انما ردّ مصعبا الى البصرة عند وفادته عليه بعد سنة من قتل المختار ولما ردّه الى البصرة استعمل عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم أيام مصعب وحمزة فلما ردّ مصعبا أراد أن يولي المهلب الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه واستخلف على عمله المغيرة فلما قدم البصرة عزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن معمر فكان له في حروبهم ما نذكره في أخبار الخوارج

(خلاف عمر بن سعيد الاشرف ومقتله)

كان عبد الملك بعد رجوعه من قنسرين أقام بدمشق زمانا ثم سار لقتال زفر بن الحرث الكلابي بقرقيسيا واستخلف على دمشق عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي ابن أخته وسار معه عمر بن سعيد فلما بلغ بطنان انتقض عمرو وأسرى ليلا الى دمشق وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمرو وهدم داره واجتمع اليه الناس فخطبهم ووعدهم وجاء عبد الملك على اثره فحاصره بدمشق ووقع بينهما القتال أياما ثم اصطلحا وكتب بينهما كتابا وأمّنه عبد الملك فخرج اليه عمرو ودخل عبد الملك دمشق فأقام أربعة أيام

ثم بعث الى عمر ليأتيه فقال له عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو صهره وكان عنده لا تأتيه فانى أخشى عليك منه فقال والله لو كنت نائما ما أيقظنى ووعد الرسول بالرواح اليه ثم أتى بالعشى ولبس درعه تحت القباء ومضى فى مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بنى مروان وحسان بن بحدل الكلبى وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى وأذن لعمر فدخل ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه الا غلام واحد ونظر الى عبد الملك والجماعة حوله فأحس بالشر وقال للغلام انطلق الى أخى يحيي وقل له يأتينى فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيبه الغلام لبيك وهو لا يفهم فقال له اعزب عنى ثم أذن عبد الملك لحسان وقبيصة فلقيا عمر ودخل فأجلسه معه على السرير وحادثه زمنا ثم أمر بنزع السيف عنه فأنكر ذلك عمر وقال اتق الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أتطمع أن تجلس معى متقلدا سيفك فأخذ عنه السيف ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حين خلعتنى حلفت بيمين ان أنا رأيتك بحيث أقدر عليك أن أجعلك فى جامعة فقال بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت أن أصنع بأبى أمية فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية فقال عمر قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاما فجمعه فيها وسأله أن لا يخرجه على رؤس الناس فقال أمكرا عند الموت ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ثم سأل الابقاء فقال عبد الملك والله لو علمت أنك تبقى ان أبقيت عليك وتصلح قريش لأبقيتك ولكن لا يجتمع رجلان مثلنا فى بلد فشتمه عمر وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله فلما قام اليه بالسيف ذكره الرحم فامسك عنه وجلس ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الابواب فغلظ لعبد العزيز ثم تناول عمر فذبحه بيده وقيل أمر غلامه بن الزعير فقتله وفقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج الى الصلاة فأقبل أخوه يحيي فى أصحابه وعبيده وكانوا ألفا ومعه حميد بن الحرث وحريث وزهير بن الابرد فهتفوا باسمه ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وخرج الوليد بن عبد الملك واقتتلوا ساعة ثم خرج عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى بالرأس فألقاه الى الناس وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بدر الاموال فانتهبوها وافترقوا ثم خرج عبد الملك الى الناس وسأل عن الوليد فأخبر بجراحته وأتى بيحيي بن سعيد وأخيه عنبسة فحبسهما وحبس بنى عمر بن سعيد ثم أخرجهم جميعا وألحقهم بمصعب حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأمنهم ووصلهم وكان بنو عمر أربعة أمية وسعيد واسمعيل ومحمد ولما حضروا عنده قال أنتم أهل بيت ترون لكم على جميع قومكم فضلا لن يجعله الله لكم والذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثا

بل كان قديما فى أنفس أوايكم على أولينا فى الجاهلية فقال سعيد يا أمير المؤمنين تعد علينا أمرا كان فى الجاهلية والاسلام قد هدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا وأما عمرو فهو ابن عمك وقد وصل الى الله وأنت أعلم بما صنعت وان أحد ثنابه فبطن الارض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك وقال أبوكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله واخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأحسن حالتم وقيل ان عمرا انما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب طلبه أن يجعل له العهد بعده كما فعل أبوه فلم يجبه الى ذلك فرجع الى دمشق فعصى وامتنع بها وكان قتله سنة تسعة وستين

(مسير عبد الملك الى العراق ومقتل مصعب)

ولما صفا الشأم لعبد الملك اعتزم على غزو العراق وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه فاستمهله أصحابه فأبى وسار نحو العراق وبلغ مصعبا مسيره فأرسل الى المهلب بن أبى صفرة وهو بفارس فى قتال الخوارج يستشيره وقد كان عزل عمر بن عبيد الله بن معمر عن فارس وحرب الخوارج وولى مكانه المهلب وذلك حين استخلف على الكوفة وجاء خالد بن عبيد الله بن خالد بن أسيد على البصرة مختفيا وأعيد لعبد الملك عند مالك ابن مسمع فى بكر بن وائل والازد وأمد عبد الملك بعبيد الله بن زياد بن ضبيان وحاربهم عمر بن عبيد الله بن معمر ثم صالحهم على أن يخرجوا خالدا فأخرجوه وجاء مصعب وقد طمع أن يدرك خالدا فوجده قد خرج فسخط على ابن معمر وسب أصحابه وضربهم وهدم دورهم وحلقهم وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها وعزل ابن معمر عن فارس وولى المهلب وخرج الى الكوفة فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك وكان معه الاحنف فتوفى بالكوفة ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة الا أن يكون المهلب على قتال الخوارج رده وقال له المهلب ان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعدنى ثم بعث مصعب عن ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله فى مقدمته وسار حتى عسكر فى معسكره وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد ابن مروان وخالد بن عبيد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا قريبا من قرقيسيا وحصر زفر ابن الحرث الكلابى ثم صالحه وبعث زفر معه الهذيل ابنه فى عسكر وسار معه فنزل بمسكن قريبا من مسكن مصعب وفر الهذيل بن زفر فلحق بمصعب وكتب عبد الملك الى أهل العراق ونبوا اليه وكلهم بشرط اصفهان وأتى ابن الاشتر بكتاب مختوما الى مصعب فقرأه فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فأخبره مصعب بما فيه وقال مثل هذا لا يرغب عنه فقال ابراهيم ما كنت لاتقلد الغدر والخيانة

ولقد كتب عبد الملك لاصحابك كلهم مثل هذا فأطعني واقتلهم أو احبسهم في أضيق محبس فأبى عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب وعذلهم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أهل الشأم فأعرضوا عنه ولما تدانى العسكران بعث عبد الملك الى مصعب يقول فقال نجعل الامر شورى فقال مصعب ليس بيننا الا السيف فقدم عبد الملك أخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر وأمده بالجيش فأزال محمدا عن موقفه وأمده عبد الملك بعبيد الله بن يزيد فاشتد القتال وقتل من أصحاب مصعب بن عمر الباهلي والد قتيبة وأمد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم ونكره وقال أوصيته لا يمدني بعتاب وأمثاله وكان قد بايع لعبد الملك فجر الهزيمة على ابراهيم وقتله وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشأم فقاتل مصعب ودعا رؤس العراق الى القتال فاعتذروا وتثاقلوا فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالامان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه فنادى ابنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه في لقائه فجاءه وبذل له الامان وأخبر أباه فقال أتظنهم يعرفون لك ذلك فان أحببت فافعل قال لا يتحدث نساء قريش انى رغبت بنفسي عنك قال فاذهب الى عمك بمكة فأخبره بصنيع أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن الحق أنت بالبصرة فانهم على الطاعة أو بأمير المؤمنين بمكة فقال لا يتحدث قريش انى فررت ثم قال لعيسى تقدم يا بنى أحتسبك فتقدم في ناس فقتل وقتلوا وألح عبد الملك في قبول أمانه فأبى ودخل سرادقه فتحنط ورمى السرادق وخرج فقاتل ودعاه عبيد الله بن زياد ابن ضبيان فشتمه وحمل عليه وضربه فجرحه وخذل أهل العراق مصعبا حتى بقي في سبعة أنفس وأثخنته الجراحة فرجع اليه عبيد الله بن زياد بن ضبيان فقتله وجاء برأسه الى عبد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها وقال انما قتلته بثأر أخي وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته وقيل ان الذى قتله زائدة بن قدامة الثقفي من أصحاب المختار وأخذ عبيد الله رأسه وأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثليق عند نهر دجيل وكان ذلك سنة احدى وسبعين ثم دعا عبد الملك جند العراق الى البيعة فبايعوه وسار الى الكوفة فأقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس فوعد المحسن وطلب يحيى بن سعيد من جعفة وكانوا اخواله فأحضروه فأمنه وولى أخاه بشر ابن مروان على الكوفة ومحمد بن نمير على همدان ويزيد بن ورقاء بن رويم على الري ولم يف لهم بأصبهان كما شرطوا عليه وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسري ويحيى بن معتوق الهمداني قد لجأ الى علي بن عبد الله بن عباس ولجأ هذيل بن زفر ابن الحرث وعمر بن يزيد الحكمي الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك وصنع عمر

ابن حريث لعبد الملك طعاما فأخبره بالخورنق وأذن للناس عامة فدخلوا وجاء عمر ابن حريث فأجلسه معه على سريره وطعم الناس ثم طاف مع عمر بن حريث على القصر يسأله عن مساكنه ومعالمه ولما بلغ عبد الله بن حازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن معمر قيل هو على فارس قال فالمهلب قيل فى قتال الخوارج قال فعباد ابن الحصين قيل على البصرة قال وأنا بخراسان

خذينى فجرينى جهارا وانشدى * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ثم بعث عبد الملك برأس مصعب الى الكوفة ثم الى الشأم فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف به فمنعت من ذلك زوجة عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية فغسلته ودفنته وانتهى قتل مصعب الى المهلب وهو يحارب الازارقة فبايع الناس لعبد الملك ابن مروان ولما جاء خبر مصعب لعبد الله بن الزبير خطب الناس فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الا وانه لم يذل الله من كان الحق معه وان كان الناس عليه طرّا وقد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب فالذى أفرحنا منه ان قتله شهادة وأمّا الذى أحزننا فانّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم عبد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا وانّ أهل العراق أهل الغدر والنفاق سلموه وباعوه بأقل الثمن فان فوالله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص والله ما قتل رجل منهم فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا قطعا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها أخذ الاشر البطور وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم (ولما بلغ الخبر) الى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن أبان وعبد الله بن أبى بكرة واستعان حمدان بعبد الله بن الاهتم عليها وكانت له منزلة عند بنى أمية فلما تمهد الامر بالعراق لعبد الملك بعد مصعب ولى على البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد فاستخلف عليها عبيد الله بن أبى بكرة فقدم على حمدان وعزله حتى جاء خالد ثم عزل خالدا سنة ثلاث وسبعين وولى مكانه على البصرة أخاه بشرا وجمع له المصرين وسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمر بن حريث وولى عبد الملك على الجزيرة وأرمينية بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين فغزا الروم ومزقهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف دينار يدفعها اليه فى كل يوم

* (أمر زفر بن الحرث بقرقيسيا) *

قد ذكرنا وقعة راهط مسير بن زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه وأقام بها يدعو

لابن الزبير ولما ولي عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبي معيط وهو على حمص بالمسير الى زفر فسار وعلى مقدمته عبد الله بن رميث العلائي فعاجله عبد الله بالحرب وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة ثم أقبل أبان فواقع زفر وقتل ابنه وكيع بن زفر وأوهنه ثم سار اليه عبد الملك الى قرقيسيا قبل مسيره الى مصعب فحاصره ونصب عليه المجانيق وقال كلب لعبد الملك لا تخلط معنا القيسية فانهم ينهزمون اذا التقينا مع زفر ففعل واشتد حصارهم وكان زفر يقاتلهم في كل غداة وأمر ابنه الهذيل يوما أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عبد الملك ففعل وقطع بعض أطنابه ثم بعث عبد الملك أخاه بالامان لزفر وابنه الهذيل على أنفسهما ومن معهما وان لهم ما أحبوا فأجاب الهذيل وأدخل أباه في ذلك وقال عبد الملك لنا خير من ابن الزبير فأجاب على أن له الخيار في بيعته سنة وأن ينزل حيث شاء ولا يعين على ابن الزبير وبينما الرسل تختلف بينهم اذ قيل لعبد الملك قد هدم من المدينة أربعة أبراج فترك الصلح وزحف اليهم فكشفوا أصحابه الى عسكرهم ورجع الى الصلح واستقر بينهم على الامان ووضع الدماء والاموال وأن لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عنقه وأن يدفع اليه مال نفسه في أصحابه وتأخر زفر عن لقاء عبد الملك خوفا من فعلته بعمر بن سعيد فأرسل اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اليه وأجلسه عبد الملك معه على سريره وزوج ابنه مسلمة الرباب بنت زفر وسار عبد الملك الى قتال مصعب فبعث زفر ابنه الهذيل معه بعسكر ولما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر حتى اذا اقتتلوا اختفى الهذيل في الكوفة حتى أمّنه عبد الملك كما مرّ

(مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها)

قد تقدم لنا خلاف بني تميم على ابن حازم بخراسان وانهم كانوا على ثلاث فرق وكف فرقتين منهم وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور وعليهم بحير بن ورقاء الصريمي فلما قتل مصعب بعث عبد الملك الى حازم يدعوه الى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين وبعث الكتاب مع رجل من بني عامر بن صعصعة فقال ابن حازم لولا الفتنة بين سليم وعامر ولكن كل كتابك فأكله وكان بكير بن وشاح التميمي خليفة بن حازم على مرو فكتب اليه عبد الملك بعهده على خراسان ورغبه بالمطامع ان انتهى فخلع ابن الزبير ودعا الى عبد الملك وأجابه أهل مرو وبلغ ابن حازم فخاف أن يأتيه بكير ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بحيرا وارتحل عنه الى مرو ويريد ابنه بترمذ فأتبعه بحير ولحقه قريبا من مرو واقتتلوا فقتل ابن حازم طعنه بحير وآخران معه فصرعوه وقعد أحدهم على صدره فقطع رأسه وبعث بحير البشير بذلك الى عبد الملك وترك الرأس

وجاء بكير بن وشاح فى أهل مرو وأراد انفاذ الرأس الى عبد الملك وأنه الذى قتل ابن حازم وأقام فى ولاية خراسان وقيل انّ ذلك انما كان بعد قتل ابن الزبير وأنّ عبد الملك أنفذ رأسه الى ابن حازم ودعاه الى البيعة فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى ابن الزبير بالمدينة وكان من شأنه مع الرسول ومع بحير وبكير ما ذكرناه

(كان) عبد الملك لما بويع بالشأم بعث الى المدينة عروة بن أنيف فى ستة آلاف من أهل الشأم وأمره أن يسكن بالعرصة ولا يدخل المدينة وعامل ابن الزبير يومئذ على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحى فهرب الحرث وأقام ابن أنيف شهرا يصلى بالناس الجمعة بالمدينة ويعود الى معسكره ثم رجع ابن أنيف الى الشأم ورجع الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الدورقى على خيبر وفدك ثم بعث عبد الملك الى الحجاز عبد الملك بن الحرث بن الحكم فى أربعة آلاف فنزل وادى القرى وبعث سرية الى سليمان بخيبر وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القمقام وذكر لعبد الملك ذلك فاغتمّ وقال قتلوا رجلا صالحا بغير ذنب ثم عزل ابن الزبير الحرث بن حاطب عن المدينة وولى مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهرى فبعث جابر الى خيبر أبابكر بن أبى قيس فى ستمائة فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبرا ثم بعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان وأمره أن ينزل بين ايلة ووادى القرى ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار وليسدّ خللا ان ظهر له بالحجاز فبعث طارق خيلا الى أبى بكر بخيبر واقتتلوا فأصيب أبو بكر فى مائتين من أصحابه وكتب ابن الزبير الى القباع وهو عامله على البصرة يستمدّه ألفى فارس الى المدينة فبعثهم القباع وأمر ابن الزبير جابر بن الاسود أن يسيرهم الى قتال طارق ففعل ولقيهم طارق فهزمهم وقتل مقدمهم وقتل من أصحابه خلقا وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع الى وادى القرى ثم عزل ابن الزبير جابرا عن المدينة واستعمل طلحة بن عبد الله بن عوف وهو طلحة النداء وذلك سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق ولما قتل عبد الملك مصعبا ودخل الكوفة وبعث منها الحجاج بن يوسف الثقفى فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم لقتال ابن الزبير وكتب معه بالامان لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار فى جمادى سنة اثنتين وسبعين فلم يتعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويلقاهم هنالك خيل ابن الزبير فينهزمون دائما وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرق أصحابه ويستأذنه فى دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمدّه فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق،

بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عنها طلحة النداء عامل ابن الزبير وولى مكانه رجلا من أهل الشأم وسار الى الحجاج بمكة فى خمسة آلاف ولما قدم الحجاج مكة أحرم بحجة ونزل بئر ميمون وحج بالناس ولم يطف ولا سعى وحصر ابن الزبير عن عرفة فنحر بدنة بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعى ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حج تلك السنة فبعث الى الحجاج بالكف عن المنجنيق لاجل الطائفين ففعل ونادى منادى الحجاج عند الافاضة انصرفوا فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير ورمى بالمنجنيق على الكعبة وألحت الصواعق عليهم فى يومين وقتلت من أصحاب الشأم رجالا فذعروا فقال لهم الحجاج لاشك فهذه صواعق تهامة وان الفتح قد حضر فابشروا ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزبير فسرى عن أهل الشأم فكانت الحجارة تقع بين يدى ابن الزبير وهو يصلى فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم وغلت الاسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرسه وقسم لحمها فى أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد من الذرة بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا ولا ينفق منها الا ما يمسك الرمق يقوى بها نفوس أصحابه ثم أجهدهم الحصار وبعث الحجاج الى أصحاب ابن الزبير بالامان فخرج اليه منهم نحو عشرة آلاف وافترق الناس عنه وكان ممن فارقه ابناه حمزة وخبيب وأقام ابنه الزبير حتى قتل معه وحرض الناس الحجاج وقال قد ترون قلة أصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق فتقدموا وملؤا ما بين الحجون والابواء فدخل ابن الزبير على أمه أسماء وقال يا أمه قد خذلنى الناس حتى ولدى والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت له أنت أعلم بنفسك ان كنت على حق وتدعو اليه فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فليس هذا فعل الاحرار ولا أهل الدين فقال يا أمه أخاف أن يمثلوا بى ويصلبونى فقالت يا بنى الشاة اذا ذبحت لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيى والذى خرجت به داعيا الى يومى هذا وما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة وما أخرجنى الا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتينى بصيرة وانى يا أمه فى يومى هذا مقتول فلا يشتد حزنك وسلمى لامر الله فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم ولم يكن آثر عندى من رضا الله تعالى اللهم لا أقر هذا تزكية لنفسى لكن تعزية لامى حتى تسلو عنى فقالت انى لارجو

أن يكون عزائي فيك جميلا ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك ثم قالت اخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيرا قال فلا تدعي الدعاء لي فدعت له وودعها وودعته ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبستها الا لاشد منك فقالت انه لا يشد مني فنزعها وقالت له البس ثيابك مشمرة ثم خرج فحمل على أهل الشأم حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وأشار عليه بعضهم بالفرار فقال بئس الشيخ اذن أنا في الاسلام اذا واقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم وامتلأت أبواب المسجد بأهل الشأم والحجاج وطارق بناحية الابطح الى المروة وابن الزبير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادي أبا صفوان لعبد الله ابن صفوان بن أمية بن خلف فيجيبه من جانب المعترك ولما رأى الحجاج احجام الناس عن ابن الزبير غضب وترجل وحمل الى صاحب الراية بين يديه فتقدم ابن الزبير اليهم وكشفهم عنه ورجع فصلى ركعتين عند المقام وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب بني شيبة وأخذوا الراية ثم قاتلهم وابن مطيع معه حتى قتل ويقال أصابته جراحة فمات منها بعد أيام ويقال انه قال لاصحابه يوم قتل يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء في الجرح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم وغضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عني ومن كان سائلا فاني في الرعيل الاول ثم حمل حتى بلغ الحجون فأصابته حجارة في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه ثم قاتل قتالا شديدا وقتل في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وحمل رأسه الى الحجاج فسجد وكبر أهل الشأم وثار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله ابن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى عبد الملك وصلب جثته منكسة على ثنية الحجون اليمنى وبعثت اليه أسماء في دفنه فأبى وكتب اليه عبد الملك يلومه على ذلك فخلى بينها وبينه ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة وسبق الحجاج الى عبد الملك فرحب به وأجلسه على سريره وجرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا ثم أخبره عروة ان الحجاج صلبه فاستوهب جثته لامه فقال نعم وكتب الى الحجاج ينكر عليه صلبه فبعث بجثته الى أمه وصلى عليه عروة ودفنه وماتت أمه بعده قريبا ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل الى مكة فبايعه أهلها لعبد الملك وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكانت من عمله فأقام بها شهرين وأساء الى أهلها وقال أنتم قتلة عثمان وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل

ابن سعد ثم عاد الى مكة ونقلت عنه فى ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها الى الله وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين وان عبد الملك عزل عنها طارقا واستعمله ثم هدم الحجاج بناء الكعبة الذى بناه ابن الزبير وأخرج الحجر منه وأعاده الى البناء الذى أقره عليه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصدق ابن الزبير فى الحديث الذى رواه عن عائشة فلما صح عنده بعد ذلك قال وددت انى تركته وما تحمل

(ولاية المهلب حرب الازارقة)

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة واستعمل مكانه أخاه بشر بن مروان وجمع له المصرين أمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة فيمن ينتخبه من أهل البصرة ويتركه ورأيه فى الحرب وأن يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة والتجربة فى جيش كثيف الى المهلب فيتبعوا الخوارج حتى يهلكوهم فأرسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر ان امرة المهلب جاءت من عند عبد الملك فغص به ودعا عبد الرحمن بن مخنف فأعلمه منزلته عنده وقال انى أوليك جيش الكوفة بحرب الازارقة فكن عند حسن ظنى بك ثم أخذ يغريه بالمهلب وأن لا يقبل رأيه ولا مشورته فأظهر له الوفاق وسار الى المهلب فنزلوا رامهرمز ولقى بها الخوارج فخندق عليه على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران ثم أتاهم نعى بشر بن مروان لعشر ليال من مقدمهم وانه استخلف على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد فافترق الناس من أهل المصرين الى بلادهم ونزلوا الاهواز وكتب اليهم خالد بن عبد الله يتهددهم ويحذرهم عقوبة عبد الملك ان لم يرجعوا الى المهلب فلم يلتفتوا اليه ومضوا الى الكوفة واستأذنوا عمر بن حريث فى الدخول ولم يأذن لهم فدخلوا وأضربوا عن اذنه

(ولاية أسد بن عبد الله على خراسان)

ولما ولى بكير بن وشاح على خراسان اختلف عليه بطون تميم وأقاموا فى العصبية له وعليه سنتين وخاف أهل خراسان أن تفسد البلاد ويقهرهم العدو فكتبوا الى عبد الملك بذلك وأنها لا تصلح الا على رجل من قريش واستشار أصحابه فقال له أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد تركيهم برجل منك فقال لولا انهزامك عن أبى فديك كنت لها فاعتذر وحلف ان الناس خذلوه ولم يجد مقاتلا فانحزت بالعصبة التى بقيت من المسلمين عن الهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذرى وقد علمه الناس فولاه خراسان (ولما) سمع بكير بن وشاح بمسيره بعث الى بحير بن ورقاء وهو فى حبسه كما مر فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل وصالح بكيرا وبعث اليه بكير بأربعين ألفا

على أن لا يقاتله فلما قارب أمية نيسابور سار اليه بحير وعرفه عن أمور خراسان وما يحسن به طاعة أهلها وحذره غدر بكير وجاء معه الى مرو فلم يعرض أمية لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى وقال لا أحمل الجزية اليوم وقد كانت تحمل الىّ بالامس وأراد أن يوليه بعض النواحى من خراسان فحذره بحير منه ثم ولى أمية ابنه عبد الله على سجستان فنزل بستا وغزا رتبيل الذى ملك على الترك بعد المقتول الاول وكان هائبا للمسلمين فراسلهم فى الصلح وبعث ألف ألف وبعث بهدايا ورقيق فأبى عبد الله من قبولها وطلب الزيادة فخلا رتبيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبد الله ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سأل منه الصلح وأن يخلى عينه عن المسلمين فشرط رتبيل عليه ثلثمائة ألف درهم والعهد بأن لا يغزو بلادهم فأعطاه ذلك وبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله

* (ولاية الحجاج العراق) *

ثم ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمسة وسبعين وأرسل اليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير الى العراق فسار على النجب فى اثنى عشر راكبا حتى قدم الكوفة فى شهر رمضان وقد كان بشر بعث المهلب الى الخوارج فدخل المسجد وصعد المنبر وقال علىّ بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهموا به حتى تناول عمير بن ضابى البرجمى الحصباء وأراد أن يحصبه فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة ذكرها الناس وأحسن من أوردها المبرد فى الكامل يتهدد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلف عن المهلب ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلب فقام اليه عمير ابن ضابى وقال أنا شيخ كبير عليل وابنى هذا أشد منى فقال هذا خير لنا منك قال ومن أنت قال عمير بن ضابى قال الذى غزا عثمان فى داره قال نعم فقال يا عدو الله الى عثمان بدلا قال انه حبس أبى وكان شيخا كبيرا فقال انى لا احب حياتك انّ فى قتلك صلاح المصرين وأمر به فقتل ونهب ماله وقيل انّ عنبسة بن سعيد بن العاص هو الذى أغرى به الحجاج حين دخل عليه ثم أمر الحجاج مناديه فنادى ألا انّ ابن ضابى تخلف بعد ثالثة من النداء فأمرنا بقتله وذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فتسايل الناس الى المهلب وهو برامهرمز وجاء العرفاء فأخذوا كتبه بموافاة العسكر ثم بعث الحجاج على البصرة الحكم بن أيوب الثقفى وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله وبلغه الخبر فقسم فى أهل البصرة ألف ألف وخرج عنها ويقال ان الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل قال الشعبى كان الرجل اذا أخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلىّ تنزع عمامته ويقام بين الناس فلما ولى مصعب أضاف اليه

حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر أضاف اليه تعليق الرجل بمسمارين فى يده فى حائط ويخرق المسماران يده وربما مات فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الثغر أو البعث القتل ثم ولى الحجاج على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية بن الحرث الكلابى العلاقى وأخوه فغلباه على البلاد وقتلاه فأرسل الحجاج مجاعة بن سعيد التميمى مكانه فغلب على الثغر وغزا وفتح فتوحات بمكران لسنة من ولايته

* (وقوع أهل البصرة بالحجاج) *

ثم خرج الحجاج من الكوفة واستخلف عليها عروة بن المغيرة بن شعبة وسار الى البصرة وقدمها وخطب كما خطب بالكوفة وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد فأتاه شريك ابن عمرو اليشكرى وكان به فتق فاعتذر به وبأن بشر بن مروان قبل عذره بذلك وأحضر عطاءه ليرد لبيت المال فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحمين الى المهلب ثم سار حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وأقام يشد ظهره وقال يا أهل المصرين هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج ثم قطع لهم الزيادة التى زادها مصعب فى الاعطية وكانت مائة مائة وقال لسنا نجيزها فقال عبد الله بن الجارود انما هى زيادة عبد الملك وقد أجازها أخوه بشر بأمره فانتهره الحجاج فقال انى لك ناصح وانه قول من ورائى فمكث الحجاج أشهرا لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل الرد الاول فقال له مصقلة بن كرب العبدى سمعا وطاعة للامير فيما أحببنا وكرهنا وليس لنا أن نرد عليه فانتهره ابن الجارود وشتمه وأتى الوجوه الى عبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعى وقالوا ان هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة وانا نبايعك على اخراجه من العراق ونكتب الى عبد الملك أن يولى علينا غيره والا خلعناه وهو يخافنا ما دامت الخوارج فى العراق فبايعوه سرا وتعاهدوا وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط وجد ثم خرجوا فى ربيع سنة ستة وسبعين وركب عبد الله بن الجارود فى عبد قيس على راياتهم ولم يبق مع الحجاج الا خاصته وأهل بيته وبعث الحجاج يستدعيه فأفحش فى القول لرسوله وصرح بخلع الحجاج فقال له الرسول تهلك قومك وعشيرتك وأبلغه تهديد الحجاج اياه فضرب وأخرج وقال لولا انك رسول لقتلتك ثم زحف ابن الجارود فى الناس حتى غشى فسطاطه فنهبوا ما فيه من المتاع وأخذوا أزواجه وانصرفوا عنها وكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه وقال الغضبان بن أبى القبعثرى الشيبانى لابن الجارود لا ترجع عنه وحرضه على معالجته فقال الى الغداة وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد ابن عمرو العتكى صاحب الشرطة بالبصرة فاستشارهما فأشار زياد بأن يستأمن القوم

و يلحق بأمير المؤمنين وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت وقال لا تخرج الى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقاك الى ما رقاك وفعلت ما فعلت بابن الزبير والحجاز فقبل رأى عثمان وحقد على زياد فى اشارته وجاءه عامر بن مسمع يقول قد أخذت لك الامان من الناس فجعل الحجاج يغالطه رافعا صوته عليه ليسمع الناس و يقول والله لا آمنهم حتى تؤتونى بالهذيل بن عمران وعبد الله بن حكيم ثم أرسل لى عبيد بن كعب النمرى ان ائتنى فامنعنى فقال له ان أتيتنى منعتك فأبى وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد وعبد الله بن حكيم بمثل ذلك وأجابوه مثله ثم ان عباد الحصين الحبطى مر بابن الجارود والهذيل وعبد الله بن حكيم يتناجون فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار الى الحجاج وجاءه قتيبة بن مسلم فى بنى أعصر للعصبية القيسية ثم جاءه سبرة بن على الكلابى وسعيد بن أسلم الكلابى وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدى فثابت اليه نفسه وعلم أنه قد امتنع وأرسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت عنك فأجابه أن أقم فلما أصبح اذا حوله ستة آلاف وقال ابن الجارود لعبد الله ابن زياد بن ضبيان ما الرأى قال تركته أمس ولم يبق الا الصبر ثم تراجعوا وعبى ابن الجارود وأصحابه على ميمنته الهذيل وعلى ميسرته سعيد بن أسلم وحمل ابن الجارود حتى حاصر أصحاب الحجاج وعطف الحجاج عليه فقارب ابن الجارود ان يظفر ثم أصابه سهم غرب فوقع ميتا ونادى منادى الحجاج بأمان الناس الا الهذيل وابن حكيم وأمر أن لا يتبع المنهزمون ولحق ابن ضبيان بعمان فهلك هنالك وبعث الحجاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه الى الملك ونصبت ليراها الخوارج فيتأسوا من الاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير لامتناعهما من الاتيان اليه وحبس ابن القبعثرى لتحريضه عليه فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبد الله بن أنس بن مالك فقال الحجاج لا أرى أنسا يعين على ودخل البصرة وأخذ ماله وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش فى كلمة فى شتمه وكتب أنس الى عبد الملك يشكوه فكتب عبد الملك الى الحجاج يشتمه ويغلظ عليه فى التهديد على ما فعل بأنس وأن يجيء الى منزله ويتنصل اليه والا بعثت من يضرب ظهرك ويهتك سترك قالوا وجعل الحجاج فى قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عرقا ثم جاء الى أنس بن مالك واعتذر اليه وفى عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير وأفسدوا الثمار والزروع ثم جمع لهم خالد بن عبد الله فافترقوا قبل أن ينال منهم وقتل بعضهم وصلبه فلما كانت هذه الواقعة قدموا عليهم رجلا منهم اسمه رياح ويلقب بشيرزنجى أى أسد الزنج وأفسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد

بن عمر صاحب الشرطة أن يبعث اليهم من يقاتلهم وبعث ابنه حفصا في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشا فهزم الزنج وأبادهم

(مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج)

كان المهلب وعبد الرحمن بن مخنف واقفين للخوارج برامهرمز فلما أمدهم الحجاج بالعساكر من الكوفة والبصرة تأخر الخوارج من رامهرمز الى كازرون وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا سيوفنا فبيتهم الخوارج وأصابوا الغرة في ابن مخنف فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا هكذا حديث أهل البصرة وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا الخوارج اشتد القتال بينهم ومال الخوارج على المهلب فاضطروه الى معسكره وأمده عبد الرحمن بالخيل والرجال ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المهلب وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه وصبر في سبعين من قومه فثابوا الى عتاب بن ورقاء وقد أمره الحجاج أن يسمع للمهلب فثقل ذلك عليه فلم يحسن بينهما العشرة وكان يتراءف في الكلام وربما أغلظ له المهلب فأرسل عتاب الى الحجاج يسأله القعود وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه فصادف منه ذلك موقعا واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب فولى المهلب عليهم ابنه حبيبا وأقام يقاتلهم بنيسابور نحوا من سنة وتحركت الخوارج على الحجاج من لدن سنة ستة وسبعين الى سنة ثمان وشغل بحربهم وأول من خرج منهم صالح بن سرح من بني تميم بعث اليه العساكر فقتل فولوا عليهم شبيبا واتبعه كثير من بني شيبان وبعث اليهم الحجاج العساكر مع الحرث بن عميرة ثم مع سفيان الخثعمي ثم الجحدر ابن سعيد فهزموها وأقبل شبيب الى الكوفة فحاربهم الحجاج وامتنع ثم سرح عليه العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فهزموهم ثم بعث عتاب ابن ورقاء وزهرة ابن حوية مددا لهم فانهزموا وقتل عتاب وزهرة ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم وقتل منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم

(ضرب السكة الاسلامية)

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه الى الروم قل هو الله أحد وذكر النبي مع التاريخ فنكر ذلك ملك الروم وقال اتركوه والا ذكرنا نبيكم في دنانيرنا بما تكرهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنانيرهم ففعل ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لانه قد يمسها غير الطاهر ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك عليه ثم زاد خالد القسري عليهم في ذلك أيام هشام ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة

وامتحان العيار وضرب عليه فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية ثم أمر المنصور أن لا يقبل فى الخراج غيرها وسميت النقود الاولى مكروهة امّا لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجاج وكرهه وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطا واثنى عشر وعشرة قراريط وهى انصاف المثاقيل فجمعوا قراريط الانصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين فجعلوا ثلثها وهو اثناعشر قيراطا وزن الدرهم العربى فكانت كل عشرة دراهم تزن سبعة مثاقيل وقيل انّ مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله والاصح أنّ عبد الملك أوّل من ضرب السكة فى الاسلام

(مقتل بكير بن وشاح بخراسان)

قد تقدّم لنا عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد سنة أربع وسبعين وأنّ بكيرا أقام فى سلطان أمية بخراسان وكان يكرمه ويدعوه لولاية ماشاء من أعمال خراسان فلا يجيب وانه ولاه طخارستان وتجهز لها فيه بحير بن ورقاء فمنعه ثم أمره بالتجهز لغزو ما وراء النهر فحذره منه بحير فردّه فغضب بكير ثم تجهز أمية لغزو غازيا وموسى ابن عبد الله بن خازم لترمذ واستخلف ابنه على خراسان لما أراد قطع النهر قال لبكير ارجع الى مرو فاكفنيها فقد وليتكها وقم بأمر ابن خازم فانى أخشى أن لا يضبطها فانتخب من وثق به من أصحابه ورجع وأشار عليه صاحبه عتاب بأن يحرق السفن ويرجع الى مرو فيخلع أمية ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبرى على ذلك فقال لهم بكير اخشى على من معى قالوا نأتيك من أهل مرو بمن تشاء قال يهلك المسلمون قال ناد فى الناس برفع الخراج فيكونون معك قال فيهلك أمية وأصحابه قال لهم عدد وعدد يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع الى مرو فخلع أمية وحبس ابنه وبلغ الخبر أمية فصالح أهل الشام بخارى ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر وجاءه موسى بن عبد الله بن خازم من   مددواله وبعث شماس ابن ورقاء فى ثمانمائة فى مقدمته فبيته بكير وهزمه فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه ثم التقى أمية وبكير فاقتتلوا أياما ثم انهزم بكير الى مرو وحاصره أمية أياما حتى سأل الصلح على ولاية ماشاء من خراسان وأن يقضى عنه أربعمائة ألف دينه ويصل أصحابه ولا يقبل فيه سعاية بحير فتمّ الصلح ودخل أمية مدينة مرو وأعاد بكيرا الى ما كان عليه من الكرامة وأعطى عتاب العدانى عشرين ألفا وعزل بحيرا عن شرطته بعطاء بن أبى السائب وقيل انّ بكيرا لم يصحب أمية الى النهر وانما استخلفه على مرو فلما عبر أمية النهر خلع وفعل ما فعل ثم انّ بحيرا سعى بأمية بأنّ بكيرا دعاه الى الخلاف وشهد عليه جماعة

من أصحابه وأن معه ابنى أخيه فقبض عليه أمية وقتله وقتل معه ابنى أخيه وذلك سنة سبع وسبعين ثم عبر النهر لغزو بلخ فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأشرفوا على الهلاك ثم نجوا ورجعوا الى مرو

(مقتل بجير بن زياد)

ولما قتل بكير بسعاية بجير بن ورقاء تعاقد بنو سعد بن عوف من تميم وهم عشيرته على الطلب بدمه وخرج فتى منهم من البادية اسمه شمردل وقدم خراسان ووقف يوما على بجير فطعنه فصرعه ولم يمت وقتل شمردل وجاء مكانه صعصعة بن حرب العوفى ومضى الى سجستان وجاور قرابة بجير مدة وانتسب الى خنفية ثم قال لهم ان لى بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بجير يعيننى فكتبوا له وجاء اليه وأخبره بنسبه وميراثه وأقام عنده شهرا يحضر باب المهلب وقد أنس به وأمن غائلته وجاء صعصعة يوما وهو عند المهلب فى قميص ورداء ودنا ليكلمه فطعنه ومات من الغد وقال صعصعة ننعته مقاعس وقالوا أخذ بثاره فحمل المهلب دم صعصعة وجعل دم بجير ببكير وقيل ان المهلب بعثه الى بجير فقتله والله أعلم وكان ذلك سنة احدى وثمانين

(ولاية الحجاج على خراسان وسجستان)

وفى سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمهما الى الحجاج بن يوسف فبعث المهلب بن أبى صفرة على خراسان وقد كان فرغ من حرب الازارقة فاستدعاه وأجلسه معه على السرير وأحسن الى أهل البلاد من أصحابه وزادهم وبعث عبيد الله بن أبى بكرة على سجستان فأما المهلب فقدم ابنه حبيبا الى خراسان فلم يعرض لامية ولا لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولايته وسار فى خمسة آلاف وقطع النهر الغربى وما وراء النهر وعلى مقدمته أبو الادهم الزمانى فى ثلاثة آلاف فنزل على كش وجاء ابن عم الختن يستنجده على ابن عمه فبعث معه ابنه يزيد فبيت ابن العم عساكر الختن وقتل الملك وحاصر يزيد قلعتهم حتى صالحوا بما رضى ورجع وبعث المهلب ابنه حبيبا فى أربعة آلاف فوافى صاحب بخارى فى أربعين ألفا وكبس بعض جنده فى قرية فقتلهم وأحرقها ورجع الى أبيه وأقام المهلب يحاصر كش سنتين حتى صالحوه على فدية وأما عبد الله بن أبى بكرة فأقام بسجستان ورتبيل على صلحه يؤدى الخراج ثم امتنع فأمر الحجاج ابن أبى بكرة فغزوه واستباحوا بلاده فسار فى أهل المصرين وعلى أهل الكوفة شريح بن هانئ من أصحاب على فدخل بلاد رتبيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخا من مدينتهم وأثخن واستباح وخرب القرى والحصون ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهلكة

فصالحهم عبيد الله على الخروج من أرضهم على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم ونكر ذلك عليه شريح وأبى الا القتال وحرض الناس ورجع وقتل حتى قتل فى ناس من أصحابه ونجا الباقون وخرجوا من بلاد رتبيل ولقيهم الناس بالاطعمة فكانوا يموتون اذا شبعوا فجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وكتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى غزو بلاد رتبيل فأذن له فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفا من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة وأزاح عللهم وأنفق فيهم ألفى ألف سوى أعطياتهم وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان يبغضه ويقول أريد قتله ويخبر الشعبى بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أزيله عن سلطانه فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه اسمعيل للحجاج وقال لا تبعثه فانى أخشى خلافه فقال هو أهيب لى من أن يخالف أمرى وسار عبد الرحمن فى الجيش وقدم سجستان واستنفرهم وحذر العقوبة لمن يتعدى وساروا جميعا الى بلاد رتبيل وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيأ فشيأ وبعث عماله عليها ورتب المسالح بالنواحى والارصاد على العقاب والشعاب وامتلأت أيدى الناس من الغنائم ومنع من التوغل فى البلاد الى قابل وقد قيل فى بعث عبد الرحمن بن الاشعث غير هذا وهو أن الحجاج كان قد أنزل هميان بن عدى السدى مسلحة بكرمان ان احتاج اليه عامل السند وسجستان فعصى هميان فبعث الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث فهزمه وقام بموضعه ثم مات عبد الله بن أبى بكرة فولاه الحجاج مكانه وجهز اليه هذا الجيش وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم

* (أخبار ابن الاشعث ومقتله) *

ولما وصل كتاب ابن الاشعث الى الحجاج كتب اليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضى لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانيا وثالثا وقال له ان مضيت والا فأخوك اسحق أمير الناس فجمع عبد الرحمن الناس ورد الرأى عليهم وقال قد كنا عزمنا جميعا على ترك التوغل فى بلد العدو ورأينا رأيا وكتبت بذلك الى الحجاج وهذا كتابه يستعجزنى ويستضعفنى ويأمرنى بالتوغل بكم وأنا رجل منكم فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا وقال عبد المؤمن بن شيث بن ربعى انصرفوا الى عدو الله الحجاج فانفوه عن بلادكم ووثب الناس الى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر

فلا خراج على رتبيل ما بقي من الدهر وان هزم منعه فن يريده وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني وعلى روبج عبد الله بن عامر التميمي وعلى كرمان حرثة ابن عمرو التميمي ثم سار الى العراق في جموعه وأعشى همدان بين يديه يجري بمدحه وذم الحجاج وعلى مقدمته عطية بن عمير العنبري ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا اذا خلعنا الحجاج فقد خلعناه فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلين وخلعهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ويستمده وكتب المهلب الى الحجاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا الى أهليهم فنكر كتابه واتهمه وجند عبد الملك الجند الى الحجاج فساروا اليه متتابعين وسار الحجاج من البصرة فنزل تستر وبعث مقدمة خيل فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد وقتل منهم جمعا كثيرا وذلك في أضحى احدى وثمانين وأجفل الحجاج الى البصرة ثم تأخر عنها الى الغاوية وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها لان الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج وأمر من دخل الامصار أن يرجع الى القرى يستوفي الجزية فنكر ذلك الناس وجعل القرى يبكون منه فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة اثنتين وثمانين وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة وانهزم منهم خلق كثير وفشا القتل في القرى فقتل منهم عقبة بن عبد الغفر الازدي في جماعة استلحموا معه وقتل الحجاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف وكان هذا اليوم يسمى يوم الراوية واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبايعوه فقاتلهم الحجاج خمس ليال ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة ربيعة طائفة من أهل البصرة ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي وثب به مطر بن ناجية من بني تميم مع أهل الكوفة فاستولى على القصر وأخرجه فلما وصل ابن الاشعث لقيه أهل الكوفة واحتف به همدان وجاء الى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه بحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة ثم ان الحجاج استعمل على البصرة الحكم بن أيوب الثقفي ورجع الى الكوفة فنزل دير قرة ونزل عبد الرحمن دير الجماجم واجتمع الى كل واحد أمداده وخندق على نفسه وبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمدا في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ويجري عليهم اعطياتهم كأهل الشام وينزل عبد الرحمن الى أي بلد شاء عاملا لعبد الملك فوجم الحجاج لذلك وكتب الى عبد الملك ان هذا ممن يزيدهم جراءة وذكره بقضية عثمان

وسعيد بن العاص فأبى عبد الملك من رأيه وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك وتشاور أهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك وأن العزة لهم على عبد الملك لا تزول فتواثبوا من كل جانب منكرين لذلك ومجددين الخلع وتقدمهم في ذلك عبد الله بن دواب السلمي وعمير بن تيحان ثم برزوا للقتال وجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى الخيل سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى الرجالة عبد الله بن حبيب الحكمي وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزم الحرشي وعلى القرى جبلة زخر بن قيس الجعفي وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبي وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقص فعبى الحجاج ثلاث كتائب مع الجراح بن عبد الله الحكمي وحملوا على القرى ثلاث حملات وجبلة يحرض القرى ويثبتهم والشعبي وسعيد بن جبير كذلك ثم حملوا على الكتائب ففرقوها وأزالوها عن مكانها وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون اليه وأبصره الوليد بن نجيب الكلبي فقصده في جماعة من أهل الشأم وقتله وجيء برأسه الى الحجاج وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر فيها القتلى والمبارزة ثم اقتتلوا يوما في منتصف جمادى الآخرة وحمل سفيان ابن الابرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال فتقوضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجاج ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه ومضى الحجاج الى الكوفة ومحمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشأم وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر وقتل من أبى ذلك ودعا بكميل ابن زياد صاحب علي فقتله لاقتصاصه ثم أقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشأم في بيوت أهل الكوفة ولحق ابن الاشعث بالبصرة فاجتمع اليه جموع المنهزمين ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ولحق به محمد بن سعيد بن أبي وقاص بالمدائن وسار نحو الحجاج ومعه بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري وكان انتقض بها ثم غلب عليها ولحق بعبد الرحمن فكان معه وبايع عبد الرحمن خلق كثير على الموت ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه والحجاج قبالتهم وقاتلهم خالد بن جرير بن عبد الله وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة فقاتلهم خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال وقتل زياد بن غنيم القيني وكان على مسالح الحجاج فهد منهم

ثم أبا بكر والقتال وحمل بسطام بن مصقلة بن هبيرة فى أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة كسروا جفون سيوفهم وحملوا على أهل الشأم فكشفوهم مرارا وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه وأبو البخترى الطائى ومعلى بن الاشعث نحو سجستان ويقال ان بعض الاعراب جاء الى الحجاج فدله على طريق من وراء معسكر ابن الاشعث فبعث معه أربعة آلاف جاؤا من ورائه وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره وأقبلت السرية من الليل الى معسكر ابن الاشعث وكان الغرق منهم أكثر من القتلى وجاء الحجاج الى المعسكر فقتل من وجد فيه وكان عدة القتلى أربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهادى وبسطام بن مصقلة وعمر بن ربيعة الرقاشى وبشر بن المنذر ابن الجارود وغيرهم (ولما سار) ابن الاشعث الى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر وعليهم عمارة بن تميم اللخمى ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه وانهزم الى سابور واجتمع اليه الاكراد وقاتلوا العساكر قتالا شديدا فهزم وخرج عمارة ولحق ابن الاشعث بكرمان فلقيه عامله بها وهيأ له النزول فنزل ثم رحل الى زرنج فمنعه عامله من الدخول فحاصرها أياما ثم سار الى بست وعليها من قبله عياض بن هميان ابن هشام السدوسى الشيبانى ثم استغفله فأوثقه وكان رتبيل ملك الترك قد سار ليستقبله ونزل على بست وتهدد عياضا فأطلقه وحمل رتبيل الى بلاده وأنزله عنده واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان ليمنعوا بعشائرهم وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث وكتبوا الى عبد الرحمن بن الاشعث يستقدمونه فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلب وأن يجتمع أهل الشأم وأهل خراسان فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا فسار معهم الى هراة فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فخشى الانتقاض وقال انما أتيتكم وأمركم جميعا وأنا الآن منصرف الى صاحبى الذى جئت من عنده يعنى رتبيل ورجع عنهم فى قليل وبقى معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان فجمع بابن الاشعث وسار الى خراسان فى عشرين ألفا ونزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه وبعث اليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد فقال انما نزلنا لنستريح ونرتحل ثم أخذ فى الجباية وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم ما فى عسكرهم وأسر جماعة منهم فيهم محمد بن سعد ابن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف والهلقام

ابن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز وأبو العلج مولى عبيد الله بن معمر وسوار ابن مروان وعبد الله بن طلحة الطلحات وعبد الله بن فضالة الزهراني الازدي ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة الى مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث بالاسرى الى الحجاج مع سبرة بن نجدة وقال له أخوه حبيب ألا تبعث عبد الرحمن بن طلحة فان له عندنا يدين وقد ودى عن المهلب أبوه طلحة مائة ألف فتركه وترك عبد الله بن فضالة لانه من الازد وبعث الباقين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بنائها فدعا بفيروز وقال ما أخرجك مع هؤلاء وليس بينك وبينهم نسب قال فتنة عمت الناس قال اكتب اموالك فكتب ألفي ألف وأكثر فقال للحجاج وأنا آمن على دمي قال لا والله لتؤدينها ثم أقتلك قال لا تجمع مالي ودمي وأمر به فنحي ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص فوبخه طويلا ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولاطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل ثم أحضر الهلقام بن نعيم فوبخه وقال ابن الاشعث طلب الملك فما الذي طلبت أنت قال أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل ثم أحضر عبد الله ابن عامر فعذله في عبد الله يزيد بن المهلب لانه أطلق قومه من الاسر وقاد نحوه مضرا فأطرق الحجاج ثم قال ما أنت وذاك ثم أمر به فقتل فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله ثم أمر بفيروز فعذب ولما أحس بالموت قال أظهروني للناس ليردوا علي ودائعي فلما ظهر نادى من كان لي عنده شيء فهو في حل فأمر به فقتل وأمر بقتل عمر بن فهر الكندي وكان شريفا وأحضر أعشى همدان واستنشده قصيدته بين الاشج و بين قيس وفيها تحريض ابن الاشعث وأصحابه فقال ليست هذه وانما التي بين الاشج و بين قيس بارق على روي الدال فأنشده فلما بلغ قوله بخ بخ للوالدة وللمولود قال والله لا تبخبخ بعدها أبدا وقتل (وسأل الحجاج) عن الشعبي فقال له يزيد بن أبي مسلم انه لحق بالري فكتب الى قتيبة بن مسلم وهو عامله على الري بارسال الشعبي فقدم على الحجاج سنة ثلاث وثمانين وكان ابن أبي مسلم له صديقا فأشار عليه بحسن الاعتذار فلما دخل على الحجاج سلم عليه بالامرة وقال وايم الله لا أقول الا الحق قد والله حرضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فجرة ولا أتقياء بررة وقد نصرك الله وظفرت فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج هذا والله أحب الي ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا ثم أمنه وانصرف (ولما ظفر الحجاج) بابن الاشعث وهزمه لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجماجم فأشاروا على عمر بخلع الحجاج فامتنع فدسوا عليه أباه فأجاب ولما سار قتيبة الى الري خرجوا مع عمر لقتاله

م غدروا به فانهزم ولحق بطبرستان وأقرّه الاصبهبذ وأحسن اليه وأرادوا الوثوب
على الاصبهبذ فشاور أباه وقال قد علمت الاعاجم أني أشرف منه فمنعه أبوه ودخل قتيبة
الري وكتب الحجاج الى الاصبهبذ ان يبعث بهم أو برؤسهم ففعل ذلك (ولما انصرف)
عبد الرحمن بن الاشعث من هراة الى رتبيل قال له علقمة بن عمرو الاودي لا ادخل معك
دار الحرب لانّ رتبيل ان دخل اليه الحجاج فيك وفي أصحابك قتلكم أو اسلمكم اليه ونحن
خمسمائة قد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراما وقدم عليهم مودود
البصري وزحف اليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا اليه وفا لهم
وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه وكان عبيد بن سميع
التميمي من أصحاب ابن الاشعث وكان رسوله الى رتبيل أولا فانس به رتبيل
وزحف عليه وأغرى القاسم بن الاشعث أخاه عبد الرحمن بقتله فخافه وزين لرتبيل
أخذ العهد من الحجاج واسلام عبد الرحمن اليه على أن يكف عن أرضه سبع سنين
فأجابه رتبيل وخرج الى عمارة سرّا وكتب عمارة الى الحجاج بذلك فأجاب وكتب له
بالكف عنه عشر سنين وبعث اليه رتبيل برأس عبد الرحمن وقيل مات بالسل فقطع
رأسه وبعث به وقيل أرسله مقيدا مع ثلاثين من أهل بيته الى عمارة فألقى عبد الرحمن
نفسه من سطح القصر فمات فبعث عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين

قد كنا قدمنا حصار المهلب مدينة كش من وراء النهر فأقام عليها سنتين وكان استخلف
على خراسان ابنه المغيرة فمات سنة اثنتين وثمانين فجزع عليه وبعث ابنه يزيد الى مرو
ومكنه في سبعين فارسا ولقيهم في مفازة نسف جمع من الترك يقاربون الخمسمائة
فقاتلوهم قتالا شديدا يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض أصحابه
لبعضهم شيأ من المتاع والسلاح ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو ثم سأل أهل كش
من المهلب الصلح على مال يعطونه فاسترهن منهم رهنا من أبنائهم في ذلك وانفتل
المهلب وخلف حريث بن قطنة مولى خزاعة ليأخذ الفدية ويردّ الرهن فلما صار
ببلخ كتب اليه لا تخل الرهن وان قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لئلا
يغيروا عليك فأقرأ صاحب كش كتابه وقال ان عجلت أعطيتك الرهن وأقول له
جاء الكتاب بعد اعطائه فعجل صاحب كش بالفدية وأخذ الرهن وعرض له الترك
كما عرضوا اليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ففدوهم فردا فردا وأطلقهم ولما
وصل الى المهلب ضربه ثلاثين سوطا عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن فحلف حريث
ابن قطنة ليقتلنّ المهلب وخاف ثابتا أن كان ذلك المسير اليه فبعث اليه المهلب أخاه

ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحالف لبقتال المهلب وخاف ثابت ان كان ذلك أن يقتلوا جميعا فأشار عليه باللحاق بموسى بن عبد الله بن خازم فلحق به فى ثلثمائة من أصحابهما (ثم هلك المهلب) واستخلف ابنه يزيد وأوصى ابنه حبيبا بالصلاة وأوصى ولده جميعا بالاجتماع والالفة ثم قال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والذلة والقلة وعليكم بالطاعة والجماعة ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينعش ويزل لسانه فيهلك واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده وعليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء وان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين واياكم وكثرة الكلام فى مجالسكم ثم مات وذلك سنة اثنتين وثمانين (ويقال) انه لما حثهم على الالفة والاجتماع أحضر سهاما محزومة فقال أتكسرون هذه مجتمعة قالوا لا قالوا فتكسرونها مفترقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة واستولى يزيد على خراسان بعد أبيه وكتب له الحجاج بالعهد عليها ثم وضع العيون على نيزك حتى بلغه خروجه عن قلعته فسار اليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وكان نيزك اذا أشرف عليها يسجد لها ولما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان كاتبه يعمر العدوانى حليف هذيل فكتب انا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال ومهامه الاودية وأهضام الغيطان وأفناء الانهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد قيل يحيى بن يعمر فكتب بحمله على البريد فلما جاءه قال أين ولدت قال بالاهواز قال فمن أين هذه الفصاحة قال حفظت من أولاد أبى وكان فصيحا قال يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فأنا قال تلحن خفيفا تجعل أن موضع إن وإن موضع أن قال أجلتك ثلاثا وان وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

* (بناء الحجاج مدينة واسط) *

كان الحجاج ينزل أهل الشأم على أهل الكوفة فضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان سنة ثلاث وثمانين وعسكروا قريبا من الكوفة حتى يستتموا ورجع منهم ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمه فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له الا بعد هنيهة

واذا سكران من أهل الشأم فشكت اليه ابنة عمه مراودته اياها فقال لها ائذني له فأذنت له وجاء فقتله الفتى وخرج الى العسكر وقال ابعثي الى الشاميين وارفعي اليهم صاحبهم فأحضروها عند الحجاج فأخبرته فقال صدقت وقال للشاميين لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد وبعث الرواد فارتادوا له مكان واسط ووجد هنالك راهبا ينظف بقعته من النجاسات فقال ما هذه قال نجد في كتبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة فاختط الحجاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد في تلك البقعة

(عزل يزيد عن خراسان)

يقال ان الحجاج وفد الى عبد الملك ومر في طريقه براهب قيل له ان عنده علما من الحدثان فقال هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه قال نعم فقال مسمى أو موصوفا قال موصوفا قال فما تجدون صفة ملكنا قال صفته كذا قال ثم من قال آخر اسمه الوليد قال ثم من قال آخر اسمه ثقفي قال فمن تجد بعدي قال رجل يدعى يزيد قال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته الا أنه يغدر غدرة فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ووجل منه وقدم على عبد الملك ثم عاد الى خراسان وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وأنهم زبيرية فكتب اليه ان وفاءهم لآل الزبير يدعوهم الى الوفاء لي فكتب اليه الحجاج يخوفه غدرهم وما يقول الراهب فكتب اليه عبد الملك انك أكثرت في يزيد فانظر من تولى مكانه فسمى له قتيبة بن مسلم فكتب له أن يوليه وكره الحجاج أن يكاتبه بالعزل فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل واستشار يزيد حصين بن المنذر الرقاشي فقال له أقم واعتل وكاتب عبد الملك فانه حسن الرأي فيك نحن أهل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره الخلاف وأخذ يتجهز وأبطأ فكتب الحجاج الى المفضل بولاية خراسان واستلحاق يزيد فقال انه لا يضرك بعدي وانما ولاك مخافة أن امتنع وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين ثم عزل المفضل لتسعة أشهر من ولايته وولى قتيبة بن مسلم وقيل سبب عزل اليزيد أن الحجاج أذل العراق كلهم الا آل المهلب وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالعدا والحروب وقيل كتب اليه أن يغزو خوارزم فاعتذر اليه بأنها قليلة السلب شديدة الكلف ثم استقدمه بعد ذلك فقال اني أغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فغزاها وأصاب سبيا وصالحه أهلها وانفتل في الشتاء وأصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الاسرى فبقوا عرايا وقتلهم المفضل ولما ولي المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أصابه

(مقتل موسى بن حازم)

كان عبد الله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان وافترقوا عليه فخرج الى نيسابور وخاف بنو تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى اقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك أو الى حصن تقيم فيه فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارسا واجتمع اليه شبه الاربعمائة وقوم من بني سليم وأتى قم فقاتله أهلها فظفر بهم وأصاب منهم مالا وقطع النهر وسأل صاحب بخارى أن يأوي اليه فأبى وخافه وبعث اليه بصلة فسار عنه وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه وأتى سمرقند فأذن له ملكها طرخون ملك الصغد في المقام فأقام وبلغه قتل أبيه عبد الله بن حازم ولم يزل مقيما بسمرقند وبارز بعض أصحابه يوما بعض الصغد فقتله فأخرجه طرخون عنه فأتى كش فنزلها ولم يطق صاحبها مدافعته واستجاش عليه بطرخون فخرج موسى للقائه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فاقتتلوا الى الليل ودس موسى بعض أصحابه الى طرخون يخوفه عاقبة أمره وان كل من يأتي خراسان يطالبه بدمه فقال يرتحل عن كش قال له نعم وكف حتى ارتحل وأتى ترمذ فنزل الى جانب حصن بها مشرف على النهر وأبى ملك ترمذ من تمليكه الحصن فأقام هنالك ولاطف الملك وتودد له وصار يتصيد معه وصنع له الملك يوما طعاما وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا فلما طعموا امتنعوا من الذهاب وقال موسى هذا الحصن اما بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة واستولى على الحصن وأخرج ملك ترمذ ولم يتعرض له ولا لاصحابه ولحق به جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم وكان يغير على ما حوله ولما ولي أمية خراسان سار لغزوه وخالفه بكير كما تقدم ثم بعث اليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خزاعة وحاصروه وعاود ملك ترمذ استنصاره بالترك في جمع كثير ونزلوا عليه من جانب آخر وكان يقاتل العرب أول النهار والترك آخره ثلاثة أشهر ثم بيت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ولم يهلك من أصحابه الا ستة عشر رجلا وأصبح الخزاعي والعرب وقد خافوا مثلها وغدا عمر بن خالد بن حصين الكلابي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال انا لا نظفر الا بمكيدة فاضربني وخلني فضربه خمسين سوطا فلحق بالخزاعي وقال ان ابن حازم اتهمني بعصبيتكم وأني عين لكم فأمنه الخزاعي وأقام عنده ودخل عليه يوما وهو خال فقال له لا ينبغي أن تكون بغير سلاح فرفع طرف فراشه وأراه سيفا منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى وتفرق الجيش واستأمن بعضهم موسى ولما ولي المهلب على خراسان قال لبنيه اياكم وموسى فانه ان مات جاء على خراسان أمير من قيس ثم لحق به حريث وثابت ابنا قطنة الخزاعي فكانا معه ولما ولي يزيد أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما للام الحرث بن معقد فسار ثابت الى

طرخون صريخا وكان محببا الى الترك فغضب له طرخون وجمع له نيزك وملك الصغد وأهل بخاري والصاغان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع عليه فل عبد الرحمن ابن عباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق ومن كابل فكان معه نحو ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر بنا في هذا العسكر مع الترك فنخرج يزيد من خراسان ونوليك فحذر موسى أن يغلباه على خراسان ونصحه بعض أصحابه في ذلك فقال لهما ان أخرجنا يزيد قدم عامل المدينة عبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر ويكون لنا فأخرجوهم وانصرف طرخون والترك وقوى أمر العرب بترمذ وجبوا الاموال واستبد ثابت وحريث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهم بقتلهما واذا بجموع العجم قد خرجت اليهم من الهياطلة والتبت والترك فخرج موسى فيمن معه للقتال ووقف ملك الترك على تل في عشرة آلاف فحمل عليهم حريث ابن قطنة حتى أزالهم عن موضعهم وأصيب بسهم في وجهه وتحاجزوا ثم بيتهم موسى فانهزموا وقتل من الترك خلق كثير ومات منهم قليل ومات حريث بعد يومين ورجع موسى بالظفر والغنيمة وقال له أصحابه قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى وبلغ ثابتا بعض ما كانوا يخوضون فيه ودس محمد بن عبد الله الخزاعي عليهم على أنه من سبي الباميان ولا يحسن العربية فاتصل بموسى وكان ينقل الى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة قد أكثرتم علي فعلى أي وجه تقتلونه ولا أغدر به فقال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل اليك فقال والله انه لهلاككم وجاء الغلام الى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارسا وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عينا ونزل ثابت بحشور واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم وسار اليه موسى وقاتله فحصر ثابتا بالمدينة وأتاه طرخون مددا فرجع موسى الى ترمذ ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش في ثمانين ألفا فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه وقال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أو أموت فاستأمن اليه وحذره بعض أصحابه منه فأخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا وأقام يزيد يتلمس غرة ثابت ومات ابن الزياد والقصير الخزاعي فخرج اليه ثابت يعزيه وهو بغير سلاح فضربه يزيد على رأسه وهرب وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلهما وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير وضعف أمرهم وبيتهم موسى ليلا في ثلثمائة فبعث اليه طرخون كف أصحابك فانا نرحل الغداة فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعا ولما ولي المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش الى موسى بن خازم وكتب الى مدرك بن المهلب في بلخ بالمسير معه فعبر النهر

فى خمسة عشر ألفا وكتب الى رتبيل والى طرخون أن يكونوا مع عثمان فحاصروا موسى بن خازم فضيقوا عليه شهرين وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر ابن أخيه سليمان فى المدينة وقال له ان أنا قتلت فلك المدينة لمدرك بن المهلب دون عثمان وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان قاتلكم وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن فقاتلهم فعقروا فرسه وأردفه مولى له فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصده وعقروا به الفرس وقتلوه وقتل خلق كثير من العرب وتولى قتل موسى واصل العنبرى ونادى منادى عثمان بكف القتل وبالاسر وبعث النضر بن سليمان الى مدرك بن المهلب فسلم اليه مدينة ترمذ وسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فلم يسره لانه من قيس وكان قتل موسى (١) سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على ترمذ .

(البيعة للوليد بالعهد)

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد وكان قبيصة ينهاه عن ذلك ويقول لعل الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك وجاءه روح بن زنباع (٢) ليلة وكان عنده عظيما ففاوضه فى ذلك فقال لو فعلته ما انتطح فيه عنزان فقال نصلح ان شاء الله وأقام روح عنده ودخل عليهما قبيصة بن ذؤيب من جنح الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه واليه الخاتم والسكة فأخبره بموت عبد العزيز أخيه فقال روح كفانا الله ما تريد ثم ضم مصر الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه عليها ويقال ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد فكتب الى عبد العزيز انى رأيت أن يصير الامر الى ابن أخيك فكتب له أن تجعل الامر له من بعده فكتب له انى أرى فى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب له عبد الملك أن يحمل خراج مصر فكتب اليه عبد العزيز انى واياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ولا ندرى أينا يأتيه الموت فلا تفسد على بقية عمرى فرق له عبد الملك وتركه (ولما) بلغ الخبر بموت عبد العزيز عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنه الوليد وسليمان وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل المخزومى فدعا الناس الى البيعة فأجابوا وأبى سعيد ابن المسيب فضربه ضربا مبرحا وطاف به وحبسه وكتب عبد الملك الى هشام يلومه ويقول ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا نفاق ولا خلاف وقد كان ابن المسيب امتنع من بيعة ابن الزبير فضربه جابر بن الاسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطا وكتب اليه

ابن الزبير يلومه وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح وقيل قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ لك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكون أنت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فانها تفتح مغاليق الامور المبهمة واعلم أن لك نصف الرأى ولاخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد اصابتها

(وفاة عبد الملك وبيعة الوليد)

ثم توفى عبد الملك منتصف شوال سنة ست وثمانين وأوصى الى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذى عنه تفترون ومجنكم الذى عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل لكم الاعداء وكونوا بنى أم بررة لاتدب بينكم العقارب وكونوا فى الحرب أحرارا فان القتال لا يقرب منية وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذخره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوى الاحساب فانه لصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فأقيلوا وان عادوا فانتقموا (ولما دفن عبد الملك) قال الوليد انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة فكان أول من عزى نفسه وهنأها ثم قام عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله أعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

وبايعه ثم بايعه الناس بعده وقيل ان الوليد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لا مقدم لما أخره الله ولا مؤخر لما قدمه الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت وقد صار الى منازل الابرار وولى هذه الامة بالذى يحق لله عليه فى الشدة على المذنب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منازل الاسلام واعلائه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع

المنفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل

(ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره)

قدم قتيبة (١٠) خراسان أميرا عن الحجاج سنة ستة وثمانين فعرض الجند وحث على الجهاد وسار غازيا وجعل على الحرب بمرو (٢) اياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدى وتلقاه دهاقين البلخ الطالقان وساروا معه ولما عبر النهر تلقاه ملك الصغانيان بهدايا وكان ملك اخرون وسومان يسىء جواره فدعاه الى بلاده وسلمها اليه وسار قتيبة الى اخرون وسومان وهو من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه وقبضها ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت من فرغانة ثم اخسيكت مدينة فرغانة القديمة وكان معه ابن يسار وأبلى فى هذه الغزاة وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين وكان من ذلك السبي امرأة برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها وعلقت منه بخالد ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة بردّ السبي فألحق عبد الله به حملها ثم ردت الى برمك وذكر أنّ ولد عبد الله بن مسلم ادّعوه ورفعوا أمرهم الى المهدى وهو بالرى فقال لهم بعض قرابتهم انكم ان استلحقتموه لابد لكم أن تزوّجوه فتركوه ولما صالح قتيبة ملك سومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين وهدّدهم فبعث بهم اليه ثم كتب اليه يستقدمه على الآمان فخشى وتثاقل ثم قدم وصالح لاهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة ثم غزا بيكند ادنى مدائن بخارى الى النهر سنة سبع وثمانين فلما نزل بهم استجاشوا بالصغد وبمن حولهم من الترك وساروا اليه فى جموع عظيمة وأخذوا عليه الطرق فانقطعت الاخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ثم هزمهم بعض الايام وأثخن فيهم بالقتل والاسر وجاء الى السور ليهدمه فسألوا الصلح فصالحهم واستعمل عليهم وسار عنهم غير بعيد فقتلوا العامل ومن معه فرجع اليهم وهدم سورهم وقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نومكثت فصالحوه وسار الى رامسنة فصالحوه أيضا فانصرف وزحف أيضا اليه الترك والصغد وأهل فرغانة فى مائتى ألف وملكهم كوربعابورا بن أخت ملك الصين واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن فقاتلهم حتى جاء قتيبة وكان ينزل معه فأبلى مع المسلمين ثم انهزم الترك وجموعهم ورجع قتيبة الى مرو ثم أمره الحجاج سنة تسع وثمانين بغزو بخارى وملكها وردان خذاه فعبر النهر من زم ولقيه الصغد وأهل كش ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزمهم

ومضى الى بخارى فنزل عن عين وردان ولم يظفر منه بشئ ورجع الى مرو

(عمارة المسجد)

كان الوليد عزل هشام بن اسمعيل المخزومى عن المدينة سنة سبع وثمانين لاربع سنين من ولايته وولى عليها عمر بن عبد العزيز فقدمها ونزل دار مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة فيهم الفقهاء السبعة المعروفون فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمرا دونهم وأمرهم أن يبلغوه الحاجات والظلامات فشكروه وجزوه خيرا ودعا له الناس ثم كتب اليه سنة ثمان أن يدخل حجر أمهات المؤمنين فى المسجد ويشترى ما فى نواحيه حتى يجعله مائتى ذراع فى مثلها وقدّم القبلة ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل وادفع اليه الثمن واهدم عليه الملك ولك فى عمر وعثمان اسوة فأعطاه أهل الاملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد الى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد فبعث اليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب ومائة من الفعلة وأربعين حملا من الفسيفساء وبعث بذلك كله الى عمر بن عبد العزيز واستكثر معهم من فعلة الشام وشرع عمر فى عمارته اه وولى الوليد فى سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبد الله القسرى

(فتح السند)

كان الحجاج قد ولى على ثغر السند ابن عمه محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل وجهز معه ستة آلاف مقاتل ونزل مكران فأقام بها أياما ثم أتى فيربوز ففتحها ثم ارمايل ثم سار الى الديبل وكان به بد عظيم فى وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة والبد صنم مركوز فى بناء والدقل منارة عليه وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحاصر الديبل ورماهم بالمنجنيق فكسر الدقل فتطيروا بذلك ثم خرجوا اليه فهزمهم وتسنم الناس الاسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى النيروز وقد كانوا بعثوا الى الحجاج وصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة من مدائن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صصة ثم عقد الجسر على النهر وعبر فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة ثم اشتد القتال وترجل داهر فقاتل حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون ولحقت امرأة داهر بمدينة راور فساروا اليها وخافته فأحرقت نفسها وجواريها وملك المدينة ولحق الفل بمدينة بدهمتاباد العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة وهى يومئذ غيضة ففتحها عنوة واستلحم من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر ساسل الى الملقاد فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل

المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البلد وهم ستة آلاف وأصابوا فى البلد ذهبا كثيرا فى بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الاموال تهدى اليه من البلدان ويحجون اليه ويحلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب فاستكمل فتح السند وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألف وكانت النفقة نصفها

* (فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم) *

قد تقدم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين وانصرف عنها ولم يظفر وبعث اليه الحجاج سنة تسعين يوبخه على الانصراف عنها ويأمره بالعود فسار اليها ومعه نيزك طرخان صاحب باذغيس وحاصرها واستجاش ملكها وردان اخذاه بمن حوله من الصغد والترك فلما جاء مددهم خرجوا الى المسلمين وكانت الازد فى المقدمة فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا وزحفت العساكر حتى ردوا الترك الى موقفهم ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم فى مواقفهم وأزالوهم عنها وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره الا بنو تميم فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين وكتب بذلك الى الحجاج ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصغد ومعه فارسان ودنا من عسكر قتيبة يطلب الصلح على فدية يؤديها فأجابه قتيبة وعقد له ورجع قتيبة ومعه نيزك وقد خافه لما رأى من الفتوح فاستأذنه فى الرجوع وهو بآمد فرجع يريد طخارستان وأسرع السير وبعث قتيبة الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسه وتبعه المغيرة فلم يدركه وأظهر نيزك الخلع ودعا لذلك الاصبهبذ ملك بلخ وباذان ملك مرو الروذ وملك الطالقان وملك الفاريابات وملك الجوزجان فأجابوه وتوعدوا الغزو قتيبة وكتب الى كاتب شاه يستظهر به وبعث اليه بأثقاله وأمواله واستأذنه فى الاتيان ان اضطر الى ذلك وكان جيغويه ملك طخارستان نيزك ينزل عنده فاستضعفه وقبض عليه وقيده خشية من خلافه وأخرج عامل قتيبة من بلده وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء تقدم الى طخارستان وأنا قريب منك ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم فى الخلع ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ فى مثلها واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم وسار الى الفاريابات فخرج اليه ملكها مطيعا واستعمل عليها وسار الى الجوزجان فلقيه أهلها بالطاعة وهرب ملكها الى الجبال واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم أتى بلخ وتلقاه أهلها بالطاعة وسار يتبع

أخاه عبد الرحمن الى شعب خلفه ومضى نيزك الى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدى الى مدخل ومضايقه يمنعونه ووضع أثقاله فى قلعة من وراء الشعب وأقام قتيبة أياما يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدى الى مدخل حتى دله عليه بعض العجم هنالك على طريق سرب منه الرجال الى القلعة فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومضى الى سمنجان ثم الى نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن وارتحل نيزك الى وادى فرغانة وبعث أثقاله وأمواله الى كابل شاه ومضى الى الكرز فتحصن به ولم يكن له الا مسلك واحد صعب على الدواب فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجدرى وقرب فصل الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصه ممن كان يصادق نيزك فقال انطلق اليه وأتنى به بغير أمان وان أعيالك فأمنه وان جئت دونه صلبتك فمضى الرجل وأشار عليه بلقائه وانه عازم على أن يشتو هنالك فقال أخشاه فقال له لا يخلصك الا اتيانك وتنصح له بذلك وبانه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب وهو يمتنع حتى قال له انه قد أمنك فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه وخرج معه نيزك ومعهم جيغونة ملك طخارستان الذى كان قيده حتى انتهوا الى الشعب وهنالك خيل اكمنه الرجل ما كان فيه وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك فوافاه كتابه لاربعين يوما بقتله فقتله وقتل معه صول طرخان خليفة جيغونة وابن أخى نيزك ومن أصحابه سبعمائة وصلبهم وبعث برأسه الى الحجاج وأطلق جيغونة وبعث به الى الوليد ثم رجع الى مرو وأرسل اليه ملك الجوزجان يستأمنه فأمنه على أن يأتيه فطلب الرهن فأعطاه وقدم ثم رجع فمات بالطالقان وذلك سنة احدى وتسعين ثم سار الى شومان فحاصرها وقد كان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فبعث اليه بعد مرجعه من هذه الغزاة أن يؤدى ما كان صالح عليه فقتل الرسول فسار اليه قتيبة وبعث له صالح أخو قتيبة وكان صديقه ينصحه فى مراجعة الطاعة فأبى فحاصره قتيبة ونصب عليه المجانيق فهدم الحصن وجمع الملك ما فى الحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر لا يدرك قعره ثم استمات وخرج فقاتل حتى قتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم بعث أخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكهم طرخون فأعطى ما كان صالح عليه قتيبة وسار قتيبة الى كش ونسف فصالحوه ورجع ولقى أخاه ببخارى وساروا الى مرو (ولما رجع) عن الصغد حبس الصغد ملكهم طرخون لاعطائه الجزية وولوا عليهم غوزك فقتل طرخون نفسه ثم غزا فى سنة اثنتين وتسعين الى سجستان يريد رتبيل فصالحه وانصرف وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وعاث فى الرعية وأخذ أموالهم وأهليهم فكتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه على أن يمكنه

من أخيه ومن عصاه من دونهم فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحدا من مرازبته على ذلك وتجهز قتيبة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصغد فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه واذا به قد نزل هزارسب قريبا منهم وجاء أصحاب خوارزم شاه اليه فدعوه للقتال فقال ليس لنا به طاقة ولكن نصالحه على شئ نعطيه كما فعل غيرنا فوافقوه وسار الى مدينة الفيل من وراء النهر وهذا حصن بلاده وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتاع وأن يعينه على خام جرد وقيل على مائة ألف رأس وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وهو عدو لخوارزم شاه فقاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم وسلم قتيبة الى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة ولما قبض قتيبة أموالهم أشار عليه المحشر بن مخازم السلمى بغزو الصغد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام فقال اكتم ذلك فقدم أخاه فى الفرسان والرماة وبعثوا بالاثقال الى مرو وخطب قتيبة الناس وحثهم على الصغد وذكرهم الضغائن فيهم ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول أخيه فحاصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة فانتخبوا أهل النجدة من أبناء الملوك والمرازبة والاساورة وولوا عليهم ابن خاقان وجاؤا الى المسلمين فانتخب قتيبة من عسكره ستمائة فارس وبعث بهم أخاه صالحا لاعتراضهم فى طريقهم فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشد قتال فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا القليل وغنموا ما معهم ونصب قتيبة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتد فى قتالهم وحمل الناس عليهم الى أن بلغوا الثلمة ثم صالحوه على ألفى ألف ومائتى ألف مثقال فى كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس وأن يمكنوه من بناء مسجد بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فيصلى فيه فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على اقامة جند فيها وقيل انه شرط عليهم الاصنام وما فى بيوت النار فأعطوه فأخذ الحلية وأحرق الاصنام وجمع من بقايا مساميرها وكانت ذهبا خمسين ألف مثقال وبعث بجارية من سبيها من ولد يزدجرد الى الحجاج فأرسلها الحجاج الى الوليد وولدت له يزيد ثم قال فورك لقتيبة انتقل عنا فانتقل وبعث الى الحجاج بالفتح ثم رجع الى مرو واستعمل على سمرقند اياس بن عبد الله على حربها وعبيد الله بن أبى عبيد الله مولى مسلم على خراجها فاستضعف أهل خوارزم اياسا وجمعوا له فبعث قتيبة عبد الله عاملا على سمرقند وأمره أن يضرب اياسا وحبانا النبطى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك وخشى ملكه من أبناء الذين كان قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية ورجع الى

قتيبة فولاه على نيسابور ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين الى ما وراء النهر وفرض البعث على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم فسار منهم عشرون ألف مقاتل فبعثهم الى الشاش وسار هو الى خجندة فجمعوا له واقتتلوا مرارا كان الظفر فيها للمسلمين وفتح الجند الذين ساروا الى الشاش مدينة الشاش وأحرقوها ورجعوا الى قتيبة وهو على كشان مدينة فرغانة وانصرف الى مرو ثم بعث الحجاج اليه جيشا من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجاج فرجعوا الى مرو

(خبر يزيد بن المهلب واخوته)

كان الحجاج قد حبس يزيد واخوته سنة ست وثمانين وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان فأقاموا فى محبسهم الى سنة تسعين وبلغه أنّ الأكراد غلبوا على فارس فعسكر قريبا من البصرة للبعث وأخرج معه بنى المهلب وجعلهم فى فسطاط قريبا منه ورتب عليهم الحرس من أهل الشأم ثم طلب منهم ستة آلاف ألف وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقها ثم كف عنهم وجعل يستأديهم وبعثوا الى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يعد لهم خيلا وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فأقاموا يتعاقرون واستغفلهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخرجوا ولم يفطنوا لهم ورفع الحرس خبرهم الى الحجاج فخشيهم على خراسان وبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ليحذرهم وكان يزيد قد ركب السفن الى البطائح واستقبلته الخيل المعدّة له هنالك وساروا الى الشأم على السماوة ومعهم دليل من كلب ونمى خبرهم الى الحجاج فبعث الى الوليد بذلك وقدموا الى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان فأخبره بحالهم وانهم استجاروا به من الحجاج فقال ائتنى بهم فقد أجرتهم وكتب الحجاج الى الوليد انّ بنى المهلب خانوا مال الله وهربوا منى فلحقوا بسليمان فسكن ما به لانه كان خشيهم على خراسان كما خشيهم الحجاج وكان غضبا للمال الذى ذهبوا به فكتب سليمان الى الوليد انّ يزيد عندى وقد أمّنته وكان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدّى نصفها وأنا أؤدّى النصف فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به فكتب سليمان لأجيئنّ معه فكتب الوليد اذن لا أؤمنه فقال يزيد لسليمان لا تتشاءم الناس بى لكما فاكتب معى وتلطف ما أطقت فأرسله وارسل معه ابنه أيوب وكان الوليد أمر أن يبعث مقيدا فقال سليمان لابنه ادخل على عمك أنت ويزيد فى سلسلة فقال الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمان المال عن يزيد فقرأه الوليد واستعطفه أيوب فى ذمّة أبيه وجواره وتكلم يزيد واعتذر فأمنه الوليد ورجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج

بالكف عنهم فكف عن حبيب وأبى عبسة وكانا عنده وأقام يزيد عند سليمان يهدى اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة

(ولاية خالد القسرى على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها وقتله)

ولما كان فى سنة ثلاث وتسعين كتب عمر بن عبد العزيز الى الوليد يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه فبلغ بذلك الحجاج فكتب الى الوليد ان كثيرا من المرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر ذلك وهن فولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسرى وعثمان بن حيان باشارة الحجاج وعزل عمر عن الحجاز وذلك فى شعبان من السنة ولما قدم خالد مكة أخرج من كان بها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو أجره دارا وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجأ الى مكة والمدينة كل من خاف الحجاج فيأمن وكان منهم سعيد بن جبير هاربا من الحجاج وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الاشعث الى قتال رتبيل فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع فكان معه الى أن هزم وسار الى بلاد رتبيل فلحق سعيد باصبهان وكتب الحجاج فيه الى عاملها فتحرّج من ذلك ودس الى سعيد فسار الى أذربيجان ثم طال عليه المقام فخرج الى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طلبة الحجاج يستخفون بأسمائهم فلما قدم خالد ابن عبد الله مكة أمره الوليد بحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب وبعث بهم الى الحجاج فمات طلق فى الطريق وجيء بالآخرين الى الكوفة وأدخلا على الحجاج فلما رأى سعيدا شتم خالدا القسرى على ارساله وقال لقد كنت أعرف أنه بمكة وأعرف البيت الذى كان فيه ثم أقبل على سعيد وقال ألم أشركك فى أمانتى ألم أستعملك ثم تفعل يعدد أياديه عنده فقال بلى قال فما أخرجك على قتالى أنا امرؤ من المسلمين أخطئ مرة وأصيب أخرى ثم استمر فى محاورته فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وقال ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك ثانيا قال بلى قال فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين وتوفى بواحدة للفاعل ابن الفاعل والله لاقتلنك فقال انى لسعيد كما سمّتنى أمى فضربت عنقه فهلل رأسه ثلاثا أفصح منها بمرة ويقال ان عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير فأخذوها من رجليه وقطعوا عليها ساقيه وكان اذا نام يرى سعيد بن جبير فى منامه آخذا بمجامع ثوبه يقول يا عدوّ الله فيم قتلتنى فينتبه مرعوبا يقول مالى ولسعيد بن جبير

(وفاة الحجاج)

وتوفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فأقرهم الوليد بعد وفاته وكتب الى قتيبة بن مسلم بخراسان قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر الى بلادك والثغر الذي أنت فيه ولم يغير الوليد أحدا من عمال الحجاج

(أخبار محمد بن القاسم بالسند)

كان محمد بن القاسم بالملتان وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع الى الدور والثغور وكان قد فتحها ثم جهز الناس الى السيلمان مع حبيب فأعطوا الطاعة وسالمه أهل شرست وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر ثم سار في العسكر الى فخرج اليه دوهر فقاتله محمد وهزمه وقتله ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا ولم يزل عاملا على السند الى أن ولي سليمان بن عبد الملك فعزله وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي على السند مكانه فقيده يزيد وبعث به الى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعذبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج ومات يزيد بن أبي كبشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه فولى سليمان على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع حبشة بن داهر الى فنزل حبيب على شاطئ مهران وأعطاه أهل الروم الطاعة وحارب فظفر ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز الى الاسلام على أن يملكهم وهم أسوة المسلمين فيما لهم وعليهم فأسلم حبشة والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند وظفر ثم ولي الجنيد بن عبد الرحمن على السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى شط مهران ومنعه حبشة ابن داهر العبور وقال اني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح ولست آمنك فأعطاه الرهن ثم ردها حبشة وكفر وحارب فحاربه الجنيد في السفن وأسره ثم قتله وهرب صصه ابن داهر الى العراق شاكيا لغدر الجنيد فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله ثم غزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا نقضوا فاتخذ كباشا (١) زاحفة ثم صك بها سور المدينة فثلمها ودخل فقتل وسبى وغنم وبعث العمال الى المرمد والمندل ودهنج وبعث جيشا الى أرين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها وولى تميم بن زيد الضبي فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل وفي أيامه

خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن سوام الكلبي وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظائم الامور وأغزاه عن المحفوظة فلما قدم وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كانت أمراء السند ينزلونها واستخلص ما كان غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الاموية عن الهند وتأتي أخبار السند في دولة المأمون

(فتح مدينة كاشغر)

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهي أدنى مدائن الصين فسار لذلك وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر وجعل على المجاز مسلحة (١) يمنعون الراجع من العسكر الا باذنه وبعث مقدمه الى كاشغر فغنموا وسبوا وختم أعناق السبي وأوغل حتى قارب الصين فكتب اليه ملك الصين يستدعي من أشراف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم فانتخب قتيبة عشرة من العرب كان منهم هبيرة بن شمرج الكلابي وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخز والوشي وخيول أربعة وقال لهم أعلموه انى حالف انى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم ولما قدموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الاول فدخلوا وعليهم الغلائل والاردية وقد تطيبوا ولبسوا النعال فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن حضره وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان فلبسوا الوشي والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه فلم يكلموهم وقالوا هذه أقرب الى هيئة الرجال ثم دعاهم الثالثة فلبسوا سلاحهم وعلى رؤسهم البيضات والمغافر وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح وتنكبوا القسي فهالهم منظرهم ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا فعجب القوم منهم ثم دعا زعيمهم هبيرة بن شمرج فسأله لم خالفوا في زيهم فقال أما الاول فانا نساء في أهلنا وأما الثاني فزينا عند أمرائنا وأما الثالث فزينا العدونا فاستحسن ذلك ثم قال له قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني وقد عرفت قلتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف والا بعثت من يهلككم فقال هبيرة كيف نكون في قلة وأول خيلنا في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وأما القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ولنا آجال اذا حضرت فلن نتعداها وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم قال الملك فانا نخرجه من يمينه نبعث له بتراب من أرضنا فيطؤه ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ثم أجازهم فأحسن وقدموا على قتيبة فقبل الجزية ووطئ التراب وختم الغلمان وردهم ثم انصرف من غداته وأوفد هبيرة الى الوليد وبلغه وهو في الفرات موت الوليد

(وفاة الوليد وبيعة سليمان)

ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الاخيرة من سنة ست وتسعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بني أمية وبنى المساجد الثلاثة مسجد المدينة ومسجد القدس ومسجد دمشق ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها خارج المدينة مما فتح عنوة ونبنيها مسجدا فتركوا ذلك وفتح في ولايته الاندلس وكاشغر والهند وكان يتخذ الضياع وكان متواضعا يمر بالبقال فيسأله بكم حزمة البقل ويسعر عليه وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فأبى سليمان فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وبعض خواصه واستقدم سليمان ثم استبطأه فأجمع السير اليه ليخلعه فمات دون ذلك ولما مات بويع سليمان من يومه وهو بالرملة فعزل عثمان بن حيان من المدينة آخر رمضان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم وعزل ولاة الحجاج عن العراق فولى يزيد بن المهلب على المصرين وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم فبعث يزيد أخاه زيادا على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العقيل قوم الحجاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم فولى على ذلك عبد الملك بن المهلب

(مقتل قتيبة بن مسلم)

ولما ولي سليمان خافه قتيبة لما قدّمناه من موافقته الوليد على خلعه فخشي أن يولي يزيد ابن المهلب خراسان فأجمع خلعه وكتب اليه لئن لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمّنّي لاخلعنّك ولأملأنها عليك خيلا ورجلا فأمنه وكتب له العهد على خراسان وبعث اليه رسوله بذلك فبعث الرسول وهو بحلوان انه قد خلع وكان هو بعد بعثة الكتاب الى سليمان قد اشتد وجله وأشار عليه أخوه عبد الله بالمعاجلة فدعا الناس الى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية من تقدّمه فلم يجبه أحد فغضب وشتمهم وعدّد مثالبهم قبيلة قبيلة وأثنى على نفسه بالاب والبلد والمعشر فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه فقال لما لم تجيبوني غضبت فلم أدر ما قلت وجاء الازد الى حضين بن المنذر بالضاد المعجمة فقالوا كيف ترى هذا يدعو الى فساد الدين ويشتمنا فعرف مغزاهم فقال انّ مضر بخراسان كثير وتميم أكثرهم وهم شوكتها ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها الا وكيعا وكان وكيع موثقا من قتيبة بعزله وولاية ضرار بن حصين الضبي مكانه وقال حيان

النبطى مولى بنى شيبان ليس لها غير وكيع ومشى الناس بعضهم الى بعض سرا وتولى كبر ذلك حيان ونمى خبره الى قتيبة فأمر بقتله اذا دخل عليه وتنصح بعض خدم قتيبة بذلك الى حيان فلما دعاه تمارض واجتمع الناس الى وكيع وبايعوه فمن أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زحر ومن الموالى سبعة آلاف عليهم حيان النبطى وقيل من الديلم وسمى نبطيا للكنته وشرط على وكيع أن يحول له الجانب الشرقى من نهر بلخ فقبل وفشا الخبر وبلغ قتيبة فدس ضرار بن سنان الضبى الى وكيع فبايعه وجاء الى قتيبة بالخبر فأرسل قتيبة الى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته ائتنى به وان أبى ائتنى برأسه فلما جاء الى وكيع ركب ونادى فى الناس فأتوه ارسالا واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواصه وثقاته وبنو عمه وأمر فنودى فى الناس قبيلة قبيلة وأجابوه بالجفوة يقول أين بنو فلان فيقولون حيث وضعتهم فنادى بأذكركم الله والرحم فقالوا أنت قطعتها فنادى لكم العتبى فقالوا لا أقالنا الله اذا فدعا ببرذون ليركبه فمنعه ورمحه فعاد الى سريره وجاء حيان النبطى فى العجم فأمره عبد الله أخو قتيبة أن يحمل على القوم فاعتذر وقال لابنه اذا القيتنى حولت قلنسوتى فمل بالاعاجم الى وكيع ثم حولها وسار بهم ورمى صالح أخو قتيبة بسهم فحمل الى أخيه ثم تهايج الناس وجاء الى عبد الرحمن أخى قتيبة الغوغاء ونحوهم فأحرقوا اريا فيه ابل قتيبة ودوابه ثم زحفوا به حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح جراحات كثيرة ثم قطعوا رأسه وقتل معه اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وابنه كثير وقيل قتل عبد الكريم بقزوين فكان عدة من قتل من أهله احد عشر رجلا ونجا أخوه عمرو مع اخواله من تميم ثم صعد وكيع المنبر وأنشد الشعر فى الثناء على نفسه وفعله والذم من قتيبة ووعد بحسن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الازد وهددهم عليه فجاؤا به فبعثه الى سليمان ووفى وكيع لحيان النبطى بما ضمن له

* (ولاية يزيد بن المهلب خراسان) *

كان يزيد بن المهلب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج استنكر أن يحيف على الناس فى الخراج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجاج ويخرب العراق وان قصر عن ذلك لم يقبل منه فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه سليمان الخراج وبعثه قبل يزيد فلما جاء صالح الى يزيد ضيق عليه صالح وكان يزيد يطعم على ألف خوان فاستكثرها صالح فقال اكتب ثمنها على وغير ذلك وضجر يزيد وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع يزيد فى ولايتها ودس عبد الله

ابن الاهتم على سليمان أن يوليه خراسان ولا يشعر يطلبته بذلك وسيره على البريد فقال له سليمان ان يزيد كتب الى يذكر عملك بالعراق فقال نعم بها ولدت وبها نشأت ثم استشاره فيمن يوليه خراسان ولم يزل سليمان يذكر الناس وهو يردهم ثم حذره من وكيع وغدره قال فسم أنت قال شريطة الكتمان الاجازة ممن أشير به واذا علم يكره ذلك ثم قال هو يزيد بن المهلب فقال سليمان العراق أحب اليه فقال ابن الاهتم قد علمت ولكن نكرهه فيستخلف على العراق ويسير الى خراسان فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الاهتم فلما جاءه بعث ابنه مخلدا على خراسان ثم سار بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكلابي وعلى الكوفة حرملة بن عبد اللخمي ثم عزله لاشهر بشير بن حيان النهدي فكانت قيس تطلب بثأر قتيبة وتزعم أنه لم يخلع فأوصى سليمان يزيد أن أقامت قيس بينة انه لم يخلع أن يقيد به من وكيع

• (أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية) *

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن واشتدت الفتن أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشأم فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدى اليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظرا لهم وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية ثم لما قتل مصعب وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة احدى وسبعين فى الصائفة فدخل فافتتح قيسارية ثم ولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين فدخل فى الصائفة الى بلاد الروم فهزمهم ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية فى أربعة آلاف ولقيه الروم فى ستين ألفا فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين فبلغ انبولية وغزا فى السنة بعدها فى الصائفة من طريق مرعش فدوخ بلادهم وخرج الروم فى السنة بعدها الى العتيق فغزاهم من ناحية مرعش ثانية ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية ملطية ودخل فى الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك فأثخن فيهم ورجع وجاء الروم سنة تسع وسبعين فأصابوا من أهل انطاكية وظفروا بهم فبعث عبد الملك سنة احدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ففتح قاليقلا ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم فسألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أباشيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه فغزاهم سنة خمس وثمانين وصاف فيها وشتى ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوخها ورجع وعاد اليها سنة سبع وثمانين فأثخن فيهم بناحية المصيصة وفتح حصونا كثيرة منها حصن بولق

والاخرم وبولس وقميم وقتل من المستقر به ألف مقاتل وسبى أهاليهم ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فافتتح مسلمة حصن سورية وافتتح العباس اردولية ولقى جمعا من الروم فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم فهزمهم وافتتح هرقلة وقمولية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك ثم غزا سنة تسعين ففتح الحصون الخمس التي بسورية وغزا العباس حتى بلغ أرزن وسورية وفي سنة احدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ولى مسلمة على الجزيرة وارمينية وعزل عمه محمد بن مروان عنها فغزا الترك من ناحية أذربيجان حتى الباب وفتح مدائن وحصونا ثم غزا سنة اثنتين وتسعين بعدها ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سبسطية وغزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة وغزا مسلمة ففتح ماشية وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية وغزا العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ففتح انطاكية وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي مروج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية وفي سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هرقلة وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخية وفتح الحصن الذي فتحه الرصاع وغزا عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر فشتى بها وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية وبعث ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المرأة وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم فجاء القون الى سليمان فأخبره وضمن له فتح الروم وسار سليمان الى دابق وبعث الجيوش مع أخيه مسلمة ولما دنا من القسطنطينية أمر أهل العسكر أن يحمل كل واحد مدين من الطعام ويلقوه في معسكرهم فصار أمثال الجبال واتخذ البيوت من الخشب وأمر الناس بالزراعة وصاف وشتى وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استاقوه مدخرا ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار وسألوا الصلح على الجزية دينارا على الرأس فلم يقبل مسلمة وبعث الروم الى القون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فقال لمسلمة لو أحرقت هذا الزرع علم الروم انك قصدتهم بالقتال فنأخذهم باليد وهم الآن يظنون مع بقاء الزرع انك تطاولهم فأحرق الزرع فقوي الروم وغدر القون وأصبح محاربا وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وسليمان مقيم بدابق وحال الشتاء بينهم وبينه فلم يقدر أن يمدهم حتى مات وأغارت برجان على مسلمة وهو

في قتاله فهزمهم وفتح مدينتهم وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام فأثخن في بلاد الروم وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ففتح حصن المراة مما يلي ملطية وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم وأمده بالقفول بالمسلمين وبعث اليه بالخيل والدواب وحث الناس على معونتهم ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها الى ملطية وخربها وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين وفرض على أهل الجزيرة مسلحة تكون عندهم الى فصل الشتاء وكانت متوغلة في أرض الروم فخربها عمر وولي على ملطية جعونة بن الحرث من بني عامر بن صعصعة وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطي وعمر بن قيس الكندي

(فتح جرجان وطبرستان)

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشأم اذا قصت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور وليست هذه الفتوح بشيء والشأن في جرجان فلما ولاه سليمان خراسان سار اليها في مائة ألف من أهل العراق والشأم وخراسان سوى الموالي والمتطوعة ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه فابتدأ بقهستان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم ولم يزل على ذلك حتى بعث اليه دهقان يستاذن يسأل في الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحه وأخذ ما فيها من الاموال والكنوز والسبي ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألفا من الترك وكتب الى سليمان بذلك ثم سار الى جرجان وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة فكانوا أحيانا يجبون مائة وأحيانا مائتين وأحيانا ثلثمائة وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ثم كفروا ولم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق الى خراسان على فكان الناس يسلكون على فارس وسلماس ثم فتح قتيبة طريق قومس وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه ولما فتح يزيد قهستان وجرجان طمع في طبرستان فاستعمل عبد الله بن معمر اليشكري على ساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف فارس وسار الى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد ونسيا راشد بن عمر في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فسأله صاحبها الاصبهند في الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه واذا اجتمعا فعيينة على الناس واستجاش الاصبهند

أهل جيلان والديلم والتقوا فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون الى الشعب وصعد المشركون فى الجبل فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عيينة بمن معه خلفهم فهزمهم المشركون فى الوعر فكفوا وكاتب الاصبهند أهل جرجان ومقدمهم المرزبان أن يبيتوا المسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان ووعدهم بالمكافأة على ذلك فساروا بالمسلمين وهم غارون وقتل عبد الله بن معمر وجميع من معه ولم ينج أحد وكتبوا الى الاصبهند بأخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وكان قد غرمه مائتى ألف درهم بسبب أنه كتب الى ابنه مخلد كتابا فبدأ بنفسه فقال له لا يمنعك ما كان منى اليك من نصيحة المسلمين وقد علمت ما جاءنا من جرجان فاعمل فى الصلح فأتى حيان الاصبهند ومت اليه بنسب العجم وتنصل له وفتل له فى الذروة والغارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع اه (وقيل) فى سبب مسير يزيد الى جرجان أن صولا التركى كان على قهستان والبحيرة جزيرة فى البحر على خمسة فراسخ من قهستان وهما من جرجان مما يلى خوارزم وكان يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وأشار فيروز بنصيب من بلاده فسار فيروز الى يزيد هاربا منه وأخذ صول جرجان وأشار فيروز على يزيد أن يكتب الى الاصبهند ويرغبه فى العطاء ان هو حبس صولا بجرجان حتى يحاصره بها ليكون ذلك وسيلة الى معاكسته وخروجه عن جرجان فيتمكن يزيد منه فكتب الى الاصبهند وبعث بالكتاب الى صول فخرج من حينه الى البحيرة وبلغ يزيد الخبر فسار الى جرجان ومعه فيروز واستخلف على خراسان ابنه مخلدا وعلى سمرقند وكش ونسف وبخارى ابنه معاوية وعلى طخارستان ابن قبيصة بن المهلب وأتى جرجان فلم يمنعه دونها أحد ودخلها ثم سار منها الى البحيرة وحصر صولا بها أشهرا حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلثمائة ويسلم اليه البحيرة فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة وقتل يزيد من الاتراك أربعة عشر ألفا وأمر ادريس بن حنظلة العمى أن يحصى ما فى البحيرة ليعطى الجند فلم يقدر وكان فيها من الحنطة والشعير والارز والسمسم والعسل شئ كثير ومن الذهب والفضة كذلك ولما صالح يزيد اصبهند طبرستان كما قدمناه سار الى جرجان وعاهد الله ان ظفر بهم ليطحنن القمح على سائل دمائهم ويأكل منه فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون اليه فيقاتلونه ويرجعون وكانوا ممتنعين فى الجبل والاوعار وقصد رجل من عجم خراسان أتبع بخلا فى الجبل وانتهى الى معسكرهم وعرف الطريق اليه ودل الادلة

على معالمه وأتى يزيد فأخبره فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه خالد وضم اليه جهم بن ذخر وبعثه وذلك الرجل يدل به وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم وحاموا للقتال آمنين خلفهم فناشبهم يزيد الى العصر واذا بالتكبير من ورائهم فهربوا الى حصنهم وأتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقاد منهم اثنى عشر ألفا الى وادى جرجان ومكن أهل الثار منهم حتى استلحموهم وجرى الماء على الدم وعليه الارحاء فطحن وخبز وأكل وقتل منهم أربعين ألفا (١) وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ورجع الى خراسان وولى على جرجان جهم بن ذخر الجعفى ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره

(وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز)

ثم توفى سليمان بدابق من أرض قنسرين من سنة تسعة وتسعين فى صفر منها وقد كان فى مرضه أراد أن يعهد الى ولده داود ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة ابنك غائب عنك بقسطنطينية ولا يعرف حياته من موته فعدل الى عمر بن عبد العزيز وقال له انى والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبدا يلى عليهم الا أن أجعل أحدهم بعده وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسملة هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ثم أمر كعب بن جابر العبسى صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال أخبرهم انه كتابى فليبايعوا من وليت فيه فبايعوه رجلا رجلا وتفرقوا وأتى عمر الى رجاء يستعمله ويناشده الله والمودة يستعفى من ذلك فأبى وجاءه هشام أيضا يستعمله ليطلب حقه فى الامر فأبى فانصرف أسفا أن يخرج من بنى عبد الملك ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب فلما ذكر عمر قال هشام والله لا نبايعه أبدا فقال له رجاء والله نضرب عنقك فقام أسفا يجر رجليه حتى جاء الى عمر بن عبد العزيز وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه فبايعه واتبعه الباقون ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز والوليد كان غائبا عن موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا لنفسه وجاء الى دمشق ثم بلغه عهد سليمان فجاء الى عمر واعتذر اليه وقال بلغنى أن سليمان لم يعهد فخفت على الاموال أن تنهب فقال عمر لو قمت بالامر لقعدت فى بيتى ولم أنازعك فقال عبد العزيز والله لا أحب لهذا الامر غيرك وأول ما بدأ به عمر لما استقرت البيعة له انه رد ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلى

والجوهر الى بيت المال وقال لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد فردته جميعه ولما ولي أخوها يزيد من بعد ردته عليها فأبت وقالت ما كنت أعطيه حيا أعطيه ميتا ففرقه يزيد على أهله وكان بنو أمية يسبون عليا فكتب عمر الى الآفاق بترك ذلك وكتب الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول بالمسلمين

(عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله)

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة الى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم فاستخلف مخلدا ابنه وقدم من خراسان وقد كان عمر ولى على البصرة عدي بن أرطاة الفزاري وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وضم اليه أبا الزناد فكتب الى عدي بن ارطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيدا فلما نزل يزيد واسط وركب السفن يريد البصرة بعث علي بن ارطاة موسى بن الرحيبة الحميري فلقيه في نهر معقل عند الجسر فقيده وبعث به الى عمر وكان عمر يبغضه ويقول انه مراء وأهل بيته جبابرة فلما طالبه بالاموال التي كتب بها الى سليمن من خمس جرجان قال انما كتبت لاسمع الناس وعلمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بذلك فقال له عمر اتق الله وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها ثم حبسه بحصن حلب وبعث الجراح بن عبد الله الحكمي واليا على خراسان مكانه وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لابيه وقال له يا أمير المؤمنين ان كانت له بينة فخذ بها والا فاستحلفه والا فصالحه أو فصالحني على ما تسأل فأبى عمر من ذلك وشكر من مخلد ما فعل ثم ألبس يزيد جبة صوف وحمله على جمل وسيره الى دهلك ومر يزيد على الناس وهو ينادي بعشيره وبالنكير لما فعل به فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر وقال اردد يزيد الى محبسه لئلا ينزعه قومه فانهم قد غضبوا فرده الى أن كان من أمر فرارة ما نذكر

(ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان)

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهم بن ذحر الجعفي فأرسل عامل العراق على جرجان عاملا مكانه فحبسه جهم وقيده فلما جاء الجراح الى خراسان أطلق أهل جرجان عاملهم وانكر الجراح على جهم ما فعل وقال لولا قرابتك مني ماسوغتك هذا يعني أن جهما وجعفا ابنا سعد العشيرة ثم بعث في الغزو وأوفد على عمر وفدا فتكلم فيه بعضهم عمر بأنه يعري الموالي بلا عطاء ولا رزق ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمة بالخراج ثم عرض بأنه سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فرارا من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر ان الله بعث محمدا داعيا ولم

بعثه خاتنا واستقدم الجراح وقال احمل معك أبا مخلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيرى ولما قدم على عمر قال متى خرجت قال فى شهر رمضان قال صدق من وصفك بالجفاء ألا أقمت حتى تفطر ثم تسافر ثم سأل عمر أبا مخلد عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال يكافئ الاكفاء ويعادى الاعداء ويقدم ان وجد ما يساعده قال فعبد الرحمن بن نعيم قال يحب العافية وتأتيه قال هو أحب الى فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيرى الخراج فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلب وولى مسلمة فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وظهر من أيام الجراح بخراسان دعاة بنى العباس فيمن بعثه محمد بن على بن عبد الله بن العباس الى الآفاق حسبما يذكر فى أخبار الدولة العباسية

(وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد)

ثم توفى عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة احدى ومائة بدير سمعان ودفن بها لسنتين وخمسة أشهر من ولايته ولاربعين من عمره وكان يدعى أشج بنى أمية رمحته دابة وهو غلام فشجته ولما مات ولى بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدم وقيل لعمر حين احتضر اكتب الى يزيد فأوصه بالامة فقال بماذا أوصيه انه من بنى عبد الملك ثم كتب أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة انك تترك ما أترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك والسلام ولما ولى يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن المدينة وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز وكان من ذلك شأن خراج اليمن فان محمدا أخا الحجاج جعل عليهم خراجا مجددا وأزال ذلك عمر الى العشر او نصف العشر وقال لان يأتينى من اليمن حبة ذرة أحب الى من تقرير هذه الوظيفة فلما ولى يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضا وهلك عمه محمد بن مروان فولى مكانه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عمه الآخر مسلمة بن عبد الملك

(احتيال يزيد بن المهلب ومقتله)

قد تقدم لنا حبس يزيد بن المهلب فلم يزل محبوسا حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل فى الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لان زوجته بنت أخى الحجاج وكان سليمان أمر ابن المهلب بعذاب قرابة الحجاج كلهم فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعذبها وجاء يزيد بن عبد الملك الى منزله شافعا فلم يشفعه فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل فتهدده فقال له ابن المهلب لئن وليت أنت لارمينك بمائة ألف سيف فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار ولما اشتد مرض عمر خاف من ذلك وأرسل الى مواليه أن يعدوا

له الابل والخيل فى مكان عينه لهم وبعث الى عامل حلب باشفاقه من يزيد وبذل له المال والى الحرس الذين يحفظونه فخلى سبيله وأتى الى دوابه فركبها ولحق بالبصرة وكتب الى عمر انى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكن خفت أن يقتلنى يزيد شر قتلة فقرأ عمر الكتاب وبه رمق فقال اللهم ان كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوأ فألحقه به وهضه فقد هاض انتهى ولما بويع ليزيد بن عبد الملك كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة والى عدى بن ارطاة بالبصرة بهربه والتحرز منه وأمر عدى أن يأخذ المهلب بالبصرة فحبس المفضل وحبيبا ومروان ابنى المهلب وبعث عبد الحميد من الكوفة جندا عليهم هشام بن ساحق بن عامر فأتوا العذيب ومر يزيد عليهم فوق القطقطانة فلم يقدموا عليه ومضى نحو البصرة وقد جمع عدى بن ارطاة أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيلها المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل وجاء يزيد على أصحابه الذين معه وانضم اليه أخوه محمد فيمن اجتمع اليه من قومهم وبعث عدى بن ارطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالا فعلى الازد المغيرة بن زياد بن عمر العتكى وعلى تميم محرز بن حمدان السعدى وعلى بكر نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود وعلى أهل العالية عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وهم قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فانزل انتهى واختلف الناس اليه وأرسل الى عدى أن يطلق له اخوته فينزل به البصرة ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد وبعث حميد بن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك فأجاره خالد القسرى وعمر بن يزيد الحكمى بأمان يزيد له ولاهله وقد كان بعد منصرف حميد فرق فى الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا عليه وعدى يعطى درهمين درهمين ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدى فانهزموا ودنا يزيد من القصر وخرج عدى بنفسه فانهزم أصحابه وخاف اخوة يزيد وهم فى الحبس أن يقتلوا قبل وصوله فأغلق الباب وامتنعوا فجاءهم الحرس يعالجون فأجفلهم الناس عنه فخلوا عنهم وانطلقوا الى أخيهم ونزل يزيد دار مسلم بن زياد الى جنب القصر وتسور القصر بالسلالم وفتحه وأتى بعدى بن ارطاة فحبسه وهرب رؤس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر الى الكوفة والشام وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العتكى الى الشام فلقى خالدا القسرى وعمر بن يزيد وقد جاؤا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد بن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة وحبسه عديا فرجعا الى وعداهما فلم يقبلا وقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب وحماد بن زحر وحملهما وسيرهما الى الشام فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن وبعث يزيد بن عبد

الملك الى أهل الكوفة يثنى عليهم ويمنيهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة وابن أخيه العباس ابن الوليد الى العراق فى سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة فقدموا الكوفة ونزلوا النخيلة وتكلم العباس يوما ببعض الكلام فأساء عليه حيان النبطى بالكشة الاعجمية ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام خطب الناس وشجعهم للقائهم وهوّن عليهم أمرهم وأخبرهم ان أكثرهم له واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث الى خراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم وبعث بنو تميم ليمنعوه ولقيه الازد على رأس المغارة فقالوا ارجع عنا حتى نرى مآل أمركم ثم خطب يزيد الناس يدعوهم الى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد وأنّ جهاد أهل الشأم أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم ونكر ذلك الحسن البصرى والنضر بن أنس بن مالك وتابعهما الناس فى النكير وسار يزيد من البصرة الى واسط واستخلف عليها أخاه مروان بن المهلب واقام بواسط أياما ثم خرج منها سنة اثنتين ومائة واستخلف عليها أمان معونة وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله ابن الوليد بسورله فاقتتلوا وانهزم عبد الملك وعاد الى يزيد وأقبل مسلمة على شاطئ الفرات الى الانبار فعقد الجسر وعبر وسار حتى نزل على يزيد بن المهلب وفزع اليه ناس من أهل الكوفة وكان عسكره مائة وعشرين وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل الارصاد على أهل الكوفة أن يفزعوا الى يزيد بن المهلب وبعث بعثا الى مسلمة مع صبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمدا بالعساكر يبيتون مسلمة فأبى عليه أصحابه وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالاجابة فلا نغدرهم فقال يزيد ويحكم تصدقونهم انهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه والله ما فى بنى مروان امكر ولا أبعد غورا من هذه الجرادة الصغرى يعنى مسلمة وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البصرى يثبطهم ويتهدده فلم يكف ثم طلب الذين يجتمعون اليه فافترقوا فأقام مسلمة بن عبد الملك يطاول يزيد بن المهلب ثمانية أيام ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر فعبى أصحابه وعبى العباس ابن الوليد كذلك والتقوا واشتد القتال وأمر مسلمة فأحرق الجسر فسطع دخانه فلما رآه أصحاب يزيد انهزموا واعترضهم يزيد يضرب فى وجوههم حتى كثروا عليه فرجع ورجل فى أصحابه وقيل له قتل أخوك حبيب فقال لا خير فى العيش بعده ولا بعد الهزيمة ثم استمات ودلف الى مسلمة لا يريد غيره فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه

وفيهم أخوه محمد وبعث مسلمة برأسه الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة وقيل ان الذى قتله الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابى وأنف أن ينزل فيأخذ رأسه فأخذه غيره وكان المفضل بن المهلب يقاتل فى ناحية المعترك وما علم بقتل يزيد فبقى ساعة كذلك يكر ويفر حتى أخبر بقتل اخوته فافترق الناس عنه ومضى الى واسط وجاء أهل الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رؤبة رأس الطائفة المرجئة ومعه جماعة منهم صدق فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا وأسر مسلمة ثلثمائة أسير حبسهم بالكوفة وجاء كتاب يزيد الى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم فأمر العريان بن الهيثم صاحب الشرطة بذلك وبدأ بثمانين من بنى تميم فقتلهم ثم جاء كتاب يزيد باعفائهم فتركهم وأقبل مسلمة فنزل الحيرة وجاء الخبر بقتل يزيد الى واسط فقتل ابنه معاوية عدى بن أرطاة ومحمدا ابنه ومالكا وعبد الملك ابنا مسمع فى ثلاثين ورجع الى البصرة بالمال والخزائن واجتمع بعمه المفضل وأهل بيتهم وتجهزوا للركوب فى البحر وركبوا الى قندابيل وبها وداع بن حميد الازدى ولاه عليها يزيد بن المهلب ملجأ لاهل بيته ان وقع بهم ذلك فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم الى جبال كرمان فنزلوا بها واجتمع اليهم الفل من كل جانب وبعث مسلمة مدرك بن ضب الكلبى فى طلبهم فقاتلهم وقتل من أصحاب المفضل النعمان بن ابراهيم ومحمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث وأسر ابن صول قهستان وهرب عثمان بن اسحق بن محمد بن الاشعث فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب بنى المهلب فاستأمنوا وأمنهم مسلمة منهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدى التميمى ومضى الى آل المهلب ومن معهم قندابيل فمنعهم وداع بن حميد من دخولها وخرج معهم لقتال عدوهم وكان مسلمة قد رد مدرك بن ضب بعد هزيمتهم فى جبال كرمان وبعث فى أثرهم هلال بن أحور التميمى فلحقهم بقندابيل فتبعوا القتاله وبعث هلال راية أمان فمال اليه وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال وافترق الناس عن آل المهلب ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلوهم عن آخرهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبى عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل ملك الترك وبعث هلال بن أحور برؤسهم وسبيهم وأسراهم الى مسلمة بالحيرة فبعث بهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد الى العباس بن الوليد فى حلب فنصب الرؤس وأراد مسلمة أن يبتاع الذرية فاشتراهم الجراح بن عبد الله الحكمى بمائة ألف وخلى سبيلهم ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئا ولما قدم بالاسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب واستأمنت هند بنت المهلب لاخيها عيينة

الى يزيد بن عبد الملك فأمنه وأقام عمر وعثمان عند رتبيل حتى أمنهما أسد بن عبد الله القسرى وقدما عليه بخراسان

(ولاية مسلمة على العراق وخراسان)

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بنى المهلب ولاه يزيد بن عبد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان فأقر على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد وكان قد قام بأمر البصرة بعد بنى المهلب شبيب بن الحرث التميمى فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمى وأراد عبد الرحمن أن يقتل شيعة بن المهلب بالبصرة فعزله وولى على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمر ابن يزيد على الشرطة واستعمل مسلمة على خراسان صهره على سعيد ابن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبى العباس ويلقب سعيد خدينة دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة وسئل عنه لما خرج فقال خدينة وهى الدهقانة ربة البيت ولما ولاه على خراسان سار اليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند فسار اليها وقدم الصغد وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا الى الصلح فوبخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن فاعتذروا بأمر أميرهم على بن حبيب العبدى ثم حبس سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله وأطلقهم ثم حبس عمال يزيد بن المهلب رفع لهم انهم اختانوا الاموال فعذبهم فمات بعضهم فى العذاب وبقى بعضهم بالسجن حتى غزاهم الترك والصغد فأطلقهم

(العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد)

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب مع مسلمة أخيه والعباس بن أخيه الوليد قال له العباس انا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك ويبث ذلك فى أعضادنا وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه بن الوليد وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال أخوك أحق فان ابنك لم يبلغ وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده والوليد ابن احدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك ثم بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول الله بينى وبين من قدم هشاما عليك

(غزوة الترك)

لما ولى سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خدينة واستعمل شعبة على سمرقند ثم عزله كما مر وولى مكانه عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير فطمعت الترك وبعثهم خاقان الى الصغد وعلى الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى وفيه مائة أهل

بيت بدارينهم وكتبوا الى عثمان بسمرقند وخافوا أن يبطئ المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل فقال لهم المسيب من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه ألف وقالها بعد فرسخ فرجع ألف آخر ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف وسار حتى كان على فرسخين من العدو فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن وميعادهم غدا وقال أصحابي ثلثمائة مقاتل وهم معكم فبعث المسيب الى القصر رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه أحد فصاح بهما فقالا اسكت وادع لنا فلانا فأعلماه قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون فرجعا الى المسيب فأخبراه فعزم على تبييت الترك وبايعه أصحابه على الموت وساروا يومهم الى الليل ولما أمسى حثهم على الصبر وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا واعقروا الدواب فانه أشد عليهم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنته وان كثر أهله ثم دنوا من العسكر في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون وعقروا الدواب وترجل المسيب في أصحاب له فقاتلوا قتالا شديدا وقتل عظيم من عظماء الترك فانهزموا ونادى منادى المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا المال ومن حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله والا فله أربعون درهما وحملوا من في القصر الى سمرقند ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس

(غزو الصغد)

ولما كان من انتقاض الصغد واعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا تجهز سعيد لغزوهم وعبر النهر فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون ونهاهم سعيد عن اتباعهم وقال هم جباية أمير المؤمنين فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادي وقيل بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين وكان فيمن قتل شعبة بن ظهير في خمسين رجلا وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه ولما رجع من هذه الغزاة وكان سورة بن الابجر قد قال لحيان النبطي يوم أمر سعيد بالكف عن الصغد انهم جباية أمير المؤمنين فقال سورة ارجع عنهم يا حيان فقال عقيرة الله لا أدعها فقال

انصرف يا نبطي قال أنبط الله وجهك فقلدها عليه سورة وأغرى به سعيد خذينة وقال انه أفسد خراسان على قتيبة ويثب عليك ويتحصن ببعض القلاع فقال له سعيد لا يسمع هذا منك أحد ثم حاول عليه وسقاه لبنا قد ألقى فيه ذهبا مسحوقا ثم ركض والناس معه أربعة فراسخ فعاش حيان من بعدها ليالي قلائل ومات

(ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان)

كان مسلمة لما ولي على هذه الاعمال لم يدفع من الخراج شيأ واستحيا يزيد من عزله فكتب اليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله وسار لذلك سنة ثلاث وأربعمائة فلقيه عمر بن هبيرة بالطريق على دواب البريد وقال وجهني أمير المؤمنين لحيازة أموال بني المهلب فارتاب لذلك وقال له بعض أصحابه كيف يبعث ابن هبيرة من عند الجزيرة لمثل هذا الغرض ثم أتاه ان ابن هبيرة عزل عماله وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان وكان الحجاج يبعثه في البعوث وهو ممن سار لقتال مطرف بن المغيرة حين خلع ويقال انه الذي قتله وجاء برأسه فسيره الحجاج الى عبد الملك فاقطعه قرية قريبة من دمشق ثم بعثه الى كروم ابن مرثد الفزاري ليخلص منه مالا فارتاب وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائذا به من الحجاج وقال قتلت ابن عمه ولست آمنه على نفسي فأجاره عبد الملك وكتب الحجاج اليه فيه فقال أمسك عنه وعظم شأنه عبد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عبد العزيز على الروم من ناحية أرمينية وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم واستخدم أيام يزيد لمحبوبته حبابة فسعت له في ولاية العراق فولاه يزيد مكان أخيه مسلمة ولما ولي قدم عليه المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمر الليثي في وفد فشكوا من سعيد وحذيفة عاملهم وهو صهر مسلمة فعزله وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحريشي من بني الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فسار خذينة عن خراسان وقدم سعيد فلم يعرض لعماله ولما قدم على خراسان كان الناس بازاء العدو وقد نكثوا فحثهم على الجهاد وخاف الصغد منه بما كانوا أعانوا الترك أيام خذينة فقال لهم ملكهم احملوا له خراج ما مضى واضمنوا خراج ما يأتي والعمارة والغزو معه وأعطوه الرهن بذلك فأبوا الا أن يستجيروا بملك فرغانة وخرجوا من بلادهم الى خجندة وسألوا الجوار وأن ينزلوا شعب عصام فقال أمهلونا عشرين يوما أو أربعين لنخليه لكم وليس لكم علي جوار قبل دخولكم اياه ثم غزاهم الحريشي سنة أربع ومائة فقطع النهر ونزل قصير الريح على فرسخين من الدبوسية وأتاه ابن عم ملك فرغانة يغريه بأهل الصغد وانهم بخجندة ولم يدخلوا جواره بعد فبعث معه عبد الرحمن القشيري في عسكر وجاء في اثره حتى نزلوا على خجندة وخرج أهل صغد لقتالهم فانهزموا وقد كانوا حفروا

خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق ثم حاصرهم الحريشي ونصب عليهم المجانيق وأرسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا تجوزوا قبل الاجل الذي بيني وبينكم فسألوا الصلح من الحريشي على أن يردوا ما في أيديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة وان أحدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر على كل من يعرفه وبلغ الحريشي انهم قتلوا امرأة فقتل قاتلها فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة وقتل الصغد من أسرى المسلمين مائة وخمسين ولقي الناس منهم عنتا ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف وكتب الحريشي الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعمر بن هبيرة فأحفظه ذلك ثم سرح الحريشي سليمان بن أبي السري الى حصن يطيف به وراء الصغد ومعه خوارزم شاه وملك أجرون وسومان فسار سليمان وعلى مقدمته المسيب ابن بشر الرياحي ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصرهم فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل وبعث الى الحريشي فقبضه وبعث من قبضه وسار الحريشي الى كش فصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار على قبضها واستعمل على كش ونسف حربا وخراجا سليمان بن السري واستنزل مكانه آخر اسمه قشقري من حصنه على الامان وجاء به الى مرو فشنقه وصلبه

* (ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر) *

ولما سار ابن هبيرة على الجزيرة وأرمينية تشبب البهراني خفل لهم الخزر وهم التركمان واستجاشوا بالقفجاق وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين بمرج الحجارة فهزموهم واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه وقدم المنهزمون على يزيد ابن عبد الملك فولى على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وأمده بجيش كثيف وسار لغزو الخزر فعادوا للباب والابواب ونزل الجراح بردعة فأراح بها قليلا ثم سار نحوهم وعبر نهر الكر وأشاع الاقامة ليرجع بذلك عيونهم اليهم ثم أسرى من ليلته وأجد السير الى مدينة الباب فدخلها وبث السرايا للنهب والغارة وزحف اليه التركمان وعليهم ابن ملكهم فلقيهم عند نهر الزمان واشتد القتال بينهم ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم وغنم المسلمون ما معهم وساروا حتى نزلوا على الحصن ونزل أهلها على الامان فقتلهم ثم سار الى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام ثم نزلوا على الامان ونقلهم ثم ساروا الى بلنجر وقاتلهم التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة وغنم

المسلمون جميع ما فيه فأصاب الفارس ثلثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفا ثم ان الجراح رجع حصن بلنجر الى صاحبه وردّ عليه أهله وماله على أن يكون عينا للمسلمين على الكفار ثم نزل على حصن الوبند وكان به أربعون ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال أعطوه اياه ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين فأقام في رستاق سبي وكتب الى يزيد بالفتح وطلب المدد وكان ذلك آخر عمر يزيد وبعث هشام بعد ذلك اليه بالمدد وأقره على العمل

(ولاية عبد الواحد القسري على المدينة ومكة)

كان عبد الرحمن بن الضحاك عاملا على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز وأقام عليها ثلاث سنين ثم حدثته نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت فهددها بأن يجلد ابنها في الخمر وهو عبد الله بن الحسن المثنى وكان على ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هرمز ولما رفع حسابه وأراد السير الى يزيد جاء ليودّع فاطمة فقالت اخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض لي ثم بعث رسولها بكتابها الى يزيد يخبره وقدم ابن هرمز على يزيد فبينا هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فذكر ابن هرمز ما حملته فنزل عن فراشه وقال عندك مثل هذا وما تخبرني به فاعتذر بالنسيان فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب وجعل ينكت الارض بخيزرانة ويقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعني صوته في العذاب قيل له عبد الواحد بن عبد الله القسري فكتب اليه بيده قد وليتك المدينة فانهض اليها واعزل ابن الضحاك وغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع وأنا على فراشي وجاء البريد بالكتاب اليه ولم يدخل على ابن الضحاك فأحضر البريد ودس اليه بألف دينار فأخبره الخبر فسار ابن الضحاك الى مسلمة بن عبد الملك واستجار به وسأل مسلمة فيه يزيد فقال والله لا أعفيه أبدا فردّه مسلمة الى عبد الواحد بالمدينة فعذبه ولقي شرًّا ولبس جبة صوف يسأل الناس وكان قد آذى الانصار فذموه وكان قدوم القسري في شوّال سنة أربع ومائة وأحسن السيرة فأحبه الناس وكان يستشير القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله

(عزل الحريشي وولاية مسلم الكلابي على خراسان)

كان سعيد الحريشي عاملا على خراسان لابن هبيرة كما ذكرنا وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه ويكنيه أبا المثنى وبعث من عيونه من يأتيه بخبره فبلغه أعظم مما سمع فعزله وعذبه حتى أدّى الاموال وعزم على قتله ثم كف عنه وولى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ولما جاء الى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا

فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسري في طلبه الحريشي فأدركه على الفرات وقال لابن هبيرة ما ظنك بي قال انك لا تدفع رجلا من قومك الى رجل من قسر قال هو ذاك ثم انصرف وتركه

(وفاة يزيد وبيعة هشام)

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لاربع سنين من خلافته وولي بعده أخوه هشام بعهده اليه بذلك كما مر وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك فعزل عمر ابن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فسار الى العراق من يومه

(غزو مسلم الترك)

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة فعبر النهر وعاث في بلادهم ولم يفتح شيئا وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر فعبر بالناس ولم ينالوا منه ثم غزا بقية السنة وحاصر افشين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ثم دفعوا اليه القلعة ثم غزا سنة ست ومائة وتباطأ عنه الناس وكان ممن تباطأ البختري بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار الى بلخ وأمره أن يخرج الناس اليه وعلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم فجاء نصر وأحرق باب البختري وزياد بن طريف الباهلي ثم منعهم عمر من دخول بلخ وقد قطع سعيد النهر ونزل نصر بن سيار البروقان وأتاه جند الضلاضيان وتجمعت ربيعة والازد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر وخرجت مضر الى نصر وخرج عمر بن مسلم الى ربيعة والازد وتوافقوا وسفر الناس بينهما في الصلح وانصرف نصر ثم حمل البختري وعمر بن مسلم على نصر فكر عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم وأتى بعمر بن مسلم والبختري وزياد ابن طريف فضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل ان سبب تعزير عمر بن مسلم انهزام تميم عنه وقيل انهزام ربيعة والازد ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه سار الى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسري بولايته ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة وبلغه ان خاقان قد أقبل اليه فارتحل ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين وقتل المسيب ابن بشر الرياحي والبراء من فرسان المهلب وأخو غورك وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام والترك مطيفون بهم بعد أن أمر باحراق ما ثقل من الامتعة فأحرقوا ما قيمته ألف ألف وأصبحوا في التاسع قريب النهر دونه أهل فرغانة والشاش فأمر مسلم الناس أن يخترطوا سيوفهم ويحملوا فافرج أهل فرغانة والشاش عن النهر ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد واتبعهم

ابن خاقان فكان حميد بن عبد الله على الساقة من وراء النهر وهو مثخن بالجراحة فبعث الى مسلم بالانتظار وعطف على الترك فقاتلهم وأسر قائدهم وقائد الصغد ثم أصابه سهم فمات وأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد ولقيهم هنالك كتاب أسد ابن عبد الله القسرى أخى خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعا وطاعة

(ولاية أسد القسرى على خراسان)

ولما غزا خالد بن عبد الله خراسان استخلف عليها أخاه أسد بن عبد الله فقدم ومسلم ابن سعيد بفرغانة فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الاشهب بن عبد الله التميمى وكان على السفن بآمد حتى عرفه أنه الامير فأذن له ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانى بن هانئ فخرج بالناس وتلقى أسدا وأدخله سمرقند وبعث أسد الى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر فقفل بالناس الى سمرقند ثم عزل أسدا عنها وولى مكانه الحسن بن أبى العمرطة الكندى ثم قدم مسلم بن سعيد بن عبد الله بخراسان فكان يكرمه ومر بابن هبيرة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه ثم غزا الغور وهى جبال هراة فوضع أهلها أثقالهم فى الكهوف ولم يكن اليها طريق فاتخذ التوابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه ثم قطع كماق النهر وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الجسر ثم سار الى ءوبرين وقاتلها وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن أحوز وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه

(ولاية أشرس على العراق)

كان أسد بن عبد الله فى ولايته على خراسان يتعصب حتى أفسد الناس وضرب نصر ابن سيار بالسياط وعبد الرحمن بن نعيم وسورة بن أبجر والبخترى بن أبى درهم وعامر ابن مالك الحمانى وحلقهم وسيرهم الى أخيه وكتب اليه انهم أرادوا الوثوب بى فلامه خالد وعنفه وقال هلا بعثت برؤسهم وخطب أسد يوما فلعن أهل خراسان فكتب هشام بن عبد الملك الى خالد اعزل أخاك فعزله فى رمضان سنة تسع وولى مكانه الحكم ابن عوانة الكلبى فقعد عن الصائفة تلك السنة فاستعمل هشام على خراسان أشرس ابن عبد الله السلمى وأمره أن يراجع خالدا فكان خيرا ففرح به أهل خراسان

(عزل أشرس)

أرسل أشرس الى سمرقند سنة عشر ومائة أبا الصيدا صالح بن طريف مولى بنى ضبة

والربيع بن عمران التميمى الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية وعليها الحسن بن العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعاهم لذلك وأسلموا وكتب غورك الى الاشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن العمرطة بلغنى ان أهل الصغد واشباههم لم يسلموا رغبة وانما أسلموا نفورا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه ثم عزل ابن العمرطة عن الخراج وولى عليها ابن هانئ ومنعهم أبو الصيدا أخذ الجزية ممن اسلم وكتب هانئ الى اشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد فكتب اليه والى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم فامتنعوا واعتزلوا فى سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وخرج معهم أبو الصيدا وربيع بن عمران والهيثم الشيبانى وأبو فاطمة الازدى وعامر بن قشير وبشير الجحدرى وبيان العنبرى واسمعيل بن عقبة لينصروهم وبلغ الخبر الى أشرس فعزل ابن العمرطة عن الحرب وولى مكانه المجشر ابن مزاحم السلمى وعميرة بن سعد الشيبانى فكتب المجشر الى أبى الصيدا يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قطنة فحبسهما وسيرهما الى أشرس واجتمع الباقون وولوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم وألح هانئ فى الخراج واستخف بفعل العجم والدهاقين وأقيموا فى العقوبات وحرقت ثيابهم وألقيت مناطقهم فى أعناقهم وأخذت الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك وخرج أشرس غازيا فنزل آمد وأقام أشهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فى عشرة آلاف فعبر النهر ولقى الترك وأهل الصغد وبخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا فى خندقه وأغار الترك على سرح المسلمين وأطلق أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود ابن عمرو وبعثه معه فى خيل فاستنقذ من أيدى الترك ما أخذوه ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا أمامهم وسار أشرس بالناس حتى جاء بيكند فحاصرها المسلمون وقطع أهل البلد عنهم الماء وأصابهم العطش فرحلوا الى المدينة واعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا وأبلى الحرث بن شريح وقطن بن قتيبة بلاء شديدا وأزالوا الترك عن الماء فقتل يومئذ ثابت قطنة وصخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى وغيرهم وحمل قطن بن قتيبة فى جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع أشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها وعليهم الحرث بن شريح الازدى ثم حاصر خاقان مدينة كرجة من خراسان وبها جمع من المسلمين وقطعوا القنطرة

وأتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقال ان خاقان جاء يرد على منكبي وأنا آخذ لكم الامان فشتموه وأتاهم بزغرى فى مائتين وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فطلب رجلا يكلمه فجاءه يزيد بن سعد الباهلى فرغبه باضعاف العطاء والاحسان على النزول ويسيرون معهم فلاطفه ورجع الى أصحابه وقال هؤلاء يدعونكم لقتال المسلمين فأبوا وأمر خاقان فألقى الحطب الرطب فى الخندق ليقطعه وألقى المسلمون اليها ثم ابأ كلوها ويحشوا جلودها ترابا ويملؤا بها الخندق وأرسل الله سبحانه سحابة فاحتمل السيل ما فى الخندق الى النهر الاعظم ورمى المسلمون بالسهام فأصيب بزغرى بسهم ومات من ليلته فقتلوا جميع من عندهم من الاسرى والرهن ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فرغانة فجردوا عليهم واشتد قتالهم وصالحهم المسلمون على أن يسلموا اليهم كرجة ويرحلوا عليها الى سمرقند والدبوسية وتراهنوا على ذلك وتأخر خاقان حتى يخرجوا وخلف معهم كورصول ليبلغهم الى مأمنهم فارتحلوا حتى بلغوا الدبوسية وأطلقوا الرهن وكان مدة الحصار ستين يوما

(عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد)

وفى سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى أهدى الى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت هشاما فاهدى له أخرى مثلها فولاه خراسان وحمله على البريد فقدم خراسان فى خمسمائة ووجد الخطاب ابن محرز السلمى خليفة أشرس على خراسان فسار الجنيد الى ماوراء النهر ومعه الخطاب واستخلف على مرو المجشر بن مزاحم السلمى وعلى بلخ سورة بن أبجر التميمى وبعث الى أشرس وهو يقاتل أهل بخارى والصغد أن يبعث اليه بسرية مخافة أن يعترضه العدو فبعث اليه أشرس عامر بن مالك الحمانى فعرض له الترك والصغد فقاتلوهم ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم فانهزم الترك ولحق عامر بالجنيد فأقبل معه وعلى مقدمته عمارة بن حزيم واعترضه الترك فهزمهم وزحف اليه خاقان بنواحى سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقته فهزم خاقان وأسر ابن أخيه وبعث به الى هشام ورجع الى مرو ظافرا واستعمل قطن بن قتيبة على بخارى والوليد بن القعقاع العبسى على هراة وحبيب بن مرة العبسى على شرطته ومسلم بن عبد الرحمن الباهلى على بلخ وعليها نصر بن سيار فبعث مسلم الى نصر فجىء به فى قميص دون سراويل فقال شيخ مضر جئتم به على هذه الحالة فعزل الجنيد مسلما عن بلخ وأوفد وفدا الى هشام بخبر غزاته

(مقتل الجراح الحكمى)

قد كان تقدم لنا دخوله الى بلاد الخزر سنة أربع ومائة وانهزامهم أمامه وانه أثخن فيهم وملك بلنجر وردها على صاحبها وأدركه الشتاء فأقام هنالك وان هشاما أقره على عمله ثم ولاه أرمينية فدخل بلاد التركمان من ناحية تفليس سنة احدى عشرة ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف ظافرا فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللان وزحف اليهم الجراح سنة اثنتى عشرة ولقيهم بمرج اردبيل فاقتتلوا أشد قتال وتكاثر العدو عليه فاستشهد ومن معه وقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية ولما قتل طمع الخزر وهم التركمان وأوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وقيل كان قتله ببلنجر ولما بلغ الخبر هشاما دعا سعيدا الحريشى فقال بلغنى أن الجراح انهزم قال الجراح اعرف بالله من أن ينهزم ولكن قتل فابعثنى على أربعين من دواب البريد وابعث الى كل يوم أربعين رجلا مددا واكتب الى أمراء الاجناد يواسونى ففعل وسار الحريشى فلا يمر بمدينة الا ويستنهض أهلها فيجيبه من أراد الجهاد ووصل مدينة أزور فلقيه جماعة من أصحاب الجراح فردهم معه ووصل الى خلاط فحاصرها وفتحها وقسم غنائمها ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون الى بروعة فنزلها وابن خاقان يومئذ باذربيجان يحاصر مدينة ورثان منها ويعيث فى نواحيها وبعث الحريشى الى أهل ورثان يخبرهم بوصوله فأفرج العدو عنهم ووصل اليهم الحريشى ثم اتبع العدو الى أردبيل وجاءه بعض عيونه بان عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا فبيتهم وقتلهم أجمعين ولم ينج منهم أحد واستنقذ المسلمين منهم وسار الى باجروان فجاءه عين آخر ودله على جمع منهم فسار اليهم واستلحمهم أجمعين واستنقذ من معهم من المسلمين وكان فيهم أهل الجراح وولده فحملهم الى باجروان ثم زحف اليهم جموع الخزر مع ابن ملكهم والتقوا بأرض زرند واشتد القتال والسبى من معسكر الكفار فبكى المسلمون رحمة لهم وصدقوا الحملة فانهزم الكفار واتبعهم المسلمون الى نهر ارس وغنموا ما كان معهم من الاموال واستنقذوا الاسرى والسبايا وحملوهم الى باجروان ثم تناصر الخزر فى ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البيلقان واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا فكان من غرق أكثر من قتل وجمع الحريشى الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وكتب الى هشام بالفتح واستقدمه وولى أخاه مسلمة على أرمينية واذربيجان

(وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان)

وخرج الجنيد سنة اثنتى عشرة ومائة من خراسان غازيا الى طخارستان وبعث اليها عمارة

ابن حزيم فى ثمانية عشر ألفا وبعث ابراهيم بن سلم الليثى فى عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك وزحف بهم خاقان الى سمرقند وعليها سورة بن أبجر فكتب الى الجنيد مستغيثا فأمر الجنيد بعبور النهر فقال له المجشر بن مزاحم السلمى وابن بسطام الازدى ان الترك ليسوا كغيرهم وقد مزقت جندك فسلم ابن عبد الرحمن بالنبراود والبحترى بهراة وعمارة بن حزيم بطخارستان ولا تعبر النهر فى أقل من خمسين ألفا فاستقدم عمارة وأمهل فقال أخشى على سورة وعبر الجنيد فنزل كش وتأهب للسير وغور الترك الآبار فى طريق كش وسار الجنيد على التعبية واعترضه خاقان ومعه أهل الصغد وفرغانة والشاش وحملوا على مقدمته وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا والترك فى أتباعهم ثم حملوا على المدينة وأمدهم الجنيد بنصر بن سيار وشدوا على العدو وقتل أعيانا منهم وأقبل الجنيد على الميمنة وأقبل تحت راية الازد فقال له صاحب الراية ماقصدت كرامتنا لكن علمت انا لا نصل اليك ومنا عين تطرف فصبروا وقاتلوا حتى كلت سيوفهم وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل وتعانقوا ثم تحاجزوا وهلك من الازد فى ذلك المعترك نحو من ثمانين فيهم عبد الله بن بسطام ومحمد بن عبد الله بن جودان والحسين بن شيخ ويزيد بن المفضل الحرانى وبين الناس كذلك اذ طلعت أوائل عسكر خاقان فنادى منادى الجنيد بالنزول فترجلوا وخندق كل كائن على رجاله وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتد القتال وأشار أصحاب الجنيد عليه بأن يبعث الى سورة بن أبجر من سمرقند ليستقدم الترك اليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد وأصحابه فكتب يستقدمه فاعتذر فأعاد عليه وتهدده وقال اخرج وسر مع النهر لا تفارقه فلما خرج هو استبعد طريق النهر واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلى وسار مجد فى اثنى عشر ألفا حتى اذا بقى بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند الصباح وحال بينهم وبين الماء واضرم النار فى اليبس حواليهم فاستماتوا وحملوا وانكشفت الترك وأظلم الجو بالعجاج وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم الا القليل وانحاش بالناس المهلب بن زياد والعجمى فى ستمائة أو ألف ومعه قريش بن عبد الله العبدى الى رستاق المرغاب وقاتلوا بعض قصوره فأصيب المهلب وولوا عليهم الرحب بن خالد وجاءهم الاسكيد صاحب نسف وغورك ملك الصغد فنزلوا معه الى خاقان فلم يجز أمان غورك وقتلهم ولم ينج منهم ثم خرج الجنيد من الشعب قاصدا سمرقند وأشار عليه مجشر ابن مزاحم بالنزول فنزل ووافقته جموع الترك فجال الناس جولة وصبر المسلمون وقاتل

العبيد وانهزم العدو ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل العيالات الى مرو وأقام بالصغد أربعة أشهر وكان صاحب الرأى بخراسان فى الحرب المجشر بن مزاحم السلمى وعبد الرحمن بن صبح المخزومى وعبيد الله بن حبيب الهجرى ولما انصرفت الترك بعث الجنيد نهار بن توسعة بن تيم الله وزميل بن سويد بن شيم بالخبر وتحامل فيه على سورة بن أبجر بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدو منه فكتب اليه هشام قد بعث اليك من المدد عشرة آلاف من البصرة ومثلها من الكوفة وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفا وأقام الجنيد بسمرقند وسار خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف عليه من الترك واستشار عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم بعد ان اختلف عليه أصحابه فاشترط عليه أن لا يخالفه فأشار بحمل العيالات من سمرقند فقدمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير فى أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ووفر أعطياتهم وسار العيالات فى مقدمته حتى من الضيق ودنا من الطواويس فأقبل اليه خاقان بكرمينية أول رمضان سنة اثنتى عشرة واقتتلوا قليلا ثم رجع الترك وارتحل من الغد فاعترضه الترك ثانيا وقتل مسلم بن أحوز بعض عظمائهم فرجعوا من الطواويس ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى وقدمت الجنود من البصرة والكوفة فسرح الجنيد معهم حورثة بن زيد العنبرى فيمن انتدب معه

(ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد)

بلغ هشاما سنة ست عشرة أن الجنيد بن عبد الرحمن عامل خراسان تزوج بنت يزيد بن المهلب فغضب لذلك وعزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى وكان الجنيد قد مرض بالاستسقاء فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فأزهق نفسه فلما قدم عاصم وجده قد مات وكانت بينهما عداوة فحبس عمارة بن حزيم وكان الجنيد استخلفه وهو ابن عذبة فعذبه عاصم وعذب عمال الجنيد

(ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان)

لما عاد مسلمة من غزو الخزر وهم التركمان الى بلاد المسلمين وكان فى عسكره مروان بن محمد بن مروان فخرج مختفيا عنه الى هشام وشكا له من مسلمة وتخاذله عن الغزو وما أدخل بذلك على المسلمين من الوهن وبعث الى العدو بالحرب وأقام شهرا حتى استعدوا وحشدوا ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد أراد السلامة ورغب اليه بالغزو اليهم لينتقم منهم وأن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه فأجابه لذلك وولاه على أرمينية فسار اليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة فأظهر انه يريد غزو اللان وبعث الى ملك الخزر فى المهادنة فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح

فأمسكهم مروان الى أن تجهزو وودّعهم وسار على أقرب الطرق فوافاهم ورأى ملك الخزر أنّ اللقاء على تلك الحال غرر فتأخر الى أقصى بلاده ودخل مروان فأوغل فيها وخرب وغنم وسبى الى آخرها ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جوارى ومائة ألف مد تحمل الى الباب وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد ثم دخل أرض وردكران فصالحوه ثم أتى حمرين وافتتح حصنهم ثم أتى سبدان فافتتحها صلحا ثم نزل صاحب اللكز فى قلعته وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج يريد ملك الخزر فأصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكز مروان وأدخل عامله وسار مروان الى قلعة سروان فأطاعوا وسار الى الرودانية فأوقع بهم ورجع

(خلع الحرث بن شريح بخراسان)

كان الحرث هذا عظيم الازد بخراسان فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بنى العباس هنالك وأقبل الى الغاربات وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حيان النبطى والخطاب بن محرز السلمى فحبسهما وفرّوا من السجن الى عاصم بدم الحرث وغدره وسار الحرث من الغاربات الى بلخ وعليها نصر بن سيار والتجيبى فلقياه فى عشرة آلاف وهو فى أربعة فهزمهم وملك بلخ واستعمل عليها سليمان بن عبد الله بن حازم وسار الى الجوزجان عليها ثم سار الى مرو ونمى الى عاصم انّ أهل مرو يكاتبونه فاستوثق منهم بالقسامة وخرج وعسكر قريبا من مرو وقطع الجسور وأقبل الحرث فى ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم ودهاقين الجوزجان والغاربات وملك الطالقان وأصلحوا القناطر ثم نزع محمد بن المثنى فى ألفين من الازد وحماد بن عامر الحمانى فى مثلها من بنى تميم الى عاصم ولحقوا به ثم اقتتلوا فانهزم الحرث وغرق كثير من أصحابه فى نهر مرو وقتلوا قتلا ذريعا وكان ممن غرق حازم ولما قطع الحرث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع اليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم

(ولاية أسد القسرى الثانية بخراسان)

كتب عاصم الى هشام سنة سبع عشرة أنّ خراسان لا تصلح الا أن تضم الى العراق ليكون مددها قريب الغوث فضم هشام خراسان الى خالد بن عبد الله القسرى وكتب اليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أخاه أسدا فسار على مقدمته محمد بن مالك الهمدانى (ولما بلغ عاصم) الخبر راود الحرث بن شريح على الصلح وأن يكتبا جميعا الى هشام يسألانه الكتاب والسنة فان أبى اجتمعا وأبى بعض أهل خراسان ذلك

فانتقض بينهما واقتتلا فانهزم الحرث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم وبعث بالفتح الى هشام مع محمد بن مسلم العنبرى فلقيه أسد بالرى وجاء الى خراسان فبعث عاصما وطلبه بمائة ألف درهم وأطلق عمارة بن حزيم وعمال الجنيد ولم يكن لعاصم بخراسان الا مرو ونيسابور وكانت مرو الروذ للحرث وواصل لخالد بن عبيد الله الهجرى على مثل رأى الحرث فبعث أسد عبد الرحمن بن نعيم فى أهل الكوفة والشأم الى الحرث وسار هو بالناس الى آمد فخرج اليه زياد القرشى مولى حيان النبطى فى العسكر فهزمهم أسد وحاصرهم حتى سألوا الامان واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى وسار الى بلخ وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم فسار حتى قدمها ثم سار منها الى ترمذ والحرث محاصر لهما وأعجزه وصول المدد اليها فخرج الى بلخ وخرج أهل ترمذ فهزموا الحرث وقتلوا أكثر أصحابه ثم سار أسد الى سمرقند ومر بحصن زم وبه أصحاب الحرث فبعث اليهم وقال انما نكرتم منا سوء السيرة ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفروج ولا مظاهرة المشركين على مثل سمرقند وأعطاه الامان على تسليم سمرقند وهدده ان قاتل بأنه لا يؤمنه أبدا فخرج الى الامان وسار معه الى سمرقند فانزلهم على الامان ثم رجع أسد الى بلخ وسرح جديعا الكرمانى الى القلعة التى فيها ثقل الحرث وأصحابه فى طخارستان فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو برزى من تغلب أصحاب الحرث وباع سبيهم فى سوق بلخ وانتقض على الحرث أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة ورئيسهم جرير ابن ميمون القاضى فقال لهم الحرث ان كنتم مفارقى ولا بد فاطلبوا الامان وان طلبتموه بعد رحيلى لا يعطونه لكم فأبوا الا ان ارتحل فبعثوا بالامان فلم يجبهم اليه وسرح جديعة الكرمانى فى ستة آلاف فحصرهم حتى نزلوا على حكمه وحمل خمسين منهم الى أسد فيهم ابن ميمون القاضى فقتلهم وكتب الى الكرمانى باهلاك الباقين واتخذ أسد مدينة بلخ دارا ونقل اليها الدواوين ثم غزا طخارستان وأرض جبونة فغنم وسبى

(مقتل خاقان)

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عبد الله بلاد الختل فافتتح منها قلاعا وامتلأت أيدى العسكر من السبى والشاء وكتب ابن السائحى صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ويضعفهم له فتجهز وخفف من الازودة استعجالا للعرب فلما أحس به ابن السائحى بعث بالنذير الى أسد فلم يصدقه فأعاد عليه انى الذى استمددت خاقان لانك معرت البلاد ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب واستطالة خاقان على فصدقه حينئذ أسد وبعث الاثقال مع ابراهيم بن عاصم العقيلى الذى كان ولى

سجستان وبعث معه المشيخة كثير بن أمية وأبا سفيان بن كثير الخزاعي وفضيل بن حيان المهري وغيرهم وأمدهما بجند آخر وجاء في أثرهم فانتهى الى نهر بلخ وقد قطعه ابراهيم بن عاصم بالسبي والاثقال لخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعا وحمل الناس شياههم حتى حمل هو شاة فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى المسلحة الازد وتميم فحمل خاقان عليهم فانكشفوا فرجع أسد الى عسكره وخندق وظنوا أن خاقان لا يقطع النهر فقطع النهر اليهم وقاتله المسلمون في معسكرهم وباتوا والترك محيطون بهم فلما أصبحوا لم يروا منهم أحدا فعلموا أنهم اتبعوا الاثقال والسبي واستعملوا عليها من الطلائع فشاور أسد الناس فأشاروا بالمقام وأشار نصر بن سيار باتباعهم يخلص الاثقال ويقطع شقة لا بد من قطعها فوافقه أسد وطير النذير الى ابراهيم بن عاصم وصبح خاقان للاثقال وقد خندقوا عليهم فأمر أهل الصغد بقتالهم فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم وأمر الترك أن يأتوهم من هنالك ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم وقتلوا صاغان خذاه وأصحابه وأحسوا بالهلاك واذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلا قليلا وجاء أسد ووقف على التل الذي كان عليه خاقان وخرج اليه بقية الناس وجاءته امرأة صاغان خذاه معولة فأعول معها ومضى خاقان يقود أسرى المسلمين في الآفاق ويسوق الابل الموقورة والجواري وأراد أهل العسكر قتالهم فمنعهم أسد ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أصحاب الحرث بن شريح يعير أسدا ويحرضه ويقول قد كان لك عن الختل مندوحة وهي أرض آبائي وأجدادي قد كان ما رأيت ولعل الله ينتقم منك ومضى أسد الى بلخ فعسكر في مرجها حتى جاء الشتاء فدخل البلد وشتى فيها وكان الحرث بن شريح بناحية طخارستان فانضم الى خاقان وأغراه بغزو خراسان وزحفوا الى بلخ وخرج أسد يوم الاضحى فخطب الناس وعرفهم بأن الحرث بن شريح استجلب الطاغية ليطفئ نور الله ويبدل دينهم وحرضهم على الاستنصار بالله وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجدا ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء وخرج للقائهم وقد استمد خاقان من وراء النهر وأهل طخارستان وجبونة في ثلاثين ألفا وجاء الخبر الى أسد وأشار بعض الناس بالتحصن منهم بمدينة بلخ واستمد خالد وهشام وأبى الاسد الا اللقاء فخرج واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وعهد اليه انه لا يدع أحدا يخرج من المدينة واعتزم نصر بن سيار والقاسم بن بخيت وغيرهم على الخروج فأذن لهم وصلى بالناس ركعتين وطول ثم دعا وأمر الناس بالدعاء ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف ثم بدا له وارتحل فلقي طليعة خاقان وأسر قائدهم وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان ثم أصبحوا وقد

تراءى الجمعان وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان اه وحملت الترك على الميسرة فانهزموا الى رواق أسد فشدت عليهم الاسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة فانكشفوا الى خاقان وقد انهزم والحرث معه واتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم واستاقوا مائة وخمسين ألفا من الشاء ودواب كثيرة وسلك خاقان غير الجادة والحرث بن شريح ولقيهم أسد عند الطريقة وسلك الجوزجان بعثمان بن عبد الله بن الشخير طريقا يعرفها حتى نزلوا على خاقان وهو آمن فتركوا الابنية والقدور تغلى وبناء العرب والموالى والعسكر مشحون من آنية الفضة وركب خاقان والحرث يمانع عنه وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصى الموكل بها وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بها أسراهم وأقام خمسة أيام وانصرف الى بلخ التاسعة من خروجه ونزل الجوزجان وخاقان هارب امامه وانتهى خاقان الى جونة الطغارى فنزل عليه وانصرف أسد الى بلخ وأقام خاقان عند جونة حتى أصلح آلته وسار وسيبه بها فأخذه جدكاوش أبو فشين فأهدى اليه وأتحفه وحمل أصحابه يتخذ بذلك عنده يدا ثم وصل خاقان بلاده وأخذ فى الاستعداد فى الحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحرث وابن شريح وأصحابه على خمسة آلاف برذون ولاعب خاقان بالنرد كورصول يوما فغمزه كورصول فأنف وتشاجر فصك كورصول يد خاقان فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع ثم بيت خاقان فقتله وافترق الترك وجلوه وتركوه بالعراء فحمله بعض عظمائهم ودفنه وكان أسد بعث بالفتح من بلخ الى خالد بن عبد الله فأخبره وبعث به الى هشام فلم يصدقه ثم بعده القاسم بن نجيب بقتل خاقان فخشيت قيس أسدا وخالدا وقالوا لهشام استقدم مقاتل بن حيان فكتب بذلك الى خالد فأرسل الى أسد أن يبعث به فتقدم على هشام والابرش وزيره جالس عنده فقص عليه الخبر فسر بذلك وقال لمقاتل ما حاجتك قال يزيد بن المهلب أخذ من حيان أبى مائة ألف درهم بغير حق فأمر بردها على فاستحلفه وكتب له بردها وقسمها مقاتل بين ورثة حيان ثم غزا أسد الختل بعد مقتل خاقان وقدم مصعب بن عمر الخزاعى اليها فسار الى حصن بدرطرخان فاستأمن له أن يلقى أسدا فأمنه وبعث الى أسد فسأل أن يقبل منه ألف درهم وراوده على ذلك فأبى أسد ورده الى مصعب ليرده الى حصنه فقال له مسلمة بن أبى عبد الله وهو من الموالى أن أمير المؤمنين سيندم على حبسه ثم أقبل أسد بالناس ووعده المجشر بن مزاحم بدرطرخان أو قبول ما عرض فندم أسد وأرسل الى مصعب يسأل عنه فوجده مقيما عند مسلمة فجىء به وقطعت يده ثم أمر رجلا من الازد كان بدرطرخان قتل أباه فضرب عنقه وغلب على القلعة وبعث

العساكر فى بلاد الختل فامتلأت أيديهم من الغنائم والسبى وامتنع ولد بدر طرخان وأمواله فى قلعة فوق بلدهم صغيرة فلم يوصل اليهم

(وفاة أسد)

وفى ربيع الاول سنة عشرين توفى ابن عبد الله القسرى بمدينة بلخ واستخلف جعفر ابن حنظلة النهروانى فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل فى رجب

(ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق وعزل خالد)

وفى هذه السنة عزل هشام خالدا عن أعماله جميعها بسعاية أبى المثنى وحسان النبطى وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق فثقلا على خالد وأمر الاشدق بالنهوض على الضياع وانهى ذلك حسان بعد أبى المثنى وأن غلته فى السنة ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت فى نفس هشام وأشار عليه بلال بن أبى بردة والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام ويضمنون له الرضا فلم يجبهم ثم شكا من خالد بعض آل عمر والاشدق بأنه أغلظ له فى القول بمجلسه فكتب اليه هشام يوبخه ويأمره بأن يمشى ساعيا على قدميه الى بابه ويترضاه ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة وأنه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد بلغنى أنك تقول ما ولاية العراق لى بشرف يا ابن اللخناء كيف لا تكون امرة العراق لك شرفا وأنت من بجيلة القليلة الذليلة أما والله انى لاظن أن أول من يأتيك صقر من قريش يشد يديك الى عنقك ثم كتب الى يوسف ابن عمر الثقفى وهو باليمن يأمره أن يقدم فى ثلاثين من أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك فسار الى الكوفة ونزل قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده وأهدى اليه وصيفا ووصيفة سوى الاموال والثياب ومر يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنوهم خوارج وركب يوسف الى دور ثقيف فكتموا ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مضر ودخل مع الفجر فصلى وأرسل الى خالد وطارق فأخذهما وقيل ان خالدا كان بواسط وكتب اليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق فركب الى خالد وأخبره بالخبر وقال اركب الى أمير المؤمنين واعتذر اليه قال لا أفعل بغير اذن قال فترسلنى أستأذنه قال لا قال فاضمن له جميع ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهده وهى مائة ألف ألف قال والله ما أجد عشرة آلاف ألف قال أتحملها أنا وفلان وفلان قال لا أعطى شيأ وأعود فيه فقال طارق انما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستبقى الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجىء من يطالبنا بالاموال وهى عند الكوفة فنقتل ويأكلون الاموال فأبى خالد من ذلك كله فودعه طارق ومضى وبكى ورجع الى الكوفة وخرج خالد الى الحمة وجاء كتاب هشام بخطه الى

يوسف بولاية العراق وأن يأخذ ابن النصرانية يعنى خالدا وعماله فيعذبهم فأخذ الاولاد وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت وقدم فى جمادى الاخيرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة فضربه ضربا مبرحا ودخل الكوفة وبعث عثمان عطاء بن مقدم الى خالد بالحمة فقدم عليه وحبسه وصالحه عنه ابان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف وقيل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة ولما ولى يوسف نزلت الذلة بالعراق فى العرب وصار الحكم فيه الى أهل الذمة

(ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد)

ولما مات أسد بن عبد الله ولى هشام على خراسان نصر بن سيار وبعث اليه عهده على عبد الكريم بن سليط الحنفى وقد كان جعفر بن حنظلة لما استخلفه أسد عند موته عرض على نصر أن يوليه بخارى فقال له البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان لا تقبل فانك شيخ مضر بخراسان وكان عهدك قد جاء على خراسان كلها فكان كذلك ولما ولى نصر استعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن وعلى مرو الروذ وشاح بن بكير بن وشاح وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القسرى وعلى خوارزم أبا حفص على بن حقنة وعلى الصغد قطن بن قتيبة وبقى أربع سنين لا يستعمل فى خراسان الا مضريا فعمرت عمارة لم تعمر مثلها وأحسن الولاية والجباية وكان وصول العهد اليه بالولاية فى رجب سنة عشرين فغزا غزوات أولها الى ماوراء النهر من نحو باب الحديد وسار اليها من بلخ ورجع الى مرو فوضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة وجعلها على من كان يخفف عنه منهم وانتهى عددهم ثلاثين ألفا من الصنفين وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء ثم غزا الثانية الى سمرقند ثم الثالثة الى الشاش سار اليها من مرو ومعه ملك بخارى وأهل سمرقند وكش ونسف فى عشرين ألفا وجاء الى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول عسكر نصر فى ليلة ظلماء ونادى نصر لا يخرج أحد وخرج عاصم بن عمير فى جند سمرقند فجاولته خيل الترك ليلا وفيهم كورصول فأسره عاصم وجاء به الى نصر فقتله وصلبه على شاطئ النهر فحزنت الترك لقتله وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذناب خيولهم وأمر نصر باحراق عظامه لئلا يحملوها بعد رجوعه ثم سار الى فرغانة فسبى منها ألف رأس وكتب اليه يوسف بن عمران ليسير الى الحرث بن شريح فى الشاش ويخرب بلادهم ويسبيهم فسار لذلك وجعل على مقدمته يحيى بن حصين وجاء بهم الى الحرث وقاتلهم وقتل عظيما من عظماء الترك وانهزموا وجاء ملك الشاش فى الصلح والهدنة والرهن واشترط نصر

عليه اخراج الحرث بن شريح من بلده فأخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزك ابن صالح مولى عمرو بن العاصى ثم سار الى أرض فرغانة وبعث أمه فى اتمام الصلح فجاءت لذلك وأكرمها نصر وعقد لها ورجعت وكان الصغد لما قتل خاقان طمعوا فى الرجعة الى بلادهم فلما ولى نصر بعث اليهم فى ذلك وأعطوه ما سألوه من الشروط وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم وكان منها أن لا يعاقب من ارتد عن الاسلام اليهم ولا يؤخذ منهم أسرى الابينة وحكم وعاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم فقال لو عاينتم شكوتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم وأرسل الى هشام فى ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين

(ظهور زيد بن على ومقتله)

ظهر زيد بن على بالكوفة خارجا على هشام داعيا للكتاب والسنة والى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين والعدل فى قسمة الفىء ورد المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت واختلف فى سبب خروجه فقيل ان يوسف بن عمر لما كتب فى خالد القسرى كتب الى هشام انه شيعة لاهل البيت وانه ابتاع من زيد أرضا بالمدينة بعشرة آلاف دينار ورد عليه الارض وانه أودع زيدا وأصحابه الوافدين عليه مالا فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب وداود بن على ابن عبد الله بن عباس فأجازهم ورجعوا الى المدينة فبعث هشام عنهم وسألهم فأقروا بالجائزة وحلفوا على ما سوى ذلك وان خالدا لم يودعهم شيأ فصدقهم هشام وبعثهم الى يوسف فقاتلوا خالدا وصدقهم الآخر وعادوا الى المدينة ونزلوا القادسية وراسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل فى سبب ذلك ان زيدا اختصم مع ابن عمه جعفر ابن الحسن المثنى فى وقف على ثم مات جعفر فخاصم أخوه عبد الله زيدا وكانا يحضران عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحرث فوقعت بينهما فى مجلسه مشاتمة وأنكر زيد من خالد اطالته للخصومة وان يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار الى هشام فحجبه ثم أذن له بعد حين فحاوره طويلا ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه ثم قال له اخرج قال نعم ثم لا أكون الا بحيث تكره فسار الى الكوفة وقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ناشدتك الله الحق بأهلك ولا تأت الكوفة وذكره بفعلهم مع جده وجده يستعظم ما وقع به وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل فى المنازل واختلف اليه الشيعة وبايعه جماعة منهم مسلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحق بن زيد ابن حارثة الانصارى وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته ثم يقول أتبايعون على ذلك فيقولون نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاقه وذمته وذمة

تفيه بيقين تتبعنى ولاتقاتلنى مع عدوى ولتنصحن لى فى السر والعلانية فاذا قال نعم وضع يده على يده ثم قال اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره فى الناس وقيل انه أقام فى الكوفة ظاهرا ومعه داود بن على ابن عبد الله بن عباس لما جاؤا لمقاتلة خالد فاختلف اليه الشيعة وكانت البيعة وبلغ الخبر الى يوسف بن عمر فأخرجه من الكوفة ولحق الشيعة بالقادسية أو الثعلبية وعذله داود بن على فى الرجوع معهم وذكره حال جده الحسين فقالت الشيعة لزيد هذا انما يريد الامر لنفسه ولاهل بيته فرجع معهم ومضى داود الى المدينة ولما أتى الكوفة جاءه سلمة بن كهيل فصده عن ذلك وقال أهل الكوفة لا يعولون لك وقد كان مع جدك منهم أضعاف من معك ولم تعاوله وكان أعز عليهم منك على هؤلاء فقال له قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وعنقهم قال فتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث وأنا لا أملك نفسى فخرج لليمامة وكتب عبد الله بن الحسن المثنى الى زيد يعذله ويصده فلم يصغ اليه وتزوج نساء بالكوفة وكان يختلف اليهن والناس يبايعونه ثم أمر أصحابه يتجهزون ونمى الخبر الى يوسف بن عمر فطلبه وخاف فتعجل الخروج وكان يوسف بالحيرة وعلى الكوفة الحكم بن الصلت وعلى شرطته عمر ابن عبد الرحمن من القاهرة ومعه عبيد الله بن عباس الكندى فى ناس من أهل الشأم ولما علم الشيعة ان يوسف يبحث عن زيد جاء اليه جماعة منهم فقالوا ما تقول فى الشيخين فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما وما سمعت أهل بيتى يذكرونهما الا بخير وغاية ما أقول انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك الكفر وقد عدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قال فاذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ظلموا المسلمين أجمعين فانا ادعوهم الى الكتاب والسنة وأن نحيى السنن ونطفئ البدع فان أجبتم سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام الحق يعنون محمدا الباقر وان جعفرا ابنه امامنا بعده فسماهم زيد الرافضة ويقال انما سماهم الرافضة حين فارقوه ثم بعث يوسف بن عمر الى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة فى المسجد فجمعوا وطلبوا زيدا فى دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة فخرج منها ليلا واجتمع اليه ناس من الشيعة وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر وأصبح جعفر ابن أبى العباس الكندى فلقى اثنين من أصحاب زيد يناديان بشعاره فقتل واحدا وأتى بالآخر الى الحكم فقتله وأغلق أبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بالخبر فسار من الحيرة وقدم الريان بن سلمة الاراشى فى ألفين خيالة وثلثمائة ماشية

وافتقد زيد الناس فقيل انهم فى الجامع محصورون ولم يجد معه الا مائتين وعشرين وخرج صاحب الشرطة فى خيله فلقى نصر بن خزيمة العبسى من أصحاب زيد ذاهبا اليه فحمل عليه نصر وأصحابه فقتلوه وحمل زيد على أهل الشأم فهزمهم وانتهى الى دار أنس بن عمر الازدى ممن بايعه وناداه فلم يخرج اليه ثم سار زيد الى الكناسة فحمل على أهل الشأم فهزمهم ثم دخل الكوفة والرايات فى اتباعه فلما رأى زيد خذلان الناس قال لنصر بن خزيمة أفعلتموها حسينية قال أما أنا فوالله لاموتن معك وان الناس بالمسجد فامض بنا اليهم فجاء الى المسجد ينادى بالناس بالخروج اليه فرماه أهل الشأم بالحجارة من فوق المسجد فانصرفوا عند المساء وأرسل يوسف بن عمر من الغد العباس ابن سعد المزنى فى أهل الشأم فجاء فى دار الرزق وقد كان أوى اليها عند المساء فلقيه زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر ثم حملوا على أصحاب العباس فهزمهم زيد وأصحابه وعبأهم يوسف بن عمر من العشى ثم سرحهم فكشفهم أصحاب زيد ولم يثبت حتى ليله وبعث اليهم يوسف بن عمر بالقادسية واشتد القتال وقتل معاوية بن زيد ثم رمى زيد عند المساء بسهم أثبته فرجع أصحابه وأهل الشأم يظنون انهم تحاجزوا ولما نزع النصل من جبهته مات فدفنوه وأجروا عليه الماء وأصبح الحكم يوم الجمعة يتبع الجرحى من الدور ودله بعض الموالى على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها الى يوسف بالحيرة فبعثه الى هشام فنصبه على باب دمشق وأمر يوسف الحكم أن يصلب زيدا بالكناسة ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق ويحرسهم فلما ولى الوليد أمر باحراقهم واستجار يحيى بن زيد بعبد الملك بن بشر بن مروان فأجاره حتى سكن المطلب ثم سار الى خراسان فى نفر من الزيدية

(ظهور أبى مسلم بالدعوة العباسية)

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ بعث محمد بن على بن عبد الله ابن عباس دعاته الى الآفاق سنة مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز لما مر أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ذاهبا وجائيا من الشأم من عند سليمان بن عبد الملك فرض عنده بالحميمة من أعمال البلقاء وهلك هنالك وأوصى له بالامر وكان أبو هاشم قد علم شيعته بالعراق وخراسان وان الامر صائر فى ولد محمد بن على بن عبد الله ابن عباس فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمدا وبايعوه سرا وبعث دعاته منهم الى الآفاق وكان الذى بعث الى العراق مسيرة بن والى خراسان محمد بن حبيش وأما عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة فجاؤا الى خراسان ودعوا اليه سرا وأجابهم الناس وجاؤا بكتب من أجاب الى مسيرة اه فبعث

بها الى محمد واختار أبو محمد الصادق اثنى عشر رجلا من أهل الدعوة فجعلهم نقباء عليهم وهم سليمان بن كثير الخزاعى ولاهز بن قريط التميمى وأبو النجم عمران بن اسمعيل مولى أبى معيط ومالك بن الهيثم الخزاعى وطلحة بن زريق الخزاعى وأبو حمزة بن عمر ابن أعين مولى خزاعة وأخوه عيسى وأبو على شبلة بن طهمان الهروى مولى بنى حنيفة واختار بعده سبعين رجلا وكتب اليه محمد بن على كتابا يكون لهم مثالا يقتدون به فى الدعوة وأقاموا على ذلك ثم بعث ميسرة رسله من العراق سنة ثنتين ومائة فى ولاية سعيد خذينة وخلافة يزيد بن عبد الملك وسعى بهم الى سعيد فقالوا نحن تجار فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأطلقهم وولد لمحمد ابنه عبد الله السفاح سنة أربع ومائة وجاء اليه أبو محمد الصادق فى جماعة من دعاة خراسان فأخرجه لهم ابن خمسة عشر يوما وقال هذا صاحبكم الذى يتم الامر على يده فقبلوا أطرافه وانصرفوا ثم دخل معهم فى الدعوة بكير بن هامان جاء من السند مع الجنيد ابن عبد الرحمن فلما عزل قدم الكوفة ولقى أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمارا العبادى خال الوليد الازرق دعاة الى خراسان فى ولاية أسد القسرى أيام هشام ووشى بهم اليه فقطع أيدى من ظفر به منهم وصلبه وأقبل عمار الى بكير ابن هامان فأخبره فكتب الى محمد بن على بذلك فأجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستعد ثم كان أول من قدم محمد بن على الى خراسان أبو محمد زياد مولى همدان بعثه محمد بن على سنة تسعة فى ولاية أسد أيام هشام وقال له انزل فى اليمن وتلطف لمضر ونهاه عن الغالب النيسابورى شيعة بنى فاطمة فشتى زياد بمرو ثم سعى به الى أسد فاعتذر بالتجارة ثم عاد الى أمره فأحضره أسد وقتله فى عشرة من أهل الكوفة ثم جاء بعدهم الى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كثير ونزل على أبى النجم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة ثم اخذ أسد بن عبد الله فى ولايته الثانية سنة سبع عشرة اخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز ابن قريط بثلثمائة سوط وشهد حسن بن زيد الازدى ببراءتهم فأطلقهم ثم بعث بكير ابن هامان سنة ثمانى عشرة عمار بن زيد على شيعتهم بخراسان فنزل مرو وتسمى بخراش وأطاعه الناس ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرمية فأباح النساء وقال ان الصوم انما هو عن ذكر الامام وأشار الى اخفاء اسمه والصلاة الدعاء له والحج القصد اليه وكان خراش هذا نصرانيا بالكوفة واتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم وظهر أسد على خبره وبلغ الخبر بذلك الى محمد بن على فنكر عليهم قبولهم من خراش وقطع مراسلتهم فقدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم وكتب

معه اليهم كتابا مختوما لم يجدوا فيه غير البسملة فعلموا مخالفة خراش لامره وعظم عليهم ثم بعث محمد بن بكير بن بان وكتب معه بكذب خراش فلم يصدقوه فجاء الى محمد وبعث معه عصيا مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس ودفع الى كل رجل عصا فعلموا انهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا وتوفى محمد بن على سنة أربع وعشرين وعهد ابنه ابراهيم بالامر وأوصى الدعاة بذلك وكانوا يسمونه الامام وجاء بكير بن هامان الى خراسان بنعيه والدعاء لابراهيم الامام سنة ست وعشرين ومائة ونزل مرو ودفع الى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم فقدم بها بكير على ابراهيم ثم بعث اليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف فى أوليته اختلافا كثيرا وفى سبب اتصاله بابراهيم الامام أو أبيه محمد فقيل كان من ولد بزرجمهر ولد باصبهان وأوصى به أبوه الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة ابن سبع سنين ونشأ بها واتصل بابراهيم الامام وكان اسم أبى مسلم ابراهيم بن عثمان بن بشار فسماه ابراهيم الامام عبد الرحمن وزوجة أبيه أبى النجم عمران بن اسمعيل من الشيعة فبنى بها بخراسان وزوج ابنته من محرز بن ابراهيم فلم يعقب وابنته أسماء من فهم بن محرز فأعقبت فاطمة هى التى يذكرها الخرمية وقيل فى اتصاله بابراهيم الامام ان أبا مسلم كان مع موسى السراج وتعلم منه صناعة السروج وكان يتجهز فيها باصبهان والجبال والجزيرة والموصل واتصل بعاصم بن يونس العجلى صاحب عيسى السراج وابنى أخيه عيسى وادريس ابنى معقل وادريس هو جد أبى دلف ونمى الى يوسف بن عمران العجلى من دعاة بنى العباس فحبسهم مع عمال خالد القسرى وكان أبو مسلم معهم فى السجن يخدمهم وقبل منهم الدعوة وقيل لم يتصل بهم من عيسى السراج وانما كان من ضياع بنى العجلى بأصبهان أو الجبل وتوجه سليمان ابن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريط وقحطبة بن شبيب من خراسان يريدون ابراهيم الامام بمكة فمروا بعاصم بن يونس وعيسى وادريس ابنى معقل العجلى بمكانهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فأعجبهم وأخذوه ولقوا ابراهيم الامام بمكة فأعجبه فأخذه وكان يخدمه ثم قدم النقباء بعد ذلك على ابراهيم الامام يطلبون أن يوجه من قبله الى خراسان فبعث معه أبا مسلم فلما تمكن ونوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس وكان من أولية هذا الخبر أن جارية لعبد الله بن العباس ولدت لغير رشدة فحدها واستعبد وليدها وسماه سليطا فنشأ واختص بالوليد وادّعى ان عبد الله بن عباس أقر بأنه ابنه وأقام البينة على ذلك وخاصم على بن عبد الله فى الميراث وآذاه وكان فى صحابته عمر الدن من ولد أبى رافع مولى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ودخل عليها سليط بالخبر فاستعدت الوليد على على فأنكر وحلف فنبشوا فى البستان فوجدوه فامر الوليد بعلى فضرب ليدله على عمر الدن ثم شفع فيه عباد ابن زياد فأخرج الى الحميمة ولما ولى سليمان رده الى دمشق وقيل ان أبا مسلم كان عبدا للعجليين وان بكير بن هامان كان كاتبا العمال بعض السند وقدم الكوفة فكان دعاة بنى العباس فحبسوا وبكير معهم وكان العجليون فى الحبس وأبو مسلم العيسى بن معقل فدعاهم بكير الى رأيه فأجابوه واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى بن معقل بأربعمائة درهم وبعث به الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى موسى السراج من الشيعة فسمع منه وحفظ وصار يتردد الى خراسان وقيل كان لبعض أهل هراة وابتاعه منه ابراهيم الامام ومكث عنده سنين وكان يتردد بكتبه الى خراسان ثم بعثه أميرا على الشيعة وكتب اليهم بالطاعة له والى أبى سلمة الخلال داعيهم بالكوفة يأمره بانفاذه الى خراسان فنزل على سليمان بن كثير وكان من أمره ما يذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى ثم جاء سليمان بن كثير ولاهز بن قريط وقحطبة الى مكة سنة سبع وعشرين بعشرين ألف دينار للامام ابراهيم ومائتى ألف درهم ومسك ومتاع كثير ومعهم أبو مسلم وقالوا هذا مولاك وكتب بكير بن هامان الى الامام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لابى سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو رضى فكتب اليه ابراهيم بالقيام بأمر أصحابه وكتب الى أهل خراسان بذلك فقبلوه وصدقوه وبعثوا بخمس أموالهم ونفقة الشيعة للامام ثم بعث ابراهيم فى سنة ثمان وعشرين مولاه أبا مسلم الى خراسان وكتب له انى قد أمرته بأمرى فاسمعوا له وأطيعوا وقد أمرته على خراسان وما غلبت عليه فارتابوا من قوله ووفدوا على ابراهيم الامام من قابل مكة وذكر له أبو مسلم انهم لم يقبلوه فقال لهم قد عرضت عليكم الامر فأبيتم من قبوله وكان عرضه على سليمان ابن كثير ثم على ابراهيم بن مسلمة فأبوا وانى قد أجمع رأيى على أبى مسلم وهو منا أهل البيت فاسمعوا له وأطيعوا وقال لابى مسلم انزل فى أهل اليمن وأكرمهم فان بهم يتم الامر واتهم البيعة وأما مضر فهم العدو والغريب واقتل من شككت فيه وان قدرت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وارجع الى سليمان بن كثير واكتف به منى وسرحه معهم فساروا الى خراسان

(وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد)

توفى هشام بن عبد الملك بالرصافة فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة لعشرين سنة من خلافته وولى بعده الوليد بن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مر وكان الوليد متلاعبا وله مجون وشراب وندمان وأراد هشام خلعه فلم يمكنه وكان يضرب

من يأخذه فى صحبته فخرج الوليد فى ناس من خاصته ومواليه وخلف كاتبه عياض ابن مسلم ليكاتبه بالاحوال فضربه هشام وحبسه ولم يزل الوليد مقيما بالبرية حتى مات هشام وجاءه مولى أبى محمد السفيانى على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر فسأل عن كاتبه عياض فقال لم يزل محبوسا حتى مات هشام فأرسل الى الخزان أن يحتفظوا بما فى أيديهم حتى منعوا هشاما من شئ طلبه ثم خرج بعد موته من الحبس وختم أبواب الخزائن ثم كتب الوليد من وقته الى عمه العباس ابن عبد الملك أن يأتى الرصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه الا مسلمة بن هشام فانه كان يراجع أباه فى الرفق بالوليد فانتهى العباس لما أمر به الوليد ثم استعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم وكتب مروان ببيعته واستأذن فى القدوم ثم عقد الوليد من سنته لابنيه الحكم وعثمان بعده وجعلهما وليى عهده وكتب بذلك الى العراق وخراسان

(ولاية نصر للوليد على خراسان)

وكتب الوليد فى سنته الى نصر بن سيار بولاية خراسان وأفرده بها ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصرا وعماله فرد اليه الوليد خراسان وكتب يوسف الى نصر بالقدوم ويحمل معه الهدايا والاموال وعماله جميعا وكتب له الوليد بأن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ويجمع له البراذين الغرة ويجمع بذلك اليه فى وجوه أهل خراسان واستحثه رسول يوسف فأجازه ثم سار واستخلف على خراسان عصمة بن عبد الله الاسدى وعلى شاش موسى بن ورقاء وعلى سمرقند حسان بن   من أهل الصغانيان وعلى آمد مقاتل بن على الصغدى وأسر اليهم أن يداخلوا الترك فى المسير الى خراسان ليرجع اليهم وبيناهو فى طريقه الى العراق ببيهق لقيه مولى لبنى ليث وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشأم وان منصور بن جمهور قدم العراق وهرب يوسف بن عمر فرجع بالناس

(مقتل يحيى بن زياد)

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مر فأقام عند الحريش ابن عمرو مروان فى بلخ ولما ولى الوليد كتب الى نصر بأن يأخذه من عند الحريش فأحضر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر فضربه ستمائة سوط فجاء ابنه قريش ودله على يحيى فحبسه وكتب الى الوليد فأمره أن يخلى سبيله وسبيل أصحابه فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد فسار وأقام بسرخس فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عباد يخرجه عنها فأخرجه الى بيهق وخاف يحيى بن يوسف بن عمر فسار الى نيسابور وبها عمر

ابن زرارة وكان مع يحيى سبعون رجلا ولقوا دواب وأدركهم الاعياء فأخذوها بالثمن وكتب عمر بن زرارة بذلك الى نصر فكتب اليه يأمره بحربهم فسار بهم فى عشرة آلاف فهزموه وقتلوه ومروا بهراة فلم يعرضوا لها وسرح نصر بن سيار مسلم بن أحور المازنى اليهم فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالا شديدا وأصيب يحيى بسهم فى جبهته فمات وقتل أصحابه جميعا وبعثوا برأسه الى الوليد وصلب بالجوزجان وكتب الوليد الى يوسف بن عمر بأن يحرق شلو زيد فأحرقه وذراه فى الفرات ولم يزل يحيى مصلوبا بالجوزجان حتى استولى أبو مسلم على خراسان فدفنه ونظر فى الديوان اسماء من حضر لقتله فمن كان حيا قتله ومن كان ميتا خلفه فى أهله بسوء

(٠ قتل خالد بن عبد الله القسرى)

قد تقدم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق وأنه حبس خالدا أصحاب العراق وخراسان قبله فأقام بحبسه فى الحيرة ثمانية عشر شهرا مع أخيه اسمعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر ابن أخيه أسد واستأذن هشاما فى عذابه فأذن له على أنه ان هلك قتل يوسف به فعذبه ثم أمر هشام باطلاقه سنة احدى وعشرين فأتى الى قرية بازاء الرصافة فأقام بها حتى خرج زيد وقتل وانقضى أمره فسعى يوسف بخالد عند هشام بانه الذى داخل زيدا فى الخروج فردّ هشام سعايته ووبخ رسوله وقال لسنا نتهم خالدا فى طاعة وسار خالد الى الصائفة وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيرى وكان يبغض خالدا فظهر فى دمشق حريق فى ليال فكتب كلثوم الى هشام بانّ موالى خالد يريدون الوثوب الى بيت المال ويتطرّقون الى ذلك بالحريق كل ليلة فى البلد فكتب اليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالى فحبسهم ثم ظهر على صاحب الحريق وأصحابه وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ولم يذكر فيهم أحدا من آل خالد ومواليه فكتب هشام الى كلثوم يوبخه ويأمره باطلاق آل خالد وترك الموالى فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم وقال انّ هشاما يسوقهنّ الى الحبس كل يوم ثم قال خرجت غازيا سامعا مطيعا فحبس أهلى مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين ولم يغير ذلك أحد منكم أخفتم القتل أخافكم الله والله ليكفنّ عنى هشام أو لاعودنّ الى عراقىّ الهوى شامىّ الدار حجازىّ الاصل يعنى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وبلغ ذلك هشاما فقال خرف أبو الهيثم ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر الى هشام يطلب يزيد بن خالد فأرسل الى كلثوم بانفاذه اليه فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب اليه هشام بتخليته ووبخه اه ولما ولى الوليد بن يزيد استقدم خالدا وقال أين ابنك قال هرب من هشام وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله

فلم نره وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال ولكن خلفته طلبا للفتنة فقال انا أهل بيت طاعة فقال لتأتيني به أو لازهقن نفسك فقال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر الوليد بضربه ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالاموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فقال له الوليد ان يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك اليه فقال ما عهدت العرب تباع والله لو سألتني عودا ما ضمنته فدفعه الى يوسف فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء وعذبه عذابا شديدا وهو لا يكلمه ثم حمله الى الكوفة فاشتد في عذابه ثم قتله ودفنه في عباءة يقال انه قتله بشيء وضعه على وجهه وقيل وضع على رجليه الاعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه وذلك في المحرم سنة ستة وعشرين ومائة

* (مقتل الوليد وبيعة يزيد) *

ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون حتى نسب اليه في ذلك كثير من الشنائع مثل رميه المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله وخاب كل جبار عنيد وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما ولقد ساءت القالة فيه كثيرا وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا انها من شناعات الاعداء الصقوها به قال المدائني دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله ممن أنت فقال من قريش قال من أيها فوجم فقال قل وأنت آمن ولو أنك مروان فقال أنا ابن الغمر بن يزيد فقال رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص فانه قتل خليفة مجمعا عليه ارفع حوائجك فرفعها وقضاها. وقال شبيب بن شبة كنا جلوسا عند المهدي فذكر الوليد فقال المهدي كان زنديقا فقام ابن علاثة الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الامة زنديقا لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه ويراه في طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المصيبة المصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله فقال المهدي بارك الله عليك يا ابن علاثة وانما كان الرجل محسودا في خلاله ومزاحما بكبار عشيرته من بني عمومته مع لهو كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ قال يوما لهشام يعزيه في مسلمة أخيه ان عقبى من بقي لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى وعلى اثر من سلف يمضي من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى فأعرض هشام وسكت القوم وأما حكاية مقتله فانه لما تعرض له بنو عمه ونالوا من عرضه أخذ في مكافأتهم فضرب سليمان بن عمه هشام مائة سوط وحلقه وغربه الى معان من أرض الشأم فحبسه الى آخر دولته

وحبس أخاه يزيد بن هشام وفرق بين ابن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه وخوفوا بني أمية منه بانه اتخذ مية جامعة لهم وطعنوا عليه في تولية ابنيه الحكم وعثمان العهد مع صغرهما وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لانه كان يتنسك فكان الناس الى قوله أميل ثم فسدت اليمانية عليه بما كان منه لخالد القسري وقالوا انما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه ثم فسدت عليه قضاعة وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشأم واستعظموا منه ما كان من بيعة خالد ليوسف بن عمر وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليمنية بشأن خالد فازدادوا واختنق وأتوا الى يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعه وشاور عمر بن زيد الحكمي فقال شاور أخاك العباس والا فاظهر انه قد بايعك فان الناس له أطوع فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته ودعا الناس سرا وكان بالبادية وبلغ الخبر مروان بارمينية فكتب الى سعيد بن عبد الملك يعظم عليه الامر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد فأعظم ذلك سعيد وبعث بالكتاب الى العباس فتهدد أخاه يزيد فكتمه فصدقه ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل الى دمشق لاربع ليال متنكرا معه سبعة نفر على الحمر ودخل دمشق ليلا وقد بايع له أكثر أهلها سرا وأهل المزة وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فاستوباها فنزل قطنا واستخلف عليها ابنه محمدا وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ونمى الخبر اليهما فكذباه وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ولما قضوا الصلاة جاء حرس المسجد لاخراجهم فوثبوا عليهم ومضى يزيد بن عنبسة الى يزيد ابن الوليد فجاء به الى المسجد في زهاء مائتين وخمسين وطرقوا باب المقصورة فأدخلهم الخادم فأخذوا أبا العاج وهو سكران وخزان بيت المال وبعث عن محمد بن عبد الملك فأخذه وأخذوا سلاحا كثيرا كان بالمسجد وأصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة أهل المزة والسكاسك وأهل دارا وعيسى بن شبيب الثعلبي في أهل درهة وحرستا وحميد بن حبيب اللخمي في أهل دير مران وأهل حرش والحديثة ودير زكا وربعي بن هشام الحرثي في جماعة من عروسلامان ويعقوب بن عمير ابن هانئ العبسي وجهينة ومواليهم ثم بعث عبد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس فجاء بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الامان ثم جهز يزيد الجيش الى الوليد بمكانه من البادية مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ومنصور بن جمهور وقد كان الوليد لما بلغه الخبر بعث عبد الله بن يزيد بن معاوية الى دمشق فأقام بطريقه قليلا ثم بايع ليزيد وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصن بها. قال له ذلك يزيد بن خالد ابن يزيد وخالفه عبد الله بن عنبسة وقال ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل

أن يقاتل فسار الى قصر النعمان بن بشير ومعه أربعون من ولد الضحاك وغيره وجاء كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه وقاتلهم عبد العزيز ومنصور بعد أن بعث اليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم الى الكتاب والسنة فقتله أصحاب الوليد واشتد القتال بينهم وبعث عبد العزيز بن منصور بن جمهور لاعتراض العباس من الوليد أن يأتي بالوليد فجاء به كرها الى عبد العزيز وأرسل الوليد الى عبد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي على أن ينصرف عنه فأبى ثم قاتل قتالا شديدا حتى سمع النداء بقتله وسبه من جوانب الحومة فدخل القصر فأغلق الباب وطلب الكلام من أعلى القصر فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكره بحرمه وفعله فيهم فقال ابن عنبسة انا ما ننقم عليك في أنفسنا وانما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله قال حسبك الله يا أخا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان فيما أحل الله سعة عما ذكرت ثم رجع الى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال يوم كيوم عثمان فتسوروا عليه وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله واذا بمنصور بن جمهور في جماعة معه ضربوه واحتزوا رأسه فساروا به الى يزيد فأمر بنصبه فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرة في المنع من ذلك وقال هذا ابن عمك وخليفة وانما تنصب رؤس الخوارج ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته فلم يجبه وأطافه بدمشق على رمح ثم دفع الى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشهر من بيعته ولما قتل خطب الناس يزيد فذمه وثلبه وانه انما قتله من أجل ذلك ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار عن النفقة في غير حاجاتهم وسد الثغور والعدل في العطاء والارزاق ورفع الحجاب والا فلكم ما شئتم من الخلع وكان يسمى الناقص لانه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة ورد العطاء كما كان أيام هشام وبايع لاخيه ابراهيم بالعهد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك حمله على ذلك أصحابه القدرية لمرض طرقه

ولما قتل الوليد وكان قد حبس سليمان بن عمه هشام بعمان خرج سليمان من الحبس وأخذ ما كان هنالك من الاموال ونقله الى دمشق ثم بلغ خبر قتله الى حمص وان العباس بن الوليد أعان على قتله فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها وطلبوه فلحق بأخيه يزيد وكاتبوا الاجناد في الطلب بدم يزيد وأمروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك ومعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير وراسلهم يزيد فطردوا رسوله فبعث أخاه مسرورا

فى الجيش فنزل حوارين ثم جا سليمان بن هشام من فرد عليه ما أخذ الوليد من أموالهم وبعث على الجيش وأمر أخاه مسرورا بالطاعة واعتزم أهل حمص على المسير الى دمشق فقال لهم مروان ليس من الرأى أن تتركوا خلفكم هذا الجيش وانما نقاتله قبل فيكون ما بعده أهون علينا فقال لهم السمط بن ثابت انما يريد خلافكم وانما هواه مع يزيد والقدرية فقتلوه وولوا عليهم محمدا السفيانى وقصدوا دمشق فاعترضهم ابن هشام بغدرا فقاتلهم قتالا شديدا وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك فى ثلاثة آلاف الى ثنية العقاب وهشام بن مصاد فى ألف وخمسمائة الى عقبة السلامية وبينما سالم يقاتلهم اذ أقبلت عساكر من ثنية العقاب فانهزم أهل حمص ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى الله الله على قومك يا سليمان فكف الناس عنهم وبايعوا اليزيد واخذ أبا محمد السفيانى ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما الى يزيد فحبسهما اه واستعمل على حمص معاوية بن يزيد بن الحصين وكان لما قتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وتولى منهم سعيد وضبعان ابنا روح وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم وبلغ ذلك أهل الاردن فولوا عليهم محمد بن عبد الملك وبعث يزيد سليمان بن هشام فى أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيانى على ثمانين ألفا وبعث الى ابنى روح بالاحسان والولاية فرجعا بأهل فلسطين وقدم سليمان عسكرا من خمسة آلاف الى طبرية فنهبوا القرى والضياع وخشى أهل طبرية على من وراءهم فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ونزلوا بمنازلهم فافترقت جموع الاردن وفلسطين وسار سليمان ابن هشام ولحقه أهل الاردن فبايعوا اليزيد وسار الى طبرية والرملة وأخذ على أهلهما البيعة ليزيد وولى على فلسطين ضبعان بن روح وعلى الاردن ابراهيم بن الوليد

(ولاية منصور بن جمهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر)

لما ولى يزيد استعمل منصور بن جمهور على العراق وخراسان ولم يكن من أهل الدين وانما صار مع يزيد لرأيه فى الغيلانية وحنقا على يوسف بقتله خالدا القسرى ولما بلغ يوسف قتل الوليد ارتاب فى أمره وحبس اليمانية لما تجتمع المضرية عليه فلم ير عندهم ما يحب فاطلق اليمانية وأقبل منصور وكتب من عين البقر الى قواد الشأم فى الحيرة بأخذ يوسف وعماله فأظهر يوسف الطاعة ولما قرب منصور دخل دار عمر ابن محمد بن سعيد بن العاصى ولحق منها بالشأم سرا وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارسا لتلقيه فلما أحس بهم هرب واختفى ووجد بين النساء فأخذوه وجاؤا به الى يزيد فحبسه مع ابنى الوليد حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسرى ولما دخل منصور

ابن جهور الكوفة لايام خلت من رجب أفاض العطاء وأطلق من كان فى السجون من العمال وأهل الخراج واستعمل أخاه على الرى وخراسان فسار لذلك فامتنع نصر ابن سيار من تسليم خراسان له ثم عزل يزيد منصور بن جهور لشهرين من ولايته وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال سر الى أهل العراق فان أهله يميلون الى أبيك فسار وانقاد له أهل الشأم وسلم اليه منصور العمل وانصرف الى الشأم وبعث عبد الله العمال على الجهات واستعمل عمر بن الغضبان بن القبعثرا على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات وكتب الى نصر بن سيار بعهده على خراسان

(انتقاض أهل اليمامة)

ولما قتل الوليد كان على بن المهاجر على اليمامة عاملا ليوسف بن عمر فجمع له المهير بن سليمان بن هلال من بنى الدول بن خولة وسار اليه وهو فى قصره بقاع هجر فالتقوا وانهزم على وقتل ناس من أصحابه وهرب الى المدينة وملك المهير اليمامة ثم مات واستخلف عليها عبد الله بن النعمان من بنى قيس بن ثعلبة من الدول فبعث المندلب ابن ادريس الحنفى على الفلج قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة فجمع له بنى كعب ابن ربيعة بن عامر وبنى عمير فقتلوا المندلب وأكثر أصحابه فجمع عبد الله ابن النعمان جموعا من حنيفة وغيرها وغزا الفلج وهزم بنى عقيل وبنى بشير وبنى جعدة وقتل أكثرهم ثم اجتمعوا ومعهم نمير فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلوهم وسلبوا نساءهم ثم جمع عمر بن الوازع الحنفى الجموع وقال لست بدون عبد الله بن النعمان وهذه فترة من السلطان وأغاروا وامتلأت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش ورجع بنو عامر بالاسرى والنساء ولحق عمر بن الوازع باليمامة ثم جمع عبيد الله بن مسلم الحنفى جمعا وأغار على قشير وعكل فقتل منهم عشرين وجى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على اليمامة من قبل أبيه حتى ولى للعراق لمروان فتعرض المثنى لبنى عامر وضرب عدة من بنى حنيفة وحلقهم ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفى مستخفيا حتى قدم كسرى بن عبيد الله الهاشمى واليا على العامة لبنى العباس ودل عليه فقتله

(اختلاف أهل خراسان)

ولما قتل الوليد وقدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق انتقض عليه جديع بن على الكرمانى وهو أزدى وانما سمى الكرمانى لانه ولد بكرمان وقال لاصحابه هذه فتنة فانظروا لاموركم رجلا فقالوا له أنت وولوه وكان الكرمانى قد أحسن الى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله فلما ولى نصر عزله

عن الرياسة بغيره فتباعد ما بينهما وأكثر على نصر أصحابه فى أمر الكرمانى فاعتزم على حبسه وأرسل صاحب حرسه ليأتى به وأراد الازد أن يخلصوه فأبى وجاء الى نصر يعدد عليه أياديه قبله من مراجعة يوسف بن عمر فى قتله والغرامة عنه وتقديم ابنه للرياسة ثم قال فبدلت ذلك بالاجماع على الفتنة فأخذ يعتذر ويتنصل وأصحاب نصر يتحاملون عليه مثل مسلم بن أحوز وعصمة بن عبد الله الاسدى ثم ضربه وحبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف وكانت الازد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على الكتاب والسنة فلما جاء الكرمانى قدمه عبد الملك ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ واجتمع اليه الناس وبعث سالم بن أحوز فى الجموع الى الكرمانى وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر ولا يحبسه وأجاب نصر الى ذلك وجاء الكرمانى اليه وأمره بلزوم بيته ثم بلغه عن نصر شئ فعاد الى حاله وكلموه فيه فأمنه وجاء اليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة فلما عزل جهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خطب نصر فذم ابن جهور وأثنى على عبد الله فغضب الكرمانى لابن الجهور وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح وكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة ويصلى خارج المقصورة ويدخل فيسلم ولا يجلس ثم أظهر الخلاف وبعث اليه نصر سالم بن أحوز فأفحش فى صرفه وسفر بينهما الناس فى الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان وتجهز للخروج الى جرجان

(أمان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرث)

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر أن يستظهر الكرمانى عليه بالحرث بن شريح وكان مقيما ببلاد الترك منذ اثنتى عشرة سنة كما مر فأرسل مقاتل ابن حيان النبطى يراوده على الخروج من بلاد الترك بخلاف ما يقتضى له الامان من يزيد بن الوليد وبعث خالد بن زياد البدى الترمذى وخالد بن عمرة مولى بنى عامر لاقتضاء الامان له من يزيد فكتب له الامان وأمر نصرا أن يرد عليه ما أخذ له وأمر عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضا ولما وصل الى نصر بعث الى الحرث بذلك فلقيه الرسول راجعا مع مقاتل بن حيان وأصحابه ووصل سنة سبع وعشرين فى جمادى الاخيرة وأنزله نصر بمرو ورد عليه ما أخذ له وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما وأطلق أهله وولده وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل وقال لست من الدنيا واللذات فى شئ وانما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوك وانما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور فكيف تريدنى عليه وبعث الى الكرمانى ان عمل نصر بالكتاب عضدته فى أمر الله

والا أعتبك ان ضمنت لى القيام بالعدل والسنة ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير واجتمع اليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك

(انتقاض مروان لما قتل الوليد)

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية وكان على الجزيرة عبدة بن رياح العبادى وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه فبعث معه مروان ابنه عبد الملك فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بحرزان حين مقتل الوليد وسار عبدة عن الجزيرة فوثب عبد الملك بالجزيرة وحرزان فضبطهما وكتب الى أبيه بأرمينية يستحثه فسار طالبا بدم الوليد بعد أن أرسل الى الثغور من يضبطها وكان معه ثابت بن نعيم الجذامى من اهل فلسطين وكان صاحب فتنة وكان هشام قد حبسه على افساد الجند بافريقية عند مقتل كلثوم بن عياض وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذا عنده يدا فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشأم فى العود الى الشأم من وجه الفرات واجتمع له الكثير من جند مروان وناهضه القتال ثم غلبهم وانقادوا له وحبس ثابت بن نعيم وأولاده ثم أطلقهم من حران الى الشأم وجمع نيفا وعشرين ألفا من الجزيرة ليسير بهم الى يزيد وكتب اليه يشترط ما كان عبد الملك ولى أباه محمدا من الجزيرة والموصل وأذربيجان فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبايع له مروان وانصرف

(وفاة يزيد وبيعة أخيه ابراهيم)

ثم توفى يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته ويقال انه كان قدريا وبايعوا لاخيه ابراهيم من بعده الا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الامر وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وأقام على ذلك نحوا من ثلاثة أشهر ثم خلعه مروان ابن محمد على ما يذكر وهلك سنة اثنتين وثلاثين

(مسير مروان الى الشأم)

ولما توفى يزيد وولى أخوه ابراهيم وكان مضعفا انتقض عليه مروان لوقته وسار الى دمشق فلما انتهى الى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملا لاخيه يزيد ومعه أخوهما مسرور دعاهم مروان الى بيعته ومال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة وخرج بشر للقاء مروان فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس الى مروان وأسلموا بشرا ومسرورا فأخذهما مروان وحبسهما وسار بأهل قنسرين ومن معه الى حمص وكانوا امتنعوا من بيعة ابراهيم فوجه اليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فى جند أهل دمشق فكان يحاصرهم فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم وبايعوا مروان وخرج

للقائه سليمان بن هشام فى مائة وعشرين ألفا ومروان فى ثمانين فدعاهم الى الصلح وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنيه الحكم وعثمان وليى عهده فأبوا وقاتلوه وسرب عسكرا جاؤهم من خلفهم فانهزموا وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا منهم نحوا من سبعة عشر ألفا وأسروا امثلها ورجع مروان الفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان ابنى الوليد وحبس يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيين فهلكا فى حبسه وكان ممن شهد قتل الوليد ابن الحجاج وهرب يزيد بن خالد القسرى الى دمشق فاجتمع له مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا فى قتل الحكم وعثمان خشية أن يطلقهما مروان فيثأرا بأبيهما وولوا ذلك يزيد بن خالد فبعث مولاه أبا الاسد فقتلهما وأخرج يوسف ابن عمر فقتله واعتصم أبو محمد السفيانى ببيت فى الحبس فلم يطيقوا فتحه وأعجلهم خيل مروان فدخل دمشق وأتى بأبى الوليد ويوسف بن عمر مقتولين فدفنهما وأتى بأبى محمد السفيانى فى قيوده فسلم عليه بالخلافة وقال ان ولى العهد جعلها لك ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه وكان أولهم بيعة معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير وأهل حمص ثم رجع مروان الى خراسان واستأمن له ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدما عليه وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا المروان

* (انتقاض الناس على مروان) *

ولما رجع الى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص فى الخلاف على مروان فأجابوه وبعثوا الى من كان بتدمر ممن طلب وجاء الاصبغ بن دوالة الكلبى وأولاده ومعاوية السكسكى فارس أهل الشأم وغيرها فى ألف من فرسانهم ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبعة وعشرين وزحف مروان فى العساكر من حران ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام ونزل عليهم ثالث يوم الفطر وقد سدوا أبوابهم فنادى مناديه ما دعاكم الى النكث قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة ودخل عمر الوضاح فى ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف وخرجوا من الباب الآخر وجفل مروان فى اتباعهم وعلا الباب فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه وأفلت الاصبغ بن دوالة وابنه فرافصة ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة وانهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر فبعث مروان اليهم أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث وعمر بن الوضاح فى عشرة آلاف فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم وخرج اليهم من كان بالمدينة فهزموهم وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه الى مروان وأحرقوا المرة وقرى البرامة ثم خرج ثابت بن نعيم فى أهل

فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فبعث مروان اليه أبا الورد فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه ولقيه أبو الورد منهزما فهزمه أخرى وافترق أصحابه وأسر ثلاثة من ولده وبعث بهم الى مروان وتغيب ثابت وولى مروان على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز الكنانى فظفر بثابت بعد شهرين وبعث به الى مروان موثقا فقطعه وأولاده الثلاثة وبعثهم الى دمشق فصلبوه ثم بايع لابنيه عبد الله وعبيد الله وزوجهما ابنتى هشام ثم سار الى ترمذ من دير ايوب وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والابل وبعث وزيره الابرش الكلبى اليهم وأجابوا الى الطاعة وهرب نفر منهم الى البلد وهدم الابرش سورها ورجع بمن أطاع الى مروان ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لقتال الضحاك الشيبانى الخارجى بالكوفة وأمده ببعوث أهل الشأم ونزل قرقيسيا ليقدم ابن هبيرة لقتال الضحاك وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام فى الرصافة أياما ويلحق به فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشأم الذين بعثهم مروان مع ابن هبيرة فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب وسار معهم الى قنسرين فعسكر بها وكاتب أهل الشأم فأتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان فكتب الى ابن هبيرة بالمقام ورجع من قرقيسيا الى سليمان فقاتله فهزمه واستباح معسكره وأثخن فيهم وقتل اسراهم وقتل ابراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومى جا أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفا وهرب سليمان الى حمص فى الفل فعسكر بها وبنى ما كان تهدم من سورها وسار مروان اليه فلما قرب منه بيته جماعة من أصحاب سليمان تبايعوا على الموت وكان على احتراس وتعبية فتركوا القتال بالليل وكمنوا له فى طريقه من الغد فقاتلهم الى آخر النهار وقتل منهم نحوا من ستمائة وجاؤا الى سليمان فلحق بتدمر وخلف أخاه سعيدا بحمص وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا حتى استأموا له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم ثم سار لقتال الضحاك الخارجى بالكوفة وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بقنسرين لحق بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق وسار معه الى الضحاك فبايعوه وكان النضر بن سعيد قد ولى العراق فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقادسية جنود الضحاك من الكوفة مع ابن ملحان فقتله النضر وولى الضحاك مكانه بالكوفة المثنى بن عمران وسار الضحاك الى الموصل وأقبل ابن هبيرة الى الكوفة فنزل بعين التمر وسار اليه المثنى فهزمه ابن هبيرة وقتله وعدة من قواد الضحاك وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جمهور ثم جاؤا الى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة فهزمهم ثانية ودخل الكوفة وسار الى واسط وأرسل الضحاك عبيدة

ابن سوار الثعلبي لقتاله فنزل الصراة وقاتله ابن هبيرة هنالك فانهزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم

(ظهور عبد الله بن معاوية)

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة في اخوانه وولده فأكرمهم عبد الله وأجرى عليهم ثلثمائة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك ولما بويع ابراهيم بن الوليد بعد أخيه واضطرب الشام وسار مروان الى دمشق حبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاد في رزقه بعده لمروان يبايعه ويقاتله فلما ظفر مروان بابراهيم سار اسمعيل بن عبد الله القسري الى الكوفة وقاتله عبد الله ابن عمر ثم خاف اسمعيل أن يفتضح فكف وأخبرهم فوقعت العصبية بين الناس من ايثار عبد الله بن عمر بعضا من مضر وربيعة بالعطاء دون غيرهم فثارت ربيعة فبعث اليهم أخاه عاصما ملقيا بيده فاستحيوا ورجعوا وأفاض في رؤس الناس يستميلهم فاستنفر الناس واجتمعت الشيعة الى عبد الله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة وأخرجوا منه عاصم بن عمر فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفيون ابن معاوية ومنهم منصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس وخرج الى عبد الله بن عمر بالحيرة فسرح لقتاله مولاه ثم خرج في أثره وتلاقيا ونزع منصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسري وعمر ابن العطاء وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية الى الكوفة وكان عمر بن الغضبان قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها وانهزم أصحابه من ورائه فرجع الى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر ثم أخذ ربيعة الامان لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية وسار ابن معاوية الى المدائن وتبعه قوم من أهل الكوفة فتغلب بهم على حلوان والجبل وهمذان واصبهان والرى الى أن كان من خبره ما نذكره

(غلبة الكرماني على مرو وقتله الحرث بن شريح)

لما ولى مروان وولى على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة كتب يزيد الى نصر بعهده على خراسان فبايع لمروان بن محمد فارتاب الحرث وقال ليس لى أمان من مروان وخرج فعسكر وطلب من نصر أن يجعل الامر شورى فأبى وقرأ جهم بن صفوان مولى راسب وهو رأس الجهمية سيرته وما يدعوا اليه على الناس فرضوا وكثر جمعه وأرسل الى نصر في عزل سالم بن أحوز عن الشرطة وتغيير العمال فتقرر الامر بينهما على أن يردوا ذلك الى رجال أربعة مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان يعينهم نصر والمغيرة بن

شعبة الجهضى ومعاذ بن جبلة بتعيين الحرث وأمر نصر أن يكتب بولاية سمرقند وطخارستان لمن يرضاه هؤلاء الاربعة وكان الحرث يقول انه صاحب السور وانه يهدم سور دمشق ويزيل ملك بنى أمية فأرسل اليه نصر ان كان ما تقوله حقا فتعال نسير الى دمشق والا فقد أهلكت عشيرتك فقال الحرث هو حق لكن لا تبايعنى عليه أصحابى قال فكيف تهلك عشرين ألفا من ربيعة واليمن ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل فقال له فابدأ بالكرمانى فاقتله وأنا فى طاعتك ثم اتفقا على تحكيم جهم ومقاتل فاحتكما بأن يعزله نصر ويكون الامر شورى فأبى نصر فخالفه الحرث وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الصريمى وأبو الذيال الناجى ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم فكانوا معه وأمر الحرث أن يقرأ سيرته فى الاسواق والمساجد وأتاه الناس وقرئت على باب نصر فضرب غلمان نصر قارئها فنادى بهم وتجهزوا للحرب ونقب الحرث سور مرو من الليل ودخل بالنهار فاقتتلوا وقتل جهم بن مسعود الناجى وأعين مولى حيان ونهبوا منزل مسلم بن أحوز فركب سالم حين أصبح فقاتل الحرث وهزمه وجاء الى عسكره فقتل كاتبه وبعث نصر الى الكرمانى وكان فى الازد وربيعة وكان موافقا للحرث لما قدمناه فجاءه نصر على الامان وحادثهم وأغلظوا له فى القول فارتاب ومضى وقتل من أصحابه جهم بن صفوان ثم بعث الحرث ابنه حاتما الى الكرمانى يستجيشه فقال له أصحابه دع عدويك يضطربان ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أحوز وخرج نصر من مرو من الغد فقاتلهم ثلاثة أيام وانهزم الكرمانى وأصحابه ونادى مناد يا معشر ربيعة واليمن ان أبا سيار قتل فانهزمت مضر ونصر وترجل ابنه تميم فقاتل وأرسل اليه الحرث انى كاف عنك فان اليمانية يعيرونى بانهزامكم فاجعل أصحابك ازاء الكرمانى ولما انهزم نصر غلب الكرمانى على مرو ونهب الاموال فأنكر ذلك عليه الحرث ثم اعتزل عن الحرث بشر بن جرموز الضبى فى خمسة آلاف وقال انما كنا نقاتل معك طلبا للعدل فأما ان اتبعت الكرمانى للعصبية فنحن لا نقاتل فدعا الحرث الكرمانى الى الشورى فأبى فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياما ثم ثلم الحرث السور ودخل البلد وقاتله الكرمانى قتالا شديدا فهزمه وقتله وأخاه سوادة واستولى الكرمانى على مرو وقيل ان الكرمانى خرج مع الحرث لقتال بشر بن جرموز ثم ندم الحرث على اتباع الكرمانى وأتى عسكر بشر فأقام معهم وبعث الى مضر من عسكر الكرمانى فساروا اليهم وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون الى خنادقهم ثم نقب الحرث بعد أيام سور مرو ودخلها وتبعه الكرمانى واقتتلوا فقتل الحرث وأخاه وبشر بن

جرموز وجماعة من بنى تميم وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فانهزم الباقون وصفت مرو لليمن وهدموا دور المضرية

(ظهور الدعوة العباسية بخراسان)

قد ذكرنا أن أبا مسلم كان يتردد الى الامام من خراسان ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين ليسأله عن الناس فسار فى سبعين من النقباء مؤذين بالحج ومر بنسا فاستدعى أسيدا فأخبره بان كتب الامام جاءت اليه مع الازهر بن شعيب وعبد الملك بن سعيد ودفع اليه الكتب ثم لقيه بقومس كتاب الامام اليه والى سليمان بن كثير انى قد بعثت اليك براية النصر فارجع من حيث لقاك كتابى ووجه قحطبة الى الامام بما معه من الاموال والعروض وجاء أبو مسلم الى مرو وأعطى كتاب الامام لسليمان بن كثير وفيه الامر باظهار الدعوة فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ودعوا الى طاعة بنى العباس وكتبوا الى الدعاة باظهار الامر ونزل أبو مسلم بقرية من قرى مرو فى شعبان من سنة تسع وعشرين ثم بثوا الدعاة فى طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وانهم ان أعجلهم عدوهم دون الوقت عاجلوه وجردوا السيوف للجهاد ومن شغله العدو عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن كثير الخزاعى آخر رمضان ونصر بن سيار يقاتل الكرمانى وشيبان فعقد اللواء الذى بعث به الامام اليه وكان يدعى الظل على رمح أربعة عشر ذراعا ثم عقد الراية التى بعثها معه وتسمى السحاب وهو يتلو أذن للذين يقاتلون الآية ولبسوا السواد هو وسليمان ابن كثير وأخوه سليمان ومواليه ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم فى خرقان فأصبحوا عنده ثم قدم عليه أهل السقادم مع أبى الوضاح فى سبعمائة راجل وقدم من الدعاة أبو العباس المروزى وحصن أبو مسلم بسفيدنج ورمها وحضر عيد الفطر فصلى سليمان بن كثير وخطب على المنبر فى العسكر وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة وكبر فى الاولى ست تكبيرات وفى الثانية خمسا خلاف ما كان بنو أمية يفعلون وكل ذلك مما سنه لهم الامام وأبوه ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة فطعموا وكان أبو مسلم وهو فى الخندق اذا كتب نصر ابن سيار يبدأ باسمه فلما قوى بمن اجتمع اليه كتب الى نصر وبدأ بنفسه وقال (أما بعد) فان الله تباركت أسماؤه عير قوما فى القرآن فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير الى ولن تجد لسنة الله تحويلا فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة أبى مسلم لثمانية عشر شهرا من ظهوره فبعث اليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعى فدعا الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا فقاتلهم مالك وهو فى مائتين

يوما بكماله وقدم على أبى مسلم صالح بن سليمان الضبى وابراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فسرحهم الى مالك فقوى مالك بهم وقاتلوا القوم فحمل عبد الله الطائى على يزيد مولى نصر فأسره وانهزم أصحابه وأرسله الطائى الى أبى مسلم ومعه رؤس القتلى فأحسن أبو مسلم الى يزيد وعالجه ولما اندملت جراحه قال ان شئت أقمت عندنا والا رجعت الى مولاك سالما بعد أن تعاهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا فرجع الى مولاه وتفرس نصر أنه عاهدهم فقال والله هو ما ظننت وقد استحلفونى أن لا أكذب عليهم وانهم والله يصلون الصلاة لوقتها بأذان واقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيرا ويدعون الى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسب أمرهم الا سيعلو ولولا أنك مولاى لاقمت عندهم وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الاوثان واستحلال الحرام ثم غلب حازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عامل نصر بها وكان من بنى تميم من الشيعة وأراد بنو تميم منعه فقال انا منكم فان ظفرت فهى لكم وان قتلت كفيتم أمرى فنزل قرية زاها ثم تغلب على أهلها فقتل بشر بن جعفر السغدى عامل نصر عليها أوائل ذى القعدة وبعث بالفتح الى أبى مسلم مع ابنه خزيمة بن حازم وقيل فى أمر أبى مسلم غير هذا وان ابراهيم الامام أزوج أبا مسلم لما بعثه خراسان بابنة أبى النجم وكتب الى النقباء بطاعته وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهى لادريس بن معقل العجلى ثم سار الى ولاية محمد بن على ثم ابنه ابراهيم ثم للائمة من ولده وقدم خراسان وهو حديث السن واستصغره سليمان بن كثير فرده وكان أبو داود خالد بن ابراهيم غائبا وراء النهر فلما جاء الى مرو أقرأه كتاب الامام وسألهم عن أبى مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده لحداثة سنه وأنه لا يقدر على الامر فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه فقال لهم أبو داود ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى جميع خلقه وأنزل عليه كتابه بشرائعه وأنبأه بما كان وما يكون وخلف علمه رحمة لامته وعلمه انما هو عند عترته وأهل بيته وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله أتشكون فى شئ من ذلك قالوا لا قال فقد شككتم والرجل لم يبعثه اليكم حتى علم أهليته لما يقوم به فبعثوا عن أبى مسلم وردوه من قومس بقول أبى داود وولوه أمرهم وأطاعوه ولم تزل فى نفس أبى مسلم من سليمان بن كثير ثم بعث الدعاة ودخل الناس فى الدعوة أفواجا واستدعاه الامام سنة تسع وعشرين أن يوافيه بالموسم ليأمره بأمره فى اظهار الدعوة وأن يقدم معه قحطبة بن شبيب ويحمل ما اجتمع عنده من الاموال فسار فى جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الامام بقومس يأمره بالرجوع واظهار الدعوة بخراسان وبعث قحطبة بالمال وان قحطبة سار الى جرجان واستدعى خالد بن برمك وأبا عون فقدما بما عندهما

من مال الشيعة فسار به نحو الامام

(مقتل الكرمانى)

قد ذكرنا من قبل أن الكرمانى قتل الحرث بن شريج فخلصت له مرو وتنحى نصر عنها ثم بعث نصر سالم بن أحوز فى رابطته وفرسانه الى مرو فوجد يحيى بن نعيم الشيبانى فى ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى فى سبعمائة من الازد وأبو الحسن بن الشيخ فى ألف منهم والحربى السغدى فى ألف من اليمن فتلاحى سالم وابن المثنى وشتم سالم الكرمانى فقاتلوه فهزموه وقتل من أصحابه نحو مائة فبعث نصر بعده عصمة بن عبد الله الاسدى فكان بينهم مثل ما كان أولا فقاتلهم محمد السغدى فانهزم السغدى وقتل من أصحابه أربعمائة ورجع الى نصر فبعث مالك بن عمر التميمى فاقتتلوا كذلك وانهزم مالك قتل من أصحابه سبعمائة ومن أصحاب الكرمانى ثلثمائة ولما استيقن أبو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وانه لامدد لهم جعل يكتب الى شيبان الخارجى يذم اليمانية تارة ومضر أخرى ويوصى الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لليمانية ليقرؤا ذم مضر والرسول بكتاب اليمانية أن يتعرض لمضر ليقرؤا ذم اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم كتب الى نصر بن سيار والكرمانى أن الامام أوصانى بكم ولا أعدو رأيه فيكم ثم كتب يستدعى الشيعة أسد بن عبد الله الخزاعى بنسا ومقاتل بن حكيم بن غزوان وكانوا أول من سود ونادوا يا محمد يا منصور ثم سود أهل ابى ورد ومرو الروذ وقرى مرو فاستدعاهم أبو مسلم وأقبل فنزل بين خندق الكرمانى وخندق نصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرمانى انى معك وقبل فانضم أبو مسلم اليه وكتب نصر بن سيار الى الكرمانى يحذره منه ويشير عليه بدخول مرو ليصالحه فدخل ثم خرج من الغد وأرسل الى نصر فى اتمام الصلح فى مائتى فارس فرأى نصر فيه غرة فبعث اليه ثلثمائة فارس فقتلوه وسار ابنه الى أبى مسلم وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة الى بعض الدور ودخل أبو مسلم مرو فبايعه على بن الكرمانى وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى وكان نصر حين نزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرمانى ورأى قوته كتب الى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لابراهيم بن محمد

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب اولها الكلام
فان لم تطفؤها يخرجوها * مسعرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام

فان يك قومنا أضحوا نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
تعزى عن رجالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فوجده مشتغلا بحرب الضحاك بن قيس فكتب اليه الشاهد يرى مالا يرى الغائب فاحتهم الثالول قبلك فقال نصر اما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده وصادف وصول كتاب نصر الى مروان عثورهم على كتاب من ابراهيم الامام لابى مسلم يوبخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانى اذ أمكنته ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلما بالعربية فلما قرأ الكتاب بعث الى عامله بالبلقاء أن يسير الى الحميمة فيبعث اليه بابراهيم ابن محمد مشدود الوثاق فحبسه مروان

*(اجتماع أهل خراسان على قتل أبى مسلم) *

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع اليه الناس وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر وكان الكرمانى وشيبان الخارجى لا يكرهان أمر أبى مسلم لانه دعا الى خلع مروان وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجاب ولا غلظة الملك فكان الناس يأنسون به لذلك وأرسل نصر الى شيبان الخارجى فى الصلح ليتفرغ لقتال أبى مسلم اما أن يكون معه أو يكف عنه ثم نعود الى ما كنا فيه فهم شيبان بذلك وكتب أبو مسلم الى الكرمانى فحرضه على منع شيبان من ذلك فدخل عليه وثناه عنه ثم بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى الى هراة فملكها وطرد عنها عيسى بن عقيل بن معقل الليثى عامل نصر فجاء يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى الى الكرمانى وشيبان وأغراهما بمصالحة نصر وقال ان صالحتم نصرا قاتله ابو مسلم وترككم لان أمر خراسان لمضر وان لم تصالحوه صالحه وقاتلكم فقدموا نصرا قبلكم فأرسل شيبان الى نصر فى الموادعة فأجاب وجاء مسلم بن أحوز بكتب الموادعة فكتبوها وبعث أبو مسلم الى شيبان فى موادعة ثلاثة أشهر فقال ابن الكرمانى اذا ما صالحت نصرا انما صالحه شيبان وأنا موتور بأبى ثم عاود القتال وقعد شيبان عن نصره وقال لا يحل الغدر فاستنصر ابن الكرمانى بأبى مسلم فأقبل حتى نزل الماخوان لثنتين وأربعين يوما من نزوله بسفيذنج وخندق على معسكره وجعل له بابين وعلى شرطته مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان وعلى ديوان الجند أبا صالح كامل بن المظفر وعلى الرسائل أسلم بن صبيح وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب وكان القاسم يصلى بأبى مسلم ويقرأ القصص بعد العصر فيذكر فضل بنى هاشم ومساوى بنى أمية ولما نزل أبو مسلم الماخوان أرسل الى ابن الكرمانى بأنه معه فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع وذلك أول المحرم سنة ثلاثين ثم عرض الجند وأمر كامل ابن مظفر بكتب أسمائهم وأنسابهم فى دفتر فبلغت عدتهم سبعة آلاف ثم ان القبائل من

ربيعة ومضر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلم فعظم ذلك عليه وتحوّل عن الماخران لاربعة أشهر من نزولها لانها كانت تحت الماء وخشي أن يقطع فتحوّل الى طبسين وخندق بها وخندق نصر بن سيار على نهر عياض وأنزل عماله بالبلاد فأنزل أبا الديال في جنده لطوسان فآذوا أهلها وعسفوهم وكان أكثرهم مع أبي مسلم في خندق فسير اليهم جندا فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين فأطلقهم أبو مسلم ثم بعث محرز بن ابراهيم في جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان فخندق بين نصر وبين هذه البلاد واجتمع اليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر

(مقتل عبد الله بن معاوية)

قد تقدّم لنا أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بويع بالكوفة وغلبه عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن وجاءه ناس من أهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والريّ وأقام باصبهان وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الامارة باصطخر وطرد عامل عبد الله بن عمر عنها وبايع الناس لعبد الله بن معاوية ثم سار الى كرمان فأغار عليها وانضم اليه قوّاد من أهل الشأم فسار الى سالم بن المسيب عامل عبد الله بن عمر على شيراز فقتله سنة ثمان وعشرين ثم سار محارب الى اصبهان وحوّل عبد الله بن معاوية الى اصطخر بعد أن استعمل على الجبال أخاه الحسن بن معاوية وأتى الى اصطخر فنزل بها وأتاه بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجي ثم أتاه أبو جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق أرسل نباتة ابن حنظلة الكلابي على الاهواز وأن يقاتل عبد الله بن معاوية وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالاهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة وهرب سليمان من الاهواز الى نيسابور وقد غلب الاكراد عليها فطردهم عنها وبايع لابن معاوية فبعث أخاه يزيد بن معاوية عليها ثم انّ محارب بن موسى فارق عبد الله بن معاوية وجمع وقصد نيسابور فقاتله يزيد ابن معاوية وهزمه فأتى كرمان وأقام بها حتى قدم محمد بن الاشعث فصار معه ثم نافره فقتله ابن الاشعث وأربعة وعشرين ابنا له ثم بعث يزيد بن هبيرة بعد نباتة بن حنظلة ابنه داود بن يزيد في العساكر الى عبد الله بن معاوية وعلى مقدّمته داود بن ضبارة وبعث معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلوا عبد الله بن معاوية وهزموه وأسروا وقتلوا وهرب منصور بن جمهور الى السند وعبد الرحمن بن يزيد الى عمان وعمر بن سهيل

ابن عبد العزيز بن مروان الى مصر و بعثوا بالاسرى الى ابن هبيرة فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس الى خراسان وسار معن بن زائدة فى طلب منصور بن جمهور وكان فيمن اسر مع عبد الله بن معاوية عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس شفع فيه حرب ابن قطن من أخواله بنى هلال فوهبه له ضبارة وغاب عبد الله بن معاوية عن ابن ضبارة ورمى أصحابه باللواطة فبعث الى ابن هبيرة ليخبره وسار ابن ضبارة فى طلب عبد الله بن معاوية الى شيراز فحاصره بها حتى خرج منها هاربا ومعه اخوه الحسن و يزيد وجماعة من أصحابه فسلك المفازة على كرمان الى خراسان طمعا فى أبى مسلم لانه كان يدعو الى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحى هراة وعليها مالك فقال له انتسب نعرفك فانتسب له فقال أمّا عبد الله وجعفر فمن أسماء آل الرسول وأمّا معاوية فلا نعرفه فى أسمائهم قال انّ جدّى كان عند معاوية حين ولد أبى فبعث اليه مائة ألف على أن يسمى ابنه باسمه فقال لقد اشتريتم الاسماء الخبيثة بالثمن اليسير فلا نرى لك حقا فيما تدعو اليه ثم بعث بخبره الى أبى مسلم فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم ثم كتب اليه باطلاق أخويه الحسن ويزيد وقتل عبد الله فوضع الفراش على وجهه فمات

لما تعاقد نصر وابن الكرمانى وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبى مسلم عظم على الشيعة وجمع أبو مسلم اصحابه ودس سليمان بن كثير الى ابن الكرمانى يذكره بثأر أبيه من نصر فانتقضوا فبعث نصر الى أبى مسلم بموافقة مضر وبعث اليه أصحاب ابن الكرمانى وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون الى أحدهما وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأنّ مضر أصحاب مروان وعماله وشيعته وقتلة يحيى بن زيد فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كثير ويزيد بن شقيق السلمى بمثل ذلك وبان نصر بن سيار عامل مروان ويسميه أمير المؤمنين وينفذ أوامره فليس على هدى وانما يختار على بن الكرمانى وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الوفد ورجع أبو مسلم من أبين الى الماخران وأمر الشيعة ببناء المساكن وأمن من فتنة العرب ثم أرسل اليه على بن الكرمانى أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الاخرى فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرمانى نصر بن سيار الحرب ودخل مرو من ناحيته و بعث أبو مسلم بعض النقباء فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعى وعلى ميمنته مالك بن الهيثم وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع فدخل مرو والفريقان يقتتلان ومضى الى قصر الامارة وهو يتلو ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها

وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا الى معسكرهم وصفت له مرو وأمر بأخذ البيعة من الجند وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زريق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن على من الشيعة حين بعث دعاته الى خراسان سنة ثلاث وأربع وكانوا اثنى عشر رجلا فمن خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن زريق وعمر بن أعين ومن طيء قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان ومن تميم أبو عيينة موسى ابن كعب ولاهز بن قريط والقاسم بن مجاشع وأسلم بن سلام ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن ابراهيم الشيبانى وأبو على الهروى ويقال شبل بن طهمان وكان عمر ابن أعين مكان موسى بن كعب وأبو النجم اسمعيل بن عمران مكان أبى على الهروى وهو ختن أبى مسلم ولم يكن أحد من النقباء ووالده غير أبى منصور طلحة بن زريق ابن سعد وهو أبو زينب الخزاعى وكان قد شهد حرب ابن الاشعث وصحب المهلب وغزا معه وكان أبو مسلم يشاوره فى الامور وكان نص البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله الحرام وعلى أن لا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى تبدأكم به ولاتكم وذلك سنة ثلاثين ومائة ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريط فى جماعة الى نصر بن سيار يدعوا الى البيعة وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأصحابه فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد وأرسل أصحابه بالخروج من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه فقال أسلم بن أحوز لا يتهيأ لنا الليلة فلما أصبح أبو مسلم كتابه وأعاد لاهز بن قريط الى نصر يستحثه فأجاب وأقام لوضوئه فقال لاهز ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته ومعه ابنه تميم والحكم بن نميلة النميرى وامرأته المرزبانة وانطلقوا هرابا واستبطأه لاهز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ أبا مسلم هربه فجاء الى معسكره وقبض على أصحابه منهم سالم بن أحوز صاحب شرطته والبخترى كاتبه وابنان له ويونس ابن عبد ربه ومحمد بن قطن وغيرهم وسار أبو مسلم وابن الكرمانى فى طلبه ليلتهما فأدركا امرأته قد خلفها وسار فرجعوا الى مرو وبلغ نصر من سرخس فأقام بطوس خمس عشرة ليلة ثم جاء نيسابور فأقام بها وتعاقد ابن الكرمانى مع أبى مسلم على رأيه ثم بعث الى شيبان الحرورى يدعوه الى البيعة فقال شيبان بل أنت تبايعنى

واستنصر بابن الكرمانى فأبى عليه وسار شيبان الى سرخس واجتمع له جمع من بكر ابن وائل وبعث اليه أبو مسلم فى الكف فسجن الرسل فكتب الى بسام بن ابراهيم مولى بنى ليث المكنى بأبى ورد أن يسير اليه فقاتله وقتله وقتل بكر بن وائل الرسل الذين

كانوا عنده وقيل ان أبا مسلم انما وجه الى شيبان عسكرا من عنده عليهم خزيمة بن حازم وبسام بن ابراهيم ثم بعث أبو مسلم كعبا من النقباء الى ابيورد فافتتحها ثم أبا داود خالد بن ابراهيم من النقباء الى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيرى فجمع له أهل بلخ وترمذ وجند طخارستان ونزل الجوزجان واتبعهم أبو داود فهزمهم وملك مدينة بلخ وساروا الى ترمذ فكتب أبو مسلم الى أبي داود يستقدمه وبعث مكانه على بلخ يحيى ابن نعيم أبا الميلا فداخله زياد بن عبد الرحمن فى الخلاف على أبى مسلم واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن الباهلى وعيسى بن زرعة السلمى وأهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وما وراء النهر ونزلوا على فرسخ من بلخ وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه واتفقت كلمة مضر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المسودة وولوا عليهم مقاتل بن حيان النبطى مخافة أن يتنافسوا وبعث أبو مسلم أبا داود اليهم فأقبل بعساكره حتى اجتمعوا على نهر السرجسان واقتتلوا وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القرشى مسلحة وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم وكانت راياته سودا وأغفلوا ذلك فلما اشتد القتال زحف أبو سعيد فى أصحابه لمددهم فظنوه كمينا للمسودة فانهزموا وسقطوا فى النهر وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه وملك بلخ ومضى زياد ويحيى ومن معهما الى ترمذ وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود وبعث النضر بن صبيح المزنى على بلخ ولما قدم أبو داود أشار على أبى مسلم بالتفرقة بين على وعثمان ابنى الكرمانى فبعث عثمان على بلخ وقدمها فاستخلف الفرافصة بن ظهير العبسى وسار هو والنضر بن صبيح الى مرو الروذ وجاء مسلم بن عبد الرحمن الباهلى من ترمذ فى المضرية فاستولى على بلخ ورجع اليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم ولم يعن النضر فى طلبهم وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم ورجع أبو داود الى بلخ وسار أبو مسلم الى نيسابور ومعه على بن الكرمانى وقد اتفق مع أبى داود على قتال ابنى الكرمانى فقتل أبو داود عثمان فى بلخ وقتل أبو مسلم عليا فى طريقه الى نيسابور

* (مسير قحطبة للفتح) *

وفى سنة ثلاثين قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم من عند الامام ابراهيم وقد عقد له لواء على محاربة العدو فبعثه أبو مسلم فى مقدمته وضم اليه العساكر وجعل اليه التولية والعزل وأمر الجنود بطاعته وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمال على البلاد فبعث ساعى بن النعمان الازدى على سمرقند وأبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ومحمد بن الاشعث الخزاعى على طبسين وجعل مالك بن الهيثم على شرطته وبعث قحطبة الى طوس ومعه عدة من القواد أبو عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك

وعثمان بن نهيك وحازم بن خزيمة وغيرهم فهزم أهل طوس وأثخن فى قتلهم ثم بعث أبو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق المحجة وكتب الى قحطبة بقتال تميم ابن نصر بالسودقان ومعه النابى بن سويد وأصحاب شيبان وأمدّه بعشرة آلاف مع على بن معقل فزحف اليهم ودعاهم بدعوته وقاتلهم فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه يقال بلغوا ثلاثين ألفا واستبيح معسكرهم وتحصن الباقى بالمدينة فاقتحمها عليهم وخلف خالد بن برمك على قبض الغنائم وسار الى نيسابور فهرب منها نصر بن سيار الى قومس ثم تفرق عنه أصحابه فسار الى نباتة بن حنظلة بجرجان وكان يزيد بن هبيرة بعثه بمدد النصر فأتى فارس واصبهان ثم سار الى الرى ثم الى جرجان وقدم قحطبة نيسابور فأقام بها رمضان وشوال وارتحل الى جرجان وجعل ابنه الحسن على مقدمته وانتهى الى جرجان وأهل الشأم بها مع نباتة فهابهم أهل خراسان فخطبهم قحطبة وأخبرهم أن الامام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدد فينصرونه عليهم ثم تقدم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن فانهزم اهل الشأم وقتل نباتة فى عشرة آلاف منهم وبعث برأسه الى أبى مسلم وذلك فى ذى الحجة السنة وملك قحطبة جرجان ثم بلغه أن أهل جرجان يرومون الخروج عليه فاستعرضهم وقتل منهم نحوا من ثلاثين ألفا وسار نصر من قومس الى خوار الرى وعليها أبو بكر العقيلى وكتب الى ابن هبيرة بواسط يستمده فحبس رسله وكتب مروان الى ابن هبيرة فجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا الى نصر وعليهم ابن عطيف

(هلاك نصر بن سيار)

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن الى محاصرة نصر فى خوار الرى فى محرم سنة احدى وثلاثين وبعث اليه المدد مع أبى كامل وأبى القاسم محرز بن ابراهيم وأبى العباس المروزى ولما تقاربوا نزع ابو كامل الى نصر فكان معه وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصابهم شىء من متاعهم فبعثه نصر الى ابن هبيرة فاعترضه ابن عطيف بالرى فأخذه فغاضبه نصر فأقام ابن عطيف بالرى وسار نصر الى الرى وعليها حبيب بن يزيد النهشلى فلما قدمها سار ابن عطيف الى همذان وكان فيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلى فعدل ابن عطيف عنها الى اصبهان وبها عامر بن ضبارة وقدم نصر الرى فأقام بها يومين ومرض وارتحل فلما بلغ ساوة مات لاثنى عشر من ربيع الاول من السنة ودخل أصحابه همذان

(استيلاء قحطبة على الرى)

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم الى سمنان واقبل قحطبة من جرجان وقدم زياد بن زرارة القشيرى وقد كان قدم على طاعة أبى مسلم

واعتزم على اللحاق بابن ضبارة فبعث قحطبة فى أثره المسيب بن زهير الضبى فهزمه وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع ولحق قحطبة ابنه الحسن الى الرى فخرج عنها حبيب بن يزيد النهشلى وأهل الشأم ودخلها الحسن فى صفر ثم لحق به أبوه وكتب بالخبر الى أبى مسلم وقد أكثر أهل الرى الى بنى أمية فأخذ أبو مسلم أملاكهم ولم يردها عليهم الا السفاح بعد حين فأقام قحطبة بالرى وكتب أبو مسلم الى اصبهبد طبرستان بالطاعة واداء الخراج فأجاب وكتب الى المصمغان صاحب دنباوند وكبير الديلم بمثل ذلك فافحش فى الرد فكتب أبو مسلم الى موسى بن كعب أن يسير اليه من الرى فسار ولم يتمكن منه لضيق بلاده وكان الديلم يقاتلونه كل يوم فكثر فيهم الجراح والقتل ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع فرجع موسى الى الرى ولم يزل المصمغان متمنعا الى أيام المنصور فأغزاه حماد ابن عمر فى جيش كثيف ففتح دنباوند ولما ورد كتاب قحطبة على ابى مسلم ارتحل عن مرو ونزل نيسابور ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث ليال فسار عنها مالك بن أدهم وأهل الشأم وخراسان الى نهاوند ونزل على أربعة فراسخ من المدينة وأمده قحطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة وأقام محاصرا لها

* (استيلاء قحطبة على اصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور) *

قد تقدم لنا ان ابن هبيرة بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبد الله بن معاوية باصطخر وبعث معه عامر بن ضبارة فهزموه واتبعوه الى كرمان سنة تسع وعشرين فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان سنة ثلاثين كتب الى ابنه داود بن ضبارة بالمسير الى قحطبة فسار من كرمان فى خمسين ألفا ونزلوا اصبهان وبعث اليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مقاتل بن حكيم الكعبى فنزلوا قم وسار قحطبة الى نهاوند مددا لولده الحسن الذى حاصرهم فبعث مقاتلا بذلك قحطبة فسار حتى لحقه وزحفوا للقاء داود ابن ضبارة وهم فى مائة ألف وقحطبة فى عشرين ألفا وحمل قحطبة وأصحابه فانهزم ابن ضبارة وقتل واحتووا على ما كان فى معسكرهم مما لا يعبر عنه من الاصناف وذلك فى رجب وطير قحطبة بالخبر الى ابنه الحسن وسار الى اصبهان فأقام بها عشرين ليلة وقدم على ابنه فحاصروا نهاوند ثلاثة أشهر الى آخر شوال ونصبوا عليهم المجانيق وبعث بالامان الى من كان فى نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا فبعث الى أهل الشأم فقالوا أشغل عنا أهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا ففعلوا وخرجوا اليه جميعا فقتلوا أهل خراسان فيهم أبو كامل وحاتم بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلى بن عقيل وبيهس وكان قحطبة لما جاء الى نهاوند بعث ابنه الحسن الى جهات حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندى فتركها وهرب ثم بعث قحطبة

عبد الملك بن يزيد ومالك بن طرا فى أربعة آلاف الى شهرزور وبها عثمان بن سفيان على مقدمته عبد الله بن محمد فقاتلوا عثمان آخر ذى الحجة فانهزم وقتل وملك أبو عون بلاد الموصل وقيل ان عثمان هرب الى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل أصحابه وبعث اليه قحطبة بالمدد وكان مروان بن محمد بحران فسار فى أهل الشأم والجزيرة والموصل ونزل الزاب الاكبر وأتوا شهرزور الى المحرم سنة ثنتين وثلاثين

(حرب سفاح بن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة)

ولما قدم على يزيد بن هبيرة ابنه داود منهزما من حلوان خرج يزيد للقاء قحطبة فى مدد لا يحصى وكان مروان أمده بحوثرة بن سهيل الباهلى فسار معه حتى نزل حلوان واحتفر الخندق الذى كانت فارس احتفرته أيام الواقعة وأقام وأقبل قحطبة الى حلوان ثم عبر دجلة الى الانبار فرجع ابن هبيرة مبادرا الى الكوفة وقدم اليها حوثرة فى خمسة عشر ألفا وعبر قحطبة الفرات من الانبار لثمان من المحرم سنة ثنتين وثلاثين وابن هبيرة معسكر على فم الفرات وعلى ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة ومعه حوثرة وفل ابن ضبارة وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان فيتبعه قحطبة فأبى الا البدار الى الكوفة وعبر اليها دجلة من المدائن وعلى مقدمته حوثرة والفريقان يسيران على جانب الفرات وقال قحطبة لاصحابه ان الامام أخبرنى بأن وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا ثم دلوه على مخاضة فعبر منها وقاتل حوثرة وابن نباتة فانهزم أهل الشأم وفقد قحطبة وشهد مقاتل العلى بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعده فبايع جميع الناس لاخيه الحسن وكان فى سرية فبعثوا عنه وولوه ووجد قحطبة فى جدول هو وحرب بن كم بن أحوز وقيل ان قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضربه معن بن زائدة فسقط وأوصى اذا مات أن يلقى فى الماء ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشأم ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة الى أبى مسلمة الخلال بالكوفة وزير آل محمد ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم الى واسط واستولى الحسن ابن قحطبة على ما فى معسكرهم وبلغ الخبر الى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسرى بدعوة الشيعة خرج ليلة عاشوراء وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثى وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجلى وسار الى   فهرب زياد ومن معه من أهل الشأم ودخل القصر ورجع اليه حوثرة   وعن محمد عامة من معه ولزم القصر ثم جاء قوم من بجيلة من أصحاب حوثرة فدخلوا فى الدعوة ثم آخرون من كنانة ثم آخرون من بجدل فارتحل حوثرة نحوه   وكتب محمد الى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه فقرأه الحسن على الناس وارتحل نحو الكوفة فصبحها الرابعة من مسيره وقيل

ان الحسن بن قحطبة سار الى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في احد عشر رجلا فلقي الحسن ودخل معه وأتوا الى أبي سلمة فاستخرجوه من بني مسلمة وعسكر بالنخيلة ثم نزل حمام أعين وبعث الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة وبايع الناس أبا سلمة حفص ابن سليمان الخلال وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة وكان يسمى الامير حتى ظهر أبو العباس السفاح وبعث حميد بن قحطبة الى المدائن في قواد والمسيب بن هبيرة وخالد بن مرمل الى دير فناء وشراحيل الى عير وبسام ابن ابراهيم بن بسام الى الاهواز وبها عبد الرحمن بن عمر بن هبيرة فقاتله بسام وانهزم الى البصرة وعليها مسلم بن قتيبة الباهلي عاملا لاخيه وبعث بسام في أثره سفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب واليا على البصرة فجمع سالم قيسا ومضر وبني أمية وجاء قائد من قواد ابن هبيرة في ألفي رجل وجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة واقتتلوا في صفر وقتل ابن سفيان واسمه معاوية فانهزم لذلك ثم جاء الى سالم أربعة آلاف مددا من عند مروان فقاتل الازد واستباحهم ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة فهرب عنها واجتمع ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أياما حتى قدم أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل أبي مسلم فلما بويع أبو العباس السفاح ولاها سفيان بن معاوية

(بيعة السفاح)

قد كنا قدمنا خبر الدعاة وقبض مروان على ابراهيم بن محمد وأنه حبسه بحران وكان نعى نفسه الى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة وأوصى على أخيه أبي العباس عبد الله بن الحرثية فسار أبو العباس ومعه أهل بيته وفي اخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابن أخيه ابراهيم وعيسى ابن أخيه موسى ومن أعمامه داود وعيسى وصالح واسمعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي بن عبد الله بن عباس وموسى ابن عمه داود ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس فقدموا الكوفة في صفر وأبو سلمة والشيعة على حمام أعين بظاهر الكوفة وأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود وكتم أمرهم عن جميع القواد والشيعة أربعين ليلة وأراد فيما زعموا أن يحول الامر الى أبي طالب وسأله أبو الجهم من الشيعة وغيره فيقول لا تعجلوا ليس هذا وقته ولقي أبو حميد محمد بن ابراهيم ذات يوم خادم ابراهيم الامام وهو سابق الخوارزمي فسأله عن الامام فقال قتل ابراهيم وأوصى الى أخيه أبي العباس وها هو بالكوفة ومعه أهل بيته فسأله في اللقاء فقال حتى أستأذن وواعده من الغد

في ذلك المكان وجاء أبو حميد الى أبي الجهم فأخبره وكان في عسكر ابي سلمة فقال له تلطف في لقائهم فجاء الى موعد سابق ومضى معه ودخل عليهم فسأل عن الخليفة فقال داود ابن علي هذا امامكم وخليفتكم يشير الى أبي العباس فسلم عليه بالخلافة وعزاه بابراهيم الامام ورجع ومعه خادم من خدمهم الى أبي الجهم فأخبره عن منزلهم وان أبا العباس أرسل الى أبي سلمة أن يبعث اليه كراء الرواحل التي جاؤا اليها فلم يبعث اليهم شيأ فمشى أبو الجهم وأبو الحميد والخادم الى موسى بن كعب وأخبروه بالامر وبعثوا الى الامام مائتي دينار مع خادمه واتفق رأى القواد على لقاء الامام فنهض موسى بن كعب وأبو الجهم عبد الحميد بن ربعي وسلمة بن محمد وعبد الله الطائي واسحق بن ابراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبد الله بن بسام ومحمد بن ابراهيم ومحمد بن حصين وسليمان بن الاسود فدخلوا على أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في ابراهيم ورجع موسى ابن كعب وأبو الجهم وخلفوا الباقين عند الامام وأوصوهم ان جاء أبو سلمة لا يدخلن الا وحده وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حدوا له وسلم على أبي العباس بالخلافة وأمره بالعود الى معسكره وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول فلبسوا السلاح واصطفوا للخروج الى أبي العباس وأتوه بالدواب له ولمن معه من أهل بيته وأركبوهم الى دار الامارة ثم رجع الى المسجد فخطب وصلى بالناس وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه وصعد عمه داود فقام دونه وخطب خطبته البليغة المشهورة وذكر حقهم في الامر وميراثهم له وزاد الناس في أعطياتهم وكان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على أعلى المراقي فخطب مثله وذم سيرة بني أمية وعاهد الناس على اقامة الكتاب والسنة وسيره ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة الى المنبر وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها وانما قطعه عن اتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله له بالعافية ثم بالغ في ذم مروان وشكر شيعتهم من أهل خراسان وأن الكوفة منزلهم لا يتخلون عنها وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار الى السفاح وأن هذا الامر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه لعيسى بن مريم ثم نزل أبو العباس وداود امامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جن الليل وخرج أبو العباس الى عسكر أبي سلمة ونزل معه في حجرته بينهما ستر وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة عمه داود وبعث عمه عبد الله الى أبي عون بن يزيد بشهرزور وبعث ابن أخيه موسى الى الحسن ابن قحطبة وهو يحاصر ابن هبيرة بواسط وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الى

أحمد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر الى بسام بن ابراهيم بن بسام بالاهواز وبعث سلمة بن عمر بن عثمان بن مالك بن الطواف وأقام السفاح بالعسكر شهرا ثم ارتحل فنزل قصر الامارة من المدينة الهاشمية وقد قيل ان داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشأم عند مسير بني العباس الى الكوفة وانهما لقياهم بدومة الجندل فعرفا خبرهم وقال لهم داود كيف تأتون الكوفة ومروان ابن محمد في حران في أهل الشأم والجزيرة فطل على العراق ويزيد بن هبيرة بالعراق فقال ياعم من أحب الحياة ذل فرجع داود وابنه معه

(مقتل ابراهيم بن الامام)

قد تقدم لنا أن مروان حبسه بحران وحبس سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السفياني فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم بن الامام وعبد الله بن عمر وخرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين بعد أن قتلوا صاحب السجن فقتلهم الغوغاء من أهل حران وكان فيمن قتلوه شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر الثعلبي وبطريق أرمينية واسمه كوشان وتخلف أبو محمد السفياني في الحبس لم يستحل الخروج منه ولما قدم مروان منهزما من الزاب حل عنه فيمن بقي وقيل ان شراحيل بن مسلمة كان محبوسا مع ابراهيم وكانا يتزاوران ويتهاديان فدس في بعض الايام الى ابراهيم بن الامام بلبن مسموم على لسان شراحيل فاستطلق بطنه وقيل ان شراحيل قال انا لله وانا اليه راجعون احتيل والله عليه وأصبح ميتا من ليلته

(هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر)

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الازدي الى شهرزور فقتل عثمان ابن سفيان وأقام بناحية الموصل وأن مروان بن محمد سار اليه من حران في مائة وعشرين ألفا وسار أبو عون الى الزاب ووجه أبو سلمة عيينة بن موسى والمنهال بن قبان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مددا له فلما بويع أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ودراس بن فضلة في خمسمائة كلهم مددا لابي عون ثم ندب أهل بيته الى المسير الى ابي عون فانتدب عبد الله بن علي فسار وقدم على أبي عون فتحول له عن سرادقه بما فيه ثم أمر عيينة بن موسى بخمسة آلاف فعبر النهر من الزاب أول جمادى الاخيرة سنة اثنتين وثلاثين وقاتل عساكر مروان الى المساء ورجع فعقد مروان الجسر من الغد وقدم ابنه عبد الله [illegible] فبعث عبد الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة نحو عبيد الله

ابن مروان فسرح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فانهزم أصحاب المخارق وأسر هو وجيء به الى مروان مع رؤس القتلى فقال أنت المخارق قال لا قال فتعرفه فى هذه الرؤس قال نعم قال هو ذا فخلى سبيله وقيل بل أنكر أن يكون فى الرؤس فخلى سبيله وعاجلهم عبد الله بن على بالحرب قبل أن يفشو الخبر وعلى ميمنته أبو عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية وكان عسكره نحوا من عشرين ألفا وقيل اثنى عشر وأرسل مروان اليه فى الموادعة فأبى وحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو صهر مروان على ابنته فقاتل أبا عون حتى انهزم الى عبد الله بن على فأمر الناس فارتجلوا ومشى قدما ينادى يالثارات ابراهيم وبالاشعار يا محمد يا منصور وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته ثم ظهر له الخلل فأباح الاموال للناس على أن يقاتلوا فأخذوها من غير قتال فبعث ابنه عبد الله يصدهم عن ذلك فتبادروا بالفرار وانهزموا وقطع مروان الجسر وكان من غرق أكثر ممن قتل وغرق ابراهيم بن الوليد المخلوع وقيل بل قتله عبد الله بن على بالشام وممن قتل يحيى بن على بن هشام وكان ذلك فى جمادى الاخيرة سنة ثنتين وثلاثين وأقام عبد الله فى عسكره سبعة أيام واحتاز عسكر مروان بما فيه وكتب بالفتح الى أبى العباس السفاح وسار مروان منهزما الى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر التغلبى وابن خزيمة الاسدى فقطعا الجسر ومنعاه العبور اليهم وقيل هذا أمير المؤمنين فتجاهلوا وقالوا أمير المؤمنين لا يفر ثم أسمعوه الشتم والقبائح فسار الى حران وبها أبان ابن أخيه وسار الى حمص وجاء عبد الله الى حران فلقيه أبو مسعود فأمنه وولى الجزيرة ولما بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثا وارتحل فاتبعه أهلها لينهبوه فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وسار الى دمشق وعليها الوليد ابن عمه فأوصاه بقتال عدوه وسار الى فلسطين فنزل نهر أبى فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامى فأرسل الى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامى فأجاره ثم سار عبد الله بن على فى أثره من حران بعد أن هدم الدار التى حبس فيها أخوه الامام ابراهيم وانتهى الى منبج فأطاعه أهلها وقدم عليه أخوه عبد الصمد بعثه السفاح مددا فى ثمانية آلاف وافترق قواد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياما ثم دخلوها عنوة لخمس من رمضان واقتتلوا بها كثيرا وقتل عاملها الوليد بن معاوية وأقام عبد الله بدمشق خمس عشرة ليلة وارتحل يريد فلسطين فأجفل مروان الى العريش وجاء عبد الله فنزل نهر ابى فطرس ووصله هنالك كتاب السفاح بان يبعث صالح ابن على فى طلب مروان فسار صالح فى ذى القعدة وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن اسمعيل الحارثى فأجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد ونزل صالح الفسطاط وتقدمت

عساكره فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم ودلوهم على مكانه ببوصير فسار اليه أبو عون وبيته هنالك خوفا من أن يفضحه الصبح فانهزم مروان وطعن فسقط فى آخر ذى الحجة الحرام وقطع رأسه وبعث به طليعة أبى عون اليه فبعثه الى السفاح وهرب عبدالله وعبيدالله ابنا مروان الى أرض الحبشة وقاتلوهم فقتل عبيدالله ونجا عبدالله وبقى الى أيام المهدى فأخذه عامل فلسطين وسجنه المهدى وكان طليعة أبى عون عامر بن اسمعيل الحارثى فوجد نساء مروان وبناته فى كنيسة بوصير قد وكل بهنّ خادما يقتلهنّ بعده فبعث بهنّ صالح ولما دخلن عليه سألنه فى الابقاء فلامهنّ على قتالهم عند بنى أمية ثم عفا عنهنّ وحملهنّ الى حران يبكين وكان مروان يلقب بالحمار لجرته فى مواطن الحرب وكان أعداؤه يلقبونه الجعدى نسبة الى الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق وأمر هشام خالدا القسرى بقتله فقتله ثم تتبعوا بنى أمية بالقتل ودخل اسديف يوما على السفاح وعنده سليمان بن هشام وقد أمنه والده فقال

لايغرّنك ما ترى من رجال * انّ بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بسليمان فقتل ودخل شبل بن عبدالله مولى بنى هاشم على عبدالله بن على وعنده ثمانون أو تسعون من بنى أمية يأكلون على مائدته فقال

أصبح الملك فى ثبات الاساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا امر هاشم فنعونا * بعد ميل من الزمان وباس
لاتقيلنّ عبد شمس عثارا * فاقطعن كل رقلة وغراس
فلنا أظهر التودّد منها * وبها منكم بحز المواسى
فلقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من نمارق وكراسى
* انزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحرّان أضحى * ثاويا رهن غربة ونعاس

فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعمد وبسط من فوقهم الانطاع فأكل الطعام عليها وأنينهم يسمع حتى ماتوا وذلك بنهر أبى فطرس وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والمعز بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان وسعيد بن عبد الملك وأبو عبيدة بن الوليد ابن عبد الملك وقيل انّ ابراهيم المخلوع قتل معهم وقيل انّ اسديفا هو الذى أنشد هذا الشعر للسفاح وانه الذى قتلهم ثم قتل سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بالبصرة جماعة من بنى أمية فأمر باشلائهم فى الطرق فأكلتهم الكلاب وقيل انّ عبدالله

ابن علی أمر بنبش قبور الخلفاء من بنی أمیة فلم یجدوا فی القبور الا شبه الرماد وخیطا فی قبر معاویة وجمجمة فی قبر عبد الملك وربما وجد فیها بعض الاعضاء الا هشام بن عبد الملك فانه وجد كما هو لم یبل فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذرّاه فی الریح والله أعلم بصحة ذلك ثم تتبعوا بنی أمیة بالقتل فلم یفلت منهم الا الرضعاء أو من هرب الى الاندلس مثل عبد الرحمن بن معاویة بن هشام وغیره ممن تبعه من قرابته كما یذكر فی أخبارهم

(بقیة الصوائف فی الدولة الامویة)

قد انتهینا بالصوائف الى آخر أیام عمر بن عبد العزیز وفی سنة اثنتین ومائة أیام الیزید غزا عمر بن هبیرة الروم من ناحیة أرمینیة وهو علی الجزیرة قبل أن یلی العراق فهزمهم وأسر منهم خلقا وقتل منهم سبعمائة أسیر وغزا العباس بن الولید الروم أیضا ففتحها لسنة ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدینة رسلة ثم غزا الجراح الحكمی أیام هشام سنة خمس فبلغ وراء بلنجر وغنم وغزا فی هذه السنة سعید بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل فی سریة فهلكوا جمیعا وغزا فیها مروان بن محمد بالصائفة الیمنی ففتح مدینة قریبة من أرض الروكخ ثم غزا سعید بن عبد الملك بالصائفة أیام هشام سنة ست ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزیرة وهو وال علیها ففتح قیساریة وغزا ابراهیم بن هشام ففتح حصنا وغزا معاویة بن هشام فی البحر قبرس وغزا سنة تسع ففتح حصنا آخر یقال له طیبة وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهری وكان علی جیش البحر عبد الرحمن بن معاویة بن خدیج وغزا بالصائفة الیسری سنة احدی عشرة معاویة بن هشام وبالصائفة الیمنی سعید بن هشام وفی البحر عبد الله بن أبی مریم وافتتح معاویة فی صائفة ثلاث عشرة مدینة خرشفة وغزا سنة ثلاث عشرة عبد الله البطال فانهزم فثبت عبد الوهاب من أصحابه فقتل ودخل معاویة بن هشام أرض الروم من ناحیة مرعش ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة الیسری وأصحاب ربض أفرق والتقی عبد الله البطال مع قسطنطین فهزمه البطال وأسره وغزا سلیمان بن هشام بالصائفة الیسری فبلغ قیساریة وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب وغزا معاویة بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة وغزا سفیان بن هشام بالصائفة الیسری سنة سبع عشرة وسلیمان ابن هشام بالصائفة الیمنی من ناحیة الجزیرة وفرق السرایا فی أرض الروم وبعث فیها مروان بن محمد من أرمینیة فافتتحوا من أرض اللان آهلها أخذها قوما نساه صلحا وغزا معاویة وسلیمان أیضا أرض الروم سنة ثمانی عشرة وغزا فیها مروان بن محمد من أرمینیة ودخل أرض وارقیس فهرب وارقیس الى الخزر ونازل حصنه فحاصره وقتل وارقیس بعض من اجتاز به وبعث برأسه الى مروان ونزل

أهل الحصن على حكمه فقتل وسبى وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من أرمينية ومر ببلاد اللان الى بلاد الخزر على بلنجر وسمندر وانتهى الى خاقان فهرب خاقان منه وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سندره وغزا اسحق بن مسلم العقيلي قومانساه وافتتح قلاعه وخرب أرضه وغزا مروان من أرمينية سنة احدى وعشرين وأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ثم قلعة أخرى كذلك ودخل عزسك وهو حصن الملك فهرب منه الملك ودخل حصنا له يسمى بحرج فيه سرير الذهب فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة ومائة ألف مدنى ثم دخل أرض أرزق وتصران فصالحه ملكها ثم أرض تومان كذلك ثم أرض حمدين فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا حتى صالحه ثم أرض مسداد ففتحها على صلح ثم نزل كيلان فصالحه أهل طبرستان وكيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية الى طبرستان وغزا مسلمة بن هشام الروم فى هذه السنة فافتتح بها مطامير وفى سنة اثنتين وعشرين بعدها قتل البطال واسمه عبد الله بن الحسين الانطاكى وكان كثير الغزو فى بلاد الروم والاغارة عليهم وقدمه مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان يغزو بلاد الروم الى أن قتل هذه السنة وفى سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه فلقى اليون ملك الروم فهزمه وغنم وفى سنة خمسة وعشرين خرجت الروم الى حصن زنطره وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهرى وخزينة الروم وبنى بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان ثم بناه الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر ببنائه وتحصينه ثم طرقوه أيام المعتصم وخبره معروف وفى هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر وبعث الاسود بن بلال المحاربى بالجيش فى البحر الى قبرس ليخير أهلها بين الشأم والروم فافترقوا فريقين وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام ونزل العمق وبنى حصن مرعش

(عمال بنى أمية على النواحى)

استعمل معاوية أول خلافته سنة أربعين عبد الله بن عمرو بن العاصى على الكوفة ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة واستعمل على الخراج وكان على النقباء بها شريح وكان حمران بن أبان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية فبعث معاوية بشر بن ارطاة على البصرة وأمده فقتل أولاد زياد بن أبيه وكان عاملا على فارس لعلى بن أبى طالب فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بنى زياد فيما قبل ثم ولى على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وضم اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن تبرى وقد تقدم لنا

أخبار قيس في خراسان وكان عمرو بن العاصي على مصر كما تقدم فولى سنة احدى وأربعين من قبله على افريقية عقبة بن نافع بن عبد قيس وهو ابن خالته فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين بعدها غدامس وقتل وسبى وافتتح سنة ثلاثة وأربعين بعدها بلاد ودان وولى معاوية بالمدينة سنة اثنتين وأربعين مروان بن الحكم فاستقضى عبد الله بن الحرث بن نوفل وولى معاوية على مكة في هذه السنة خالد بن العاصي بن هشام وكان على أرمينية حبيب بن مسلمة الفهرى وولاه عليها معاوية ومات سنة اثنتين وأربعين فولى مكانه

واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر الهند عبد الله بن سوار العبدى ويقال ولاه معاوية وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان وولى مكانه الحرث ابن عبد الله بن حازم ثم عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين وولى مكانه الحرث بن عبد الله الازدى ثم عزله لاربعة أشهر وولى أخاه زيادا سنة خمس وأربعين فولى على خراسان الحكم بن عمرو الغفارى وجعل معه على الخراج أسلم بن زرعة الكلابى ثم مات الحكم فولى خالد بن عبد الله الحنفى سنة سبعة وأربعين ثم ولى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فضالة الليثى وتوفى عمرو بن العاصي سنة تسعة وأربعين فولى مكانه سعد بن العاصي فعزل عبد الله بن الحرث عن القضاء واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن وفي سنة خمسين توفى المغيرة بن شعبة فضم الكوفة الى أخيه زياد فجاء اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان يقسم السنة بين المصرين في الاقامة نصفا بنصف وفي سنة خمسين هذه اقتطع معاوية افريقية عن معاوية بن خديج بمصر وولى عقبة بن نافع الفهرى وكان مقيما ببرقة وزويلة من فتحها أيام عمرو بن العاصي فأمده بعشرة آلاف فسار اليها وانضاف اليه من أسلم من البربر ودوخ البلاد وبنى بالقيروان وأنزل عساكر المسلمين ثم استعمل معاوية على مصر وافريقية مولاه أبا المهاجر فأساء عزل عقبة وجاء عقبة الى الشأم فاعتذر اليه معاوية ووعده بعمله ومات معاوية فولاه يزيد سنة اثنتين وستين وذكر الواقدى أن عقبة ولى سنة اثنتين وستين واستعمل أبا المهاجر فولى الامصار فحبس عقبة وضيق عليه وأمره يزيد باطلاقه فوفد عقبة فأعاده الى عمله فحبس أبا المهاجر وخرج غازيا وأثخن حتى قتله كسيلة كما يأتى في أخباره وفي سنة احدى وخمسين ولى زياد على خراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خالد بن عبد الله الحنفى وفي سنة ثلاث وخمسين توفى زياد واستخلف على البصرة سمرة ابن جندب وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ثم ولى الضحاك بن قيس سنة خمس بعدها وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد واستخلفه

ابنه عبد الله ومات لشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفي وكان على صفا بيروز الديلمي من قبل معاوية فمات سنة ثلاث وخمسين وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص ورد اليها مروان بن الحكم ثم عزله سنة سبعة وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جندب وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان وولى على خراسان عبيد الله بن زياد ثم ولاه سنة خمس بعدها على البصرة مكان بن غيلان ثم ولى على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عثمان بن عفان وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضحاك بن قيس واستعمل مكانه ابن أم الحكم وهي أخته وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وطرده أهل الكوفة فولاه مصر فرده معاوية بن خديج وولى مكانه على الكوفة سنة تسعة وخمسين النعمان ابن بشير وولى فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد فقدم اليها قيس بن الهيثم السلمي فحبس أسلم بن زرعة فأغرمه ثلثمائة ألف درهم ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على النواحي من ذكرناه وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وعزل يزيد لاول ولايته الوليد بن عقبة عن المدينة والحجاز وولاها عمر بن سعيد الاشدق ثم عزله سنة احدى وستين ورد الوليد بن عقبة وولى على خراسان سالم بن زياد فبعث سالم اليها الحرث بن معاوية الحرثي وبعث أخاه يزيد الى سجستان وكان بها أخوهما عباد فخرج عنهما وقاتل يزيد أهل كابل فهزموه فبعث مسلم على سجستان طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي سنة وبعث سنة اثنتين وستين عقبة بن نافع الى افريقية فحبس أبا المهاجر واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي كما نذكر في أخباره وتوفي في هذه السنة مسلمة بن مخلد الانصاري أمير مصر ثم هلك يزيد سنة أربع وستين واستخلف أهل العراق على عبيد الله بن زياد وولى أهل البصرة عليهم عبد الله ابن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ويلقب ببه وهرب ابن زياد الى الشأم وجاء الى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفرخان فبعث عليهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب فهزموه فبعث عتاب بن ورقاء فهزمهم ثم بويع مروان وسار الى مصر فملكها من يد عبد الرحمن بن جحام القرشي داعية ابن الزبير وولى عليها عمر بن سعيد ثم بعثه للقاء مصعب بن الزبير لما بعثه أخوه عبد الله الى الشام وولى على مصر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها واليا الى أن هلك لسنة خمسة وثمانين فولى عبد الملك عليها ابنه عبد الله بن عبد الملك وخلع أهل خراسان بعد يزيد سالم بن زياد واستخلف المهلب بن أبي صفرة ثم ولى مسلم عبد الله بن حازم فاستبد بخراسان الى حين ثم أخرج أهل الكوفة عمر بن حريث خليفة بن زياد وبايعوا لابن الزبير وقدم المختار بن

أبي عبيد أميرا على الكوفة من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد وامتنع شريح من القضاء أيام الفتنة

واستعمل ابن الزبير على المدينة أخاه مصعبا سنة خمس وستين مكان أخيه عبد الله وثار بنو تميم بخراسان على عبد الله بن حازم فغلبه عليها بكير بن وشاح وغلب المختار على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين (ثم مات) مروان سنة خمس وستين وولي عبد الملك وولى ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة وولى مكانه بالمدينة جابر بن الاسود بن عوف الزهري ثم ملك عبد العزيز العراق سنة احدى وسبعين واستعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن أسد وعلى الكوفة أخاه بشر بن مروان وكان على خراسان عبد الله ابن حازم بدعوة ابن الزبير فقام بكير بن وشاح التميمي بدعوة عبد الملك وقتله وولاه عبد الملك خراسان وكان على المدينة طلحة بن عبد الله بن عوف بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الاسود فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان فغلبه عليها ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين وانفرد عبد الملك بالخلافة وولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمدا وعزل خالد بن عبد الله عن البصرة وضمها الى أخيه بشر فسار اليها واستخلف على الكوفة عمر بن حريث وولى على الحجاز واليمن واليمامة الحجاج بن يوسف وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير وعزل طارقا عن المدينة وسار من جنده وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا ادريس الخولاني وأمر بشرا أخاه أن يبعث المهلب بن أبي صفرة لحرب الازارقة وعزل عن خراسان بكير بن وشاح وولى مكانه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فبعث أمية ابنه عبد الله على سجستان وكان على افريقية زهير بن قيس البلوي فقتله البربر سنة تسع وستين وشغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير فلما فرغ منها بعث الى افريقية سنة أربع وسبعين حسان بن النعمان القيساني في عساكر لم ير مثلها فأثخن فيها وافترقت جموع الروم والبربر وقتل الكاهنة كما نذكر في أخبار افريقية ثم ولى عبد الملك سنة وسبعين الحجاج بن يوسف على العراق فقط وولى على السند سعيد بن أسلم بن زرعة وقتل في حروبها وكان أمر الخوارج وفي سنة ست وسبعين ولى على المدينة أبان بن عثمان وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أبي أوفى بعده هشام بن هبيرة وعلى قضاء المدينة عبد الله بن قشير بن مخرمة ثم كانت حروب الخوارج كما نذكر في أخبارهم وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمهما الى الحجاج بن يوسف فبعث الحجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة وعلى سجستان عبد الله بن ابى بكرة وولى على قضاء البصرة موسى بن أنس

واستعفى شريح بن الحرث من القضاء بالكوفة فولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى ثم ولى على قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وخرج عبد الرحمن بن الاشعث فملك سجستان وكرمان وفارس والبصرة ثم قتل ورجعت الى حالها وذلك سنة احدى وثمانين وفي سنة اثنتين وثمانين مات المهلب بن أبي صفرة واستخلف ابنه يزيد على خراسان فأقره الحجاج وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة وولى مكانه هشام بن اسمعيل المخزومي فعزل هشام نوفل بن مساحق عن القضاء وولى مكانه عمر بن خالد الزرقي وبنى الحجاج مدينة واسط وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وولى مكانه هشام أخاه المفضل قليلا ثم ولى قتيبة بن مسلم وتوفي عبد الملك وعزل الوليد لاول ولايته هشام بن اسمعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عبد العزيز فولى على القضاء أبا بكر بن عمر بن حزم وولى الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي وولى على قضائها عبد الله بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبا بكر بن أبي موسى الاشعري وفي سنة تسع وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسري وكان على ثغر السند محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج ففتح السند وقتل ملكه وكان على مصر عبد الله بن عبد الملك ولاه عليها أبوه فقل ملكها فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قرة بن شريك وعزل خالدا عن الحجاز وولى عمر بن عبد العزيز وفي سنة احدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية وولى مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان على طنجة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملا لمولاه موسى بن نصير عامل الوليد بالقيروان فأجاز البلاد والبحر الى بلاد الاندلس وافتتحها سنة اثنتين وتسعين كما يذكر في أخبارها وفي سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولى مكانه خالد بن عبد الله على مكة وعثمان بن حيان على المدينة ومات الحجاج سنة خمس وتسعين ثم مات الوليد سنة ست وتسعين وفيها قتل قتيبة بن مسلم لانتقاضه على سليمان وولاها سليمان يزيد بن المهلب وفيها مات قرة بن شريك

وكان على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وفي سنة سبع وتسعين عزل سليمان بن موسى بن نصير عن افريقية وولى مكانه محمد بن يزيد القرشي حتى مات سليمان فعزل واستعمل عمر مكانه اسمعيل بن عبد الله وفي سنة ثمان وتسعين كان فتح طبرستان وجرجان أيام سليمان بن عبد الملك على يد يزيد ابن المهلب وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عبد العزيز على البصرة عدي بن

ارطاة الفزارى وأمره بابقاء يزيد بن المهلب موثوقا فولى على القضاء الحسن بن أبى الحسن البصرى ثم اياس بن معاوية وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وولى على المدينة عبد العزيز بن ارطاة وولى على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى ثم عزل سنة مائة وولى عبد الرحمن بن نعيم القرشى وولى على الجزيرة عمر بن هبيرة الفزارى وعلى افريقية اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم وعلى الاندلس السمح بن مالك الخولانى ثم فى سنة احدى ومائة عزل اسمعيل عن افريقية وولاها يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فلم يزل عليها الى أن قتل وفى سنة اثنتين ومائة ولى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان فولى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم ابن أبى العاصى بن أمية ويقال له سعيد خذينة ثم استحيا من مسلمة فى أمر الجراح فعزله وولى مكانه ابن يزيد بن هبيرة فجعل على قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وكان على مصر أسامة بن زيد وليها بعد قرة بن شريك وولى ابن هبيرة على خراسان سعيد الحريشى مكان حذيفة وفى سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عن مكة وعن الطائف وولى مكانه على الطائف عبد الواحد بن عبد الله البصرى وفى سنة أربع ومائة ولى يزيد على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وعزل عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولى عليهما مكانه عبد الواحد النصرى وعزل ابن هبيرة سعيد الحريشى عن خراسان وولى عليها مسلم بن سعيد ابن أسلم بن زرعة الكلابى وولى على قضاء الكوفة الحسين بن حسين الكندى ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس وولى هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى واستعمل خالد على خراسان أخاه أسدا سنة سبع ومائة وعزل مسلم بن سعيد وولى على البصرة عقبة بن عبد الاعلى وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وولى على السند الجنيد بن عبد الرحمن واستعمل هشام على الموصل الحر بن يوسف وعزل عبد الواحد النصرى عن الحجاز وولى مكانه ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجمحى ثم عزله واستقضى الصلت الكندى وعزل الجراح بن عبد الله عن ارمينية واذربيجان وولى مكانه أخاه مسلمة فولى عليها الحرث ابن عمر الطائى وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر وفى سنة تسع عزل خالد أخاه أسدا عن خراسان وولى هشام عليها أشرس بن عبد الله السلمى وأمره أن يكاتب خالدا بعد أن كان خالد ولى الحكم بن عوانة الكلبى مكان أخيه فلم يقر فعزله هشام ومات فى سنة تسع عامل القيروان بشر بن صفوان فولى هشام مكانه عبيدة بن عبد الرحمن بن

الاغر السلمى فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبى عن الاندلس واستعمل حذيفة بن الاخوص الاشجعى ثم عزل لستة أشهر ووليها عثمان بن أبى تسعة الخثعمى وفى سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والاحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبى بردة وعزل ثمامة عن القضاء وفى سنة احدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرس بن عبد الله وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى وولى على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وعزل مسلمة وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية وعثمان بن أبى تسعة عن الاندلس وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكنانى وفى سنة اثنى عشرة قتل الجراح بن عبد الله صاحب ارمينية قتله التركمان فولى هشام مكانه سعيدا الحريشى ومات الهيثم عامل الاندلس وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبد الله الاشجعى شهرين وبعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبيل ابن عبد الرحمن السلمى عامل افريقية وغزا افرنجة فاستشهد فولى عبيدة مكانه عبد الملك بن قطن الفهرى وعزل عبيدة عن افريقية وولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار اليها وفى سنة أربع عشرة عزل هشام مسلمة عن أرمينية وولى مكانه مروان بن محمد بن مروان وعزل ابراهيم بن هشام عن الحجاز وولى مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومى وفى سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجنيد بن عبد الرحمن المرى عن خراسان وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى وفيها استعمل عبيد الله بن الحبحاب على الاندلس عقبة بن الحجاج القيسى مكان عبد الملك بن قطن ففتح خليتيه وفى سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى فاستخلف خالد أخاه أسدا وولى هشام على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار اليها واستخلف على مصر ولده وولى على الاندلس عقبة بن الحجاج وعلى طنجة ابنه اسمعيل وبعث حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان وفتح وغنم وأغزاه الى صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ففتح أكثرها ثم استدعاه لفتنة ميسرة كما نذكره فى أخبارهم وفى سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث وولى مكانه محمد بن هشام بن اسمعيل وفى سنة عشرين مات أسد بن عبد الله الخراسانى وولى مكانه نصر بن سيار وعزل هشام خالدا القسرى عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى استقدمه اليها من ولاية اليمن فأقر نصر بن سيار على خراسان وكان على قضاء الكوفة ابن شبرمة وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وولى يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن

ابن أبى ليلى وكان على قضاء البصرة اياس بن معاوية بن قرة فمات فى هذه السنة وفى سنة ثلاث وعشرين قتل كلثوم بن عياض الذى بعثه هشام لقتال البربر بالمغرب وتوفى عقبة بن الحجاج أمير الاندلس وقيل بل خلعوه وولى مكانه عبد الملك بن قطن ولايته الثانية كما يذكر وفى سنة أربع وعشرين ظهر أمر أبى مسلم بخراسان وتغلب بلج على الاندلس ثم مات وكان سار اليها من فل كلثوم بن عياض لما قتله البربر بالمغرب وولى هشام على الاندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى فأمر حنظلة بن صفوان أن يوليه فولاه وكان ثعلبة بن خزامة سلامة الجرابى قد ولوه بعد بلج فعزله أبو الخطار وفى هذه السنة ولى الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى على الحجاز فأسره ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر وولى مكانه منصور ابن جهور فبعث عامله على خراسان فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له ثم عزل يزيد منصور بن جهور وولى مكانه على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وغلب حنظلة على افريقية عبد الرحمن بن حبيب كما يذكر فى خبرها وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف وولى مكانه عبد العزيز بن عمر بن عثمان وغلب سنة سبع وعشرين عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على الكوفة وولى مروان على الحجاز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعلى العراق النضر بن سعيد الحريشى وامتنع ابن عمر من استلام العمل اليه ووقعت الفتنة بينهم ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر فى أخبارهم واستولى بنو العباس على خراسان وفى سنة تسع وعشرين ولى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى على الاندلس بعد ثوابة بن سلامة كما يأتى فى أخبارهم وولى مروان على الحجاز عبد الواحد وعلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وفى سنة ثلاثين ملك أبو مسلم خراسان وهرب عنها نصر بن سيار فمات بنواحى همذان سنة احدى وثلاثين وجاء المسودة عليهم قحطبة فطلبوا ابن هبيرة على العراق وملكوه وبايعوا خليفتهم أبا العباس السفاح ثم غلبوا مروان على الشام ومصر وقتلوه وانقرض أمر بنى أمية وعاد الامر والخلافة لبنى العباس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده وهذه أخبار بنى أمية ملخصة من كتاب أبى جعفر الطبرى ولنرجع الى أخبار الخوارج كما شرطنا فى اخبارها بالذكر والله المعين لا رب غيره

* (الخبر عن الخوارج وذكر أوليتهم وتكرر خروجهم فى الملة الاسلامية) *

قد تقدم لنا خبر الحكمين فى حرب صفين واعتزل الخوارج عليا منكرين للتحكيم مكفرين به ولاطفهم فى الرجوع عن ذلك وناظرهم فيه بوجه الحق فلجوا وأبوا الا الحرب وجعلوا شعارهم النداء بلا حكم الا الله وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى

وقاتلهم علي بالنهروان فاستلحمهم أجمعين ثم خرج من فلهم طائفة بالانبار فبعث اليهم من استلحمهم ثم طويفة أخرى مع هلال بن علفة فبعث معقل بن قيس فقتلهم ثم أخرى ثالثة كذلك ثم أخرى على المدائن كذلك ثم أخرى بشهرزور كذلك وبعث شريح بن هانئ فهزموه فجرح واستلحمهم أجمعين واستأمن من بقي فأمنهم وكانوا نحو خمسين وافترق شمل الخوارج ثم اجتمع من وجدانهم الثلاثة الذين توعدوا القتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص فقتل بالسهم عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله عنه وباء باثمه وسلم الباقون ثم اتفقت الجماعة على بيعة معاوية سنة احدى وأربعين واستقل معاوية بخلافة الاسلام وقد كان فروة بن نوفل الاشجعي اعتزل عليا والحسن ونزل شهرزور وهو في خمسمائة من الخوارج فلما بويع معاوية قال فروة لاصحابه قد جاء الحق فجاهدوا واقبلوا فنزلوا النخيلة عند الكوفة فاستنفر معاوية أهل الكوفة فخرجوا لقتالهم وسألوا أهل الكوفة أن يخلوا بينهم وبين معاوية فأبوا فاجتمعت أشجع على فروة وأتوا له من القتال ودخلوا الكوفة قهرا واستعمل الخوارج بعده عبد الله بن أبي الحريشي من طيئ وقاتلوا أهل الكوفة فقاتلوا وابن أبي الحريشي معهم ثم اجتمعوا بعده على حوثرة بن وداع الاسدي وقدموا الى النخيلة في مائة وخمسين ومعهم فل ابن أبي الحريشي وبعث معاوية الى حوثرة أباه ليرده عن شأنه فأبى فبعث اليهم عبد الله بن عوف في معسكر فقتله وقتل أصحابه الا خمسين دخلوا الكوفة وتفرقوا فيها وذلك في جمادى الاخيرة سنة احدى وأربعين وسار معاوية الى الشأم وخلف المغيرة بن شعبة فعاد فروة بن نوفل الاشجعي الى الخروج فبعث اليه المغيرة خيلا عليها ابن ربعي ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله ثم بعث المغيرة الى شبيب بن أبجر من قتله وكان من أصحاب ابن ملجم وهو الذي أتى معاوية يبشره بقتل علي فخافه على نفسه وأمر بقتله فتنكر بنواحي الكوفة الى أن بعث المغيرة من قتله ثم بلغ المغيرة أن بعضهم يريد الخروج وذكر له معن بن عبد الله المحاربي فحبسه ثم طالبه بالبيعة لمعاوية فأبى فقتله ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب فأخرج معه النساء فبعث المغيرة من قتله وأصحابه ثم حكم أبو ليلى في المسجد بمشهد الناس وخرج في اثنين من الموالي فأتبعه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسورا الكوفة سنة اثنتين وأربعين ثم خرج على ابن عامر في البصرة سهم بن غانم الجهني في سبعين رجلا منهم الحطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي ونزلوا بين الجسرين والبصرة ومر بهم بعض الصحابة منقلبا من الغزو فقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه وقالوا هؤلاء كفرة وخرج اليهم ابن عامر فقتل منهم عدة وأمن باقيهم ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب منهم الحطيم الى الاهواز وجمع ورجع

الى البصرة فافترق عنه أصحابه فاختفى وطلب الامان من زياد فلم يؤمنه ثم دل عليه فقتله وصلبه بداره وقيل بل قتله عبدالله بعد زياد سنة أربع وخمسين ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المستورد بن عقلة التيمى من تيم الرباب وعلى حيان بن ضبيان السلمى وعلى معاذ بن جوين الطائى وكلهم من فل النهروان الذين ارتثوا فى القتلى ودخلوا الكوفة بعد مقتل على واجتمعوا فى أربعمائة فى منزل حيان بن ضبيان وتشاوروا فى الخروج وتدافعوا الامارة ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه فى جمادى الاخيرة وكبسهم المغيرة فى منزلهم فسجن حيان وأفلت المستورد فنزل الحيرة واختلف اليه الخوارج وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدد الخوارج فقام اليه معقل بن قيس فقال ليكفك كل رئيس قومه وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان عالما بمنزلهم عند سليم بن محدوج العبدى الا أنه لا يسلم عشيرته فخرجوا ولحقوا بالصراة فى ثلثمائة فجهز اليهم معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة على وخرج معقل فى الشيعة وجاء الخوارج ليعبروا النهر الى المدائن فمنعهم عاملها سماك بن عبد العبسى ودعاهم الى الطاعة على الامان فأبوا فساروا الى المذار وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الاعور الحارثى فى ثلاثة آلاف من الشيعة وجاء معقل بن قيس الى المدائن وقد ساروا الى المذار فقدم بين يديه أبا الرواع الشاكرى فى ثلثمائة وسار ولحقهم أبو الرواع بالمذار فقاتلهم ثم لحقه معقل بن قيس متقدما أصحابه عند المساء فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبية وجاء الخبر الى الخوارج بنهوض شريك بن الاعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين وأصبح معقل واجتمع بشريك وبعث أبا الرواع فى أتباعهم فى ستمائة فلحقهم بجرجان فقاتلهم فهزمهم الى ساباط وهو فى اتباعهم ورأى المستورد أن هؤلاء مع ابى الرواع حماة أصحاب معقل فتسرب عنهم الى معقل وأبو الرواع فى اتباعه ولما لحق بمعقل قاتلهم قتالا وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقى كثيرا من أصحاب معقل منهزمين فردهم واقتتلوا قتالا شديدا وقتل المستورد معقلا طعنه بالرمح فانفذه وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعا وأخذ الراية عمر بن محرز بن شهاب التميمى بعهد معقل بذلك ثم حمل الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم الا خمسة أو ستة وعند ابن الكلبى ان المستورد من تيم من بنى رباح خرج بالبصرة أيام زياد قريب الازدى ورحاف الطائى ابنا الخالة وعلى البصرة سمرة بن جندب وقتلوا بعض بنى ضبة فخرج عليهم شبان من بنى على وبنى راسب فرموهم بالنبل وقتل قريب وجاء عبد الله بن أوس الطائى برأسه واشتد زياد فى أمر الخوارج وسمرة وقتلوا منهم خلقا ثم خرج سنة اثنتين وخمسين على زياد ابن خراش العجلى فى ثلثمائة بالسواد

فبعث اليهم زياد سعد بن حذيفة فى خيل فقتلوهم وخرج أيضا أصحاب المستورد حيان ابن ضبيان ومعاذ بن طيء فبعث اليهما من قتلهما وأصحابهما وقيل بل استأمنوا وافترقوا ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلا من الخوارج من عبد القيس وبايعوا طواف بن على أن يفتكوا بابن زياد وكان سبب ذلك أن ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة وحملهم على قتل بعضهم بعضا وخلى سبيل القاتلين ففعلوا وأطلقهم وكان منهم طواف ثم ندموا وعرضوا على أولياء المقتولين القود والدية فأبوا وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية فاجتمعوا للخروج كما قلنا وسعى بهم الى ابن زياد فاستعجلوا الخروج وقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء كما قلنا فندب ابن زياد الشرط والمحاربة فقاتلوهم فانهزم الشرط أولا ثم كثرهم الناس فقتلوا عن آخرهم واشتد ابن زياد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة بن أدية أخو مرداس وأدية أمهما وأبوهما جرير بن تميم وكان وقف على ابن زياد يوما يعظه فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآيات فظن ابن زياد أن معه غيره فأخذه وقطعه وقتل ابنيه وكان أخوه مرداس من عظمائهم وعبادهم وممن شهد النهروان بالاستعراض ويحرم خروج النساء ولا يرى بقتال من لا يقاتله وكانت امرأته من العابدات من بني يربوع وأخذها ابن زياد فقطعها وألح ابن زياد فى طلب الخوارج وقتلهم وخلى سبيل مرداس من بينهم لما وصف له من عبادته ثم خاف فخرج الى الاهواز وكان يأخذ مال المسلمين اذا مر به فيعطى منه أصحابه ويرد الباقى وبعث ابن زياد اليهم أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفى رجل ودعاهم الى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلوهم فهزموا أسلم وأصحابه فسرح اليهم ابن زياد عباد بن علقمة المازنى ولحقهم بتوج وهم يصلون فقتلهم أجمعين ما بين راكع وساجد لم يتغيروا عن حالهم ورجع الى البصرة برأس أبى بلال مرداس فرصده عبيدة ابن هلال فى ثلاثة نفر عند قصر الامارة ليستفتيه فقتلوه واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم وكان على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فأمره زياد بتتبع الخوارج الى أن تقدم فحبسهم وأخذ الكفلاء على بعضهم وأتى بعروة بن أدية فقال أنا كفيلك وأطلقه ولما جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين وطالب ابن أبى بكرة بعروة بن أدية فبحث عنه حتى ظفر به وجاء به الى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين ثم مات يزيد واستفحل أمر ابن الزبير بمكة وكان الخوارج لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل أبى بلال مرداس أشار عليهم نافع بن الازرق منهم باللحاق بابن الزبير لجهاد عساكر يزيد لما ساروا اليه قالوا وان لم يكن على رأينا داحضا عن البيت وقاموا يقاتلون معه

فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عن رأى ابن الزبير فيهم وجاؤه يرمون من عثمان ويتبرؤن منه فصرح بمخالفتهم وقال بعد خطبة طويلة أثنى فيها على الشيخين وعلى وعثمان واعتذر عنه فيما يزعمون وقال أشهدكم ومن حضرنى أنى ولى لابن عفان وعدو لاعدائه قالوا فبرئ الله منك قال بل برئ الله منكم فافترقوا عنه وأقبل نافع ابن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفار السعدى وعبد الله بن أباض وحنظلة بن بيهس وبنو الماخور عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع وكلهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت عن بنى بكر بن وائل وأبو فديك عبد الله ابن ثور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا بها مع أبى طالوت ثم تركوه ومالوا عنه الى نجدة بن عامر الحنفى ومن هنا افترقت الخوارج على أربع فرق الازارقة أصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكان رايه البراءة من سائرة المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفارا والفرقة الثانية النجدية وهم بخلاف الازارقة فى ذلك كله والفرقة الثالثة الاباضية أصحاب عبد الله بن اباض المرى وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الرأى الاول ولا يقفون عند الثانى ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ولا المنافقين فيهم وهم عندهم كالمنافقين وقول هؤلاء أقرب الى السنة ومن هؤلاء البيهسية أصحاب أبى بيهس هيصم بن جابر الضبعى والفرقة الرابعة الصفرية وهم موافقون للاباضية الا فى العقدة فان الاباضية أشد على العقدة منهم وربما اختلفت هذه الآراء من بعد ذلك واختلف فى تسمية الصفرية فقيل نسبوا الى ابن صفار وقيل اصفروا بما نهكتهم العبادة وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشاذ من الفروع وفى أصل اختلافهم هذا مكاتبات بين نافع بن الازرق وأبى بيهس وعبد الله بن اباض ذكرها المبرد فى كتاب الكامل فلينظر هنالك (ولما جاء نافع) الى نواحى البصرة سنة أربع وستين فأقام بالاهواز يعترض الناس وكان على البصرة عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فسرح اليه مسلم عبس بن كويز بن ربيعة من أهل البصرة باشارة الاحنف بن قيس فدافعه عن نواحى البصرة وقاتله بالاهواز وعلى ميمنة مسلم الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة ابن بدر العدابى وعلى ميمنة ابن الازرق عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزبير بن الماخور التميمى فقتل مسلم ثم قتل نافع وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب والخوارج عبد الله بن الماخور ثم قتل الحجاج وعبد الله فأمر أهل البصرة ربيعة بن الاخدم والخوارج عبيد الله بن الماخور ثم اقتتلوا حتى أمسوا وجاء الى الخوارج مدد

فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر فقاتل وردهم على الاعقاب ونزل الاهواز ثم عزل عن البصرة عبد الله بن الحرث وبعث ابن الزبير عليها الحرث القباع بن أبي ربيعة فزحف الخوارج الى البصرة وأشار الاحنف بن قيس بتولية المهلب حربهم وقد كان ابن الزبير ولاه خراسان فكتبوا لابن الزبير بذلك فأجاب واشترطوا للمهلب ماسأل من ولاية ماغلب عليه والاعانة بالاموال فاختار من الجند اثنى عشر ألفا وسار اليهم فدفعهم عن الجسر وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه فى قتال الخوارج فردهم الحرث الى المهلب وركب حارثة البحر يريد البصرة فغرق فى النهر وسار المهلب وعلى مقدمته ابنه المغيرة فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الاهواز الى مادر ونزل المهلب بسولاف وقاتله الخوارج وصدقوا الحملة فكشفوا أصحاب المهلب ثم ترك من الغد قتالهم وقطع دجيل ونزل العقيل ثم ارتحل فنزل قريبا منهم وخندق عليه وأذكى العيون والحرس وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور فى بعض الليالى ليبيتوا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين وخرج اليهم المهلب من الغد فى تعبية والازد وتميم فى ميمنته وبكر وعبد القيس فى ميسرته وأهل العالية فى القلب وعلى ميمنة الخوارج عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير ابن الماخور واقتتلوا ونزل الصبر ثم شدوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم وسبق المنهزمين الى ربوة ونادى فيهم فاجتمع له ثلاثة آلاف أكثرهم من الازد فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج واشتد قتالهم ورموهم بالحجارة وقتل عبد الله بن الماخور وكثير منهم وانكفؤا راجعين الى كرمان وناحية اصبهان منهزمين واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميرا على البصرة وعزل المهلب (وأما نجدة) وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفى وكان مع نافع بن الازرق فلما افترقوا سار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه وهو من بكر ابن وائل وتابعه نجدة ونهب الحصارم بلد بنى حنيفة وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف فقسمها فى أصحابه وذلك سنة خمس وستين واعترض عيرا من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذها وجاء بها الى أبى طالوت فقسمها بين أصحابه ثم رأى الخوارج ان نجدة خير لهم من أبى طالوت فخالفوه وبايعوا نجدة وسار الى بنى كعب بن ربيعة فهزمهم وأثخن فيهم ورجع نجدة الى اليمامة فى ثلاثة آلاف ثم سار الى البحرين سنة سبع وستين فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته وسالمته الازد والتقوا بالعطيف فانهزمت عبد القيس وأثخن فيهم نجدة وأصحابه وأرسل سرية الى الخط فظفروا بأهله ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين بعث عبد الله

ابن عمر الليثي الاعور في عشرين ألفا ونجدة بالعطيف فقاتلوهم وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم وبعث عطية بن الاسود الحنفي من الخوارج الى عمان وبها عباد ابن عبد الله شيخ كبير فقاتله عطية فقتله وأقام أشهرا وسار عنها واستخلف عليها بعض الخوارج فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيدا وسليمان ابني عباد ثم خالف عطية نجدة وجاء الى عمان فامتنعت منه فركب البحر الى كرمان وأرسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فقتله خيل المهلب بقندابيل ثم بعث نجدة المعرفين الى البوادي بعد هزيمة ابن عمير فقاتلوا بني تميم بكاظمة وأعانهم أهل طويلع فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرها ثم سار الى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخاليفها ثم بعث أبا فديك الى حضرموت فأخذ الصدقة منهم وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل وقيل في ألفين ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما ثم سار نجدة الى المدينة وتأهبوا لقتاله فرجع الى الطائف وأصاب بنتا لعبد الله ابن عمر بن عثمان فضمها اليه وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال قد أعتقت نصيبي منها قالوا فزوجها قال هي أملك بنفسها وقد كرهت الزوج ولما قرب من الطائف جاءه عاصم بن عروة بن مسعود فبايعه عن قومه وولى عليهم الخازرق وعلى تبالة والسراة وولى على ما يلي نجران سعد الطلائع ورجع الى البحرين وقطع الميرة عن الحرمين وكتب اليه ابن عباس أن ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاها لهم وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلاها لهم نجدة ثم اختلف اليه أصحابه لان أبا سنان حي بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية فانتهره نجدة وقال انما علينا أن نحكم بالظاهر وأغضبه عطية في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البر على سرية البحر في الغنيمة فشتمه نجدة فغضب وسأله في درء الحد في الخمر عن رجل من شجعانهم فأبى وكاتبه عبد الملك في الطاعة على أن يوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الدماء فاتهموه في هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه وفارقه عطية الى عمان ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور احد بني قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة وألح أبو فديك في طلبه وكان مستخفيا في قرية من قرى حجر ثم نذر به فذهب الى اخواله من تميم وأجمع المسير الى عبد الملك فعلم به أبو فديك وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه وسخط قتله جماعة من أصحاب أبي فديك واعتمده مسلم بن جبير فطعنه اثنى عشرة طعنة وقتل مسلم لوقته وحمل أبو فديك الى منزله ثم جاء مصعب الى البصرة سنة ثمان وستين واليا على العراقين عن أخيه وكان المهلب في حرب الازارقة

فأراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه من فارس وولاه وولى على فارس وحرب الازارقة عمر بن عبد الله بن معمر وكان الخوارج قد ولوا عليهم بعد قتل عبد الله بن الماخور سنة خمس وستين أخاه الزبير فجاؤا به الى اصطخر وقدم عمر ابنه عبيد الله اليهم فقتلوه ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل منهم سبعون وفلق قطرى بن الفجاءة وشتر صالح بن مخراق وساروا الى نيسابور فقاتلهم عمر بها وهزمهم فقصدوا اصبهان فاستحموا بها ثم أقبلوا الى فارس وتجنبوا عسكر عمر ومروا على ساجور ثم أرجان فأتوا الاهواز قاصدين العراق وأغذ عمر السير فى اثرهم وعسكر مصعب عند الجسر فسار الزبير بالخوارج فقطع أرض صرصر وشن الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان والرجال ويبقرون بطون الحبالى وهرب صاحب المدائن عنها وانتهت جماعة منهم الى الكرخ فقاتلهم أبو بكر بن مخنف فقتلوه وخرج أمير الكوفة وهو الحرث بن أبي ربيعة القباع حتى انتهى الى الصراة ومعه ابراهيم ابن الاشتر وشبيب بن ربعى وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وأشاروا عليه بعقد الجسر والعبور اليهم فانهزموا . الى المدائن وأمر الحرث عبد الرحمن ابن مخنف باتباعهم فى ستة آلاف الى حدود أرض الكوفة فانتهوا الى الرى وعليها يزيد بن الحرث بن دويم الشيبانى وما والاهم عليه أهل الرى فهزموه وقتلوه ثم انحطوا الى اصبهان وبها عتاب بن ورقاء فحاصروه أشهرا وكان يقاتلهم على باب المدينة ثم دعا الى الاستماتة فى قتالهم فخرجوا وقاتلوهم وانهزمت الخوارج وقتل الزبير واحتووا على معسكرهم ثم بايع الخوارج قطرى بن الفجاءة المازنى ويكنى أبا نعامة وارتحل بهم الى كرمان حتى استجمعوا فرجعوا الى اصبهان فامتنعت فأتوا الاهواز وقاموا وبعث مصعب الى المهلب فرده الى قتال الخوارج وولى على الموصل والجزيرة ابراهيم بن الاشتر وجاء المهلب فانتجعت الناس من البصرة وسار الى الخوارج فلقيهم بسولاف واقتتلوا ثمانية أشهر وبعث مصعب الى عتاب بن ورقاء الرياحى عامل اصبهان بقتال أهل الرى بما فعله فى ابن دويم فسار اليهم وعليهم الفرحان فقاتلهم وافتتحها عنوة وقلاعها وعاث فى نواحيها

(خبر ابن الحر ومقتله)

كان عبيد الله بن الحر الجعفى من خيار قومه صلاحا وفضلا ولما قتل عثمان حزن عليه وكان مع معاوية على على وكانت له زوجة بالكوفة فتزوجت لطول مغيبه فأقبل من الشام وخاصم زوجها الى على فعدد عليه شهوده صفين فقال أيمنعنى ذلك من عدلك قال لا وردّ اليه امرأته فرجع الى الشام وجاء الى الكوفة بعد مقتل على ولقى اخوانه

وتفاوضوا فى النكير على علىّ ومعاوية ولما قتل الحسين تغيب على ملحمته وسأل عنه ابن زياد فلم يره ثم لقيه فأساء عذله وعرض له بالكون مع عدوّه فأنكر وخرج مغضبا وراجع ابن زياد رأيه فيه فطلبه فلم يجده فبعث عنه فامتنع وقال أبلغوه انى لا آتيه طائعا أبدا وأتى منزل أحمد بن زياد الطائى فاجتمع اليه أصحابه وخرج الى المدائن ومضى لمصارع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم ولما مات يزيد ووقعت الفتنة اجتمع اليه أصحابه وخرج بنواحى المدائن ولم يعترض للقتل ولا للمال انما كان يأخذ مال السلطان متى لقيه فيأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويردّ الباقى ويأخذ لصاحب المال بما أخذ وحبس المختار امرأته بالكوفة وجاء فأخرجها من الحبس وأخرج كل من فيه وأراد المختار أن يسطو به فمنعه ابراهيم بن الاشتر الى الموصل لقتال ابن زياد ثم فارقه ولم يشهد معه وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله ثم أغرى به مصعب فحبسه وشفع فيه رجال من وجوه مذحج فشفعهم وأطلقه وأتى اليه الناس يهنؤنه فصرّح بأن احدا لايستحق بعد الاربعة ولايحلّ أن يعقد لهم بيعة فى أعناقنا فليس لهم علينا من الفضل مايستحقون به ذلك وكلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة ونحن أصحاب الايام مع فارس ثم لايعرف حقنا وفضلنا وانى قد أظهرت لهم العداوة وخرج للعرب فأغار فبعث اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى يعرض عليه الطاعة على أن يعطيه قطعة من بلاد فارس فأبى فسرّح اليه الابرد بن فروة الرياحى فى عسكر فهزمه عبيد الله فبعث اليه حريث بن زيد فهزمه فقتله فبعث اليه الحجاج بن حارثة الخثعمى ومسلم بن عمر فقاتلهما بنهر صرصر وهزمهما فأرسل اليه مصعب بالامان والولاية فلم يقبل وأتى الى فرس فهرب دهقانها بالمال وتبعه ابن الحر الى عين التمر وعليه بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فقاتل عبيد الله وأوفاهم الحجاج بن حارثة فهزمهما عبيد الله وأسرهما وأخذ المال الذى مع الدهقان وأقام بتكريت يجبى الخراج فسرّح مصعب لقتاله الابرد بن فروة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى ألف وأمدهم المهلب بيزيد بن المعقل فى خمسمائة وقاتلهم عبيد الله يومين فى ثلثمائة ثم تحاجزوا وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك فتجهزوا ثم قال انى خائف أن أموت ولم أذعر مصعبا وقصد الكوفة وجاءته العساكر من كل جهة ولم يزل يهزمهم ويقتل منهم بنواحى الكوفة والمدائن وأقام يغير بالسواد ويجبى الخراج ثم لحق بعبد الملك فأكرمه وأجلسه معه على سريره وأعطاه مائة ألف درهم وقسم فى أصحابه الاعطيات وسأل من عبد الملك أن يوجه معه عسكرا لقتال مصعب فقال سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال فسار نحو الكوفة ونزل بناحية الانبار وأذن

لاصحابه فى اتيان الكوفة ليخبروا أصحابه بقدومه وبعث الحرث بن أبى ربيعة اليه جيشا كثيفا فقتلهم وتفرق عنه أصحابه وأثخنه الجراح فخاض البحر الى سفينة فركبها حتى توسط الفرات فأشرف خيل على السفينة وتبادروا به فقام يمشى فى البحر فتعلقوا به فألقى نفسه فى الماء مع بعضهم فغرقوه

(حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج)

ولما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبد الله وكان المهلب يحارب الازارقة فولاه على خراج الاهواز وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الى قتال الخوارج ومعه مقاتل بن مسمع وأتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وبعث قطرى بن الفجاءة صالح بن مخراق فى تسعمائة فاستقبل عبد العزيز ليلا على غير تعبية فانهزم وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عبد العزيز فقتلها الخوارج وتغير عبد العزيز الى رامهرمز وكتب خالد بالخبر الى عبد الملك فكتب اليه على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج وأمره بأن يسرح المهلب بحربهم وكتب الى بشر بالكوفة بامداده بخمسة آلاف مع من يرضاه فاذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا الى الرى فكانوا هنالك مسلحة فانفذ بشر العسكر وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكتب له عهده على الرى وخرج خالد بأهل البصرة ومعه المهلب فاجتمعوا بالاهواز وجاءت الازارقة فأحرقوا السفن ومر المهلب بعبد الرحمن بن الاشعث وأمره أن يخندق عليه وأقاموا كذلك عشرين ليلة ثم زحف الخوارج بالناس فمال الخوارج كثرتهم وانصرموا وبعث خالد داود بن قحذم فى آثارهم وانصرف الى البصرة وكتب بالخبر الى عبد الملك فكتب الى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة الى فارس ويلحقوا بداود بن قحذم فى طلب الازارقة فبعثهم بشر بن عتاب ولحقوا بداود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد ورجع عامتهم مشاة الى الاهواز

(ثم خرج أبو فديك) من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى كما مر وهزم خالدا فكتب الى عبد الملك بذلك وأمر عبد الملك عمر بن عبد الله ابن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير لقتال أبى فديك فانتدب معه عشرة آلاف وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة فى ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه وهو فى القلب وانتهوا الى البحرين واصطفوا للقتال وحملوا على أبى فديك وأصحابه فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا الا المغيرة بن المهلب ومجاعة وعبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى أهل الكوفة

بالميمنة ورجع أهل الميسرة وحمل أهل الميمنة على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك سنة ثلاث وسبعين ثم ولى عبد الملك أخاه بشرا على البصرة فسار اليها وأمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد و يتركه ورأيه في الحرب و يمده بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قبيصة وشق على بشر أن ولاية المهلب من عبد الملك وأوغرت صدره فبعث على عسكر الكوفة عبد الرحمن ابن مخنف وأغراه بالمهلب في ترك مشورته وتنغصه وسار المهلب الى رامهرمز وبها الخوارج وأقبل ابن مخنف في أهل الكوفة فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران ثم أتاهم نبأ بشر بن مروان وانه استخلف خالد بن عبد الله بن خالد على البصرة وخليفته على الكوفة عمر بن حريث فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الاهواز وكتب اليهم خالد بن عبد الله يتهددهم فلم يلتفتوا اليه وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة وكتب اليهم عمر بن حريث بالنكير والعود الى المهلب ومنعهم الدخول فدخلوا ليلا الى بيوتهم (ثم قدم الحجاج) أميرا على العراقين سنة خمس وسبعين فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها ولقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم الى مصركم عاصين مخالفين وايم الله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وأنهبت داره ثم دعا العرفاء وقال ألحقوا الناس بالمهلب وأتوني بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ووجد عمير بن ضابئ من المتخلفين وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله فأخرج جند المهلب وازدحموا على الجسر وجاء العرفاء الى المهلب برامهرمز فأخذوا كتابه بموافاة الناس وأمرهم الحجاج بمناهضة الخوارج فقاتلوهم شيئا ثم انزاحوا الى كازرون وسار المهلب وابن مخنف فنزلوا بهم وخندق المهلب ولم يخندق ابن مخنف وبيتهم الخوارج فوجدوا المهلب حذرا فمالوا الى ابن مخنف فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل وفي حديث أهل الكوفة انهم لما ناهضوا الخوارج مالوا الى المهلب واضطروه الى معسكره وأمده عبد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خف من الجند فمال اليه الخوارج فنزل ونزل معه القراء واحد وسبعون من أصحابه فقتلوا وجاء المهلب من الغد فدفنه وصلى عليه وكتب بالخبر الى الحجاج فبعث على معسكره عتاب ابن ورقاء وأمره بطاعة المهلب فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء وعاتبه المهلب يوما ورفع اليه القضيب فرده ابنه المغيرة عن ذلك وكتب عتاب يشكو المهلب الى الحجاج ويسأله العود وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلب

(حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج)

ثم خرج صالح بن مسرح التميمى من بنى امرئ القيس بن زيد مناة وكان يرى رأى الصفرية وكان عابدا ومسكنه أرض الموصل والجزيرة وله أصحاب يقرئهم القرآن والفقه وكان يأتى الكوفة ويلقى أصحابه ويعد ما يحتاج اليه فطلبه الحجاج فترك الكوفة وجاء الى أصحابه بالموصل ودارا فدعاهم الى الخروج وحثه عليه وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى من رؤسهم يحثه على مثل ذلك فكتب اليه انى فى انتظارك فاقدم فقدم شبيب فى نفر من أصحابه منهم أخوه المضاد والمحلل بن وائل اليشكرى ولقيه بدارا وأجمع صالح الخروج وبث الى أصحابه وخرجوا فى صفر سنة ست وسبعين وأمر بالدعاء قبل القتال وخير فى الدماء والاموال وعرضت لهم دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة فأخذوها وحملوا عليها أصحابهم وبلغ محمد بن مروان وهو أمير الجزيرة خروجهم فسرّح اليهم عدى بن عدى الكندى فى ألف فسار من حران وكان ناسكا فكره حربهم وبعث اليهم بالخروج فحبسوا الرسول فساروا اليه فطلعوا عليه وهو يصلى الضحى وشبيب فى الميمنة وسويد بن سليم فى الميسرة وركب عدى على غير تعبية فانهزم واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا الى آمد وسرّح محمد بن مروان خالد بن حرا السلمى فى ألف وخمسمائة والحرث بن جعونة العامرى فى مثلها وقال أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وبعث صالح شبيبا الى الحرث وتوجه هو نحو خالد وقاتلوهم أشد القتال واعتصم أصحاب محمد بخندقهم فسارت الخوارج عنهم وقطعوا أرض الجزيرة والموصل الى الدسكرة فسرّح اليهم الحجاج الحرث بن عميرة ابن ذى الشعار فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلقيهم على تخم ما بين الموصل وصرصر والخوارج فى تسعين رجلا فانهزم سويد بن سليم وقتل صالح وصرع شبيب ثم وقف على صالح قتيلا فنادى بالمسلمين فلاذوا به ودخلوا حصنا هنالك وهم سبعون وعاث الحرث بهم وأحرق عليهم الباب ورجع حتى يصبحهم من الغداة فقال لهم شبيب بايعوا من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا اليهم فبايعوه وأطفؤا النار بالماء فى اللبود وخرجوا اليه فبيتوا وصرّح الحرث فحملوا أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم وسار شبيب الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سنان التميمى من تيم شيبان الا أخاه فضالة من أكابر الخوارج وكان خرج قبل صالح فى ثمانية عشر رجلا ونزل على ماء لبنى عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم الى عبد الملك يتقربون له بهم فلما دعا شبيب سلامة الى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارسا ويسير بهم الى عنزة فيثأر منهم بأخيه فقبل شرطه وسار الى عنزة فأثخن فيهم وجعل يقتل المحلة بعد المحلة ثم أقبل شبيب الى داران

فى نحو سبعين رجلا ففرت منهم طائفة من بنى شيبان نحو ثلاثة آلاف فنزلوا ديرا خرابا وامتنعوا منه وسار فى بعض حاجاته واستخلف أخاه مضاد بن يزيد بجماعة من بنى شيبان فى أموالهم مقيمين فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد وأشرف بنو شيبان على مضاد وأصحابه وسألوا الامان ليخرجوا اليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا وقبلوا ونزلوا اليهم واجتمعوا بهم وجاء شبيب فاستصوب فعلهم وسار بطائفة نحو اذربيجان وكان الحجاج قد بعث سفيان بن أبى العالية الخثعمى الى طبرستان يحاصرها فى ألف فارس فكتب اليه الحجاج أن يرجع فصالح أهل طبرستان ورجع فأقام بالدسكرة يطلب المدد وبعث الحجاج أيضا الى الحرث بن عميرة الهمدانى قاتل صالح أن يأتيه بجيش الكوفة والمدائن والى سورة بن أبجر التميمى فى خيل المناظر ويعجل سفيان فى طلب شبيب فلحقه بخانقين فاستطردهم وأكمن كمينا لهم مع أخيه واتبعوه فى سفح الجبل فخرج عليهم الكمين فانهزموا بغير قتال وثبت سفيان وقاتل ثم حمل شبيب فانكشف ونجا الى بابل مهرود وكتب الى الحجاج بالخبر وبوصول العساكر الا سورة بن ابجر فكتب الحجاج الى سورة يتهدده ويأمره أن يتخذ من المدائن خمسمائة فارس ويسير الى شبيب فسار وانتهى شبيب الى المدائن ثم الى الهندوان فترحم على أصحابه هنالك وبيتهم سورة هنالك وهم حذرون فلم يصب منهم الغرة ورجع نحو المدائن وشبيب فى اتباعه وخرج ابن أبى العصعى عامل المدائن فقاتلهم وهرب كثير من جنده الى الكوفة ومضى شبيب الى تكريت ووصل سورة الى الكوفة بالفل فحبسه الحجاج ثم أطلقه وسرّح عثمان بن سعيد بن شرحبيل الكندى ويلقب الجزل فى أربعة آلاف ليس فيهم من المنهزمين أحد وساروا لحرب شبيب وأصحابه وقدم بين يديه عياض بن أبى لينة الكندى وجعلوا يتبعون شبيبا من رستاق الى رستاق وهو على غير تعبية والجزل على التعبية ويخندق على نفسه متى نزل وطال ذلك على شبيب وكان فى مائة وستين فقسمه على أربع فرق وبيت الجزل ومشايخه فلم يصب منهم فرجع عنهم ثم صبحهم ثانية فلم يظفر منهم بشئ وسار الجزل فى التعبية كما كان وشبيب يسير فى أرض الخوارج وغيرها يكسب الخراج وكتب الحجاج الى الجزل ينكر عليه البطء ويأمره بالمناهضة وبعث سعيد بن المجالد على جيش الجزل فجاءهم بالهندوان ووبخهم وعجزهم وجاءهم الخبر بأن شبيبا قد دخل قطيطيا والدهقان يصلح لهم الغداء فنهض سعيد فى الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صفّهم خارج الخندق وجاء سعيد الى قطيطيا وعلم به شبيب فأكل وتوضأ وصلى وخرج فحمل على سعيد وأصحابه مستعرضا فانهزموا وثبت سعيد فقتله وسار فى اتباعهم الى الجزل فقاتلهم الجزل حتى وقع بين القتلى جريحا وكتب الى الحجاج

بالخبر وأقام بالمدائن وانتهى شبيب الى الكرخ وعبر دجلة اليه وأرسل الى سوق بغداد فأتاهم في يوم سوقهم واشترى منه حاجاته وسار الى الكوفة فلما قرب منها بعث الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي في ألفي رجل فساروا الى شبيب وأمر عثمان بن قطن فعسكر في السبخة وخالفه شبيب الى أهل السبخة فقاتلوه وجاء سويد في آثاره فمضى نحو الحيرة وسويد في اتباعه ثم رحل من الحيرة وجاء كتاب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فمضى في اتباعه وشبيب يغير في طريقه وأخذ على القطقطانة ثم على قصر بني مقاتل ثم على الانبار ثم ارتفع على أدنى اذربيجان ولما أبعد سار الحجاج الى البصرة واستعمل على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فجاءه كتاب دهقان بابل مهرود يخبره بقصد شبيب الكوفة فبعث بالكتاب الى الحجاج وأقبل شبيب حتى نزل عقرقوبا ونزل وسار منها يسابق الحجاج الى الكوفة وطوى الحجاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر ووصل شبيب عند المغرب فأراح وطعموا ثم ركبوا ودخلوا الى السوق وضرب شبيب القصر بعموده ثم اقتحموا المسجد الاعظم فقتلوا فيه من الصالحين ومروا بدار صاحب الشرطة فدعوه الى الامير ونكرهم فقتلوا غلامه ومروا بمسجد بني ذهل فقتلوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النضر بن القعقاع بن شور الذهلي وكان ممن أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه فلما رآه قال السلام عليك أيها الامير فقال له شبيب قل أمير المؤمنين ويلك فقالها وأراد شبيب أن يلقنه للقرابة بينهما وكان النضر ناحية بيت هانئ بن قبيصة الشيباني فقال له يا نضر لا حكم الا لله ففطن بهم وقال انا لله وانا اليه راجعون وشد عليه أصحاب شبيب فقتلوه ونادى منادي الحجاج بالكوفة يا خيل الله اركبي وهو بباب القصر وكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي القصة ثم جاء الناس من كل جانب فبعث الحجاج خالد بن الاسدي وزائدة بن قدامة الثقفي وأبا الضريس مولى بني تميم وعبد الاعلى ابن عبد الله بن عامر وزياد بن عبد الله العتكي في ألفين ألفين وقال ان كان حرب فأميركم زائدة بن قدامة وبعث معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله من سجستان وكان عبد الملك قد ولاه عليها وأمر الحجاج أن يجهزه ويبعثه في آلاف من الجنود الى عمله فجهزه وحدث أمر شبيب فقال له الحجاج تجاهد ويظهر اسمك ثم تمضي الى عملك فساروا جميعا ونزلوا أسفل الفرات وأخذ شبيب نحو القادسية وجرد الحجاج ألفا وثمانمائة من نقاوة الجند مع ذخر بن قيس وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه وان ذهب فاتركه فأدركه بالسيلحين وعطف عليه شبيب فقاتل ذخر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحا وانهزم أصحابه يظنون أنه قتل ثم أفاق من برد السحر فدخل قرية وسار الى الكوفة ثم قصد

وهم على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقال ان هزمناهم فليس دون الحجاج والكوفة مانع وانتهى اليهم وقد تعبوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن عمر العتكى وعلى الميسرة بشر بن غالب الاسدى وكل أمير بمكانه وعبى شبيب أصحابه ثلاثة كتائب فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمر فانكشفوا وثبت زياد قليلا ثم حمل الثانية فانهزموا وانهزم جريحا عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى ابن طلحة عند الغروب فقاتلوه وصبر لهم ثم حمل مضاد أخو شبيب على بشر بن غالب فى الميسرة فصبر ونزل فى خمسين رجلا فقاتلوه حتى قتلوا وحملت الخوارج على أبى الضريس مولى بنى تميم فهزموه حتى انتهى الى أعين ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموهما الى زائدة بن قدامة فلما انتهوا اليه نادى نزال وقاتلهم الى السحر ثم حمل شبيب عليه فقتله وقتل أصحابه ودخل أبو الضريس مع الفل الى الجوسق بازائهم ورفع الخوارج عنهم السيف ودعوهم الى البيعة لشبيب عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة وبقى محمد بن موسى لم ينهزم فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذن وصلى ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى وقاتل محمد حتى قتل وأخذ الخوارج ما فى العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد وجاء شبيب الى الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فأقام يوما عليهم وسار عنهم وأراده أصحابه على الكوفة وازاءهم خوخى فتركها وخرج على نفر وسمع الحجاج بذلك فظن أنه يريد المدائن وهى باب الكوفة وأكثر السواد لها فهاله ذلك وبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وخوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبى عصفير وقيل فى مقتل محمد بن موسى غير هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن عبد الله بن معمر قتال أبى فديك فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك فولاه سجستان فمر بالكوفة وقيل للحجاج ان جاء الى هذا أحد ممن تطلبه منعك منه فمره بقتال شبيب فى طريقه لعل الله يريحك منه ففعل الحجاج وعدل محمد الى قتال شبيب وبعث اليه شبيب بدهاء الحجاج وخديعته اياه وأن يعدل عنه فأبى الا شبيبا فبارزه وقتله شبيب ولما انهزم الامراء وقتل موسى بن محمد ابن طلحة دعا الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير فى طلب شبيب أين كان فسار لذلك ثم كتب اليه والى أصحابه يتهددهم ان انهزموا ومر ابن الاشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته فوصاه وحذره وحمله على فرسه وكانت لا تجارى وسار شبيب على دقوقا وشهرزور وابن الاشعث فى اتباعه الى أن وقف على أرض الموصل وأقام يقاتله أهلها فكتب اليه الحجاج أما بعد فاطلب

شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده فجعل ابن الاشعث يتبعه وشبيب يقصد به الارض الخشنة الغليظة واذا دنا منه رجع بيته فيجده على حذرة حتى أتعب الجيش وأحفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل ليس بينه وبين سواد الانهر حولايا فى داذان الاعلى من أرض خوخى ونزل عبد الرحمن فى عواقيل النهر وكانت أيام النحر وطلب شبيب الموادعة فيها فأجابه قصد المطاولة وكتب عثمان بن قطن بذلك الى الحجاج فنكر وبعث الى عثمان بن قطن بامارة العسكر وأمره بالمسير وعزل عبد الرحمن بن الاشعث وبعث على المدائن مطرف بن المغيرة مكان ابن قطن وقدم ابن قطن على عسكر الكوفة عشية يوم التروية وناداهم الى الحرب فاستمهلوه وأنزله عبد الرحمن بن الاشعث وأصبحوا الى القتال ثالث يومهم على تعبية وفى الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وفى الميسرة عقيل ابن شداد السلولى وابن قطن فى الرجالة وعبر اليهم شبيب فى مائة وثلاثين رجلا فوقف فى الميمنة وأخوه مصاد فى القلب وسويد بن سليم فى الميسرة وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل معه مالك بن عبد الله الهمدانى وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وقاتل خالد بن نهيك فجاء شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان الى مصاد فى القلب فاشتد القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليهم سويد بن سليم ومصاد من القلب حتى أحاطوا به فقتلوه وانهزمت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الاشعث فأتاه ابن أبى شيبة الجعفى وهو على بغلة فأردفه ونادى فى الناس باللحاق بدير أبى مريم ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه ولحق ابن الاشعث بالكوفة فاختفى حتى أمنه الحجاج ومضى شبيب الى ماه نهراذان فأقام فيه فصل الصيف فلحق به من كان للحجاج عليه تبعة ثم أقبل الى المدائن فى ثمانمائة رجل وعليها مطرف بن المغيرة وبلغ الخبر الى الحجاج فقام فى الناس وتسخط وتوعد فقال زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام الا معتمدا أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم فاستنفر الناس جميعا وابعث عليهم رجلا شجاعا مجربا يرى الفرار عارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج أنت ذلك الرجل فقال انما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس ولا أطيق من هذا شيئا وقد ضعف بصرى ولكن أكون مع أمير وأشير عليه فقال له جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله أول أمرك وآخره ثم قال للناس سيروا فتجهزوا بأجمعكم فتجهزوا وكتب الحجاج الى عبد الملك بأن شبيبا شارف المدائن يريد الكوفة وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم ويستمده من جند الشأم فبعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد

الكلبى فى أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى ألفين وذلك سنة ست وسبعين وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى يستقدمه من عند المهلب وقد وقع بينهما كلام فقدم عتاب وولاه على الجيش فشكر زهرة بن حوية له وقال رميتهم بحجرهم والله لا يرجع اليك حتى يظفر أو يقتل وبعث الحجاج الى جند الشأم يحذرهم البيات ويوصيهم الاحتياط وأن يأتوا على عين التمر وعسكر عتاب بجماع أعين ثم قطع شبيب دجلة الى المدائن وبعث اليه مطرف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر فى دعوتهم فرجا منه وبعث اليه بغيث بن سويد فى جماعة مكثوا عنده أربعا ولم يرجعوا من مطرف بشئ ونزل عتاب الصراة وخرج مطرف الى الجبال خوفا أن يصل خبره مع شبيب الى الحجاج فلالهم الحق وجاء مضادا الى المدائن فعقد الجسر ونزل عتاب سوق حكم فى خمسين ألفا وسار شبيب بأصحابه فى ألف رجل فصلى الظهر بساباط وأشرف على عسكر عتاب عند المغرب وقد تخلف عنه أربعمائة من أصحابه فصلى المغرب وعبى أصحابه ستمائة سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة والمحلل بن وائل فى مائتين فى الميمنة وهو فى مائتين فى القلب وكان على ميمنة عتاب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد وعلى ميسرته نعيم بن عليم وعلى الرجالة حنظلة بن الحرث اليربوعى وهو ابن عمه وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة ثم حرض الناس طويلا وجلس فى القلب ومعه زهرة بن مرثد وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب حين أضاء القمر بين العشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانفضوا وثبت قبيصة بن والق وعبيد بن الجليس ونعيم بن عليم على راياتهم حتى قتلوا ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على محمد بن سليم فى الميمنة فى تميم وهمدان واشتد القتال وخالط شبيب القلب وانفضوا وتركوا عتابا وفر ابن الاشعث فى ناس كثيرين وقتل عتاب بن ورقاء وركب زهرة بن حوية فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر التغلبى من الخوارج ووطأته الخيل فقتله الفضل بن عامر الشيبانى منهم ووقف عليه شبيب وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا أتتوجع لرجل كافر فقال اعرف قديمه ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما فى العسكر وأتاه أخوه من المدائن وأقام يومين ثم سار نحو الكوفة ولحق سفيان بن الابرد وعسكر الشأم بالحجاج فاستغنى بهم عن أهل الكوفة واشتد بهم وخطب فوبخ أهل الكوفة وعجزهم وجاء شبيب فنزل حمام أعين فسرح الحجاج اليه الحرث بن معاوية الثقفى فى نحو ألف من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب فبادر اليه شبيب فقتله وانهزم أصحابه الى الكوفة وأخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة ظاهر الكوفة وبنى

بها مسجدا وسرح الحجاج مولاه أبا الورد فى غلمان لقتاله فحمل عليه شبيب وقتله يظنه الحجاج ثم أخرج اليه مولاه طهمان كذلك فقتله فركب الحجاج فى أهل الشأم وجعل سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك وقعد على كرسيه ونادى فى أهل الشأم وحرضهم فغضوا الابصار وجثوا على الركب وشرعوا الرماح وأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس معه ومع سويد بن سليم ومع المحلل بن وائل وحمل سويد وثبتوا وطاعنوه حتى انصرف وقدم الحجاج كرسيه وحمل المحلل ثانية فكذلك وقدم الحجاج كرسيه فثبتوا له وألحقوه بأصحابه وسرب شبيب سويد بن سليم الى أهل السكك وكان عليها عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يطق دفاعه ثم حمل شبيب فطاعنوه وردوه وانتهى الحجاج الى مسجده وصعده وملك العرصة وقال له خالد بن عتاب ائذن لى فى قتالهم فأبى موتورا فأذن له فجاءهم من ورائهم وقتل أخا شبيب وغزالة امرأته وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهزموا وتخلف شبيب ردألهم فأمر الحجاج أصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس ثم سرح حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذره بياته فانتهى فى اثره الى الانبار وقد افترق عن شبيب كثير من أصحابه للامان الذى نادى الحجاج به فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده أرباعا وتواصوا بالاستماتة فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة فما زالت قدم انسان عن موضعها الى آخر الليل ثم نزل شبيب وأصحابه واشتد القتال وكثر القتلى وسقطت الايدى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن أهل الشأم نحو مائة وأدركهم الاعياء والفشل جميعا فانصرف شبيب بأصحابه وقطع دجلة ومر فى أرض خوخى ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الاهواز وفارس الى كرمان ليريح بها (وقد قيل) فى هذه الحرب غير هذا وهو ان الحجاج بعث اليه أمراء واحدا بعد واحد فقتلهم وكان منهم أعين صاحب حمام أعين وكانت غزالة امرأة شبيب نذرت أن تصلى فى مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وآل عمران فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلا وأوفت بنذرها ثم قاتلهم الناس وخرجوا وقام الحجاج فى الناس يستشيرهم وبرز اليه قتيبة وعذله فى بعث الرعاع ينهزمون ويموت قائدهم والرأى أن تخرج بنفسك فقال له تخرج من الغد الى السبخة وبها شبيب واختفى مكانه عن القوم ونصب ابا الورد مولاه تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله ثم حمل على خالد بن عتاب فى الميسرة ثم على مطرف بن ناجية فى الميمنة فكشفهما ونزل عند ذلك الحجاج وأصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد وبينما هم على ذلك اذ اختلف الخوارج وقال مصقلة بن مهلهل الضبى لشبيب ما تقول فى صالح بن سرح قال برئت منه فبرئ مصقلة منه وفارقه وشعر الحجاج باختلافهم

فسرح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم فى عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها الى الحجاج فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله وجاء به فغسله ودفنه وانصرف الخوارج وتبعهم خالد وقتل مصادا أخو شبيب ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى وسار شبيب الى كرمان وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده فبعث اليه سفيان بن الابرد الكلبى فى العساكر فانفق فيهم المال وسرحه بعد انصراف الخوارج بشهرين وكتب الى عامل البصرة وهو الحكم بن أيوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة الى سفيان فبعثهم مع زياد بن عمر العتكى فلحقه انقضاء الحرب وكان شبيب بعد أن استجم بكرمان أقبل راجعا فلقى سفيان بالاهواز فعبر اليه جسر دجيل وزحف فى ثلاثة كراديس فقاتلهم أشد قتال وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة وسفيان وأهل الشأم مستميتين يزحفون زحفا حتى اضطروا الخوارج الى الجسر فنزل شبيب فى مائة من أصحابه وقاتل الى المساء حتى اذا جاء الليل انصرف وجاء الى الجسر فقدم أصحابه وهو على اثرهم فلما مر بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على حرف السفينة فسقط فى الماء وغرق وهو يقول وكان أمر الله مفعولا ذلك تقدير العزيز العليم وجاء صاحب الجسر الى سفيان وهو يريد الانصراف بأصحابه فقال ان رجلا من الخوارج سقط فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ومروا وتركوا عسكرهم فكبر سفيان وأصحابه وركب الى الجسر وبعث الى عسكرهم فحوى ما فيه وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شبيبا من النهر ودفنوه

(خروج المطرف والمغيرة بن شعبة)

لما ولى الحجاج الكوفة وقدمها وجد بنى المغيرة صلحاء أشرافا فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان فكانوا أحسن العمال سيرة وأشدهم على المريب ولما جاء شبيب الى المدائن نزل نهر شير ومطرف بمدينة الابواب فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن يرسل اليه من يعرض عليه الدعوة فبعث اليه رجلا من أصحابه فقالوا نحن ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتبسط بالجزية فقال مطرف دعوتم الى حق

جورا ظاهرا وانا لكم متابع فبايعونى على قتال هؤلاء الظلمة باحداثهم وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة على الشورى كما تركها عمر بن الخطاب حتى يولى المسلمون من يرضونه فان العرب اذا علمت أن المراد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم فقالوا لانجيبك الى هذا وأقاموا أربعة أيام يتناظرون فى ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب وأن رأيه خلع عبد الملك

والحجاج فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبى زياد مولى أبيه لن والله يخفى على الحجاج شئ مما وقع ولو كنت فى السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك ووافقه أصحابه فسار عن المدائن الى الجبال ولما كان فى بعض الطريق دعا أصحابه الى الخلع والدعاء الى الكتاب والسنة وأن يكون الامر شورى فرجع عنه بعض الى الحجاج منهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وسار مطرف ومر بحلوان وبها سويد بن عبد الرحمن السعدى مع الاكراد فاعترضوه فأوقع مطرف بهم وأثخن فى الاكراد ومال عن همذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده بمال وسلاح فأمده سرا وسار الى قم وقاسان فبعث عماله فى نواحيها وفزع اليه من كل جانب فجاءه سويد بن سرحان الثقفى وبكير ابن هرون النخعى من الرى فى نحو مائة رجل وكان على الرى عدى بن زياد الايادى وعلى أصبهان البراء بن قبيصة فكتب الى الحجاج بالخبر واستمده فأمده بالرجال وكتب الى عدى بالرى أن يجتمع مع البراء على حرب مطرف فاجتمعوا فى ستة آلاف وعدى أميرهم وكتب الحجاج الى قيس بن سعد البجلى وهو على شرطة حمزة بهمذان بأن يقبض على حمزة ويتولى مكانه فجاء فى جمع من عجل وربيعة واقرأه كتاب الحجاج فقال سمعا وطاعة وقبض قيس عليه وأودعه السجن وسار عدى والبراء نحو مطرف فقاتلوه وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه وكان صاحب الراية وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدى وكان ناسكا صالحا وكان الذى تولى قتل مطرف عمر بن هبيرة الفزارى وبعث عدى أهل البلاء الى الحجاج وأمن بكير بن هرون وسويد بن سرحان وكان الحجاج يقول مطرف ليس بولد للمغيرة وانما هو ابن مصقلة الحرلان أكثر الخوارج كانوا من ربيعة ولم يكن فيهم من قيس

(اختلاف الازارقة)

قد تقدم لنا مقام المهلب فى قتال الازارقة على سابور بعد مسير عتاب عنه الى الحجاج وانه أقام فى قتالهم سنة وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضاقت حالهم فتأخروا الى كرمان وتبعهم المهلب ونزل خيرفت مدينة كرمان وقاتلهم حتى أزالهم عنها وبعث الحجاج العمال على نواحيها وكتب اليه عبد الملك بتسويغ للمهلب معونة له على الحرب وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة يستحثه لقتال الخوارج فسار وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتد قتاله وجاء البراء من الليل فتعجب لقتاله وانصرف الى الحجاج وأنهى غدر المهلب وقاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شئ ثم وقع الاختلاف بينهم فقيل فى سببه ان المقعطر الضبى وكان عاملا لقطرى على بعض نواحى كرمان قتل بعض الخوارج فطلبوا القود منه فمنعه قطرى

وقال تأول فأخطأ وهو من ذوى السابقة فاختلفوا وقيل بل كان رجل فى عسكرهم يصنع النصول مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فكتب المهلب كتابا مع رجل وامرأة أن يلقيه فى عسكرهم وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت اليك ألف درهم فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله فأنكر عليه عبد ربه الكبير واختلفوا (وقيل) بعث المهلب نصرانيا وأمره بالسجود لقطرى فقتله بعض الخوارج وولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا فبقى فى نحو الخمسين منهم وأقاموا يقتتلون شهرا ثم لحق قطرى بطبرستان وأقام عبد ربه بكرمان وقاتلهم المهلب وحاصرهم بجيرفت ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحريمهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم ثم دخل جيرفت وسار فى اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيوا وكف عنهم ثم استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يئس من نفسه ثم نصره الله عليهم وهزمهم وقتل منهم نحوا من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير ولم ينج منهم الا القليل وبعث المهلب المبشر الى الحجاج فأخبره وسأله عن بنى المهلب فأثنى عليهم واحدا واحدا قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن وكتب الى المهلب يشكره ويأمره أن يولى على كرمان من يراه وينزل حامية ويقدم عليه فولى عليها ابنه يزيد وقدم على الحجاج فاحتفل لقدومه وأجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب وسرح سفيان بن الابرد الكلبى فى جيش عظيم نحو طبرستان لطلب قطرى وعبيدة بن هلال ومن معهم من الخوارج والتقوا هنالك باسحق بن محمد بن الاشعث فى أهل الكوفة واجتمعا على طلبهم فلقوهم فى شعب من شعاب طبرستان وقاتلوهم فافترقوا عن قطرى ووقع عن دابته فتدهده الى أسفل الشعب ومر به علج فاستقاه على أن يعطيه سلاحه فعمد الى أعلى الشعب وحدر عليه حجرا من فوق الشعب فأصابه فى رأسه فأوهنه ونادى بالناس فجاء فى أولهم نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمى وجعفر بن عبد الرحمن ابن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وحمل رأسه أبو الجهم الى اسحق بن محمد فبعث به الى الحجاج وبعثه الحجاج الى عبد الملك وركب سفيان فأحاط بالخوارج وحاصرهم حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه واستماتوا فقتلهم أجمعين وبعث برؤسهم الى الحجاج ودخل دنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل دير الجماجم قال بعض العلماء وانقرضت الازارقة بعد قطرى وعبيدة آخر رؤسائهم وأول رؤسائهم نافع ابن الازرق واتصل أمرهم بضعا وعشرين سنة الى أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة

(خروج سودب)

خرج سودب هذا أيام عمر بن عبد العزيز على رأس المائة واسمه بسطام وهو من بنى يشكر فخرج فى مائتى رجل وسار فى خوخى وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فكتب اليه عمر ان لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه اليهم الجند مع صليب حازم فبعث عبد الحميد بن جرير بن عبد الله البجلى فى ألفين فأقام بازائه لا يحركه وكتب عمر الى سودب بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولرسوله وكنت أولى بذلك منى أناظرك فان كان الحق معنا دخلت مع الناس وان كان الحق معك نظرنا فى أمرك فبعث اليه عاصما الحبشى مولى بنى شيبان ورجلا من بنى يشكر فقدما عليه بخناصرة فسألهما ما أخرجكم وما الذى نقمتم فقال عاصم ما نقمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر مشورة من الناس أم غلبت عليه قال عمر ما سألته ولا غلبت عليه وعهد الى رجل قبلى فقمت ولم ينكر أحد ومذهبكم الرضا بكل من عدل وان أنا خالفت الحق فلا طاعة لى عليكم قالا فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فتبرأ منهم والعنهم فقال عمر أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها وان الله لم يشرع اللعن وقد قال ابراهيم ومن عصانى فانك غفور رحيم وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبقى تسمية أعمالهم مظالم ذما ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق فكيف ألعن أنا أهل بيتى وهم مصلون صائمون ولم يكفروا بظلمهم لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى الايمان والشريعة فمن عمل بها قبل منه ومن أحدث حدثا فرض عليه الحد فقالا فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى التوحيد والاقرار بما نزل عليه فقال عمر وليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن القوم أسرفوا على أنفسهم قال عاصم فابرأ منهم ورد أحكامهم قال عمر أتعلمان أن أبا بكر سبى أهل الردة وان عمر ردها بالفدية ولم يبرأ من أبى بكر وأنتم لا تبرؤن من واحد منهما قال فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتلوا ولا استعرضوا وخرج أهل البصرة فقتلوا عبد الله بن خباب وجارية حاملا ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل واستعرض ولا أنتم تتبرؤن من واحد منهما وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم ولا يسعنى أنا البراءة من أهل بيتى والدين واحد فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردوا المقبول وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الاسلام وعصم ماله ودمه وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الاديان وتحرمون دماءهم وأموالهم فقال اليشكرى من استأمن على قوم

وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير مأمون أتراه أدى الحق الذى لزمه فكيف تسلم هذا الامر بعدك الى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه فقال انما ولاه غيرى والمسلمون أولى بذلك بعدى قال فهو حق عمن فعله وولاه قال أنظرانى ثلاثا ثم جاءه عاصم فرجع عن رأى الخوارج وقال له اليشكرى اعرض عليهم ماقلت واسمع حجتهم وأقام عاصم عند عمر وأمر له بالعطاء وتوفى عمر لايام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل ولما مات عمر كتب عبد الحميد الى محمد بن جرير بمناجزة سودب قبل أن يصل اليهم خبر عمر فقالت الخوارج ما خالف هؤلاء ميعادهم الا وقد مات الرجل الصالح واقتتلوا فانهزم محمد بن جرير واتبعه الخوارج الى الكوفة ورجعوا وقدم على سودب صاحباه وأخبراه بموت عمر وسرّح يزيد تميم بن الحباب فى ألفين فهزمه أصحابه ثم بعث اليهم الشحاج بن وداع فى ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن قتل منهم هدبة ابن عم سودب وبقى الخوارج بمكانهم وجاء مسلمة الى الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو الحرشى فى عسكر آلاف فاستماتت الخوارج وكشفوا العساكر مرارا ثم حملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتل سودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد الخوارج الى ظهور أيام هشام سنة عشرين ومائة بهلول بن بشر بن شيبان ويلقب كثارة وكان لما عزم على الخروج حج ولقى بمكة من كان على رأيه فأبعدوا الى قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمروا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم بأنهم قدموا من عند هشام ومرّوا بقرية كان بهلول ابتاع منها خلا فوجده خمرا وأبى البائع من ردّه واستعدى عليه عامل القرية فقال الخمر خير منك ومن قومك فقتلوه وأظهروا أمرهم وقصدوا خالدا القسرى بواسط وتعللوا عليه بأنه يهدم المساجد ويبنى الكنائس ويولى المجرّد على المسلمين وجاء الخبر الى خالد فتوجه من واسط الى الحيرة وكان بها جند من بنى القين نحو ستمائة بعثوا مددا لعامل الهند فبعثهم خالد مع مقدمهم لقتال بهلول وأصحابه وضم اليهم مائتين من الشرط والتقوا على الفرات فقتل مقدمهم وانهزموا الى الكوفة وبعث خالد عابدا الشيبانى من بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه بين الموصل والكوفة فهزمهم الى الكوفة وارتحل يريد الموصل ثم بدا له وسار يريد هشاما بالشأم وبعث خالد جندا من العراق وعامل الجزيرة جندا وبعث هشام جندا فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكحيل وهم فى عشرين ألفا وبهلول فى سبعين فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول وسأله أصحابه العهد فعهد الى دعامة الشيبانى ثم الى عمر اليشكرى من بعده ومات بهلول من ليلته وهرب دعامة وتركهم ثم خرج عمر اليشكرى فلم يلبث ان قتل (ثم خرج) على خالد بعد ذلك بسنتين الغفرى صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف

فبعث اليه السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج ولقيهم عبيد أهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى فوجه اليه خالد جندا فقتلوا أصحابه وأثخن بالجراح وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل وكان يسامره بالليل وسعى بخالد الى هشام وانه أخذ حروريا يستحق القتل فجعله سميرا فكتب اليه هشام بقتله فقتله ثم خرج بعد ذلك الصحاري بن شبيب بالفريقية فمضى وندم خالد فطلبه فلم يرجع وأتى جبل وبها نفر من اللات بن ثعلبة فأخبرهم وقال انما أردت التوصل اليه لأقتله بفلان من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبرا ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه اليهم خالد جندا فلقوهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحاري وأصحابه أجمعون ورد أمر الخوارج بعد ذلك مرة فلما وقعت الفتن أيام هشام بالعراق والشأم وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفرتوثا سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأي الحرورية وخرج بسطام البيهسي في مثل عدتهم من ربيعة وكان مخالفا لرأيه فبعث اليه سعيد بن بهدل قائده الخيبري في مائة وخمسين فبيتهم وقتل بسطاما ومن معه ولم ينج منهم الا أربعة عشر رجلا ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فمات هنالك واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه الشراة وأتى أرض الموصل وشهرزور واجتمع اليه من الصفرية أربعة آلاف أو يزيدون وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحرشي وعزل به عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فامتنع عبد الله بالحيرة وسار اليه النضر وتحاربا أشهرا وكانت الصفرية مع النضر عصبة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قيسية وكانت اليمنية مع ابن عمر عصبية لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري فلما علم الضحاك والخوارج باختلافهم أقبل الى العراق سنة سبع وعشرين وزحف اليهم فتراسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة وكل واحد منهما يصلي بأصحابه وابن عمر أمير على الناس وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك فسلك الناس الى واسط منهم النضر بن سعيد الحرشي ومنصور بن جمهور واسمعيل أخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه فلحق ابن عمر بواسط واستولى الضحاك على الكوفة وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ثم زحف اليهما الضحاك فاتفقا وقاتلاه حتى ضرستهما الحرب ولحق منصور بن جمهور بالضحاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه وخرج اليهم وصلى خلف الضحاك وبايعه وكان معه سليمان بن هشام وصل اليه هاربا من حمص

لما انتقض بها وعليه   عليها مروان فلحق بابن عمرو بايع معه الضحاك
وصار معه وحرضه على مروان   افلحق بالضحاك وهو يحاصر نصيرا
وتزوج أخت شيبان الحرورى فرجع الضحاك الى الكوفة وسار منها الى الموصل
بعد عشرين شهرا من حصار واسط بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطرن أم أكه
من بنى شيبان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ
الخبر الى مروان وهو يحاصر حمص فكتب الى ابنه عبد الله أن يسير الى   يمانع
الضحاك عن توسط الجزيرة فسار فى ثمانية آلاف فارس والضحاك فى مائة ألف وحاصره
بنصيبين ثم سار مروان بن محمد اليه فالتقيا عند كفر توتا من نواحى ماردين فقاتله عامة
يومه الى الليل وترجل الضحاك فى نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعثر
على الضحاك فى القتلى فبعث مروان برأسه الى   الجزيرة وأصبح الخوارج
فبايعوا الخيبرى قائد الضحاك وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا الى خيامه
فقطعوا أطنابهم وجلس الخيبرى على فرشه والجناحان ثابتان وعلى الميمنة عبد الله بن
مروان وعلى الميسرة اسحق بن مسلم العقيلى فلما انكشف قلة الخوارج أحاطوا بهم
فى مخيم مروان فقتلوهم جميعا والخيبرى معهم ورجع مروان من نحو ستة أميال
وانصرف الخوارج وبايعوا شيبان الحرورى وهو شيبان بن عبد العزيز اليشكرى
ويكنى أبا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ
وأقام فى قتالهم أياما وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا الى الموصل باشارة
سليمان بن هشام وعسكروا شرق دجلة وعقدوا الجسور واتبعهم مروان وقاتلهم
لتسعة أشهر وقتل من الطائفتين خلق كثير وأسر ابن براخ اسليمان بن هشام اسمه أمية
ابن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة وهو بقرقيسية
يأمره بالسير الى العراق وولاه عليها وعلى الكوفة يومئذ المثنى بن عمران العائذى
من قريش خليفة للخوارج فلقى ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا وانهزمت الخوارج
ثم تجمعوا له بالنخيلة ظاهر الكوفة فهزمهم ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان اليهم
عبيدة بن سوار فى خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة وقتل عبيدة واستباح عسكرهم
واستولى على العراق وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فمضى الى المايس وغلب
عليها وعلى الجبل جميعا وسار ابن هبيرة الى واسط فحبس ابن عمر وكان سليمان بن حبيب
عامل ابن عمر على الاهواز فبعث ابن هبيرة اليه نباتة بن حنظلة وبعث هو داود بن حاتم
والتقيا على دجلة فانهزم داود وقتل وكتب مروان الى ابن هبيرة أن يبعث اليه عامر
ابن ضبابة المزنى فكتبه فى ثمانية آلاف وبعث شيبان لاعتراضه الجون بن كلاب

الخارجي في جمع فانهزم عامر وتحصن بالسند وجعل مروان يمده بالجنود وكان منصور بن جمهور بالجبل يمد شيبان بالاموال ثم كثرت جموع عامر فخرج الى الجون والخوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصدا الخوارج بالموصل فارتحل شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان فمر على الجبل وخرج على بيضاء فارس وبها يومئذ عامر بن عبد الله بن حطويه بن جعفر في جموع كثيرة فسار ابن معاوية الى كرمان وقاتله عامر فهزمه ولحق بهراة وسار عامر بمن معه فلقي شيبان والخوارج بجيرفت فهزمهم واستباح عسكرهم ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها سنة ثلاثين ومائة وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل شهرا ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعامر بن صمراة في اتباعه ثم سار شيبان الى جزيرة ابن كاوان واقام بها ولما ولي السفاح بعث حارثة بن خزيمة لحرب الخوارج هنالك لموجدة وجدها عليه فأشير عليه ببعثه لذلك فسار في عسكر الى البصرة وركب السفن الى جزيرة ابن كاوان وبعث فضالة بن نعيم النهلي في خمسمائة فانهزم شيبان الى عمان وقاتل هنالك وقتله جلندى بن مسعود بن جعفر بن جلندى ومن معه سنة أربع وثلاثين وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه الى الهند بعد مسير شيبان الى جزيرة ابن كاوان حتى اذا بويع السفاح قدم عليه وأنشده سديف البيتين المعروفين وهما

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان الى الموصل الى منزله بحران فلم يزل بها حتى سار الى الزاب ومضى شيبان بعد سلمة الى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر ابن سيار والكرماني والحرث بن شريح وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية فكان له من الحوادث معهم ما ذكرناه واجتمع مع علي بن الكرماني على قتال نصر بن سيار فلما صالح الكرماني أبا مسلم كما مر وفارق شيبان تنحى شيبان عن عمر لعلمه أنه لا يقاومه ثم هرب نصر بن سيار الى سرخس واستقام أمر أبي مسلم بخراسان فأرسل الى شيبان يدعوه الى البيعة ويأذنه بالحرب واستجاش بالكرماني فأبى فسار الى سرخس واجتمع اليه الكثير من بكر بن وائل وأرسل اليه أبو مسلم في الموادعة فحبس الرسل فكتب أبو مسلم الى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث بالمسير الى شيبان فسار اليه فهزمه وقتل في عدة من بكر بن وائل ويقال ان خزيمة بن حازم حضر مع بسام في ذلك

(خبر أبي حمزة وطالب واسحق)

كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الازدي البصري وكان من الخوارج

الاباضية وكان يوافى مكة كل موسم يدعو الى خلاف مروان وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له انطلق معى فانى مطاع فى قومى فانطلق معه الى حضرموت وبايعه على الخلافة وبعثه عبد الله سنة تسع وعشرين مع بلج بن عقبة الازدى فى سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فطلبهم فى الموادعة حتى ينقضى الموسم وأقام للناس حجهم ونزل بمنى وبعث الى أبى حمزة عبيد الله بن حسن ابن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد وعبيد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن ربيعة بن أبى عبد الرحمن فى أمثالهم فكشر فى وجه العلوى والعثمانى وانبسط الى البكرى والعمرى وقال لهما ما خرجنا الا بسيرة أبويكما فقال له عبيد الله بن حسن ما جئنا للتفضيل بين آبائنا وانما جئنا برسالة من الامير وربيعة يخبرك بها ثم أحكموا معه الموادعة الى مدتها ونفر عبد الواحد فى النفر الاول فمضى الى المدينة وضرب على أهلها البعث وزادهم فى العطاء عشرة وبعث عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان فانتهوا الى فديك وجاءتهم رسل أبى حمزة يسألونهم التجافى عن حربهم وأن يخلوا بينهم وبين عدوهم فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب فطلع عليهم أصحاب أبى حمزة من الغياض فأثخنوا فيهم وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قريش وبلغ الخبر الى عبد الواحد فلحق بالشأم ودخل أبو حمزة المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته ووعظ وذكر ورد مقالات من عابهم وسفه رأيهم وأحسن السيرة فى أهل المدينة واستمالهم حتى سمعوه يقول من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر وأقام ثلاثة أشهر ثم ودعهم وسار نحو الشأم وكان مروان قد سرح اليهم عبد الملك بن محمد بن عطية بن هوازن فى أربعة آلاف ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن فلقى أبا حمزة فى وادى القرى فانهزمت الخوارج وقتل أبو حمزة ولحق فلهم بالمدينة وسار عطية فى أثرهم الى المدينة فأقام بها شهرا ثم سار الى اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة وعلى مكة رجلا من أهل الشأم وبلغ عبد الله طالب الحق مسيره اليه وهو بصنعاء فخرج للقائه واقتتلوا وقتل طالب الحق وسار ابن عطية الى صنعاء وملكها وجاء كتاب مروان باقامة الحج بالناس فسار فى اثنى عشر رجلا ومعه أربعون ألف دينار وخلف ثقله بصنعاء ونزل الجرف فاعترضه ابن جمانة المرادى فى جمع وقال له ولاصحابه أنتم لصوص فاستظهروا بعهد مروان فكذبوه وقاتلهم فقتلوه وركد ريح الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية وبويع المنصور بعد السفاح (فخرج سنة سبع وثلاثين) بالجزيرة ملبد بن حرملة الشيبانى

فسارت اليه روابط الجزيرة فى ألف فارس فهزمهم وقاد منهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى ومهلل بن صفوان مولى المنصور ثم نزار من قواد خراسان ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحدا بعد واحد وقتل منهم ثم سار اليه حميد بن قحطبة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصن حميد منه فبعث المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار فى الجيوش ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبد وقاتلهم ثم خرج الكمين فانهزم عبد العزيز وقتل عامة أصحابه فبعث المنصور حازم بن خزيمة فى ثمانية آلاف من أهل خراسان فسار الى الموصل وعبر اليه الملبد دجلة فقاتله فانهزم أهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازم وترجل حازم وأصحابه وترجل ملبد كذلك وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالنبل واشتد القتال وتزاحفت الميمنة والميسرة ورشقوهم فقتل ملبد فى ثمانمائة ممن ترجل معه وثلثمائة قبل أن يترجل وتبعهم فضالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحى الموصل حسان بن مجالد بن مالك بن الاجدع الهمدانى أخو مسروق وكان على الموصل الصقر بن نجدة وليها بعد حرب بن عبد الله فسار اليهم فهزموه الى الدجلة وسار حسان الى العمال ثم الى البحر وركب الى السند وقاتل وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم ويستأذنهم فى اللحاق بهم فأبوا وعاد الى الموصل فخرج اليه الصقر بن الحسن ابن صالح بن جنادة الهمدانى وهلال فقتل هلالا واستبقى ابن الحسن فاتهمه بعض أصحابه بالعصبية وفارقوه وقد كان حسان أخذ من الخوارج وخاله حفص بن أشيم من فقهائهم ولما بلغ المنصور خروجه قال خارجى من همدان فقيل له انه ابن أخت حفص بن أشيم قال من هناك وانما أنكر المنصور ذلك لان عامة همدان شيعة وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل فانهم عاهدوه على أنهم ان خرجوا فقد حلت ديارهم وأموالهم وأحضر أبا حنيفة وابن أبى ليلى بن شبرمة واستفتاهم فتلطفوا له فى العفو فأشار الى أبى حنيفة فقال أباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت امرأة فرجها بغير عقد شرعى فكف عن أهل الموصل ثم خرج أيام المهدى بخراسان يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم واجتمع بشر كثير فبعث اليه المهدى يزيد بن مزيد الشيبانى ابن أخى معن فاقتتلوا قتالا شديدا وأسره يزيد وبعث به الى المهدى موثقا وحمل من النهروان على بعير وحول وجهه الى ذنبه كذلك فدخلوا الى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا وكان حروبا متعودا فغلب على بوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وكان على بوشنج مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفاريابى وقبض معه ثم خرج أيام المهدى بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعى سنة تسع وستين

وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوي أمره ثم اغتاله بعض أصحابه فقتله ثم خرج آخر أيام المهدي بأرض الموصل خارجي من بني تميم اسمه ياسين يميل الى مقالة صالح بن مسرح فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة فبعث اليه المهدي القائد أبا هريرة محمد بن فروخ وهزيمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه حتى قتل في عدة من أصحابه وانهزم الباقون ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بني تغلب وقتل ابراهيم بن خالد بن خزيمة بنصيبين ثم دخل أرمينية وحاصر خلاط عشرين يوما وافتدوا بثلاثين ألفا ثم سار الى أذربيجان ثم الى حلوان وأرض السواد وعبر الى غرب دجلة وعاث في أرض الجزيرة فبعث اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن في العساكر فمكث يقاتله وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برحم وائل فكتب اليه الرشيد يتهدده فناجزه يزيد الحرب في رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالا شديدا فقتل الوليد وجيء برأسه ثم أصبحت أخته مستلئمة للحرب فخرج اليها يزيد وضرب بها على رأسها بالرمح وقال لها اعدي فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول في رثائه الابيات المشهورة التي منها

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف

وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشأم فلم يخرج بعد ذلك الا شذاذ متفرقون يستلحمهم الولاة بالنواحي الا ما كان من خوارج البربر بافريقية فان دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن ميسرة الظفري سنة ثلاث وعشرين ومائة ثم فشت دعوة الاباضية والصفرية منهم في هوارة ولماية ونفزة ومغيلة وفي مغراوة وبني يفرن من زناتة حسبما يذكر في أخبار البربر لبني رستم من الخوارج بالمغرب دولة في تاهرت من المغرب الاوسط نذكرها في أخبار البربر أيضا ثم سار بافريقية منهم على دولة العبيديين خلفاء القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربي وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها في موضعها ثم لم يزل أمرهم في تناقص الى أن اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أول الامر ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد في قصور ريغ وواديه وفي مغراوة من شعوب زناتة ويسمون الراهبية نسبة الى عبد الله بن وهب الراهبي أول من بويع منهم أيام علي بن أبي طالب وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة وكذلك في جبال طرابلس وزناتة أثر باق من تلك النحلة تدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل ذلك وتطير الينا هذا العهد

من تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم فى فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه مباينة لمناحى السنة وطرقها بالكلية الا أنها ضاربة بسهم فى اجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة وكان بنواحى البحرين وعمان الى بلاد حضرموت وشرقى اليمن ونواحى الموصل آثار تفشى وعروق فى كل دولة الى أن خرج على بن مهدى من خولان باليمن ودعا الى هذه النحلة وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن واستلحم بنى الصليحى القائمين بدعوة العبيديين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن واستولوا أيضا على زبيد ونواحيها من يد موالى بنى نجاح وموالى ابن زياد كما نذكر ذلك كله فى أخبارهم ان شاء الله سبحانه وتعالى فلتتصفح فى أماكنها ويقال ان باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

(الدولة الاسلامية بعد افتراق الخلافة)

لم يزل أمر الاسلام جميعا دولة واحدة أيام الخلفاء الاربعة وبنى أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة وهم الدعاة لاهل البيت فغلبت دعاة بنى العباس على الامر واستقلوا بخلافة الملك ولحق الفل من بنى أمية بالاندلس فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ومن هرب فلم يدخلوا فى دعوة بنى العباس وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب ثم ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونازعوا خلفاء بنى العباس واستولوا على القاصية من النواحى كالادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بالقيروان ومصر والقرامطة بالبحرين والدواعى بطبرستان والديلم والاطروش فيها من بعده وانقسمت دولة الاسلام بذلك دولا متفرقة نذكرها واحدة بعد واحدة ونبدأ منها أولا بذكر الشيعة ومبادى دولهم وكيف انساقت الى العباسية ومن بعدهم الى آخر دولهم ثم نرجع الى دولة بنى أمية بالاندلس ثم نرجع الى دولة الدعاة للدولة العباسية فى النواحى من العرب والعجم كما ذكرناه فى برنامج الكتاب والله الموفق للصواب

(مبدأ دولة الشيعة)

(اعلم) أن مبدأ هذه الدولة ان أهل البيت لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالامر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش وفى الصحيح أن العباس قال لعلى فى وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال له على ان منعناها لا يعطيناها الناس بعده وفى الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده فى ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم حتى لقد ذهب كثير من الشيعة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى فى مرضه ذلك لعلى ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه وقد أنكرت هذه الوصية عائشة وكفى بانكارها وبقى ذلك معروفا من أهل البيت وأشياعهم وفيما نقله أهل الآثار أن عمر قال يوما لابن العباس ان قومكم يعنى قريشا ما أرادوا أن يجمعوا لكم يعنى بنى هاشم بين النبوة والخلافة فقصموا عليهم وأن ابن عباس نكر ذلك وطلب من عمر اذنه فى الكلام فتكلم بما عصب له وظهر من محاورتهما أنهم كانوا يعلمون أن فى نفوس أهل البيت شيأ من أمر الخلافة والعدول عنهم بها وفى قصة الشورى أن جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلى ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به الى سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له مثل الزبير ومعه عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وغيرهم الا أن القوم لرسوخ قدمهم فى الدين وحرصهم على الالفة لم يزيدوا فى ذلك على النجوى بالتأفف والاسف ثم لما فشا النكير على عثمان والطعن فى الآفاق كان عبد الله بن سبا ويعرف بابن السوداء من أشد الناس خوضا فى التشنيع لعلى بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة فى العدول اليه عن على وانه ولى بغير حق فأخرجه عبد الله بن عامر من البصرة ولحق بمصر فاجتمع اليه جماعة من أمثاله جنحوا الى الغلو فى ذلك وانتحال المذاهب الفاسدة فيه مثل خالد بن ملجم وسوذان بن حمدان وكنانة بن بشر وغيرهم ثم كانت بيعة على وفتنة الجمل وصفين وانحراف الخوارج عنه بما أنكروا عليه من التحكيم فى الدين وتمحضت شيعته للاستماتة معه فى حرب معاوية مع على وبويع ابنه الحسن وخرج عن الامر لمعاوية فسخط ذلك شيعة على منه وأقاموا يتناجون فى السر باستحقاق أهل البيت والميل اليهم وسخطوا من الحسن ما كان منه وكتبوا الى الحسين بالدعاء له فامتنع وأوعدهم الى هلاك معاوية فساروا الى محمد بن الحنفية وبايعوه فى السر على طلب الخلافة متى أمكنه وولى على كل بلد رجلا وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسة من غربهم ويقتلع الداء اذا تعين له منهم كما فعل بحجر بن عدى وأصحابه ويروض من شماس أهل البيت ويسامحهم فى دعوى تقدمهم واستحقاقهم ولا يهيج أحدا منهم بالتثريب عليه فى ذلك الى أن مات وولى يزيد وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف فكانت من أشنع الوقائع فى الاسلام عظمت بها الشحناء وتوغل الشيعة فى شأنهم وعظم النكير والطعن على من تولى ذلك أو قعد عنه ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين وانهم دعوه ثم لم ينصروه

فندموا ورأوا أن لا كفارة في ذلك الا الاستماتة دون ثاره وسموا أنفسهم التوابين وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صرد الخزاعي ومعه جماعة من خيار أصحاب عليّ وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام وجمع وزحف قاصدا العراق فزحفوا اليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرناه في خبره وذلك سنة خمس وستين ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدمناه في خبره وفشا التعصب لاهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالامر من أهل البيت وبايعت كل طائفة لصاحبها سرا ورسخ الملك لبني أمية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الامامة من الكتاب الاول ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء امام المعتزلة في وقته وكان واصل مترددا في اصابة عليّ في حرب صفين والجمل فنقل ذلك عنه وكان أخوه محمد الباقر يعذله في الاخذ عمن يرى تخطئة جده وكان زيد أيضا مع قوله بافضلية عليّ على أصحابه يرى ان بيعة الشيخين صحيحة وأن امامة المفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة ويرى انهما لم يظلما عليا ثم دعته الحال الى الخروج بالكوفة سنة احدى وعشرين ومائة واجتمع له عامة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يثني على الشيخين وأنهما لم يظلما عليا وقالوا لم يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسموا الرافضة من أجل ذلك ثم قاتل يوسف بن عمر فقتله يوسف وبعث برأسه الى هشام وصلب شلوه بالكناسة ولحق ابنه يحيى بخراسان فأقام بها ثم دعته شيعة الى الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين وسرح اليه نصر بن سيار العساكر مع سالم بن أحوز المازني فقتلوه وبعث برأسه الى الوليد وصلب شلوه بالجوزجان وانقرض شأن الزيدية وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم والدعاء لهم في النواحي يدعون على الاجمال للرضا من آل محمد ولا يصرحون بمن يدعون له حذرا عليه من أهل الدولة وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت وكانوا يرون أن الامر بعد محمد بن الحنفية لابنه أبي هشام عبد الله وكان كثيرا ما يغدو على سليمان بن عبد الملك فمرّ في بعض أسفاره محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بمنزله بالحميمة من أعمال البلقاء فنزل عليه وأدركه المرض عنده فمات وأوصى له بالامر وقد كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أن الامر صائر الى ولد محمد بن عليّ هذا فلما مات قصدت الشيعة محمد بن عليّ وبايعوه سرا وبعث الدعاة منهم الى الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز واجابه عامة أهل خراسان وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك وتوفي محمد سنة أربع وعشرين وعهد لابنه ابراهيم وأوصى

الدعاة بذلك وكانوا يسمونه الامام ثم بعث أبو مسلم الى أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره فهلك وكتب اليهم بولايته ثم قبض مروان بن محمد على ابراهيم الامام وحبسه بحران فهلك هنالك لسنة وملك أبو مسلم خراسان وزحف الى العراق فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل وغلبوا بنى أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم

الخبر عن بنى العباس من دول الاسلام فى هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وانشاء دولتهم والالمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن علىّ بن الحنفية بعد على ثم بعده الى ابنه أبى هشام عبد الله ثم بعده الى محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس بوصيته كما ذكرنا ثم بعده الى ابنه ابراهيم الامام ابن محمد ثم بعده الى أخيه أبى العباس السفاح وهو عبد الله ابن الحارثية هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية ويسمون أيضا الحرماقية نسبة الى أبى مسلم لانه كان يلقب بحرماق ولبنى العباس أيضا شيعة يسمون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أنّ أحق الناس بالامامة بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم هو العباس لانه وارثه وعاصبه لقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وانّ الناس منعوه من ذلك وظلموه الى أن ردّه الله الى ولده ويذهبون الى البراءة من الشيخين وعثمان ويجيزون بيعة علىّ لانّ العباس قال له يا ابن أخى هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع السفاح يا أهل الكوفة انه لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علىّ بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى السفاح

(دولة السفاح)

قد تقدّم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبى مسلم ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق ثم بيعة السفاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ثم قتل مروان بن محمد وانقراض الدولة الاموية ثم خرج بعض أشياعهم وقوادهم وانتقضوا على أبى العباس السفاح وكان أوّل من انتقض حبيب بن مرّة المرى من قواد مروان وكان بحوران والبلقاء خاف على نفسه وقومه فخلع وبيض ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسية فى ذلك وتابعته قيس ومن يليهم والسفاح يومئذ بالحيرة بلغه أنّ أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابى انتقض بقنسرين وكان من قواد مروان ولما انهزم مروان وقدم عليه عبد الله بن علىّ بايعه ودخل فى دعوة العباسية وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له

فعبث بهم وبنسائهم القائد الذى جاءهم من قبل عبد الله بن على وشكوا ذلك الى أبى الورد فقتل القائد وخلع معه أهل قنسرين وكاتبوا أهل حمص فى الخلاف وقدموا عليهم أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية وقالوا هو السفيانى الذى يذكر ولما بلغ ذلك عبد الله بن على وادع حبيب بن مرّة وسار الى أبى الورد بقنسرين ومرّ بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعى الطائى فى أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله وسار الى حمص فبلغه أنّ أهل دمشق خلعوا وبيضوا وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الاعلى ابن سراقة الازدى وانهم هزموا أبا غانم وعسكره وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانتهبوا ما خلف عندهم فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفيانى وأبى الورد وقدّم أخاه عبد الصمد فى عشرة آلاف فكشف ورجع الى أخيه عبد الله منهزما فزحف عبد الله فى جماعة القواد ولقيهم بمرج الاخرم وهم فى أربعين ألفا فانهزموا وثبت أبو الورد فى خمسمائة من قومه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد الى ترمذ وراجع أهل قنسرين طاعة العباسية ورجع عبد الله بن على الى قتال أهل دمشق ومن معهم فهرب عثمان بن سراقة ودخل أهل دمشق فى الدعوة وبايعوا لعبد الله بن على ولم يزل أبو محمد السفيانى بأرض الحجاز متغيبا الى أيام المنصور فقتله زياد بن عبد الله الحارثى عامل الحجاز يومئذ وبعث برأسه الى المنصور ومع ابنين له أسيرين فأطلقهما المنصور ثم خلع أهل الجزيرة وبيضوا وكان السفاح قد بعث اليهما ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب من قواده وأنزلهم بحرّان وكان اسحق بن مسلم العقيلى عامل مروان على ارمينية فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها واجتمع اليه أهل الجزيرة وحاصروا موسى بن كعب بحران شهرين فبعث السفاح أخاه أبا جعفر اليهم وكان محاصرا لابن هبيرة بواسط فسار لقتال اسحق بن مسلم ومرّ بقرقيسيا والر   وقد خلعوا وبيضوا وسار نحو حران فأجفل اسحق بن مسلم عنها ودخل الرها وبعث أخاه بكار بن مسلم الى قبائل ربيعة بنواحى ماردين ورئيسهم يومئذ بريكة من الحرورية فصمد اليهم أبو جعفر فهزمهم وقتل بريكة فى المعركة وانصرف بكار الى أخيه اسحق فخلفه بالرها وسار الى شمشاط بمعظم عسكره وجاء عبد الله بن على فحاصره ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر وهو يقول لا أخلع البيعة من عنقى حتى أتيقن موت صاحبها ثم تيقن موت مروان فطلب الامان واستأذنوا السفاح فأمرهم بتأمينه وخرج اسحق الى أبى جعفر فكان من آثر أصحابه واستقام أهل الجزيرة والشأم وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف

(حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله)

ثم تقدم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة امام الحسن بن قحطبة وتحصنه بواسط وكان جويرة وبعض أصحابه أشاروا عليه بعد الهزيمة باللحاق بالكوفة فأبى وأشار عليه يحيى بن حصين باللحاق بمروان وخوفه عاقبة الحصار فأبى خشية على نفسه من مروان واعتصم بواسط وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة في العسكر لحصاره وعلى ميمنته ابنه داود فانهزم أهل الشأم واضطروا الى دجلة وغرق منهم كثير ثم تحاجزوا ودخل ابن هبيرة المدينة وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك ومكثوا أياما لا يقتتلون الا رميا وبلغ ابن هبيرة أن أبا أمية الثعلبي قد سود فحبسه فغضبت لذلك ربيعة ومعن بن زائدة وحبسوا ثلاثة نفر من فزارة رهنا في أبي أمية واعتزل معن وعبد الله بن عبد الرحمن بن بشير العجلي فيمن معهما فخلى ابن هبيرة سبيل أبي أمية وصالحهم وعادوا الى اتفاقهم ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سجستان أبو نصر مالك بن الهيثم فأوفد غيلان بن عبد الله الخزاعي على السفاح يخبره بقدوم أبي نصر وكان غيلان واجدا على الحسن فرغب من السفاح أن يبعث عليهم رجلا من أهل بيته فبعث أخاه أبا جعفر وكتب الى الحسن العسكر لك والقواد قوادك ولكن أحببت أن يكون أخي حاضرا فأحسن طاعته ووازرته وقدم ابو جعفر فأنزله الحسن في خيمته وجعل على حرسه عثمان بن نهيك ثم تقدم مالك بن الهيثم لقتال أهل الشأم وابن هبيرة فخرجوا لقتاله وأكمنوا معن بن زائدة وأبا يحيى الجرافي ثم استطردوا لابن الهيثم وانهزموا الخنادق فخرج عليهم معن وأبو يحيى فقاتلوهم الى الليل وتحاجزوا وأقاموا بعد ذلك أياما ثم خرج أهل واسط مع معن ومحمد بن نباتة فهزمهم أصحاب الحسن الى دجلة فتساقطوا فيها وجاء مالك بن الهيثم فوجد ابنه قتيلا في المعركة فحمل على أهل واسط حتى أدخلهم المدينة وكان مالك يملأ السفن حطبا ويضرمها نارا فتحرق ما تمر به فيأمر ابن هبيرة بأن تجر بالكلاليب ومكثوا كذلك احد عشر شهرا وجاء اسمعيل بن عبد الله القسري الى ابن هبيرة بقتل مروان وفشلت اليمانية عن القتال معهم وتبعهم الفزارية فلم يقاتل معه الا الصعاليك وبعث ابن هبيرة الى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بأن يبايع له فأبطأ عنه جوابه وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم فخرج اليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحرثيان ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له جهة السفاح ولم يفعلا وتردد الشعراء بين أبي جعفر وابن هبيرة في الصلح وأن يكتب له كتاب أمان على ما اختاره ابن هبيرة وشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه وأنفذه الى أبي جعفر فانفذه الى السفاح وأمر بامضائه وكان لا يقطع أمرا دون أبي مسلم فكتب اليه يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الامان الى أبي جعفر في ألف وثلثمائة فلقيه الحاجب سلام

ابن سليم فأنزله وأجلسه على وسادة وأطاف بحجرة أبي جعفر عشرة آلاف من أهل خراسان ثم أذن لابن هبيرة فدخل على المنصور وحادثه وخرج عنه ومكث يأتيه يوما ويغبه يوما ثم أغرى أبا جعفر أصحابه بأنه يأتي في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيهتز له العسكر فأمر أبو جعفر أن يأتي في حاشيته فقط فكان يأتي في ثلاثين ثم آخرا في ثلاثة ثم الح السفاح على أبي جعفر في قتله وهو يراجعه للامان الذى كتب له حتى كتب اليه السفاح والله لتقتلنه او لأبعثن من يخرجه من حجرتك فيقتله فبعث أبو جعفر الى وجوه القيسية والمضرية وقد أعد لهم ابن نهيك في مائة من الخراسانية في بعض حجره وجاء القوم في اثنين وعشرين رجلا يقدمهم محمد بن نباتة وجويرة بن سهيل فدعاهم سلام الحاجب رجلين رجلين وعثمان بن نهيك يقيدهما الى أن استكملهم وبعث أبو جعفر لحازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة في مائة الى ابن هبيرة فقالوا نريد حمل المال فدلهم حاجبه على الخزائن فأقاموا عندها الرجال وأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم فضربه الهيثم فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه ثم قتل ابن هبيرة آخرا وحملت رؤوسهم الى أبي جعفر ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك أبي بشر وخالد بن مسلمة المخزومي وعمر بن در فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالدا فلم يجز السفاح أمانه وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فأمنه

(مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير)

قد تقدم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبي العباس السفاح واتهام الشيعة في أمره وتغير السفاح عليه وهو بعسكرة أعين ظاهر الكوفة ثم تحول الى مدينة الهاشمية ونزل قصرها وهو يتنكر لابي مسلمة وكتب الى أبي مسلم ببغيته وبرأيه فيه فكتب اليه أبو مسلم بقتله وقال له داود بن علي لا تفعل فيحتج بها أبو مسلم عليك والذين معك أصحابه وهم له أطوع ولكن اكتب اليه يبعث من يقتله ففعل وبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي فقتله فلما قدم نادى السفاح بالرضا عن أبي مسلمة ودعا به وخلع عليه ثم دخل عنده ليلة أخرى فسهر عامة ليله ثم انصرف الى منزله فاعترضه مرار بن أنس وأصحابه فقتلوه وقالوا قتله الخوارج وصلى عليه من الغد يحيى أخو السفاح وكان يسمى وزير آل محمد وأبو مسلم أمير آل محمد وبلغ الخبر الى أبي مسلم وسرح سليمان بن كثير بالنكير لذلك فقتله أبو   وبعث على فارس محمد بن الاشعث وأمره أن يقتل ابن أبي مسلمة ففعل

(عمال السفاح)

ولما استقام الامر للسفاح ولى على الكوفة والسواد عمه داود بن على ثم عزله وولاه

على الحجاز واليمن واليمامة وولى مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين فولى مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيد الله ابن عبيد وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد وولى السفاح على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن علي وأضاف اليه كور دجلة والبحرين وعمان وولى عمه اسمعيل بن علي الاهواز وعمه عبد الله بن علي على الشأم وأبا عون عبد الملك بن يزيد على مصر وأبا مسلم على خراسان وبرمك على ديوان الخراج وولى عمه عيسى بن علي على فارس فسبقه اليها محمد ابن الاشعث من قبل أبي مسلم فلما قدم عليه عيسى هم محمد بقتله وقال أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبرا ما عاش ولا يتقلد سيفا الا في جهاد فوفى عيسى بذلك بقية عمره واستعمل بعده على فارس عمه اسمعيل بن علي واستعمل على الموصل محمد بن صول فطرده أهلها وقالوا يلي علينا مولى خثعم وكانوا منحرفين عن بني العباس فاستعمل السفاح عليهم أخاه يحيى وبعثه في اثني عشر ألفا فنزل قصر الامارة وقتل منهم اثني عشر رجلا فثاروا به وحملوا السلاح فنودي فيهم بالامان لمن دخل المسجد الجامع فتسايل الناس اليه وقد أقام الرجال على أبوابه فقتلوا كل من دخل يقال قتل احد عشر ألفا ممن لبس وما لا يحصى من غيرهم وسمع صياح النساء بالليل فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان واستباحهم ثلاثة أيام وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعاثوا في النساء وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له ألست من بني هاشم ألست ابن عم الرسول أما تعلم أن المؤمنات المسلمات ينكحهن الزنوج فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للعطاء وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبلغ السفاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله وولى مكانه اسمعيل بن علي وولى يحيى مكان اسمعيل بالاهواز وفارس وملك الروم ملطية وقاليقلا وفي سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم فحصر ملطية والفتن يومئذ بالجزيرة وعاملها يومئذ موسى بن كعب بحران فلم يزل يحاصرهم حتى نزلوا على الامان وانتقلوا الى بلاد الجزيرة وحملوا ما قدروا عليه وخرب الروم ملطية وسار عنها الى مرج الحصى وأرسل قسطنطين العساكر الى قاليقلا من نواحي ماردين مع قائده كوشان الارمني فحصرها وداخل بعض الارمن من أهل المدينة فنقبوا له السور فاقتحم البلد من ذلك النقب واستباحها

(الثوار بالنواحي) (١)

كان المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة قد ولاه أبو على اليمامة فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليمامة فبعث اليه زياد بن عبيد المدان بالعساكر من المدينة مع ابراهيم بن حبان السلمى فقتله وقتل أصحابه وذلك سنة ثلاث وثلاثين (وفيها) خرج شريك بن شيخ انكارا على أبى مسلم ونقض أفعاله واجتمع اليه أكثر من ثلاثين ألفا فبعث اليه أبو مسلم زياد ابن صالح الخزاعى فقاتله وقتله (وفيها) توجه أبو داود وخالد بن ابراهيم الى الختل فتحصن ملكهم ابن السبيل منهما ومنعه الدهاقين فحاصره أبو داود حتى جهده الحصار فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفرغانة ثم سار منها الى بلد الصين وأخذ أبو داود من ظفر به فى الحصن فبعث بهم الى أبى مسلم (وفيها) الفتنة بين اخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد الاخشيد ملك الصين فأمده بمائة ألف مقاتل وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين فلم يعرض له ولا لقومه بسوء وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم فلقيهم على نهر الطراز فظفر بهم وقتل منهم نحوا من خمسين ألفا وأسر نحوا من عشرين ألفا ولحق بهم بالصين وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم انتقض بسام بن ابراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان وسار من عسكر السفاح وجماعة على رأيه سرا الى المدائن فبعث السفاح فى اثرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم وبلغ ماه وانصرف فمر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بنى عبد المدان فى نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم وقيل له ان المغيرة من أصحاب بسام عندهم فسألهم عنه فقالوا مر بنا مجتازا فهددهم ان لم يأخذه فأغلظوا له فى القول فقتلهم أجمعين ونهب أموالهم وهدم دورهم وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد ابن عبيد الله الحرثى على السفاح وشكوا اليه ما فعل بهم فهم بقتله وبلغ ذلك موسى ابن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم وانهم آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم فان كان لا بد من قتله فابعثه لوجه من الوجوه فان قتل فهو الذى تريد وان ظفر فلك بعثه الى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عمان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى فبعث معه سبعمائة رجل فحملهم سليمان بن على من البصرة فى السفن وقد انضم اليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدة من بنى تميم من البصرة فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان قدم خازم فضلة ابن نعيم المنشلى فى خمسمائة الى شيبان فانهزم هو وأصحابه وكانوا صفرية وركبوا الى عمان فقاتلهم الجلندى فى الاباضية فقتل شيبان ومن معه كما مر وشيبان هذا غير شيبان بن سلمة الذى قتل بخراسان فربما يشتبهان ثم ركب خازم البحر الى ساحل عمان

فنزل وقاتل الجلندى أياما أمر خازم أصحابه فى آخرها أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ودوروها بالنفط ويشعلوها بالنيران ويرموها فى بيوت القوم وكانت من خشب فلما اضطرمت فيها النار شغلوا بأهليهم وأولادهم عن القتال فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم وقتل الجلندى وعشرة آلاف فبعث خازم برؤسهم الى البصرة فبعثها سليمان الى السفاح فقدم اه ثم غزا خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الاخريد ملكها وهو مطيع واستباحهم وأخذ من الاوانى الصينية المنقوشة المذهبة ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وطرفه ما لم ير مثله وحمله الى أبى مسلم بسمرقند وقتل عدة من دهاقين كش وملك طازان أخا الاخريد على كش ورجع أبو مسلم الى مرو بعد أن فتك فى الصغد وبخارى وأمر ببناء سور سمرقند واستخلف زياد ابن صالح على بخارى وسمرقند ورجع أبو داود الى بلخ ثم بلغ السفاح انتقاض منصور ابن جهور بالسند فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب واستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير وسار موسى لقتال ابن جهور فلقيه بتخوم الهند وهو فى نحو اثنى عشر ألفا فانهزم ومات عطشا فى الرمال ورحل عامله على السند بعياله وثقلته فدخل بهم بلاد الخزر ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر فسار أبو مسلم اليه من مرو وبعث أبو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ ليمنعها من زياد فلما وصل اليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه فبعث مكانه عيسى بن ماهان فتتبع قتلة نصر فقتلهم وسار أبو مسلم فانتهى الى آمد ومعه سباع بن النعمان الازدى وكان السفاح قد دس معه الى زياد بن صالح الازدى أن ينتهز فرصة فى أبى مسلم فيقتله ونمى الخبر الى أبى مسلم فحبس سباعا بآمد وسار عنها وأمر عامله بقتله ولقيه قواد زياد فى طريقه وقد خلعوا زيادا فدخل أبو مسلم بخارى ونجا زياد الى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه الى أبى مسلم وكتب أبو مسلم الى أبى داود فقتله وكان قد شغل بأهل الطالقان فرجع الى كش وبعث عيسى بن ماهان الى بسام فلم يظفر منها بشئ وبعث الى بعض أصحاب أبى مسلم يعيب أبا داود وعيسى فضربه وحبسه ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم الى مرو

* (حج أبى جعفر وأبى مسلم) *

وفى سنة ست وثلاثين استأذن أبو مسلم السفاح فى القدوم عليه للحج وكان منذ ولى خراسان لم يفارقها فأذن له فى القدوم مع خمسمائة من الجند فكتب اليه أبو مسلم انى قد عاديت الناس ولست آمن على نفسى فأذن له فى ألف وقال ان طريق مكة لا يحتمل العسكر فسار فى ثمانية آلاف فرقهم ما بين نيسابور والرى وخلف أمواله وخزائنه بالرى

وقدم فى ألف وخرج القواد بأمر السفاح لتلقيه فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه واستأذن فى الحج فأذن له وقال لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم فأنزله بقربه وكان قد كتب الى أبى جعفر ان أبا مسلم استأذنى فى الحج وأذنت له وهو يريد ولاية الموسم فاسألنى أنت فى الحج فلا تطمع أن يتقدمك وأذن له فقدم الانبار وكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعدا من حيث بعث السفاح أبا جعفر الى خراسان ليأخذ البيعة له ولابى جعفر من بعده ويولى أبا مسلم على خراسان فاستخف أبو مسلم بأبى جعفر فلما قدم آلان أبو جعفر السفاح بقتله وأذن له فيه ثم ندم وكفه عن ذلك وسار أبو جعفر الى الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكى

(موت السفاح وبيعة المنصور)

كان أبو العباس السفاح قد تحول من الحيرة الى الانبار فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين فأقام بها سنتين ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه ولاربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويع وصلى عليه عمه عيسى ودفن بالانبار وكان وزيره ابو الجهم بن عطية وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لاخيه أبى جعفر ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى وجعل العهد فى ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم أهل بيته ودفعه الى عيسى ولما توفى السفاح وكان أبو جعفر بمكة فأخذ البيعة على الناس عيسى ابن موسى وكتب اليه بالخبر فجزع واستدعى أبا مسلم وكان متأخرا عنه فأقرأه الكتاب فبكى واسترجع وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال أخاف شر عبد الله بن على فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان وهم أطوع لى منه فسرى عنه وبايع له أبو مسلم والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة ويقال ان أبا مسلم كان متقدما على أبى جعفر فان الخبر قد أتاه قبله فكتب أبو مسلم اليه يعزيه ويهنيه بالخلافة وبعد يومين كتب له ببيعته وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين وسار منها الى الانبار فسلم اليه عيسى بيوت الاموال والدواوين واستقام أمر أبى جعفر

(انتقاض عبد الله بن على وهزيمته)

كان عبد الله بن على قدم على السفاح قبل موته فبعثه الى الصائفة فى جنود أهل الشام وخراسان فانتهى الى دلوك ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفاح وأخذ البيعة لابى جعفر وله من بعده كما عهد به السفاح فجمع عبد الله الناس وقرأ عليهم الكتاب وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يبعث الجنود الى حران تكاسل بنو أبيه عنها فقال لهم من انتدب منكم فهو ولى عهدى فلم ينتدب غيرى وشهد له أبو غانم الطائى

وخفاف المروزى وغيرهما من القواد وبايعوه وفيهم حميد بن حكيم بن قحطبة وغيره من خراسان والشأم والجزيرة ثم سار عبد الله حتى نزل حران وحاصر مقاتل بن حكيم العكى أربعين يوما وخشى من أهل خراسان فقتل منهم جماعة وولى حميد بن قحطبة على حلب وكتب معه الى عاملها زفر بن عاصم بقتله فقرأ الكتاب فى طريقه وسار الى العراق وجاء أبو جعفر من الحج فبعث أبا مسلم لقتال عبد الله ولحقه حميد بن قحطبة نازعا عن عبد الله فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعى ولما بلغ عبد الله خبر اقباله وهو على حران بذل الامان لمقاتل بن حكيم ومن معه وملك حران ثم بعث مقاتلا بكتابه الى عثمان بن عبد الاعلى فلما قرأ الكتاب قتله وحبس ابنيه حتى اذا هزم عبد الله قتلهما وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان أن يأتى عبد الله بن على ليمكر به فجاء وقال انى سمعت السفاح يقول الخليفة بعدى عمى عبد الله فشعر بمكيدته وقتله وهو جد ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب ثم أقبل عبد الله بن على حتى نزل نصيبين وخندق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه وكان المنصور قد كتب الى الحسن ابن قحطبة عامله على أرمينية بأن يوافى أبا مسلم فقدم عليه بالموصل وسار معه ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين وكتب الى عبد الله انى قد وليت الشأم ولم أومر بقتالك فقال أهل الشأم لعبد الله سر بنا الى الشأم لنمنع نساءنا وأبناءنا فقال لهم عبد الله ما يريد الا قتالنا وانما قصد المكر بنا فأبوا الا الشأم فارتحل بهم الى الشأم ونزل أبو مسلم فى موضع معسكره وغور ما حوله من المياه ووقف أصحاب عبد الله بكار بن مسلم العقيلى وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدى وعلى الخيل عبد الصمد بن على أخو عبد الله وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته خازم بن خزيمة فاقتتلوا شهرا ثم حمل أصحاب عبد الله على عسكر أبى مسلم فأزالوهم عن مواضعهم وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ثم حمل عليهم ثانية فأزالوا صفهم ثم نادى منادى أبى مسلم فى أهل خراسان فتراجعوا وكان يجلس اذا التقى الناس على عريش ينظر منه الى الحومة فان رأى خللا أرسل بسده فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا فلما كان يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين اقتتلوا وأمر أبو مسلم الحسن بن قحطبة أن يضم الى الميسرة وينزل فى الميمنة حماة أصحابه فانضم أهل الشأم من الميسرة الى الميمنة كما أمرهم وأمر أبو مسلم أهل القلب فحطموهم وركبهم أصحاب أبى مسلم فانهزم أصحاب عبد الله فقال لابن سراقة ما ترى قال الصبر الى أن تموت فالفرار فيكم بمثلك قبيح قال بل آتى العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم وكتب بذلك الى المنصور ومضى عبد الله وعبد الصمد فقدم عبد

الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى وأمنه المنصور وقيل بل أقام بالرصافة حتى قدمها جهور بن مران العجلى فى خيول أرسلها المنصور فبعث به موثقا مع أبى الخطيب فاطلقه المنصور وأما عبد الله فقدم البصرة وأقام عند أخيه سليمان متواريا حتى طلبه وأشخص اليه ثم ان أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم

كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه ويتقدم بالاحسان للوفود واصلاح الطريق والمياه وكان الذكر له وكان الاعراب يقولون هذا المكذوب عليه ولما صدروا عن الموسم تقدم أبو مسلم ولقيه الخبر بوفاة السفاح فبعث الى أبى جعفر يعزيه ولم يهنئه بالخلافة ولا رجع اليه ولا أقام ينتظره فغضب أبو جعفر وكتب اليه وأغلظ فى العتاب فكتب يهنئه بالخلافة ويقدم الى فدعا عيسى بن موسى الى أن يبايع له فأبى وقدم أبو جعفر وقد خلع عبيد الله بن على فسرح أبا مسلم لقتاله فهزمه كما مر وجمع الغنائم من عسكره فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب لجمعها فغضب أبو مسلم وقال أنا أمين على الدماء فكيف أخون الاموال وهم بقتل الخصيب ثم خلى عنه وخشى المنصور أن يمضى الى خراسان فكتب اليه بولاية مصر والشأم فازداد نفارا وخرج من الجزيرة يريد خراسان وسار المنصور الى المدائن وكتب اليه يستقدمه فأجابه بالامتناع والمسك بالطاعة عن بعد والتهديد بالخلع ان طلب منه سوى ذلك فكتب اليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط وانه لا يحسن طاعة وبعث اليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه وقيل بل كتب اليه أبو مسلم يعرض له بالخلع وانه قد تاب الى الله مما جناه من القيام بدعوتهم وأخذ أبو مسلم طريق حلوان وأمر المنصور عمه عيسى ومشيخة بنى هاشم بالكتاب على أبى مسلم يحرضونه على التمسك بالطاعة ويحذرونه عاقبة البغى ويأمرونه بالمراجعة وبعث الكتب مع مولاه أبى حميد المرودوذى وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه فاذا يئس يخبره بقسم أمير المؤمنين لاوكات أمرك الى غيرى ولو خضت البحر لخضته وراءك ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت فأوصل أبو حميد الكتب وتلطف له فى القول ما شاء واحتج عليه بما كان منه فى التحريض على طاعتهم فاستشار أبو مسلم مالك بن الهيثم فأبى له من الاصغاء الى هذا القول وقال والله لئن أتيته ليقتلنك ثم بعث الى نيزك صاحب الرى يستشيره فأبى له من ذلك وأشار عليه بنزول الرى وخراسان من ورائه فيكون أمكن لسلطانه فأجاب أبا حميد بالامتناع فلما يئس منه أبلغه مقالة المنصور فوجم طويلا ورعب من ذلك القول وأكبره وكان المنصور قد كتب الى

عامل أبي مسلم بخراسان يرغبه في الانحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سرا وكتب الى أبي مسلم يحذره الخلاف والمعصية فزاده ذلك رعبا وقال لأبي حميد قبل انصرافه قد كنت عزمت على المضي الى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا اسحق الى أمير المؤمنين يأتيني برأيه فاني أثق به ولما قدم أبو اسحق تلقاه بنو هاشم وأهل الدولة بكل ما يحب وداخله المنصور في صرف أبي مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها فرجع اليه وأشار عليه بلقاء المنصور فاعتزم على ذلك واستخلف مالك بن الهيثم على عسكره بحلوان وسار فقدم المدائن في ثلاثة آلاف وخشي أبو أيوب وزير المنصور أن يحدث منه عند قدومه فتك فدعا بعض اخوانه وأشار عليه بأن يأتي أبا مسلم ويتوسل به الى المنصور في ولاية كسكر ليصيب فيها مالا عظيما وأن يشرك أخاه في ذلك فان أمير المؤمنين عازم أن يوليه ما ورى به ويريح نفسه واستأذن له المنصور في لقاء أبي مسلم فأذن له فلقي أبا مسلم وتوسل اليه وأخبره الخبر فطابت نفسه وذهب عنه الحزن ولما قرب أمر الناس بتلقيه ثم دخل على المنصور فقبل يده وانصرف ليريح ليلته ودعا المنصور من الغد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن رواح وابن حنيفة حرب بن قيس وأجلسهم خلف الرواق وأمرهم بقتل أبي مسلم اذا صفق بيديه واستدعى أبا مسلم فلما دخل سأله عن سيفين أصابهما لعمه عبد الله بن علي وكان متقلدا بأحدهما فقال هذا أحدهما فقال أرني فانتضاه أبو مسلم وناوله اياه فأخذ يقلبه بيده ويهزه ثم وضعه تحت فراشه وأقبل يعاتبه فقال كتبت الى السفاح تنهاه عن الموات كأنك تعلمه قال ظننت انه لا يحل ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت انكم معدن العلم قال فتوركك عني بطريق مكة قال كرهت مزاحمتك على الماء قال فامتناعك من الرجوع الي حين بلغك موت السفاح أو الاقامة حتى ألحقك قال طلبت الرفق بالناس والمبادرة الى الكوفة قال فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك قال لا انما وكلت بها من يحفظها قال فمراغمتك ومسيرك الى خراسان قال خشيت منك فقلت آتي خراساني وأكتب بعذري فأذهب ما في نفسك مني قال فالمال الذي جمعته بحران قال أنفقته في الجند تقوية لكم قال ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك وتخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا ثم قال له وما الذي دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع اثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا من قبل أن ندخلك في هذا الامر قال أراد الخلاف فقتلته ثم قال أبو مسلم كيف يقال هذا بعد بلائي وما كان مني قال يا ابن الخبيثة لو كانت أمة مكانك لأغنت انما ذلك بدولتنا وريحنا وأكب أبو مسلم يقبل يده ويعتذر فازداد المنصور

غضبا ثم قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت لا أخاف الا الله فشتمه المنصور وصفق بيديه فخرج الحرس وضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال استبقنى لعدوك فقال لا أبقانى الله اذا وأى عدو أعدى منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس وقال الامير قائل عند أمير المؤمنين فانصرفوا وأمر لهم بالجوائز وأعطى اسحق مائة ألف ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه وأخذ فى الثناء على طاعته وبلائه وذكر رأى الامام ابراهيم فيه فقال المنصور والله ما أعلم على وجه الارض عدوا أعدى لكم منه هو ذا فى البساط فاسترجع عيسى فأنكر عليه المنصور وقال وهل كان لكم ملك معه ثم دعا جعفر بن حنظلة واستشاره فى أمر أبى مسلم فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله ثم نظر اليه قتيلا فقال له يا أمير المؤمنين عد خلافتك من هذا اليوم ثم دعا أبا اسحق عن متابعة أبى مسلم وقال تكلم بما أردت وأخرجه قتيلا فسجد أبو اسحق ثم رفع رأسه يقول الحمد لله أميت هو والله ما جئته قط الا تكفنت وتحنطت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه فرحمه وقال له استقبل طاعتك واحمد الله الذى أراحك وكتب المنصور بعد قتل أبى مسلم الى أبى نصر بن الهيثم على لسان أبى مسلم يأمره بحمل أثقاله وقد كان أبو مسلم أوصاه ان جاءك كتاب بخاتمى تاما فاعلم انى لم أكتبه فلما رآه كذلك فطن وانحدر الى همذان يريد خراسان فكتب له المنصور بولاية شهرزور وكتب الى زهير بن التركى بهمذان بحبسه فمر أبو نصر بهمذان وخادعه زهير ودعاه الى طعامه وحبسه وجاء كتاب العهد بشهرزور لابى نصر فأطلقه زهير ثم جاء بعد ذلك الكتاب بقتله فقال جاءنى كتاب عهده فخليت سبيله وقدم أبو نصر على المنصور فعذله فى اشارته على أبى مسلم بخراسان فقال نعم استنصحنى فنصحت له وان استنصحنى أمير المؤمنين نصحت وشكرت واستعمله على الموصل وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبى مسلم وانسهم وافترق أصحابه وخرج منهم بخراسان رجل اسمه سنباد ويسمى فيروز اصبهبد وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبى مسلم وغلب على نيسابور والرى وأخذ خزائن أبى مسلم التى خلفها بالرى حين شخص الى السفاح وسبى الحرم ونهب الاموال ولم يعرض الى التجار وكان يظهر أنه قاصد الى الكعبة يهدمها فسرح اليه المنصور جهور بن مرار العجلى والتقوا على طرق المفازة بين همذان والرى فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحوا من ستين ألفا وسبى ذراريهم ونساءهم ولحق سنباد بطبرستان فقتله بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه وكتب الى المنصور بذلك فكتب اليه المنصور فى الاموال فأنكرها فسرح اليه الجنود فهرب الى الديلم ثم ان جهور بن مرار لما حوى ما فى عسكر سنباد ولم يبعث به

خاف من المنصور فخلع واعتصم بالرى فسرح اليه محمد بن الاشعث فى الجيوش فخرج من الرى الى اصبهان فملكها وملك محمد الرى ثم اقتتلوا وانهزم جمهور فلحق بأذربيجان وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين

(حبس عبد الله بن على)

كان عبد الله بن على بعد هزيمته امام أبى مسلم لحق بالبصرة ونزل على أخيه سليمان ثم ان المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين فاختفى عبد الله وأصحابه فكتب المنصور الى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبد الله وقواده ومواليه واشخاصهم الى المنصور منهما فشخصوا ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبد الله واستأذناه له فشغلهما بالحديث وأمر بحبسه فى مكان قد هيئ له فى القصر فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبد الله فعلما انه قد حبس وان ذمتهما قد أخفرت فرجعا الى المنصور فحبسا عنه وتوزع أصحاب عبد الله بين الحبس والقتل وبعث ببعضهم الى أبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها ولم يزل عبد الله محبوسا حتى عهد المنصور الى المهدى سنة تسع وأربعين وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدى ودفع اليه عبد الله وأمره بقتله وخرج حاجا وسار عيسى كاتبه يونس بن فروة فى قتل عبد الله بن على فقال لا تفعل فانه يقتلك به وان طلبه منك فلا ترده اليه سرا فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يحرضهم على الشفاعة فى أخيهم عبد الله فشفعوه وقال لعيسى جئنا به فقال قتلته كما أمرتنى فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الامر فجاء به وقال هو ذا حى سوى فجعله المنصور فى بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات

(وقعة الراوندية)

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان ومن أتباع أبى مسلم يقولون بالتناسخ والحلول وان روح آدم فى عثمان بن نهيك وان الله حل فى المنصور وجبريل فى الهيثم بن معاوية فحبس المنصور نحوا من مائتين منهم فغضب الباقون واجتمعوا وحملوا بينهم نعشا كأنهم فى جنازة وجاؤا الى السجن فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم وحملوا على الناس فى ستمائة رجل وقصدوا قصر المنصور وخرج المنصور من القصر ماشيا وجاء معن بن زائدة الشيبانى وكان مستخفيا من المنصور لقتاله مع ابن هبيرة وقد اشتد طلب المنصور له فحضر عنده هذا اليوم متلثما وترجل وأبلى ثم جاء الى المنصور ولجام بغلته فى يد الربيع حاجبه وقال تنح فأنا أحق بهذا اللجام فى هذا الوقت وأعظم

منازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية ثم سأله فانتسب فامنه واصطنعه وجاء أبونصر مالك بن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال أنا اليوم بواب ثم قاتلهم أهل السوق وفتح باب المدينة ودخل الناس وحمل عليهم خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة حتى قتلوهم عن آخرهم وأصاب عثمان بن نهيك في الحومة سهم فمات منه بعد أيام وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى ثم بعده أبا العباس الطوسي وذلك كله بالهاشمية ثم أحضر معنا ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمه عيسى فقال معن والله يا أمير المؤمنين لقد جئت الى الحومة وجلا حتى رأيت شدتك فحملني ذلك على ما رأيت مني وقيل انه كان مختفيا عند أبي الخصيب حاجب المنصور وانه جاء يوم الراوندية فاستأذن أبو الخصيب وشاوره المنصور في أمرهم فأشار ببث المال في الناس وأبى المنصور الا الركوب اليهم بنفسه فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاه على اليمن

(انتقاض خراسان ومسير المهدي اليها)

كان السفاح قد ولى على خراسان أبا داود خالد بن ابراهيم الذهلي بعد انتقاض بسام ابن ابراهيم ومهلكه فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكشماهن وجاؤا الى منزله فاشرف عليهم ليلا من السطح فزلت قدمه فسقط ومات ليومه وكان عصام صاحب شرطته فقام بالامر بعده ثم ولى المنصور على خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن فقدم عليها وحبس جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء للعلوية منهم مجاشع ابن حريث الانصاري عامل بخارى وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى بني تميم عامل قهستان والحريش بن محمد الذهلي ابن عم أبي داود في آخرين ثم قتل هؤلاء وألح على عمال أبي داود في استخراج المال وانتهت الشكوى الى المنصور بذلك فقال لابي أيوب انما يريد بفناء شيعتنا الخلع فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم فاذا فارقوه بعثت اليه من شئت واستمكن منه فكتب اليه بذلك فأجاب بأن الترك قد جاشت وان فرقت الجنود خشيت على خراسان فقال له أبو أيوب اكتب اليه بأنك ممده بالجيوش وابعث معها من شئت يستمكن منه فأجاب عبد الجبار بأن خراسان مغلبة في عامها ولا تحتمل زيادة العسكر فقال له أبو يوسف هذا خلع فعاجله فبعث ابنه المهدي فسار ونزل الري وقدم خازم بن خزيمة لحرب عبد الجبار فقاتلوه فانهزم وجاء الى مقطنة وتوارى فيها فعبر اليه المحشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ وجاء به الى خازم فحمله على بعير وعليه جبة صوف ووجهه الى عجز البعير وحمله الى المنصور في ولده وأصحابه فبسط اليهم العذاب حتى استخرج الاموال ثم قطع يديه ورجليه وقتله

وذلك سنة اثنتين وأربعين وبعث بولده الى دهالك فغزاهم بها وأقام المهدى بخراسان حتى رجع الى العراق سنة تسع وأربعين

وفى سنة اثنتين وأربعين انتقض عيينة بن موسى بن كعب بالسند وكان عاملا عليها من بعد أبيه وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرط فخشى المسيب ان حضر عيينة عند المنصور أن يوليه على الشرط فحذره المنصور وحرضه على الخلاف فخلع الطاعة وسار المنصور الى البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبى صفرة العتكى لحرب عيينة وولاه على السند والهند فورد السند وغلب عليها وفى هذه السنة انتقض الاصبهبذ بطبرستان وقتل من كان فى أرضه من المسلمين فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم فى العساكر فحاصروه فى حصنه مدة ثم تحيلوا ففتح لهم الحصن من داخله وقتلوا المقاتلة وسبى الذرية وكان مع الاصبهبذ سم فشربه فمات

(أمر بنى العباس)

بنو هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا اليه وتشاوروا فيمن يعقدون له الخلافة فاتفقوا على محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن على وكان يقال ان المنصور ممن بايعه تلك الليلة ولما حج أيام أخيه السفاح سنة ست وثلاثين تغيب عنه محمد وأخوه ابراهيم ولم يحضرا عنده مع بنى هاشم وسأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثى أنا آتيك بهما وكان بمكة فرده المنصور الى المدينة ثم استخلف المنصور وطفق يسأل عن محمد ويختص بنى هاشم بالسؤال سرا فكلهم يقول انك ظهرت على طلبه لهذا الامر فخافك على نفسه ويحسن العذر عنه الا الحسن بن زيد بن الحسن بن على فانه قال له والله ما آمن وثوبه عليك فانه لا ينام عنك فكان موسى بن عبد الله بن حسن يقول بعد هذا اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا ثم ان المنصور حج سنة وألح على عبد الله بن حسن فى احضار ابنه محمد فاستشار عبد الله سليمان بن على فى احضاره فقال له لو كان عافيا عفى عن عمه فاستمر عبد الله على الكتمان وبث المنصور العيون بين الاعراب فى طلبه بسائر بوادى الحجاز ومياهها ثم كتب كتابا على لسان الشيعة الى محمد بالطاعة والمسارعة وبعثه مع بعض عيونه الى عبد الله وبعث معه بالمال والالطاف كأنه من عندهم وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع فكتب الى عبد الله بن حسن بالخبر وكان محمد بجهينة وألح عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليدفع اليه كتاب الشيعة فقال له اذهب الى على بن الحسن المدعو بالاغر يوصلك اليه

في جبل جهينة فذهب وأوصله اليه ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور وبعثوا أبا هبار الى محمد وعلي بن حسن يحذرهما الرجل فجاء أبو هبار الى علي بن حسن وأخبره ثم سار الى محمد فوجد العين عنده جالسا مع أصحابه فخلا به وأخبره فقال وما الرأي قال تقتله قال لا أقارف دم مسلم قال تقيده وتحمله معك قال لا آمن عليه لكثرة الخوف والاعجال قال فتودعه عند بعض أهلك من جهينة قال هذه اذن ورجع فلم يجد الرجل ولحق بالمدينة ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر ونسي اسم أبي هبار وكنيته وقال معه وبر فطلب أبو جعفر وبرا المري فسأله عن أمر محمد فأنكره وحلف فضربه وحبسه ثم دعا عقبة بن سالم الازدي وبعثه متنكرا بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان الى عبد الله بن حسن ليظهر على أمره فجاءه بالكتاب فانتهره وقال لا أعرف هؤلاء القوم فلم يزل يتردد اليه حتى قبله وأنس به وسأله عقبة الجواب فقال لا أكتب لاحد ولكن أقرئهم مني سلاما وأعلمهم ان ابني خارجان لوقت كذا فرجع عقبة الى المنصور فأنشأ الحج فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبد الله الى جنبه ثم دعا بالغداء فأصابوا منه ثم قال لعبد الله بن حسن قد أعطيتني العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطانا فقال وأنا على ذلك فلحظ المنصور عقبة بن سالم فوقف بين عبد الله حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الاقالة فلم يفعل وأمر بحبسه وكان محمد يتردد في النواحي وجاء الى البصرة فنزل في بني راهب وقيل في بني مرة بن عبيد وبلغ الخبر الى المنصور فجاء الى البصرة وقد خرج عنها محمد فلقي المنصور عمر بن عبيد فقال له يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا فقال لا فانصرف واشتد الخوف على محمد وابراهيم وسارا الى عدن ثم الى السند ثم الى الكوفة ثم الى المدينة وكان المنصور حج سنة أربعين وحج محمد وابراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبى محمد من ذلك ثم طلب المنصور عبد الله باحضار ولديه وعنفه وهم به فضمنه زياد عامل المدينة وانصرف المنصور وقدم محمد المدينة قدمة فتلطف له زياد وأعطاه الامان له ثم قال له الحق بأي بلاد شئت وسمع المنصور فبعث أبا الازهر الى المدينة في جمادى سنة احدى وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب ويقبض زيادا وأصحابه فسار بهم فحبسهم المنصور وخلف زياد بيت المال ثمانين ألف دينار ثم استعمل على المدينة محمد ابن خالد بن عبد الله القسري وأمره بطلب محمد وانفاق المال في ذلك فكثرت نفقته واستبطأه المنصور واستشار في عزله فأشار عليه يزيد بن أسيد السلمي من أصحابه باستعمال رياح بن عثمان بن حسان المزني فبعثه أميرا على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين وأطلق يده في محمد بن خالد القسري فقدم المدينة وتهدد عبد الله

ابن حسن في احضار ابنيه وقال له عبد الله والله انك لتريق المذبوح فيهما كما تذبح الشاة فاستشعر ذلك ووجد فقال له حاجبه أبو البختري ان هذا ما اطلع على الغيب فقال ويلك والله ما قال الا ما سمع فكان كذلك ثم حبس رباح محمد بن خالد وضربه وجد في طلب محمد فأخبر أنه في شعبان رضوى من أعمال ينبع وهو جبل جهينة فبعث عامله في طلبه فأفلت منه ثم ان رباح بن مرة حبس بني حسن وقيدهم وهم عبد الله ابن حسن بن الحسن واخوته حسن وابراهيم وجعفر وابنه موسى بن عبد الله وبنو أخيه داود واسمعيل واسحق بنو ابراهيم بن الحسن ولم يحضر معهم أخوه علي العابد ثم حضر من الغد عند رباح وقال جئتك لتحبسني مع قومي فحبسه وكتب اليه المنصور أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة وكان أخا عبد الله لامه أمهما فاطمة بنت الحسين وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبد الله ابن حسن بعثه أبوه الى مصر يدعو له فأخذه وبعث به الى المنصور فلم يزل في حبسه وسمى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبي المولى وأبا جبير فضربهما المنصور وحبسهما وقيل عبد الله حبس أولا وحده وطال حبسه فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين فلما قدم مكة بعث اليهم وهم في السجن محمد بن عمران ابن ابراهيم بن طلحة ومالك بن أنس يسألهم أن يدفعوا اليه محمدا وابراهيم ابني عبد الله فطلب عبد الله الاذن في لقائه فقال المنصور لا والله حتى يأتيني به وبابنيه وكان محسنا مقبولا لا يكلم أحدا الا أجابه الى رأيه ثم ان المنصور قضى حجه وخرج الى الربذة وجاء رباح ليودعه فأمر باشخاص بني حسن ومن معهم الى العراق فأخرجهم في القيود والاغلال وأردفهم في محامل بغير وطاء وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويبكي وجاء محمد وابراهيم مع أبيهما عبد الله يسايرانه مستترين بزي الاعراب ويستأذنانه في الخروج فيقول لا تعجلا حتى يمكنكما وان منعكما أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين وانتهوا الى الربذة وأحضر العثماني الديباجة عند المنصور فضربه مائة وخمسين سوطا بعد ملاحاة جرت بينهما أغضبت المنصور ويقال ان رباحا أغرى المنصور به وقال له ان أهل الشأم شيعته ولا يتخلف عنه منهم أحد ثم كتب أبو عون عامل خراسان الى المنصور بأن أهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عبد الله واحذر منهم فأمر المنصور بقتل العثماني وبعث برأسه الى خراسان وبعث من يحلف أنه رأس محمد ابن عبد الله وان أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم المنصور بهم الكوفة وحبسهم بقصر ابن هبيرة ويقال انه قتل محمد بن ابراهيم بن حسن منهم على اسطوانة وهو حي فمات ثم بعده عبد الله بن حسن ثم علي بن حسن ويقال ان المنصور

أمر بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا سليمان وعبد الله ابنا داود واسحق واسمعيل ابنا ابراهيم ابن حسن وجعفر بن حسن والله أعلم

(ظهور محمد المهدى ومقتله)

ولما سار المنصور الى العراق وحمل معه بنى حسن رجع رباح الى المدينة وألح في طلب محمد وهو مختف يتنقل في اختفائه من مكان الى مكان وقد أرهقه الطلب حتى تدلى في بئر فتدلى فغمس في مائها وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع ودل عليه رباح بالمداد فركب في طلبه فاختفى عنه ولم يره ولما اشتد عليه الطلب أجمع الخروج وأغراه أصحابه بذلك وجاء الخبر الى رباح بأنه الليلة خارج فأحضر العباس بن عبد الله بن الحرث بن العباس ومحمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضى المدينة وغيرهما وقال لهم أمير المؤمنين يطلب محمدا شرق الارض وغربها وهو بين أظهركم والله لئن خرج ليقتلنكم أجمعين وأمر القاضى باحضار عشيرة بنى زهرة فجاؤا في جمع كثير وأجلسهم بالباب ثم أحضر نفرا من العلويين فيهم جعفر بن محمد بن الحسين وحسين بن على بن حسين بن على ورجال من قريش فيهم اسمعيل بن أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وابنه خالد وبينماهم عنده اذ سمعوا التكبير وقيل قد خرج محمد فقال له ابن مسلم ابن عقبة أعطنى واضرب أعناق هؤلاء فأبى وأقبل من المداد في مائة وخمسين رجلا وقصد السجن فأخرج محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وابن أخيه النذير بن يزيد ومن كان معهم وجعل على الرجالة خوات بن جبير وأتى دار الامارة وهو ينادى بالكف عن القتل فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رباح وأخيه عباس وابن مسلم ابن عقبة فحبسهم ثم خرج الى المسجد وخطب الناس وذكر المنصور بما نقمه عليه ووعد الناس واستنصر بهم واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردى وعلى الشرط أبا الغلمش عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وأرسل الى محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه فوعده بالبصرة وسار الى مكة ولم يتخلف عن محمد من وجوه الناس الا نفر قليل منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد ابن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد وأبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر وحبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير واستفتى أهل المدينة مالكا في الخروج مع محمد وقالوا فى أعناقنا بيعة المنصور فقال انما بايعتم مكرهين فتسارع الناس الى محمد ولزم مالك بيته وأرسل محمد الى اسمعيل بن عبد الله بن جعفر يدعوه

الى بيعته وكان شيخا كبيرا فقال أنت والله وابن أخى مقتول فكيف أبايعك فرجع الناس عنه قليلا وأسرع بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر الى محمد فجاءت حمادة أختهم الى عمها اسمعيل وقالت يا عم ان مقالتك ثبطت الناس عن محمد وأخوتى معه فأخشى أن يقتلوا فردّها فقال انها عدت عليه فقتلته ثم حبس محمد بن خالد القسرى بعد أن أطلقه واتهمه بالكتاب الى المنصور فلم يزل فى حبسه ولما استوى أمر محمد ركب رجل من آل أويس بن أبى سرح اسمه الحسين بن صخر وجاء الى المنصور فى تسع فخبره الخبر فقال أنت رأيته قال نعم وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتابع الخبر وأشفق المنصور من أمره واستشار أهل بيته ودولته وبعث الى عمه عبد الله وهو محبوس يستشيره فأشار عليه بأن يقصد الكوفة فانهم شيعة لاهل البيت فيملك عليهم أمرهم ويحفها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج ويستدعى سالم بن قتيبة من الرى فيحشد معه كافة أهل الشأم ويبعثه وأن يبعث العطاء فى الناس فخرج المنصور الى الكوفة ومعه عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ولما قدم الكوفة أرسل الى يزيد بن يحيى وكان السفاح يشاوره فأشار عليه بأن يشحن الاهواز بالجنود وأشار عليه جعفر بن حنظلة البهرانى بأن يبعث الجند الى البصرة فلما ظهر ابراهيم بتلك الناحية تبين وجه اشارتهما وقال المنصور لجعفر كيف خفت البصرة قال لان أهل المدينة ليسوا أهل حرب حسبهم أنفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشأم أعداء الطالبيين ولم يبق الا البصرة ثم ان المنصور كتب الى محمد المهدى كتاب أمان فأجابه عنه بالردّ والتعريض بأمور فى الانساب والاحوال فأجابه المنصور عن كتابه بمثل ذلك وانتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغى الاعراض عنه مع أنهما صحيحان مرويان نقلهما الطبرى فى كتاب الكامل فمن أراد الوقوف فليلتمسهما فى أماكنها ثم ان محمدا المهدى استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر وعلى اليمن القاسم بن اسحق وعلى الشأم موسى بن عبد الله فسار محمد بن الحسن الى مكة والقاسم معه ولقيهما السرى بن عبد الله عامل مكة ببطن أذاخر فانهزم وملك محمد مكة حتى استنفره المهدى لقتال عيسى بن موسى فنفر هو والقاسم ابن عبيد الله وبلغهما قتل محمد بنواحى قديد فلحق محمد بابراهيم فكان معه بالبصرة واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له الامان امرأة عيسى وهى بنت عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن جعفر وأما موسى بن عبد الله فسار الى الشأم فلم يقبلوا منه فرجع الى المدينة ثم لحق بالبصرة مختفيا وعثر عليه محمد بن سليمان بن على وعلى ابنه عبد الله وبعث بهما الى المنصور فضربهما وحبسهما ثم بعث المنصور عيسى بن موسى الى

المدينة لقتال محمد فسار في الجنود ومعه محمد بن أبي العباس بن السفاح وكثير ابن حصين العبدي وحميد بن قحطبة وهوازمرد وغيرهم فقال له ان ظفرت فأغمد سيفك وابذل الامان وان تغيب فخذ أهل المدينة فانهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من آل أبي طالب فعرفني به ومن لم يلقك فاقبض ماله وكان جعفر الصادق فيمن تغيب فقبض ماله ويقال انه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك فقال قبضه مهديكم ولما وصل عيسى الى فقته كتب الى نفر من أهل المدينة ليستدعيهم منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومي وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي وعبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فخرج اليه عبد الله هو وأخوه عمر وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل واستشار المهدي أصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحفر الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب ونزل عيسى الاعرض وكان محمد قد منع الناس من الخروج فخيرهم فخرج كثير منهم بأهلهم الى الجبال وبقي في شرذمة يسيرة ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغلمش بردهم فأعجزوه ونزل عيسى على أربعة أميال من المدينة وبعث عسكرا الى طريق مكة يعترضون محمدا ان انهزم الى مكة وأرسل الى المهدي بالامان والدعاء الى الكتاب والسنة ويحذره عاقبة البغي فقال انما أنا رجل فررت من القتل ثم نزل عيسى بالجرف لاثنتى عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين فقام يومين ثم وقف على مسلع ونادى بالامان لاهل المدينة وأن يخلوا بينه وبين صاحبه فشتموه فانصرف وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة وبرز محمد في أصحابه ورايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وشعارهم أحد أحد وطلب أبو الغلمش من أصحابه البراز فبرز اليه أخو أسد فقتله ثم آخر فقتلوا وقال أنا ابن الفاروق وأبلى محمد المهدي يومئذ بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ثم أمر عيسى بن موسى حميد بن قحطبة فتقدم في مائة من الرجال الى حائط دون الخندق فهدمه وأجازوا الخندق وقاتلوا من ورائه وصابرهم أصحاب محمد الى العصر ثم أمر عيسى أصحابه فرموا الخندق بالحقائب ونصبوا عليها الابواب وجازت الخيل واقتتلوا وانصرف محمد فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال اترك أهل المدينة والله لا أفعل أو أقتل وأنت مني في سعة فمشى قليلا معه ثم رجع وافترق عنه جل أصحابه وبقي في ثلثمائة أو نحوها فقال له بعض أصحابه نحن اليوم في عدة أهل بدر وطفق عيسى بن حصين من أصحابه يناشده في اللحاق بالبصرة أو غيرها فيقول والله لا تبتلون بي مرتين ثم جمع بين الظهر والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعهم وجاء الى السجن

وقتل رياح بن عثمان وأخاه عباسا وابن مسلم بن عقبة وتوثق محمد ابن القسري بالابواب فلم يصلوا اليه ورجع ابن حصين الى محمد فقاتل معه وتقدم محمد الى بطن سلع ومعه بنو شجاع من الخمس فعرقبوا دوابهم وكسروا جفون سيوفهم واستماتوا وهزموا أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثة وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل وانحدروا منه الى المدينة ورفع بعض نسوة الى العباس خمارا لها اسود على منارة المسجد فلما رآه أصحاب محمد وهم يقاتلون هربوا وفتح بنو غفار طريقا لاصحاب عيسى فجاؤا من وراء أصحاب محمد ونادى حميد بن قحطبة للبراز فأبى ونادى ابن حصين بالامان فلم يصغ اليه وكثرت فيه الجراح ثم قتل وقاتل محمد على شلوه فهدّ الناس عنه هدا حتى ضرب فسقط لركبته وطعنه ابن قحطبة في صدره ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه الى المنصور مع محمد بن الكرام عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد ابن الحسن وأرسل معه رؤس بني شجاع وكان قتل محمد منتصف رمضان وأرسل عيسى الالوية فنصبت بالمدينة للامان وصلب محمد وأصحابه ما بين ثنية الوداع والمدينة واستأذنت زينب أخته في دفنه بالبقيع وقطع المنصور الميرة في البحر عن المدينة حتى أذن فيها المهدي بعده وكان مع المهدي سيف علي ذو الفقار فأعطاه يومئذ رجلا من التجار في دين كان له عليه فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة أخذه منه وأعطاه من دينه ثم أخذه منه المهدي وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة وكان معه من مشاهير بني هاشم أخوه موسى وحمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين وحسين وعلي ابنا زيد بن علي وكان المنصور يقول عجبا خرجا علي ونحن أخذنا بثار أبيهما وكان معه علي وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر والقاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر والمرجى علي بن جعفر بن اسحق بن علي بن عبد الله بن جعفر وأبوه علي مع المنصور ومن غير بني هاشم محمد بن عبد الله بن عمر بن سعيد بن العاص ومحمد بن عجلان وعبد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة أخذ أسيرا فضرب وحبس في سجن المدينة فلم يزل محبوسا الى أن ثار السودان بالمدينة على عبد الله بن الربيع الحارثي وفرّ عنها الى بطن نخل وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور فخرج ابن أبي سبرة مقيدا وأتى المسجد وبعث الى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما وبعثوا الى السودان وردّوهم عما كانوا فيه فرجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمعة ووقف الاصبغ بن أبي سفيان بن عاصم بن عبد العزيز لصلاة العشاء ونادى أصلي بالناس على طاعة أمير المؤمنين وصلى ثم أصبح ابن أبي سبرة وردّ من العبيد ما نهبوه ورجع ابن

الربيع من بطن نخل وقطع رؤساء العبيد وكان مع محمد ابن عبد الله أيضا عبد الواحد بن أبي عون مولى الازد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بنى سباع وبنوه تسعة وعيسى وعثمان ابنا خضير وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لما أخذ بالبصرة وعبد العزيز ابن ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وعلى بن المطلب بن عبد الله بن حنطب وابراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عميرة بن الوليد بن بن عبد الجبار وعبد الله ابن يزيد بن هرمز وغيرهم

(شأن ابراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله)

كان ابراهيم بن عبد الله أخو المهدى محمد قد اشتد الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين وكان ابراهيم يتنقل فى النواحى بفارس وبكرمان والجبل والحجاز واليمن والشأم وحضر مرة مائدة المنصور بالموصل وجاء أخرى الى بغداد حين خطها المنصور ومع النظار على قنطرة الفرات حين شدها وطلبه فغاص فى الناس فلم يوجد ووضع عليه الرصد بكل مكان ودخل بيت سفيان بن حيان العمى وكان معروفا بصحبته فتحيل على خلاصه بأن أتى المنصور وقال أنا آتيك بابراهيم فاحملنى وغلامى على البريد وابعث معى الجند ففعل وجاء بالجند الى البيت وأركب معه ابراهيم فى زى غلامه وذهب بالجند الى البصرة ولم يزل يفرقهم على البيوت ويدخلها موهما أنه يفتشه حتى بقى وحده فاختفى وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه وكان قدم قبل ذلك الاهواز فطلبه محمد بن حصين واختفى منه عند الحسن بن حبيب ولقى من ذلك غمائم قدم ابراهيم البصرة سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحيى بن زياد بن حيان النبطى وأنزله بداره فى بنى ليث فدعا الناس الى بيعة أخيه وكان أول من بايعه نميلة بن مرة العبسى وعبد الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيمى وعبد الله بن حى بن حصين الرقاشى وبثوا دعوته فى الناس واجتمع لهم كثير من الفقهاء وأهل العلم وأحصى ديوانه أربعة آلاف واشتهر أمره ثم حولوه الى وسط البصرة ونزل دار أبى مروان مولى بنى سليم فى مقبرة ليشكر لينوب من الناس وولاه سفيان أمير البصرة على أمره وكتب اليه أخوه محمد يأمره بالظهور وكان المنصور بظاهر وأرسل من القواد مددا لسفيان على ابراهيم ان ظهر ثم ان ابراهيم خرج أول رمضان من سنة خمس وأربعين وصلى الصبح فى الجامع وجاء دار الامارة بابن سفيان وحبسه وحبس القواد معه وجاء بجعفر ومحمد ابنا سليمان بن على فى ستمائة رجل وأرسل ابراهيم اليها

المعين بن القاسم الحدزوري في خمسين رجلا فهزمهما الى باب زينب بنت سليمان بن علي واليها ينسب الزينبيون من بني العباس فنادى بالامان وأخذ من بيت المال ألفي ألف درهم وفرض لكل رجل من أصحابه خمسين ثم أرسل المغيرة على الاهواز في مائة رجل فغلب عليها محمد بن الحصين وهو في أربعة آلاف وأرسل عمر بن شداد الى فارس وبها اسمعيل وعبد الصمد ابنا علي فتحصنا في دارابجرد وملك عمر نواحيها فأرسل هرون ابن شمس العجلي في سبعة عشر ألفا الى واسط فغلب عليها هرون بن حميد الايادي وملكها وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسمعيل في خمسة آلاف وقيل في عشرين فاقتتلوا أياما ثم تهادنوا حتى يروا مآل الامرين المنصور وابراهيم ثم جاء نعي محمد الى أخيه ابراهيم قبل الفطر فصلى يوم العيد وأخبرهم فازدادوا حنقا على المنصور ونفر في حره وعسكر من الغد واستخلف على البصرة غيلة وابنه حسنا معه وأشار عليه أصحابه من أهل البصرة بالمقام وارسال الجنود وأمدادهم واحدا بعد واحد وأشار أهل الكوفة باللحوق اليها الان الناس في انتظارك ولو رأوك لماتوا نواعنك فسار وكتب المنصور الى عيسى بن موسى باسراع العود والى مسلم بن قتيبة بالري والى سالم بقصد ابراهيم وضم اليه غيرها من القواد وكتب الى المهدي بانفاذ خزيمة بن خازم الاهواز وفارس والمدائن وواسط والسواد والى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف يتربصون به ثم رمى كل ناحية بحجرها وأقام خمسين يوما على مصلاه ويجلس ولم ينزع عنه جبته ولا قميصه وقد توسخا ويلبس السواد اذا ظهر للناس وينزعه اذا دخل بيته وأهديت له من المدينة امرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بهما وقال ليست هذه أيام نساء حتى أنظر رأس ابراهيم الي أو رأسي له وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب ابراهيم في خمسة عشر ألفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وسار ابراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزلا بازاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخا من الكوفة وأرسل اليه مسلم بن قتيبة بأن يخندق على نفسه أو يخالف عيسى الى المنصور فهو في حف من الجنود ويكون أسهل عليك فعرض ذلك ابراهيم على أصحابه فقالوا نحن هرون وأبو جعفر في أيدينا فأسمع ذلك رسول سالم فرجع ثم تصافوا للقتال وأشار عليه بعض أصحابه أن يجعلهم كراديس ليكون أثبت والصف اذا انهزم بعضه تداعى سائره فأبى ابراهيم الا الصف صف أهل الاسلام ووافقه بقية أصحابه ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم معه الناس وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فقال لهم حميد لا طاعة في الهزيمة ولم يبق مع عيسى الاقل قليل فثبت واستمات وبينما هو كذلك اذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان

ابن على وجاء من وراء ابراهيم وأصحابه فانعطفوا لقتالهم واتبعهم أصحاب عيسى ورجع المنهزمون من أصحابه بأجمعهم اعترضهم امامهم فلا يطيقون مخافة ولا وثوبة فانهزم أصحاب ابراهيم وثبت هو فى ستمائة أو أربعمائة من أصحابه وحميد يقاتله ثم أصابه سهم بنحره فأنزلوه واجتمعوا عليه وقال حميد شدوا على تلك الجماعة فاحصروهم عن ابراهيم وقطعوا رأسه وجاؤا به الى عيسى فسجد وبعثه الى المنصور وذلك لخمس بقين من ذى القعدة الحرام سنة خمس وأربعين ولما وضع رأسه بين يدى المنصور بكى وقال والله انى كنت لهذا كارها ولكنى ابتليت بك وابتليت بى ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا ومنهم من يثلب ابراهيم مرضاة للمنصور حتى دخل جعفر بن حنظلة النهرانى فسلم ثم قال عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكناه بأبى خالد واستدناه

(بناء مدينة بغداد)

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين فى بناء مدينة بغداد وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية ولانه كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم وجمع من كان هنالك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم فى الحر والبرد والمطر والوحل والهوام واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها وقالوا تجيئك الميرة فى السفن من الشأم والرقة ومصر والمغرب الى المصرات ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل فى دجلة ومن أرمينية وما اتصل بها فى تامرا حتى يتصل بالزاب وأنت بين أنهار كالخنادق لا تعبر الا على القناطر والجسور واذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من البر والبحر والجبل فشرع المنصور فى عمارتها وكتب الى الشأم والجبل (١) والكوفة وواسط والبصرة فى الصناع والفعلة واختار من ذوى الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة فأحضرهم لذلك منهم الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه وأمر بخطها بالرماد فشكلت أبوابها وفصلانها وطاقاتها ونواحيها وجعل على الرماد حب القطن فاضرم نارا ثم نظر اليها وهى تشتعل فعرف رسمها وأمر أن تحفر الاسس على ذلك الرسم ووكل بها أربعة من القواد يتولى كل واحد منهم ناحية ووكل أبا حنيفة بعد الآجر واللبن وكان أراده على القضاء والمظالم فأبى فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له عملا فكان هذا وأمر المنصور أن يكون عرض أساس القصر من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين وجعل فى البناء القصب والخشب ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

ثم قال ابنوا على بركة الله فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهدى فقطع البناء وسار الى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ورجع من مدينة ابن هبيرة الى بغداد واستمر فى بنائها واستشار خالد بن برمك فى نقض المدائن والايوان فقال لا أرى ذلك لانه من آثار الاسلام وفتوح العرب وفيه مصلى على بن أبى طالب فاتهمه بمحبة العجم وأمر بنقض القصر الابيض فاذا الذى ينفق فى نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه فقال خالد لا أرى اقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم فاعرض عنه ونقل الابواب الى بغداد من واسط ومن الشأم ومن الكوفة وجعل المدينة مدورة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حد سواء وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين والداخل أعلى من الخارج ووضع الحجاج بن ارطاة قبلة المسجد وكان وزن اللبنة التى يبنى بها مائة رطل وسبعة عشر رطلا وطولها ذراع فى ذراع وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقواد تشرع أبوابها الى رحبة الجامع وكانت الاسواق داخل المدينة فأخرجهم الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وجعل الطرق أربعين ذراعا وكان مقدار النفقة عليها فى المسجد والقصر والاسواق والفضلان والخنادق والابواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم وكان الاستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط والروزكارى بحبتين وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلا بما بقى عنده وأخذه حتى أخذ من خالد بن الصلت منهم خمسة عشر درهما بعد أن حبسه عليها

(العهد للمهدى وخلع عيسى بن موسى)

كان السفاح قد عهد الى عيسى بن موسى بن على وولاه على الكوفة فلم يزل عليها فلما كبر المهدى أراد المنصور أبوه أن يقدمه فى العهد على عيسى وكان يكرمه فى جلوسه فيجلس عن يمينه والمهدى عن يساره فكلمه فى التأخر عن المهدى فى العهد فقال يا أمير المؤمنين كيف بالايمان التى على وعلى المسلمين وأبى من ذلك فتغير له المنصور وباعده بعض الشئ وصار يأذن للمهدى قبله ولعمه عيسى بن على وعبد الصمد ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهدى واستمر المنصور على التنكر له وعزله عن الكوفة لثلاث عشرة سنة من ولايته وولى مكانه محمد بن سليمان بن على ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهدى بالعهد وجعل عيسى من بعده ويقال انه أعطاه احد عشر ألف ألف درهم ووضع الجند فى الطرقات لاذاه واشهاد خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالخلع تركت جميعها لانها لا تليق بالمنصور وعدالته المقطوع بها فلا يصح من تلك الاخبار شئ

* (خروج استادسيس) *

كان رجل ادعى النبوة فى جهات خراسان فاجتمع اليه نحو ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس وسجستان وسار اليه الاخثم عامل مرو الروذ فى العساكر فقاتل الاخثم وعامة أصحابه وتتابع القواد فى لقائه فهزمهم وبعث المنصور وهو بالبرداق خازم بن خزيمة الى المهدى فى اثنى عشر ألفا وولاه المهدى حربه فزحف اليه فى عشرين ألفا وجعل على ميمنته الهيثم بن شعبة بن ظهير وعلى ميسرته نهار بن حصين السعدى وفى مقدمته بكار بن مسلم العقيلى ودفع لواءه للزبرقان ثم راوعهم فى المزاحفة وجاء الى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب وأتى أصحاب استادسيس بالفوس والمواعيل ليطموا الخندق فبدؤا بالباب الذى يلى بكار بن مسلم فقاتلهم بكار وأصحابه حتى ردوهم عن بابهم فأقبلوا على باب خازم وتقدم منهم الحريش من أهل سجستان فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكار ويأتى العدو من خلفهم وكانوا متوقعين قدوم أبى عون وعمر بن مسلم بن قتيبة وخرج خازم على الحريش واشتد قتاله معهم وبدت أعلام الهيثم من ورائهم فكبر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمر فيهم القتل فقتل سبعون ألفا وأسر أربعة عشر وتحصن استادسيس على حكم أبى عون فحكم بأن يوثق هو وبنوه ويعتق الباقون وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور ويقال ان استادسيس أبو مراجل أم المأمون وابنه غالب خال المأمون الذى قتل الفضل بن سهل

* (ولاية هشام بن عمر الثعلبى على السند) *

كان على السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة ويلقب مرامى ألف رجل ولما كان من أمر المهدى ما قدمناه بعث ابنه عبد الله الاشتر الى البصرة ليدعو له فسار من هنالك الى عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدى له خيلا ليتمكن بها من لقائه ثم دعاه فأجاب وبايع له وأنزله عنده مختفيا ودعا القواد وأهل البلد فأجابوا فزق الاعلام وهيأ لبسة من البياض يخطب فيها وهو فى ذلك اذ فجأه الخبر بقتل المهدى فدخل على ابنه أشتر وعزاه فقال له الله الله فى دمى فأشار عليه باللحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة كان يعظم جهة النبى صلى الله عليه وسلم وكان معروفا بالوفاء فأرسل اليه بعد أن عاهده عليه واستقر عند ذلك الملك وتسلل اليه جماعة من الزيدية نحوا من أربعمائة وبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب الى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السند وعرض له يوما هشام بن عمر الثعلبى وهو راكب ثم اتبعه الى بيته وعرض عليه أخته فقال للربيع لو كانت لى حاجة فى النكاح لقبلت فجزاك

الله خيرا وقد وليتك السند فتجهز لها وأمره أن يحارب ملك السند ويسلم اليه الاشتر ففعل وأقام المنصور يستحثه ثم خرجت خارجة بالسند فبعث هشام أخاه سفيحا لحسم الداء عنها فمر بنواحى ذلك الملك فوجد الاشتر يتنزه فى شاطئ همذان فى عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قتل وقتل أصحابه جميعا وكتب هشام بذلك الى المنصور فشكره وأمره بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته وبعث بسرارى عبد الله الاشتر ومعه ولد منه اسمه عبد الله بعث بهم المنصور الى المدينة وأسلمه الى أهله ولما ولى هشام بن عمر على السند وعزل عمر بن حفص عنها ثم حدث فتق بافريقية بعثه الى سده كما سيأتى فى أخبارها

(بناء الرصافة للمهدى)

ولما رجع المهدى من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشأم والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وحملهم وكذلك المنصور ثم شغب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس ابن عبيد الله بن العباس بان يفرق بينهم ويستكفيه فى ذلك وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسوله والعباس وأمير المؤمنين أى الحيين أشرف اليمن أم مضر فقال مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله فغضب اليمن اذ لم يذكر لها فضلا ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنعت مضر وقطعوا الذى كبحها فتشاجر الحيان وتعصبت لليمن ربيعة والخراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق وقال قثم للمنصور اضرب كل واحدة بالاخرى وسير لابنك المهدى قال أنزله بجنده فيتناظرون أهل مدينتك فقبل رأيه وأمر صالحا صاحب المصلى ببناء الرصافة للمهدى

(مقتل معن بن زائدة)

كان المنصور قد ولى على سجستان معن بن زائدة الشيبانى وأرسل الى رتبيل فى الضريبة التى عليه فبعث بها عروضا زائدة الثمن فغضب معن وسار الى الرخج على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد ففتحها وسبى أهلها وقتلهم ومضى رتبيل الى عزمه وانصرف معن الى بست فشتى بها ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وفتكوا به فى بيته وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدت على أهل البلاد وطأته فتحيل بعضهم بأن كتب على لسان المنصور كتابا يتضجر من كتب المهدى اليه ويسأله أن يعفى من معاملته فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهدى كتابه وعزله وحبسه ثم شفع فيه فشخص الى مدينة السلام فلم يزل مجفوا حتى بعث الى يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد

(العمال على النواحى أيام السفاح والمنصور)

كان السفاح قد ولى عند بيعته على الكوفة عمه داود بن على وجعل على حجابته عبد الله بن بسام وعلى شرطته موسى بن كعب وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وبعث عمه عبد الله لقتال مروان مع أبى عون بن يزيد بن قحطبة تقدمة وبعث يحيى بن جعفر ابن غام بن العباس الى المدائن وكان أحمد بن قحطبة تقدمة وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن عمار بن ياسر الى الاهواز مددا لبسام بن ابراهيم ودفع ولاية خراسان الى أبى مسلم فولى أبو مسلم عليها أبا داود وخالد بن ابراهيم وبعث عمه عبد الله فى مقدمته لحرب مروان أخاه صالحا ومعه أبو عون بن يزيد فلما ظفروا انصرف ترك أبا عون يزيد بمصر واستقل عبد الله بولاية الشأم وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وارمينية واذربيجان فولى على ارمينية يزيد بن أسد وعلى اذربيجان محمد بن صول ونزل الجزيرة وكان أبو مسلم ولى على فارس محمد بن الاشعث حين قتل أبا مسلمة الخلال فبعث السفاح عليها عيسى فمنعه محمد بن الاشعث واستخلفه على الولاية فبعث عليها عمه اسمعيل وولى على الكوفة ابن أخيه موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية المهلبى وعلى السند منصور بن جهور ونقل عمه داود الى ولاية الحجاز واليمن واليمامة ثم ولى على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان وتوفى داود بن على سنة ثلاث وثلاثين فولى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثى وهو عم محمد بن يزيد وفيها بعث محمد بن الاشعث الى افريقية ففتحها وفى سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور بن جهور وولاه مكانه على السند فاستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير وتوفى عامل اليمن محمد بن يزيد فولى مكانه على بن الربيع بن عبيد الله الحارثى ولما استخلف المنصور وانتقض عبد الله بن على وأبو مسلم ولى على خراسان أبا داود خالد بن ابراهيم وعلى مصر صالح بن على وعلى الشام ثم هلك خالد ابن ابراهيم سنة أربعين فولى مكانه عبد الجبار بن عبد الرحمن فانتقض لسنة من ولايته فبعث المنصور ابنه المهدى على خراسان وفى مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعبد الجبار وتوفى سليمان عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية ومات موسى بن كعب بالسند وولى مكانه ابنه عيينة فانتقض فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبى صفرة وولى على مصر فى هذه السنة حميد بن قحطبة وولى على الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسيد وعزل عمه اسمعيل عن الموصل وولى مكانه مالك بن الهيثم الخزاعى وفى سنة ست وأربعين عزل الهيثم بن معاوية وولى على مكة والطائف مكانه السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس نقله

اليها من اليمامة وولى مكانه من اليمن قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس وعزل حميد ابن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوفل بن الفرات ثم عزله وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب بن أبى صفرة وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ثم اتهمه فى أمر ابنى الحسن فعزله وولى مكانه رباح بن عثمان المزنى ولما قتله أصحاب محمد المهدى ولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثى ولما قتل ابراهيم أخو المهدى سنة خمس وأربعين ولى المنصور على البصرة سالم بن قتيبة الباهلى وولى على الموصل ابنه جعفرا مكان مالك بن الهيثم وبعث معه حرب بن عبد الله من أكابر قواده ثم عزل سالم بن قتيبة عن البصرة سنة ست وأربعين وولى مكانه محمد بن سليمان وعزل عبد الله بن الربيع عن المدينة وولى مكانه جعفر بن سليمان وعزل السرى بن عبد الله من مكة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن على وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لما سخطه بسبب العهد وولى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد ابن السفاح فاستعفاه ورجع الى بغداد فمات واستخلف بها عقبة بن سالم فأقره وولى على المدينة جعفر بن سليمان وولى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك لافساد الاكراد فى نواحيها وعزل سنة تسع وأربعين عمه عبد الصمد عن مكة وولى مكانه محمد بن ابراهيم وفى سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة وولى مكانه الحسن ابن زيد بن الحسن وفى سنة احدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السند وولى مكانه هشام بن عمرو التغلبى وولى عمر بن حفص على افريقية ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مددا له وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد وفى هذه السنة قتل معن بن زائدة بسجستان كما تقدم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد فأقره المنصور ثم عزله وفى هذه السنة سار عقبة بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العدوى واستقصره المنصور باطلاق أسراهم فعزله وولى جابر بن موهة الكلابى ثم عزله وولى مكانه عبد الملك بن طيبان النهيرى ثم عزله وولى الهيثم بن معاوية العكى وفيها ولى على مكة والطائف محمد بن ابراهيم الامام ثم عزله وولى مكانه ابراهيم ابن أخيه يحيى ابن محمد وولى على الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله القسرى ومات أسيد بن عبد الله أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قحطبة وفى سنة ثلاث وخمسين توفى عبد الله ابن بنت أبى ليلى قاضى الكوفة فاستقضى شريك بن عبد الله النخعى وكان على اليمن يزيد بن منصور وفى سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العباس وأغرمه مالا وولى مكانه موسى بن كعب الخثعمى وكان سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد منه ولم يزل ساخطا على العباس حتى غضب على عمه اسمعيل فشفع فيه اخوته عمومة

المنصور فقال عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين شفعوا فى أخيهم وأنت ساخط على أخيك العباس منذ كذا ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضى عنه وفى سنة خمس وخمسين عزل محمد ابن سليمان عن الكوفة وولى مكانه عمر بن زهير الضبى أخا المسيب صاحب الشرطة وكان من أسباب عزله انه حبس عبد الكريم بن أبى العوجاء خال معن بن زائدة على الزندقة وكتب اليه أن يتبين أمره فقتله قبل وصول الكتاب فغضب عليه المنصور وقال لقد هممت أن أقيده به وعزل عمه عيسى فى أمره لانه الذى كان أشار بولايته وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن على وكان على الاهواز وفارس عمارة بن حمزة وفى سنة سبع وخمسين ولى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة فأنفذ اليها ابنه تميما ومات سوار بن عبد الله قاضى البصرة فولى مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاه مطرا وعزل هشام بن عمر عن السند وولى مكانه معبد بن الخليل وفى سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشئ بلغه عنه فأمر ابنه المهدى أن يسير الى الرقة مورياً بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله فى احضارها ثلاثا والا قتله فبعث ابنه يحيى الى عمارة بن حمزة ومبارك التركى وصالح صاحب المصلى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم قال يحيى فكلهم بعث الا أن منهم من منعنى الدخول ومنهم من يحيينى بالرد الا عمارة بن حمزة فانه أذن لى ووجهه الى الحائط ولم يقبل على وسلمت فرد خفيفا وسأل كيف خالد فعرفته واستقرضته فقال ان أمكننى شئ يأتيك فانصرفت عنه ثم أنفذ المال فجمعناه فى يومين وتعذرت ثلثمائة ألف وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها وسخط موسى بن كعب فأشار عليه المسيب بن زهير بخالد ابن برمك فقال كيف يصلح بعد ما فعلنا فقال أنا ضامنه فصفح له عما بقى عليه وعقد له على الموصل ولابنه يحيى على أذربيجان وسارا مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاهما قال يحيى وبعثنى خالد الى عمارة بقرضه وكان مائة ألف فقال لى أكنت لابيك صديقا قم عنى لا قمت ولم يزل خالد على الموصل الى وفاة المنصور وفى هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيدا لانه ضرب أبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة وولى المنصور على فارس نصر بن حرب بن عبد الله ثم على الشرطة ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار وعلى قضائها عبد الله بن محمد بن صفوان ثم شفع المهدى فى المسيب وأعاده الى شرطته

(الصوائف)

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قسطنطين ملك الروم الى ملطية ونواحيها فنازل حصن بلخ واستنجدوا أهل ملطية فأمدّهم بثمانمائة مقاتل فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة وعاملها موسى بن كعب بخراسان فسلموا البلد على الامان لقسطنطين ودخلوا الى الجزيرة وخرّب الروم ملطية ثم ساروا الى قاليقلا ففتحوها وفى هذه السنة سار أبو داود وخالد بن ابراهيم الى الختل فدخلها فلم تمتنع عليه وتحصن منه السبيل ملكهم وحاصره مدّة ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى بلد الصين وفيها بعث صالح بن على بن فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب وفى سنة خمس وثلاثين غزا عبد الرحمن بن حبيب عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله ثم شغل ولاة افريقية بفتن البربر فأمن أهل صقلية وعمر الحصون والمعاقل وجعلوا الاساطيل تطوف بصقلية للحراسة وربما صادفوا تجار المسلمين فى البحر فأخذوهم وفى سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ ملطية عنوة وهدم سورها وعفا عن أهلها فغزا العباس بن محمد الصائفة ومعه عماه صالح وعيسى وبنى ما خرب به الروم من سور ملطية من سورة الروم ورد اليها أهلها وأنزل بها الجند ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل فى أرضهم ودخل جعفر بن حنظلة البهرانى من درب ملطية وفى سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم فى اسرى قاليقلا وغيرهم ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ومعه الحسن بن قحطبة وسار اليهم قسطنطين ملك الروم فى مائة ألف فبلغ جيحان وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع ولم تكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين لاشتغال المنصور بفتنة بنى حسن وفى سنة ست وأربعين خرج الترك والحدر بن باب الابواب وانتهوا الى ارمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا وفى سنة سبع وأربعين أغار استرخان الخوارزمى فى جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى ودخل تفليس فعاث فيها وكان حرب بن عبد الله مقيما بالموصل فى ألفين من الجند لمكان الخوارزمى بالجزيرة فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى فانهزموا وقتل حرب فى كثير من المسلمين وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبد الله الخثعمى من أهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحرث وفى سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا ومات محمد بن الاشعث فى طريقه فى سنة احدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زفر بن عاصم الهلالى وفى سنة خمس

بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدى الجزية وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السلمى وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحرث ولقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا

(وفاة المنصور وبيعة المهدى)

وفى سنة ثمان وخمسين توفى المنصور منصرفا من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذى الحجة وكان قد أوصى المهدى عند وداعه فقال لم أدع شيأ الا تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وله سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدى انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان أحزنك أمر فانظر فى الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد والا ففى الثانى والثالث حتى تبلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل فانظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها وقد جمعت فيها من الاموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البيوت فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا فانهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم فى دولتك وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم وأن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده وما أظنك تفعل واياك أن تبنى مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل واياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل واياك أن تدخل النساء فى أمرك وأظنك ستفعل وقيل قال له انى ولدت فى ذى الحجة ووليت فى ذى الحجة وقد يحس فى نفسى أن أموت فى ذى الحجة فى هذه السنة وانما حدانى الحج على ذلك فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب يا بنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم الحدود فان فيها صلاحك فى الآجل وصلاحك فى العاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم ان شيأ أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لامر به فى كتابه واعلم ان من شدة غضب الله لسلطانه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى فى الارض فسادا مع ما ادخر له من العذاب الاليم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله

ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية فالسلطان يابنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين واقمع المارقين منه وقابل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء واعف عن الفىء فليس بك اليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والاثرة والتبذير لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبيل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان وأعد الاكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتدارك الامور وتضيع وخذ فى احكام الامور والنازلات فى أوقاتها أولا أولا واجتهد وشمر فيها وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسئ الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر فى أمر النزاع اليك وكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير ساهية ولا تنم فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك ثم ودعه وسار الى الكوفة فأحرم منها قارنا وساق الهدى وأشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة ولما سار منازل عرض له وجعه الذى مات به ثم اشتد فجعل يقول للربيع وكان عديله بادر بى الى حرم ربى هاربا من ذنوبى فلما وصل بئر ميمون مات سحر السادس من ذى الحجة لم يحضره الا خدمه والربيع مولاه فكتموا الامر ثم غدا أهل بيته على عادتهم فدعا عيسى بن على العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولى العهد ثم الاكابر وذوى الانساب ثم عامتهم فبايعهم الربيع للمهدى ثم بايع القواد وعامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة فبايعا الناس للمهدى بين الركن والمقام وجهزوه الى قبره وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى ودفن فى مقبرة المعلاة وذلك لاثنتين وعشرين سنة من خلافته وذكر على بن محمد النوفلى عن أبيه وهو من أهل البصرة وكان يختلف الى المنصور تلك الايام قال ج صبيحة موته الى العسكر فاذا موسى بن المهدى عند عمود السرادق و المنصور فى ناحية فعلمت انه قد مات ثم أقبل الحسن بن زيد العلوى والناس حو السرادق وسمعنا همس البكاء ثم خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الاقبية وعلى رأسه التراب وهو يستغيث وقام القاسم فشق ثيابه ثم خرج الربيع وفى يده قرطاس فقرأه على الناس وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور أمير المؤمنين الى من خلف

من بنى هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس ثم قال البكاء امامكم فانصتوا رحمكم الله ثم قرأ أما بعد فانى كتبت كتابى هذا وأنا حى فى آخر يوم من أيام الدنيا اقرأ عليكم السلام وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدى ولا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض ثم أخذ فى وصيتهم للمهدى وحثهم على الوفاء بعهده ثم تناول الحسن بن زيد وقال قم فبايع فبايع موسى بن المهدى لابيه ثم بايع الناس الاول فالاول ثم دخل بنو هاشم وهو فى أكفانه مكشوف الرأس لمكان الاحرام فحملوه على ثلاثة أميال من مكة فدفنوه وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أبى من الشيعة فقال له على بن عيسى بن ماهان والله لتبايعن والاضربنا عنقك ثم بعث موسى ابن المهدى والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة الى المهدى وخرجوا من مكة ولما وصل الخبر الى المهدى منتصف ذى الحجة اجتمع اليه أهل بغداد وبايعوه وكان أول ما فعله المهدى حين بويع انه أطلق من كان فى حبس المنصور الا من كان فى دم أو مال أو ممن يسعى بالفساد وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوسا مع الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن فلما أطلق ساء ظن ابراهيم وبعث الى من يثق به بحفر سرب يفضى الى محبسه وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء الى ابن علاثة القاضى وأوصله الى أبى عبيد الله الوزير ليوصله الى المهدى فأوصله واستخلاه فلم يحدثه حتى قام الوزير والقاضى وأخبره بتحقيق الحال فأمره بتحويل الحسن ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به وشاور يعقوب بن داود فى أمره فقال أعطه الامان وأنا أحضره وأحضره ثم طلب من المهدى أن يجعل له السبيل فى رفع أمور الناس وراء بابه اليه فأذن له وكان يدخل كلما أراد ويرفع اليه النصائح فى أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وترويج العذاب وفكاك الاسرى والمحبوسين والقضاء عن الغارمين والصدقة على المتعففين فحظى بذلك وتقدمت منزلته وسقطت منزلة أبى عبد الله ووصله المهدى بمائة ألف وكتب له التوقيع بالاخاء فى الله

(ظهور المقنع ومهلكه)

كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيما وهاشميا وكان يقول بالتناسخ وأن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح ثم الى أبى مسلم ثم الى هاشم وهو المقنع فظهر بخراسان وادعى الالهية واتخذ وجها من ذهب فجعله على وجهه فسمى المقنع وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثاره وتبعه خلق عظيم من الناس وكانوا يسجدون له وتحصن بقلعة بسام من رساتيق كش وكان قد ظهر ببخارى والصغد جماعة من المبيضة فاجتمعوا معه على الخلاف وأعانهم كفار الاتراك وأغاروا على المسلمين

من ناحيتهم وحارب بهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر بن سيار فقتلوا أخاه محمد ابن نصر وحسان ابن أخيه تميم وأنفذ المهدى اليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال المبيضة فقاتلوهم أربعة أشهر فى بعض حصون بخارى وملكوه عنوة فقتل منهم سبعمائة ولحق فلهم بالمقنع وجبريل فى اتباعهم ثم بعث المهدى أباعون لمحاربة المقنع فلم يبالغ فى قتاله فبعث معاذ بن مسلم فى جماعة القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحرشى وأتاه عقبة بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم ولحق فلهم بالمقنع فى بسام فتحصنوا بها وجاء معاذ فنازلهم وفسد ما بينه وبين الحرشى فكتب الحرشى الى المهدى بالسعاية فى معاذ ويضمن الكفاية ان أفرد بالحرب فأجابه المهدى الى ذلك وانفرد بحرب المقنع وأمده معاذ بابنه وجاؤا بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الامان سرا فآمنهم وخرج اليه ثلاثون ألفا وبقى معه زهاء ألفين وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه وأهله فيقال سقاهم السم ويقال بل أحرقهم وأحرق نفسه بالنار ودخلوا القلعة وبعث الحرشى برأس المقنع الى المهدى فوصل اليه بحلب سنة ثلاث وتسعين

(الولاة أيام المهدى)

وعزل المهدى سنة تسع وخمسين عمه اسمعيل عن الكوفة وولى عليها اسحق بن الصباح الكندى ثم الاشعثى وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحى وعزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب ابن ظبيان الفهيرى ثم جعل الاحداث الى عمارة بن حمزة فولاها السود بن عبد الله الباهلى وعزل قثم بن العباس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح وعزل مطرا مولى المنصور عن مصر وولى مكانه أبا ضمرة محمد بن سليمان وعزل عبد الصمد بن على عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزله وولى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالى وتوفى معبد بن الخليل عامل السند فولى مكانه روح بن حاتم باشارة وزيره أبى عبد الله وتوفى حميد بن قحطبة بخراسان فولى عليها مكانه أباعون عبد الملك بن يزيد ثم سخطه سنة ستين فعزله وولى معاذ بن مسلم وولى على سجستان حمزة بن يحيى وعلى سمرقند جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصنها وكان على اليمن رجاء بن روح وولى على قضاء الكوفة شريك وولى على فارس والاهواز ودجلة قاضى البصرة عبيد الله بن الحسن ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان وولى على السند بسطام بن عمرو وولى على اليمامة بشر ابن المنذر وفى سنة احدى وتسعين ولى على السند محمد بن الاشعث واستقضى عافية

القاضى مع ابن علاثة بالرصافة وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة وولى مكانه عبد الصمد بن على وولى عيسى بن القمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان السروري على الموصل وبسطام بن عمرو الثعلبى على أذربيجان وعزله عن السند وتوفى نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة فولى مكانه حمزة بن مالك وكان الابان بن صدقة كاتبا للرشيد فصرفه وجعله مع الهادى وجعل مع هرون يحيى ابن خالد وعزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سليمان بن رجاء وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى احداثها اسحق بن منصور وفى سنة ست وستين عزل على بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان وعزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولى مكانه عيسى بن القمان ثم عزله لاشهر وولى مكانه مولاه واضحا ثم عزله وولى مكانه يحيى الحريشى وكان على طبرستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج وعلى جرجان مهلهل بن صفوان ووضع ديوان الازمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه

(العهد للهادى وخلع عيسى)

كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى ونمى ذلك الى المهدى فسر به واستقدم عيسى ابن موسى من منزله بالرحبة من أعمال الكوفة فامتنع من العدوا فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالافراء فلم يجد سبيلا الى ذلك وكان عيسى لايدخل الكوفة الا يوم جمعة أو عيد وبعث اليه المهدى يتهدده فلم يجب ثم بعث عمه العباس يستقدمه فلم يحضر فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه اليه وقدم على عسكر المهدى وأقام أياما يختلف اليه ولا يكلم بشئ حضر الدار يوما وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه فثاروا به وأغلق الباب الذى كان خلفه فكسروه وأظهر المهدى النكير عليهم فلم يرجعوا الى أن كاشفه أكابر أهل بيته وأشدهم محمد بن سليمان واعتذر بالايمان التى عليه فأحضر المهدى القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجى فأفتوه بمخارج الايمان وخلع نفسه وأعطاه المهدى عشرة آلاف درهم وضياعا وشكرو بايع لابنه موسى الهادى بالعهد ثم جلس المهدى من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج الى الجامع وعيسى معه فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادى ودعاهم اليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع

(فتح باربد من السند)

وبعث المهدى سنة تسع وخمسين عبد الملك بن شهاب المسمعى فى جمع كثير من الجند

والمقطوعة الى بلاد الهند فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند وقصدوا باربد فافتتحوها عنوة ولجأ أهلها الى البد فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام الى أن يطيب الريح فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم ابراهيم بن صبيح ثم ركبوا البحر الى فارس فلما انتهوا الى ساحل حران عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم

• (حج المهدى) •

وفى سنة ستين حج المهدى واستخلف على بغداد ابنه الهادى وخاله يزيد بن منصور واستصحب ابنه هرون وجماعة من أهل بيته وكان معه الوزير يعقوب بن داود فجاءه فى مكة بالحسن بن ابراهيم الذى ضمنه على الامان فوصله المهدى وأقطعه ولما وصل الى مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها وكانت فيها كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وقسم مالا عظيما هنالك فى مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم ووصل اليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائة ألف دينار ففرق ذلك كله وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسع المسجد ونقل خمسمائة من الانصار الى العراق جعلهم فى حرسه وأقطع لهم وأجرى الارزاق ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور من القادسية الى زبالة وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل منها وبتجديد الاميال وحفر الآبار وولى على ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة فى مسجد البصرة وتصغير المنابر الى مقدار منبر النبى صلى الله عليه وسلم وأمر فى سنة سبع وستين بالزيادة فى الحرمين على يد يقطين فدخلت فيه دور كثيرة ولم يزل البناء فيهما الى وفاة المهدى

• (نكبة الوزير أبى عبد الله) •

كان أبو عبد الله الاشعرى قد اتصل بالمهدى أيام أبيه المنصور فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه الى خراسان وعظمت به بطانة المهدى فأكثروا فيه السعاية وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه فكتب المنصور الى المهدى بالوصاة به وأن لا يقبل فيه السعاية ولما مات المنصور وقام الربيع ببيعة المهدى وقدموا الى بغداد جاء الربيع الى باب أبى عبد الله قبل المهدى وقبل أهله فعذله ابنه الفضل على ذلك فقال هو صاحب الرجل وينبغى أن نعامله بغير ما كنا نعامله واياك أن تذكر ما كنا نصنع فى حقه أو تمنن بذلك فى نفسك فلما وقف ببابه أمهله

طويلا من المغرب الى العشاء ثم آذن له فدخل عليه وهو متكئ فلم يجلس ولا أقبل عليه وشرع الربيع يذكر أمر البيعة فكفه وقال قد بلغنا أمركم فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعذل فيما فعل بان لم يكن الصواب فقال له ليس الصواب الا ما عملته ولكن والله لانفقن مالى وجاهى فى مكروهه وجدّ فى السعاية فيه فلم يجد طريقا اليها لاحتياطه فى أمر دينه وأعماله فأتاه من قبل ابنه محمد ودس الى المهدى بعرضه لحرمه وانه زنديق حتى اذا استحكمت التهمة فيه أحضره المهدى فى غيبة من أبيه ثم قال له اقرأ فلم يحسن فقال لابيه ألم تقل ان ابنك يقرأ القرآن فقال فارقنى منذ سنين وقد نسى فأمر به المهدى فقتل واستوحش من أبى عبد الله وساءت منزلته الى أن كان من أمره ما نذكره وعزله عن ديوان الرسائل وردّه الى الربيع وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدى وعظم شأنه وأنفذ عهده الى جميع الآفاق بوضع الامناء ليعقوب وكان لا ينفذ كتاب المهدى حتى يكتب يعقوب الى عينه بانفاذ ذلك

(ظهور دعوة العباسية بالاندلس وانقطاعها)

وفى سنة احدى وستين أجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهرى من افريقية الى الاندلس داعية لبنى العباس ونزل بساحل مرسية وكاتب سليمان بن يقظان عامل سرقسطة فى طاعة المهدى فلم يجبه وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد الى تدمير وسار اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس وأحرق السفن فى البحر تضييقا على ابن حبيب فى النجاة فاعتصم بجبل منيع بنواحى بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه اليه فأعطاه ألف دينار وذلك سنة اثنتين وستين وهم عبد الرحمن صاحب الاندلس أمر ذلك لغزو الشأم من الاندلس على العدوة الشمالية لاخذ ثاره فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصارى فى سرقسطة فشغلوه عما اعتزم عليه من ذلك

(غزو المهدى)

تجهز المهدى سنة ثلاث وستين لغزو الروم وجمع الاجناد من خراسان ومن الآفاق وتوفى عمه عيسى بن على آخر جمادى الاخيرة بمعسكره وسار من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى واستصحب هرون ومرّ فى طريقه بالجزيرة والموصل فعزل عبد الصمد بن على وحبسه ثم أطلقه سنة ست وستين ولما جاز ببنى مسلمة بن عبد الملك ذكره عمه العباس بما فعل له مسلمة مع جدهم محمد بن على وكان أعطاه مرة فى اجتيازه عليه ألف دينار فأحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وأعطاهم عشرين

ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق وعبر الفرات الى .. فأقام بها وبعث ابنه هرون للغزو وأجاز معه الدروب الى جيحان مشيعا وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن برمك وكان اليه أمر العسكر والنفقات وحاصروا حصن سمالوا أربعين يوما ثم فتحوه بالامان وفتحوا بعده فتوحات كثيرة وعادوا الى المهدى وقد أثخن فى الزنادقة وقتل من كان فى تلك الناحية منهم ثم قفل الى بغداد ومر ببيت المقدس وصلى فى مسجده ورجع الى بغداد

(العهد لهرون)

وفى سنة ست وستين أخذ المهدى البيعة لابنه هرون بعد أخيه الهادى ولقبه الرشيد

(نكبة الوزير يعقوب بن داود)

كان أبو داود بن طهمان كاتبا لنصر بن سيار هو واخوته وكان شيعيا وعلى رأى الزيدية ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكاتبه بأخبار نصر فأقصاه نصر فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمنه فى نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نصر وأقام بعد ذلك عاطلا ونشأ له ولد أهل أدب وعلم وصحبوا أولاد الحسن وكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله فورثوا ذلك عنه ولما قتل ابراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعليا مع الحسن بن ابراهيم حتى توفى وأطلقهما المهدى بعده مع من أطلق وداخله المهدى فى أمر الحسن لما فر من الحبس فكان ذلك سببا لوصلته بالمهدى حتى استوزره فجمع الزيدية وولاهم شرقا وغربا وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهدى يقبل سعايتهم حتى يروا أنها قد تمكنت فاذا غدا عليه تبسم وسأله وكان المهدى مستهترا بالنساء فيخوض معه فى ذلك وفيما يناسبه ويتغلب برضاه وسامره فى بعض الليالى وجاء ليركب دابته وقد نام الغلام فلما ركب نفرت الدابة من قعقعة ردائه فسقط ورمحته فانكسر فانقطع عن المهدى وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه ويقال بل دفع اليه علوى ليقتله فأطلقه ونمى ذلك الى المهدى فأرسل من أحضره وقال ليعقوب أين العلوى فقال قتلته فأخرجه اليه حتى رآه ثم حبس فى المطبق ودلى فى بئر فيه وبقى أيام المهدى والهادى ثم أخرج وقد عمى وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له وقيل فى سبب تغيره انه كان ينهى المهدى عن شرب أصحابه النبيذ عنده ويكثر عليه فى ذلك ويقول أبعد الصلوات الخمس فى المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ لا والله لا على هذا استوزرتنى ولا عليه صحبتك

(مسير الهادى الى جرجان)

وفى سنة سبع وستين عصى وتداهرمن شروبن ملكا طبرستان من الديلم فبعث المهدى ولى عهده موسى الهادى وجعل على جنده محمد بن حميد وعلى حجابته نفيعا مولى المنصور وعلى حرسه عيسى بن ماهان وعلى رسائله ابان بن صدقة وتوفى ابان بن صدقة فبعث المهدى مكانه أبا خالد الاجرد فسار المهدى وبعث الجنود فى مقدمته وأمر عليهم يزيد فحاصرهما حتى استقاما وعزل المهدى يحيى الحريشى عن طبرستان وما كان اليه وولى مكانه عمر بن العلاء وولى على جرجان فراشة مولاه ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشى فى أربعين ألفا الى طبرستان

(العمال بالنواحى)

وفى سنة ثلاث وستين ولى المهدى ابنه هرون على المغرب كله وأذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك وعزل زفر ابن عاصم عن الجزيرة وولى مكانه عبد الله بن صالح وعزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولى مكانه المسيب بن زهير الضبى وعزل يحيى الحريشى عن اصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان وولى مكانه عمر بن العلاء ومهلهل ابن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد وكان على الحجاز واليمامة جعفر ابن سليمان وعلى الكوفة اسحق بن الصباح وعلى البحرين والبصرة وفارس والاهواز محمد بن سليمان فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود وكان على السند محمد بن الاشعث وفى سنة خمس وستين عزل خلف بن عبد الله عن الرى وولاها عيسى مولى جعفر وولى على البصرة روح بن حاتم وعلى البحرين وعمان والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدى وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولى مكانه أحمد بن اسمعيل وفى سنة ست وستين عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه وولى المهدى على قضائه أبا يوسف حين سار الى جرجان واضطربت فى هذه السنة خراسان على المسيب بن زهير فولاها أبا العباس الفضل بن سليمان الطوسى وأضاف اليه سجستان فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج وولى على المدينة ابراهيم ابن عمه وعزل منصور بن يزيد عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان الربعى وكان على مصر ابراهيم بن صالح وتوفى فى هذه السنة عيسى بن موسى بالكوفة وهى سنة سبع وستين وعزل المهدى يحيى الحريشى عن طبرستان والرويان وما كان اليه وولاه عمر بن العلاء

وولى على جرجان فراشة مولاه وحج بالناس ابراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج فولى مكانه اسحق بن موسى بن على وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر ابن عثمان التميمى وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمى وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد فى بادية البصرة من الاعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة

(الصوائف)

وفى سنة تسع وخمسين أغزى المهدى عمه العباس بالصائفة وعلى مقدمته الحسن الوصيف فبلغوا أنقرة وفتحوا مدينة أنقرة ورجعوا سالمين ولم يصب من المسلمين أحد وفى سنة احدى وستين غزا بالصائفة ثمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم مع ميخائيل فى ثمانين ألفا ونزل عمق مرعش فقتل وسبى وغنم وحاصر مرعش وقتل من المسلمين عددا وانصرف الى جيحان فكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فعظم ذلك على المهدى وتجهز لغزو الروم وخرجت الروم سنة اثنتين وستين الى الحدث فهدموا أسوارها وغزا بالصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين ألفا من المرتزقة فبلغ جهة أذرركبه وأكثر التحريق والتخريب ولم يفتح حصنا ولا لقى جمعا ورجع بالناس سالما وغزا يزيد بن أسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون ثم غزا المهدى بنفسه سنة ثلاث وستين كما مر ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فخرج اليه ميخائيل وطارد الارمنى البطريقان فى تسعين ألفا فخام عن لقائهم ورجع بالناس فغضب عليه المهدى وهم بقتله فشفع فيه وحبسه وفى سنة خمس وستين بعث المهدى ابنه هرون بالصائفة وبعث معه الربيع فتوغل فى بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا من القوامس فبارزه يزيد ابن مزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمستق صاحب المسالح فحمل لهم مائتى ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم وسار الرشيد بعساكره وكانت نحوا من مائة ألف فبلغ خليج قسطنطينية وعلى الروم يومئذ غسطة امرأة اليون كافلة لابنها منه صغيرا فجرى الصلح على الفدية وأن تقيم له الادلاء والاسواق فى الطريق لان مدخله كان ضيقا مخوفا فأجابت لذلك وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة ومدة الصلح ثلاث سنين وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس وقتل من الروم فى وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون ألفا ومن الاسرى ألفان ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان وستين ولم يستكملوا مدته بقى منها

أربعة أشهر وكان على الجزيرة وقنسرين على بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البطال فى عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا

(وفاة المهدى وبيعة الهادى)

وفى سنة تسع وستين اعتزم المهدى على خلع ابنه موسى الهادى من العهد والبيعة للرشيد به وتقديمه على الهادى وكان بجرجان فبعث اليه بذلك فاستقدمه فضرب الرسول وامتنع فسار اليه المهدى فلما بلغ ماسبذان توفى هنالك يقال مسموما من بعض جواريه ويقال سمت احداهما الاخرى فى كمثرى فغلط وأكلها ويقال حاز صيدا فدخل وراءه الى خربة فدق الباب ظهره وكان موته فى المحرم وصلى عليه ابنه الرشيد وبويع ابنه موسى الهادى لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان وكان الرشيد لما توفى المهدى والعسكر بماسبذان نادى فى الناس بالعطاء تسكينا وقسم فيهم مائتين مائتين فلما استوفوها تنادوا بالرجوع الى بغداد وتشايعوا اليها واستيقنوا موت المهدى فأتوا باب الربيع وأحرقوه وطالبوا بالارزاق ونقبوا السجون وقدم الرشيد بغداد فى اثرهم فبعثت الخيزران الى الربيع فامتنع يحيى خوفا من غيرة الهادى وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا وكتب الهادى الى الربيع يتهدده فاستشار يحيى فى أمره وكان يثق بوده فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل ورضى الهادى عنه وأخذت البيعة ببغداد للهادى وكتب الرشيد بذلك الى الآفاق وبعث الى الهادى بجرجان فركب البريد الى بغداد فقدمها فى عشرين يوما فاستوزر الربيع وهلك لمدة قليلة من وزارته واشتد الهادى فى طلب الزنادقة وقتلهم وكان منهم على بن يعطى ويعقوب بن الفضل من ولد ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان قد أقر بالزندقة عند المهدى الا أنه كان مقسما أن لا يقتل هاشميا فحبسه وأوصى الهادى بقتله وبقتل ولد عمهم داود بن على فقتلهما

*(وأما عماله) فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب وعلى مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن مسلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن سليم الحوارى وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى وعلى البصرة ابن سليمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة مولى

وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد وعزله الهادى لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن على (وأما الصائفة) فغزاها فى هذه السنة وهى سنة تسع وستين معيوب ابن يحيى وقد كان الروم خرجوا مع بطريقهم الى الحرث فهرب الوالى ودخلها الروم

وعاثوا فيها فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب وبلغ مدينة اسية وغنم وسبى وعاد

* (ظهور الحسين المقتول بفخ) *

وهو الحسين بن على بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط كان الهادى قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مر فأخذ يوما الحسن بن المهدى بن محمد ابن عبد الله بن الحسين الملقب أبا الزفت ومسلم بن جندب الهذلى الشاعر وعمر بن سلام مولى آل عمر بن على شراب لهم فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال فى أعناقهم وجاء الحسين اليه فشفع فيهم وقال ليس عليهم حد فان أهل العراق لا يرون به بأسا وليس من الحد أن تطيفهم فحبسهم ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبد الله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس ومازال آل أبى طالب يكفل بعضهم بعضا ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين فطلب به الحسين بن على ويحيى بن عبد الله كافليه وأغلظ لهما فحلف يحيى انه يأتى به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج فى الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم وضرب يحيى على العمرى فى باب داره بالسيف واقتحموا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله وجاء خالد اليزيدى فى مائتين من الجند والعمرى وابن اسحق الازرق ومحمد بن واقد فى ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد واجتمع يحيى وادريس بن عبد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفا واجتمعت شيعة بنى العباس من الغد وقاتلوهم الى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا ثم قدم مبارك التركى من الغد حاجا فقاتل مع العباسية الى منتصف النهار وافترقوا وواعدهم مبارك الرواح الى القتال واستغفلهم وركب رواحله راجعا واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا ويقال ان مبارك دس الى الحسين بذلك تجافيا عن أذية أهل البيت وطلب أن يأخذ له عذرا فى ذلك بالبيات فبيته الحسين واستطرد له راجعا وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة احدا وعشرين يوما آخر ذى القعدة ولما بلغها نادى فى الناس بعتق من أتى اليه من العبيد فاجتمع اليه جماعة وكان قد حج تلك السنة رجال من بنى العباس منهم سليمان ابن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل أبناء عيسى بن موسى ولما بلغ خبر الحسين الى الهادى كتب الى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذبهم عن البصرة خوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وقدموا مكة فحلوا من العمرة التى كانوا أحرموا بها وانضم اليهم من ج

من شيعتهم ومواليهم وقوادهم واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه الى مكة ولحقهم بذى طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادى من خلفهم بالبشارة حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروبا على قفاه وجبهته وجمعت رؤس القتلى فكانت مائة ونيفا وفيها رأس سليمان أخى المهدى ابن عبد الله واختلط المنهزمون بالحاج وجاء الحسن بن المهدى أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتله وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادى لغضبه وقبض أمواله وغضب على مبارك التركى وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهادى وأفلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله أخو المهدى فأتى مصر وعلى بريدها وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل على فحمله على البريد الى المغرب ووقع بمدينة وايلة من أعمال طنجة واجتمع البربر على دعوته وقتل الهادى وأصحابه بذلك وصلبه وكان لادريس وابنه ادريس وأعقابهم حروب نذكرها بعد

(حديث الهادى فى خلع الرشيد)

كان الهادى يبغض الرشيد بما كان المهدى أبوهما يؤثره وكان رأى فى منامه انه دفع اليهما قضيبين فأورق قضيب الهادى من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله وتأول ذلك بقصر مدة الهادى وطول مدة الرشيد وحسنها فلما ولى الهادى أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه وفاوض فى ذلك قواده فأجابه يزيد بن مزيد وعلى بن عيسى وعبد الله بن مالك وحرضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به ونهى الهادى أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادى بمداخلته وبعث اليه وتهدده فحضر عنده مستميتا وقال يا أمير المؤمنين أنت أمرتنى بخدمته من بعد المهدى فسكن غضبه وقال له فى أمر الخلع فقال يا أمير المؤمنين أنت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه وان بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة فصدقه وسكت عنه وعاد أولئك الذين جعلوه من القواد والشيعة فأغروه بيحيى وانه الذى منع الرشيد من خلع نفسه فحبسه الهادى ثم طلب الحضور للنصيحة وقال له يا أمير المؤمنين أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو صبى ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم وتأمن أن يسموا اليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك والله لو لم يعقده المهدى لكان ينبغى أن تعقده أنت له حذرا من ذلك وانى أرى أن تعقده لأخيك فاذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له فقبل الهادى قوله وأطلقه ولم يقنع القواد ذلك لانهم كانوا حذرين

من الرشيد فى ذلك وضيق عليه واستأذنه فى الصيد فمضى الى قصر مقاتل وتنكره الهادى وأظهر خفاءه وبسط الموالى والقواد فيه ألسنتهم

(وفاة الهادى وبيعة الرشيد)

ثم خرج الهادى الى حديقة الموصل فمرض واشتد مرضه هنالك واستقدم العمال شرقا وغربا ولما ثقل تآمر القواد الذين بايعوا جعفرا فى قتل يحيى بن خالد ثم أمسكوا تخوفا من الهادى ثم توفى الهادى فى شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وقيل توفى بعد أن عاد من حديقة الموصل ويقال ان أمه الخيزران وصت بعض الجوارى عليه فقتلته لانها كانت أول خلافته تستبد عليه بالامور فعكف الناس واختلفت المواكب ووجد الهادى لذلك فكلمته يوما فى حاجة فلم يجبها فقالت قد ضمنتها لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وشتمه وحلف لاقضيتها فقامت مغضبة فقال مكانك والا انتفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أن أحدا من قوادى وخاصتى وقف ببابك لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ما للمواكب تغدو وتروح عليك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك اياك لا تفتحى بابك لمسلم ولا ذمى فانصرفت وهى لا تعقل ثم قال لاصحابه أيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه ويقال فعلت أم فلان وصنعت فقالوا لا نحب ذلك قال فما بالكم تأتون أمى فتتحدثون معها فقيل انه لما جد فى خلع الرشيد خافت عليه منه فلما ثقل مرضه وصت بعض الجوارى فجلست على وجهه فمات وصلى عليه الرشيد وجاء هرثمة بن أعين الى الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة وأحضر يحيى فاستوزره وكتب الى الاطراف بالبيعة وقيل ان يحيى هو الذى جاءه وأخرجه فصلى على الهادى ودفنه الى يحيى وأعطاه خاتمه وكان يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد وعزل لاول خلافته عمر بن عبد العزيز العمرى عن المدينة وولى مكانه اسحق بن سليمان وتوفى يزيد بن حاتم عامل افريقية فولى مكانه روح بن حاتم ثم توفى فولى مكانه ابنه الفضل ثم قتل فولى هرثمة بن أعين كما يذكر فى أخبار افريقية وأفرد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها عمالة واحدة وسماها العواصم وأمر بعمارة طرسوس ونزلها الناس وحج لاول خلافته وقسم فى الحرمين مالا كثيرا وأغزى بالصائفة سليمان بن عبد الله البكائى وكان على مكة والطائف عبد الله ابن قثم وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البحرين والبصرة واليمامة وعمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان بن على وعلى خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسى ثم عزله وولى مكانه جعفر بن محمد بن الاشعث فسار الى خراسان وبعث ابنه العباس الى كابل فافتتحها وافتتح سابهار وغنم ما كان فيها ثم استقدمه الرشيد فعزله وولى مكانه

ابنه العباس وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولى مكانه اسحق بن محمد بن فروح فبعث اليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره الى بغداد وقتله وولى مكانه وكان على ارمينية يزيد بن مزيد بن زائدة ابن أخى معن فعزله وولى مكانه أخاه عبد الله بن المهدى وولى سنة احدى وسبعين على صدقات بنى تغلب روح بن صالح الهمدانى فوقع بينه وبين تغلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه فى جماعة من أصحابه وتوفى سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والى البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد وانه يحدث نفسه بالخلافة وانّ أمواله كلها فىء من أموال المسلمين فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب وأحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار ولم يكن الا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد باقراره انها فىء وتوفى سنة أربع وسبعين والى الرشيد اسحق بن سليمان على السند ومكران واستقضى يوسف بن أبى يوسف فى حياة أبيه وفى سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زبيدة ولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاها خاله الغطريف بن عطاء الكندى

(خبر يحيى بن عبد الله فى الديلم)

وفى سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبد الله بن حسن أخو المهدى بالديلم واشتدت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى فى خمسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وما اليها ووصل معه الاموال فسار ونزل بالطالقان وكاتب يحيى وحذره وبسط أمله وكتب الى صاحب الديلم فى تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم فأجاب يحيى على الامان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجلة بنى هاشم ومشايخهم عن عبد الصمد منهم فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف وقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده ثم انّ الرشيد حبس يحيى الى أن هلك فى حبسه

(ولاية جعفر بن يحيى مصر)

كان موسى بن موسى قد ولاه الرشيد مصر فبلغه أنه عازم على الخلع فرد أمرها الى جعفر ابن يحيى وأمره باحضار عمر بن مهران وأن يوليه عليها وكان مشوه الخلق خامل البزة يردف غلامه خلفه فلما ذكرت له الولاية قال على شرطية أن يكون أمرى بيدى اذا اصلحت البلاد انصرفت فأجابه الى ذلك وسار الى مصر وأتى مجلس موسى فجلس فى أخريات الناس حتى اذا افترقوا رفع الكتاب الى موسى فقرأه وقال

متى يقدم أبو حفص فقال انا أبو حفص فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال أليس لى ملك مصر ثم سلم له العمل فتقدم عمر الى كاتبه أن لا يقبل من الهدية الا ما يدخل فى الكيس فبعث الناس بهداياهم وكانوا يمطلون بالخراج فلما حضر النجم الاول والثانى وشكوا الضيق فى الثالث احضر الهدايا وحسبها لاربابها واستوفى خراج مصر ورجع الى بغداد

(الفتنة بدمشق)

وفى هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية ورأس المضرية أبو الهيدام عامر بن عمارة من ولد خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليمانية أن اليمانية قتلوا منهم رجلا فاجتمعوا الثاره وكان على دمشق عبد الصمد بن على فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضرية فقتلوا منهم ثلثمائة أو ضعفها فاستجاشوا بقبائل قضاعة وسليم فلم ينجدوهم وأنجدتهم قيس وساروا معهم الى البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وطال الحرب بينهم وعزل عبد الصمد عن دمشق وولى مكانه ابراهيم بن صالح بن على ثم اصطلحوا بعد سنين ووفد ابراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانية فوقع فى قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر واستخلف ابراهيم على دمشق ابنه اسحق فحبس جماعة من قيس وضربهم ثم وثبت غسان برجل من ولد قيس بن العبسى فقتلوه واستنجد أخوه بالدواقيل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفرا ثم وثبت اليمانية بكليب بن عمر بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوهم فجاءت أم الغلام سابة الى أبى الهيدام فقال انظرينى حتى ترفع دماؤنا الى الامير فان نظر فيها والا فأمير المؤمنين ينظر فيها وبلغ ذلك اسحق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له ثم قتل بعض الدواقيل رجلا من اليمانية وقتلت اليمانية رجلا من سليم ونهبوا جيران محارب وركب أبو الهيدام معهم الى اسحق فوعده بالنظر لهم وبعث الى اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا الى باب الجابية فخرج اليهم أبو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفتق السجون ثم اجتمعت اليمانية واستنجدوا كلبا وغيرهم فاستمدوهم واستجاش أبو الهيدام المضرية فجاؤه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرات ثم أمره اسحق بالكف وبعث الى اليمانية يخبرهم بغرته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم ثم هزمهم أخرى على باب توما ثم جمعت اليمانية أهل الاردن والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل اسحق من دلهم على مكمنه وأمرهم بالعبور الى المدينة فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا ولما كان مستهل صفر جمع اسحق الجنود عند قصر الحجاج وجاء

أصحاب الهيدام من أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق ثم سألوا الامان من أبي الهيدام فأمنهم وسكن الناس وفرق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق فطمع فيه اسحق وسلط عليه العذافر السكسكي مع الجنود فقاتلهم فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثا ثم ان اسحق قاتله في الثالثة والجند في اثني عشر ألفا ومعهم اليمانية فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لابي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقا وأحرقوا قرى وديارا لليمانية في الغوطة ثم توادعوا سبعين يوما أو نحوها وقدم السندي في الجنود من قبل الرشيد وأغرته اليمانية بأبي الهيدام فبعث هو اليه بالطاعة فأقبل السندي الى دمشق واسحق بدار الحجاج وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج اليهم أبو الهيدام ألفا وأحجم القائد عنهم ورجع الى السندي فصالح أبا الهيدام وأمن أهل دمشق وسار أبو الهيدام الى حوران وأقام السندي بدمشق ثلاثا وقدم موسى بن عيسى واليا عليها فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبده فانهزموا وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى ثم بعث اليه موسى فسار اليه في رمضان سنة سبع وسبعين وقيل ان سبب الفتنة بدمشق أن عامل الرشيد بسجستان قتل أخا الهيدام فخرج هو بالشأم وجمع الجموع ثم بعث الرشيد أخاله ليأتيه به فتحيل حتى قبض عليه وشده وثاقا وأتى به الى الرشيد فمن عليه وأطلقه وبعث جعفر بن يحيى سنة ثمانين الى الشأم من أجل هذه الفتن والعصبية فسكن الثائرة وأمن البلاد وعاد

(فتنة الموصل ومصر)

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سفيان الازدي على خراسان وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العباس الهاشمي وقيل عبد الملك بن صالح فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وبقي العامل معه مغلبا الى أن سار الرشيد الى الموصل وهدم سورها ولحق العطاف بأرمينية ثم بالرقة فاتخذها وطنا وفي سنة ثمان وسبعين ثارت الحوفية بمصر وهم من قيس وقضاعة على عاملها اسحق بن سليمان وقاتلوه وكتب الرشيد الى هرثمة بن أعين وكان بفلسطين فسار اليهم وأذعنوا بالطاعة وولي على مصر ثم عزله لشهر وولي عبد الملك بن صالح كان على خراسان أيام المهدي والهادي أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولي على خراسان جعفر بن محمد بن الاشعث الخزاعي فأبوه من النقباء من أهل مصر ومقدم ابنه العباس سنة ثلاث وسبعين ثم قدم فغزا طخارستان وبعث ابنه العباس الى كابل في الجنود وافتتح سابهار ورجع الى مرو ثم سار الى العراق سنة ثلاث في رمضان وكان الامين في حجره قبل أن يجعله في حجر

الفضل بن يحيى ثم ولى الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها فولى خالدا الغطريف بن عطاء الكندى سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان فقدم خليفة داود ابن يزيد وبعث عامل سجستان وخرج فى أيامه حصين الخارجى من موالى قيس بن ثعلبة من أهل أوق وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش اليه فهزمهم حصين وقتل منهم وسار الى باذغيس وبوشنج وهراة فبعث اليه الغطريف اثنى عشر ألفا من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقا ولم يزل فى نواحى خراسان الى أن قتل سنة سبع وسبعين وسار الفضل الى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين ثم ولى الرشيد على خراسان على بن عيسى بن ماهان وقدم اليه يحيى فأقام بها عشرين سنة وخرج عليه فى ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج وكان على هراة عمرويه ابن يزيد الازدى فنهض اليه فى ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه فى الزحام فبعث على بن عيسى ابنه الحسن فى عشرة آلاف فنفض حربه فعزله وبعث ابنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمده بالعساكر ورده فهزم حمزة وقتل أصحابه ونجا الى قهستان فى أربعين وأثخن عيسى فى الخوارج بارق وجوين وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفا وخلف عبد الله بن العباس النسفى بزرنج يجبى الاموال وسار بها ومعه الصفة ولقيه حمزة فهزموه وقتلوا عامة أصحابه وسار حمزة فى القرى فقتل وسبى وكان على قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فخرج الى حمزة وقصد قرية فقرا الخوارج وهم الذين يرون التحكيم ولا يقاتلون والمحكمة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم الا لله فكتب العقد الى حمزة بالكف وواعدهم ثم انتقض وعاث فى البلاد وكانت بينه وبين أصحاب على حروب كثيرة ثم ولى الرشيد سنة اثنتين وثمانين ابنه عبد الله العهد بعد الامين ولقبه المأمون وولاه على خراسان وما يتصل بها الى همذان واستقدم عيسى بن على من خراسان وردها اليه من قبل المأمون وخرج عليه بنسا أبو الخصيب وهب بن عبد الله النسائى وعاث فى نواحى خراسان ثم طلب الامان فأمنه ثم بلغه أن حمزة الخارجى عاث بنواحى باذغيس فقصده وقتل من أصحابه نحوا من عشرة آلاف وبلغ كابل من وراء غزنة ثم غدر أبو الخصيب ثانية وغلب أبيورد ونسا وطوس ونيسابور وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد الى سرخس ثم نهض اليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله فى نسا وسبى أهله ثم نمى الى الرشيد سنة تسع وثمانين أن على بن عيسى مجمع على الخلاف وانه قد أساء السيرة فى خراسان وعنفهم وكتب اليه كبراء أهلها يشكون بذلك فسار الرشيد الى الرى فأهدى له الهدايا الكثيرة والاموال ولجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده وتبين للرشيد من مناصحته خلاف

ما أنهى اليه فردّه الى خراسان وولى على الرى وطبرستان ودنباوند وقومس وهمذان وبعث على ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر اخوته وانتقض على ابن عيسى رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند وطالت حروبه معه وهلك فى بعضها ابنه عيسى ثم ان الرشيد نقم على على بن عيسى أمورا منها استخفافه بالناس واهانته أعيانهم ودخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر فأغلظ له فى القول وأفحش فى السب والتهديد وفعل مثل ذلك بهشام بن فأما الحسين فلحق بالرشيد شاكيا ومستجيرا وأما هشام فلزم بيته وادّعى أنه بعلة الفالج حتى عزل على وكان مما نقم عليه أيضا أنه لما قتل ابنه عيسى فى حرب رافع بن الليث أخبر بعض جواريه انه دفن فى بستانه ببلخ ثلاثين ألف دينار وتحدّث الجوارى بذلك فشاع فى الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال وكان يشكو الى الرشيد بقلة المال ويزعم أنه باع حلى نسائه فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هرثمة بن أعين وقال له وليتك خراسان وكتب له بخطه وقال له اكتم أمرك وامض كانك مدد وبعث معه رجاء الخادم فسار الى نيسابور وولى أصحابه فيها ثم سار الى مرو ولقيه على بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف وبعث الى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث اليه بعلى بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء وخرج هرثمة الى ماوراء النهر وحاصر رافع بن الليث بسمرقند الى أن استأمن فأمنه وأقام هرثمة بسمرقند وكان قدم مرو سنة ثلاث وتسعين

(ايداع كتاب العهد)

وفى سنة ست وثمانين حج الرشيد وسار من الانبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الامين وعبد الله المأمون والقاسم وكان قد ولى الامين العهد وولاه العراق والشأم الى آخر الغرب وولى المأمون العهد بعده وضم اليه من همذان الى آخر المشرق وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه واثباته للمأمون وجعل فى حجر عبد الملك صالح وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم ومرّ بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية عطاء منه ومن الامين ومن المأمون فبلغ ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ثم سار الى مكة فأعطى مثلها وأحضر الفقهاء والقضاة والقواد وكتب كتابا أشهد فيه على الامين بالوفاء للمأمون وآخر على المأمون بالوفاء للامين وعلق الكتابين فى الكعبة وجدّد عليها العهود هنالك ولما شخص الى طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أنّ جميع ما فى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع للمأمون وجدّد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدّد له البيعة على الامين

(أخبار البرامكة ونكبتهم)

قد تقدم لنا أن خالد بن برمك كان من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام وولاه المنصور على الموصل وعلى أذربيجان وولي ابنه يحيى على أرمينية ووكله المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادي أراده على الخلع وتولية العهد ابنه وحبسه الهادي لذلك فلما ولي الرشيد استوزر يحيى وفوض اليه أمور ملكه وكان أولا يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد ثم استبد بالدولة ولما ماتت وكان بيتهم مشهورا بالرجال من العمومة والقرابة وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظ من تقريب السلطان واستخلاصه وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمه الرشيد وأرضعته الخيزران وكان يخاطب يحيى يا أبت واستوزر الفضل وجعفرا وولى جعفرا على مصر وعلى خراسان وبعثه الى الشام عندما وقعت الفتنة بين المضرية واليمانية فسكن الامور ورجع وولى الفضل أيضا على مصر وعلى خراسان وبعثه لاستنزال يحيى بن عبد الله العلوي من الديلم ودفع المأمون لما ولاه العهد الى كفالة جعفر بن يحيى فحسنت آثارهم في ذلك كله ثم عظم سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة وكثرت السعاية فيهم وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم يقال بسبب انه دفع اليه يحيى بن عبد الله لما استنزله أخوه الفضل من الديلم وجعل حبسه عنده فأطلقه استبدادا على السلطان ودالة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك الى الرشيد فسأله فصدقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه وكثرت السعاية فيهم فتنكر لهم الرشيد ودخل عليه يوما يحيى بن خالد بغير اذن فنكر ذلك منه وخاطب به طبيبه جبريل بن بختيشوع منصرفا به من مواجهته وكان حاضرا فقال يحيى هو عادتي يا أمير المؤمنين واذ قد نكرت مني فسأكون في الطبقة التي تجعلني فيها فاستحيى هرون وقال ما أردت ما يكره وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيى اذا دخل فتقدم لهم مسرور الخادم بالنهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه اذا أقبل وأقاموا على ذلك زمانا فلما حج الرشيد سنة سبع وثمانين ورجع من حجه ونزل الانبار أرسل مسرورا الخادم في جماعة من الجند ليلا فأحضر جعفرا بباب الفسطاط وأعلم الرشيد فقال ائتني برأسه فطفق جعفر يتذلل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصى كانت في يده وتهدده فخرج وأتاه برأسه وحبس الفضل من ليلته وبعث من احتاط على منازل يحيى وولده وجميع موجودهم وحبسه في منزله وكتب من ليلته الى سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيقهم وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على الجسر وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيق على يحيى ولا بنيه الفضل

ومحمد وموسى ثم تجردت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح بن على وكانوا أصدقاءه فسعى فيه ابنه عبد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عند الفضل بن الربيع ثم أحضره من الغداة وقرعه ووبخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه فأحضر كاتبه شاهدا عليه فكذبه عبد الملك فأحضر ابنه عبد الرحمن فقال هو مأمور معذور أو عاق فاجر فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضى الله فيك فانه الحكم بينى وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فانه لا يؤثر هواه على رضا ربه ثم أحضره الرشيد يوما آخر فأرعد له وأبرق وجعل عبد الملك يعدد وسائله ومقاماته فى طاعته ومناصحته فقال له الرشيد لولا ابقائى على بنى هاشم لقتلتك ورده الى محبسه وكلمه عبد الله بن مالك فيه وشهد له بنصحه فقال أطلقه اذا قال أما فى هذا القرب فلا ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنته حتى مات الرشيد وأطلقه الامين وعظم حقده على البرامكة بسبب ذلك فضيق عليهم وبعث الى يحيى يلومه فيما ستر عنه من أمر عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين كيف يطلعنى عبد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة وهل اذا فعلت ذلك يجازينى بأكثر من فعلك أعيذك بالله ان تظن هذا الظن الا أنه كان رجلا متجملا يسرنى أن يكون فى بيتك مثله فوليته ولا خصصته فعاد اليه الرسول يقول ان لم تقر قتلت الفضل ابنك فقال أنت مسلط علينا فافعل ما أردت وجذب الرسول الفضل وأخرجه فودع أباه وسأله فى الرضا عنه فقال رضى الله عنك وفرق بينهما ثلاثة أيام ولم يجد عندهما شيئا فجمعهما واحتفظ ابراهيم بن عثمان بن نهيك لقتل جعفر فكان يبكيه ويبكى قومه حزنا عليهم ثم انتهى به الى طلب الثار بهم فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادى واجعفراه واسيداه والله لأثأرن بك ولأقتلن قاتلك فجاء ابنه وحفص كان مولاه الى الرشيد فأطلعاه على أمره فأحضر ابراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفرا والاسف عليه فبكى ابراهيم وقال والله يا سيدى لقد أخطأت فى قتله فانتهره الرشيد وأقامه ثم دخل عليه ابنه بعد ليال قلائل فقتله يقال بأمر الرشيد وكان يحيى بن خالد محبوسا بالكوفة ولم يزل بها كذلك الى أن مات سنة تسعين ومائة ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين وكانت البرامكة من محاسن العالم ودولتهم من أعظم الدول وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها

(الصوائف وفتوحاتها)

كان الرشيد على ما نقله الطبرى وغيره يغزو عاما ويحج عاما ويصلى كل يوم مائة ركعة ويتصدق بألف درهم واذا حج حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم واذا لم يحج أنفق على ثلثمائة حاج نفقة شائعة وكان يتحذى بآثار المنصور الا فى بذل المال فلم ير خليفة

قبله أنيل به للمال وكان اذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقواده فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبد الله البكائي وقيل غزا بنفسه وغزا بالصائفة سنة اثنتين وسبعين اسحق بن سليمان بن علي فأثخن في بلاد الروم وغنم وسبى وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح وقيل أبوه عبد الملك فبلغ في نكاية الروم ما شاء وأصابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجند ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي وفي سنة ثمان وسبعين زفر بن عاصم وغزا سنة احدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصفصاف وأغزى عبد الملك بن صالح فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة وكان الفداء بين المسلمين والروم وهو أول فداء في دولة بني العباس وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها وهو أبو سليمان فرج فنزل المدامس على اثني عشر فرسخا وحضر العلماء والاعيان وخلق من أهل الثغور وثلاثون ألفا من الجند المرتزقة فحضروا هنالك وجاء الروم بالاسرى ففودي بهم من كان لهم من الاسرى وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وغزا بالصائفة سنة ثنتين وثمانين عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح دفسوس مدينة أصحاب الكهف وبلغهم أن الروم سلوا ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا أمه ريني وتلقب عطشة فأثخنوا في البلاد ورجعوا وفي سنة ثلاث وثمانين حملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل ابن يحيى فماتت ببردعة ورجع من كان معها فأخبروا أباها انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وخرج من باب الابواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله فولى الرشيد يزيد بن مزيد أمر أرمينية مضافة الى أذربيجان وأمره بالنهوض اليهم وأنزل خزيمة بن خازم بنصيبين ردأ لهم وقيل ان سبب خروجهم أن سعيد بن مسلم قتل الهجيم السلمي فدخل ابنه الى الخزر مستجيشا بهم على سعيد ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قربانا لله وولاه العواصم فأناخ على قرة وضيق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الاشعث فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله وفادى الروم بثلثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم وتم بينهم الصلح ورحل عنهم وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدم ذكره فخلعه الروم وملكوا يقفور وكان على ديوان خراجهم ومات زيني بعد خمسة أشهر ولما ملك يقفور كتب الى الرشيد بما استفزه فسار الى بلاد الروم غازيا ونزل هرقل وأثخن في بلادهم حتى سأل يقفور الصلح ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب وظن يقفور ان ذلك يمنعه من الرجوع فلم يمنعه ورجع حتى أثخن في بلاده ثم خرج من أرضهم وغزا بالصائفة سنة ثمان

وثمانين ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف فخرج اليه يقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحوا من أربعين ألفا وفي هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد ابق وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالرى كتب الامان لشروين ابى قارن وونداهرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم وبعث بالكتب مع حسين الخادم الى طبرستان فقدم خستان وونداهرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما وضمن ونداهرمز وشروين صاحبى طبرستان وذكرا كيف توجه الهادى لهما وحاصرهما وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم الا فودى وفي سنة تسعين سار الرشيد الى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور في مائة وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان واستخلف المأمون بالرقة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثين يوما وافتتحها وسبى أهلها وغنم ما فيها وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفا غازيا في أرضهم ففتح الله عليه وخرب ونهب ما شاء وفتح شراحيل بن معن ابن زائدة حصن الصقالبة ودبسة وافتتح يزيد بن مخلد حصن الصفصاف وقونية وأناخ عبد الله بن مالك على حصن ذى الكلاع واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل ممن بسواحل الشام ومصر الى قبرس فهزم وحرق وسبى من أهلها نحوا من سبعة عشر ألفا وجاء بهم الى الواقعة فبايعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرس ألفى دينار ثم سار الرشيد الى حلوانة فنزل بها وحاصرها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث يقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن بطارقته كذلك وبعث يقفور في جارية من بنى هرقلة وكان خطبها ابنه فبعث بها اليه ونقض في هذه السنة قبرس فغزاهم معيوب بن يحيى فأثخن فيهم وسباهم ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم الى عين زربة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا فاستنقذ أهل المصيصة ما حملوه من الغنائم

وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيرى أرض الروم في عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضايق فانهزم وقتل في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين ألفا من أهل خراسان وأخرجه الى الصائفة وسار بالعساكر الاسلامية في اثره ورتب بدرب الحرث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد ابن مسلم بن قتيبة وأغارت الروم عليه أصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد الى طرسوس وأقام هو بدرب الحرث وأمر قواده بهدم الكنائس في جميع الثغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة زى المسلمين في ملبوسهم

وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتولى ذلك فرج الخادم بأمر الرشيد وبعث اليها جندا من خراسان ثلاثة أيام وأشخص اليهم ألفا من أهل المصيصة وألفا من انطاكية فتم بناؤها سنة ثنتين وتسعين وفى هذه السنة تحركت الخرمية بناحية أذربيجان فبعث اليهم عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر بقرماسين فأمره بقتل الاسرى وبيع السبى وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخزاعى فافتتح مطمورة وكان الفداء على يديه بالبرذون ثم كان الفداء الثانى وكان عدة أسرى المسلمين فيه ألفين وخمسمائة

(الولاية على النواحى)

كان على افريقية يزيد بن حاتم كما قدمناه ومات سنة احدى وسبعين بعد أن استخلف ابنه داود فبعث الرشيد على افريقية أخاه روح بن حاتم فاستقدمه من فلسطين وبعثه الى افريقية وعزل أبا هريرة محمد بن فروخ عن الجزيرة وقتله وولى مكانه وفى سنة ست وسبعين ولى الرشيد على الموصل الحكم بن سليمان وقد كان خرج الفضل الخارجى بنواحى نصيبين وغنم وسار الى داريا وآمد وارزن وخلاط فتقفل لذلك ورجع الى نصيبين فأتى الموصل وخرج اليه العسكر فهزمهم على الزاب ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه وفى سنة ست وسبعين مات روح بن حاتم بافريقية واستخلف حبيب بن نصر المهلبى فسار الفضل الى الرشيد فولاه على افريقية وعاد اليها فاضطرب عليه الخراسانية من جند افريقية ولم يرضوه فولى مكانه هرثمة بن أعين وبعث فى العساكر فسكن الاضطراب ورأى ما بافريقية من الاختلاف فاستعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه وقدم الى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه وفى هذه ولى الفضل بن يحيى على مصر مكان أخيه جعفر مضافا الى ما بيده من الرى وسجستان وغيرهما ثم عزله عن مصر وولى عليها اسحق بن سليمان فثارت به الحوفية من مصر وهم جموع من قيس وقضاعة فأمده بهرثمة بن أعين فأذعنوا وولاه عليهم شهرا ثم عزله وولى عبد الملك بن صالح مكانه وفيها فوض أمر دولته الى يحيى بن خالد وفى سنة ثمانين بعث جعفر بن يحيى الى الشأم فى القواد والعساكر ومعه السلاح والاموال والعصبية التى كانت بها فسكنت الفتنة ورجع فولاه خراسان وسجستان فاستعمل عليها عيسى بن جعفر وولى جعفر بن يحيى الحرس وقدم هرثمة بن أعين من افريقية فاستخلفه جعفر على الحرس وعزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان وولاها عبد الله بن حازم وولى على الجزيرة سعيد بن مسلم وولى على الموصل يحيى بن سعد الحريشى فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية فانجلا أكثر أهل البلد وعزله الرشيد وولى عليها وفى سنة

إحدى وثمانين ولى على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي وكان أبوه من قواد الشيعة ومحمد رضيع الرشيد وتلاده فلما استعفى هرثمة ولاه مكانه واضطرب بعد عليه افريقية وكان ابراهيم بن الاغلب بها واليا على الزاب وكان جند افريقية يرجعون اليه فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه فكرهوا ولاية محمد بن مقاتل وحملوا ابراهيم بن الاغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب ولاية افريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة الى والى افريقية ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار فاستشار الرشيد بطانته فأشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وولاه الرشيد فى محرم سنة أربع وثمانين فضبط الامور وقبض على المؤمنين وبعثهم الى الرشيد فسكنت البلاد وبنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل اليها بأهله وخاصته وحشمه وصار ملك افريقية فى عقبه كما يذكر فى أخبارها الى أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينية مضافة اليها وولى خزيمة بن خازم على نصيبين وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حمادا البربرى وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم وعلى الجبل يحيى الحريشى وعلى طبرستان مهرويه الرازى وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين فولى مكانه عبد الله بن سعيد الحريشى وفيها توفى يزيد بن زائدة الشيطانى ببردعة وكان على أذربيجان وأرمينية فولى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم وفى سنة تسع وثمانين سار الرشيد الى الرى وولى على طبرستان والرى ودنباوند وقومس وهمذان عبد الملك بن مالك وفى سنة تسعين ولى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم وقد تقدم لنا ولاية هرثمة على سليمان ونكبة على بن عيسى فى سنة احدى وتسعين ظفر حماد البربرى بهيصم اليمانى وجاء به الى الرشيد فقتله وولى فى هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل ابن سليمان وكان على مكة الفضل بن العباس أخى المنصور والسفاح

(خلع رافع بن الليث بما وراء النهر)

كان رافع بن نصر بن سيار من عظماء الجند فيما وراء النهر وكان يحيى بن الاشعث قد تزوج ببعض النساء المشهورات بالجمال وتسرى عليها وأكثر ضرارها وتشوقت الى التخلص منه فدس اليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص منه وتحل للازواج ثم ترجع وتتوب فكان وتزوجها وشكا يحيى بن الاشعث الى الرشيد وأطلعه على جلية الامر فكتب الى على بن عيسى أن يفرق بينهما ويقيم الحد على رافع ويطوف به فى سمرقند مقيدا على حمار ليكون عظة لغيره ففعل ذلك ولم يحده رافع وحبس بسمرقند فهرب من الحبس ولحق بعلى بن عيسى فى بلخ فهم بضرب عنقه فشفع

فيه ابنه عيسى فأمره بالانصراف الى سمرقند فرجع اليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين فبعث على الحرب ابنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتله فخرج علي بن عيسى لقتاله وسار من بلخ الى مرو ومخافة عليها من رافع بن الليث ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على خراسان وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد ففارقوه الى هرثمة منهم عجيف بن عنبسة وغيره وحاصر هرثمة رافع بن الليث في سمرقند وضايقه واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده وعاث حمزة الخارجي في نواحي خراسان لخلائها من الجند وحمل اليه عمال هراة وسجستان الاموال ثم خرج عبد الرحمن الى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحوا من عشرين ألفا وسار الى حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقا وأتبعه الى هراة حتى كتب المأمون اليه ورده عن ذلك وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة وأسر بشرا أخا رافع وبعث به الى الرشيد وافتتح بخارى وكان الرشيد قد سار من الرقة بعد مرجعه من الصائفة التي بنى فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع وكان قد أصابه المرض فاستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة ابن خازم وجاء الى بغداد ثم سار منها الى خراسان في شعبان سنة ثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه الامين وأمر المأمون بالمقام معه فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد وحذره البقاء مع الامين فأسعفه الرشيد بذلك وسار معه

(وفاة الرشيد وبيعة الامين)

ولما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتدت علته فبعث ابنه المأمون الى مرو ومعه جماعة من القواد عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن خزيمة والعباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث والسندي والحريشي ونعيم بن خازم ثم سار الرشيد الى طوس واشتد به الوجع وضعف عن الحركة وثقل فأرجف الناس بموته وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال ردوني ووصل اليه وهو بطوس بشر أخو رافع أسيرا بعث به هرثمة بن أعين فأحضره وقال لو لم يبق من أجلي الا حركة شفتي بكلمة لقلت اقتلوه ثم أمر قصابا ففصل أعضاءه ثم أغمي عليه وافترق الناس ولما يئس من نفسه أمر بقبره فحفر في الدار التي كان فيها وأنزل فيه قوما قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو في محفة على شفيره ينظر اليه وينادي وا سوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة أو تزيد وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار

ولما مات الرشيد بويع الامين فى العسكر صبيحة يومه والمأمون يومئذ بمرو وكتب
حمويه مولى المهدى صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد
وهنأه بالخلافة فكان أول من فعل ذلك وكتب صالح الى أخيه الامين مع رجاء الخادم
بوفاة الرشيد وبعث معه بالخاتم والبردة والقضيب فانتقل الأمين من قصره بالخلد الى
قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزى نفسه والناس وبايعته
جلة أهله ووكل سليمان بن المنصور وهو عم أبيه وأمه بأخذ البيعة على القواد وغيرهم
ووكل السندى بأخذ البيعة على الناس سواهم وفرق فى الجند ببغداد رزق سنتين
وقدمت أمه زبيدة من الرقة فلقيها الامين بالانبار فى جمع من بغداد من الوجوه وكان
معها خزائن الرشيد وكان قد كتب الى معسكر الرشيد وهو حى مع بكر بن المعتمر لما
اشتدت علة الرشيد والى المأمون بأخذ البيعة لهما وللمؤتمن أخيهما والى أخيه صالح
بالقدوم بالعسكر والخزائن والاموال برأى الفضل والى الفضل بالاحتفاظ على ما معه
من الحرم والاموال وأقر كل واحد على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة
وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها منه فجحدها فضربه
وحبسه ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها اليه ولما قرؤا الكتاب تشاوروا
فى اللحاق بالامين وارتحل الفضل بالناس لهواهم فى وطنهم وتركوا عهود المأمون
فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه وهم عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب
ابن حميد بن قحطبة والعلاء مولى الرشيد وكان على حجابته والعباس بن المسيب بن زهير
وكان على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح
وذو الرياستين الفضل بن سهل وهو أخصهم به وأحظاهم عنده فأشار بعضهم أن يركب
فى اثرهم ويردهم ومنعه الفضل من ذلك وقال أخشى عليك منهم ولكن تكتب وترسل
رسولك اليهم تذكرهم البيعة والوفاء وتحذرهم الحنث فبعث سهل بن صاعد ونوفلا
الخادم بكتابه اليهم بنيسابور فقرأ الفضل كتابه وقال أنا واحد من الجند وشد
عبد الرحمن برجليه على سهل ليطعنه بالرمح وقال لو كان صاحبك حاضرا لوضعته
فيه وسب المأمون وانصرفوا ورجع سهل ونوفل بالخبر الى المأمون فقال له الفضل
ابن سهل هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان وقد خرج بها المقنع وبعده يوسف
البرم فتضعضعت لهما الدولة ببغداد وأنت وأيت عند خروج رافع بن الليث كيف
كان الحال وأنت اليوم نازل فى أخوالك وبيعتك فى أعناقهم فاصبر وأنا أضمن
لك الخلافة فقال المأمون قد فعلت وجعلت الامر اليك فقال ان عبد الله بن مالك
والقواد انفع لك منى لشهرتهم وقوتهم وأنا خادم لمن يقوم أمرك منهم حتى ترى رأيك

وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون فمنهم من امتنع ومنهم من طرده فرجع الى المأمون وأخبره فقال قم أنت بالامر وأشار عليه الفضل أن يبعث على الفقهاء ويدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة ورد المظالم ويقعد على الصوف ففعل جميع ذلك وأكرم القواد وكان يقول للتميمي نقيمك مقام موسى ابن كعب وللربعي مكان أبي داود وخالد بن ابراهيم ولليماني مكان قحطبة ومالك بن الهيثم وكل هؤلاء نقباء الدولة ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا ابن أختنا وابن عم نبينا وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والرى وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه ثم ان الامين عزل لاول ولايته أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر المؤتمن على قنسرين والعواصم وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وعلى حمص اسحق بن سليمان فخالف عليه أهل حمص وانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين وولى مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل عدة منهم وحبس عدة وأضرم النار في نواحيها وسألوا الامان فأجابهم ثم انتقضوا فقتل عدة منهم ثم ولى عليهم ابراهيم بن العباس

(أخبار رافع وملوك الروم)

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هرثمة بن أعين سمرقند وملكها وقام بها ومعه طاهر ابن الحسين فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوي بهم ثم انصرفوا وضعف أمره وبلغه حسن سيرة المأمون فطلب الامان وحضر عند المأمون فأكرمه ثم قدم هرثمة على المأمون فولاه الحرس وأنكر الامين ذلك كله وفي هذه السنة قتل يقفور ملك الروم في حرب برجان لسبع سنين من ملكه وملك بعده ابنه استبراق وكان جريحا فمات لشهرين وملك بعده صهره على أخته ميخاييل بن جرجيس ووثب عليه الروم سنة أربع وتسعين بعد ثنتين من ملكه فهرب وترهب وولوا بعده اليون القائد

(الفتنة بين الامين والمأمون)

ولما قدم الفضل بن الربيع على الامين ونكث عهد المأمون خشي غائلته فأجمع قطع علائقه من الامور وأغرى الامين بخلعه والبيعة للعهد لابنه موسى ووافقه في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما ممن يخشى المأمون وخالفهم خزيمة بن خازم وأخوه عبد الله وناشدوا الامين في الكف عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث العهود فيطرقهم لنكث عهده ولج الامين في ذلك وبلغه ان المأمون عزل العباس ابن عبد الله بن مالك عن الرى وانه ولى هرثمة بن أعين على الحرس وان رافع بن الليث

استأمن له فآمنه وسار في جملته فكتب الى العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن فبلغ ذلك المأمون فأسقط اسم الامين من الطرد وقطع البريد عنه وأرسل الامين اليه العباس بن موسى بن عيسى وخاله عيسى بن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب منه تقديم ابنه موسى عليه في العهد ويستقدمه فلما قدموا على المأمون استشار كبراء خراسان فقالوا انما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه واستعمل الفضل بن سهل العباس بن موسى ليكون عينا لهم عند الامين ففعل وكانت كتبه تأتيهم بالاخبار ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكاتبه فامتنع المأمون من ذلك وأوعد الى قعوده بالري ونواحيها يضبط الطرق وينقذها من غوائل الكتب والعيون وهو مع ذلك يتخوف عاقبة الخلاف وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه وجيفونة فارق الطاعة وملوك الترك منعوا الضريبة فخشي المأمون ذلك وحفظ عليه الامر بأن يولي خاقان وجيفونة بلادهما ويوادع ملك كابل ويترك الضريبة لملوك الترك الآخرين وقال له بعد ذلك ثم أضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت والا لحقت بخاقان مستجيرا فقبل اشارته وفعلها وكتب الى الامين يخادعه بأنه عامله على هذا الثغر الذي أمره الرشيد بلزومه وان مقامه به أشد غناء ويطلب اعفاءه من الشخوص اليه فعلم الامين أنه لا يتابعه على مراده فخلعه وبايع لولده في أوائل سنة خمس وتسعين وسماه الناطق بالحق وقطع ذكر المأمون والمؤتمن من المنابر وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى وعلى شرطته محمد بن عيسى بن نهيك وعلى حرسه أخوه عيسى وعلى رسائله صاحب القتلي وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عبد الله ولقبه القائم بالحق وأرسل الى الكعبة من جاء بكتابي العهد للامين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك وسارت الكتب من ذلك الى المأمون ببغداد من عيونه بها فقال المأمون هذه أمور أخبر الرأي عنها وكفاني أنا أن أكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل الى جند الري بالاقوات والاحسان وجمع اليهم من كان بأطرافهم ثم بعث على الري طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق أسعد الخزاعي أبا العباس أميرا وضم اليه القواد والاجناد فنزلها ووضع المسالح والمراصد وبعث الامين عصمة بن حماد بن سالم الى همذان في ألف رجل وأمره أن يقيم بهمذان ويبعث مقدمته الى ساوة

(خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله)

ثم جهز الامين علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان لحرب المأمون يقال دس بذلك

الفضل بن سهل العين له عند الفضل بن الربيع فأشار به عليهم لما فى نفوس أهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدوا فى حربه ويقال حرّض أهل خراسان على الكتب الى ابن ماهان ومخادعته ان جاء فأمره الامين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمذان وقم واصبهان وسائر كور الجبل حربا وخراجا وحكمه فى الخزائن وأعطاه الاموال وجهز معه خمسين ألف فارس وكتب الى أبى دلف القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى وهلال ابن عبد الله الحضرمى فى الانضمام وركب الى باب زبيدة ليودّعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون أن يوصى به وانه بمنزلة ابنها فى الشفقة والموصلة وناولته قيدا من فضة وقالت له ان سار اليك فقيده به مع المبالغة فى البرّ والادب معه ثم سار على بن عيسى من بغداد فى شعبان وركب الامين يشيعه فى القوّاد والجنود ولم ير عسكر مثل عسكره ولقى السفر بالسابلة فأخبروه انّ طاهرا بالرى يعرض أصحابه وهو مستعدّ للقتال وكتب الى ملوك الديلم وطبرستان يعدهم ويمنيهم وأهدى لهم والاسورة على أن يقطعوا الطرق عن خراسان فأجابوا ونزل أوّل بلاد الرى فأشار عليه أصحابه باذكاء العيون والطلائع والتحصن بالخندق فقال مثل طاهر لا يستعدّ له وهو امّا أن يتحصن بالرى فتثبت اليه أهلها وامّا أن يفرّ اذا قربت منه خيلنا ولما كان من الرى على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر فى لقائه فمالوا الى التحصن بالرى فقال أخاف أن يثبت بنا أهلها وخرج فعسكر على خمسة فراسخ منها فى أقل من أربعة آلاف فارس وأشار عليه أحمد بن هشام كبير جند خراسان أن ينادى بخلع الامين وبيعة المأمون لئلا يخادعه على بن عيسى بطاعة الامين وانه عامله ففعل وقال على لاصحابه بادروهم فانهم قليل ولا يصبرون على حدّ السيوف وطعن الرماح وأحكم تعبية جنده وقدّم بين يديه عشر رايات مع كل راية ألف رجل وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوبا وعبى طاهر أصحابه كراديس وحرّضهم وأوصاهم وهرب من أصحاب طاهر جماعة فجلدهم علىّ أهانهم فأقصر الباقون وجدّوا فى قتاله وأشار أحمد بن هشام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح ويذكر على بن عيسى بها فنكثه ثم اشتدّ القتال وحملت ميمنة على فانهزمت ميسرة طاهر وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها واعتمد طاهر القلب فهزموهم ورجعت المجنبتان منهزمة وانتهت الهزيمة الى على وهو ينادى بأصحابه فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه الى طاهر وحمل شلوه على خشبة وألقى فى بئر بأمر طاهر واعتق طاهر جميع غلمانه شكرا لله وتمت الهزيمة واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين واقفوهم فيها اثنى عشرة مرّة يقتلونهم فى كلها ويأسرونهم حتى جنّ الليل بينهم ورجع طاهر الى الرى وكتب الى الفضل كتابى الى أمير

المؤمنين ورأس على بين يدى وخاتمه فى اصبعى وجنده متصرفون تحت أمرى والسلام وورد الكتاب على البريد فى ثلاثة أيام فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالفتح ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة ووصل رأس على بعدها بيومين وطيف به فى خراسان ووصل الخبر الى الامين بقتل على وهزيمة العسكر فأحضر الفضل ابن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم فقبض ما بيده من ضياعه وغلاته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وصاه بها وندم الامين على فعله وسعت الجند والقواد فى طلب الارزاق فهم عبد الله بن حاتم بقتالهم فمنعه الامين وفرق فيهم أموالا

(مسير ابن جبلة الى طاهر ومقتله)

ولما قتل على بن عيسى بعث الامين عبد الرحمن بن الانبارى فى عشرين ألف فارس الى همذان وولاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمده بالمال فسار الى همذان وحصنها وجاءه طاهر فبرز اليه ولقيه فهزمه طاهر الى البلد ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهزم الى المدينة وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة وطلب الامان من طاهر وخرج من همذان وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشى من صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه فجهز العسكر على همذان وسار الى قزوين فى ألف فارس ففر عاملها وملكها ثم ملك همذان وسائر أعمال الجبل وأقام عبد الرحمن بن جبلة فى أمانه ثم أصاب منه بعض الايام غرة فركب وهجم عليه فى عسكر فقاتله طاهر أشد القتال حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلهم بعبد الله وأحمد ابنى الحريشى فى عسكر عظيم بعثهما الامين مددا لعبد الرحمن فانهزموا جميعا الى بغداد وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه الى حلوان فخندق بها وجمع أصحابه

(بيعة المأمون)

وأمر المأمون عندها بأن يخطب له على المنابر ويخاطب بأمير المؤمنين وعقد للفضل ابن سهل على المشرق كله من جبل همذان الى البيت طولا ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضا وجعل له عمالة ثلاثة آلاف ألف درهم وعقد له لواء ذا شعبتين ولقبه ذا الرياستين يعنى الحرب والعلم وحمل اللواء على بن هشام وحمل العلم نعيم بن حازم وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج

(ظهور السفيانى)

هو على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العميطر لانه زعم أنها كنية الحردون فلقبوه بها وكانت أمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب

وكان يقول أنا ابن شيخي صفين يعني عليا ومعاوية وكان من بقايا بني أمية بالشأم وكان من أهل العلم والرواية فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين وأعانه الخطاب بن وجه العلس مولى بني أمية كان متغلبا على صيدا فملك دمشق من يد سليمان ابن المنصور وكان أكثر أصحابه من كلب وكتب الى محمد بن صالح بن بيهس يدعوه ويتهدده فأعرض عنه وقصد السفياني القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح فجاءهم في ثلثمائة فارس من الصبات ومواليه وبعث السفياني يزيد بن هشام للقائهم في اثني عشر ألفا فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم ثم جمع جمعا مع ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فانهزموا وقتل القاسم وبعث برأسه الى الامين ثم جمع جمعا آخر وخرجوا مع مولاه المعتمر فانهزموا وقتل المعتمر فوهن أمر السفياني وطمعت فيه قيس ثم انّ ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة وقال لهم تولوه وكيدوا به السفياني فانكم لا تثقون بأهل بيته وعاد ابن بيهس الى حوران واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه فقتل منهم وجمع مواليه ودخل على السفياني فقيده وحبس رؤساء بني أمية وأدنى القيسية وجعلهم بطانة وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء الى دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية في محرّم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة والسفياني الى المزة وملك ابن بيهس دمشق الى أن قدم عبد الله بن طاهر دمشق وسار الى مصر ثم عاد اليها فاحتمل ابن بيهس معه الى العراق ومات بها

* (مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال) *

ولما قتل عبد الرحمن بن جبلة أرسل الفضل بن الربيع عن أسد بن يزيد بن مزيد ودعاه لحرب طاهر بعد أن ولي الامين الخلافة وشكر لاسد فضل الطاعة والنصيحة وشدة البأس ويمن التقية وطلب منه أرزاق الجند من المال لسنة وألف فرس تحمل من معه بعد ازاحته عللهم بالاموال وأن لا يطلب بحسبان ما يفتتح فقال قد أشططت ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب ودخل على الامين فأمر بحبسه وقيل انه طلب ولدي المأمون كانا عند أمّهما ابنة الهادي ببغداد يحملهما معه فان أطاعه المأمون والا قتلهما فغضب الامين لذلك وحبسه واستدعى عبد الله بن حميد بن قحطبة فاشتط كذلك فاستدعى أحمد مزيد واعتذر له عن حبس أسد وبعثه لحرب طاهر وأمر الفضل بأن يجهز له عشرين ألف فارس وشفع في أسد ابن أخيه فأطلقه ثم سار وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفا أخرى وانتهوا الى حلوان وأقاموا وطاهر بموضعه ودس الجرجفين في عسكرهم بأنّ العطاء والمنع ببغداد

والجند يقبضون أرزاقهم حتى مشى الجند بعضهم الى بعض واختلفوا واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء وتقدم طاهر فنزل حلوان وجاءه هرثمة فى جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم الى هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدم الى الاهواز ففعل ذلك

(أمر عبد الملك بن صالح وموته)

قد تقدم لنا حبس عبد الملك بن صالح الى أن مات الرشيد وأخرجه الامين ولما كان أمر طاهر جاء عبد الملك الى الامين وأشار عليه بأن يقدم أهل الشأم لحربه فهم اجرأ من أهل العراق وأعظم نكاية فى العدو وضمن طاعتهم بذلك فولاه الامين أهل الشأم والجزيرة وقواه بالمال والرجال واستحثه فسار الى الرقة وكاتب أهل الشأم فتسالموا اليه فأكرمهم وخلع عليهم وكثرت جموعه ثم مرض واشتد مرضه ووقعت فتنة فى عسكره بين الخراسانيين وأهل الشأم بسبب دابة أخذت لبعضهم فى وقعة سليمان ابن أبى جعفر وعرفها عند بعض أهل الشأم فاقتتلوا وأرسل اليهم عبد الملك بالقتل فلم يقتلوا وكثر القتل وأظهر عبد الملك النصرة للشاميين وانتقض الحسين بن على للخراسانيين وتنادى الناس بالرجوع الى بلادهم فمضى أهل حمص وقبائل كلب فانهزم أهل الشأم وأقام عبد الملك بن صالح بالرقة توفى بها

(خلع الامين واعادته)

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن على فى الجند بالرحيل الى بغداد وقدمها فلقيه القوّاد ووجوه الناس ودخل منزله واستدعاه الامين من جوف الليل فامتنع وأصبح فوافى باب الجسر وأغراهم بخلع الامين وحذرهم من نكثه ثم أمرهم بعبور الجسر فعبروا ولقيه أصحاب الامين فانهزموا وذلك منتصف رجب سنة ست وأخذ البيعة للمأمون من الغد ووثب العباس بن عيسى بن موسى بالامين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ومعه أمّه زبيدة فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم فى بعض وقام محمد بن أبى خالد فنكر استبداد الحسين بخلع الامين وليس بذى منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم وقال أسد الحربى قد ذهب أقوام بخلع الامين فاذهبوا أنتم بفكه يا معشر الحربية فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا ما قتل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف ثم نهضوا الى الحسين وتبعهم أهل الارض فقاتلوه قتالا شديدا وأسروه ودخل أسد الحربى الى الامين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته وأمرهم الامين بلبس السلاح فانتهبه الغوغاء وجىء بالحسين اليه أسرا فاعتذر اليه وأطلقهم وأمره بجمع الجند والمسير الى طاهر وخلع عليه ما وراء

بابه ووقف الناس يهنؤنه بباب الجسر حتى اذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب وركب الجند فى طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤا برأسه الى الامين واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر

(استيلاء طاهر على البلاد)

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير الى الاهواز قدم اليها الحسين بن عمر الرستمى وسار فى أثره وأتته عيونه بأنّ محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الامين فى جند ليحمى الاهواز من أصحاب طاهر فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخارا أخذاه مددا للرستمى ثم أمدّهم بقريش بن شبل ثم سار بنفسه حتى كان قريبا منهم وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم وقد أشار اليه أصحابه بالرجوع الى الاهواز والتحصن بها حتى تأتيه قومه الازد من البصرة فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل باتباعه قبل أن يتحصن بالاهواز فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد الى الاهواز وجاء على أثره فاقتتلوا قتالا شديدا وفرّ أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا وملك طاهر الاهواز وولى على اليمامة والبحرين وعمان ثم سار الى واسط وبها السندى بن يحيى الحريشى والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن حازم فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائدا من قواده الى الكوفة وبها العباس بن الهادى فخلع الامين وبايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر وكذلك فعل المنصور بن المهدى بالبصرة والمطلب بن عبد الله ابن مالك بالموصل وأقرّهم طاهر على أعمالهم وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام بجرجايا ولما بلغ الخبر بذلك الى الامين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرى الى قصر ابن هبيرة فقاتلهم الحرث وداود قتالا شديدا وهزموهم الى بغداد وبعث الامين أيضا الفضل بن موسى على الكوفة فبعث اليه طاهر بن العلاء فى جيش فلقيه فى طريقه فأراد مسالمته بطاعة المأمون كيادا ثم قاتله فانهزم الى بغداد ثم سار طاهر الى المدائن وعليها البرمكى والمدد متصل له كل يوم فقدم قريش بن شبل فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكى فى التعبية فكانت لا تتم له فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضا نحو بغداد وملك طاهر المدائن ونواحيها ثم نزل صرصر وعقد بها جسرا

(بيعة الحجاز للمأمون)

ولما أخذ الامين كتب العهد من مكة وأمر داود بن عيسى وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام فى الناس وذكر نقض العهد وذكرهم ما أخذ الرشيد عليهم من

الميثاق لابنيه فى المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم وأن محمدا بدأ بالظلم والنكث وخلع اخويه وبايع لطفل صغير رضيع وأخذ الكتابين من الكعبة فخرقهما ظلما ثم دعا الى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه ونادى بذلك فى شعاب مكة وخطبهم وكتب الى ابنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله وذلك فى رجب سنة ست وتسعين. وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان الى المأمون وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه وأضاف اليه ولاية عك وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى ابن موسى على الموسم ويزيد بن جرير بن مزيد بن خالد القسرى فى جند كثيف عاملا على اليمن ومروا بطاهر وهو محاصر بغداد فأكرمهم وأقام يريد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه

(حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الامين)

ولما اتصلت بالامين هذه الاحوال وقتل الحسين بن على بن عيسى شمر لحرب طاهر واستعدله وعقد فى شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة شق وأمر عليهم على بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى هرثمة فساروا اليه والتقوا بنواحى النهروان فى رمضان. فانهزموا وأسر قائدهم على بن محمد فبعث به هرثمة الى المأمون وترك النهروان وأقام طاهر بصرصر والجيوش تتعاقب من قبل الامين فيهزمها ثم بذل الامين الاموال ليستفسد بها عساكرهم فسار اليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف ففرق فيهم الاموال وقود جماعة من الحربية ودس الى رؤساء الجند فى عسكر طاهر ورغبهم فشغبوا على طاهر وسار كثير منهم الى الامين وانضموا الى قواد الحربية وقواد بغداد وساروا الى صرصر فعبى أصحابه كراديس وحرضهم ووعدهم ثم تقدم فقاتلهم مليا من النهار وانهزم أصحاب الامين وغنم أصحاب طاهر عسكرهم ولما وصلوا الى الامين فرق فيهم الاموال وقود منهم جماعة ولم يعط المنهزمين شيأ ودس اليهم طاهر واستمالهم فشغبوا على الامين فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهائنهم على الطاعة وأعطاهم الاموال فسار فنزل باب الانبار بقواده وأصحابه واستأمن اليه كثير من جند الامين وثارت العامة وفتقت السجون ووثب الشطار على الاخيار ونزل زهير بن مسيب الضبى من ناحية ونصب المجانيق والعرادات وحفر الخنادق ونزل هرثمة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشماسية ونزل طاهر بباب الانبار فضيق على الامين بمنزله ونفد ما كان بيد الامين من الاموال وأمر ببيع ما فى الخزائن من الامتعة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها فى الجند وأحرق الحديثة فمات بها خلق واستأمن سعد بن مالك بن قادم الى

طاهر فولاه الاسواق وشاطئ دجلة وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب وأمده بالرجال والاموال ووكل الامين بقصر صالح وقصر سليمان ابن المنصور الى دجلة بعض قواده فألح فى احراق الدور والرمى بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك وكثر الخراب ببغداد وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من النواحى ويقاتل من لم يجبه وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بنى هاشم والقواد وعجز الاجناد عن القتال وقام به الباعة والعيارون وكانوا ينهبون أموال الناس واستأمن اليه القائد الموكل بقصر صالح فأمنه وسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية فى جمادى الاخيرة من سنة سبع واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الامين واجتمع العيارون والباعة والاجناد وقاتلوا أصحاب طاهر فى قصر صالح وقتلوا منهم خلقا وكاتب طاهر القواد بالامان وبيعة المأمون فأجابه بنو قحطبة كلهم ويحيى بن على ابن ماهان ومحمد بن أبى العباس الطائى وغيرهم وفشل الامين وفوض الامر الى محمد ابن عيسى بن نهيك والى الحسن الهرش ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك الفتنة وأجفل الناس من بغداد وافترقوا فى البلاد ولما وقع بطاهر فى قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع فى هدم المبانى وتخريبها ثم قطع الميرة عنهم وصرف السفن التى تحمل فيها الى الفرات فغلت الاسعار وضاق الحصار واشتد كلب العيارين فهزموا عبيد الله ابن الوضاح وغلبوه على الشماسية وجاء هرثمة ليعينه فهزموه أيضا وأسروه ثم خلصه أصحابه وعقد طاهر جسرا فوق الشماسية وعبر اليهم وقاتلهم أشد قتال فردهم على أعقابهم وقاتل منهم بشرا كثيرا وعاد ابن الوضاح الى مركزه وأحرق منازل الامين بالخيزرانية وكانت النفقة فيها بلغت عشرين ألف درهم وأيقن الامين بالهلاك وفر منه عبد الله بن حازم بن خزيمة الى المدائن لانه اتهمه وحمل عليه السفلة والغوغاء ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه فخرج عن الامين وقصد الهرش ومن معه جزيرة العباس من نواحى بغداد فقاتلهم بعض أصحاب طاهر وهزموهم وغرق منهم خلق كثير وضجر الامين وضعف أمره وسار المؤتمن بن الرشيد الى المأمون فولاه جرجان وكاتب طاهر خزيمة بن حازم ومحمد بن على بن موسى بن ماهان وأدخلهما فى خلع الامين فأجاباه ووثبا آخر محرم من سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة وخلعا الامين وبعث الى هرثمة وكان بازائهما فسار اليهما من ناحيته ودخل عسكر المهدى وملكه وقدم طاهر من الغد الى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم وملكهما عنوة ونادى بالامان ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر الوضاح وأحاط بمدينة المنصور وقصر زبيدة وقصر الخلد من باب الجسر الى باب البصرة وشاطئ الصراة الى مصبها فى دجلة

ونصب عليها المجانيق واعتصم الامين فى أمّه وولده بمدينة المنصور واشتد عليه الحصار وثبت معه حاتم بن الصقر والحريشى والافارقة وافترق عامة الجنود والخصيان والجوارى فى الطرق وجاء محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقى الى الامين وقالا له بقى من خيلك سبعة آلاف فرس نختار سبعة آلاف فنجعلهم عليها ونخرج على بعض الابواب ولا يشعر بنا أحد ونلحق بالجزيرة والشأم فيكون ملك جديد وربما مال اليك الناس ويحدث الله أمرا فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر فكتب الى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندى بن شاهك يتهددهم ان لم يصرفوه عن ذلك الرأى فدخلوا على الامين وحذروه من ابن الصقر وابن الاغلب أن يجعل نفسه فى أيديهم فيتقربوا به الى طاهر وأشاروا عليه بطلب الامان على يد هرثمة بن أعين والخروج اليه وخالفهم اليه ابن الصقر وابن الاغلب وقالوا له اذا ملت الى الخوارج فطاهر خير لك من هرثمة فأبى وتطير من طاهر وأرسل الى هرثمة يستأمنه فأجابه أنه يقاتل فى أمانة المأمون فمن دونه وبلغ ذلك طاهرا فعظم عليه أن يكون الفتح لهرثمة واجتمع هو وقوّاده لهرثمة وقوّاده فى منزل خزيمة بن حازم وحضر سليمان والسندى وابن نهيك وأخبروا طاهرا انه لا يخرج اليه أبدا وانه يخرج الى هرثمة ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وهو الخلافة فرضى ثم جاءه الهرش وأسرّ اليه انهم يخادعونه وانهم يحملونها مع الامين الى هرثمة فغضب وأعدّ رجالا حول قصور الامين وبعث اليه هرثمة لخمس بقين من محرّم سنة ثمان وتسعين بأن يتربص ليلة لانه رأى أولئك الرجال بالشط فقال قد افترق عنى الناس ولا يمكننى المقام لئلا يدخل على طاهر فيقتلنى ثم ودّع ابنيه وبكى وخرج الى الشط وركب حراقة هرثمة وجعل هرثمة يقبل يديه ورجليه وأمر بالحراقة أن تدفع واذا بأصحاب طاهر فى الزواريق فشدّوا عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشاب فلم يرجعوا ودخل الماء الى الحراقة فغرقت قال أحمد بن سالم صاحب المظالم فسقط الامين وهرثمة وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة وأخرجه وشق الامين ثيابه قال وخرجت الى الشط فحملت الى طاهر فسألنى عن نفسى فانتسبت وعن الامين فقلت غرق فحملت الى بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم مالا فاديتهم به على نفسى فبعد ساعة من الليل فتحوا علىّ الباب وأدخلوا على الامين عريان فى سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة فاسترجعت وبكيت ثم عرفنى فقال ضمنى اليك فانى أجد وحشة شديدة فضممته وقلبه يخفق فقال يا أحمد ما فعل أخى فقلت حىّ قال قبح الله بريدهم كان يقول قد مات يريد بذلك العذر عن محاربته فقلت بل قبح الله وزراءك فقال تراهم يفون لى بالامان قلت نعم ان شاء الله ثم دخل محمد بن حميد

الطاهري فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من العجم منتضين سيوفهم فدافع عن نفسه قليلا ثم ذبحوه ومضوا برأسه الى طاهر ثم جاؤا من السحر فأخذوا جثته ونصب طاهر الرأس حتى رآه الناس ثم بعث به الى المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح فلما رآه المأمون سجد ولما قتل الامين نادى طاهر بالامان ودخل المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الامين ووكل بحفظ القصور الخلافية وأخرج زبيدة أم الامين وابنيه موسى وعبد الله الى بلاد الزاب الاعلى ثم أمر بحمل الولدين الى المأمون وندم الجند على قتله وطالبوا طاهرا بالاموال فارتاب بجند بغداد وبجنده أنهم تواطؤا عليه وثاروا به لخمس من قتل الامين فهرب الى عقرقوبار معه جماعة من القواد ثم تعبى لقتالهم فجاؤا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والاحداث فصفح عنهم وتوعدهم ان يعودوا لمثلها وأعطاهم أربعة أشهر واعتذر اليه مشيخة بغداد وحلفوا أنهم لم يدخلوا الجند في شيء من ذلك فقبل منهم ووضعت أهل الحرب أوزارها واستوسق الامر للمأمون في سائر الاعمال والممالك ثم خرج الحسن الهرش في جماعة من السفلة واتبعه كثير من بوادي الاعراب ودعا الى الرضا من آل محمد وأتى النيل فجبى الاموال ونهب القرى وولى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن فقدم سنة تسعة وتسعين وفرق العمال وولى طاهرا على الجزيرة والموصل والشام والمغرب وأمره أن يسير الى قتال نصر بن شبيب وأمر هرثمة بالمسير الى خراسان وكان نصر بن شبيب من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر في كيسوم شمالي حلب وكان له ميل الى الامين فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة وغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وعبر الى شرقي العراق وحصر حران وسأل منه شيعة الطالبيين أن يبايعوا لبعض آل علي لما رأوه من بني العباس ورجالهم وأهل دولتهم وقال والله لا أبايع أولاد السوداوات فيقول انه خلقني ورزقني قالوا فبعض بني أمية قال قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل ولو سلم علي رجل مدبر لاعداني بادباره وانما هواي في بني العباس وانما حاربتهم لتقديمهم العجم على العرب ولما سار اليه طاهر نزل الرقة وأقام بها وكتب اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه وجاء الخبر الى طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زريق بن مصعب بخراسان وأن المأمون حضر جنازته ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه وبعد قتل الامين كانت الوقعة بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان علي بن الحسن الهمداني متغلبا على الموصل فعسف

بالترارية وسار عثمان بن نعيم البرجى الى ديار مصر وشكا الى أحيائهم واستنفرهم فسار معه من مصر عشرون ألفا وأرسل اليهم علىّ بن الحسن بالرجوع الى ما يريدون فأبى عثمان فخرج علىّ فى أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى البلد

* (ظهور ابن طباطبا العلوى) *

لما بعث المأمون الحسن بن سهل الى العراق وولاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والاعمال تحدث الناس أنّ الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبد عليه وحجبه عن أهل بيته وقواده فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة وكان أبو السرايا السرى بن منصور يذكر أنه من بنى شيبان من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود وقيل من بنى تميم بالجزيرة وطلب فعبر الى شرقى الفرات وأقام هنالك يخيف السابلة ثم لحق بيزيد بن مزيد بارمينية فى ثلاثين فارسا فقوده وقاتل معه الخرمية وأسر منهم وأخذ منهم غلامه أبا الشوك ومات يزيد بن مزيد فكان مع ابنه اسد وعزل أسد فسار الى أحمد بن مزيد ولما بعث الامين احمد بن مزيد لحرب هرثمة بعثه طليعة الى عسكره فاستماله هرثمة فمال اليه ولحق به وقصد بنى شيبان مع الجزيرة واستخرج لهم الارزاق من هرثمة واجتمع اليه أزيد من ألفى فارس فلما قتل الامين نقص هرثمة عن أرزاقهم فغضب واستأذن فى الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها فى أصحابه ومضى وأوصاهم باتباعه فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار الى عين النمر فأخذوا عاملها وقسموا ماله ولقوا عاملا آخر بمال موقور على ثلاثة أنفار فاقتسموه وأرسل هرثمة عسكرا خلفه فهزمهم ودخل البرية ولحق به من تخلف من أصحابه فكثر جمعه وسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة فى سبعمائة فارس فخرج وقاتله فهزمه ورجع الى القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الامان وأخذ أمواله وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروى مولى المنصور فقتله وأخذ ما فيها وعاد اليها عند ادراك الغلال فافتتحها ثم قصد الرقة ومرّ بطوق بن مالك الثعلبى فاستجاشه على قيس فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيسا بعصبية ربيعة حتى انقادت قيس الى طوق وسار أبو السرايا الى الرقة فلقى محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على وتلقب أبوه ابراهيم طباطبا فدعاه الى الخروج وأنفذ الى الكوفة فدخلاها وبايعهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد ونهب أبو السرايا قصر العباس بن موسى بن عيسى وأخذ ما فيه من الاموال والجواهر ما لا يحصى وذلك منتصف جمادى الاخيرة سنة تسعة وتسعين وقيل انّ أبا السرايا مطله هرثمة بارزاق أصحابه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا ولما ملك الكوفة هرع اليه

الناس والاعراب من النواحى فبايعوه وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن ابن سهل فبعث اليه زهير بن المسيب الضبى فى عشرة آلاف وخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتا فنصب أبو السرايا مكانه غلاما من العلوية وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن على بن الحسين واستبد عليه ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوس ابن محمد بن خالد المروزوذى فى أربعة آلاف فلقيه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشا الى البصرة وواسط وولى على البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفرى وعلى مكة الحسين الافطس بن الحسين بن على زين العابدين وجعل اليه الموسم وعلى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق وعلى فارس اسمعيل بن موسى بن جعفر الصادق وعلى الاهواز زيد بن موسى الصادق فسار الى البصرة وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن المثنى الى المدائن وأمره أن يأتى بغداد من الجانب الشرقى ففعل وكان بواسط عبد الله بن سعد الحرشى من قبل الحسن بن سهل ففر امامهم وبعث الحسن بن سهل الى هرثمة يستدعيه لحرب ابى السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضبا له فرجع بعد امتناع وسار الى الكوفة فى شعبان وبعث الحسن الى المدائن وواسط على بن أبى سعيد وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة فوجه جيشا الى المدائن فملكوها فى رمضان وتقدم فنزل نهر صرصر وعسكر هرثمة بازائه غدوة وسار على بن أبى سعيد فى شوّال المدائن فحاصر بها أصحاب أبى السرايا ورجع هو من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة وهرثمة وأتباعه ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز الى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بنى العباس وشيعتهم فنهبوها وخربوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على فلما بلغه قدوم حسين الافطس جمع شيعة بنى العباس وكان مسرور الكبير قد حج فى مائة فارس فتعبى للحرب ودعا داود الى حربهم فقال لا أستحل ذلك فى الحرم وخرج الى العراق وتبعه مسرور وكان حسين الافطس بسرف يخاف دخول مكة فبلغه الخبر بنى العباس عنها فدخل فى عشرة أنفس وطاف وسعى ووقف بعرفة ليلا وأتم الحج وأقام هرثمة بنواحى الكوفة يحاصرها واستدعى منصور بن المهدى وكاتب رؤساء الكوفة وسار على بن سعيد من المدائن الى واسط فملكها ثم توجه الى البصرة واشتد الحصار على أبى السرايا بالكوفة فهرب عنها فى ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذى نصبه وهو محمد بن جعفر بن محمد ودخلها هرثمة

منتصف محرم فأقام بها يوما وولى عليها غسان صاحب الحرس بخراسان وعاد وقصد أبو السرايا القادسية وسار منها الى السوس ولقى بخراسان مالا حمل من الاهواز فقسمه فى أصحابه وكان على الاهواز الحسن بن على المأمونى فخرج اليه فقاتله فهزمه وافترق أصحابه وجاء الى منزله برأس عين من جلولاء ومعه صاحبه محمد وغلامه أبو الشوك فظفر بهم حماد الكندغوش وجاء بهم الى الحسن بن سهل فى النهروان فقتل أبا السرايا وبعث برأسه الى المأمون وبصاحبه محمد معه ونصب شلوه على جسر بغداد وسار على بن أبى سعيد الى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق وكان يسمى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم فاستأمن اليه زيد فأمنه وأخذه وبعث الجيوش الى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين وكان ابراهيم بن موسى بن جعفر بمكة فلما بلغه خبر أبى السرايا ومقتله ولى وسار الى اليمن وبها اسحق بن موسى بن عيسى فهرب الى مكة واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة قتله وفتكه ثم بعث رجلا من ولد عقيل بن أبى طالب الى مكة ليحج بالناس وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم فى جماعة من القواد فيهم حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان واليا على اليمن من قبل الحسن بن سهل فخام العقيلى عن لقائهم واعترض قافلة الكسوة فأخذها ونهب أموال التجار ودخل الحاج الى مكة عراة فبعث الجلودى من القواد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم وتفقد أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وضرب الاسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم وحج المعتصم بالناس

(بيعة محمد بن جعفر بمكة)

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ويلقب الديباجة وكان عالما زاهدا ويروى عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه ولما ملك الحسين الافطس مكة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة وتتبع ودائع بنى العباس وجعلها ذريعة لاخذ أموال الناس فخرجوا من مكة وقلع أصحابه شبابيك الحرم وقلع ما على الاساطين من الذهب واستخرج ما كان فى الكعبة من المال فقسمه فى أصحابه وساء أثره فى الناس فلما قتل أبو السرايا تنكروا له فخشى على نفسه فجاء الى محمد بن جعفر ليبايع له بالخلافة فلم يزل به هو وابنه حسن واستعانا عليه بابنه على حتى بايعوه ودعوه بأمير المؤمنين واستبد عليه ابنه على وابن الافطس بأسوأ مما كان قبل وأفحشوا فى الزنا واللواط واغتصاب النساء والصبيان فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرد اليهم ابن القاضى كان مغتصبا ببيت ابنه على فاستأمنهم حتى ركب الى بيت ابنه وسلم اليهم الغلام وجاء اسحق بن موسى بن عيسى

من اليمن فاجتمع الناس وخندقوا مكة وقاتلهم اسحق وامتنعوا عليه فسار نحو العراق ولقى الجند الذين بعثهم هرثمة الى مكة مع الجلودى ورجاء بن جميل وهو ابن عم الحسين بن سهل فرجع بهم وقاتل الطالبيين فهزمهم وافترقوا واستأمن اليه محمد بن جعفر فامنه وملك مكة وسار محمد بن جعفر الى الجحفة ثم الى بلاد جهينة فجمع وقاتل هرون بن المسيب والى المدينة فانهزم محمد وفقئت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع الى موضعه ولما انقضى الموسم استأمن الجلودى ورجاء بن جميل فأمناه ودخل مكة وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح انه حى وخلع نفسه وسار الى الحسن والى المأمون بمرو فلم يزل عنده الى أن سار المأمون الى العراق فمات بجرجان فى طريقه

(مقتل هرثمة)

لما فرغ هرثمة من أبى السرايا رجع وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يعرج عليه وسار على عقرقوفا الى النهروان قاصدا خراسان ولقيته كتب المأمون متلاحقة أن يرجع الى الشأم والحجاز فأبى الا لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه وكان قصد أن يطلع المأمون على حال الفضل بن سهل فى طيه الاخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك وباستبداده عليه ومقامه بخراسان وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون وألقى اليه أنه سلط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معاندا سيء القالة وان سومح فى ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون وبقى فى انتظاره ولما بلغ مرو وقرع طبوله يسمعها لئلا يطوى خبره عن المأمون وسأل المأمون عنها فقيل هرثمة أقبل يرعد ويبرق فاستدعاه وقال هرثمة مالأت العلويين وأبا السرايا ولو شئت اهلاكهم جميعا لفعلت فذهب يعتذر فلم يمهله وأمر فديس بطنه وشدخ أنفه وسحب الى السجن ثم دس اليه من قتله

(انتقاض بغداد على الحسن بن سهل)

ولما بلغ خبر هرثمة الى العراق كتب الحسن بن سهل الى على بن هشام والى بغداد من قبله أن يتعالل على الجند الحربية والبغداديين فى أرزاقهم لانه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة انهم عازمون على خلعه وطرد عماله وولوا عليهم اسحق بن الهادى خليفة المأمون فلم يزل الحسين يتلطف اليهم ويكاتبهم حتى اختلفوا فأزل على بن هشام ومحمد ابن أبى خالد فى أحد جانبيها وزهير بن المسيب فى الجانب الآخر وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذه على بن أبى سعيد بالبصرة وحبسه كما ذكرناه قبل فهرب من محبسه وخرج بناحية الانبار ومعه أخ لابى السرايا ثم تلاشى أمره وأخذو الى على بن هشام ثم جاء خبر هرثمة وقد

انتقض محمد بن أبى خالد على على بن هشام بما كان يستحق به وغضب يوما مع زهير بن المسيب فقنعه بالسوط فسار الى الحربية ونصب لهم الحرب وانهزم على بن هشام الى صرصر وقيل ان ابن هشام أقام الحد على عبد الله بن على بن عيسى فغضب الحربية وأخرجوه واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه فانهزم الى واسط أول سنة احدى ومائتين والفضل بن الربيع وقد ظهر من اختفائه من لدن الامين وجاء عيسى ابن محمد بن أبى خالد من الرقة من عند طاهر فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرض للقائهم من أصحابه وكان زهير بن المسيب عاملا للحسن على جوخى من السواد وكان يكاتب بغداد فركب اليه محمد بن أبى خالد وأخذه أسيرا وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر ثم تقدم الى واسط وبعث ابنه هرون الى النيل فهزم نائب الحسن بها الى الكوفة فلحق بواسط ورجع هرون الى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها وأقام الفضل بن الربيع مختفيا بها واستأمن لمحمد وبعثه الى بغداد وسار الى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن الى تمام الصلح ثم لحقوا بجرجايا ووجه محمدا بن ابنه هرون الى فأقام بها وسار محمدا بن ابنه أبو رتيل وهو جريح الى بغداد فمات بها ودفن فى داره سرا ومحمد أبو رتيل الى زهير بن المسيب فقتله من ليلته وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد وبعث الى عيسى بن محمد بأن يتولى حرب الحسن مكان أبيه وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره الى هرون بالنيل فغلبوا وانتهبوها ولحق هرون بالمدائن ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدى على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافا عن الحسن بن سهل وقيل ان الحسن لما ساعد أهل بغداد عيسى بن محمد بن أبى خالد على حربه خام عنه فلاطفه ووعده بالمصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية النواحى فقبل وطلب خط المأمون بذلك وكتب الى أهل بغداد انى شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بنى هاشم فولوا المنصور ابن المهدى وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وبعث منصور غسان بن الفرج الى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسى من قواد الحسن بن سهل وأخذه أسيرا ونزل النيل فبعث منصور بن محمد بن يقطين فى العساكر الى حميد فلقيه حميد بكوثا فهزمه وقتل من أصحابه ونهب ما حول كوثا ورجع الى النيل وأقام ابن يقطين بصرصر

(أمر المطوعة)

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدت أيدى الدعاوى باذاية الناس فى أموالهم وأفشى

المناكير فيهم وتعذر ذلك فخرجوا الى القرى فانتهبوها واستعدى الناس أهل الامر فلم يغدوا عليهم فتمشى الصلحاء من عمل ريظ وكل بينهم ورأوا أنهم فى كل درب قليلون بالنسبة الى خيارهم فاعتزموا على مدافعتهم واشتد خالد المدريوش من أهل بغداد فدعا جيرانه وأهل محلته الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن يغيروا على السلطان فشد على من كان عندهم من ادعار وحبسهم ورفعهم الى السلطان وتعدى ذلك الى غير محلته ثم قام بعده سهل بن سلامة الانصارى من الحريشية من أهل خراسان ويكنى أباحاتم فدعا الى مثل ذلك والى العمل بالكتاب والسنة وعلق فى عنقه مصحفا وعبر على العامة وعلى أهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف وبلغ خبرهما الى منصور بن المهدى وعيسى بن محمد بن أبى خالد فنكروا ذلك لان أكثر الدعار كانوا يشايعونهم على أمرهم فدخلوا بغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الامان له ولاهل بغداد وانتظروا كتاب المأمون ورضى أهل البلد بذلك فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل

(العهد لعلى الرضا والبيعة لابراهيم بن مهدى)

ولما بلغ اهل بغداد أن المأمون قد بايع بالعهد لعلى بن موسى الكاظم ولقبه الرضا من آل محمد وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق وكتب الحسن ابن سهل الى عيسى بن محمد بن أبى خالد ببغداد يعلمه بذلك فى رمضان من سنة احدى ومائتين وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبنى هاشم بذلك فأجاب بعض وامتنع بعض وكبر عليهم اخراج الخلافة من بنى العباس وتولى كبر ذلك منصور وابراهيم ابنا المهدى وشايعهم عليه المطلب بن عبد الله بن مالك والسدى ونصر الوصيف وصالح صاحب المصلى ومنعوا يوم الجمعة من نادى فى الناس بخلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدى ومن بعده لاسحق بن الهادى ثم بايعوه فى المحرم سنة اثنتين ومائتين ولقبوه المبارك ووعد الجند بارزاق ستة أشهر واستولى على الكوفة والسواد وخرج فعسكر بالمدائن وولى بها على الجانب الغربى العباس بن الهادى وعلى الجانب الشرقى اسحق ابن الهادى وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملا للحسن بن سهل ومعه القواد سعيد بن الساحور وأبو البط وغسان بن الفرج ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب كانوا منحرفين عن حميد فداخلوا ابراهيم بن الهادى فى أن يهلكوه فى قصر ابن هبيرة وشعر بذلك الحسن بن سهل فاستقدم حميدا وخلا لهم الجو منه فبعث ابراهيم بن المهدى عيسى بن محمد بن أبى خالد وملك قصر ابن هبيرة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجواريه ثم عاد الى الكوفة فاستعمل عليها العباس بن موسى الكاظم وأمره أن

يدعو لاخيه فامتنع غلاة الشيعة من اجابته وقالوا الاحاجة لنا بذكر المأمون وقعدوا عنه وبعث ابراهيم بن المهدى من القواد سعيدا وأبا البط لقتاله فسرح اليهم العباس بن عمه وهو على بن محمد الديباجة فانهزم ونزل سعيد وأبو البط الحيرة ثم تقدموا القتال أهل الكوفة وقاتلهم شيعة بنى العباس ومواليهم ثم سألوا الامان للعباس وخرجوا من داره ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى وبلغ الخبر الى سعيد بالحيرة بان العباس قد نقض ورجع عن الامان فركب وجاء الى الكوفة وقتل من ظفر به ولقيه أهلها فاعتذروا اليه بان هذا فعل الغوغاء وان العباس باق على عهده ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالامان وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندى ثم عزلوه وولوا مكانه غسان بن الفرج فقتل أخا السرايا ثم عزلوه وولوا الهول ابن أخى سعيد القائد وقدم حميد بن عبد الحميد لحربهم بالكوفة فهرب الهول وبعث ابراهيم بن المهدى بن عيسى بن محمد بن أبى خالد لحصار الحسن بواسط على طريق النيل وكان الحسن متحصنا بالمدينة فسرح أصحابه لقتالهم فانهزموا وغنم عسكرهم ورجع عيسى الى بغداد فقاتل سهل بن سلامة المطوع حتى غلبه على منزله فاختفى فى عمار النظار وأخذوه بعد ليال وأتوا به اسحق فقال كل ما كنت أدعو اليه باطل فقالوا اخرج فأعلم الناس بذلك فخرج وقال قد كنت أدعوكم الى الكتاب والسنة ولم أزل على ذلك فضربوه وقيدوه وبعثوا به الى ابراهيم المهدى فضربه وحبسه وظهر أنه قتل فى محبسه خفية لسنة من قيامه ثم أطلقه فاختفى الى أن انقرض أمر ابراهيم وزحف حميد بن عبد الحميد سنة ثلاث ومائتين الى قتال ابراهيم بن المهدى وأصحابه وكان عيسى ابن محمد بن أبى خالد هو المتولى لقتالهم بأمر ابراهيم فداخلهم فى الغدر بابراهيم وصار يتعلل عليه فى المدافعة عنه ونمى ذلك الى ابراهيم بن هرون أخى عيسى فتنكر له ونادى عيسى فى الناس بمسالمة حميد فاستدعاه ابراهيم وعاتبه بذلك فأنكر واعتذر فأمر به فضرب وحبس عدة من قواده وأفلت العباس خليفته فمشى بعض الناس الى بعض ووافقوا العباس على خلع ابراهيم وطردوا عامله من الجسر والكرخ وثار الرعاع والغوغاء وكتب العباس الى حميد يستقدمه ليسلم اليه بغداد ونزل صرصر وخرج اليه العباس والقواد وتواعدوا الخلع ابراهيم على أن يدفع لهم العطاء وبلغ الخبر الى ابراهيم فأخرج عيسى واخوته وسأله قتال حميد فامتنع ودخل حميد فصلى الجمعة وخطب للمأمون وشرع فى العطاء ثم قطعه عنهم فغضب الجند وعاود ابراهيم سؤال عيسى فى قتال حميد ومدافعته فقاتل قليلا ثم استأسر لهم وانفض العسكر راجعين الى ابراهيم وأقبل حميد فنزل فى وسط المدينة وتسلل أصحاب ابراهيم الى المدائن فملكوها وقاتل

بقيتهم حميد وكان الفضل بن الربيع مع ابراهيم فتحوّل الى حميد وكاتب المطلب بن عبد الله بن مالك بأن يسلموه اليه وكان سعيد بن الساجور والبط وغيرهم من القوّاد يكاتبون على بن هشام بمثل ذلك ولما علم ابراهيم بما اجتمعوا عليه أقبل على مداراتهم الى أن جنّ الليل ثم تسرّب فى البلد واختفى منتصف ذى الحجة من سنة ثلاث وبلغ الخبر الى حميد وعلى بن هشام فأقبلوا الى دار ابراهيم فلم يجدوه وذلك لسنتين من بيعته وأقام على بن هشام على شرقى بغداد وحميد على غربيها وأظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو اليه فقربه حميد ووصله

*(قدوم المأمون الى العراق) *

لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه على المأمون ثم من العهد لعلى الرضا بن موسى الكاظم واخراج الخلافة من بنى العباس وكان الفضل بن سهل يطوى ذلك عن المأمون ويبالغ فى اخفائه حذرا من أن يتغير رأى المأمون فيه وفى أخيه ولما جاء هرثمة للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك وانّ المأمون يثق بقوله احكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله ولم يصغ الى كلامه فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن وتحدث القوّاد فى عسكر المأمون بذلك ولم يقدروا على ابلاغه فجاؤا الى على الرضا وسألوه انهاء ذلك الى المأمون فأخبره بما فى العراق من الفتنة والقتال وانهم بايعوا ابراهيم بن المهدى فقال المأمون انما جعلوه أميرا يقوم بأمرهم فقال ليس كذلك وانّ الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه وانّ الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكانى وعهدك لى فقال له المأمون ومن يعلم هذا غيرك فقال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قوادك فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا اليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا وانّ الناس بالعراق يتهمونه بالرفض لعهده الى الرضا وانّ طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع الى الرقة وضعف أمره والبلاد تفتقت من كل جانب وان لم يتدارك الامر ذهبت الخلافة منهم فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع فى عقاب أولئك القوّاد فلم يغنه ولما نزل المأمون شرجبيل وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه فى الحمام وهربوا وجعل المأمون جعلا لمن جاء بهم فجاء بهم العباس ابن الهيثم الدينورى فلما حضروا عند المأمون قالوا له أنت أمرتنا بقتله وقيل بل اختلفوا فى القول فقال بعضهم أمرنا بقتله ابن أخيه وقال آخرون بل عبد العزيز ابن عمران من القوّاد وعلى وموسى وغيرهم وأنكر آخرون فأمر المأمون بقتلهم

وقتل من أقروا عليه من القواد وبعث الى الحسن بن سهل وسار الى العراق وجاءه الخبر بأن الحسن بن سهل أصابته الماليخوليا واختلط فبعث دينارا مولاه ووكله بأمور العسكر وكان ابراهيم بن المهدى وعيسى بالمدائن وأبو البط وسعيد بالنيل والحرب متصلة بينهم والمطلب بن عبد الله بن مالك قد اعتل بالمدائن فرجع الى بغداد وجعل يدعو الى المأمون سرا والى خلع ابراهيم وأن يكون منصور بن المهدى خليفة للمأمون وداخله فى ذلك خزيمة بن خازم وغيره من القواد وكتب الى على بن هشام وحميد أن يتقدما فنزل حميد نهر صرصر وعلى النهروان وعاد ابراهيم بن المهدى من المدائن الى بغداد منتصف صفر وقبض على منصور وخزيمة ومنع المطلب مواليه فأمر ابراهيم بنهب داره ولم يظفر ونزل حميد وعلى بن هشام المدائن وأقاما بها وزوج المأمون فى طريقه ابنته من على الرضا وبعث أخاه ابراهيم بن موسى الكاظم على الموسم وولاه اليمن وكان به حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه ولما نزل المأمون مدينة طوس مات على الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب أكله وبعث المأمون الى الحسن بن سهل بذلك والى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده اليه وانه قد مات ويدعوهم الى الرجوع لطاعته ثم سار الى جرجان وأقام بها أشهرا وعقد على جرجان لرجاء بن أبى الضحاك قاعدا وراء النهر ثم عزله سنة أربع وعقد لغسان ابن عباد من قرابة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروبان ودهارير ثم عزله بطاهر كما نذكره ثم سار الى النهروان فلقيه أهل بيته وشيعته والقواد ووجوه الناس وكان قد كتب الى طاهر أن يوافيه بها فجاء من الرقة ولقيه هنالك وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربع فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطئ دجلة وبقى القواد فى العسكر وانقطعت الفتن وبقى الشيعة يتكلمون فى لبس الخضرة وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوائجه فأول شئ سأل لبس السواد فأجابه وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود واستقامت الامور

كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بين بنى شامة وبنى ثعلبة وكان على ابن الحسن الهمدانى متغلبا عليها فى قومه فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فأمرهم بالخروج الى البرية ففعلوا وتبعهم بنو شامة فى ألف رجل وحاصروهم بالقوجاء ومعهم بنو ثعلب وبعث على ومحمد اليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بنى شامة وأسروا منهم ومن بنى ثعلب فجاء أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبى الى على فوادعه وسكنت الفتنة ثم ان على بن الحسين سطا بمن كان فى الموصل من الازد عسفا فى الحكم عليهم وقال لهم يوما الحقوا بعمان فاجتمعت الازد الى السيد بن أنس كبيرهم وقاتلوه

وكان فى تلك النواحى مهدى بن علوان من الخوارج فأدخله على بن الحسين وبايعه وصلى بالناس واشتدت الحرب ثم كانت اصرا على علىّ وأصحابه وأخرجهم الازد عن البلد الى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا عليا وأخاه أحمد فى جماعة ولجأ محمد الى بغداد وملك السيد بن أنس والازد الموصل وخطب للمأمون ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيد بن أنس فشكاه محمد بن الحسين بن صالح واستعداه عليه بقتل اخويه وقومه فقال نعم يا أمير المؤمنين ادخلوا الخارجى بلدك وأقاموه على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماءهم

(ولاية طاهر على خراسان ووفاته)

كان المأمون بعد وصوله الى العراق قد ولى طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانبى بغداد والسواد ودخل عليه يوما فى خلوته فأذن له بالجلوس وبكى ففداه فقال المأمون أبكى لامر ذكره ذل وستره حزن وان يخلو أحد من شجن وقضى طاهر حديثه وانصرف وكان حسين الخادم حاضرا فدس اليه على يد كاتبه محمد بن هرون أن يسأل المأمون عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له ان الثناء منى ليس برخيص والمعروف عندى ليس بضائع فغيبى عن غير المأمون فاجابه وركب الى المأمون وفاوضه فى أمر خراسان وانها يخشى عليها من الترك وان غسان بن عباد ليس بكفء لها فقال لقد فكرت فى ذلك فمن ترى يصلح لها قال طاهر بن الحسين قال هو خالع قال أنا ضامنه فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق من حلوان الى خراسان وعسكر من يومه خارج بغداد وأقام شهرا تحمل اليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عبد الله وكان ينوب عن أبيه بالشرطة فضمها الى ابن عمه اسحق بن ابراهيم ابن مصعب وخرج الى عمله ونزل الرقة لقتال نصر بن شبث ثم سار طاهر الى خراسان آخر ذى القعدة سنة خمس ومائتين وقيل فى سبب ولاية طاهر خراسان أن عبد الرحمن المطوع جمع جموعا كثيرة بنيسابور لقتال الحرورية ولم يستأذن غسان بن عباد وهو الوالى على خراسان فخشى أن يكون ذلك من المأمون فاضطرب وتعصب له الحسن بن سهل وخشى المأمون على خراسان فولى طاهرا وسار الى خراسان فأقام بها الى سنة سبع ثم اعتزم على الخلاف وخطب يوما فأمسك عن الدعاء للمأمون ودعا بصلاح الامة وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون بخلعه فدعا بأحمد بن أبى خالد فقال أنت ضمنته فسر وائتنى به ثم جاء من الغد الخبر بموته فقال المأمون لليدين وللفم الحمد لله الذى قدمه وأخرنا وولى طلحة من قبله وبعث اليه المأمون أحمد بن أبى خالد ليقوم بأمره فعبر أحمد

الى ماوراء النهر وافتتح اسروسنه واسر كاووس بن خالد حذو ابنه الفضل و بعث بهما الى المأمون ووهب طلحة لاحمد بن أبى خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألف ألف ولكاتبه خمسمائة ألف درهم ثم خالف الحسين بن الحسين بن مصعب بكرمان فسار اليه أحمد بن أبى خالد وأتى به الى المأمون فعفا عنه

(ولاية عبدالله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربته نصر بن شبث)

وفى سنة ست ومائتين بلغ الخبر بوفاة يحيى بن معاذ عامل الجزيرة وانه استخلف ابنه أحمد فولى المأمون عبدالله بن طاهر مكانه وجعل له مابين الرقة ومصر فأمره بحرب نصر ابن شبث وقيل ولاه سنة خمس وقيل سنة سبع واستخلف على الشرطة ببغداد اسحق ابن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه وكتب اليه أبو طاهر كتابا بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الاخلاق وقد ذكرناه فى مقدمة كتابنا فسار عبدالله بن طاهر لذلك وبعث الجيوش لحصار نصر بن شبث بكيسوم فى نواحى جانب ثم سار اليه بنفسه سنة تسع ومائتين وأخذ بمخنقه وبعث اليه المأمون محمد بن جعفر العامرى يدعوه الى الطاعة فأجاب على شرط أن لايحضر عنده فتوقف المأمون وقال ماباله ينفر منى فقال أبو جعفر لما تقدم من ذنبه فقال افتراه أعظم ذنبا من الفضل ابن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الاموال والسلاح وذهب مع القواد الى أخى واسلمنى وأفسد على حتى كان ما كان ومن عيسى بن أبى خالد وقد خالف على بلدى وأخرب دارى وبايع لابراهيم دونى فقال ابن جعفر ياأمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالة يمتون بها ونصر ليست له فى دولتكم سابقة وانما كان من جند بنى أمية وأنا لاأجيب الى هذا الشرط ولج نصر فى الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمنه عبدالله بن طاهر وخرج اليه سنة عشرة وبعث به الى المأمون وأخرب حصن كيسوم لخمس سنين من حصاره ورجع عبدالله بن طاهر الى الرقة ثم قدم بغداد سنة احدى عشرة فتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس

(الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدى)

كان ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ويعرف بابن عائشة ممن تولى كبر البيعة لابراهيم بن المهدى ومعه ابراهيم بن الاغلب ومالك بن شاهين وكانوا قد اختفوا عند قدوم المأمون فى نواحى بغداد ولما وصل نصر بن شبث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج فى ذلك اليوم ثم غلبهم بعض الناس فأخذوا فى صفر من سنة عشرة ثم ضربوا حتى أقروا على من كان معهم فى الامر فلم يعرض لهم المأمون وحبسهم

فضاق عليهم المحبس وأرادوا أن ينقبوه فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه ثم أخذ فى هذه السنة ابراهيم بن المهدى وهو متنقب فى زى امرأة يمشى بين امرأتين واستراب به بعض العسس وقال أين تردن فى هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت فى يده فازداد ريبة ورفعهن الى صاحب المسلحة وجاء بهن الى صاحب الجسر فذهب به الى المأمون وأحضره والغل فى عنقه والمحبة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ثم حبسه عند أحمد بن أبى خالد ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصلح فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما أخذ حمل الى دار المعتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وانبه فيما كان منه واعتذر بمنظوم من الكلام ومنثور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول فى كتب التاريخ فلا نطيل بنقله

(انتقاض مصر والاسكندرية)

كان السرى بن محمد بن الحكم واليا على مصر وتوفى سنة خمس ومائتين وبقى ابنه عبد الله فانتقض وخلع الطاعة وأنزل بالاسكندرية جالية من الاندلس أخرجهم الحكم بن هشام من ربضى قرطبة وغربهم الى المشرق ولما نزلوا بالاسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حفص عمر البلوطى وفشل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه ثار من الشأم اليهم وقدم قائدا من قواده واقيه ابن السرى وقاتله وأغذ ابن طاهر المسير فلحقهم وهم فى القتال وانهزم ابن السرى الى مصر وحاصره عبد الله بن طاهر حتى نزل على الامان وذلك سنة عشرة ثم بعث الى الجالية الذين ملكوا الاسكندرية بالحرب فسألوا الامان على أن يرتحلوا الى بعض الجزائر فى بحر الروم مما يلى الاسكندرية ففعل ونزلوا بجزيرة اقريطش واستوطنوها وأقامت فى مملكة المسلمين من أعقابهم دهرا الى أن غلب عليها الافرنجة

(العمال بالنواحى)

لما استقر المأمون ببغداد وسكن الهيج وذلك سنة أربع ولى على الكوفة أخاه أبا عيسى وعلى البصرة أخاه صالحا وعلى الحرمين عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن على بن أبى طالب وعلى الموصل السيد بن أنس الازدى وولى على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة وكان الحسن بن سهل ولاه عليها فقدم واستخلف ابنه عبد الله عليها ثم ولاه المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها واستقدم ابنه عبد الله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه وولى يحيى

ابن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على ارمينية وأذربيجان ومحاربة بابك ومات عامل مصر السرى بن محمد بن الحكم فولى ابنه عبيد الله مكانه ومات داود بن يزيد عامل السند فولى بشر بن داود مكانه على أن يحمل ألف ألف درهم كل سنة ثم مات يحيى بن معاذ سنة ست واستخلف ابنه أحمد فعزله المأمون وولى مكانه عبد الله بن طاهر وضاف اليه مصر وسيره بمحاربة نصر بن شبث وولى عيسى بن يزيد الجلودى محاربة الزط سنة خمس ثم عزله سنة ست وولى داود بن منصور مع أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وولى فى سنة سبع محمد بن حفص على طبرستان والرويان ودنباوند وفيها أوقع السيد بن أنس بجماعة من عرب بنى شيبان وربيعة بما فشا من افسادهم فى البلاد فكبسهم بالدسكرة واستباحوهم بالقتل والنهب وفى سنة تسع ولى صدقة بن على ويعرف بزريق على ارمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك وقام بأمره أحمد بن الجنيد الاسكافى فأسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان وكان على جبال طبرستان شهريار بن شروين فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور فقتله مازيار بن قارن فى حرب أسره فيها وملك جبال طبرستان وفى سنة احدى عشرة قتل زريق بن على بن صدقة الازدى السيد بن أنس صاحب الموصل وقد كان زريق تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاه المأمون عليها فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج اليه أربعة آلاف فاشتد القتال بينهم وقتل السيد فى المعركة فغضب المأمون لقتله وولى محمد بن حميد الطوسى على الموصل وأمره بحرب زريق وبابك الخرمى فسار الى الموصل واستولى عليها سنة ثنتى عشرة ومات موسى بن حفص عامل طبرستان فولى المأمون مكانه ابنه وولى حاجب بن صالح على الهند فوقعت بينه وبين بشر بن داود صاحب السند حرب وانهزم بشر الى كرمان ثم قتل محمد بن حميد الطوسى سنة أربع عشرة قتله بابك الخرمى وذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين بالموصل سار الى بابك فى العساكر الكاملة الحشد وتجاوز اليه المضايق ووكل بحفظها حتى انتهى الى الجبل فصعد وقد أكمن بابك الرجال فى الشعراء فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكمائن فانهزموا وثبت محمد بن حميد حتى اذا لم يبق معه الا رجل واحد فتسلل يطلب النجاة فعثر فى جماعة من الحربية يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه وقتلوه وعظم ذلك على المأمون واستعمل عبد الله بن طاهر على خراسان لانه كان بلغه ان أخاه طلحة بن طاهر مات وقام على أخوه مكانه خليفة لعبد الله وعبد الله بالدينور يجهز العساكر الى بابك فولى على نيسابور محمد بن حميد فكثر عيث الخوارج بخراسان فأمره المأمون بالمسير اليها فسار ونزل نيسابور وسأل عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله

اسكوتهم وفى سنة اثنتى عشرة خلع أحمد بن محمد العمرى يعرف بالاحمر العين باليمن فولى المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم وأخاه أبا اسحق المعتصم على الشأم ومصر وسير عبد الله بن طاهر الى خراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم وبعث المعتصم أبا عميرة الباذغيسى عاملا على مصر فوثب به جماعة من القيسية واليمانية فقتلوه سنة أربع عشرة فسار المعتصم الى مصر فقاتلهم وافتتح مصر وولى عليها واستقامت الامور وفى سنة ثلاث عشرة ولى المأمون غسان بن عباس على السند لما بلغه خلاف بشر بن داود وفى سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دلف وكان بالكرخ من نواحى همذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر وقتل عيسى فعاد الى همذان وراسله طاهر يدعوه الى البيعة فامتنع وقال له ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ فلما خرج المأمون الى الرى أرسل اليه يدعوه فسار نحوه وجلا بعد أن أغرى عليه أصحابه الامتناع وفى سنة أربع عشرة قتل باليمن وفيها ولى المأمون على بن هشام الجبل وقم واصبهان وأذربيجان وخلع أهل قم وكانوا سألوا الحطيطة من خراجهم وهو ألف ألف درهم لان المأمون لما جاء من العراق أقام بالرى أياما وخفف عنهم من الخراج فطمع أهل قم فى مثلها فأبى فامتنعوا من الاداء فسرح اليهم على بن هشام وعجيف بن عنبسة وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عمران وهدموا سورها وجبوها على سبعة آلاف ألف وفى سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفهرى بمصر وقتل بعض عمال المعتصم فسار المأمون الى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله وقدم من برقة وأقام بمصر وفيها غضب المأمون على على بن هشام ووجه عجيفا وأحمد بن هشام لقبض أمواله وسلاحه لما بلغه من عسفه وظلمه وأراد قتل عجيف واللحاق ببابك فلم يقدر وظفر به عجيف وجاء به الى المأمون فأمر بقتله وطيف برأسه فى الشأم والعراق وخراسان ومصر ثم ألقى فى البحر وقدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستأمنا فولى على السند عمران بن موسى العكى وهرب جعفر بن داود القمى الى قم فخلع وكان محبوسا بمصر منذ عزله المأمون عن قم فهرب الآن وخلع فغلبه على بن عيسى القمى وبعث به الى المأمون فقتل

(الصوائف)

وفى سنة مائتين قتل الروم ملكهم اليون لسبع سنين ونصف من ملكه وأعادوا ميخاييل ابن برجس المخلوع وبقى عليهم تسع سنين ثم مات سنة خمس عشرة وملك ابنه نوفل وفتح عبد الله بن خردادبه والى طبرستان البلاد والسرن من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان وأنزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن الى المأمون وأسر

ابا السل ملك الديلم وذلك سنة احدى ومائتين وفيها ظهر بابك الخرمى فى الجاوندانية أصحاب باوندان سهل وتفسيره الدائم الباقى وتفسير خرم فرح وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس وفى سنة أربع عشرة خرج أبو بلال الصابى الشارى فسرّح اليه المأمون ابنه العباس فى جماعة من القوّاد وقتلوه وفى سنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصائفة وسار عن بغداد فى المحرّم واستخلف عليها اسحق بن ابراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر وولاه السواد وحلوان وكور دجلة ولما وصل تكريت لقيه محمد بن على الرضا فأجازه وزف اليه ابنته أمّ الفضل وسار الى المدينة فأقام بها وسار المأمون على الموصل الى منبج ثم دابق ثم انطاكية ثم المصيصة وطرطوس ودخل من هنالك فافتتح حصن قرة عنوة وهدمه وقيل بل فتحه على الامان وفتح قبله حصن ماجد كذلك وبعث اشناس الى حصن سدس ودخل ابنه العباس ملطية ووجه المأمون عجيفا وجعفر الخياط الى حصن سنان فأطاع وعاد المعتصم من مصر فلقى المأمون قبل الموصل ولقيه العباس ابنه برأس عين وجاء المأمون منصرفه من العراق الى دمشق ثم بلغه أنّ الروم أغاروا على طرطوس والمصيصة وأثخنوا فيهم بالقتل وكتب اليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع اليهم وافتتح كثيرا من معاقلهم وأناخ على هرقلة حتى استأمنوا وصالحوه وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا منها مطمورة وبعث يحيى بن أكثم فأثخن فى البلاد وقتل وحرق وسبى ثم رجع المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق وفى سنة سبع عشرة رجع المأمون الى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم ثم رحل عنها وخلف عجيفا على حصارها وجاء نوفل ملك الروم فأحاط به فبعث اليه المأمون بالمدد فارتحل نوفل واستأمن أهل لؤلؤة الى عجيف وبعث نوفل فى المهادنة والمأمون على سلوين فلم يجبه ثم رجع المأمون سنة ثمان عشرة وبعث ابنه العباس الى بناء طوانة فبنى بها ميلا فى ميل ودورها أربعة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب ونقل اليها الناس من البلدان

(وفاة المأمون وبيعة المعتصم)

ثم مرض المأمون على نهر البربرون واشتدّ مرضه ودخل العراق وهو مريض فمات بطرطوس وصلى عليه المعتصم وذلك لعشرين سنة من خلافته وعهد لابنه المعتصم وهو ابو اسحق محمد فبويع له بعد موته وذلك منتصف رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين وشغب الجند وهتفوا باسم العباس بن المأمون فأحضره وبايع فسكتوا وخرب لوقته ما كان بناه من مدينة طوانة وأعاد الناس الى بلادهم وحمل ما أطاق حمله من الآلة وأحرق الباقى

(ظهور صاحب الطالقان)

وهو محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على زين العابدين بن الحسين كان ملازما للمسجد بالمدينة فلزمه شيطان من أهل خراسان وزين له انه أحق بالامامة وصار يأتيه بحجاج خراسان يبايعونه ثم خرج به الى الجوزجان وأخفاه وأقبل على الدعاء له ثم حمله على اظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة فى هذا الابهام كما قدمناه وواقعه قواد عبد الله بن طاهر بخراسان المرة بعد المرة فهزموه وأصحابه وأخرج ناجيا بنفسه ومر بنسا فوشى به الى العامل فقبض عليه وبعثه الى عبد الله بن طاهر فبعثه الى المعتصم منتصف ربيع أول سنة تسع عشرة فحبسه عند الخادم مسرور الكبير ووكل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خبر

(حرب الزط)

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولوا عليهم رجلا منهم اسمه محمد بن عثمان وقام بأمرها آخر منهم اسمه سماق وبعث المعتصم لحربهم فى هذه السنة عجيف بن عنبسة فى جمادى الآخرة فسار الى واسط وحاربهم فقتل منهم فى معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة ثم قتلهم وبعث برؤسهم الى باب المعتصم وأقام قبالتهم سبعة أشهر ثم استأمنوا اليه فى ذى الحجة آخر السنة وجاؤا بأجمعهم فى سبعة وعشرين ألفا المقاتلة منهم اثنا عشر ألفا فعباهم عجيف فى السفن على هيئتهم فى الحرب ودخل بهم بغداد فى عاشوراء سنة عشرين وركب المعتصم الى الشماسة فى سفينة حتى رآهم ثم غرّب بهم الى عين زربة فأغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد

(بناء سامرا)

كان المعتصم قد اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر وسماهم المغاربة وقوما من سمرقند واسروسنة وفرغانة وسماهم الفراغنة وأكثر من صبيانهم وكانوا يركضون الدواب فى الطرق ويختلفون بها ركضا فيصدمون النساء والصبيان فتتأذى العامة بهم وربما انفرد بعضهم فقتلوه وتأذى الناس من ذلك ونكروه وربما أسمعوا النكير للمعتصم فعمد الى بناء القاطول وكانت مدينة بناها الرشيد ولم يستتمها وخربت فجددها المعتصم وبناها سنة عشرين وسماها سر من رأى فرخمها الناس سامرا وصارت دار الملك لهم من لدن المعتصم ومن بعده واستخلف ببغداد حتى انتقل اليها ابنه الواثق

(نكبة الفضل بن مروان)

كان للمعتصم فى ولاية أخيه كاتب يعرف بيحيى الجرمقانى واتصل به الفضل بن مروان وهو من البردان وكان حسن الخط فلما هلك الجرمقانى استكتبه المعتصم وسار معه الى الشام فأثرى ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الاموال ثم صار يرد أوامر المعتصم فى العطايا ولا ينفذها واختلفت فيه السعايات عند المعتصم ودسوا عليه عنده من ملا مجلسه ومساخره من يعير المعتصم باستبداده عليه وردّ أوامره فحقد له ذلك ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات وغرّب الفضل الى بعض قرى الموصل

قد تقدّم لنا حديث بابك الخرمى وظهوره سنة اثنتين ومائتين بدعوة جاويدان ابن سهل واتخذ مدينة البذّ لامتناعه وولى المأمون حروبه فهزم عساكره وقتل جماعة من قوّاده وخرب الحصون فيما بين أردبيل وزنجان فلما ولى المعتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التى خربها وشحنها بالرجال والاقوات وحفظ السابلة لجلب الميرة وبينما هو فى ذلك اغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحى فخرج فى طلبهم واستنقذ ما أخذوه وقتل كثيرا وأسر أكثر وبعث بالرؤس والاسرى الى المعتصم وكان ابن البعيث أيضا فى قلعة له حصينة من كور أذربيجان ملكها من يد ابن الرواد وكان يصانع بابك ويضيف سراياه اذا مرّوا به ومرّ به فى هذه الايام قائده عصمة وأضافه على العادة ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به الى المعتصم فسأله عن عورات بلاد بابك فدله عليها ثم حبسه وعقد لقائده الافشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فسار اليها ونزل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أردبيل وأنزل قوّاده فى العساكر ما بينه وبين أردبيل يتلقون الميرة من أردبيل من واحد الى الآخر حتى تصل عسكر الافشين وكان اذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن احسان بابك اليه فيضاعفه ويطلقه ثم ان المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الافشين بالنفقات وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه وأخبر الافشين بذلك بعض جواسيسهم فكتب الى بغا أن يرتحل من حصن النهر قليلا ثم يرجع الى أردبيل ففعل ذلك وجاءت الاخبار الى بابك وركب الافشين فى يوم مواعدته لبغا واغذ المسير وخرجت سرية بابك فلقيت قافلة النهر ولم يصادفوا بغا فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال ولقوا فى طريقهم الهيثم من قوّاد الافشين فهزموه وامتنع بحصنه ونزل بابك عليه يحاصره واذا بالافشين قد وصل فأوقع بهم وقتل الكثير من جنده ونجا بابك الى موقان وأرسل الى عسكره فى البذّ فلحقت به وخرج معهم من موقان الى البذّ ولما رجع الافشين

الى عسكره استمر على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحى ووجه صاحب مراغة اليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابك فأخذوها ثم خلص اليه بغا بما معه من المال ففرقه فى العساكر وأمر الافشين قواده فتقدموا ليضيقوا الحصار على بابك فى حصن البذ ونزل على ستة أميال منه وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة فتأخر الى خندق محمد بن حميد من القواد وبعث الى الافشين فى المدد فبعث اليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأباخوس وصاحب شرطة الحسن بن سهل وأمره بمناجزتهم الى الحرب فى يوم عينه له فركبوا فى ذلك اليوم وقصدوا البذ وأصابهم برد شديد ومطر وقاتل الافشين فغلب من بازائه من أصحاب بابك واشتد عليهم المطر فنزلوا واتخذ بغا دليلا أشرف به على جبل يطل منه على الافشين ونزل عليهم الثلج والضباب فنزلوا منازلهم وعمد بابك الى الافشين ففض معسكره وضجر أصحاب بغا من مقامهم فى رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم ما تم على الافشين وقصد حصن البذ فتعرف خبر الافشين ورجع على غير الطريق الذى دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقابه وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت اليهم مسابقة للمضايق امامه وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فعسكر بهم بغا من رأس جبل وقد تعبوا وفنيت أزوادهم وبيتهم بابك ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجوا الى خندقهم الاول فى أسفل الجبل وأقام بغا هنالك وكان طرحان كبير قواد بابك قد استأذنه أن يشتو بقرية فى ناحية مراغة فارسل الافشين الى بعض قواده بمراغة فأسرى اليه وقتله وبعث برأسه ودخلت سنة اثنتين وعشرين فبعث المعتصم جعفر الخياط بالعساكر مددا للافشين وبعث ايتاخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعاد ورحل الافشين لاول فصل الربيع ودنا من الحصن وخندق على نفسه وجاءه الخبر بأن قائد بابك واسمه أدين قد عسكر بازائه وبعث عياله الى بعض حصون الجبل فبعث الافشين بعض قواده لاعتراضهم فسلكوا مضايق وسلقوا وأغاروا الى أن لقوا العيال فأخذوهم وانصرفوا وبلغ الخبر أدين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء وعلم بشأنهم الافشين من علامات كان أمرهم بها ان رأى بهم ريبا فركب اليهم فلما أحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم وتقدم الافشين قليلا قليلا الى حصن البذ وكان يأمر الناس بالركوب ليلا للحراسة خوف البيات فضجر الناس من التعب وارتاد فى رؤس تلك الجبال أماكن يتحصن فيها الرجالة فوجد ثلاثة فأنزل فيها الرجالة بأزوادهم وسد الطرق اليها بالحجارة وأقام يحاصرهم وكان يصلى الصبح بغلس ثم يسير زحفا ويضرب الطبول ليزحف الناس

زحفه فى الجبال والاودية على مصافهم واذا امسك وقفوا وكان اذا أراد أن يتقدم المضيق الذى أتى منه عام أول خلف به عسكرا على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرسة منه عليهم وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكرا تحت تلك العقبة واجتهد الافشين أن يعرف مكان الكمين فلم يطق وكان يأمر أباسعيد وجعفرا الخياط وأحمد ابن الخليل بن هشام فيتقدمون الى الوادى فى ثلاثة كراديس و يجلس على تل ينظر اليهم والى قصر بابك و يقف بابك قبالته فى عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر فيشربون الخمر ويلعبون بالسريانى فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه برود الرود مصافا بعد مصاف الاقرب الى العدو ثم الذى يليه وآخرين ترجع العسكر الذى عقبه المضيق حتى ضجرت الخرمية من المطاولة وانصرف بعض الايام وتأخر جعفر فخرج الخرمية من البذ على أصحابه فردهم جعفر على أعقابهم وارتفع الصياح ورجع الافشين وقد نشبت الحرب وكان مع أبى دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البذ و بعث جعفر الى الافشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة فأتى له وأمره بالتحيل فى الانصراف وتعلق أولئك المطوعة بالبذ وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة وتبين الافشين أماكنهم واطلع على خدعتهم وانصرف جعفر الى الافشين وعاتبه فاعتذر اليه يستأمن الكمين وأراه مكانه فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأى معه وشكا المطوعة ضيق العلوفة والزاد فأذن لهم فى الانصراف وتناولوه بألسنتهم ثم طلبوه فى المناهضة فأذن لهم وواعدهم ليوم معلوم وجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل لجرحا وتقدم الى مكانه بالامس وجهز العسكر على العقبة على عادته وأمر جعفرا بالتقدم بالمطوعة وأن يأتوا من أسهل الوجوه وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين وتقدم جعفر الى مكانه بالامس والمتطوعة معه فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ حتى ضرب بعضهم بابه وجاء الفعلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والازودة ثم جاء الخرمية من الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المطوعة ثم عاود الافشين الحرب بعد أسبوعين وبعث من جوف الليل ألفا من الناشبة الى الجبل الذى وراء البذ حتى يعاينوا الافشين من هذه الناحية فيرمون على الخرمية و بعث عسكرا آخر كمينا تحت ذلك الجبل الذى وراء البذ وركب هو من الغداة الى المكان الذى يقف فيه على عادته وتقدم جعفر الخياط والقواد حتى صاروا جميعا حول ذلك الجبل فوثب كمين بابك من أسفل الجبل

بالعسكر الذى جاء اليه لما فضحهم الصبح وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركبوا الاعلام على رماحهم وقصدوا جميعا آذين قائد بابك فى جفلة فانحدر الى الوادى فحمل عليه جماعة من أصحاب القوّاد فرمى عليهم الصخور من الجبل وتحدّرت اليهم ولما رأى ذلك بابك استأمن للافشين على أن يحمل عياله من البذ و بينما هم فى ذلك اذ جاء الخبر الى الافشين بدخول البذّ وانّ الناس صعدوا بالاعلام فوق قصور بابك حتى دخل واديا هنالك وأحرق الافشين قصور بابك وقتل الخرمية عن آخرهم وأخذ أمواله وعياله ورجع الى معسكره عند المساء وخالفه بابك الى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام وجاء الافشين من الغد فهدم القصور وأحرقها وكتب الى ملوك أرمينية وبطارقتهم باذكاء العيون عليه فى نواحيهم حتى يأتوه به ثم عثر على بابك بعض العيون فى واد كثير الغياض يمرّ من أذربيجان الى أرمينية فبعث من يأتى به فلم يعثروا عليه لكثرة الغياض والشجر وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الافشين بعض المستأمنة من أصحاب بابك فامتنع من قبوله وقتل بعضهم ثم خرج من ذلك الوادى هو وأخوه عبد الله ومعاوية وأمّه يريدون أرمينية ورآهم الحرس الذين جاؤا الاخذه وكان أبو السفاح هو المقدم عليهم فجدّوا فى اتباعهم وأدركوهم على بعض المياه فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وأمّ بابك وبعث بهم الى الافشين وسار بابك فى جبال أرمينية مختفيا وقد أذكوا عليه العيون حتى اذا مسّه الجوع بعث بعض أصحابه بدنانير لشراء قوتهم فعثر به بعض المسلحة وبعث الى سهل بن ساباط فجاء واجتمع بصاحب بابك الذى كانت حراسة الطريق عليه ودلّه على بابك فأتاه وخادعه حتى سار الى حصنه وبعث بالخبر الى الافشين فبعث اليه بقائدين من قبله وأمرهما بطاعة ابن ساباط فأكمنهما فى بعض نواحى الحصن وأغرى بابك بالصيد وخرج معه فخرج القائدان من الكمين فأخذاه وجاءا به الى الافشين ومعهما معاوية بن سهل بن ساباط فحبسه ووكّل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم وآتى سهلا ألف ألف درهم ومنطقة مفرّقة بالجوهر وبعث الى عيسى بن يوسف بن أسطفانوس ملك البيلقان يطلب منه عبد الله أخا بابك وقد كان لجأ الى حصنه عندما أحاط به ابن ساباط فأنفذه اليه وحبسه الافشين مع أخيه وكتب الى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك فى شوّال من سنة ثنتين وعشرين وسار الافشين بهما الى سامرا فكان يلقاه فى كل رحلة رسول من المعتصم بخلعة وفرس ولما قرب من سامرا تلقاه الواثق وكبر اقدومه وأنزل الافشين وبابك عنده بالمطيرة وتوّج الافشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف درهم يفرّقها فى عسكره وذلك فى صفر سنة ثلاث وعشرين وجاء أحمد

ابن أبى داود الى بابك متنكرا وكلمه ثم جاء المعتصم أيضا متنكرا فرآه ثم عقد من الغد واصطف النظارة سماطين وجىء ببابك راكبا على الفيل فلما وصل أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذبحه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب شلوه بسامرا وبعث بأخيه عبد الله الى اسحق بن ابراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل وكان الذى أنفق الافشين فى مدّة حصاره لبابك سوى الارزاق والانزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لمحاربته وخمسة آلاف يوم قعوده وجميع من قتل بابك فى عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألفا وهزم من القوّاد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجنيد وزريق بن على بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسى وابراهيم بن الليث وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذى استنقذ من يديه من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان جعلوا فى حظيرة فمن أتى من أوليائهم وأقام بينة على أحد منهم أخذه والذى صار فى يد الافشين من بنى بابك وعياله سبعة عشر رجلا وثلاثا وعشرين امرأة

(فتح عمورية)

وفى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل بن ميخاييل ملك الروم الى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة لانّ بابك لما أشرف على الهلاك كتب اليه أنّ المعتصم قد وجه عساكره حتى خياطه يعنى جعفر بن دينار وطباخه يعنى ايتاخ ولم يبق عنده أحد فانتهز الفرصة ثلاثا ودونها وظنّ بابك أنّ ذلك يدعو المعتصم الى انفاذ العساكر لحرب الروم فيخف عنه ما هو فيه فخرج نوفل فى مائة ألف وفيهم من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال وهزمهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب فلحق بالروم وبلغ نوفل زبطرة فاستباحها قتلا وسبيا وأغار على ملطية وغيرها ومثل بالاسرى وبلغ الخبر الى المعتصم فاستعظمه وبلغه انّ هاشمية صاحت وهى فى أيدى الروم وامعتصماه فأجاب وهو على سريره لبيك لبيك ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالا رسله من حديد فيها رداؤه وجمع العساكر وأحضر قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحق ومعه ابن سهل فى ثلثمائة وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع ثلثا لولده وثلثا لمواليه وثلثا لوجه الله وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جمادى الاولى وبعث عجيف بن عنبسة وعمر الفرغانى وجماعة من القوّاد مددا لاهل زبطرة فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها فأقاموا حتى تراجع الناس واطمأنوا ولما ظفر ببابك سأل أىّ بلاد الروم أعظم عندهم فقيل له عمورية فتجهز اليها بما لا يماثله أحد قبله من السلاح والآلة والعدد وحياض الادم والقرب والروايا وجعل مقدمته أشناس وبعده محمد بن ابراهيم بن مصعب

وعلى الميمنة ايتاخ وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبسة وجاء الى بلاد الروم فأقام بسلوقية على نهر السن قريبا من البحر وعلى مسيرة يوم من طرطوس وبعث الافشين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحدث وبعث اشناس من درب طرطوس وأمره بانتظاره بالصفصاف وقدم وصيفا فى أثر اشناس وواعدهم يوم اللقاء ورحل المعتصم لست بقين من رجب وبلغه الخبر ان ملك الروم عازم على كبس مقدمته فبعث الى اشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة أيام ليلحق به ثم كتب اليه أن يبعث اليه من قواده من يأتيه بخبر الروم وملكهم فبعث عمرا الفرغانى فى مائتى فارس فطاف فى البلاد وأحضر جماعة عند اشناس أخبروه بأن ملك الروم بينما هو ينتظر المقدمة ليواقعها اذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينية يعنى عسكر الافشين فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار الى تلك الناحية فوجه اشناس بهم الى المعتصم وكتب المعتصم الى الافشين بالمقام حذرا عليه وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم وأوغل فى بلاد الروم فلم يدركه الكتاب وكتب المعتصم الى اشناس بان يتقدم والمعتصم فى أثره حتى اذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أسر اشناس فى طريقه جماعة من الروم فقتلهم وقال لهم شيخ منهم أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام والشعير فبعث معه مالك بن كرد فى خمسمائة فارس فدل بهم الى مكان أهل أنقرة فغنموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الافشين وقالوا لما استخلف على عسكره سار الى ناحية أرمينية فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم وافترقت عساكرنا فى طلبهم ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك وانهزمنا ورجعنا الى العسكر فوجدناه قد انتقض وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذى استخلفه وكتب الى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدتهم بمكان كذا ليلقى المسلمين بها ووجه خصيا له الى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا فأمره الملك بالمسير الى عمورية فوعى مالك بن كرد خبرهم ورجع بالغنيمة والاسرى الى اشناس وأطلق الامير الذى دله وكتب اشناس بذلك الى المعتصم ثم جاء البشير من ناحية الافشين بالسلامة وان الوقعة كانت لخمس بقين من شعبان وقدم الافشين على المعتصم بأنقرة ورحل بعد ثلاث والافشين فى ميمنته واشناس فى ميسرته وهو فى القلب وبين كل عسكر وعسكر فرسخان وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعمورية ثم وافى عمورية وقسمها على قواده وخرج اليه رجل من المتنصرة فدله على عورة من السور بنى ظاهره واختل باطنه فضرب المعتصم خيمته قبالته ونصبت عليه المجانيق فتصدع السور وكتب بطريقها ياطيس والخصى الى الملك يعلمانه بشأنهما فى السور وغيره

فوقع في يد المسلمين مع رجلين وفي الكتاب ان باطيس عازم على أن يخرج ليلا ويعبر بعسكر المسلمين ويلحق بالملك فنادى المعتصم حرسه ثم انثلمت فوهة من السور بين برجين وقد كان الخندق طم بأوعية الجلود المملوأة ترابا ثم ضرب بالذبالات عليها فدحرجها الرجال الى السور فنشبت في تلك الاوعية وخاض من فيها بعد الجهد ولما جاء من الغد بالسلالم والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثلمة وحارب وبدر بالحرب اشناس وجمعت المنجنيقات على تلك الثلمة وحارب في اليوم الثاني الافشين والمعتصم راكب ازاء الثلمة واشناس وافشين وخواص الخدام معه ثم كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم وتقدم ايتاخ بالمغاربة والاتراك واشتد القتال على الروم الى الليل وفشت فيهم الجراحات ومشى بطريق تلك الناحية الى رؤساء الروم وشكا اليهم واستمدهم فأبوا فبعث الى المعتصم يستأمن فامنه وخرج من الغد الى المعتصم وكان اسمه ويدوا فبينما هو والمعتصم يحادثه أومأ عبد الوهاب بن علي من بين يديه الى المسلمين بالدخول فاقتحموا من الثلمة ورآهم ويدوا فخاف فقال له المعتصم كل شيء تريده هو لك ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالامان وجاء الناس بالاسرى والسبي من كل جانب واصطفى الاشراف وقتل من سواهم وبيعت مغانمهم في خمسة أيام وأحرق الباقي ووثب الناس على المغانم في بعض الايام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكفوا بعمورية فهدمت وأحرقت وحاصرها خمسة وخمسين يوما من سادس رمضان الى آخر شوال وفرق الاسرى على القواد ورجع نحو طرطوس ولم يزل توفل ملكا على الروم الى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين في ولاية الواثق ونصبوا ابنه ميخاييل في كفالة أمه تدورة فأقامت عليهم ست سنين ثم اتهمها ابنها ميخاييل بقمط من اقاطها عليها وألزمها بيتها سنة ثلاث وثلاثين

(حبس العباس بن المأمون ومهلكه)

كان المعتصم يقدم الافشين على عجيف بن عنبسة ولما بعثه الى زبطرة لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للافشين وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله فطوى عجيف على النكث ولقي العباس بن المأمون فعذله على قعوده عند وفاة المأمون عن الامر حتى بويع المعتصم وأغراه قبلا في ذلك فقبل العباس منه ودس رجلا من بطانته يقال له السمرقندي قرابة عبد الله بن الوضاح وكان له أدب ومداراة فاستأمن له جماعة من القواد ومن خواص المعتصم فبايعوه وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذي معه فيقتله من اصحاب المعتصم والافشين واشناس

بالرجوع الى بغداد فأبى من ذلك وقال لا أفسد العراق فلما فتحت عمورية وصعب التدبير بعض الشئ أشار عجيف بأن يضع من ينهب الغنائم فاذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا مثل ما ذكرنا وركب فلم يتجاسروا عليه وكان للفرغانى قرابة غلام أمرد فى جملة المعتصم فجلس مع ندمان الفرغانى تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم فأشفق الفرغانى وقال يابنى اقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وان سمعت هيعة فلا تخرج فأنت غلام غر ثم ارتحل المعتصم الى الثغور وتغير اشناس على عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل وأساء عليهما فطلبا من المعتصم أن يضمهما الى من شاء وشكيا من اشناس فقال له المعتصم أحسن أدبهما فحبسهما وحملهما على بغل فلما صار بالصفصاف حدث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغانى فأمر بغا أن يأخذه من عند اشناس ويساله عن تأويل مقالته فأنكر وقال انه كان سكران فدفعه الى ايتاخ ثم دفع أحمد بن الخليل الى اشناس عنده نصيحة للمعتصم وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندى فأنفذ اشناس الى الحرث وقيده وبعث به الى المعتصم وكان فى المقدمة فأخبر الحرث المعتصم بجلية الاثر فأطلقه وخلع عليه ولم يصدقه على القواد لكثرتهم ثم حضر العباس بن المأمون واستحلفه أن لا يكتم عنه شيئا فشرح له القصة فحبسه عند الافشين وتتبع القواد بالحبس والتنكيل وقتل منهم الشاه بن سهيل ثم دفع العباس للافشين فلما نزل منبج طلب الطعام فأطعم ومنع الماء ثم أدرج فى مسح فمات ولما وصل المعتصم الى نصيبين احتفر لعمر الفرغانى بئرا وطمت عليه ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عجيف بمثل ما قتل به العباس واستلحم جميع القواد فى تلك الايام وسموا العباس اللعين ولما وصل الى سامرا حبس أولاد المأمون فى داره حتى ماتوا

* (انتقاض مازيار وقتله) *

كان مازيار بن قارن بن ونداهرمز صاحب طبرستان وكان منافرا لعبد الله بن طاهر فلا يحمل اليه الخراج وقال لا أحمله الا للمعتصم فيبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان وعظمت الفتنة بين مازيار وعبد الله وعظمت سعاية عبد الله فى مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه ولما ظفر الافشين ببابك وعظم محله عند المعتصم وطمع فى ولاية خراسان ظن ان انتقاض مازيار وسيلة لذلك فجعل يستميل مازيار ويحرضه على عداوة ابن طاهر وان أدت الى الخلاف ليبعثه المعتصم لحربه فيكون ذلك وسيلة له الى استيلائه على خراسان ظنا بأن ابن طاهر لا ينهض لمحاربته فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرها وأخذ رهائنهم وعجل جباية الخراج فاستكثر منه وخرب سور آمد وسور سارية وقتل أهلها الى جبل يعرف

به مازيار وبنى سرخاشان سور طمس منها الى البحر على ثلاثة أميال وهى على حد جرجان وكانت تبنيه سدا بين الترك وطبرستان وجعل عليه خندقا ومن أهل جرجان الى نيسابور وأنفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين فى جيش كثيف لحفظ جرجان فعسكر على الخندق ثم بعث مولاه حيان بن جبلة الى قومس فعسكر على جبال شروين وبعث المعتصم من بغداد محمد بن ابراهيم بن مصعب وبعث منصور بن الحسن صاحب دنباوند الى الرى وبعث أبا الساج الى دنباوند وأحاطت العساكر بجباله من كل ناحية وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان فى تسليم سورهم وليس بينهما الا عرض الخندق فكلموه وسار الآخرون اليه على حين غفلة من القائدين وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار فقتل ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره وجىء به الى الحسن بن الحسين فقتله أيضا ثم وقعت بين حيان بن جبلة وبين فارق بن شهريار وهو ابن أخى مازيار ومن قواده مداخلة استمالت حيان فأجاب أن يسلم مدينة سارية الى حد جرجان على أن يملكوه جبال آبائه وبعث حيان الى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل وكان قارن فى جملة عبد الله بن قارن أخى مازيار ومن قواده فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم وبعث بهم الى حيان فدخل جبال قارن فى جموعه واعتصم لذلك مازيار وأشار عليه أخوه القوهيار أن يخلى سبيل من عنده من أصحابه ينزلون من الجبل الى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم فصرف صاحب شرطته وخراجه وكاتبه حيدة فلحقوا بالسهل ووثب أهل سارية بعامله عليهم مهرستان ابن شهرين فهرب ودخل حيان سارية ثم بعث قوهيار أخو مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان وكانوا قد حبسوه عند انتقاضهم فبعثه الى حيان ليأخذ له الامان وولاية جبال آبائه على أن يسلم اليه مازيار وعذل قوهيار بعض أصحابه فى عدوله بالاستئمان عن الحسن الى حيان فرجع اليهم وكتبوا الى الحسن يستدعونه قوهيار من أخيه مازيار فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم ولقى حيان على فرسخ فرده الى جبال شروين التى افتتحها ووبخه على غيبته عنها فرجع سارية وتوفى وبعث عبد الله مكانه محمد بن الحسين بن مصعب وعهد اليه أن لا يمنع قارن ما يريده ولما وصل الحسن الى خرماباذ وسط جبال مازيار لقيه قوهيار هنالك واستوثق كل منهما من صاحبه وكاتب محمد بن ابراهيم بن مصعب من قواد المعتصم قوهيار بمثل ذلك فركب قاصدا اليه وبلغ الحسن خبره فركب فى العسكر وحازم يسابق محمد بن ابراهيم الى قوهيار فسبقه ولقى قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار فقبض عليه وبعثه مع اثنين من قواده الى

خرماباذ ومنها الى مدينة سارية ثم ركب واستقبل محمد بن ابراهيم بن مصعب وقال أين تريد فقال الى المازيار فقال هو بسارية ثم حبس الحسن أخوى المازيار ورجع الى مدينة سارية فقيد المازيار بالقيد الذى قيد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص وجاء كتاب عبد الله بن طاهر بأن يدفع المازيار وأخويه وأهل بيته الى محمد بن ابراهيم يحملهم الى المعتصم وسأل الحسن المازيار عن أمواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سماهم وأمر الحسن القوهيار بحمل هذه الاموال وسار الى الجبل ليحملها فوثب به مماليك المازيار من الديلم وكانوا ألفا ومائتين فقتلوه بثار أخيه وهربوا الى الديلم فاعترضتهم جيوش محمد بن ابراهيم وأخذوهم فبعث بهم الى مدينة سارية وقيل ان الذى غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها وكانت جبال طبرستان ثلاثة أجبل فلما انتقض واحتاج الى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاه على أصعبها وظن أنه قد توثق به فكاتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الافشين المازيار وداخله فى الفتك على أن يوليه ما كان لآبائه وأن المازيار لما ولاه الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده فأفضى له الحسن كتاب ابن طاهر وتوثق له فيه وأوعده ليوم معلوم ركب فيه الحسن الى الجبل فأدخله ابن عم مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه ويقال أخذه أسيرا فى الصيد ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام فى قتاله لمن كان بازائه فلم يشعر الا والعساكر من ورائه فانهزم ومضى الى بلاد الديلم فأتبعوه وقتلوه ولما صار المازيار فى يده طلبت منه كتب الافشين فأحضرها وأمر ابن طاهر أن يبعث بها معه الى المعتصم فلما وصل الى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك سنة أربع وعشرين

* (ولاية ابن السيد على الموصل) *

وفى سنة أربع وعشرين ولى المعتصم على الموصل عبد الله بن السيد بن أنس الازدى وكان سبب ولايته أن رجلا من مقدمى الاكراد يعرف بجعفر بن فهرجس كان قد عصى بأعمال الموصل وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبد الله بن السيد بن أنس فقاتله وغلبه وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها ولحق بجبل دانس وامتنع بأعاليه وقاتله عبد الله وتوغل فى مضايق ذلك الجبل فهزمه الاكراد وأثخنوا فى أصحابه بالقتل وقتل اسحق بن أنس عم عبد الله فبعث المعتصم مولاه ايتاخ فى العساكر الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن فقاتل جعفرا وقتله وافترق أصحابه وأوقع بالاكراد واستباحهم وفروا أمامه الى تكريت

(نكبة الافشين ومقتله)

كان الافشين من أهل اشروسنة تبوّأها ونشأ ببغداد عند المعتصم وعظم محله عنده ولما حاصر بابك كان يبعث الى اشروسنة بجميع أمواله فيكتب ابن طاهر بذلك الى المعتصم فيأمره المعتصم بأن يجعل عيونه عليه فى ذلك وعثر مرة ابن طاهر على تلك الاموال فأخذها وصرفها فى العطاء وقال له حاملوها هذا مال الافشين فقال كذبتم لو كان ذلك لاعلمنى أخى افشين به وانما أنتم لصوص وكتب الى الافشين بذلك بأنه دفع المال الى الجند ليوجههم الى الترك فكتب اليه ان مالى ومال أمير المؤمنين واحد وسأله فى اطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينهما وتتابعت السعاية فيه من طاهر وربما فهم الافشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع فى ولايتها وكان مازيار يحسن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك الى عزله وولاية الافشين لحرب مازيار فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسيق الى بغداد مقيدا وولى المعتصم الافشين على أذربيجان فولى عليها من قبله منكجور من بعض قرابته فاستولى على مال عظيم لبابك وكتب به صاحب البريد الى المعتصم فكذبه منكجور وهمّ بقتله فمنعه أهل اردبيل فقاتلهم وسمع ذلك المعتصم فأمر الافشين بعزل منكجور وبعث قائدا فى عسكره مكانه فخلع منكجور وخرج من اردبيل فهزمه القائد ولحق ببعض حصون اذربيجان كان بابك خربه فأصلحه وتحصن فيه شهرا ثم وثب فيه أصحابه وأسلموه الى القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين فى أمره وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأن القائد كان بغا الكبير وأنه خرج اليه بالامان اه * ولما أحس الافشين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق بارمينية وكانت فى ولايته ويخرج منها الى بلاد الخزر ويرجع الى بلاد اشروسنة وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتخذ لهم صنيعا يشغلهم فيه نهارهم ثم يسير من أول الليل وعرض له فى أثناء ذلك غضب على بعض مواليه وكان سيئ الملكة فأيقن مولاه بالهلكة وجاء الى ايتاخ فأحضره الى المعتصم وخبره الخبر فأمره باحضاره وحبسه بالجوسق وكان ابنه الحسن عاملا على بعض ماوراء النهر فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر فى الاحتيال عليه وكان يشكو من نوح بن أسد صاحب بخارى فكتب ابن طاهر الى الحسن بولاية بخارى وكتب الى نوح بذلك وأن يستوثق منه اذا وصل اليه ويبعث به ثم يبعث به الى ابن طاهر ثم الى المعتصم ثم أمر المعتصم باحضار الافشين ومناظرته فيما قيل عنه فأحضر عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات وعنده القاضى أحمد بن ابى دواد واسحق ابن ابراهيم وجماعة القواد والاعيان وأحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزبان بن

تركش أحد ملوك الصغد ورجلان من أهل الصغد يدعيان أن الافشين ضربهما وهما امام ومؤذن بمسجد فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من اللحم فقال ابن الزيات للافشين ما بال هذين قال عهدا الى معاهدين فوثبا على بيت أصنامهم فكسراها واتخذا البيت مسجدا فعاقبتهما على ذلك وقال ابن الزيات ما بال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر قال كتاب ورثته من آبائي وأوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه وأترك كفرهم ولم أحتج الى نزع حليته وما ظننت أن مثل هذا يخرج عن الاسلام ثم قال المؤيد انه يأكل لحم المخنقة ويحملني على أكلها ويقول هو أرطب من لحم المذبوحة ولقد قال لي يوما حملت على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل الى هذه الغاية لم أختتن ولم تسقط عني شعرة العانة فقال الافشين أثقة هذا عندكم في دينه وكان مجوسيا قالوا لا قال فكيف تقبلونه علي ثم قال للمؤيد أنت ذكرت اني أسررت اليك ذلك فلست بثقة في دينك ولا بكريم في عهدك ثم قال له المرزبان كيف يكاتبك أهل اشروسنة قال ما أدري قال أليس يكاتبونك بما تفسيره بالعربي الى اله الآلهة من عبده فلان قال بلى فقال ابن الزيات فما أبقيت لفرعون قال هذه عادة منهم لأبي وجدي ولي قبل الاسلام ولو منعتهم لفسدت علي طاعتهم ثم قال له أنت كاتبت هذا وأشار الى المازيار كتب أخوه الى أخي قوهيار انه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك فأما بابك فقد قتل نفسه بحمقه ولقد جهدت أن أمنعه فأبى الا حمقه وأنت ان خالفت لم يرمك القوم بغيري ومعي أهل النجدة وان توجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا العرب والمغاربة والترك والعربي كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه والمغاربة أكلة رأس والاتراك انما هم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتي عليهم ويعود هذا الدين الى ما كان عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه فما يجب علي ولو كتب فأنا أستميله مكرا به لاحظى عند الخليفة كما حظي به ابن طاهر فزجره ابن أبي دواد فقال له الافشين ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال أمتطهر أنت قال لا قال فما يمنعك وهو شعار الاسلام قال خشيت على نفسي من قطعه قال فكيف وأنت تلقى الرماح والسيوف قال تلك ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه فقال ابن أبي دواد لبغا الكبير قد بان لكم أمره يا بغا عليك به فدفعه بيديه ورده الى حبسه وضرب مازيار أربعمائة سوط فمات منها وطلب افشين من المعتصم أن ينفذ اليه من يثق به فبعث حمدون بن اسمعيل فاعتذر له عن جميع ما قيل فيه وحمل الى دار ايتاخ فقتل بها وصلب على باب العامة ثم أحرق وذلك في شعبان من سنة ست وعشرين وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات

(ظهور المبرقع)

كان هذا المبرقع يعرف بأبي حرب اليماني وكان بفلسطين وأراد بعض الجند النزول في داره فمنعه بعض النساء فضربها الجندي وجاء فشكت اليه بفعل الجندي فسار اليه وقتله ثم هرب الى جبال الاردن فأقام به واختفى ببرقع على وجهه وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعيب الخليفة ويزعم أنه أموي واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا هو السفياني ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بهيس وكان مطاعا في قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف وسرح المعتصم رجاء بن أيوب في ألف من الجند فخام عن لقائه لكثرة من معه وعسكر قبالته ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لاعمالهم وبينماهم في الانصراف توفي المعتصم وثارت الفتنة بدمشق فأمره الواثق بقتل من أثار الفتنة والعود الى المبرقع ففعل وقاتله فأخذه أسيرا وابن بهيس معه وقتل من أصحابه عشرين ألفا وحمله وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين

(وفاة المعتصم وبيعة الواثق)

وتوفي المعتصم أبو اسحق محمد بن المأمون بن الرشيد منتصف ربيع الاول سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته وبويع ابنه هرون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر فثار أهل دمشق بأميرهم وحاصروه وعسكروا بمرج واسط وكان رجاء بن أيوب بالرملة في قتال المبرقع فرجع اليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة وصلح أمر دمشق ورجع رجاء الى قتال المبرقع حتى جاء به أسيرا بيعة الواثق توجه اشناس ووشحه

وكان للواثق سمر يجلسون عنده ويفيضون في الاخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجابهم الاموال فأغراه ذلك بمصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الاموال فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربعمائة ألف ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفا ومن ابراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف ومن أبي الوزير مائة وأربعين ألفا وكان على اليمن ايتاخ ولاه عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار وسخطه وحبسه ثم رضي عنه وأطلقه فلما ولي الواثق ولى ايتاخ على اليمن من قبله سارباميان فسار اليها وكان الحرس اسحق بن يحيى بن معاذ ولاه المعتصم بعد عزل الافشين وولى الواثق على المدينة سنة احدى وعشرين محمد بن صالح بن العباس وبقي محمد بن داود على مكة وتوفي عبد الله ابن طاهر سنة ثلاثين وكان على خراسان وكرمان وطبرستان والري وكان له الحرب والشرطة والسواد فولى الواثق على أعماله كلها ابنه طاهرا

(وقعة بغا فى الاعراب)

كان بنو سليم يفسدون بنواحى المدينة ويتسلطون على الناس فى أموالهم وأوقعوا بناس من كنانة وباهلة وبعث محمد بن صالح اليهم مسلحة المدينة ومعهم متطوعة من قريش والانصار فهزمهم بنو سليم وقتلوا عامتهم وأحرقوا الباسهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق فبعث الواثق بغا الكبير وقدم المدينة فى شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلا وأسر مثلها واستأمنوا اليه على حكم الواثق فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسهم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين ثم حج وسار الى ذات عرق وعرض على بنى هلال مثل بنى سليم فأخذ من المفسدين منهم نحو الثمانمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين ثم خرج بغا الى بنى مرة فنقب أولئك الاسرى الحبس وقتلوا الموكلين فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلا ومنعوهم من الخروج فقاتلوهم الى الصبح ثم قتلوهم وشق ذلك على بغا وكان سبب غيبته ان فزارة وبنى مرة تغلبوا على فدك فخرج اليهم وقدم رجلا من قواده يعرض عليهم الامان فهربوا من سطوته الى الشام واتبعهم الى تخوم الحجاز من الشام وأقام أربعين ليلة ثم رجع الى المدينة بمن ظفر منهم وجاءه قوم من بطون غطفان وفزارة وأشجع وثعلبة فاستحلفهم على الطاعة ثم سار الى بنى كلاب فأتوه فى ثلاثة آلاف رجل فحبس أهل الفساد منهم ألفا بالمدينة وأطلق الباقين وأمره الواثق سنة اثنين وثلاثين بالمسير الى بنى نمير باليمامة وما قرب منها القطع فسادهم فسار اليهم ولقى جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل منهم خمسين وأسر أربعين ثم سار الى مرة وبعث اليهم فى الطاعة فامتنعوا وساروا الى جبال السند وطف اليمامة وبعث سراياه فأوقع بهم فى كل ناحية ثم سار اليهم فى ألف رجل فلقيهم قريبا من اضاخ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا فى عسكره بالقتل والنهب ثم سار واتحت الليل وهو فى اتباعهم يدعوهم الى الطاعة وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو فى قلة فحملوا عليه وهزموه الى معسكره واذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من وجهتهم فلما رآهم بنو نمير من خلفهم ولوا منهزمين وأسلموا رحالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالتهم أحد وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وأقام بمكان الوقعة واستأمن له أمراؤهم فقيدهم وحبسهم بالبصرة وقدم عليه واجن الاشروسنى فى سبعمائة مقاتل مددا فبعثه الى اتباعهم الى أن بلغ تبالة من اعمال اليمن ورجع وسار بغا الى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفى رجل ومائتى رجل وكتب الى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد بمن عنده منهم فجاء بهم وسلموا جميعا

(مقتل أحمد بن نصر)

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدم وكان أحمد هذا نسيبة لاهل الحديث ويغشاه جماعة منهم مثل ابن حصين وابن الدورقى وأبى زهير ولقن منهم النكير على الواثق بقوله بخلق القرآن ثم تعدى ذلك الى الشتم وكان ينعته بالخنزير والكافر وفشا ذلك عنه وانتدب رجلان ممن كان يغشاه هما أبو هرون السراج وطالب وغيرهما فدعوا الناس له وبايعه خلق على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفرقوا الاموال فى الناس دينارا لكل رجل وأنفذوا الثلاث تمضى من شعبان من سنة احدى وثلاثين يظهرون فيها دعوتهم واتفق أن رجالا ممن بايعهم من بنى الاشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم السكر فضربوا الطبل وصاحب الشرطة اسحق بن ابراهيم غائب فارتاع خليفته محمد أخوه فأرسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد أحد وأتوه برجل أعور اسمه عيسى وجدوه فى الحمام فدلهم على بنى الاشرس وعلى أحمد بن نصر وعلى أبى هرون وطالب ثم سيق خادم أحمد بن نصر فذكر القصة فقبض عليه وبعث بهم جميعا الى الواثق بسامرا مقيدين وجلس لهم مجلسا عاما وحضر فيه أحمد بن ابى دواد ولم يسأله الواثق عن خروجه وانما سأله عن خلق القرآن فقال هو كلام الله ثم سأله عن الرؤية فقال جاءت بها الاخبار الصحيحة ونصيحتى أن لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل الواثق العلماء حوله عن أمره فقال عبد الرحمن بن اسحق قاضى الجانب الغربى هو حلال الدم وقال ابن أبى دواد هو كافر يستتاب فدعا الواثق بالصمصامة فانتضاها ومشى اليه فضربه على حبل عاتقه ثم على رأسه ثم وخزه فى بطنه ثم أجهز سيما الدمشقى عليه وحزوا رأسه ونصب ببغداد وصلب شلوه عند بابها

(الفداء والصائفة)

وفى سنة احدى وثلاثين عقد الواثق لاحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم وأمرهما أن تمتحن الاسرى باعتقاد القرآن والرؤية وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا على نهر اللامس على مرحلة من طرطوس وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعة وستين والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل الذمة مائة فلما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم شاتيا وأصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس وأسر منهم نحوها وغرق بالنبل قرون خلق ولقيه بطريق من الروم فخام على لقائه ثم غنم ورجع فعزله الواثق وولى مكانه نصر بن حمزة الخزاعى

(وفاة الواثق وبيعة المتوكل)

وتوفى الواثق أبو جعفر هرون بن المعتصم محمد لست بقين من سنة ثنتين وثلاثين وكانت علته الاستسقاء وأدخل فى تنور مسجر فاق خفة ثم عاوده فى اليوم الثانى اكثر من الاول فأخرج فى محفة فمات فيها ولم يشعروا به وقيل ان ابن أبى دواد غمضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته وحضر فى الدار أحمد بن أبى دواد وايتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام أمرد فألبسوه فاذا هو قصير فقال وصيف أما تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبى دواد الطويلة وعممه وسلم عليه بامارة المؤمنين ولقبه المتوكل وصلى على الواثق ودفنه ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر وولى على بلاد فارس ابراهيم ابن محمد بن مصعب وكان على الموصل غانم بن محمد الطويس فأقره وعزل ابن العباس محمد بن صول عن ديوان النفقات وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف

(نكبة الوزير ابن الزيات ومهلكه)

كان محمد بن عبد الملك بن الزيات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء وكان لا يحفل بالمتوكل ولا يوجب حقه وغضب الواثق عليه مرة فجاء الى ابن الزيات ليستنزله فأساء معاملته فى التحية والملاقاة وقال اذهب فانك اذا أصلحت رضى عنك وقام عنه حزينا فجاء الى القاضى أحمد بن دواد فلم يدع شيأ من البر الا فعله وحياه وفداه وخطب حاجته فقال أحب أن ترضى عنى أمير المؤمنين فقال أفعل ونعمة عين ولم يزل بالواثق حتى رضى عنه وكان ابن الزيات كتب الى الواثق عندما خرج عنه المتوكل ان جعفرا أتانى فسأل الرضا عنه وله وفرة شبه زى المخنثين فأمره الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجاما أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقد له ذلك وأساءه ولما ولى الخلافة بقى شهرا ثم أمر ايتاخ أن يقبض عليه ويقيده بداره ويصادره وذلك فى صفر سنة ثلاث وثلاثين فصادره واستصفى أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب ثم جعله فى تنور خشب فى داخله مسامير تمنع من الحركة وتزعج من فيه لضيقه ثم مات منتصف ربيع الاول وقيل انه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله وكان عمر بن الفرج الرخجى يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له ولما استخلف قبض عليه فى رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف

(نكبة ايتاخ ومقتله)

كان ايتاخ مولى السلام الابرص وكان عنده ناخوريا طباخا وكان شجاعا فاشتراه المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع فى دولته ودولة الواثق ابنه وكان له المؤنة

بسامرا مع اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكانت نكبة العظماء فى الدولة على يديه وحبسهم بداره مثل أولاد المأمون وابن الزيات وصالح وعجيف وعمر بن الفرج وابن الجنيد وأمثالهم وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والاتراك وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعربد على ايتاخ وهم ايتاخ بقتله ثم غدا عليه فاعتذر له ودس عليه من زين له الحج فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمر به وسار لذلك فى ذى القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسار العسكر بين يديه وجعلت الحجابة الى وصيف الخادم ولما عاد ايتاخ من الحج بعث اليه المتوكل بالهدايا والالطاف وكتب الى اسحق بن ابراهيم بن مصعب يأمره بحبسه فلما قارب بغداد كتب اليه اسحق بأن المتوكل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بنو هاشم ووجوه الناس وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك ووقف اسحق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول اليه ووكل بالابواب ثم قبض على ولديه منصور ومظفر وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد وبعث ايتاخ اليه يسأله الرفق بالولدين ففعل ولم يزل ايتاخ مقيدا بالسجن الى أن مات فقيل انهم منعوه الماء وبقى ابناه محبوسين الى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل

(شأن ابن البغيث)

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتنعا فى حصونه باذربيجان وأعظمها مرند واستنزل من حصنه أيام المتوكل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمرند وقيل انه فى حبس اسحق بن ابراهيم بن مصعب وشفع فيه بغا الشرابى فأطلقه اسحق فى كفالة محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وكان يتردد الى سامرا حتى مرض المتوكل ففر ولحق بمرند وشحنها بالاقوات وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتى رجل والوالى بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم بن هرثمة فلم يقاومه فعزله المتوكل وولى حمدويه بن على بن الفضل السعدى فسار اليه وحاصره بمرند مدة وبعث اليه المتوكل بالمدد وطال الحصار فلم يغن فيه فبعث بغا الشرابى فى ألفى فارس فجاء لحصاره وبعث اليه عيسى بن الشيخ بن السلسل بالامان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل فنزل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق بغا وخرج هو هاربا ونهبت منازله وأسرت نساؤه وبناته ثم أدرك بطريقه وأتى به أسيرا وباخويه صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيث وجاء بهم بغا الى بغداد وحملهم على الجمال يوم قدومه حتى رآهم الناس وحبسوا ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه فى الشاكرية مع عبد الله بن يحيى خاقان

(بيعة العهد)

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمدا وطلحة وابراهيم ويقال في طلحة ابن الزبير وجعل محمدا أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه افريقية والمغرب وقنسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة وهيت والموصل وعانة والخابور وكور دجلة والسواد والحرمين وحضرموت والحرمين والسند ومكران وقندابيل وكور الاهواز والمستغلات بسامرا وماء الكوفة وماء البصرة وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس ثم أضاف اليه سنة أربعين خزن الاموال ودور الضرب في جميع الآفاق وأمر أن يرسم اسمه في السكة وجعل الثالث ابراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الاعمال الشامية وفي هذه السنة أمر الجند بتغيير الزي فلبسوا الطيالسة العسلية وشدوا الزنانير في أوساطهم

وجعلوا الطراز في لباس المماليك ومنع من لباس المناطق وأمر بهدم البيع المحدثة لاهل الذمة ونهى أن يستغاث بهم في الاعمال وأن يظهروا في شعانيهم الصلبان وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب

(ملك محمد بن ابراهيم)

كان محمد بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس وهو ابن أخي طاهر وكان أخوه اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان ابنه محمد بباب الخليفة بسامرا نائبا عنه فلما مات اسحق سنة خمس وثلاثين ولاه المتوكل وضم اليه أعمال أبيه واستخلفه المعتز على اليمامة والبحرين ومكة وحمل الى المتوكل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيرا وبلغ ذلك محمد بن ابراهيم فتنكر للخليفة ولمحمد بن أخيه وشكا ذلك محمد الى المتوكل فسرحه الى فارس وولاه مكان عمه محمد فسار وعزل عمه محمدا وولى مكانه ابن عمه الحسين بن اسمعيل بن مصعب وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه الشراب فمات

(انتقاض أهل أرمينية)

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البطريق بقراط بن أسواط وهو بطريق البطارقة يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما الى المتوكل فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زرارة وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه فسرح

المتوكل بغا الكبير فسار على الموصل والجزيرة وأناخ على أردن حتى أخذها وحمل موسى واخوته الى المتوكل وقتل منهم ثلاثين ألفا وسبى خلقا وسار الى مدينة دبيل فأقام بها اشهرا ثم سار الى تفليس فحاصرها وبعث فى مقدمته ربرك التركى وكان بتفليس اسحق بن اسمعيل بن اسحق مولى بنى أمية فخرج وقاتلهم وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر فأمر بغا أن يرمى عليها بالنفط فاضطرمت النار فى الخشب واحترقت قصور اسحق وجواريه وخمسون ألف انسان وأسر الباقون وأحاطت الاتراك والمغاربة باسحق فأسروه وقتله بغا لوقته ونجا أهل اسحق بأمواله الى صعدنيل مدينة حذاء تفليس على نهر الكر من شرقيه بناها أنوشروان وحصنها اسحق وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا ثم بعث الجند الى قلعة أخرى بين بردعة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها ثم سار الى عيسى بن يوسف فى قلعة كيس من كور البيلقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من البطارقة وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(عزل ابن أبى دواد وولاية ابن أكثم)

وفى سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على أحمد بن أبى دواد وقبض ضياعه وحبس أولاده فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوى عشرين ألفا ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم وفلج أحمد فأحضر المتوكل يحيى بن أكثم وولاه قضاء القضاة وولى أبا الوليد بن أبى دواد المظالم ثم عزله وولى أبا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله وولى يحيى بن أكثم على المظالم ثم عزله سنة أربعين وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف حربو وولى مكانه جعفر ابن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على وتوفى فى هذه السنة أحمد بن أبى دواد بعد ابنه أبى الوليد بعشرين يوما وكان معتزليا أخذ مذهبهم عن بشر المريسى وأخذه بشر عن جهم بن صفوان وأخذه جهم عن الجعد بن دهم معلم مروان

(انتقاض أهل حمص)

وفى سنة سبع وثلاثين وثب أهل حمص بعاملهم أبى المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه وقتلوا من أصحابه فولى مكانه محمد بن عبدويه الانبارى فأساء اليهم وعسف فيهم فوثبوا به وأمره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة فى الجامع كانت تجاوره

(اغارة البجاة على مصر)

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى أهل مصر فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن وكتب صاحب البريد بذلك الى المتوكل فشاور الناس في غزوهم فأخبروه انهم أهل ابل وشاء وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد وان فنيت الازواد هلك العسكر فأمسك عنهم وخاف أهل الصعيد من شرهم فولى المتوكل محمد ابن عبد الله القمي على أسوان وقفط والاقصر واسنا وأرمنت وأمره بحرب البجاة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار في عشرين ألفا من الجند والمطوعة وحملت المراكب من القلزم بالدقيق والتمر والادم الى سواحل بلاد البجاة وانتهى الى حصونهم وقلاعهم وزحف اليه ملكهم واسمه على بابا في أضعاف عساكرهم على المهاري وطاولهم على بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرقها القمي في أصحابه فناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة فأمر القمي جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلا وأسرا حتى استأمنوا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتي وأن يرد الى مملكته وسار مع القمي الى المتوكل واستخلف ابنه فخلع القمي عليه وعلى أصحابه وكسا أرجلهم الجلال المدبجة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعدا الايتاخي الخادم فولى سعد محمدا القمي فرجع معهم واستقامت ناحيتهم

(الصوائف)

وفي سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم في مائة مركب فكبسوها وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا الى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن اسحق الضبي فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبيا ومتاعا وذهبوا الى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقلعوا وغزا بالصائفة في هذه السنة على بن يحيي الارمني صاحب الصوائف وفي سنة احدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين وكانت تدورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصر فتنصر الكثير منهم ثم طلبت المفاداة فيمن بقي فبعث المتوكل سيفا الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب وكان الفداء على نهر اللامس ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم ولما رجع على بن يحيي الارمني من الصائفة

خرجت الروم فى ناحية سميساط فانتهوا الى آمد واكتسحوا نواحى الثغور والجزرية نهبا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم قرشاس وعمر بن عبد الاقطع وقوم من المتطوعة فلم يدركوهم وأمر المتوكل على بن يحيى أن يدخل بالشاتية فى تلك السنة ففعل وفى سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد الى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسى اليها فأقام بها شهرين ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير فى العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس وأربعين أغارت الروم على سميساط فغنموا وغزا على بن يحيى الارمنى بالصائفة كرة وانتقض أهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه الى بعض موالى المتوكل فأطلق ملك الروم فى فداء البطريق ألف أسير من المسلمين وفى سنة ست وأربعين غزا عمر بن عبد الله الاقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس وغزا قرشاس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فى الاسطول بعشرين مركبا فافتتح حصن انطاكية وغزا ملكهادوورهم وسبا وغزا على بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف وكان على يده فى تلك السنة الفداء فى ألفين وثلثمائة من الاسرى

(الولاية فى النواحى)

ولى المتوكل سنة ثنتين على بلاد فارس محمد بن ابراهيم بن مصعب وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسى واستوزر لاول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيات وولى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراسانى مولى الازد وعزل الفضل بن مروان وولى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر وعزل محمد بن عيسى وولى على حجابة بابه وصيفا الخادم عندما سار ايتاخ للحج وفى سنة خمس وثلاثين عهد لاولاده كما مر وولى على الشرطة ببغداد اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب مكان ابنه ابراهيم عندما توفى وكانت وفاته ووفاة الحسن بن سهل فى سنة واحدة وفى سنة ست وثلاثين استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولى على ارمينية وأذربيجان حربا وخراجا يوسف بن أبى سعيد محمد بن يوسف المروذى عند ماتوفى أبوه فجاءه فسار اليها وضبطها وأساء الى البطارقة بالناحية فوثبوا به كما مر وقتلوه وبعث المتوكل بغا الكبير فى العساكر فأخذ ثاره منهم وولى معادن السواد عبد الله بن اسحق بن ابراهيم وفى سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبى دواد عن القضاء وصادره وولى مكانه يحيى بن أكثم وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولاه

الشرطة والجزية وأعمال السواد وكان على مكة على بن عيسى بن جعفر بن المنصور فحج بالناس ثم ولى مكانه فى السنة القابلة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى وولى على الاحداث بطريق مكة والمواسم جعفر بن دينار وكان على حمص أبو المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى وثبوا به سنة تسع وثلاثين فولى مكانه محمد بن عبدويه وفى سنة تسع وثلاثين عزل يحيى بن أكثم عن القضاء وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد ابن جعفر بن سليمان وفى سنة ثنتين وأربعين ولى على مكة عبد الصمد بن موسى بن محمد ابن ابراهيم الامام وولى على ديوان النفقات الحسن بن مخلد بن الجراح عندما توفى ابراهيم بن العباس الصولى وكان خليفته فيها من قبل وفى سنة خمس وأربعين اختط المتوكل مدينته وأنزلها القواد والاولياء وأنفق عليها ألف ألف دينار وبنى فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله فى علوه وأجرى له الماء فى نهر احتفره وسماها المتوكلية وتسمى الجعفرى والماخورة وفيها ولى على طريق مكة أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة وولى على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سلمة وكانت له صولة على العمال فكان ينام المتوكل فسعى عنده فى الحسن بن مخلد وكان معه على ديوان الضياع وفى موسى ابن عتبة عبد الملك وكان على ديوان الخراج وضمن للمتوكل فى مصادرتهما أربعين ألفا وأذن المتوكل وكانا منقطعين الى عبيد الله بن خاقان فتلطف عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين وأشار اليه بأخذ مافيهما معا وبدأ بنجاح فنكبه وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع ثم ضرب فمات وصودر أولاده فى جميع البلاد على أموال جمة

(مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه)

كان المتوكل قد عهد الى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الامر لنفسه وكان يسميه المنتصر والمستعجل لذلك وكان المنتصر ينكر عليه انحرافه عن سنن سلفه فيما ذهبوا اليه من مذهب الاعتزال والتشيع لعلى وربما كان الندمان فى مجلس المتوكل يفيضون فى ثلب على فينكر المنتصر ذلك ويتهددهم ويقول للمتوكل ان عليا هو كبير بيتنا وشيخ بنى هاشم فان كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصفاعين سبيلا الى ذلك فيستخف به ويشتمه ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه ويتهدده بالقتل ويصرح بخلعه وربما استخلف ابنه الحبر فى الصلاة والخطبة مرارا وتركه فطوى من ذلك على النكث وكان المتوكل قد استفسد الى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن فأفسدوا عليه الموالى وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسميساط لتعهد الصوائف فسار لذلك واستخلف مكانه

ابنه موسى فى الدار وكان ابن خالة المتوكل واستخلف على الستر بغا الشرابى الصغير ثم تغير المتوكل لوصيف وقبض ضياعه باصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان فتغير وصيف لذلك وداخل المنتصر فى قتل المتوكل وأعدّ لذلك جماعة من الموالى بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر وجاؤا فى الليلة التى انعدوا فيها وحضر المنتصر ثم انصرف على عادته وأخذ زرافة الخادم معه وأمر بغا الشرابى الندمان بالانصراف حتى لم يبق الا الفتح وأربعة من الخاصة وأغلق الابواب الا باب دجلة فأدخل منه الرجال وأحس المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم واستماتوا وابتدروا اليه فقتلوه والقى الفتح نفسه عليهم ليقيه فقتلوه وبعث الى المنتصر وهو بيت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر وبايع له زرافة وركب الى الدار فبايعه من حضر وبعث الى وصيف ان الفتح قتل أبى فقتلته فحضر وبايع وبعث عن اخويه المعتز والمؤيد فحضرا وبايعاله وانتهى الخبر الى عبيد الله بن يحيى فركب من ليله وقصد منزل المعتز فلم يجده واجتمع عليه عشرة آلاف من الازد والارمن والزواقيل وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك وأصبح المنتصر فأمر بدفن المتوكل والفتح وذلك لاربع خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم وركب بعضهم بعضا وقصدوا باب السلطان فخرج اليهم بعض الاولياء فاسمعوه ورجع فخرج المنتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشردوهم عن الابواب فتفرّقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس

الخبر عن الخلفاء من بنى العباس أيام الفتنة وتغلب الاولياء وتضايق نطاق الدولة باستبداد الولاة فى النواحى من لدن المنتصر الى أيام المستكفى

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدّت اياالتهم على جميع ممالك الاسلام كما كان بنو أميه من قبلهم ثم لحق بالاندلس من فل بنى أمية من ولد هاشم بن عبد الملك حافده عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ونجا من تلك الهلكة فأجاز البحر ودخل الاندلس فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهرى وخطب للسفاح فيها حولا ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعزلوه فى ذلك فقطع الدعوة عنهم وبقيت بلاد الاندلس مقتطعة من الدولة الاسلامية عن بنى العباس ثم لما كانت وقعة فخ أيام الهادى على ابن الحسن بن على سنة تسع وتسعين ومائة وقتل داعيتهم يومئذ حسين بن على بن حسن المثنى وجماعة من أهل بيته ونجا آخرون وخلص منهم ادريس بن عبد الله بن حسن الى المغرب الاقصى وقام بدعوته البرابرة هنالك فاقتطع المغرب عن بنى العباس فاستحدثوا هنالك دولة لانفسهم ثم ضعفت الدولة العباسية بعد الاستفحال وتغلب على الخليفة

فيها الاولياء والقرابة والمصطنعون وصار تحت حجرهم من حين قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد وصار العلوية الى النواحى مظهرين لدعوتهم فدعا أبو عبد الله الشيعى سنة ست وثمانين ومائتين بافريقية فى كتامة لعبيد الله المهدى بن محمد بن جعفر بن محمد ابن اسمعيل بن جعفر الصادق وبايع له وانتزع افريقية من يد بنى الاغلب استولى عليها وعلى المغرب الاقصى ومصر والشأم واقتطعوا سائر هذه الاعمال عن بنى العباس واستحدثوا لهم دولة أقامت مائتين وسبعين سنة كما يذكر فى أخبارهم ثم ظهر بطبرستان من العلوية الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط ويعرف بالداعى خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحق بالديلم فأسلموا على يديه وملك طبرستان ونواحيها وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة احدى وثلثمائة الاطروش من بنى الحسين ثم من بنى على عمر داعى الطالقان أيام المعتصم وقد مر خبره واسم هذا الاطروش الحسن بن على بن الحسين بن على بن عمر وكانت لهم دولة وانقرضت أيام الحسين والثلثمائة واستولى عليها الديلم وصارت لهم دولة أخرى وظهر باليمن الرئيس وهو ابن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم بن حسن المثنى فأظهر هنالك دعوة الزيدية وملك صعدة وصنعاء وبلاد اليمن وكانت لهم هنالك دولة ولم تزل حتى الآن وأول من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاسم سنة تسعين ومائتين ثم ظهر أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج اذ ادعى انه أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدى وطعن الناس فى نسبه فادعى أنه من ولد يحيى بن زيد قتيل الجوزجان وقيل انه انتسب الى طاهر بن الحسين بن على والذى ثبت عند المحققين أنه على بن عبد الرحيم بن عبد القيس فكانت له ولبنيه دولة بنواحى البصرة أيام الفتنة قام بها الزنج الى أن انقرضت على يد المعتضد أيام السبعين ومائتين ثم ظهر القرمط بنواحى البحرين وعمان فسار اليها من الكوفة سنة تسع وسبعين أيام المعتضد وانتسب الى بنى اسمعيل الامام بن جعفر الصادق دعوى كاذبة وكان من أصحابه الحسن الجمالى وزكرونة القاشانى فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا لعبيد الله المهدى وغلبوا على البصرة والكوفة ثم انقطعوا عنها الى البحرين وعمان وكانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة وتغلب عليهم العرب من بنى سليم وبنى عقيل وفى خلال ذلك استبد بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا على الدعوة الا أنهم لا ينفذون أوامر الخلفاء وأقامت دولتهم الى آخر المائة الرابعة ثم اتصلت دولة أخرى فى مواليهم بغزنة الى منتصف المائة السادسة وكانت للاغالبة بالقيروان وافريقية دولة أخرى بمصر والشأم بالاستبداد من لدن الخمسين والمائتين

أيام المقتدر الى آخر المائة الثالثة ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طغج الى الستين والثلثمائة وفي خلال هذا كله تضايق نطاق الدولة العباسية الى نواحي السواد والجزيرة فقط الا أنهم قائمون ببغداد على أمرهم ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على النواحي وملكوا الاعمال ثم ساروا الى بغداد وملكوها وصيروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعوام الثلاثين والثلثمائة وكانت من أعظم الدول ثم أخذها من أيديهم السلجوقية من الغز احدى شعوب الترك فلم تزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة الى آخر المائة السادسة وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم وتشعبت عنها دول هي متصلة الى عهدنا حسبما نذكر ذلك كله في مكانه ثم استبد الخلفاء من بني العباس آخرا في هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس الى أن خرج التتار من مفازة الصين وزحفوا الى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية وزحفوا الى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم وانقرض أمر الخلافة وذلك سنة ست وخمسين وستمائة ثم أسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة وتشعبت عنها دول لهم ولاشياعهم في النواحي وهي باقية لهذا العهد آخذة في التلاشي كما نذكر ذلك كله في أماكنه

(دولة المنتصر)

ولما بويع المنتصر كما ذكرناه ولى على المظالم أبا عمرو أحمد بن سعيد وعلى دمشق عيسى ابن محمد النوشري وكان على وزارته أحمد بن الخصيب واستقامت أموره وتفاوض وصيف وبغا وأحمد بن الخصيب في شأن المعتز والمؤيد لما توقعوا من سطوتهما بسبب قتل المتوكل فحملوا المنتصر على خلعهما الاربعين يوما من خلافته وبعث اليهما بذلك فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وأوهموه القتل فخلا به المؤيد وتلطف به حتى أجاب وخلع نفسه وكتبا ذلك بخطهما ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الامراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم الى ذلك خشية عليكما منهم فقبلا يده وشكراه وشهد عليهما القضاة وبنو هاشم والقواد ووجوه الناس وكتب بذلك المنتصر الى الآفاق والى محمد بن طاهر ببغداد ثم ان أحمد بن الخصيب أغرى المنتصر بأخراج وصيف للصائفة وابعاده عن الدولة لما بينهما من الشحناء فأحضره المنتصر وقال له قد أتانا من طاغية الروم أنه أفسد الثغر فلا بد من مسيرك أو مسيري فقال بل أنا أشخص يا أمير المؤمنين فأمر أحمد بن الخصيب أن يجهزه ويزيح علل العسكر معه وأمره أن يوافي ثغر ملطية فسار وعلى مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد القروي الى أن يأتيه رأيه

(وفاة المنتصر وبيعة المستعين)

ثم أصابت المنتصر علة الذبحة فهلك لخمس بقين من ربيع الاول من سنة ثمان وأربعين ومائتين لستة أشهر من ولايته وقيل بل أكثر من ذلك فجعل السم فى مشرطة الطبيب فاجتمع الموالى فى القصر وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش وغيرهم فاستحلفوا قواد الاتراك والمغاربة والاشروسية على الرضا بمن يرضونه لهم ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الخصيب فعدلوا عن ولد المتوكل خوفا منهم ونظروا فى ولد المعتصم فبايعوه واستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش وغدا على دار العامة فى زى الخلافة وابراهيم بن اسحق يحمل بين يديه الحربة وصفت الممالك والاشروسية صفين بترتيب دواجن وحضر أصحاب المراتب من العباسيين والطالبيين وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر والغوغاء فشهروا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشدوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا ثم جاءت المبيضة والشاكرية وحمل عليهم المغاربة والاشروسية فنشبت الحرب وانتهبت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة وجاء بغا الصغير فدفعهم عنها وقتل منهم عدة وفتقت السجون وتمت بيعة الاتراك للمستعين ووضع العطاء على البيعة وبعث الى محمد ابن عبد الله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبد الله ابن طاهر بخراسان وهلك عمه الحسين بن طاهر بمرو فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه وعقد لمحمد بن عبد الله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين وولى عمه طلحة على نيسابور وابنه منصور بن طلحة على مرو وسرخس وخوارزم وعمه الحسين بن عبد الله على هراة وأعمالها وعمه سليمان بن عبد الله على طبرستان والعباس ابن عمه على الجوزجان والطالقان ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أناجور من قواد الترك الى العمرط الثعلبى فقتله واستأذنه عبد الله بن يحيى ابن خان فى الحج فأذن له ثم بعث خلفه من نفاه الى برقة وحبس المعتز والمؤيد فى حجره بالجوسق بعد أن أراد قواد الاتراك قتلهما فمنعهم أحمد بن الخصيب من ذلك ثم قبض على أحمد بن الخصيب فاستصفى ماله ومال ولده ونفاه الى قرطيش واستوزر اتامش وعقد له على مصر والمغرب وعقد لبغا الصغير على حلوان وماسيدان ومهرجانقرف وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخاصة أموره وخادمه واشناس على جميع الناس وعزل على بن يحيى الارمنى عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان وكان على حمص كندر فوثب به أهلها فأخرجوه فبعث المستعين الفضل ابن قارن وهو أخو مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم الى سامرا وبعث المستعين

الى وصيف وهو بالثغر الشامى بأن يغزو بالصائفة فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الاقطع فى تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل فى جماعة من أهل ملطية ولقى ملك الروم فخرج الاسقف فى خمسين ألفا فأحاطوا به وقتل عمر فى ألفين من المسلمين وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم وبلغ ذلك على بن يحيى وهو قافل من أرمينية الى ميافارقين ومعه جماعة من أهلها فنفر اليهم وهو فى نحو أربعمائة فقتلوا وقتل

(فتنة بغداد وسامرا)

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلى بن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغناء فى الجهاد واشتد نكيرهم على الترك فى غفلتهم عن المصالح وتذكروا قتل المتوكل واستيلاءهم على الامور فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير الى الجهاد وانضم اليهم الشاكرية يطلبون أرزاقهم ثم فتحوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر ثم أخرج أهل اليسار من بغداد الاموال ففرقوها فى المجاهدين وجاءت العامة من الجبال وفارس والاهواز فنفروا للغزو ولم يظهر للمستعين ولا لاهل الدولة فى ذلك أثر ثم وثب العامة بسامرا وفتحوا السجون وخرج من كان فيها وجاء جماعة من الموالى فى طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم وركب بغا ووصيف وأتامش فى الترك فقتلوا من العامة خلقا وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة

(مقتل أتامش)

كان المستعين لما ولى أطلق يد أمه وأتامش وشاهك الخادم فى الاموال وما فضل عنهم فللنفقات العباس بن المستعين وكان فى حجر أتامش فبعث ذلك عليه بغا ووصيف وضاق حال الاتراك والفراعنة ودسهم عليهم بغا ووصيف فخرج منهم أهل الكرخ والدور وقصدوه فى الجوسق مع المستعين وأراد الهرب فلم يطق واستجار بالمستعين فلم يجره وحاصروه يومين ثم افتتحوا عليه الجوسق وقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع ابن القاسم ونهبت أموالهم واستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبد الله بن محمد بن على على الاهواز ولبغا الصغير على فلسطين ثم غضب بغا الصغير على أبى صالح فهرب إلى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجانى وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد

(ظهور يحيى بن عمر ومقتله)

كان على الطالبيين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى أبا الحسين وأمه من ولد عبد الله بن جعفر وكان من سراتهم ووجوههم وكان عمر بن فرج يتولى أمر الطالبيين أيام المتوكل فعرض له أبو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدين لزمه فأغلظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق الى بغداد ثم جاء الى سامرا وقد أملق فتعرض لوصيف فى رزق يجرى له فأساء عليه واليها فرجع الى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن على من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من الاعراب وأهل الكوفة ودعا للرضى من آل محمد ففتق السجون ونهبه وطرد العمال وأخذ من بيت المال ألفى دينار وسبعين ألف درهم وكان صاحب البريد قد طير بخبره الى محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب الى عامله بالسواد عبد الله بن محمود السرخسى أن يصير مددا الى الكوفة فلقيه وقاتله فهزمهم يحيى وانتهب ما معهم وخرج الى سواد الكوفة واتبعه خلق من الزيدية وانتهى الى ناحية واسط وكثرت جموعه وسرح محمد ابن عبد الله بن طاهر الى محاربة الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب فى العساكر فسار اليه وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس فهزمه يحيى الى ناحية شاهى ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية واشتمل عليه عامة أهل الكوفة وأمداد الزيدية من بغداد وجاء الحسين بن اسمعيل وانضم اليه عبد الرحمن بن الخطاب وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصبح العساكر فساروا اليه فهزموه ووضعوا السيف فى أصحابه واسروا الكثير من اتباعه كان منهم الهيصم العجلى وغيره وانجلت الحرب عن يحيى ابن عمر قتيلا فبعثوا برأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فبعث به الى المستعين وجعل فى صندوق فى بيت السلاح وجئ بالاسرى فحبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين

(ابتداء الدولة العلوية بطبرستان)

لما ظهر محمد بن عبد الله بن طاهر بيحيى بن عمر وكان له من الغناء فى حربه ما قدمناه أقطعه المستعين قطائع من صوافى السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلا مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعى وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع وكان سليمان مكفولا لامه وقد حظى عندها وتقدم وفرق أولاده فى أعمال طبرستان

وأساؤا السيرة فى الرعايا ودخل محمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسالمون فسبى منهم وانحرفوا لذلك وجاء نائب محمد بن عبد الله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الارض الموات المرصدة لمرافق الناس فنكر ذلك الناظر على تلك الارض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان وبعث ابنا رستم الى الديلم يستنجدانهم على حرب سليمان وبعثا الى محمد بن ابراهيم من العلويين بطبرستان يدعوانه الى القيام بأمره فامتنع ودلهما على كبير العلوية بالرى الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط فشخص اليهما وقد اجتمع أهل كلار وسالوس ومقدمهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الديلم بأسرهم فبايعوه جميعا وطردوا عمال سليمان وابن أوس ثم انضم اليهم جبال طبرستان وزحف الحسن بمن معه الى مدينة آمد وخرج ابن أوس من سارية لمدافعته فانهزم ولحق بسليمان فى سارية فخرج سليمان لحرب الحسن ولما التقى الجمعان بعث الحسن بعض قواده خلف سليمان الى سارية وسمع بذلك سليمان فانهزم وملك الحسن سارية وبعث بعيال سليمان وأولاده فى البحر الى جرجان وقيل ان سليمان انهزم اختيارا لما كان بنو طاهر يتهمون به من التشيع ثم بعث الحسن الى الرى ابن عمه وهو القاسم بن على بن اسمعيل ويقال محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقى بن الحسين بن على بن زين العابدين فملكها وبعث المستعين جندا الى همذان ليمنعها ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الرى أساء السيرة وبعث محمد ابن طاهر قائده محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الرى وانتزعها منه وأسره فبعث اليه الحسن بن زيد قائده دواجن فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الرى ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان الى طبرستان فملكها ولحق الحسين بالديلم وسار سليمان الى سارية وآمد ومعهم أبناء قارن بن شهرزاد فصفح عنهم ونهى أصحابه عن القتل والاذى ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الرى من يدى أبى دلف وبعث مفلحا الى طبرستان فحارب الحسن بن زيد وهزمه واستولى على طبرستان ولحق الحسن بالديلم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع الى موسى بالرى

(مقتل باغر)

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بغا الصغير ولما قتل المتوكل زيد فى أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمنها له بعض أهل باروسما بألفى دينار فطلبه ابن مارمة وكيل باغر وحبسه ثم تخلص وسار الى سامرا وكانت له ذمة من نصرانى عند بغا

الصغير فأخبره النصراني من كيد بغا وأغراه عليه فغضب لذلك باغر وشكى الى بغا فأغلظ له القول وقال انى مستبدل من النصراني وافعل فيه بعد ذلك ما تريد ودس الى النصراني بالحذر من باغر وأظهر عزله وبقى باغر يتهدده وقد انقطع المستعين وقد وفد بغا في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان فسأل المستعين وصيفا عن أعمال أتباخ وقلدها لباغر فعذل وصيفا في الشأن فحلف له انه ما علم قصد الخليفة وتنكر بغا الباغر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكل وجدد عليهم العهد في قتل المستعين وبغا ووصيف وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الامر لهم ونمى الخبر على الترك الى المستعين فأحضر بغا ووصيفا وأعلمهما بالخبر فحلفا له على العلم وأمر بحبس باغر ورجلين معه من الاتراك فسخطوا ذلك وثاروا فانتهبوا الاصطبل وحضروا الجوسق وأمر بغا ووصيف وشاهك الخادم وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد ونزل على محمد ابن طاهر في بيته في المحرم سنة احدى وخمسين ولحق به القواد والكتاب والعمال وبنو هاشم وتخلف جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ فندم الاتراك وركب جماعة من قوادهم الى المستعين وأصحابه ليردوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا في بيعة المعتز

(بيعة المعتز وحصار المستعين)

كان قواد الاتراك لما جاؤا الى المستعين ببغداد يعتذرون من فعلهم ويتطارحون في الرضا عنهم والرجوع الى دار ملكه وهو يوبخهم ويعدد عليهم احسانه واساءتهم ولم يزالوا به حتى صرح لهم بالرضا فقال بعضهم فان كنت رضيت فقم واركب معنا الى سامرا فكلمه ابن طاهر لسوء خطابهم وضحك المستعين لعجمتهم وجهلهم بآداب الخطاب وأمر باستمرار أرزاقهم ووعدهم بالرجوع فانصرفوا حاقدين بما كان من ابن طاهر وأخرجوا المعتز من محبسه وبايعوا له بالخلافة وأعطى الناس شهرين وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال قد خلعت نفسك فقال أكرهت فقال ما علمنا ذلك ولا مخلص لنا في ايماننا فتركه وولوا على الشرطة ابراهيم البربرح وأضيفت له الكتابة والدواوين وبيت المال وهرب عتاب بن عتاب من القواد الى بغداد وقام محمد بن عبد الله بن طاهر بالاحتشاد واستقدم مالك بن طوق في أهل بيته وجنده وأمر حوبة بن قيس وهو على الانبار بالاحتشاد وكتب الى سليمان بن عمران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سامرا وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الاسوار والخنادق من الجانبين وجعل على كل باب قائدا ونصب على الابواب المجانيق والعرادات وشحن الاسوار بالرماة والمقاتلة وبلغت النفقة في ذلك ثلثمائة وثلاثين

ألف دينار وفرّض للعيارين الرزق وعرف عليهم وأنفذ كتب المستعين الى العمال بالنواحي تحمل الخراج الى بغداد وكتب المستعين الى الاتراك يأمرهم بالرجوع عما فعلوا وكتب المعتز الى محمد يدعوه الى بيعته وطالت المراجعات في ذلك وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حمص فاختلفت اليه وهو بالشأم كتب المستعين والمعتز يدعوه كل واحد منهما الى نفسه فاختار المعتز ورجع اليه وهرب اليه عبد الله بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه فقتله وهرب الحسن بن الافشين الى بغداد فخلع عليه المستعين وضمّ اليه الاشروسنية ثم عقد المعتز لاخيه الى أحمد الواثق عن حرب بغداد وضمّ اليه الجنود باكليال من قوادهم فسار في خمسين ألفا من الاتراك والفراغنة والمغاربة وانتهبوا ما بين عكبرا وبغداد من القرى والضياع وخربوها وهرب اليهم جماعة من أصحاب بغا الصغير ووصلوا الى باب الشماسية وولى المستعين على باب الشماسية الحسين ابن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب وجعل القوّاد هنالك تحت يده ووافت طلائع الاتراك بالقرب منه وأمدّه ابن طاهر بالشاه بن ميكال وبيدار الطبري ثم ركب محمد بن عبد الله بن طاهر من الغد ومعه بغا ووصيف والفقهاء والقضاة وذلك عاشر صفر وبعث اليهم يدعوهم الى مراجعة الطاعة على المعتز ولى عهده فلم يجيبوا فانصرفوا وبعث اليه القوّاد من الغد بأنهم زحفوا الى باب الشماسية فنهاهم عن مناداتهم بالقتال وقدم ذلك اليوم عبد الله بن سليمان خليفة بغا من مكة في ثلثمائة رجل ثم جاء الاتراك من الغد فاقتتلوا مع القوّاد وانهزم القوّاد وبلغ ابن طاهر أنّ جماعة من الاتراك ساروا نحو النهروان فبعث قائدا من أصحابه اليهم فرجع منهزما واستولى الاتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد ثم بعث المعتز عسكرا آخر نحو اربعة آلاف فنزلوا في الجانب الغربي وبعث ابن طاهر اليهم الشاه ابن ميكال فهزمهم وأثخن فيهم ورجع الى بغداد فخلع عليه وعلى سائر القوّاد أربع خلع وطوقا وسوارا من ذهب لكل واحد ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والحوانيت الى باب الشماسية ليتسع المجال للحرب وقدمت عليه أموال فارس والاهواز مع منكجور الاشروسني وخرج الاتراك لاعتراضه وبعث ابن طاهر لتلقيه فقدموا به بغداد ولم يظفر به الاتراك ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد واليا على الثغور الجزرية وأقام ينتظر الجند والمال فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقة الى بغداد فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف لمحاربتهم وصار الى ضيعة بالسواد فأقام بها فقال ابن طاهر لن يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبي ينصره الله به ثم ذهب الاتراك وقاتلوا

واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهبت الاسواق وورد الخبر من الثغور بأن بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز فقال ابن طاهر لعله ظن موت المستعين فكان كذلك ووصل كتابه بأنه جدد البيعة وكان موسى بن بغا مع الاتراك كما قدمنا فأراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره وفرّا القماطون من البصرة ورموا على الاتراك فأحرقوهم فبعث ابن طاهر الى المدائن ليحفظها وأمده بثلاثة آلاف فارس وبعث الى الانبار حوبة بن قيس فشق الماء الى خندقها من الفرات وجاء الى الاسحاقي من قبل المعتز فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر وملك الانبار ورجع حوبة الى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن اسمعيل في جماعة من القواد والجند فاعترضه الاتراك وحاربوه وعاد الانبار وتقدم هو لينزل عليهما وبينما هو يحط الأثقال اذا بالاتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم وكانوا قد كمنوا فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات وأخذ الاتراك عسكره ووصل الى الياسرية آخر جمادى الآخرة ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد وتوعدهم على الرجوع اليه وأمده بجند آخر فدخل من الياسرية وبعث على المخاض الحسين بن علي بن يحيى الارمني في مائتي مقاتل ليمنع الاتراك من العبور اليه من عدوة الفرات فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه وركب الحسين في زورق منحدرا وترك عسكره وأثقاله فاستولى عليها الاتراك ووصل المنهزمون الى بغداد من ليلتهم ولحق من عسكره جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم علي ومحمد ابنا الواثق وذلك أول رجب ثم كانت بينهم عدة وقعات وقتل من الفريقين خلق ودخل الاتراك في كثير من الايام بغداد وأخرجوا عنها ثم ساروا الى المدائن وغلبوا عليها ابن أبي السفاح وملكوها وجاء الاتراك الذين بالانبار الى الجانب الغربي وانتهوا الى صرصر وقصر ابن هبيرة واتصل الحصار الى شهر ذي القعدة وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القواد والعساكر فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق واتهم الذين كانوا مع بغا ووصيف لذلك فلحقوا بالاتراك ثم تراجع الاتراك وانهزم أهل بغداد ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس أخو الافشين ساعيا في الصلح بين الفريقين واتهم الناس ابن طاهر بالسعي في خلع المستعين فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه أبي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر وعمدوا الى دار رشيد ليهدموها وسأل ابن طاهر من المستعين أن يسكنهم فخرج اليهم ونهاهم وبرأ ابن طاهر مما اتهموه به فانصرفوا وترددت الرسل بين ابن طاهر وبين أبي أحمد فتجدد للعامة والجند سوء الفاق وطلب الجند أرزاقهم فوعدهم بشهرين وأمرهم بالنزول فأبوا الا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين وخاف

أن يدخلوا الاتراك كما عمل أهل المدائن والانبار فاصعد المستعين على سطح دار العامة حتى رآه الناس وبيده البردة والقضيب وأقسم عليهم فانصرفوا واعتزم ابن طاهر على التحول الى المدائن فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالغوغاء فأقصروا ونقل المستعين عن دار ابن طاهر الى دار رزق الخادم بالرصافة وأمر القواد وبني هاشم بالكون مع ابن طاهر فركب في تعبية وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الاصلاح فدعوا له وسار الى المستعين وأغراه به وأمر بغا ووصيفا بقتله فلم يفعلا وجاءه أحمد ابن اسرائيل والحسين ابن مخلد بمثل ذلك في المستعين فتغير له ابن طاهر فلما كان يوم الاضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بامضاء الصلح فأجاب وخرج الى باب الشماسية فجلس هنالك ابن طاهر الى المستعين وأخبره بأنه عقد الامر الى أن يخلع نفسه ويبذلوا له خمسين ألف دينار ويعطوه غلة ثلاثين ألف دينار ويقيم بالحجاز مترددا بين الحرمين ويكون بغا واليا على الحجاز ووصيف على الجبل ويكون ثلث الجباية لابن طاهر وجند بغداد والثلثان للموالي والاتراك فامتنع المستعين أولا من الخلع ظنا منه أن وصيفا وبغا معه ثم تبين موافقتهما عليه فأجاب وكتب بما أراد من الشروط وأدخل الفقهاء والقضاة وأشهدهم بأنه قد صير أمره الى ابن طاهر ثم أحضر القواد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الاصلاح الا حقن الدماء وأخرجهم الى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشروط ويشهدوا على اقراره فجاؤا بذلك لست خلون من المحرم سنة ثنتين وخمسين ومائتين

* (خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك) *

ولما تم ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتز على كتاب الشروط أخذ البيعة للمعتز على أهل بغداد وخطب له بها وبايع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك فنقله من الرصافة الى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله وأخذ البردة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج الى مكة فطلب البصرة فمنع منها وبعث الى واسط فاستوزر المعتز أحمد بن أبي اسرائيل ورجع أخوه أبو أحمد الى سامرا وفي آخر المحرم انصرف أبو الساج ديواز بن درموسب الى بغداد فقلده ابن طاهر معاون السواد فبعث معه مؤنه اليها لطرد الاتراك والمغاربة عنها وسار هو الى الكوفة ثم كتب المعتز الى ابن طاهر باسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين وكان محمد أبو عون من قواد ابن طاهر قد تكفل لابي اسحق بقتلهما وعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة ونمى الخبر اليهما بذلك فركبا الى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن القوم قد نقضوا العهد ثم بعث وصيف أخته سعاد الى المؤيد وكان في حجرها فاستوهبت له الرضا من المعتز وكذا فعل أبو أحمد

مع بغا وكتب لهما المعتز جميعا بالرضا ثم رغب الاتراك في احضارهما بسامرا فكتب
بذلك ودس الى ابن طاهر بمنعهما فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما
وحضرا بسامرا فعقد اليهما المعتز على أعمالهما ورد البريد الى موسى بن بغا الكبير ثم
كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان جاؤا اليه يطلبون أرزاقهم قال
كتبت الى أمير المؤمنين في ذلك فكتب الى ان كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم وان
كان لنا فلا حاجة لنا فيهم فشغبوا ففرق فيهم ألفي دينار فسكنوا ثم اجتمعوا ثانية
ومعهم الاعلام والطبول وضربوا الخيام بباب الشماسية وبنوا البيوت من الاعواد
والقصب وجمع محمد بن ابراهيم أصحابه وشحن داره بالرجال وأرادوا يوم الجمعة أن
يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فقعد واعتذر بالمرض فخرجوا الى الجسر ليقطعوه
فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه ثم دفعوا أصحاب ابن طاهر باعانة أهل الجانب
الشرقي وجاء العامة لمجلس الشرطة فأمر ابن طاهر باحراق الحوانيت الى باب الجسر
ومات أصحاب تعبية الحرب وجاء من دله على عورة الجند فسرح الشاه ابن ميكال
وعرض القواد فساروا الى ناحيتهم وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل وحمل رئيسهم الآخر
ابن القاسم عبدون بن الموفق الى ابن طاهر ومات في خلال ذلك وأخرج المعتز أخاه المؤيد
من ولاية العهد وذلك أن العلاء بن أحمد عامل ارمينية بعث الى المؤيد بخمسة آلاف
دينار فأخذها عيسى بن فرخانشاه فأغرى المؤيد بعيسى الاتراك والمغاربة فبعث المعتز
الى المؤيد وابي أحمد فحبسهما وقتل المؤيد فأخذ خطه مبلغ نفسه ثم نمي اليه أن الاتراك
يرومون اخراجه من الحبس فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك وأخرج المؤيد
من الغد ميتا ودفنته أمه فيقال غطي على أنفه فمات وقيل اقعد في الثلج ووضع على
رأسه ثم نقل أخوه ابن أحمد الى مجلسه ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين فكتب الى محمد بن
عبد الله بن طاهر أن يسلمه الى سيما الخادم وكتب محمد في ذلك الى الموكلين به بواسط يقال
بل أرسل بذلك أحمد بن طولون فسار به في القاطول وسلمه الى سعيد بن صالح فضربه سعيد
حتى مات وقيل ألقاه في دجلة بحجر في رجله وكانت معه داية فقتلت معه وحمل رأسه
الى المعتز فأمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة ثم وقعت
فتنة بين الاتراك والمغاربة مستهل رجب بسبب ان الاتراك وثبوا بعيسى بن فرخانشاه
فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد فامتعضت المغاربة له وثاروا على الاتراك
وغلبوهم على الجوسق وأخذوا دوابهم وركبوها وملكوا بيت المال واستجاش
الاتراك من كان منهم في الكرخ والدور وانضم الغوغاء والشاكرية الى المغاربة
فضعفت الاتراك عن لقائهم وسعى بينهم جعفر بن عبد الواحد في الصلح فتوادعوا أياما

ثم اجتمع الاتراك على حين افتراق المغاربة فقصد محمد بن راشد ونصر بن سعيد منزل محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الهيعة فدس للاتراك بخبرهما وجاؤا فقتلوهما فى منزله وبلغ ذلك المعتز فهم بقتل بن عون ثم نفاه

(أخبار مساور الخارجى)

كان الوالى على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث بن هانى الخزاعى وكان صاحب الشرطة بالحديثة من أعمالها حسين بن بكير وكان مساور بن عبد الله ابن مساور البجلى من الخوارج يسكن بالبوازيج وحبس صاحب الشرطة حسين بن بكير بالحديثة ابنا لمساور هذا يسمى جوثرة وكان جميلا فكتب الى أبيه مساور بأن حسين بن بكير نال منه الفاحشة فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة فاختفى حسين وأخرج ابنه من الحبس ثم كثر جمعه من الاكراد والاعراب وقصد الموصل فقاتلها أياما ثم رجع فكان تحت طريق خراسان وكانت النظر بندار ومظفر بن مشبك فسار اليه بندار فى ثلثمائة مقاتل والخوارج مع مساور فى سبعمائة فهزموه وقتلوه ولم ينج منهم الانحو خمسين رجلا وفر مظفر الى بغداد وجاء الخوارج الى جلولاء وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق ثم سار خطرمش فى العساكر فلقيهم بجلولاء وهزمه مساور ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل ثم ولى الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبى سنة أربع وخمسين فاستخلف عليها ابنه الحسن فجمع عسكرا كان فيهم حمدون ابن الحرث بن لقمان جد الامراء من بنى حمدان ومحمد بن عبد الله بن السيد بن أنس وسارا الى مساور وعبر اليه نهر الزاب فتأخر عن موضعه وسار الحسن فى طلبه فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل وقتل محمد بن السيد الازدى ونجا الحسن بن أيوب الى أعمال اربل ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين وخلع المعتز وبويع للمهتدى وولى على الموصل عبد الله بن سليمان فزحف اليه مساور وخام عبد الله عن لقائه فملك مساور البلد وأقام بها جمعة وصلى وخطب ثم خرج منها الى الحديثة وكانت دار هجرته ثم انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زهير العمرى بسبب الخلاف فى توبة الخاطئ وقال عبيدة لاتقبل واجتمع معه جماعة وخرج اليهم مساور من الحديثة واقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل عبيدة وانهزم أصحابه وخرج اليه آخر من بنى زهر اسمه طوق فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى جمعا كثيرا وحاربه فقاتله سنة خمس أو سبع واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الاموال فسار اليه موسى بن بغا وبايكبال فى العساكر فانتهوا الى وبلغهم خبر الاتراك مع المهتدى فأقاموا ثم زحفوا بخلع المهتدى فلما ولى المعتمد سرمفلحا الى قتال مساور فى عسكر كبير وخرج

مساور عن الحديثة الى جبلين حذاءها وقاتله مفلح فى اتباعه ولحق الجبل فاعتصم به وأقام مفلح فى حصاره فكانت بينهما وقعات وكثرت الجراحة فى أصحاب مساور من لدن حربه مع عبيدة الى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار الى الموصل ثم الى ديار ربيعة وسنجار ونصيبين والخابور فأصلح أمورها وخرج من الموصل الى الحديثة ففارقها عنه فرجع مساور فى اتباعهم يتخطف من أعقابهم ويقاتلهم حتى وصل الحديثة فأقام بها أياما ثم سار الى بغداد فى رمضان سنة ست وخمسين فرجع مساور الحديثة واستولى على البلاد واشتدت شوكته ثم أوقع به مسرور البلخى سنة ثمان وخمسين وجهز العسكر بالحديثة مع جعلان من قواد الترك ثم قتل سنة احدى وستين يحيى بن جعفر من ولاة خراسان وسار مسرور فى طلبه وتبعه الموفق فلم يدركاه

* (مقتل وصيف ثم بغا) *

وفى سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز اجتمع الجند من الاتراك والفراغنة والاشروسنية فطلبوا أرزاقهم منهم لاربعة أشهر وشغبوا فخرج اليهم بغا ووصيف وسيما الطويل وكلمهم وصيف واعتذر بعدم المال وقال خذوا الزاب فى أرزاقكم ونزلوا بدار اشناس يتناظرون فى ذلك ومضى بغا وسيما الى المعتز يسألانه فى أمرهم وبقى وصيف فى أيديهم فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه ثم انقادوا وأهدر لهم ذلك وجعل المعتز لبغا الشرابى ما كان لوصيف وألبسه التاج والوشاحين ثم تغير له المعتز لما علمه من الاستبداد على الدولة وخشى غائلته ومال باطنا الى بابكيال وداخله فى أمره واعتمده لذلك ثم زوج بغا بنته آمنة من صالح بن وصيف وشغل بجهازها فركب المعتز فى تلك الغفلة ومعه حمدان بن اسرائيل الى بابكيال فى كرخ سامرا وكانت بينه وبين بغا وحشة شديدة وبلغ ذلك بغا فركب فى خمسمائة من غلمانه وولده وقواده وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسن وأقام المعتز على وجل لا ينام الا بسلاحه ثم تعلل أصحاب بغا عليه فأعرض عنهم وركب الحدر راجعا الى بغداد وجاء الجسر ليلا لئلا يفطن به الموكلون هنالك وبعثوا الى المعتز بخبره فأمر بقتله وحمل اليه رأسه ونصب بسامرا وأحرقت المغاربة شلوه وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز

* (ابتداء دولة الصفار) *

كان يعقوب بن الليث   عمر   الصفر بسجستان وكان صالح بن النضر الكنانى من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج وسمى أصحابه

المتطوعة حتى قيل له صالح المطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان وهلك صالح اثر ذلك وقام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن فكثر اتباعه وكان يعقوب بن الليث شهما وكان درهم مضعفا واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد فاجتمعت المتطوعة على يعقوب بن الليث وقام بقتال الشراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرب قراهم وكانت له شرية في أصحابه لم تكن لاحد قبله فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهرا طاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب الشراة فأحسن الغناء فيه وتجاوزه الى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم سار من سجستان الى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الانباري فجمع لمحاربة يعقوب وسار اليهم في التعبية فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف وكان المعتز قد كتب بولاية سجستان فكتب له الآن بولاية كرمان وكان على فارس علي بن الحسين بن   وأبطأ عامل الخراج واعتذر فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد اغراء كل منهما بصاحبه لان طاعتهما ممرضة فأرسل علي بن الحسين بفارس طوق بن الغلس خليفة على كرمان وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها وأقام يعقوب بمكانه قريبا منها يترقب خروج طوق اليه وبعد شهرين ارتحل الى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكر راجعا واغذ السير فصادفه بعد يومين وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففروا ناجين بأنفسهم وملك يعقوب كرمان وحبس طوق وبلغ الخبر الى علي بن الحسين وهو على شيراز فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز الى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا وأخذ علي أسيرا واستولى على جميع عسكره ودخل شيراز وملكها وجبى الخوارج ورجع الى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين ويقال بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها علي وكان عسكره نحوا من خمسة عشر ألفا من الموالي والاكراد ورجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الابواب وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا الى الاهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن عليا وأخذ منه ألف بردة ومن الفرش والسلاح والآلة مالايحد وكتب الى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع الى سجستان ثم

استعاد الخليفة بعد ذلك فارس وبعث عماله اليها

(ابتداء دولة ابن طولون بمصر)

كان بابكيال من أكابر قواد الاتراك مع بغا ووصيف وسيما الطويل ولما حدثت هذه الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الاعمال والنواحى فى اقطاعهم فاقطع المعتز بابكيال هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدبر وكان بابكيال مقيما بالحضرة فنظر فيمن يستخلفه عليها وكان أحمد بن طولون من أبناء الاتراك وأبوه من سبى فرغانة وربى فى دار الخلفاء ونشأ ابنه أحمد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله وأشير عليه بتوليته فبعثه على مصر فاستولى عليها أولا دون أعمالها والاسكندرية ثم قتل المعتز بابكيال وصارت مصر فى اقطاع بارجوخ التركى وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة فكتب اليه واستخلفه على مصر جميعها ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثا لبنيه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة

(استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد)

قد تقدم لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد وكانت لهم الشرطة وغيرها وكان مقيما ببغداد وكان فى المدافعة عن المستعين لما لجأ اليه ثم صلح ما بينه وبين المعتز واستقل المعتز بالخلافة والآثار المذكورة ثم هلك آخر سنة ثلاث وثمانين أيام المعتز وفوض ما كان بيده من الولاية الى أخيه عبيد الله نازعه ابنه طاهر فى الصلاة عليه ومالت العامة مع أصحاب طاهر والقواد مع عبيد الله لوصية أخيه ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبد الله بن طاهر من خراسان وولاه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد وعزل أخاهما عبيد الله فلما علم عبيد الله تقدم سليمان أخذ ما فى بيت المال وانتقل الى غربى دجلة وجاء سليمان وقائده محمد بن أوس ومعه جند من خراسان فأساؤا السيرة فى أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقى فى بيت المال وقدمهم على جند بغداد وشاكريها فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون وعبر ابن أوس الى الجزيرة واتبعه الجند والعامة فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب الشماسية ونهب من منزله قيمة ألفى الف درهم ومن الامتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمره بالخروج الى خراسان ثم كانت الفتنة فى خلع المعتز وولاية المهتدى كما يذكر وبعث المهتدى سلخ رجب من سنة خمس وخمسين الى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعثه اليها المعتز فنقله سليمان الى داره ووثب الجند والعامة لذلك واجتمعوا بباب سليمان وقاتلهم

أصحابه مليا ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا الى بيعة أبى أحمد وطلبوا رؤيته فأظهره لهم ووعدهم بما طلبوا فافترقوا ووكل بحفظ أبى أحمد ثم بايع للمهتدى فى شعبان من تلك السنة

(خبر كرخ اصبهان وأبى دلف)

قد تقدم لنا شأن أبى دلف أيام المأمون وانه كان مقيما بكرخه وان المأمون عذله عما وقع منه فى القعود عن نصره وأقام بتلك الناحية وهلك فقام ابنه عبد العزيز مكانه ولما كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين وولى وصيف على الجبل واصبهان فكتب الى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير فى شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل واصبهان فسار لذلك وفى مقدمته مفلح فلقيه عبد العزيز بن أبى دلف فى عشرين ألفا خارج همذان فصار با وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه وسار مفلح الى الكرخ فخرج اليه عبد العزيز وقاتله ثانية فانهزم واستولى مفلح على الكرخ ومضى عبد العزيز الى قلعة نهاوند فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وأمه ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على اعمال الجبل ثم عقد لموسى بن بغا فسار وفى مقدمته مفلح فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله ثم هلك عبد العزيز وقام مكانه ابنه دلف وقاتله القاسم بن صبهاء من أهالى اصبهان ثم قتل القاسم أصحاب ابى دلف وولوا أخاه أحمد بن عبد العزيز سنة خمس وستين وولاه عمر الصفار من قبله على اصبهان عندما ولاه عليها المعتمد سنة ست وستين وحاربه كغليغ التركى سنة تسع وستين فغلبه أحمد وأخرجه الى الصيمرة وبعث اليه عمر سنة ثمان وستين فى المال فبعث اليه ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحمد باصبهان فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها النزول الموفق ثم مات أحمد سنة ثمانين وولى أخوه عمرو وأخوه بكير يرادفه وقاتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمهما كما يأتى ذكره ثم قلده المعتضد اصبهان ونهاوند والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة احدى وثمانين ثم راجعا الطاعة

(خلع المعتز وموته وبيعة المهتدى)

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلبا على المعتز وكان كاتبه أحمد بن اسرائيل وكانت أمه قبيحة ووزيرها الحسن بن مخلد وكان أبو نوح عيسى بن ابراهيم من كبار الكتاب وجباة الاموال وطلب الاتراك أرزاقهم وشغبوا فقال صالح للمعتز هذه الاموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء وليس فى بيت المال شئ فرد عليه أحمد بن اسرائيل وأفحش فى رده وتفاوضا فى الكلام فسقط صالح مغشيا عليه وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتضين سيوفهم فدخل الى قصره فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيدوا وشنع

المعتز في أمر وزيره فلم يقبل شفاعته وصادرهم على مال جليل حملوه فلم يستدّ شيأ فلما فعلوا بالكتّاب ما فعلوا من المصادرة اتهمهم الجند انهم حملوا على مال ولم يكن ذلك فشغبوا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفا يبذلها لهم وسألها من أمّه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعه ودخل اليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال وطلبوه في الخروج اليهم فاعتذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا وجرّوه الى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار وكلما مرّ به أحد منهم لطمه ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فأشهدهم على خلعه وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمّه وأخته وولده وفرّت أمّه قبيحة من سرب كانت اتخذته بالدار ثم عذبوا المعتز ثم جعلوه في سرب وطموا عليه وأشهدوا على موته بني هاشم والقوّاد وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين وبايعوا لمحمد ابن عمه الواثق ولقبوه المهتدي بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقرّ بالعجز والرغبة في تسليمها الى المهتدي بايعه الخاصة والعامة وكانت قبيحة أم المعتز لما فعل صالح بالكتّاب ما فعل قد نفرا منهم على الفتك بذلك بصالح ونمى ذلك اليه فجمع الاتراك على الثوران وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت ما في الخزائن من الاموال والجواهر وحفرت سربا في حجرتها هربت منه لما أحيط بالمعتز ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت الى صالح تستأمنه فأحضرها في رمضان وظفر منها بخمسمائة ألف دينار وعذبها على خزائن تحت الارض فيها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم ير مثله ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الاحمر القليل النظير وذمّها الناس بأنها عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال ثم سارت الى مكة فأقامت هنالك وقبض صالح على أحمد بن اسرائيل وزيد بن المعتز وعذبه وصادره ثم قبض على أبي نوح وفعل به مثله وقبض على الحسن بن مخلد كذلك ولم يمت وبلغ المهتدي ذلك فنكره وقال كان الحبس كافيا في العقوبة ولاوّل ولاية المهتدي أخرج القيان والمغنين من سامرا ونفاهم عنها وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وردّ المظالم وجلس للعامة وكانت الفتن قائمة والدولة مضطربة فشمّر لاصلاحها لو أمهل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة

(مسير موسى بن بغا الى سامرا ومقتل صالح بن وصيف)

كان موسى بن بغا غائبا بنواحي الري واصبهان منذ ولاية المعتز عليها سنة ثلاث وخمسين ومعه مفلح غلام أبي الساج وكانت قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب أموره

كتبت الى موسى قبل أن يفوت فى المعتز أمره فجاءه كتابها وقد بعث مفلحا لحرب الحسن بن زيد العلوى فظفر به بطبرستان فغلبه وأحرق قصوره بآمد وخرج فى اتباعه الى الديلم فكتب الى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو فى استقدامه وانتظاره قتل المعتز وبويع المهتدى وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتابه وأمه فشرهوا الى مثل ذلك وأغروا موسى بالمسير الى سامرا ورجع مفلح من بلاد الديلم اليه وهو بالرى فسار نحو سامرا وسمع المهتدى بذلك فكتب اليه بالمقام ويعذره على ما وراءه من العلويين فلم يصغ لذلك وأفحش أصحابه فى اساءة الرسل الواصلين بالكتب فكتب بالاعتذار واحتج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه ان عادوا الى الرى وصالح بن وصيف فى خلال ذلك يغرى به المهتدى وينسبه الى المعصية والخلاف الى أن قدم فى المحرم سنة ست وخمسين ودخل فى التعبئة فاختفى صالح بن وصيف ومضى موسى الى الجوسق والمهتدى جالس للمظالم فأعرض له عن الاذن ساعة ارتاب فيها هو وأصحابه وظنوا أنه ينتظر قدوم صالح بالعساكر ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهتدى وأودعوه دار باجورة وانتهبوا ما كان فى الجوسق واستغاث المهتدى بموسى فعطف عليه ثم أخذ عليه العهود والايمان أن لا يوالى صالحا وأن باطنه وظاهره فى موالاتهم سواء فجددوا له البيعة واستبد موسى بالامر وبعث الى صالح للمطالبة بما احتجبه من الاموال فلم يوقف له على أثر وأخذوا فى البحث عنه وفى آخر المحرم أحضر المهتدى كتابا رفعه اليه سيما الشرابي زعم أن امرأة دفعته اليه وغابت فلم يرها وحضر القواد وقرأ سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح يذكر ما صار اليه من الاموال وأنه انما استتر خشية على نفسه وحسما للفتنة وابقاء على الموالى ولما قرأ الكتاب حثهم المهتدى على الصلح والاتفاق فاتهمه الاتراك بالميل الى صالح وأنه مطلع على مكانه
بذلك

ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهتدى الا أخا بابكيال فانه أبى من ذلك وتهددهم بأنه مفارقهم الى خراسان واتصل الخبر بالمهتدى فاستدعاه اليه وقد نظف ثيابه وتطيب وتقلد سيفه فأرعد وأبرق وتهددهم بالاستماتة ثم حلف لا يعلم مكان صالح وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح فى أمر المعتز وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه فى ذلك كله وانتشر الخبر فى العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعه فطفقوا يحاذرون على الدعاء فى المساجد والطرقات ويغرون على القواد بغيهم على الخليفة ويرمون الرقاع بذلك فى الطرقات ثم ان الموالى بالكرخ والدور دسوا الى المهتدى أن يبعثوا اليه أخاه أبا القاسم عبد الله بعد أن ركبوا

وتحركوا فقالوا لابى القاسم بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة للخليفة فيما يريده وشكوا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صاروا من الاقطاع والزيادات الى قوادهم وما أخذه النساء والدخلاء حتى أجحف ذلك كله بالخراج والضياع وكتبوا بذلك الى المهتدى فأجابهم بالثناء على التشيع له والطاعة والوعد الجميل فى الرزق والنظر الجميل فى شأن الاقطاعات للقواد والنساء فأفاضوا فى الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الجور والاستبداد عليه وأن ترجع الرسوم الى عادتها أيام المستعين على كل عشرة عريف وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد وأن تسقط النساء والزيادة فى الاقطاع ويوضع العطاء فى كل شهرين وكتبوا بذلك الى المهتدى وانهم صائرون الى بابه ليقضى حوائجهم وان أحدا اعترض عليه أخذوا رأسه وان تعرض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وماجور فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهتدى للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقواد قائمون فى مراتبهم فقرأ كتابهم على القواد فاضطربوا وكتب بجوابهم بما سألوا وطلب أبو القاسم من القواد أن يبعثوا معه رسولا بالعذر عنهم ففعلوا ومضى أبو القاسم اليهم بكتاب الكتاب وبرسل القواد واعذارهم فكتبوا الى المهتدى يطلبون التوقيعات بحط الزيادات ورد الاقطاعات واخراج الموالى البرانيين من الخاصة ورد الرسوم الى عاداتها أيام المستعين ومحاسبة موسى ابن بغا وصالح بن وصيف على ما عندهم من الاموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف النظر فى الجيش الى بعض اخوته أو قرابته واخراجه من الموالى وكتبوا بذلك الى المهتدى والقواد فأجابهم الى جميع ما سألوه وكتب اليهم موسى بن بغا بالاجابة فى شأن صالح والاذن فى ظهوره فقرؤا الكتابين ووعدوا بالجواب فركب اليهم أبو القاسم واتبعه موسى فى ألف وخمسمائة فوقف فى طريقهم وجاءهم أبو القاسم فاضطربوا فى الجواب ولم يتفقوا فرجع وردّ موسى بن بغا فأمرهم المهتدى بالرجوع وأن يتقدم اليهم محمد بن بغا مع أبى القاسم ويدفعوا اليهم كتاب الامان لصالح بن وصيف وقد كان من طلبتهم أن يكون موسى فى مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش فى يده وأن يظهر على الامان فأجيبوا الى ذلك وافترق الناس الى الكرخ والدور وسامرا فلما كان من الغد ركب بنو وصيف فى جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبى القاسم يطلبون صالحا فأنكر المهتدى أن يكون علم بمكانه وقال ان كان عندهم فليظهروه ثم ركب ابن بغا فى القواد ومعه أربعة آلاف فارس وعسكروا فافترق الاتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لاهل الدور وسامرا فى هذا اليوم حركة وجدّ موسى فى طلب صالح ونادى عليه وعثر عليه بعض الغوغاء فجاء به الى الجوسق

والعامة فى اتباعه فضرب به بعض أصحاب مفلح فقتله وطيف برأسه على قناة وخرج موسى بن بغا لقتال الشراة بناحية السن

(الصوائف منذ ولاية المنتصر الى آخر أيام المهتدى)

فى سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد بن عمرو الشارى وحكم فسرح المنتصر اسحق بن ثابت الفرغانى فأسره فى عدة من أصحابه وقتلوا وصلبوا وفى هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المنتصر بالمقام بملطية أربع سنين يغزو فى أوقات الغزو الى أن يأتيه رأيه وكان مقيما بالثغر الشامى فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية وفى سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار فافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الاقطع فى الدخول الى بلاد الروم فأذن له فدخل فى جموع من أهل ملطية ولقى ملك الروم بمرج الاسقف فى خمسين ألفا فأحاطوا به وقتل فى ألفين من المسلمين وخرج الروم الى الثغور الجزرية فاستباحوها وبلغ ذلك على ابن يحيى الارمنى وقد كان صرف على الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان فلما سمع بخبرهم نفر اليهم وقاتلهم فانهزم وقتل فى أربعمائة من المسلمين وفى سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر

(الولاة)

لما ولى المنتصر استوزر أحمد بن الخصيب وولى على المظالم أبا عمرو أحمد بن سعيد مولى بنى هاشم ثم ولى المستعين ومات طاهر بن عبد الله بخراسان فولى المستعين مكانه ابنه محمدا وولى محمد بن عبد الله على العراق وجعل اليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد واستخلف أخاه سليمان بن عبد الله على طبرستان وتوفى بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله وضاف اليه ديوان البريد وشغب أهل حمص على عاملهم وأخرجوه فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقا وحمل مائة من أعيانهم الى سامرا واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الخصيب واستصفى ونفى الى اقريطش وعقد لأتامش على مصر والمغرب ولبغا الشرابى على حلوان وماسبذان ومهرجا بعده ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبد الله بن محمد بن داود وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخانشاه وولى وصيفا على الاهواز وبغا الصغير على فلسطين ثم غضب بغا على أبى صالح ففر الى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجانى وولى ديوان الرسائل سعيد بن حميد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه الى البصرة وولى جعفر بن محمد بن عمار البرجمى وفى خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بساسان على مكة ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فسرح اليهم المستعين موسى

ابن بغا وحاربوه فهزمهم واقتحمت حمص وأثخن فيهم وأحرقها وفيها وثب الشاكرية والجند بفارس بعبد الله بن اسحق فانتهبوا منزله وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبد الله بن اسحق وفيها كان ظهور العلوية بنواحى طبرستان وفى سنة احدى وخمسين عقد المعتز لبغا ووصيف على أعمالها وردّ البريد الى موسى بن بغا الكبير وعقد محمد بن طاهر لابى الساج وقدم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا وأظهر أنه انما جاء لحرب الاعراب وتلطف لابى أحمد حتى خالطه وقيده وبعث به الى بغداد فى سنة ثنتين وخمسين وولى المعتز الحسين بن أبى الشوارب على القضاء وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر أبا الساج على طريق مكة وعقد المعتز لعيسى الشيخ بن السليل الشيبانى من ولد جساس بن مرّة على الرملة فاستولى على فلسطين وعلى دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشأم وكان ابراهيم بن المدبر على مصر فبعث الى بغداد من المال بسبعمائة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها وطولب بالمال فقال الفتنة على الجند فولاه المعتمد على أرمينية يقيم بها دعواه وبعث المعتمد الى الشأم ماجور على دمشق وأعمالها وبلغ الخبر الى عيسى فبعث ابنه منصورا فى عشرين ألف مقاتل فانهزم وقتل وسار عيسى الى أرمينية على طريق الساحل وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبى دلف العجلى على أعمال الجبل وفى سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل فسار وفى مقدمته مفلح مولى بنى الساج وقاتله عبد العزيز بن أبى دلف فانهزم ولجأ الى قلعة لها در وملك مفلح الكرخ وأخذ أهله وعياله وفيها مات ابن عبد الله بن طاهر ببغداد وولى أخوه عبيد الله بعهده ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاه مكانه وكان على الموصل سليمان بن عمران الازدى وكانت بينه وبين الازد حروب بنواحى الموصل وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر وفيها ملك يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراة وكان ابتداء دولته وولى بابكيال أحمد بن طولون على مصر من قبله فكان ابتداء دولته ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين لبارجوج فولى عليها أحمد بن طولون من قبله وفى سنة خمس وخمسين أيام المهتدى استولى مساور الخارجى على الموصل وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فتنته

(أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته)

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم وما بعده أكثرهم من الزيدية وكان من أئمتهم على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلا بالبصرة ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه على بن محمد بن الحسين فقتل ببغداد ولايام من قتله خرج رجل بالرى يدعى انه على بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة

خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدى ولما ملك البصرة لقى عليا هذا حيا معروف النسب فرجع عن ذلك وانتسب الى يحيى قتيل الجوزجان أخى عيسى المذكور ونسبه المسعودى الى طاهر بن الحسين وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على لان ابن حزم قال فى الحسين السبط انه لا عقب له الا من على بن الحسين وقال فيه على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر وقال الطبرى وابن حزم وغيرهم من المحققين انه من عبد القيس واسمه على بن عبد الرحيم من قرية من قرى الرى ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأى الازارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت وسياقة خبره انه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر ومدحهم ثم شخص من سامرا الى البحرين سنة تسع وأربعين ادعى أنه من ولد العباس بن أبى طالب ثم من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من أهل هجر وغيرها وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته فتحول عنهم الى الاحساء ونزل على بنى الشماس من سعد بن تميم وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى ابن محمد الازرق وسليمان بن جامع فكانا قائدين له وقاتل أهل البحرين فانهزم وافترقت العرب عنه واتبعه على بن أبان وسار الى البصرة ونزل فى بنى ضبيعة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء والفتنة فيها بين البلالية والسعدية وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجته وجماعة من أصحابه فسار الى بغداد وأقام بها حولا وانتسب الى محمد ابن أبى أحمد بن عيسى كما قلناه واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحانى من ولد زيد بن صوحان ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن وسمى مسروقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل ثم وثب رؤساء البلالية والسعدية بالبصرة وأخرجوا العامل محمد بن رجاء فبلغه ذلك وهو ببغداد وان أهله خلعوه فرجع الى البصرة فى رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومسروق ورفيق فنزل بقصر القرشى ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبهم فى الاحسان وحلف لهم وكتب لهم فى خرقة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية واتخذها راية وجاءه موالى الزنوج فى عبيدهم فأمر كل عبد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم ولم يزل هذا رأيه والزنوج فى متابعته والدخول فى أمره وهو يخطبهم فى كل وقت ويرغبهم ثم عبر دجيلا الى نهر ميمون فاخرج عند الحميرى وملكه وسار الى الايلة وبها ابن أبى عون فخرج اليه فى أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم ثم سار الى القادسية فنهبها وكثر

سلاحهم وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله فبعث اليهم يحيى بن محمد فى خمسمائة رجل فهزمهم وأخذ سلاحهم ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منهما وكانت معهما سفن ألقتها الريح الى الشط فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده وجاء أبو هلال من قواد الاتراك فى أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه ثم خرج أبو منصور أحد موالى الهاشميين فى عسكر عظيم من المطوعة والبلالية والسعدية فسرح للقائهم على بن أبان فلقى طائفة منهم فهزمهم ثم أرسل طائفة أخرى الى مرفا السفن وفيه نحو من ألفى سفينة فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءت عساكر أبى منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل وعليهم على بن أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج اليه أهلها واحتشدوا وزحفوا اليه برا وبحرا فلقيهم بالسد وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل ووهن أهل البصرة وكتبوا الى الخليفة فبعث اليهم جعلان التركى مددا وولى على الابلة أبا الاحوص الباهلى وأمده بجند من الاتراك وقد بث صاحب الزنج أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب ولما وصل جعلان الى البصرة نزل على فرسخ منهم وخندق عليه وأقام ستة أشهر يسرح لحربهم الزنج مع بنى هاشم ومرجف ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه وتحول من مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعدة من المراكب غنم فيها أموالا عظيمة وقتل أهلها وألح بالغارات على الابلة الى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين وقتل عاملها أبا الاحوص عبيد الله بن حميد الطوسى وخلقا من أهلها واستباحها وأحرقها وبلغ ذلك أهل عبادان فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على ما فيها من الاموال والعبيد والسلاح الى الاهواز وبها ابراهيم ابن المدبر على الخراج فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسروا ابن المدبر فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم من البلدان وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين فهزمهم وأخذ ما معهم وأثخن فيهم وكان ابن المدبر أسيرا عندهم فى بيت يحيى بن محمد البحرانى وقد ضمن لهم مالا كثيرا ووكل به رجلين فداخلهم حتى حفر سربا من البيت وخرج منه ولحق بأهله

(خلع المهتدى وقتله وبيعة المعتمد)

وفى أول رجب من سنة ست وخمسين شغب الاتراك من الكرخ والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدى أخاه أبا القاسم ومعه كيغلغ وغيره فسكنوهم وعادوا وبلغ محمد

ابن بغا أنّ المهتدى قال للاتراك انّ الاموال عند محمد وموسى ابنى بغا فهرب الى أخيه بالسند وهو فى مقاتلة موسى الشارى فأمنه المهتدى ورجع ومعه أخوه حبشون وكيغلغ فكتب له المهتدى بالامان ورجع الى أصحابه وحبسه وصادره على خمسة عشر ألف دينار ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه الى موسى بن بغا بأن يتسلم العسكر وأوصاه بمحاربة الشارى وقتل موسى بن بغا ومفلح فقرأ الكتاب على موسى وتواطؤا على أن يرجع بابكيال فيتدبر على قتل المهتدى فرجع ومعه يارجوج واساتكين وسيما الطويل ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب فحبس بابكيال من بينهم واجتمع أصحابه ومعهم الاتراك وشغبوا وكان عند المهتدى صالح بن على بن يعقوب بن المنصور فأشار بقتله ومناجزتهم فركب فى المغاربة والاتراك والفراغنة على التعبية ومشى والبلخى فى الميمنة ويارجوج فى الميسرة ووقف هو فى القلب ومعه أساتكين وغيره من القوّاد وبعث برأس بابكيال اليهم مع عتاب بن عتاب ولحق الاتراك من صفة باخوانهم الاتراك وانفض الباقون على المهتدى وولى منهزما ينادى بالناس ولا يجيبه أحد وسار الى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة واقتحموا عليه وحملوه على بغل الى الجوسق وحبس عند أحمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فأبى واستمات فأخرجوا رقعة بخطه لموسى بن بغا وبابكيال وجماعة القوّاد انه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهمّ بذلك ومتى فعل شيأ من ذلك فقد جعل أمر الخلافة بأيديهم يولون من شاؤا فاستحلوا بذلك أمره وقتلوا وقيل فى سبب خلعه غير هذا وهو أنّ أهل الكرخ والدور من الاتراك طلبوا الدخول على المهتدى ليكلموه فأذن لهم وخرج محمد بن بغا الى المحمدية ودخلوا فى أربعة آلاف فطلبوا أن يعزل عنهم قوّاده ويصادرهم وكتّابهم على الاهواز ويصير الامر الى اخوته فوعدهم بالاجابة وأصبحوا من الغد يطلبون الوفاء بما وعدهم به فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك الا بسياسة ورفق فأبوا الا المعاجلة فاستحلفهم على القيام معه فى ذلك بايمان البيعة فحلفوا ثم كتبوا الى محمد بن بغا عن المهتدى وعنهم يعذلونه فى غيبته عن مجلسهم مع المهتدى وانهم انما جاؤا ليشكوا حالهم ووجدوا الدار خالية فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه فى الاموال وكتبوا الى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر الى من ذكروه لهم وبعثوا من يقيدهما ان لم يأتمرا لذلك ولما قرئت الكتب على موسى وأصحابه امتنعوا الذلك وساروا نحو سامرا وخرج المهتدى لقتالهم على التعبية وتردّدت الرسل بينهم بطلب موسى أن يولى على ناحية ينصرف اليها ويطلب أصحاب المهتدى أن يحضر عندهم فيناظرهم على الاموال الى أن انفض عنهم أصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان

ورجع بابكيال وجماعة من القواد الى المهتدى فقتل بابكيال ثم أنف الاتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وأرادوا طردهم فأبى المهتدى ذلك فخرج الاتراك عن الدار بأجمعهم طالبين ثار بابكيال فركب المهتدى على التعبية فى ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ونحو ألف من الاتراك أصحاب صالح بن وصيف واجتمع الاتراك للحرب فى عشرة آلاف فانهزم المهتدى وكان ماذكرناه من شأنه ثم أحضر أبو العباس أحمد بن المتوكل وكان محبوسا بالجوسق فبايعه الناس وكتب الاتراك الى موسى بن بغا وهما غائبان بمضر وكملت البيعة لاحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأصبح المهتدى ثانى يوم البيعة ميتا منتصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته ولم يزل ابن خاقان فى وزارته الى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطة بالميدان سال فيها دماغه من منخريه فاستوزر محمد بن مخلد ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان بن وهب ثم عزله وحبسه وولى الحسن ابن مخلد وغضب الموفق لحبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربى وترددت الرسل بينهما فاتفقا واطلقه وذلك سنة أربع وستين

* (ظهور العلوية بمصر والكوفة) *

وفى سنة ست وخمسين ظهر بمصر ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن الحنفية ويعرف بالصوفى يدعو الى الرضا من آل محمد وملك أشياء من بلاد الصعيد وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مصر فهزمهم وقتل قائدهم فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم الى أبوخات وجمع هنالك جموعا وسار الى الاشمومين فلقيه هنالك أبو عبد الرحمن العمرى وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزوا بلادهم لما كان منهم فى غزو بلاد المسلمين فاشتد أمره فى تلك الناحية وكثر اتباعه وبعث اليه ابن طولون عسكرا فقال لقائده أنا ألبث هنالك لدفع الاذى عن بلاد المسلمين فشاور أحمد بن طولون فأبى القائد الا من أجزته فهزمه العمرى ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره فبقى على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية فلما جاء الصوفى من الاشمونين لقيه العمرى فهزمه وعاد العمرى لى أسوان واشتد عيثه فبعث اليه ابن طولون العساكر فهرب الى عيذاب وأجاز البحر الى مكة وافترق أصحابه وقبض عليه والى مكة وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدة ثم أطلقه فرجع الى المدينة ومات بها

وفى هذه السنة على بن زيد وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد فى جيش كثيف فهزمه وأثخن فى أصحابه فسرح المعتمد الى حربه كيجور التركى فخرج على عن الكوفة

الى القادسية وملك ليجور الكوفة أول شوال وأقام علي بن زيد ببلاد بني أسد ثم غزا ليجور آخر ذي الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع الى الكوفة ثم الى سر من رأى وبقي علي هنالك الى أن بعث المعتمد سنة تسع عسكرا فقتلوه بعكبرا وانقطع أمره وقيل سار الى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الري وسار موسى بن بغا اليه

(بقية أخبار الزنج)

قد تقدم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره ورجع الى سامرا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخياط فقطع عنهم ميرة السفن ثم سار اليهم في البحر فهزموه الى البحرين ثم بعث الخبيث علي بن أبان من قواده الى اربل لقطع قنطرتها فلقي ابراهيم بن سيما منصرفا من فارس فأوقع بهم ابراهيم وخرج علي بن أبان وسار ابراهيم الى نهر جي وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه وجاء الخبر الى علي بن ابان باقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشد من الأول وانصرف الى جي وكان منصور بن جعفر الخياط منذ انهزم في البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق واصلاح السفن فزحف علي بن أبان لحصاره بالبصرة وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها وبعث لاحتشاد العرب فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين ثم اقتحمها علي بن أبان منتصف شوال وأثخن في القتل والتخريب ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الامان فأمنهم وأحضرهم في بعض دور الامارة فقتلهم أجمعين وحرق علي بن أبان الجامع ومواضع من البصرة واتسع الحريق من الجبل الى الجبل وعم النهب وأقام كذلك أياما ثم نادى بالامان فلم يظهر أحد وانتهى الخبر الى الخبيث فصرف علي بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحراني

(مسير المولد لحربهم)

لما دخل الزنج البصرة وخربوها أمر المعتمد محمدا المعروف بالمولد بالمسير الى البصرة وسار الى الابلة ثم نزل البصرة واجتمع اليه أهلها وأخرج الزنج عنها الى نهر معقل ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام ووطن المولد نفسه على المقام وبعث الخبيث الى يحيى بن محمد أبا الليث الاصبهاني مددا وأمرهم بتبييت المولد فبيتوه وقاتلوه تلك الليلة والغد الى المساء ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحراني الى الجامدة وأوقع بأهلها ونهب تلك القرى أجمع وعاث فيها ورجع الى نهر معقل

* (مقتل منصور الخياط) *

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار علىّ بن أبان الى جىّ وعلى الاهواز يومئذ منصور ابن جعفر الخياط قد ولاه عليها المعتمد بعد مواقعته الزنج بالبحرين فسار الى الاهواز ونزل جىّ وسار علىّ بن أبان قائد الزنج لحربه وجاء أبو الليث الاصبهانى فى البحر مددا له وتقدم الى منصور من غير امر علىّ فظفر منصور وقتل الكثير ممن معه وافلت منهزما الى الخبيث ثم تواقع علىّ بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه فى النهر ليعبر اليهم فغرق وقيل تقدم اليه بعض الزنج لما رآه فقتله فى الماء ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولى يارجوج على عمل منصور اصطيخور من قواد الاتراك

* (مسير الموفق لحرب الزنج) *

كان أبو أحمد الموفق وهو أخو المعتمد بمكة وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتد أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ولما انهزم سعيد بن سعيد ابن صالح عقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والاهواز ثم قتل كما قلناه فعقد المعتمد لاخيه أبى أحمد الموفق على مصر وقنسرين والعواصم وخلع على مفلح وذلك فى ربيع سنة ثمان وخمسين وسيرهما لحرب الزنج فساروا فى عدة كاملة وخرج المعتمد يشيع أخاه وكان علىّ بن أبان بجىّ ويحيى بن محمد البحرانى بنهر العباس والخبيث فى قلة من الناس وأصحابه مترددون الى البصرة لنقل ما نهبوه فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج الى صاحبهم مرتاعين فأمر علىّ بن أبان بالمسير اليهم ولقى مفلحا فى مقدمة الموفق فاقتتلوا وبينما هم يقتتلون اذ أصاب مفلحا سهم غرب فقتل وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم ثم رحل الموفق نحو الابلة ليجمع العساكر ونزل نهر أبى الاسد ووقع الموتان فى عسكره فرجع الى بادرود وأقام لتجهيز الآلة وازاحة العلل واصلاح السفن ثم عاد الى عسكر الخبيث فالتقوا واشتد الحرب بينهم الى نهر أبى الخصيب وقتل جماعة من الزنج واستنقذ كثير من النساء المسبيات ورجع الى عسكره ببادرود فوقع الحريق فى عسكره ورحل الى واسط وافترق أصحابه فرجع الى سامرا واستخلف على واسط

* (مقتل البحرانى قائد الزنج) *

كان اصطيخور لما ولى الاهواز بعد منصور الخياط بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج الى نهر العباس عند مسير الموفق اليهم فخرج اليه اصطيخور فقاتله وعبر يحيى النهر وغنم

سفن الميرة التي كانت عند اصطيخور وبعث طلائعه الى دجلة فلقوا جيش الموفق فرجعوا هاربين وطلائع الموفق في اتباعهم وعبروا النهر منهزمين وبقي يحيى فقاتل وانهزم ودخل في بعض السفن جريحا وغنم طلائع الموفق غنائمهم والسفن وأحرقوا بعضها وعبروا الماخوره على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم فسعى به طبيب كان يداوي بجراحه وقبض عليه وحمل الى سامرا وقطع ثم قتل ثم أنفذ الخبيث علي بن أبان وسليمان بن موسى الشعراني من قواده الى الاهواز وضم اليهما الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البحراني وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدستميسان وانهزم امامهما وغرق وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرهما وحبسوا ودخل الزنج الاهواز فأقاموا يفسدون في نواحيها ويعثون الى أن قدم موسى بن بغا

(مسير ابن بغا لحرب الزنج)

ولما ملك الزنج الاهواز سنة تسع وخمسين سرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الاعمال فبعث الى الاهواز عبد الرحمن بن مفلح والى البصرة اسحق بن كنداجق والى بادرود ابراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة الزنج فسار عبد الرحمن الى علي بن أبان فهزمه أولا ثم كانت لعبد الرحمن الكرة ثانيا فأثخن فيهم ورجعوا الى الخبيث وجاء عبد الرحمن الى حصن مهدي فعسكر به وزحف اليه علي بن أبان فامتنع عليه فسار الى ابراهيم بن سيما ببادرود فواقعه فانهزم أولا ابراهيم ثم كانت له الكرة ثانيا وسار ابن أبان في الغياض فاضرموها عليهم نارا ففروا هاربين وأسر منهم جماعة وسار عبد الرحمن الى علي بن ابان وجاءه المدد من الخبيث في البحر فبينما عبد الرحمن في حربه اذ بعث علي جماعة من خلفه وشعر بهم فرجع القهقرى ولم يصب منهم شئ الا بعض السفن البحرية ثم راجع حرب علي بن أبان وفي مقدمته فاشتموه فأوقعوا بعلي بن أبان ولحق بالخبيث صاحب الزنج وأقام عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم يتناوبان حرب الخبيث ويوقعان به واسحق بن كنداجق بالبصرة يقطع عنه المدد وهو يبعث لكل منهما طائفة يقاتلونهم وأقاموا على ذلك سبعة عشر شهرا الى أن صرف موسى بن بغا عن حربهم ووليها مسرور البلخي كما نذكر

(استيلاء الصفار على فارس وطبرستان)

قد تقدم استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على فارس أيام المعتز من يد علي بن الحسين ابن منبل ثم عادت فارس الى الخلفاء ووليها الحرث بن سيما وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي فاتفق مع أحمد بن الليث من الاكراد الذين بنواحيها

ووثبوا بالمرث بن سيما فقتلوه واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين وقام بدعوة المعتمد وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفياض فسار اليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين وبلغ ذلك المعتمد فكتب اليه بالنكير وبعث اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكهما وقبض على رتبيل وبعث الى المعتمد برسله وهداياه ثم رجع الى بست واعتزم على العود الى سجستان فعجل بعض قواده الرحيل قبله فغضب وأقام سنة ثم رجع الى سجستان

{ استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان }

ثم جاء الى هراة وحاصر مدينة حتى ملكها ثم سار الى بوشنج وقبض على الحسين بن على بن طاهر بن الحسين وبعث اليه محمد بن طاهر بن عبد الله شافعا فيه فأبى من اطلاقه ثم ولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان وكان بها عبد الله السجزي ينازعه فلما قوى عليه يعقوب فر منه الى خراسان وحاصر محمد بن طاهر فى نيسابور ورجع اليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد وولاه الطبسين وقهستان وأرسل يعقوب فى طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب اليه بنيسابور فلم يطق لقاءه ونزل يعقوب بظاهرها فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه ثم خرج اليه فوبخه على التفريط فى عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته ودخل نيسابور واستعمل عليها وأرسل الى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر فى أمره وغلبه العلوى على طبرستان فبعث اليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده والاسلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين وقيل فى ملكه نيسابور غير ذلك وهو ان محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والادبار فكاتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعوه فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر بمجيئه الى ناحية موريا بقصد الحسن بن زيد فى طبرستان وان المعتمد أمره بذلك وانه لا يعرض شيأ من أعمال خراسان وبعث بعض قواده عينا عليه يمنعه من البراح عن نيسابور وجاء بعده وقدم أخاه عمرا الى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنفه على الاهمال والعجز وقبض على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجلا وحملهم جميعا الى سجستان واستولى على خراسان ووثب نوابه فى سائر أعمالها وذلك لاحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبد الله السجزي الى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فبعث ليه فيه فأجاره وسار الى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن الى أرض الديلم وملك يعقوب سارية وآمل ومضى فى اثر الحسين من عسكره نحو من أربعين ألفا من

الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة وكتب الى المعتمد بذلك وكان عبد الله السجزى قد هرب بعد هزيمة الحسن العلوى الى الرى فسار يعقوب فى طلبه وكتب الى عامل الرى يؤذنه بالحرب ان لم يدفعه اليه فبعث به اليه وقتله ورجع الى سجستان

(استيلاء الحسن بن زيد على جرجان)

ولما هرب الحسن بن زيد امام مفلح من طبرستان ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع الى جرجان فبعث محمد بن طاهر اليها لعساكر لحفظها فلم يغنوا عنها وجاء الحسن فملكها وضعف أمر ابن طاهر فى خراسان وانتقض عليه كثير من أعمالها وظهر المتغلبون فى نواحيها وعاث السراة من الخوارج فى أعمالها ولم يقدر على دفعهم وآل ذلك الى تغلب الصفار على ابن طاهر وانتزاع خراسان من يده كما ذكرنا

(فتنة الموصل)

كان المعتمد قد ولى على الموصل اساتكين من قواد الاتراك فبعث عليها ابنه اذكرتكين وسار اليها فى جمادى سنة تسع وخمسين فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس فى طلب الخوارج وتعرض بعض الايام رجل من حاشيته الى امرأة فى الطريق وتخلصها من يده بعض الصالحين فأحضره اذكرتكين وضربه ضربا شديدا فاجتمع وجوه البلد وتوامروا فى رفع أمرهم الى المعتمد فركب اليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم ولما كانت سنة احدى وستين ولى اساتكين عليها الهيثم بن عبد الله بن المعمد الثعلبى العدوى وأمره أن يزحف لحربهم ففعل وقاتلوه أياما وكثرت القتلى بينهم ورجع عنهم الهيثم وولى اساتكين مكانه اسحق ابن أيوب الثعلبى جد بنى حمدان وغيره وحاصرها مدة ومرض يحيى بن سليمان الامير فى اثنائها فطمع اسحق فى البلد وجد فى الحصار واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه وحملوا يحيى بن سليمان فى قبة وألقوه امام الصف واشتد القتال ولم يزل اسحق يراسلهم ويعدهم حسن السيرة الى أن أجابوه على أن يقيم بالربض فأقام اسبوعا ثم حدثت ممن بايعه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه واستقر يحيى بن سليمان بالموصل

(حروب ابن واصل بفارس)

قد تقدم لنا وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمى بالحرث بن سيما عامل فارس وتغلبه عليها سنة ست وخمسين فلما بلغ ذلك الى المعتمد أضاف فارس الى عبد الرحمن بن مفلح

وبعثه الى الاهواز وأمده بطاشتمر وزحفوا من الاهواز الى ابن واصل سنة احدى وستين فسار معهم من فارس ومعه أبو داود العلوس ولقيهم برام هرمز فهزمهم وقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم وبعث اليه المعتمد فى اطلاق ابن مفلح فقتله خفية وسار لحرب موسى بن بغا بواسط وانتهى الى الاهواز وبها ابراهيم بن سيما فى جموع كثيرة ولما رأى موسى بن بغا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتها فأعفاه وكان عند انصراف ابن مفلح عن الاهواز الى فارس قد ولى مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك فلقيه على بن أبان قائد الزنج فهزمه على وقتله وانحاز أبو الساج الى عسكر مكرم وملك الزنج الاهواز فعاثوا فيها ثم عزل أبو الساج عن ذلك وولى مكانه ابراهيم بن سيما فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الاعمال كلها ولما هزم ابراهيم بن سيما ابن واصل عبد الرحمن بن مفلح وقتله طمع يعقوب الصفار فى ملك فارس فسار من سجستان مجدا ورجع ابن واصل من الاهواز وترك محاربة ابن سيما وأرسل خاله أبا بلال مرداس الى الصفار وراجعه بالكتب والرسل وحبس ابن واصل رسله ورحل بعد السير ليفجأه على بغتة وشعر به الصفار فقال لخاله مرداس ان صاحبك قد غدر بنا وسار اليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير ومات أكثرهم عطشا لما تراءى الجمعان انهزم ابن واصل دون قتال وغنم الصفار ما فى عسكره وما كان لابن مفلح واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل زم لاعانتهم ابن واصل وطمع فى الاستيلاء على الاهواز وغيرها

(مبدأ دولة بنى سامان وراء النهر)

كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون فى الفرس تارة والى سامة بن لؤى بن غالب أخرى وكان لاسد أربعة من الولد نوح وأحمد ويحيى والياس وتقدموا عند المأمون أيام ولايته خراسان واستعملهم ولما انصرف المأمون الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن سهل فولى نوحا منهم على سمرقند وأحمد على فرغانة ويحيى على الشاش واشروسنة والياس على هراة ولما ولى طاهر بن الحسين بعده أقرهم على اعمالهم ثم مات نوح بن أسد فأقر اخوته يحيى وأحمد على عمله وكان حسن السيرة ومات الياس بهراة فولى عبد الله بن طاهر مكانه ابنه اسحق محمد بن الياس وكان لاحمد بن أسد من البنين سبعة نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق وأسد وكنيته أبو الاشعث وحميد وكنيته أبو غانم فلما توفى أحمد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند وما اليها وأقام الى انقراض أيام بنى طاهر وبعدهم وكان يلى أعماله من قبل ولاة خراسان الى حين انقراض أيام بنى طاهر واستولى الصفار على

خراسان فعقد المعتمد لنصر هذا على أعمالهم من قبله سنة احدى وستين ولما ملك يعقوب الصفار خراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه الى شط جيحون مسلحة من الصفار فقتلوا مقدمهم ورجعوا الى بخارى وخشيهم واليها على نفسه ففر عنها فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسمعيل لضبط بخارى ثم ولى خراسان بعد ذلك رافع بن هرثمة بدعوة بنى طاهر وغلب الصفار عليها وحصلت بينه و بين اسمعيل صاحب بخارى موالاة اتفقا فيها على التعاون والتعاضد وطلب منه اسمعيل اعمال خوارزم فولاه اياها وفسد ما بين اسمعيل وأخيه نصر وزحف نصر اليه سنة ثنتين وسبعين واستجاش اسمعيل برافع بن هرثمة فسار اليه بنفسه مددا ووصل الى بخارى ثم أوقع الصلح بينه وبين أخيه خوفا على نفسه وانصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين وظفر اسمعيل بنصر ولما حضر عنده ترجل له اسمعيل وقبل يده ورده الى كرسى امارته بسمرقند وأقام نائبا عنه ببخارى وكان اسمعيل خيرا مكرما لاهل العلم والدين

*(مسير الموفق الى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد)

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقية عزم المعتمد على تجهيز أخيه ابى أحمد الموفق فجلس فى دار العامة وأحضر الناس على طبقاتهم وذلك فى شوال من سنة احدى وستين وعقد لابنه جعفر العهد من بعده ولقبه المفوض الى الله وضم اليه موسى بن بغا وولاه افريقية ومصر والشأم والجزيرة والموصل وارمينية وطريق خراسان ونهر تصدف وعقد لاخيه أبى أحمد العهد بعده ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولاه المشرق وبغداد وسواد الكوفة وطريق مكة واليمن وكسكر وكور دجلة والاهواز وفارس واصبهان والكرخ والدينور والرى وزنجان والسند وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود وشرط أنه ان مات وجعفر لم يبلغ تقدم الموفق عليه ويكون هو بعده وأخذت البيعة بذلك على الناس وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب واستوزر صاعد بن مخلد ثم نكبه سنة ثنتين وسبعين واستصفاه واستكتب مكانه الصفر اسمعيل بن بابل وأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج فبعثه فى مقدمته واعتزم على المسير بعده

(وقعة الصفار والموفق)

لما كان يعقوب الصفار ملك فارس من يد واصل وخراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه صرح المعتمد بانه لم يوله ولا فعل ما فعل باذنه وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان ثم سار الى الاهواز يريد لقاء المعتمد وذلك سنة ثنتين وسبعين فأرسل اليه المعتمد اسمعيل بن اسحق وبغراج من قواد الاتراك ليردوه على ذلك وبعث معهما من كان فى حبسه

من اصحابه الذين حبسوا عنده ما قبض على محمد بن طاهر وعاد اسمعيل من عند الصفار بعزمه على الموصل فتأخر الموفق لذلك عن المسير لحرب الزنج ووصل مع اسمعيل من عند الصفار حاجبه درهم يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والرى وفارس والشرطة ببغداد فولاه المعتمد ذلك كله مضافا الى ما بيده من سجستان وكرمان وأعاد حاجبه اليه بذلك ومعه عمر بن سيما فكتب يقول لابد من الحضور بباب المعتمد وارتحل من عسكر مكرم حاما وسار اليه أبو الساج من الاهواز لدخوله تحت ولايته فأكرمه ووصله وسار الى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية وأخاه مسرور البلخى فقاتله منتصف رجب وانهزمت ميسرة الموفق وقتل فيها ابراهيم بن سيما وغيره من القوّاد ثم تراجعوا واشتدت الحرب وجاء الى الموفق محمد بن اوس والدارانى مددا من المعتمد وفشل أصحاب الصفار لما رأوا امداد الخليفة فانهزموا وخرج الصفار وأتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحوا من عشرة آلاف من الظهر ومن الاموال ما يؤد حمله وكان محمد بن طاهر معتقلا معه فى العسكر منذ قبض عليه بخراسان فتخلص ذلك اليوم وجاء الى الموفق وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد وسار الصفار الى خوزستان فنزل جندسابور وأرسله صاحب الزنج يحثه على الرجوع ويعده المساعدة فكتب اليه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها وبعث الصفار اليه جيشا مع عمر ابن السرى من قوّاده فأخرجه عنها وولى على الاهواز محمد بن عبد الله بن

ثم رجع المعتمد الى سامرا والموفق الى واسط واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك وعاد الى بغداد ومعه مسرور البلخى سار بعد موسى وأقطعه ما لابى الساج من الضياع والمنازل وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد

(سياقة أخبار الزنج)

قد ذكر انّ مسرورا البلخى سار بعد موسى بن بغا لحرب الزنج ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصفار وبلغ صاحب الزنج خلوّ تلك النواحى من العساكر فبعث سراياه فيها للنهب والحرق والتخريب فبعث سليمان بن جامع الى البطيحة وسليمان بن موسى الى القادسية وجاء أبو التركى فى السفن يريد عسكر الزنج فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهرا حتى تخلص وانحاز الى سليمان بن جامع وبعث اليهما الخبيث بالمدد وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جندا فى البحر الى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم ونزل بقرة مروان قريبا من يعقوب متحصنا بالغياض والاغوار وزحف اليه قائدان من بغداد وهما اغرتمش وحشيشا فى العساكر برّا وبحرا وأمر

سليمان أصحابه بالاختفاء في تلك الغياض حتى يسمعوا أصوات الطبول وأقبل اغرتمش ونهض شرذمة من الزنج فواقعوا أصحابه وشاغلوهم وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا اليهم في الماء فانهزم أصحاب اغرتمش وظهر ما كان مختفيا وقتل حشيش واتبعوهم الى العسكر وغنموا منه وأخذوا من القطع البحرية ثم استردها اغرتمش من أيديهم وعاد سليمان ظافرا وبعث برأس حشيش الى الخبيث صاحبه فبعث به الى علي بن أبان في نواحي الاهواز وكان مسرور البلخي قد بعث الى كور الاهواز أحمد ابن كيتونة فنزل السوس وكان صاحب الاهواز من قبل الصفار يكاتب صاحب الزنج ويداريه ويطلب له الولاية عنه فشرط عليه أن يكون خليفة لابن أبان واجتمعا بتستر ولما رأى أحمد تظافرهما رجع الى السوس وكان علي بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفار ولم يذكر الخبيث فغضب علي وسار الى الاهواز وجاء أحمد بن كيتونة الى تستر فأوقع بمحمد بن عبد الله وتحصن منه بتستر وأقبل علي بن أبان اليه فاقتتلا واشتد القتال بينهما وانهزم علي بن أبان وقتل جماعة من أصحابه ونجا بنفسه جريحا في الساريات بالنهر وعاد الى الاهواز وسار منها الى عسكر الخبيث واستخلف على عسكره بالاهواز حتى داوى جراحه ورجع ثم بعث أخاه الخليل الى أحمد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتله وقد أكمن لهم فانهزموا وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون الى علي بن أبان وبعث مسلحة الى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب أحمد بن كيتونة وقتلهم الزنج جميعا فحظي عنده بذلك وبعث في اثر ابراهيم من قتله في سرخس ولما أراد الصفار العود الى سجستان ولى على نيسابور عزيز بن السري وعلى هراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسي وسار الى سجستان سنة احدى وستين فجاء الخبيث الى أخيه علي وزين له أن يقيم نائبا عنه في أموره بخراسان وطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له ولما ارتحلوا جمع جمعا وحارب عليا فأخرجه من بلده ثم غلب عزيز بن السري على نيسابور وملكها أول ثنتين وستين وقام بدعوة بني طاهر واستقدم رافع بن هرثمة من رجالاتهم فجعله صاحب جيشه وكتب الى يعمر بن سركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه فلم يثق اليه وسار الى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله وزحف اليه أحمد وكانت بينهما مواساة ثم داخل بعض قواد أحمد الخجستاني في الغدر بيعمر على أن يمكنه من أخيه أبي طلحة فكاشف ذلك القائد فتم ذلك وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وبعثه الى نائبه بنيسابور فقتله وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه وسار الى نيسابور في جماعة فلقي بها الحسين بن طاهر مردودا من اصبهان طمعا أن يدعو له أحمد الخجستاني كما كان

يزعم حين أورد فلم يخطب فخطب له أبو طلحة وأقام معه بنيسابور فسارا اليهما الخجستانى من هراة فى اثنى عشر ألفا وقدم أخاه العباس فخرج اليه أبو طلحة وهزمه فرجع أحمد الى هراة ولم يقف على خبر أخيه وانتدب رافع وهرثمة الى استعلام خبره واستأمن الى أبى طلحة فأمنه ووثق اليه وبعث رافع الى أحمد بخبر أخيه العباس ثم أنفذه طاهر الى بيهق لجباية مالها وضم معه قائدين لذلك فجبى المال وقبض على القائدين وانتقض وسار الى الخجستانى ونزل فى طريقه بقرية وبها على بن يحيى الخارجى فنزل ناحية عنه وركب ابن طاهر فى اتباعه فأدركه بتلك القرية فأوقع بالخارجى يظنه رافعا ونجا رافع الى الخجستانى وبعث ابن طاهر اسحق الشارى الى جرجان لمحاربة الحسن بن زيد والديلم منتصف ثلاث وستين فأثخن فى الديلم ثم انتقض على ابن طاهر فسار اليه وكبسه اسحق فى طريقه فانهزم الى نيسابور واستضعفه أهلها فأخرجوه فأقام على فرسخ منها وجمع جمعا وحاربهم ثم كتب على أهل نيسابور الى اسحق باستدعائه ومساعدته على ابن طاهر وأبى طلحة وكتب الى أهل نيسابور عن اسحق بالمواعدة وسار اسحق أبو محمد فى قلة من الجند فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاصر نيسابور فاستقدموا الخجستانى من هراة وأدخلوه وسار أبو طلحة الى الحسن ابن زيد مستنجدا فأنجده ولم يظفر وعاد الى بلخ وحاصرها سنة خمس وستين وخرج الخجستانى من نيسابور به وحاربه الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة وجاء أهل جرجان مددا للحسن فهزمهم الخجستانى وأغرمهم أربعة آلاف ألف درهم ثم جاء عمرو ابن الليث الى هراة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفار وعاد الخجستانى من جرجان الى نيسابور وسار اليه عمرو من هراة فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع الى هراة وأقام أحمد بنيسابور وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون الى عمرو لتولية السلطان اياه فأوقع الخجستانى بينهم الفتنة ليشغلهم بها ثم سار الى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو ابن الليث فلم يظفر منه بشئ فسار نحو سجستان وترك نائبه بنيسابور فأساء السيرة وقوى أهل الفساد فوثب به أهل نيسابور واستعانوا بعمرو بن الليث وبعث اليهم جندا يقبض على نائب الخجستانى وأقاموا بها ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها وأقام الى تمام سبع وستين وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بلخ فقدم عليه وأعطاه أموالا واستخلفه بخراسان وسار الى سجستان وسار أحمد الى سرخس ولقيه أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان وأقام أحمد بطخارستان ثم جاء أبو طلحة الى نيسابور فقبض على أهل الخجستانى وعياله وجاء أحمد من طخارستان الى نيسابور وأقام بها ثم تبين لابن طاهر أن الخجستانى انما يروم لنفسه وليس على ما يدعيه من القيام

بأمرهم وكان على خوارزم أحمد بن محمد بن طاهر فبعث قائده أبا العباس النوفلى الى نيسابور فى خمسة آلاف مقاتل وخرج أحمد امامهم وأقام قريبا منهم وأفحش النوفلى فى القتل والضرب والتشويه وبعث اليه الخجستانى فنهاه عن مثل ذلك فضرب الرسل فلحق أهل نيسابور بالخجستانى واستدعوه وجاؤا به وقبض على النوفلى وقتله ثم بلغه ان ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله بن طاهر بمرو فسار اليه من أسورد فى يوم وليلة وقبض عليه وولى عليها موسى البلخى ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل اليه نحو عشرين ألف درهم وكان الخجستانى لما بلغه أخذ والدته من نيسابور وهو بطخارستان سار مجدا فلما بلغ هراة أتاه غلام لابى طلحة مستأمنا فأمنه وقربه فغص به وغلامه الخالصة عنده والجنود وطلب الفرصة فى قتل الخجستانى وكان قد غور ساقية قطلغ فاتفقا على قتله فقتلاه فى شوال سنة ثمان وستين وأنفذ ادمجور خاتمه الى الاسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر الى أبى طلحة ليستقدموه وأبطأ ظهوره على القواد فدخلوا فوجدوه قتيلا وأخبرهم صاحب الاسطبل بخبر الخاتم والدواب وطلبوا ادمجور فلم يجدوه ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه واجتمعوا على رافع بن هرثمة وكان من خبره ما نذكره

(استيلاء الصفار على الاهواز)

ثم سار يعقوب الصفار من فارس الى الاهواز وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البلخى على الاهواز مقيم على تستر فرحل عنها ونزل يعقوب بجندسابور ففر كل من كان فى تلك النواحى من عساكر السلطان وبعث الى الاهواز من أصحابه الخضر بن العنبر فخرج عنها على بن ابان والزنج ونزلوا السدرة ودخل خضر الاهواز وأقام أصحاب الخضر وابن ابان يغير بعضهم على بعض ثم فر ابن ابان وسار الى الاهواز فأوقع بالخضر وقتل فى أصحابه وغنم ولحق الخضر بعسكر مكرم واستخرج ابن ابان ما كان بالاهواز ورجع الى نهر السدرة وبعث يعقوب الى الخضر مددا وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالاهواز فأبى ابن أبان من ذلك الا أن ينقل طعاما تما كان هنالك فنقله وتوادعوا

(استيلاء الزنج على واسط)

قد تقدم لنا واقعة اغرتمش مع سليمان بن جامع وظفر سليمان به فلما انقضى أمره سار سليمان الى صاحب الخبيث ومر فى طريقه بعسكر تكين البخارى وهو ببردود فلما حاذاه قريبا أشار عليه الجنانى أن يغير على العسكر فى البحر ويستطرد لهم لينتهزوا منهم الفرصة ففعل وجاء مستطردا وقد أكمنوا لهم الكمناء حتى أجازوا موضع الكمائن

وركب سليمان اليهم وعطف الجنانى على من فى النهر وخرجت الكمائن من خلفهم فأثخنوا فيهم الى معسكرهم ثم بيتوهم ليلا فنالوا منهم وانكشف سليمان قليلا ثم عبر أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة برا وبحرا فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره ثم استخلف سليمان على عسكره الجنانى وسار الى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين ومضى الجنانى بالعسكر لطلب الميرة فاعترضه جعلان من قواد السلطان وهزمه وأخذ سيفه ثم زحف منجور ومحمد بن على بن حبيب من القواد وبلغ الحاجية فرجع سليمان معقدا الى طهثا يريد جعلان وفى مقدمته الجنانى ثم كر الى ابن خبيث فهزمه وقتل أخاه وغنم ما معه ثم سار فى شعبان الى قرية حسان فأوقع بالقائد هنالك جيش ابن خمارتكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها ثم بعث العساكر فى الجهات للنهب برا وبحرا واعترض جعلان بعضهم فأوقع بهم ثم سار سليمان الى الرصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغنم ما فيها ورجع الى منزله بمدينة الخبيث وجاء مطر الى الحاجية فعاث فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضى سليمان فحمله الى واسط ثم سار الى طهثا وكتب الجنانى بذلك الى سليمان فوافاه لثنتين من ذى الحجة وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان سار الى الكوفة وجبيل فعاد الى البريدية وصرف جعلان وضبط تلك الاعمال وأوقع تكين بسليمان وقتل جماعة من قواده ثم ولى الموفق على مدينة واسط محمد بن الوليد وجاء فى العساكر واستمد سليمان صاحبه بالخليل بن أبان فى ألف وخمسمائة مقاتل فزحف الى ابن المولد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخارى فقاتله عامة يومه ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان الى جبيل واستدعوه فى نواحيها اسعين ليلة

(استيلاء ابن طولون على الشأم)

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قواد الاتراك فتوفى سنة أربع وستين وقام ابنه على مكانه وتجهز أحمد بن طولون من مصر الى دمشق وكتب الى ابن ماجور بأن المعتمد أقطعه الشأم والثغور فأجاب بالطاعة وسار أحمد واستخلف على مصر ابنه العباس ولقيه ابن ماجور بالرملة فولاه عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر القواد على اقطاعهم ثم سار الى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب وكان على انطاكية وطرسوس سيما الطويل من قواد الاتراك فبعث اليه ابن طولون بالطاعة وأن يقره على ولايته فامتنع فسار اليه ودلوه على عورة فى سور البلد فنصب عليها المجانيق وقاتله فملكها عنوة وقتل سيما فى الحرب فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها ويريد الغزو وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم الى الشأم ومضى الى حران وبها محمد بن اتامش فحاربه وهزمه واستولى عليها ثم جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس بمصر

وانه أخذ الاموال وسار الى برقة فلم يكترث لذلك وأصلح أحوال الشأم وأنزل بحران عسكرا وولى مولاه لؤلؤا على الرقة وأنزل معه عسكرا وبلغ موسى بن اتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو جرجان وبها أحمد بن جيفونة من قواد ابن طولون فأهمل مسيره وقال له بعض الاعراب واسمه أبو الاعز لا يهمك أمره فانه طياش قلق وأنا آتيك به فقال افعل وزاده عشرين رجلا وسار الى عسكر موسى ابن أتامش فأكمن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقى على زى الاعراب وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واهتاج العسكر وركبوا واستطرد لهم أبو الاعز حتى جاوز الكمين وموسى فى أوائلهم فخرج الكمين وانهزم أصحاب موسى من ورائه وعطف عليه أبو الاعز فأخذه أسيرا وجاء به الى ابن جيفونة وبعث به الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وذلك سنة ست وستين

(ومن أخبار الزنج) ان سليمان احتفر نهرا يمتد الى سواد الكوفة ليتهيأ له الغارة على تلك النواحى وكان أحمد بن كيتونة فكبسهم وهم يعملون وقد جروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحوا من أربعين قائدا وأحرق سفنهم ورجع سليمان مهزوما الى طهثا ثم عدت عساكر الزنج النعمانية واستباحوها وصار أهلها الى جرجرايا وأجفل أهل السواد الى بغداد وزحف على بن أبان بعسكر الزنج الى تستر فحاصرها وأشرف على أخذها وكان الموفق استعمل على كور الاهواز مسرورا البلخى فولى عليها تكين البخارى فسار اليها ووافاها أهل تستر فى تلك الحال فأغزى على ابن أبان وهزمه وقتل من الزنج خلقا ونزل تستر وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس وجاء عين يخبرهم الى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وسار ابن أبان فانهزم أمامه وكتب ابن ابان الى تكين يسأله الموادعة فوادعه بعض الشئ واتهمه مسرور فسار وقبض عليه وحبسه عند علان بن أبان وفر منه أصحابه وطائفة الى الزنج وطائفة الى محمد بن عبد الله الكرخى ثم أمن الباقين فرجعوا اليه

(موت يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه)

وفى سنة خمس وستين أخريات شوال منها مات يعقوب الصفار وقد كان افتتح الرخج وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده وكانت مملكة واسعة الحدود وافتتح زابلستان وهى غزنة وكان المعتمد قد استماله وقلده أعمال فارس ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق من قبله ما كان له من الاعمال خراسان واصبهان والسند وسجستان والشرطة ببغداد وسر من رأى وقبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وخلع الموفق عمرو بن الليث وولى على اصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز

(أخبار الزنج مع اغرتمش)

قد كان تقدم لنا ايقاع سليمان بن جامع باغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط ثم ولى اغرتمش مكان تكين البخارى يتولاه من أعمال الاهواز فدخل تستر فى رمضان ومعه مطر بن جامع وقتل جماعة من أصحاب أبان كانوا مأسورين بها ثم سار الى عسكر مكرم ووافاه هنالك على بن ابان والزنج فاقتتلوا ثم تحاجزوا لكثرة الزنج ورجع على الى الاهواز وسار اغرتمش الى الخليل بن ابان ليعبروا اليه من قنطرة اربل وجاءه أخوه على محمدا وخاف أصحابه المخالفون بالاهواز فارتحلوا الى نهر السروة وتحارب على واغرتمش يوما ثم رجع على الى الاهواز ولم يجد أصحابه فبعث من يردهم اليه فلم يرجعوا وجاء اغرتمش وقتل مطر ابن جامع فى عدة من القواد وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه اغرتمش وتركه ثم بعث محمد بن عبيد الله الى ابكلاى ابن الخبيث فى أن يرفع عنه يد ابن ابان فزاد ذلك فى غيظه وبعث يطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار اليه وهرب محمد من رامهرمز الى أقصى معاقله ودخل على والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها ثم صالحه محمد على مائتى ألف درهم وترك أعماله ثم استنجده محمد بن عبيد الله على الاكراد على أن لعلى غنائمهم فاستحلف على على ذلك مجلز وطلب منه الرهن فمطل وبعث اليه الجيش فزحف بهم الى الاكراد فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج وأثخن الاكراد فيهم وبعث على من يعترضهم فاستلبوهم وكتب على الى محمد يتهدده فاعتذر ورد عليهم كثيرا من أسلابهم وخشى من الخبيث وبعث الى أصحابه مالا ليسألوه فى الرضا عنه فأجابهم الى ذلك على أن يقيم دعوته فى أعماله ففعل كذلك ثم سار ابن ابان لحصار مونة واستكثر من آلات الحصار وعلم بذلك مسرور البلخى وهو بكور الاهواز فسار اليه ووافاه عليها فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هنالك وقتل من الزنج خلق وجاء الخبر بمسير الموفق اليهم

(استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة)

لما دخل الزنج واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه بعث الموفق ابنه أبا العباس وهو الذى ولى الخلافة بعد المعتمد ولقب المعتضد فبعثه أبوه بين يديه فى ربيع سنة ست وستين فى عشرة آلاف من الخيل والرجال وركب لتشييعه وبعث معه السفن فى النهر عليها أبو حمزة نصر فسار حتى وافى الخيل والرجل والسفن النهرية وعلى مقدمته الجنانى وانهم نزلوا الجزيرة قريبا من بردزوبا وجاءهم سليمان بن موسى الشعرانى مددا بمثل ذلك

وان الزنج اختلفوا فى الاحتشاد ونزلوا من الصلح الى أسفل واسط ينتهزون الفرصة فى ابن الموفق لما يظنون من قلة درايته بالحرب فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيرا فلقيهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أولا ثم كرّ فى وجوههم وصاح بنصير فرجع وركب أبو العباس السفن النهرية فهزم الزنج وأثخن فيهم واتبعهم ستة فراسخ وغنم من سفنهم وكان ذلك أول الفتح ورجع سليمان بن جامع الى نهر الامين وسليمان ابن موسى الشعرانى الى سوق الخميس وأبو العباس على فرسخ من واسط يغاديهم القتال ويراوحهم ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه وركب فى السفن النهرية وبرز اليه نصير فى سفنه وركب معه أبو العباس فى خاصته وأمر الجند بمحاذاته من الشط ونشب الحرب فوقعت الهزيمة على الزنج وغنمت سفنهم وأفلت سليمان والجنانى من الهلكة وبلغوا طهثا ورجع ابو العباس الى معسكره وأمر باصلاح السفن المغنومة وحفر الزنج فى طريق الجبل الآبار وغطوها فوقع بعض الفرسان فيها فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق وأمر الخبيث أصحابه بالسفن فى النهر وأغاروا على سفن أبى العباس وغنموا بعضها وركب فى اتباعهم واستنقذ سفنهم وغنم من سفنهم نحوا من ثلاثين وجدّ فى قتالهم وتحصن ابن جامع بطهثا وسمى مدينته المنصورة والشعرانى بسوق الخميس وسمى مدينته المنيعة وكان أبو العباس يغير على الميرة التى تأتيهم من سائر النواحى وركب فى بعض الايام الى مدينة الشعرانى التى سماها المنيعة وركب نصير فى النهر وافترقوا فى مسيرهم واعترضت أبا العباس جماعة من الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره وأشاعوا قتل نصير وخالفهم نصير الى المدينة فأثخن فيها وأضرموا النار فى بيوتها وجاء الخبر بذلك الى أبى العباس بسيره ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم ورجع أبو العباس الى عسكره وبعث الخبيث الى ابن ابان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبى العباس

(وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنيعة والمنصورة)

كان الموفق لما بعث ابنه أبا العباس لحرب الزنج تاخر لامداده بالحشود والعدد وازاحة علله ومسارقة أحواله فلما بلغه اجتماع ابن أبان وابن جامع لحربه سار من بغداد اليه فوصل الى واسط فى ربيع الاول من سنة سبع وستين ولقيه ابنه وأخبره بالاحوال ورجع الى عسكره ونزل الموفق على نهر شداد ونزل ابنه شرقى دجلة على موهة بن مساور فأقام يومين ثم رحل الى المنيعة بسوق الخميس سار اليها فى النهر ونادى بالمقامة ولقيه الزنج فحاربوه ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم أصحاب أبى العباس فاقتحموا عليهم

المنيعة وقتلوا خلقا وأسروا آخرين وهرب الشعرانى واختفى فى الآجام آخرون ورجع الموفق الى عسكره وقد استنقذ من المسلمات نحو خمس عشرة امرأة ثم غدا على المنيعة فأمر بنهبها وهدم سورها وطم خندقها واحراق ما بقى من السفن فيها وبعث الاقوات التى أخذت فكانت لا حد لها فصرفت فى الجند وكتب الخبيث الى ابن جامع يحذره مثل ما نزل بالشعرانى وجاءت العيون الى الموفق ان ابن جامع بالحوانيت فسار الى الضبية وأمر ابنه بالسير فى النهر الى الحوانيت فلم يلق ابن جامع بها ووجد قائدين من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلات ولحق بمدينته المنصورة بطهثا فقاتل ذلك الجند ورجع الى أبيه بالخبر فأمره بالمسير اليه وسار على أثره برا وبحرا حتى نزلوا على ميلين من طهثا وركب ليسوى مقاعد القتال على المنصورة فلقيه الزنج وقاتلوه وأسروا جماعة من غلمانه ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدى الجبائى فمات وأوهن موته ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبى عسكره وبعث السفن فى النهر الذى يصل الى المنصورة ثم صلى وابتهل بالدعاء وقدم ابنه أبا العباس الى السور واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولوا منهزمين الى الخنادق وراءه فقاتلوه عندها واقتحموها عليهم كلها ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا وأجلوهم عن المدينة وما اتصل بها وهو مقدار فرسخ وملكه الموفق وأفلت ابن جامع فى نفر من أصحابه وبلغ الطلاب فى أثره الى دجلة وكثر القتل فى الزنج والاسر واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف وأعطى ما وجد فى المنصورة من الذخائر والاموال للاجناد وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة ولما جاء جماعة من الزنج الى الآجام اختفوا فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطم خنادقها وأقام سبعة عشر يوما فى ذلك ثم رجع الى واسط

(حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها)

ثم ان الموفق عرض عساكره وأزاح عللهم وسار ومعه ابنه أبو العباس الى مدينة الخبيث فأشرف عليها ورأى من حصانتها بالاسوار والخنادق ووعر الطرق وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه ولما عاين الزنج عساكر الموفق دهشوا وقدم ابنه أبا العباس فى السفن حتى ألصقها بالاسوار فرموه بالحجارة فى المجانيق والمقاليع والايدى ورأوا من صبره وأصحابه مالم يحتسبوه ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والملاحين نزعوا الى الموفق فقبلهم وأحسن اليهم فتتابع المستأمنون فى النهر فوكل الخبيث بفوهة النهر من معهم وتعبى أهل السفن للحرب مع بهبود قائد الخبيث فزحف اليه أبو العباس فى السفن وهزمه وقتل الكثير من أصحابه ورجع فاستأمن

اليه بعض تلك السفن النهرية وكثير من المقاتلة فأتتهم وأقام شهرا لم يقاتلهم ثم عبى عساكره منتصف شعبان فى البر والبحر وكانوا نحوا من خمسين ألفا وكان الزنج فى نحو ثلاثمائة ألف مقاتل فأشرف عليهم ونادى بالامان الا للخبيث ورمى بالرقاع فى السهام بالامان فجاء كثير منهم ولم يكن حرب ثم رحل من مكانه ونزل قريبا من المختارة ورتب المنازل من انشاء السفن وشرع فى اختطاط مدينة لنزله سماها الموفقية فأكمل بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الاموال والميرة اليها وأغب الحرب شهرا فتتابعت الميرة الى المدينة ورحل اليها التجار بصنوف البضائع واستبحر فيها العمران ونفقت الاسواق وجلبت صنوف الاشياء ثم أمر الموفق ابنه أبا العباس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثخن فيهم فاستأمن اليه كثير منهم فامنهم ووصلهم وأقام الموفق أياما يحاصر المحاربين ويصل المستأمنين واعترض الزنج بعض الوفاد الجائية بالميرة فامر بترتيب السفن على مخارج الانهار ووكل ابنه أبا العباس بحفظها وجاءت طائفة من الزنج بعض الايام الى عسكر نصير يريدون الايقاع به فأوقع بهم وظفر ببعض القواد منهم فقتل رشقا بالسهام وتتابع المستأمنة فبلغوا الى آخر رمضان خمسين ألفا ثم بعث الخبيث عسكرا من الزنج مع على بن أبان ليأتوا من وراء الموفق اذا ناشبهم الحرب ونمى اليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العباس فاوقع بهم وحملت الاسرى والرؤس فى السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه وظنوا ان ذلك تمويه فرميت الروس فى المجانيق حتى عرفوها فظهر منهم الجزع وتكررت الحرب فى السفن بين أبى العباس وبين الزنج وهو يظهر عليهم فى جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم فاشتد الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين مثل محمد بن الحرث القمى وأحمد اليربوعى وكان من اشجع رجاله القمى منهم موكلا بحفظ السور فأمنهم الموفق ووصلهم وبعث الخبيث قائدين من أصحابه فى عشرة آلاف ليأتوا البطيحة من ثلاثة وجوه فيعبروا من تلك النواحى ويقطعوا الميرة عن الموفق وبلغ الموفق خبرهم فبعث اليهم عسكرا مع مولاه ونزل فأوقع بهم وقتل وأسروأخذ منهم أربعمائة سفينة ولما تتابع خروج المستأمنة وكل الخبيث من يحفظها وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قواده الى الموفق يستأمنون وان يناشبهم الحرب ليجدوا السبيل اليه فارسل ابنه أبا العباس الى نهر الغربى وبه على بن أبان فاشتد الحرب وظهر أبو العباس على ابن أبان وأمده الخبيث بابن جامع ودامت الحرب عامة يومهم وكان الظفر لابى العباس وسار اليه المستأمنة الذين واعدوه وانصرف أبو العباس الى مدينة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعا فيهم لقلتهم فتكاثروا عليه ثم جاءه المدد من قبل أبيه فظهر عليهم

وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبا العباس من ورائه وخفقت طبوله فانكشف أصحاب أبي العباس ورجع منهزمة الزنج فأصيبت جماعة من غلمان الموفق وعدة من أعلامهم وحامى أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا وقوى الزنج بهذه الواقعة فأجمع الموفق العبور الى مدينتهم بعسكره فعبى الناس لذلك من الغداة آخر ذي الحجة واستكثر من المعابر والسفن وقصد واحصنا وكان بالمدينة وفيها انكلاى بن الخبيث وابن جامع وابن أبان وعليه المجانيق والآلات فأمر غلمانه بالدنو منه فخاموا والاعتراض نهر لا تزال بينهم وبينه فصاح بهم فقطعوا النهر سبحا وتناولوا الركن بالسلاح يهدمونه ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفق وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقا عظيما وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الاخرى وابن أبان قبالته فهزمه ووصل أصحاب ابي العباس الى السور فثلموه ودخلوا ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى ردهم الى مواقفهم ثم توافى الفعلة فثلموا السور في مواضع ونصبوا على الخندق جسرا عبر عليه المقاتلة فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم الى دير ابن سمعان فملكه أصحاب الموفق وأحرقوه وقاتلهم الزنج هنالك ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث فركب من هنالك وانهزم عنه أصحابه وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس وتأخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين في السفن واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن وكان بهبود بازاء مسرور البلخي فنال من أصحابه واستأمن بعض المنهزمين من الزنج والاعراب بعثوا بذلك من عبادان والبصرة وكان منهم قائده ريحان أبو صالح المعرى فأمنهم الموفق وأحسن اليهم وضم ريحان الى أبي العباس وخرج في المحرم الى الموفق من قواد الخبيث وثقاته جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان فأحسن اليه الموفق وحمله في بعض السفن الى قصر الخبيث فوقف وكلم الزنج في ذلك وأقام الموفق أياما استجم فيها أصحابه فلما كان منتصف ربيع الثاني قصد مدينة الخبيث وفرق القواد على جهاتها ومعهم النقابون للسور ومن ورائهم الرماة يحمونهم وتقدم اليهم أن لا يدخلوا بعد الهزم الا باذنه فوصلوا الى السور وثلموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم وبلغوا أبعد مما وصلوا اليه بالامس ثم تراجع الزنج وحاربوا من المكامن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد ان نال منهم الزنج ورجع الموفق الى مدينته ولام أصحابه على تقدمهم بغير اذنه ثم بلغ الموفق ان بعض الاعراب من بني تميم يجلبون الميرة الى الزنج فبعث اليهم عسكرا أثخنوا فيهم قتلا وأسرا وجيء بالاسرى فقتلهم وأوعز الى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية وجهدهم الحصار وكثر المستأمنة وافترق كثير من الزنج في القرى والامصار البعيدة وبث الموفق دعاته فيهم ومن أبى قتلوه وعرض

المستأمنين وأحسن اليهم ليستميل وتابع الموفق وابنه قتال الزنج وقتل بهبود بن عبد الواحد من قواد الخبيث فى تلك الحروب فكان قتله من أعظم الفتوح وكان فتله فى السفن البحرية ينصب فيها اعلاما كاعلام الموفق ويخايل أطراف العسكر فيصيب منهم وأفلت فى بعض الايام من يد أبى العباس بعد ان كان حصل فى قبضته ثم خيل أخرى لبعض السفن طامعا فيها فحاربوه وطعنه بعض الغلمان منها فسقط فى الماء وأخذه أصحابه فمات بين أيديهم وخلع الموفق على الغلام الذى طعنه وعلى أهل السفينة ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضربهم على ماله فاستفسد قلوبهم وهرب كثير منهم الى الموفق فوصلهم ونادى بالامان لبقيتهم ثم اعتزم على العبور الى لزنج من الجانب الغربى وكانت طرقه ملتفة بالنخيل فامر بقطعها وأدار الخنادق على معسكره حذرا من البيات ثم صعب على الموفق القتال من الجانب الغربى لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه وما يتوجه فيها على أصحابه من حيل الزنج لقلة خبرتهم بها فصرف قصده الى هدم أسوارهم وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلى وباشر الحرب بنفسه واشتد القتال وكثرت القتلى فى الجانبين وفشت الجراح وكانت فى النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال ويأتون أصحاب الموفق من ورائهم فامر بهدمهما فهدمتا ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا الى دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه ثم تقدموا الى الجامع فخربوه وجاؤا بمنبره الى الموفق بعد ان استمات الزنج دونه فلم يغنوا به ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح ثم أصاب الموفق فى ذلك اليوم سهم فى صدره وذلك لخمس بقين من جمادى سنة تسع وستين فعاد الى عسكره ثم صابح الحرب تقوية لقلوب الناس ثم لزم الفراش واضطرب العسكر وأشير عليه بالذهاب الى بغداد فابى فاحتجب عن الناس ثلاثة أشهر حتى اندمل جرحه ثم ركب الى الحرب فوجد الزنج قد سدوا ما ثلم من الاسوار فامر بهدمها كلها واتصل القتال مما يلى نهر سلى كما كان والزنج يظنون انهم لا يأتون الا منها فركب يوما لقتالهم وبعث السفن أسفل نهر أبى الخصيب فانتهوا الى قصر من قصور الزنج فاحرقوه وانتهبوا ما فيه واستنقذوا كثيرا من الساكن فيه ورجع الموفق آخر يومه ظافرا ثم بكر لحربهم فوصلت المقدمات دار أنكلاى بن الخبيث وهى متصلة بدار ابيه وأشار ابن أبان باجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدى العساكر وأمر الموفق بطم الخنادق والانهار ورام احراق قصره وقصده من دجلة فمنع من ذلك كثرة الحماة عنه فامر ان تسقف السفن بالاخشاب وتطلى بالادوية المانعة من الاحراق ورتب فيها انجاد أصحابه وباتوا على أهبة الزحف من الغد وجاء كاتب الخبيث وهو محمد

ابن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأمنا وبكروا الى الحرب وأمر الموفق ابنه أبا العباس باحراق منازل القواد المتصلة بقصر الخبيث ليشغلهم عن حمايته وقصدت السفن المطلة قصر الخبيث فاحرقوا الرواشن والابنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار على السفن فلم تؤثر فيها ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن فلما جاء الدعاة الى القصر أحرقوا بيوتا كانت تشرع على دجلة واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها واستولى أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة من النساء وأحرق قصر انكلاى ابنه وجرحا وعاد الموفق عشاء يومه مظفرا ثم بكر من الغد للقتال وأمر نصيرا قائد السفن بقصد القنطرة التى كان الخبيث عملها فى نهر أبى الخصيب دون القنطرة التى كان اتخذها وفرق العسكر فى الجهات فدخل نصير فى أول المد ولصق بالقنطرة واتصل الشذ من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حسر الماء عنها وفطن لها الزنج فقصدوها فألقى الملاحون أنفسهم فى الماء وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشد قتال ثم انهزم وسقط فى الحريق فاحترق ثم خلص بعد الجهد وانصرف الموفق سالما وأصابه مرض المفاصل واتصل به الى شعبان من سنته فامسك فى هذه المدة عن الحرب حتى أبل فاعاد الخبيث القنطرة التى غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها وجعل امامها سكرا من الحجارة ليضيق المدخل على السفن فبعث الموفق طائفة من شرقى نهر أبى الخصيب وطائفة من غربيه ومعهم الفعلة لقطع القنطرة وجعل امامها سفنا مملوأة من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحترق الجسر وفرق جنده على القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوال وتقدموا الى الجسر ولقيهم انكلاى بن الخبيث وابن أبان وابن جامع وحاموا عن القنطرة لعلمهم بما فى قطعها من المضرة عليهم ودامت الحرب عليها الى العشى ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها ونقضها النجارون ونقضوا الاثقال التى دونها وأدخلوا السفن بالقصب وأضرموها نارا ووافت القنطرة فاحرقتها ووصل النجارون بذلك الى ما أرادوا وسهل سبيل السفن فى النهر وقتل من الزنج خلق واستأمن آخرون وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن أصحابه الى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب ونقل أسواقه اليه وتبين ضعفه فانقطعت عنه الميرة وفقدت الاقوات وغلت حتى أكل بعضهم بعضا وأجمع الموفق أن يحرق الجانب الشرقى كما أحرق الغربى فقصد دار الهمذان وكان حصينا وعليه الآلات فلما انتهى اليها تعذر الصعود لعلو السور فرموا بالكلاليب وتشبث فى أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت فانهزم المقاتلة وصعد النفاطون فاحرقوا ما كان عليها من الآلة ونهبوا الاثاث والمتاع واتصل الحريق بما حولها من الدور واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث

فامنهم ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الاول تسمى المباركة وبها التجار الذين بهم قوامهم فقصدها لاحراقها وحاربه الزنج عندها وأضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقى التحريق عامة اليوم ثم رجع الموفق ثم انتقل التجار بامتعتهم وأموالهم الى أعلى المدينة ثم فعل الخبيث فى الجانب الشرقى بعد هذه من حفر الخنادق وتغوير الطرق مثل ما كان فعل فى الجانب الغربى واحتفر خندقا عريضا حصن به منازل أصحابه على النهر الغربى ثم خرق الموفق باقى السور الى النهر الغربى بعد حرب شديدة كانت عليه وكان للخبيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه قد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيعوقونهم فاجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برا وبحرا وفرقهم على سائر جهاته وجهات الخبيث وأمد الخبيث الحصن بالمهلبى وابن جامع فلم يغنوا عنه وانهزموا وتركوا الحصن فى يدى أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقا وخلصوا من الحصن كثيرا من النساء والصبيان ورجع الموفق الى عسكره ظافرا

(استيلاء الموفق على الجهة الغربية)

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب وأحرق الجسر الاول الذى على نهر أبى الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضا فكان فى احراقه حرب عظيمة وأعدت لذلك سفينة ملئت قصبا وجعل فيها النفط وأرسلت فى قوة المد فتبادر الزنج اليها وغرقوها فركب الموفق الى فوهة نهر أبى الخصيب وقصدهم من غربى النهر وشرقيه الى ان انتهوا الى الجسر من غربيه وعليه انكلاى بن الخبيث وابن جامع فاحرقوه وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقى فاحترق الجسر والحظيرة التى كانت لانشاء السفن وسجن كان هنالك للخبيث وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربى واستأمن كثير من قواده فامنهم وأخرجوا ارسالا وخرج قاضيه هاربا ووكل بالجسر الثانى من يحفظه وأمر الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لاحراقه فزحف فى انجاد غلمانه ومعه الفعلة والالات وكان فى الجانب الغربى قبالة أبى العباس انكلاى وابن جامع وفى الجانب الغربى قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه والمهلبى وجاءت السفن فى النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وانكلاى وأضرمت النار فى الجسر ولما وافياه وهو مضطرم نارا ألقيا أنفسهما فى النهر فخلصا بعد ان غرق من أصحابهما خلق واحترق الجسر وتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافترق الجيش فى الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنقذ من كان فى حبسه من النسوة والرجال وأخرج ما كان فى نهر أبى الخصيب من أصناف السفن الى دجلة ونهبها أصحاب الموفق واستأمن انكلاى بن الخبيث وعلم أبوه فثناه عن ذلك واستأمن سليمان بن موسى الشعرانى من رؤساء قواده فاجيب بعد

توقف ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم ووصل الى الموفق فأحسن اليه واقتفى أثره فى ذلك شبل بن سالم من قواده وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء وصار شبل ابن سالم يخرج فى السرايا الى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم

(استيلا الموفق على الجهة الشرقية)

وفى خلال هذه الحروب واتصالها مرن أصحاب الموفق على تخلل تلك المسالك والشعاب مع تضايقها ووعرها وأجمع الموفق على قصد الجانب الشرقى فى نهر أبى الخصيب وندب لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم ووعدهم بالاحسان والزيادة فأبوا وسألوه الاقالة فأبى لتتميز مناصحتهم وجمع سفن دجلة من كل جانب وكان فيها عشرة آلاف ملاح من المرتزقة وأمر ابنه أبا العباس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها فسار الى دار المهلبى وهو فى مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانه وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير زحفا فى النهر يشاهد أحوالهم وبكر الموفق لثمان خلون من ذى القعدة زاحفا للحرب فاقتتلوا مليا وصبروا ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق وأسر آخرون فقتلوا وقصد الموفق بجمعه دار الخبيث وقد جمع الخبيث أصحابه للمدافعة فلم يغنوا عنه وانهزموا وأسلموها فانتهبها أصحاب الموفق وسبوا حرمه وبنيه وكانوا عشرين ونجا الى دار المهلبى ونهبها واشتغل أصحابهم جميعا بنقل الغنائم الى السفن فأطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس الى مواقفهم ثم صدق الموفق الحملة عشى النهار فهزم الزنج الى دار الخبيث ورجع الناس الى عسكره ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه فى القدوم عليه فأخر القتال الى حضوره

(مقتل صاحب الزنج)

ولما وصل غلام ابن طولون فى ثالث المحرم من سنة سبعين جاء فى جيش عظيم فأحسن اليهم الموفق وأجرى لهم الارزاق على مراتبهم وأمره بالتأهب لقتال الخبيث وقد كان لما غلب على نهر أبى الخصيب وقطعت القناطر والجسور التى عليه أحدث فيه سكرا وضيق جرية الماء ليمنع السفن من دخوله اذا حضر ويتعذر خروجها أمامه ويبقى جريه لا يتهيأ الا بازالة ذلك السكر فحاول ذلك مدة والزنج يدافعون عنه ودفع الموفق لذلك لؤلؤا فى أصحابه ليتمرنوا على حرب الزنج فى تلك المسالك والطرق فأحسنوا البلاء فيها ووصلهم وألح على العسكر وهو كل يوم يقتل مقاتلتهم ويحرق مساكنهم ويقتل المستأمنة منهم وقد كان بقى بالجهة الغربية بقية من أبنية ومزارع وبها جماعة يحفظونها فسار اليهم أبو العباس وأوقع بهم ولم يسلم منهم الا الشريد ثم غلبهم على السكر وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدم ابنه أبا العباس الى دار المهلب وأضاف

المستأمنة الى شبل بن سالم وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نفخ البوق ونصب علمه الاسود على دار الكرمانى ثم صعد اليهم وزحف الناس فى البر والنهر ونفخت الابواق وذلك لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين واشتد القتال وانهزم الزنج ومات منهم قتلا وغرقا ما لا يحصى واستولى الموفق على المدينة واستنقذوا الاسرى وأسروا الخليل وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما ومضى الخبيث ومعه ابنه انكلاى وابن جامع وقواد من الزنج الى موضع بنهر السفيانى كانوا أعدوه ملجأ اذا غلب على المدينة واتبعه الموفق فى السفن ولؤلؤ فى البر ثم اقتحم النهر بفرسه واتبعه أصحابه فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان واعتصموا بجبل وراءه ورجع لؤلؤ عنهم وشكر له الموفق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح وجمع الموفق أصحابه فوبخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا بأنهم ظنوا انصرافه ثم تحالفوا على الاقدام والثبات حتى يظفروا وسألوه أن ترد المعابر التى يعبرون فيها ليستميت الناس فى حرب عدوهم فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبى المراكب وبعثهم الى المراكز ورد المعابر التى عبروا فيها وتقدم سرعان العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا وافترقوا كل ناحية وثبت مع الخبيث لمة من أصحابه فيهم المهلبى وذهب ابنه انكلاى وابن جامع واتبع كلا منهم طائفة من العسكر بأمر أبى العباس بن الموفق ثم أسر ابراهيم بن جعفر الهمدانى فاستوثقوا منه ثم كر الخبيث والمنهزمون معه على من اتبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقفهم ثم رجعوا ومضى الموفق فى اتباع الخبيث الى آخر نهر أبى الخصيب فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار انكلاى نحو الدينارى ومعه المهلبى وبعث الموفق أصحابه فى طلبهم فظفر بهم وبمن معهم وكانوا زهاء خمسة آلاف فاستوثق منهم ثم استأمن اليه ورمونة وكان عند البطيحة قد اعتصم بغياض وآجام هنالك يخيف السابلة ويغير على تلك النواحى وعلى الواردين الى مدينة الموفق فلما علم بموت الخبيث سقط فى يده وبعث يستأمن فأمنه الموفق فحسنت توبته ورد الغصوبات الى أهلها ظاهرا وأمر الموفق بالنداء برجوع الزنج الى موطنهم فرجعوا وأقام الموفق بمدينة الموفقية ليأمن الناس بمقامه وولى على البصرة والابلة وكور دجلة محمد بن حماد وقدم ابنه أبا العباس الى بغداد فدخلها منتصف جمادى من سنة سبعين وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين وقتله أول صفر سنة سبعين لاربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته

(ولاية بن كنداج على الموصل)

لما سار أحمد بن موسى بن بغا الى الجزيرة وولى موسى بن أتامش على ديار ربيعة فتغير

لذلك اسحق بن كنداج وفارق عسكره وأوقع بالاكراد اليعقوبية وانتهب أموالهم ثم لقى ابن مساور الخارجى فقتله وسار الى الموصل فقاطع أهلها على مال وكان عليهم على ابن داود قائدا فدفعه وسار ابن كنداج اليه فخرج على بن داود واجتمع حمدان بن حمدون الثعلبى واسحق بن عمر بن أيوب بن الخطاب الثعلبى العدوى فكانوا خمسة عشر وجاءهم على بن داود فلقيهم اسحق فى ثلاثة آلاف فهزمهم بدسيسة من أهل مسيرتهم وسار حمدان وعلى بن داود الى نيسابور وابن أيوب الى نصيبين وابن كنداج فى اتباعه فسار عنها واستجار بعيسى ابن الشيخ الشيبانى وهو بآمد وأبى العز موسى ابن زرارة وهو عامل أردن فأنجداه وبعث المعتمد الى اسحق بن كنداج بولاية الموصل فدخلها وأرسل اليه ابن الشيخ وابن زرارة مائة ألف دينار على أن يقرهم على أعمالهم فأبى فاجتمعوا على حربه فرجع الى اجابتهم ثم حاربوه سنة سبع وستين واجتمع لحربه اسحق بن أيوب وعيسى ابن الشيخ وأبو العز بن حمدان بن حمدون فى ربيعة وثعلب وبكر واليمن فهزمهم ابن كنداج الى نصيبين ثم الى آمد وجمر عسكرا لحصار ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب

(حروب الخوارج بالموصل)

كان مساور الخارجى قد هلك فى حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوازيج وأراد أصحابه ولاية محمد بن حرداد بشهرزور فامتنع وبايعوا أيوب بن حيان المعروف بالغلام فقتل فبايعوا هرون بن عبد الله البجلى وكثر أتباعه واستولى على بلد الموصل وخرج عليه من أصحابه محمد بن حرداد وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الارض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لئلا يفر فى الحرب فنزل واسط وجاء وجوه أهل الموصل فسار اليهم وهرون غائب فى الاحشاد فبادر اليه واقتتلا وانهزم هرون وقتل من أصحابه نحو مائتين وقصد بنى ثعلب مستنجدا بهم فأنجدوه وسار معه حمدان ابن حمدون ودخل معه الموصل ودخل ابن حرداد واستمال هرون أصحابه ورجع الى الحديثة ولم يبق مع ابن حرداد الا قليل من الاكراد فمالوا الى هرون بالموصل فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالاكراد الجلالية وكثر أتباعه وغلب على القرى والرساتيق وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المصعدة والمنحدرة ووضع فى الرساتيق من يقبض اعتبار الغلات واستقام أمره ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ست وسبعين واستنجد بحمدان بن حمدون فجاء بنفسه وسار الى نهر الخازن وانهزمت طليعتهم وانهزموا بانهزامها وجاء بنو شيبان الى قسوى فانجفل أهلها وأقام هرون وأصحابه بالحديثة

(أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستانى)

لما قتل أحمد الخجستانى سنة ثمان وستين كما قدمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قواد محمد بن طاهر وكان رافع هذا لما استولى يعقوب الصفار على نيسابور وزال بنو طاهر صار رافع فى جملته وصحبه الى سجستان ثم أقصاه عن خدمته وعاد الى منزله بنواحى جى حتى استخدمه الخجستانى وجعله صاحب جيشه فلما قتل الخجستانى اجتمع الجيش عليه بهراة وأمّروه وسار الى نيسابور فحاصر بها أبا طلحة بن شركب وقد كان وصل اليها من جرجان فضيق عليه الخنق ففارقها أبو طلحة الى مرو وولى على هراة ابن المهدى وخطب لمحمد بن طاهر بمرو وهراة وزحف اليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما بيده واستخلف على مرو محمد بن سهل بن هاشم وخرج أبو طلحة الى مكمد واستعان باسمعيل بن أحمد السامانى فأمدّه بعسكر وأخرج محمد بن سهل وخطب بها لعمرو بن الليث سنة احدى وسبعين ثم قلد الموفق تلك السنة أعمال خراسان لمحمد ابن طاهر وهو ببغداد فاستخلف عليها رافع بن الليث وأقرّ على ما وراء النهر نصر بن أحمد ووردت كتب الموفق بعزل عمرو بن الليث ولعنه فسار رافع الى هراة وقد كان بها محمد ابن المهدى خليفة أبى طلحة فثار عليه يوسف بن معبد فلما جاء رافع استأمن اليه فأمنه واستعمل على هراة مهدى بن محسن ثم سار رافع الى أبى طلحة بمرو وبعد أن استمدّ اسمعيل ابن أحمد وأمدّه بنفسه فى أربعة آلاف فارس واستقدم على بن محسن المروروزى فقدم عليه فى عسكره وساروا جميعا الى أبى طلحة بمرو سنة ثنتين وسبعين فهزموه وعاد اسمعيل الى بخارا ولحق بأبى طلحة وبها مهدى فاجتمع معه على مخالفة رافع فهزمهما رافع ولحق أبو طلحة بعمرو بن الليث وقبض على مهدى سنة ثنتين وسبعين ثم خلى سبيله وسار رافع الى خوارزم فجبى أموالها ورجع الى نيسابور

(مغاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لاجل ذلك)

كان الموفق حدثت بينه وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله وبعث موسى بن بغا فى العساكر اليه سنة ثنتين وستين فأقام بالرقة عشرة أشهر واختلف عليه العسكر فرجع وكان الموفق مستبدا على أخيه المعتمد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكفاية والغناء الا أنه كان المعتمد يتأفف من الحجر وكتب الى أحمد بن طولون فى السر يشكو ذلك وأشار عليه باللحاق اليه بمصر لينصره وبعث عسكرا الى الرقة فى انتظاره وكان الموفق مشغولا بحرب الزنج فسار المعتمد منتصف سنة تسع وستين فى القوّاد مظهرا انه يتصيد ثم سار الى أعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كنداج

وكتب صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق الى اسحق برده عن طريقه والقبض على من معه من القواد فلما وصل المعتمد الى عمله أظهر اسحق طاعته فارتحل فى خدمته الى أول عمل ابن طولون ثم اجتمع بالمعتمد والقواد وفيهم نيزك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعذلهم فى المسير الى ابن طولون والمقام تحت يده وطال الكلام بينهم مليا ثم دعاهم الى خيمته للمناظرة فى ذلك أدبا مع المعتمد وقيدهم وجاء الى المعتمد فعذله فى المسير عن دار خلافته ومغاضبة أخيه وهو فى دفاع عدوه ومن يريد خراب ملكه وحمل الجميع الى سامرا وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط اسمه من الطرز وغضب الموفق بسبب ذلك على أحمد بن طولون وحمل المعتمد على أن يشار بلعنه على المنابر وولى اسحق بن كنداج على أعماله وفوض اليه من باب الشماسية الى افريقية وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملا له على حمص وحلب وقنسرين وديار مصر من الجزيرة وكان منزله بالرقة فانتقض عليه فى هذه السنة وسار الى بالس فنهبها وكتب الى الموفق فمر بقرقيسيا وبها ابن صفوان العقيلى فحاربه وغلبه عليها وسلمها الى أحمد بن مالك ابن طوق ووصل الى الموفق فى عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فأكرمه الموفق وأحسن هو الغناء فى تلك الحرب ثم بعث ابن طولون فى تلك السنة جيشه الى مكة لاقامة الموسم وعامل مكة هرون بن محمد ففارقها خوفا منهم وبعث الموفق جعفرا فى عسكر فقوى بهم هرون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار وقرئ الكتاب فى المسجد بلعن ابن طولون وانقلب أهل مصر الى بلدهم آمنين ولم يزل لؤلؤ فى خدمة الموفق الى أن قبض عليه سنة ثلاث وسبعين وصادره على أربعمائة ألف وأدبر أمره ثم عاد الى مصر آخر أيام هرون بن خماريه

(وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشأم)

وفى سنة سبعين انتقض بازمان الخادم بطرسوس وقبض على نائبه وسار اليه أحمد ابن طولون فى العساكر وحاصروه فامتنع عليه فرجع الى انطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولايته على مصر وولى بعده ابنه خمارويه وانتقضت عليه دمشق فبعث اليها العساكر وعادت الى طاعته وكان يومئذ بالموصل والجزيرة اسحق بن كنداج وعلى الانبار والرحبة وطريق الفرات محمد بن أبى الساج فكاتبا الموفق فى المسير الى الشأم واستمداه فأذن لهما ووعدهما بالمدد فسارا وملكا ما يجاورهما من بلاده واستولى اسحق على انطاكية وحلب وحمص وكاتبه نائب دمشق واجتمع الخلاف على خمارويه فسار اليه فهرب الى شيزر وهى فى طاعة خمارويه ودمشق وجاء أبو العباس بن الموفق وهو المعتضد من بغداد بالعساكر فكبس شيزر وقتل

من جند ابن طولون مقتلة عظيمة ولحق فلهم بدمشق وأبو العباس فى اتباعهم فجلوا عنها وملكها فى شعبان سنة احدى وسبعين ورجعت عساكر خمارويه الى الرملة فأقاموا بها وزحف اسحق بن كنداج الى الرقة وعليها ز على الثغور والعواصم ابن دعاص من قبل خمارويه فقاتله وكان الظهور لاسحق ثم زحف أبو العباس المعتضد من دمشق الى الرملة وسار خمارويه من مصر واجتمع بعساكره فى الرملة على ماء الطواحين وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبى الساج ونسبهما الى الجبن فى انتظارهما اياه فى محاربة خمارويه وعبى المعتضد عساكره ولقى خمارويه وقد أكمن له فانهزم خمارويه أولا وملك المعتضد خيامه وشغل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد الى دمشق فلم يفتح له أهلها فراح الى طرسوس وأقام العسكران يقتتلان دون أمير وأقام أصحاب خمارويه عليهم أخاه سعدا مكانه وذهبوا الى الشأم فملكوه أجمع وأذهبوا منه دعوة الموفق وابنه وبلغ الخبر الى خمارويه فسر وأطلق الاسرى الذين كانوا معه ثم ثار أهل طرسوس بأبى العباس فأخرجوه وسار الى بغداد وولوا عليهم مازيار فاستبد بها ثم دعا لخمارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا فدعا له ثم بعث اليه بخمسين ألف دينار

(وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه)

ثم توفى الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان فى رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته وولى مكانه أخوه وكان على قزوين أتكوتكين فسار الى الرى فى أربعة آلاف فارس وسار اليه محمد بن زيد فى عالم كثير من الديلم والخراسانية والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر ألفان وغنم أتكوتكين عسكره وملك الرى وأغرم أهلها مائة ألف دينار وفرق عماله عليها وسار محمد بن زيد الى جرجان ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان وولى عليها محمد بن طاهر واستخلف محمد ابن رافع بن هرثمة وسار سنة خمس وسبعين الى جرجان وهرب عنها ليلا الى استرباذ فحاصره رافع فيها سنتين حتى أجهده الحصار فخرج عنها ليلا الى سارية فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارن الى رافع بطبرستان فأمنه وبعث الى سالوس محمد بن هرون نائبا عنه وأتاه بها على بن كانى مستأمنا ثم جاءه محمد وحاصرهما بسالوس وانقطعت أخبارهما عن نافع ثم جاءه الخبر بحصارهما فسار اليهما فارتحل محمد بن زيد الى أرض الديلم فدخل رافع خلفه وأثخن فيها نهبا وتخريبا الى حدود قزوين وعاد الى الرى الى أن توفى المعتمد سنة تسع وتسعين

* (فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون) *

كان ابن أبي الساج في أعماله بقنسرين والفرات والرحبة ينافس اسحق وهو على الجزيرة ويريد التقدم عليه فحدثت لذلك بينهما فتنة فخطب ابن أبي الساج لخمارويه ابن طولون وبعث ابنه ديوداد رهينة اليه فبعث اليه خمارويه أموالا جمة وسار الى الشام واجتمع بابن أبي الساج ببالس ثم عبر ابن أبي الساج الفرات الى الرقة وهزم اسحق بن كنداج واستولى على أعماله وعبر خمارويه ونزل الرقة ومضى اسحق الى قلعة ماردين وحاصره ابن أبي الساج بها ثم أفرج عنها وسار الى سنجار لقتال بعض الاعراب فسار ابن كنداج من ماردين الى الموصل فاعترضه ابن أبي الساج وهزمه فعاد الى ماردين واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل وخطب فيهما لخمارويه ثم لنفسه بعده وبعث غلامه فتحا الى أعمال الموصل لجباية الخراج وكان اليعقوبية من الشراة قريبا منه فهادنهم ثم غدر بهم فكبسهم وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة فحملوا على أصحاب فتح فاستلموهم ثم انتقض ابن أبي الساج واستبيح عسكره وكان له بحمص مخلف من أثقاله فقدم خمارويه طائفة من العسكر اليها فاستولوا على ما فيها ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها فسار الى حلب ثم الى الرقة وخمارويه في اتباعه فعبر الفرات الى الموصل وجاء خمارويه الى بلد وأقام بها وسار ابن أبي الساج الى الحديثة وكان اسحق بن كنداج قد لحق بخمارويه من ماردين فبعث معه جيشا وجماعة من القواد وسار في طلب ابن أبي الساج وقد عبر دجلة فجمع ابن كنداج السفن ليوطئ جسرا للعبور وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت الى الموصل فوصلها الرابعة وسار ابن كنداج في اتباعه فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبي الساج في ألفين فصبروا واشتد القتال وانهزم ابن كنداج وهو في عشرين ألفا فخلص الى الرقة ومحمد بن أبي الساج في اتباعه وكتب الى الموفق يستأذنه في عبور الفرات الى بلاد خمارويه بالشأم فأمره بالتوقف الى وصول المدد من عنده ومضى ابن كنداج الى خمارويه فجاء بجيوشه الى الفرات وتوافق مع ابن أبي الساج والفرات بينهما ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبي الساج فانهزموا الى الرقة فسار ابن أبي الساج من الرقة الى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها فأكرمه الموفق ووصله واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة وأقام بها وولى الموفق محمد بن أبي الساج على أذربيجان فسار اليها فخرج اليه عبد الله بن الحسين الهمذاني عامل مراغة ليصده فهزمه ابن أبي الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله واستقر ابن أبي الساج في عمله بأذربيجان

(أخبار عمرو بن الليث)

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولاه الموفق خراسان واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد كما كان أخوه وقد ذكرنا ذلك قبل وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفرت جيوشه بمحمد وأسره وحبسه بكرمان فأقام بها ثم بعث الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وهو بأصبهان يطلبه بالمال فبعث اليه بالاموال وبعث عمرو الى الموفق بثلثمائة ألف دينار وبخمسين منا من المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود وثلثمائة ثوب من الوشى ومن آنية الذهب والفضة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار واستأذنه فى غزو محمد بن عبيد الكردى برامهرمز فأذن له فبعث قائدا من جيشه اليه فأسره وجاء به الى عمرو ثم عزل المعتمد سنة احدى وستين عمرو بن الليث عما كان قلده من الاعمال وأدخل اليه الحاج من أهلها عند منصرفهم من مكة فأعلمهم بعزله وأنه قد ولى على خراسان محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو على المنابر وجهز مخلد بن صاعد الى فارس لحرب عمرو واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة وكتب المعتمد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف يأمره بقتاله وبعث اليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو وكان فى خمسة عشر ألف مقاتل فانهزم عمرو وخرج قائده الديلى وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى ثم زحف الموفق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمدا الى أرجان فى العساكر وعلى مقدمته أبو طلحة بن شركب وعباس بن اسحق الى سيراف واستأمن أبو طلحة الى الموفق ففت ذلك فى عضد عمرو وعاد الى كرمان واستراب الموفق بأبى طلحة فقبض عليه قريبا من شيراز وجعل ماله لابنه أبى العباس المعتضد وسار فى طلب عمرو فخرج من كرمان الى سجستان ومات ابنه محمد بالمفازة ورجع عنه الموفق وسار رافع بن الليث من خراسان وغلب محمد بن زيد على طبرستان كما قدمناه وقدم عليه هنالك على بن الليث هو وابناه المعدل والليث بن حسن أخيه على بكرمان ثم قتله رافع سنة ثمان وستين

(مسير الموفق الى اصبهان والجبل)

كان كاتب أبو تكين أنهى الى المعتضد ان له مالا عظيما ببلاد الجبل فتوجه لذلك فلم يجد شيئا ثم سار الى الكرخ ثم الى اصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف فتنحى أحمد عن البلد بعسكره وترك داره بفرشها لنزل الموفق عند قدومه ثم رجع الموفق الى بغداد

قبض الموفق على ابنه أبى العباس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه أبى العباس بالامر بعده

كان الموفق بعد رجوعه من أصبهان نزل واسط ثم عاد الى بغداد وترك المعتمد بالمدائن وأمر ابنه أبا العباس وهو المعتضد بالمسير الى بعض الوجوه فأبى فأمر بحبسه ووكل به وركب القوّاد من أصحابه واضطربت بغداد فركب الموفق الى الميدان وسكن الناس وقال انى احتجت الى تقويم ابنى فقوّمته فانصرف الناس وذلك سنة ست وسبعين وكان عند منصرفه من الجبل قد اشتدّ به وجع النقرس ولم يقدر على الركوب فكان يحمل فى المحفة ووصل الى داره فى صفر من سنة سبع وطال مرضه وبعث كاتبه أبا الصقر ابن بلبل الى المدائن فجاء بالمعتمد واولاده وأنزله بداره ولم يأت دار الموفق فارتاب الاولياء لذلك وعمد غلمان أبى العباس فكسروا الاقفال المغلقة عليه وأخرجوه وأقعدوه عند رأس أبيه وهو يجود بنفسه فلما فتح عينه قرّبه وأدناه وجمع أبو الصقر عنده القوّاد والجند ثم تسامع الناس انّ الموفق حىّ فتسللوا عن أبى الصقر وأوّلهم محمد بن أبى الساج فلم يسع أبا الصقر الا الحضور بدار الموفق فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبى الصقر انه هرب بمال الموفق الى المعتمد فنهبوا داره وأخرجت نساؤه حفاة عراة ونهب ما يجاوره من الدور وفتقت السجون ثم خلع الموفق على ابنه أبى العباس وأبى الصقر وركب الى منزلهما وولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ودفن بالرصافة واجتمع القوّاد فبايعوا ابنه أبا العباس المعتضد بالله واجتمع عليه أصحاب أبيه ثم قبض المعتضد على أبى الصقر ابن بلبل وأصحابه وانتهبت منازلهم وولى عبد الله بن سليمان بن وهب الوزارة وبعث محمد بن أبى الساج الى واسط ليردّ غلامه وصيفا الى بغداد فأبى وصيف وسار الى السوس فأقام بها

(ابتداء أمر القرامطة)

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أنّ رجلا ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد وكان يدعى قرمط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كرميطة فعرب وقيل بل اسمه حمدان ولقبه قرمط يقال وزعم أنه داعية لاهل البيت للمنتظر منهم واتبعه العباس فقبض عليه الهيصم عامل الكوفة وحبسه ففرّ من حبسه وزعم انّ الاغلاق لا يمنعه ثم زعم أنه الذى بشر به أحمد بن محمد بن الحنفية وجاء بكتاب تناقله القرامطة فيه بعد البسملة يقول الفرج بن عثمان من قرية نصرانة انه داعية المسيح

وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وان المسيح تصوّر له فى جسم انسان فقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس وعرفه انّ الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وانّ الاذان بالتكبير فى افتتاحه وشهادة التوحيد مرّتين ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم ثم لأحمد بن محمد بن الحنفية ويقرأ الاستفتاح فى كل ركعة وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية والقبلة بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين ولا يعمل فيه شئ والسورة التى تقرأ فيها الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لاوليائه بأوليائه قل انّ الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها أوليائى الذين عرّفوا عبادى سبيلى اتقونى يا أولى الالباب وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى ألقيته فى جنتى وفى نعمتى ومن زال عن امرى وكذب رسلى اخلدته مهانا فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت على ألسنة رسلى فأنا الذى لم يعل جبار الا وضعته وأذللته فبئس الذى اصر على أمره ودام على جهالته وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول فى ركوعه مرّتين سبحان ربى وربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون وفى سجوده الله أعلى مرّتين الله أعظم مرّة والصوم مشروع يوم المهرجان والنيروز والنبيذ حرام والخمر حلال والغسل من الجنابة كالوضوء ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخالب ومن خالفهم وحارب وجب قتله وان لم يحارب أخذت منه الجزية انتهى الى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها بعضا وتشهد عليهم بالكذب وهذا الفرج بن يحيى الذى ذكر هذا أوّل الكتاب انه داعية القرامطة يلقب عندهم ذكرويه بن مهرويه ويقال انّ ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج وانه سار اليه على الامان وقال له انّ ورائى مائة سيف فتعال نتناظر فلعلنا نتفق ونتعاون ثم تناظرا فاختلفا وانصرف قرمط عنه وكان يسمى نفسه القائم بالحق وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج

(فتنة طرسوس)

قد تقدّم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاه أحمد بن طولون وانه حاصره فامتنع عليه وانه راجع بعد طاعة ابنه خمارويه بما حمل اليه من الاموال والامتعة والسلاح فاستقام أمره بطرسوس مدة وغزا سنة ثمان وسبعين بالصائفة مع أحمد الجعفى وحاصروا اسكندا فأصيب بحجر منجنيق فرجع وهلك فى طريقه ودفن

بطرسوس وكان استخلف ابن عجيف فأقره خمارويه وأمده بالخيل والسلاح والمال ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه ابن محمد بن موسى بن طولون ولما توفي الموفق نزع خادم من خواصه اسمه راغب الى الشك وطلب المقام بالثغر للجهاد فأذن له المعتضد فسار الى طرسوس وحط أثقاله بها وسار الى لقاء خمارويه بدمشق فأكرمه واستجلب أنسه فطال مقامه وأوهم أصحابه بطرسوس انه قبض عليه فأوصلوا أهل البلد في ذلك فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يطلق لهم راغب وبلغ الخبر الى خمارويه فأطلقه فجاء اليهم ووبخهم على فعلهم فأطلقوا محمد بن موسى وسار عنهم الى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف الى ولايته

* (فتنة أهل الموصل مع الخوارج) *

قد تقدم لنا أن هرون بن سليمان كان على الشراة من الخوارج وكان بنو شيبان يقاتلونهم ويغيرون على الموصل فلما كانت سنة تسع وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على سوى وغيرها من الاعمال فاجتمع هرون الشاري في الخوارج وحمدان بن حمدون الثعلبي على مدافعتهم وكان مع بني شيبان هرون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني بعثه محمد بن اسحق بن كنداجق واليا على الموصل عندما مات أبوه اسحق وولى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يرضه أهل الموصل وطردوه فسار الى بني شيبان مستنجدا بهم فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أولا واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب فكر عليهم بنو شيبان وظفروا بهم وكتب هرون بن سيما الى محمد ابن اسحق بن كنداجق يستمده فسار بنفسه وخشيه أهل الموصل فسار بعضهم الى بغداد يطلبون عاملا يكفيهم أمر ابن كنداجق ومروا في طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فألفوه وقد وصل اليه بولاية العهد الموصل فبادر وملكها وتوانى ابن كنداجق في مكانه وبعث الى خمارويه بالهدية ويسأل امارة الموصل كما كان من قبل فلم يجبه الى ذلك ثم عزل المجروح وولى بعده علي بن داود الكردي

* (الصوائف أيام المعتمد) *

وصل الخبر في سنة سبع وخمسين بأن ملك الروم بالقسطنطينية ميخائيل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك ويعرف بالصقلي فقتله لاربع وعشرين سنة من ملكه وملك مكانه وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل بطريق من بطارقتهم وفي سنة ثلاث وستين استولى الروم على قلعة الصقالبة وكانت ثغر الطرسوس وتسمى قلعة كركرة فرد المعتمد ولاية ثغر طرسوس

لابن طولون وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفق يريد أن يجعلها ركابا لجهاده لخبرته بأحوالها وكان يردد الغزو من طرسوس الى بلاد الروم قبل ولاية مصر فلم يجبه الموفق وولى عليها الموفق محمد بن هرون التغلبى واعترضه الشراة أصحاب مساور وهو مسافر فى دجلة فقتلوه فولى مكانه أماجور بن أولغ بن طرخان من الترك فسار اليها وكان غرا جاهلا فأساء السيرة ومنع أقران أهل كركرة ميرتهم وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار فأخذها أماجور لنفسه وأبطأ على أهل القلعة شأنها فنزلوا عنها وأعطوها الروم وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثغرهم وعينا لهم على العدو وبلغ ذلك المعتمد فكتب لاحمد بن طولون بولايتها وفوض اليه امر الثغور فوليها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق وملك ابن طولون الشام جميعها كما ذكرناه قبل وفى سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبد الله بن رشيد بن كاوس فى أربعين ألفا من أهل الثغور الشامية فأثخن فيهم وغنم ورجع فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطاريق سلوقية وقره كوكب وخرسنة وأحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون واستلحمهم الروم بالقتل ونجا فلهم الى الثغر وأسر عبد الله بن كاوس وحمل الى القسطنطينية وفى سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى أذنة فقتلوا وأسروا والى الثغور أوخرد فعزل عنها وأقام مرابطا وبعث ملك الروم بعبد الله بن كاوس ومن معه من الاسرى الى أحمد بن طولون وأهدى اليه عدة مصاحف وفى سنة ست وستين لقى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق من سلم منهم بصقلية وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة واستنفر الناس فنفروا ولم يطيقوا دخول الدرب لشدة البرد فيها وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشامية فى ثلثمائة من أهل طرسوس واعترضهم أربعة آلاف من الروم من بلاد هرقل فنال المسلمون منهم أعظم النيل وفى سنة ثمان وستين خرج ملك الروم وفيها غزا بالصائفة خلف الفرغانى عامل ابن طولون على الثغور الشامية فأثخن ورجع وفى سنة سبعين زحف الروم فى مائة ألف ونزلوا قلمية على ستة أميال من طرسوس فخرج اليهم بازيار فهزمهم وقتل منهم سبعين ألفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبع صلبان ذهبا وفضة وكان أعظمها مكللا بالجواهر وغنم خمسة عشر ألف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك وأربع كراسى من ذهب ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباج وآنية كثيرة وفى سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغل فى أرض الروم وقتل وغنم وأسر وسبى وعاد الى طرسوس وفى سنة ثمان وسبعين دخل أحمد الجعفى طرسوس وغزا

مع بازيار بالصائفة ونازلوا اسكندا فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات في طريقه ودفن بطرسوس

* (الولايات بالنواحي أيام المعتز) *

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من أطرافها وأوساطها واستولى بنو سامان على ما وراء النهر والصفار على سجستان وكرمان وملك فارس من يد عمال الخليفة وانتزع خراسان من بني طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة وغلب الحسن بن زيد على طبرستان وجرجان منازعا بالدعوة ومحاربا بالديلم لابن سامان والصفار وعساكر الخليفة باصبهان واستولى صاحب الزنج على البصرة والابلة الى واسط وكور دجلة منازعا للدعوة ومشاققا وأضرم تلك النواحي فتنة ولم يزل الموفق في محاربته حتى حسم علته وقطع أثره واضطرمت بلاد الموصل والجزيرة فتنة بخوارج الشراة وبالعرب من بني شيبان وتغلب بالاكراد واستولى ابن طولون على مصر والشأم مقيما الدعوة الخلافة العباسية وابن الاغلب بافريقية كذلك وأما المغرب الاقصى والاندلس فاقتطعا عن المملكة العباسية منذ أزمان كما قلنا ولم يكن للمعتمد مدة خلافته كلها حكم ولا أمر ونهي انما كان متغلبا لاخيه الموفق وتحت استبداده ولم يكن لهما جميعا كبير ولاية في النواحي باستيلاء من استولى عليها ممن ذكرناه الا بعض الاحيان فلنذكر ما وصل الينا من هذه الولايات أيام المعتمد فلاول ولايته استوزر عبيد الله بن يحيى ابن خاقان وبعث جعلان لحرب الزنج بالبصرة فكان أمره معهم كما مر ثم ولى عيسى ابن الشيخ من بني شيبان على دمشق فاستأثر بها ومنع الخراج وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه أنفقه على الجند فكتب له المعتمد عهده في ارمينية ليقيم بها دعوته وقلد أماجور دمشق وأعمالها فسار اليها وأنفذ عيسى بن الشيخ ابنه منصورا لقتال أماجور في عشرين ألفا فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى الى ارمينية على طريق الساحل ودخل أماجور دمشق وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مساور الخارجي فلقيه ساحة جائعين فنال الخوارج منهم وفيها كان وثوب محمد ابن واصل بن ابراهيم التميمي على الحرث بن سيما عامل فارس فقتله وغلب عليها كما مر وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبي على الري فسار اليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن وظهر على ابن زيد بالكوفة وملكها وبعث المعتمد لمحاربته كيجور التركي فخرج عنها على القادسية ثم الى ختان ثم الى بلاد بني أسد وغزاه كيجور من الكوفة فأوقع به وعاد الى الكوفة ثم الى سر من رأى وفي سنة سبع وخمسين عقد المعتمد لاخيه الموفق على الكوفة والحرمين واليمن ثم على بغداد والسواد الى البصرة

والاهواز وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد الحاجب وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الخياط ونزل الاهواز ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لاحمد بن المولد فسار اليها وقاتل الزنج وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهلى متغلبا عليها فأخذه ابن المولد وبعث الى سامرا وفيها تغلب يعقوب الصفار على فارس وبعض أعمال خراسان وولاه المعتمد ما غلب عليها وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان وانتقضت على ابن طاهر أعمال خراسان وفيها اقتطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التركى فولى عليها أحمد ابن طولون ومات يارجوج لسنة بعدها فاستبد ابن طولون بها وكان عبد العزيز بن أبى دلف على الرى فخرج عليها خوفا من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان فبعث الحسن من قرابته القاسم بن على بن القاسم فأساء فيها السيرة وفى سنة ثمان وخمسين قتل منصور ابن جعفر الخياط فى حرب الزنج وولى يارجوج على أعمال منصور فولى عليها اصطيخور وهلك فى حرب الزنج وعقد المعتمد للموفق على ديار مصر وقنسرين والعواصم وبعثه لحرب الزنج ومعه مفلح فهلك فى تلك الحرب وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرور البلخى فكانت بينه وبين مساور الشيبانى حروب وكذلك بين الاكراد اليعقوبية وأوقع بهم كما مر وفيها رجع أحمد بن واصل الى طاعة السلطان وسلم فارس للحسن بن الفياض وفى سنة تسع وخمسين كان مهلك اصطيخور بالاهواز فأمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير لحرب الزنج كما مر وفيها ملك يعقوب الصفار خراسان وقبض على محمد بن طاهر وكان لنصور على الكوفة فسار عنها الى سامرا بغير اذن وأمر بالرجوع فأبى فبعث المعتمد عدة من القواد فلقوه بعكبرا فقتلوه وحملوا رأسه وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس وملكها وكانت وقعة بين محمد بن الفضل بن نيسان وبين دهشودان ابن حسان الديلمى فهزمه محمد وفيها غلب شركب الجمال على مرو ونواحيها وفى سنة ستين أقام يعقوب بن الصفار الحسن بن زيد فهزمه وملك طبرستان كما مر وأخرج أهل الموصل عاملهم أتكوتكين بن أساتكين فبعث عليهم أساتكين اسحق بن أيوب فى عشرين ألفا ومعه حمدان بن حمدون التغلبى فامتنع أهل الموصل منهم وولوا عليهم يحيى بن سليمان فاستولى عليها وفيها قتلت الاعراب منصورا والى حمص فولى بكتمر وولى على أذربيجان الرذينى عمر بن على لما بلغه أن عاملها العلاء بن أحمد الازدى فلج فلما أتى الرذينى حاربه العلاء فانهزم وقتل واستولى الرذينى على مخلفه قريبا من ألفى ألف وسبعمائة ألف درهم وفيها سار على بن زيد القائد بالكوفة الى صاحب الزنج فقتله وفى سنة احدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الاهواز والبصرة والبحرين

واليمامة مضافا اليه فولاها موسى عبد الرحمن بن مفلح وبعثه لحرب بن واصل
فهزمه ابن واصل وأسره كما مر ورأى موسى بن بغا اضطراب تلك الناحية فاستعفى منها
ووليها أبو الساج وملك الزنج الاهواز من يده فصرف عن ولايتها ووليها ابراهيم بن سيما
وولى محمد بن أوس البلخى طريق خراسان ثم جاء الصفار الى فارس فغلب عليها ابن
واصل كما مر فجهز المعتمد أخاه الموفق الى البصرة بعد أن ولاه المعتمد عهده بعد ابنه
جعفر كما ذكرناه وبعث الموفق ابنه أبا العباس لحرب الزنج فتقدما بين يديه وفيها فارق
محمد بن زيد ولاية يعقوب الصفار وسار ابن أبى الساج الى الاهواز وطلب أن يوجه
الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى خراسان وفيها استبد نصر بن أحمد بن سامان
بسمرقند وما وراء النهر وولى أخاه اسمعيل بخارا وفيها ولى المعتمد على الموصل الخضر
ابن أحمد بن عمر بن الخطاب وفيها رجع الحسين بن زيد الى طبرستان وأخرج منها
أصحاب الصفار وأحرق سالوس لممالأة أهلها الصفار وأقطع ضياعهم للديلم وفيها نادى
المعتمد فى حاج خراسان والرى وطبرستان وجرجان بالنكير على ما فعله الصفار
فى خراسان وابن طاهر وانه لم يكن عن أمره ولا ولاه وفيها قتل مساور الشارى يحيى
ابن جعفر من ولاة خراسان فسار مسرور البلخى فى طلبه والموفق من ورائه وفى سنة
ثنتين وستين كانت الحرب بين الموفق والصفار واستولى الزنج على البطيحة
ودستميسان وولى على الاهواز كما ذكرنا وبعث مسرور البلخى أحمد بن ليتونة لحربهم
كما مر وفيها ثار أحمد بن عبد الله الخجستانى فى خراسان بدعوة بنى طاهر وغلب عليها
الصفار الى أن قتل كما مر ذكره وفيها وقعت مغاضبة بين الموفق وابن طولون فبعث
اليه الموفق موسى بن بغا فأقام بالرقة حولا وعجز عن المسير لقلة الاموال فرجع الى
العراق وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطان صاحب مفلح فقتله الاعراب بالبرية
وفى سنة ثلاث وستين استولى الصفار على الاهواز ومات مساور الشارى وهو قاصد
لقاء العساكر السلطانية بالتواريخ فولى الخوارج مكانه هرون بن عبد الله البجلى
فاستولى على الموصل وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل وفيها هزم ابن أوس من
طريق خراسان وعاد الى الموصل وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل وأسروه ومات
عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد فاستوزر مكانه الحسن بن مخلد وكان موسى
ابن بغا غائبا فى غزو العرب فلما قدم خافه الحسين وتغيب فاستوزر مكانه سليمان
ابن وهب وفيها غلب أخو شركب الجمال على نيسابور وخرج عنها الحسين بن طاهر
الى مرو وبها خوارزم شاه يدعو لاخيه محمد وفيها ملك الزنج مدينة واسط وقاتله
دونها محمد بن المولد فهزمه ودخلها واستباحها وفيها قبض المعتمد على وزيره سليمان

ابن وهب وولى مكانه الحسن بن مخلد وجاء الموفق مع عبد الله بن سليمان شفيعا فلم يشفعه فتحول الى الجانب الغربى مغاضبا واختلفت الرسل بينه وبين المعتمد وكان مع الموفق مسرور كيغلغ وأحمد بن موسى بن بغا ثم أطلق سليمان ودعا الى الجوسق وهرب محمد بن صالح بن شيرزاده والقواد الذين كانوا بسامرا مع المعتمد خوفا من الموفق فوصلوا الى الموصل وكتب الموفق لاحمد بن أبى الاصبغ فى قبض أموالهم وفيها مات أماجور عامل دمشق وملك ابن طولون الشأم وطرسوس وقتل عاملها سيما وفى سنة خمس وستين ولى مسرور البلخى على الاهواز وهزم الزنج وفيها مات يعقوب الصفار وقام بأمره أخوه عمرو ولاه الموفق مكان أخيه بخراسان واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وفيها وثب القاسم بن مهان بدلف ابن عبد العزيز بن أبى دلف باصبهان فقتله فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم فقتلوه فولى اصبهان أحمد بن عبد العزيز أخو دلف وفيها لحق محمد بن المولد بيعقوب الصفار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب وابنه عبد الله وصادرهما على تسعمائة ألف دينار وفيها ذهب موسى بن أتامش واسحق ابن كنداجق والفضل بن موسى بن بغا مغاضبين وبعث الموفق فى اثرهم صاعد ابن مخلد فردهم من صرصر وفيها استوزر الموفق أبا الصقر اسمعيل بن بلبل وفى سنة ست وستين ملك الزنج رامهرمز وغلب أساتكين على الرى وأخرج عنها عاملها فطلقت ثم مضى الى قزوين وبها أخوه كيغلغ فصالحه وملكها وفيها ولى على بن الليث على الشرطة ببغداد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وعلى اصبهان أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وعلى الحرمين وطريق مكة محمد بن أبى الساج وولى الموفق على الجزيرة أحمد ابن موسى بن بغا فولى من قبله على ديار ربيعة موسى بن أتامش فغضب لذلك اسحق ابن كنداجق وفارق عسكر موسى وسار الى بلد وأوقع بالاكراد اليعقوبية ثم لقى ابن مساور الخارجى فقاتله وسار الى الموصل وطلب من أهلها المال وخرج على ابن داود اقتاله مع اسحق بن أيوب وحمدان بن حمدون وكانت بينهم حروب أخرها المعتمد لاسحق بن كنداجق على الموصل وقد مر ذلك من قبل وفيها قتل أهل حمص عاملها عيسى الكرخى وفيها كانت بين لؤلؤ غلام ابن طولون وبين موسى بن أتامش وقعة برأس عين وأسره لؤلؤ وبعث به الى الرقة ثم لقيه أحمد بن موسى فاقتتلوا وغلب أحمد أولا ثم كر لؤلؤ فغلبهم وانتهوا الى قرقيسيا ثم ساروا الى بغداد وسامرا وفيها أوقع أحمد بن عبد العزيز ببكتمر فانهزم ولحق ببغداد وأوقع الخجستانى بالحسن بن زيد بجرجان فلحق بآمد وملك الخجستانى جرجان وأقطعه من طبرستان واستخلف على سارية الحسن

ابن محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقي بن حسين الاصغر بن زين العابدين فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر الحسن بن محمد أنه قتل ودعا لنفسه وحاربه الحسن بن زيد فظفر به وقتله وفيها ملك الخجستاني نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن الليث وفيها في صفر زحف الموفق لقتال صاحب الزنج فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف سنة سبعين وفيها كانت الحرب بالمدينة من بني حسن وبني جعفر وفي سنة سبع وستين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج وفيها حبس السلطان محمد بن عبد الله بن طاهر وجماعة من بيته اتهمه عمرو بن الليث بممالأة الخجستاني والحسين بن طاهر أخيه فكتب الى المعتمد وحبسه وفيها كانت بين كيقلغ التركي وأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وانهزم أحمد وملك كيقلغ همذان فزحف اليه أحمد بن عبد العزيز فهزمه وملك همذان وسار كيقلغ الى الصيمرة وفيها أزال الخجستاني ذكر محمد بن طاهر من المنابر ودعا لنفسه بعد المعتمد وضرب السكة باسمه وجاء يريد العراق فانتهى الى الري ثم رجع وفيها أوقع أصحاب أبي الساج بالهيثم العجلي صاحب الكوفة وغنموا عسكره وفيها أوقع أبو العباس بن الموفق بالاعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بني تميم وغيرهم وفي سنة ثمان وستين كان مقتل الخجستاني و أصحابه بعده على رافع بن هرثمة من قواد بني طاهر وملك بلاد خراسان وخوارزم وفيها انتقض محمد بن الليث بفارس على أخيه عمرو فسار اليه وهزمه واستباح عسكره وملك اصطخر وشيراز وظفر به بنفسه كما مر وفيها كانت وقعة بين اتكوتكين بن اساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف فهزمه اتكوتكين وغلبه على قم وفيها بعث عمرو بن الليث عسكرا الى محمد ابن عبد الله الكردي وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون وسار الى الموفق وقاتل معه الزنج وفيها سار المعتمد الى ابن طولون بمصر مغاضبا لاخيه الموفق وكتب الموفق الى اسحق بن كنداجق بالموصل برده فسار معه الى آخر عمله ثم قبض على القواد الذين معه ورده الى سامرا وفيها وثب العامة ببغداد بأميرهم الخلنجي وكان كاتب عبيد الله بن طاهر وقتل غلام له امرأة بسهم فلم يعدهم عليه فوثبوا به وقتلوا من أصحابه ونهبوا منزله وخرج هاربا فركب محمد بن عبد الله واسترد من العامة ما نهبوه وفيها وثب بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على الثغور الشامية فاستنقذه أهل طرسوس من يده وزحف اليهم ابن طولون فامتنعوا عليه ورجع الى حمص ثم الى دمشق وفيها كانت وقعة بين العلويين والجعفريين بالحجاز فقتل ثمانية من الجعفريين وخلصوا عامل المدينة من أيديهم وفيها عقد هرون بن الموفق لابي الساج على الانبار والرحبة وطريق الفرات وولي محمد بن أحمد على الكوفة وسوادها ودافعه عنها أحمد

ابن الهيثم فهزمه محمد ودخلها وفيها مات عيسى بن الشيخ الشيباني عامل ارمينية وديار بكر وفيها عظمت الفتنة بين الموفق وابن طولون فحمل المعتمد على لعنه وعزله وولى اسحق بن كنداجق على اعماله الى افريقية وعلى شرطة الخاصة وقطع ابن طولون الخطبة للموفق واسمه من الطرر وفيها ملك ابن طولون الرحبة بعد مقاتلة أهلها وهرب أحمد بن مالك بن طوق الى الشأم ثم سار الى ابن الشماخ بقرقيسيا وفي سنة سبعين كان مقتل صاحب الزنج وانقراض دعوته ووفاة الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان وقيام أخيه محمد بأمره ووفاة أحمد بن طولون صاحب مصر وولاية ابنه خمارويه ومسير اسحق بن كنداجق وابن دعامس عامل الرقة والثغور والعواصم لابن طولون وفي سنة احدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعلى ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وقتلا جماعة من أهلها ونهبا أموال الناس ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث من خراسان فقاتله أحمد بن عبد الله بن أبي دلف باصبهان وهزمه وفيها استعاد خمارويه الشأم من يد أبي العباس ابن الموفق وفر الى طرسوس كما تقدم وفيها عقد المعتمد لاحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة وكان يوسف بن أبي الساج والى مكة وجاء بدر غلام الطائي أميرا على الحاج فحاربه يوسف على باب المسجد الحرام وأسره فسار الجند والحاج بيوسف وأطلقوا بدرا من يده وحملوا يوسف أسيرا الى بغداد وفي منتصف سنة اثنتين وسبعين غلب أتكوتكين على الري من يد محمد بن زيد العلوى سار هو من قزوين في أربعة آلاف ومحمد بن زيد من طبرستان في الديلم وأهل خراسان فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف وفيها ثار أهل طرسوس بأبي العباس بن الموفق وأخرجوه الى بغداد وولوا عليهم بازيار وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق وفيها دخل حمدان بن حمدون وهرون مدينة الموصل وفيها قدم صاعد بن مخلد الوزير من فارس وقد كان بعثه الموفق اليها لحرب   فرجع الى واسط وركب القواد لاستقباله فترجلوا اليه وقبلوا يده ولم يكلمهم ثم قبض الموفق على جميع أصحابه وأهله ونهب منازلهم وكتب الى بغداد بقبض ابنه أبي عيسى وصالح وأخيه عبدون واستكتب مكانه أبا الصقر اسمعيل ابن بلبل واقتصر به على الكتابة وفيها جاء بنو شيبان الى الموصل فعاثوا في نواحيها وأجمع هرون الشاري وأصحابه على قصدهم وكتب الى أحمد بن حمدون الثعلبي فجاءه وساروا الى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة ثم ساروا الى نهر الحادر فلما تراءى الجمعان انهزم هرون وأصحابه وانجلى سوى عنها وفي سنة ثلاث وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كنداجق وبين ابن ابي الساج وسار ابن أبي الساج الى

ابن طولون واستولى على الجزيرة والموصل وخطب له فيها وقاتل الشراة كما ذكرنا وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره على أربعمائة ألف دينار وبقي في ادبار الى أن عاد الى مصر أيام هرون بن خمارويه وفي سنة أربع وسبعين سار الموفق الى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث ورجع عمرو الى كرمان وسجستان وعاد الموفق الى بغداد وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبي الساج طاعة خمارويه وقاتله خمارويه فهزمه وملك الشأم من يده وسار الى الموصل وخمارويه في اتباعه الى بغداد ولحق ابن أبي الساج بالحديثة فأقام بها الى أن رجع خمارويه وكان اسحق ابن كنداج قد جاء الى خمارويه فبعث معه جيشا وقوادا في طلب ابن أبي الساج واشتغل بعمل السفن للعبور اليه فسار ابن أبي الساج عنها الى الموصل وأتبعه ابن كنداج وسار الى الرقة فاتبعه ابن أبي الساج وكتب الى الموفق يستأذنه في اتباعه الى الشأم وجاء ابن كنداج بالعساكر من عند خمارويه وأقام على حدود الشأم ثم هزم ابن أبي الساج فسار الى الموفق وملك ابن كنداج ديار ربيعة وديار مضر وقد تقدم ذكر ذلك وفيها خرج أحمد بن محمد الطائي من الكوفة لحرب فارس العبدي كان يخيف السابلة فهزمه العبدي وكان الطائي على الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرا وشرطة بغداد وخراج بادردباد قطربل وفيها قبض الموفق على ابنه أبي العباس وحبسه وفيها ملك رافع بن هرثمة جرجان من يد محمد بن زيد وحاصره في استراباذ نحوا من سنتين ثم فارقها الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارن الى رافع وقدم عليه على بن الليث من حبس أخيه بكرمان هو وابناه المعدل والليث وبعث رافع على سالوس محمد بن هرون وجاء اليه على بن كاكى مستأمنا فحصرهما محمد بن زيد وسار اليه رافع ففر الى أرض الديلم ورافع في اتباعه الى حدود قزوين فسار فيها وأحرقها وعاد الى الرى وفي سنة ست وسبعين رضى المعتمد عن عمرو ابن الليث وولاه وكتب اسمه على الاعلام وولى على الشرطة ببغداد من قبله عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر ثم انتقض فأزيل وفيها كان مسير الموفق الى الجبل لاذكوتكين ومحاربة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقد تقدم ذلك وفيها ولى الموفق ابن أبي الساج على أذربيجان فسار اليها ودافعه عبد الله بن حسن الهمذاني صاحب مراغة فهزمه ابن أبي الساج واستقر في عمله وفيها زحف هرون الشاري من الحديثة الى الموصل يريد حربها ثم صالحه أهل الموصل ورحل عنهم وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون وكان أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا وبعث اليه بعد الدعاء بخمسين ألف دينار

وفى سنة ثمان وسبعين كانت وفاة الموفق وبيعة المعتضد بالعهد كما مرّ وفيها كان ابتداء أمر القرامطة وقد تقدّم وفى سنة تسع وسبعين خلع جعفر بن المعتمد وقدم عليه المعتضد وكانت الحرب بين الخوارج وأهل الموصل وبين بنى شيبان وعلى بنى شيبان هرون بن سيما من قبل محمد بن اسحق بن كنداج ولاه عليها فطرده أهلها فزحف اليهم مع بنى شيبان ودافع عن أهل الموصل هرون الشارى وحمدان بن حمدون فهزمهم بنو شيبان وخاف أهل الموصل من ابن سيما وبعثوا الى بغداد يطلبون واليا فولى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق وكان ينزل الحديثة فأقام بها أياما ثم استبدل منه بعلى بن داود الكردى

* (وفاة المعتمد وبيعة المعتضد) *

توفى المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل لعشر بقين من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين لثلاث وعشرين سنة من ولايته ودفن بسامرا وهو أوّل من انتقل الى بغداد وكان فى خلافته مغلبا عاجزا وكان أخوه الموفق مستبدا عليه ولم يكن له معه حكم فى شئ ولما مات الموفق سنة ثمان وسبعين كما قدمناه أقام مكانه ابنه أبا العباس أحمد المعتضد وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره وولاه عهده كما كان أبوه ثم قدّمه فى العهد على ابنه جعفر ثم هلك فبايع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته فولى غلامه بدرا الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشارى بن ملك الحرس ووفد عليه لأوّل خلافته رسول عمرو بن الليث بالهدايا وسأل ولاية خراسان فعقد له عليها وبعث اليه بالخلع واللواء ولأوّل خلافته مات نصر بن أحمد السامانى ملك ما وراء النهر وقام مكانه أخوه اسمعيل

* (مقتل رافع بن الليث) *

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالرىّ وكتب اليه المعتضد برفع يده عنها فكتب الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف باخراجه عن الرىّ فقاتله وأخرجه وسار الى جرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين ووقعت بينه وبين عمرو حرب وانهزم رافع الى اسورد وخلص عمرو ابنى أخيه من حبسه وهما العدل والليث ابنا علي بن الليث وقد تقدّم خبرهما ثم سار رافع الى هراة ورصده عمرو بسرخس فشعر به ورجع الى نيسابور فى مسالك صعبة وطرق ضيقة واتبعه عمرو وحاصره فى نيسابور ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قوّاده الى عمرو فانهزم رافع وبعث أخاه محمد بن هرثمة الى محمد ابن زيد يستمدّه كما شرط له فلم يفعل وافترق عن رافع أصحابه وغلمانه وفارقه محمد بن هرون

الى أحمد بن اسمعيل فى بخارى ولحق رافع بخوارزم فى فل من العسكر ومعه بقية أمواله وآلته ومر فى طريقه بأبى سعيد الدرغانى ببلد فاستغفله وغدر به وحمل رأسه الى عمرو بن الليث بنيسابور وذلك فى شوال سنة ثلاث وثمانين

(خبر الخوارج بالموصل)

قد تقدم لنا أن خوارج الموصل من الشراة استقدر عليهم بعد مساور وهرون الشارى وذكرنا شيأ من اخبارهم ثم خرج عليه سنة ثمانين محمد بن عبادة ويعرف بأبى جوزة من بنى زهير من البقعاء وكان فقيرا ومعاشه ومعاش بنيه فى التقاط الكمأة وغيرها وأمثال ذلك وكان يتدين ويظهر الزهد ثم جمع الجموع وحكم واستجمع اليه الاعراب من تلك النواحى وقبض الزكوات والاعشار من تلك الاعمال وبنى عند سنجار حصنا ووضع فيه أمتعته وماعونه وأنزل به ابنه أبا هلال فى مائة وخمسين فجمع هرون الشارى أصحابه وبدأ بحصار الحصن فأحاط به ومحمد بن عبادة فى قرابا وجد فى حصاره حتى أشرف على فتحه وقيد أبا هلال ابنه ونفرا معه وبعث بنو ثعلب وهم مع هرون الى من كان بالحصن من بنى زهير فأمنوهم وملك هرون الحصن ثم ساروا الى محمد فلقيهم وهزمهم أولا ثم كروا عليه مستميتين فهزموه وقتلوا من أصحابه ألفا وأربعمائة وقسم هرون ماله ولحق محمد بآمد فجار به صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ فظفر به وبعثه الى المعتضد فسلخه حيا

(ايقاع المعتضد ببنى شيبان واستيلاؤه على ماردين)

وفى سنة ثمانين سار المعتضد الى بنى شيبان بأرض الجزيرة ففروا أمامه وأغار على طوائف من العرب عند السند فاستباحهم وسار الى الموصل فجاءه بنو شيبان وأعطوه رهنهم على الطاعة فقبلهم وعاد الى بغداد وبعث الى أحمد بن عيسى بن الشيخ فى أموال ابن كنداج التى أخذها بآمد فبعث بها وبهدايا كثيرة معها ثم بلغه أن أحمد بن حمدون مالأ لهرون الشارى وداخل فى دعوته فسار المعتضد اليه سنة احدى وثمانين واجتمع الاعراب من بنى ثعلب وغيرهم للقائه وقتل منهم وغرق فى الزاب كثيرا وسار الى الموصل ثم بلغه ان أحمد هرب عن ماردين وخلف بها ابنه فسار المعتضد اليه ونازله وقاتله يوما ثم صعد من الغد الى باب القلعة وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دهشا وأمر بنقل ما فى القلعة وهدمها وبعث فى طلب حمدان وأخذ أمواله

(الولاية على الجبل واصبهان)

عقد المعتضد سنة احدى وثمانين لابنه على وهو المكتفى على الرى وقزوين وزنجان

وابهر وقم وهمذان والدينور فاستأمن اليه عامل الرى لرافع بن الليث وهو الحسن ابن على كوره فأمنه وبعث به الى أبيه

(عود حمدان الى الطاعة)

وفى سنة ثنتين وثمانين سار المعتضد الى الموصل واستقدم اسحق بن أيوب وحمدان ابن حمدون فبادر اسحق بقلاعه وأودع حرمه وأمواله فبعث اليه المعتضد العساكر مع وصيف ونصر القسورى فتوافوا بدير الزعفران من أرض الموصل وبه الحسن ابن على كوره ومعه الحسين بن حمدان فاستأمن الحسين وبعثوا به الى المعتضد فأمر بهدم القلعة وسار وصيف فى اتباع حمدان فواقعه وهزمه وعبر الى الجانب الغربى من دجلة وسار فى ديار ربيعة وعبرت اليه العساكر وحسروه فأخذوا ماله وهرب وضاقت عليه الارض فقصد خيمة اسحق بن أيوب فى عسكر المعتضد مستجيرا به فأحضره عند المعتضد فوكل به وحبسه

(هزيمة هرون الشارى ومهلكه)

كان المعتضد قد ترك بالموصل نصرا القسورى لاعانة العمال على الجباية وخرج بعض العمال لذلك فأغارت عليهم طائفة من أصحاب هرون الشارى وقتل بعضهم فكثر عيث الخوارج وكتب نصر القسورى الى هرون يتهدده فأجابه وأساء فى الرد وعرض بذكر الخليفة فبعث نصر بالكتاب الى المعتضد فأمره بالجد فى طلب هرون وكان على الموصل يكتمر طاتشمر من مواليهم فقبض عليه وقيده وولى على الموصل الحسن كوره وأمر ولاة الاعمال بطاعته فجمعهم وعسكر بالموصل وخندق على عسكره الى أن أوقع بالناس غلاتهم ثم سار الى الخوارج وعبر الزاب اليهم فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وقتل منهم وافترقوا وسار الكثير منهم الى أذربيجان ودخل هرون البرية واستأمن وجوه أصحابه الى المعتضد فأمنهم ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين فى طلب هرون فانتهى الى تكريت وبعث الحسين بن حمدون فى عسكر نحو من ثلثمائة فارس واشترط ان جاء به اطلاق ابنه حمدان وسار معه وصيف وانتهى الى بعض مخايض دجلة فأرصد بها وصيفا وقال لا تفارقوها حتى ترونى ومضى فى طلبه فواقعه وهزمه وقتل من أصحابه وأقام وصيف ثلاثة أيام فأبطأ عليه الامر فسار فى اتباع ابن حمدان وجاء هرون منهزما الى تلك المخاضة فعبر وابن حمدان فى أثره الى حى من أحياء العرب قد اجتاز بهم هرون فدلوا ابن حمدان عليه فلحقه وأسره وجاء به الى المعتضد فرجع المعتضد آخر ربيع الاول وخلع على الحسين واخوته وطوقه وأدخل هرون على الفيل وهو ينادى لا حكم الا الله

ولو كره المشركون وكان صغديا ثم أمر المعتضد بحل القيود عن حمدان بن حمدون والاحسان اليه وباطلاقه وفى سنة ثنتين وثمانين سار المعتضد من الموصل الى الجبل فبلغ الكرخ فهرب عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف بين يديه فأخذ أمواله وبعث اليه فى طلب جند كان عنده فوجهه اليه ثم بعث المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان الى ابنه بالرى ليسير من هنالك الى عمر بن عبد العزيز بالامان فسار وأمنه ورجع الى الطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته وكان أخوه بكر بن عبد العزيز قد استأمن قبل ذلك الى عبيد الله بن سليمان وبدر فولاه عمله على أن يسير الى حربه فلما وصل عمر فى الامان قال لبكر انما وليناك وأخوك عاص فامضيا الى أمير المؤمنين المعتضد وولى عيسى النوشرى على اصبهان من قبل عمر وهرب بكر الى الاهواز وسار عبيد الله ابن سليمان الوزير الى على بن المعتضد بالرى ولما بلغ الخبر الى المعتضد بعث وصيفا موسكين الى بكر بن عبد العزيز بالاهواز فلحقه بحدود فارس فمضى بكر الى اصبهان ليلا ورجع وصيف الى بغداد وكتب المعتضد الى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه فأمر بذلك عيسى النوشرى فقام به ولقى بكرا بنواحى اصبهان فهزمه بكر ثم عاد النوشرى لقتاله سنة أربع وثمانين فهزمه بنواحى اصبهان واستباح عسكره ولجأ بكر الى محمد بن زيد العلوى بطبرستان وهلك بها سنة خمس وثمانين وكان عمر لما مات أبوه قبض على أخيه الحرث ويكنى أباليلى وحبسه فى قلعة رذ ووكل به شفيعا الخادم فلما جاء المعتضد واستأمن عمر وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها رغب اليه الحرث فى اطلاقه فلم يفعل وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف فحادثه ليلة ونادمه وقام شفيع لبعض حاجته فجعل الحرث فى فراشه تمثالا وغطاه وقال لجاريته قولى لشفيع اذا عاد هو نائم ومضى فاختفى فى الدار وفك القيد عن رجله بمبرد ادخل اليه وبرد به مسماره ولما أخبر شفيع بنومه مضى الى مرقده وقصده أبو ليلى على فراشه فقتله وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم وجمع الاكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقضا للطاعة فسار الى عيسى النوشرى وحاربه فأصاب أباليلى سهم فمات وحمل رأسه الى اصبهان ثم الى بغداد

(خبر ابن الشيخ بآمد)

وفى سنة خمس وثمانين توفى أحمد بن عيسى بن الشيخ وقام بأمره فى آمد وأعمالها ابنه محمد فسار المعتضد اليه فى العساكر ومعه ابنه أبو محمد على المكتفى ومر بالموصل وحاصر المعتمد الى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ونصب عليها المجانيق حتى استأمن لنفسه ولاهل آمد وخرج الى المعتمد فخلع عليه وهدم سورها ثم بلغه أنه يروم الهرب فقبض

عليه وعلى أهله

(خبر ابن أبى الساج)

قد تقدم لنا ولاية محمد بن أبى الساج على أذربيجان ومدافعة الحسين اياه عن مراغة ثم فتحها واستيلاؤه على أعمال أذربيجان وبعث المعتضد سنة ثنتين وثمانين أخاه يوسف بن أبى الساج الى الصيمرة مددا الفتح القلانسى غلام الموفق فخرج يوسف فيمن أطاعه فولاه المعتضد على أعماله وبعث اليه بالخلع وأعطاه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالهدايا

(ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشأم)

كان فى سنة احدى وثمانين قد جاء الى القطيف بالبحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدى وزعم أنه رسول من المهدى وانه قد قرب خروجه وقصد من أهل القطيف على بن المعلى بن حمدان الربادى وكان متغاليا فى التشيع فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدى ليشيع الخبر فى سائر قرى البحرين فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابى وكان من عظمائهم ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرهم على اجابتهم وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا اليه خمس أموالهم فدفعوا وأقام يتردد فى قبائل قيس ثم أظهر أبو سعيد الجنابى الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين واجتمع اليه القرامطة والاعراب وقتل واستباح وسار الى القطيف طالبا البصرة وبلغت النفقة فيه أربعة عشر ألف دينار ثم قرب أبو سعيد من نواحى البصرة وبعث المعتضد اليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوى وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين وضم اليه ألفين من المقاتلة وسار الى البصرة وأكثر من الحشد جندا ومتطوعة فسار ولقى أبا سعيد الجنابى ورجع من كان معه من بنى ضبة الى البصرة ثم كان اللقاء فهزمه الجنابى وأسره واحتوى على معسكره وحرق الاسرى بالنار وذلك فى شعبان من هذه السنة وسار الى هجر فملكها وأمن أهلها ورجع الى أهل البصرة وبعثوا اليهم بالرواحل عليها الطعام والماء فاعترضهم بنو اسد واخذوا الرواحل وقتلوا الفل واضطربت البصرة وتشوف أهلها الى الانتقال فمنعهم الواثقى ثم أطلق الجنابى العباس الغنوى فركب الى الابلة وسار منها الى بغداد فخلع عليه المعتضد وأما ظهورهم بالشأم فان داعيتهم ذكرويه بن مهرويه الذى جاء بكتاب المهدى الى العراق لما رأى الجيوش متتابعة الى القرامطة بالسواد وأبادهم القتل لحق باعراب أسد وطيئ فلم يجبه فبعث أولاده فى كلب بن وبرة فلم يجبه منهم الا بنو

القايطى بن ضمضم بن عدى بن جناب فبايعوا ذكرويه ويسمى يحيى ويكنى بأبى القاسم ولقبوه الشيخ وانه من ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق وأنه يحيى بن عبد الله ابن يحيى بن اسمعيل وزعم أن له مائة ألف تابع وان ناقته التى يركبها مأمورة فمن تبعها كان منصورا فقصدهم شبل مولى المعتضد فى العساكر من ناحية الرصافة فقتلوه فسار اليهم شبل مولى أحمد بن محمد الطائى فأوقع بهم وجاء ببعض رؤسائهم أسيرا فأحضره المعتضد وقال له هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل فى أجسادهم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل فقال له يا هذا أرأيت ان حلت روح ابليس فما ينفعك فاترك مالا يعنيك الى ما يعنيك قال له فقل فيما يعنينى فقال له قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العباس حى فلم يطالب الامر ولا بايعه ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس أولم يعهد اليه عمر ولا جعله من أهل الشورى وكانوا ستة وفيهم الاقرب والأبعد وهذا اجماع منهم على دفع جدك عنها فبماذا تستحقون أنتم الخلافة فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطع مرتين ثم قتل ولما أوقع شبل بالقرامطة بسواد الكوفة ساروا الى الشأم فانتهوا الى دمشق وعليها طغج بن جف مولى أحمد بن طولون من قبل ابنه هرون فخرج اليهم فقاتلهم مرارا هزموه فى كلها هذه أخبار بدايتهم ونقبض العنان عنها الى أن نذكر سياقتها عند ما نعدد أخبارهم على شريطتنا فى هذا الكتاب كما تقدم

(استيلاء ابن ماسان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله)

لما تغلب عمرو بن الليث الصفار على خراسان من يد رافع بن الليث وقتله وبعث برأسه الى المعتضد وطلب منه أن يوليه ما وراء النهر مضافا الى ولاية خراسان كتب له بذلك فجهز الجيوش لمحاربة اسمعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر وجعل عليهم محمد بن بشير من أخص أصحابه وبعث معه القواد فانتهوا الى آمد من شط جيحون وعبر اليهم اسمعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير فى ستة آلاف ولحق الفل بعمرو فى نيسابور فتجهز وسار الى بلخ وكتب اليه اسمعيل يستعطفه ويقول أنا فى ثغر وأنت فى دنيا عريضة فاتركنى واستفد الفتق فأبى وصعب على أصحابه عبور النهر لشدته فعبر اسمعيل وأخذ الطرق على بلخ وصار عمرو محصورا ثم اقتتلوا فانهزم عمرو وتسرب من بعض المسالك عن أصحابه فوجد فى أجمة وأخذ أسيرا وبعث به اسمعيل الى سمرقند ومن هنالك الى المعتضد سنة ثمان وثمانين فحبسه الى أن مات المعتضد سنة تسع بعدها فقتله ابنه المكتفى وعقد لاسمعيل على خراسان كما كانت لعمرو وكان عمرو عظيم السياسة وكان يستكثر من المماليك ويجرى عليهم الارزاق ويفرقهم على قواده ليطالعوه بأخبارهم وكان

شديد الهيبة ولم يكن أحد يتجاسر أن يعاقب غلاما ولا خادما الا أن يرفعه الى حجابه

(استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوي ومقتله)

ولما بلغ محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم ما وقع بعمرو بن الليث وانه أسر طمع هو في خراسان وظن أن ابن اسمعيل لا يتجاوز عمله فسار الى جرجان وبعث اليه اسمعيل بالكف فأبى فجهز لحربه محمد بن هرون وكان من قواد رافع بن الليث واستأمن الى عمرو ثم الى اسمعيل فانتظمه في قواده وندبه الآن لحرب محمد بن زيد فسار لذلك ولقيه على باب خراسان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم محمد بن هرون أولا وافترقت عساكر محمد ابن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه وانهزم محمد بن زيد وجرح جراحات فاحشة هلك منها الايام وأسر ابنه زيد وبعث به اسمعيل الى بخارا واجترأ عليه وغنم ابن هرون معسكرهم ثم سار الى طبرستان فملكها وصار خراسان وطبرستان لبني سامان واتصلت لهم دولة نذكر سياقة أخبارها عند افراد دولتهم بالذكر كما شرطناه في تأليفنا

(ولاية علي بن المعتضد على الجزيرة والثغور)

ولما ملك المعتضد آمد من يد ابن الشيخ كما قدمناه سار الى الرقة وتسلم قنسرين والعواصم من يد عمال هرون بن خمارويه لانه كان كتب اليه أن يقاطعه على الشأم ومصر ويسلم اليه أعمال قنسرين ويحمل اليه أربعمائة ألف دينار وخمسين ألفا فأجابه وسار من آمد الى الرقة فأنزل ابنه عليا الذي لقبه بعد ذلك بالمكتفي وقلده على الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ست وثمانين واستكتب له الحسن بن عمر النصراني واستقدم وهو بالرقة راغبا مولى الموفق من طرسوس فقدم عليه وحبسه وحبس مكنون غلامه واستصفى أموالهما ومات راغب لايام من حبسه وقد كان راغب استبد بطرسوس وترك الدعاء لهرون بن خمارويه ودعا لبدر مولى المعتضد ولما جاء أحمد بن طغان للفرسنة ثلاث وثمانين تنازع معه راغب فركب أحمد البحر في رجوعه ولم يعرج على طرسوس وترك بها دميانة غلام بازيار وأمده فقوي وأنكر على راغب أفعاله فحمل دميانة الى بغداد واستبد راغب الى استدعاء المعتضد ونكبه كما قلناه وولى ابن الاخشاء على طرسوس فمات لسنة واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازيا فأسر وولى الناس عليهم مكانه علي بن الاعرابي ولحق بملطية في هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبي الساج صاحب بردعة وكتب الى المعتمد يسأله ولاية الثغور وقد واطأ صاحبه أن يسير اليه اذا وليها فيقصدان ابن طولون ويملكان مصر من يده وظهر المعتضد على ذلك فسار لاعتراضه وقدم العساكر بين يديه فأخذوه بعين زربة وجاؤا به

الى المعتضد بنفسه وامن عسكره ورحل الى قرب طرسوس واستدعى رؤساءها وقبض عليهم بمكاتبتهم وصيفا وأمر باحراق مراكب طرسوس باشارة دميانة واستعمل على أهل الثغور الحسن بن على كوره وسار الى انطاكية وحلب ورجع منها الى بغداد وقتل وصيفا وصلبه واستقدم المكتفى بعد وفاة المعتضد الحسن بن على وولى على الثغور مظفر بن حاج ثم شكا أهل الثغر منه فعزله وولى أبا العشائر بن أحمد بن نصر سنة تسعين

(حرب الاعراب)

وفى سنة ست وثمانين اعترضت طى ركب الحاج بالاجفر وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ماقيمته ألف ألف دينار ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا

(تغلب ابن الليث على فارس واخراج بدر اياه)

وفى فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فى العساكر الى بلاد فارس وأخرج منها عامل المعتضد وهو عيسى النوشرى كان على أصبهان فولاه المعتضد فارس فسار اليها فجاء طاهر وملكها وكتب اليه اسمعيل صاحب ماوراء النهر بأن المعتضد ولاه سجستان لذلك وعقد المعتضد لبدر مولاه على فارس وهرب عمال طاهر عنها وملكها بدر وجبى خراجها ثم مات المعتضد وسار مغربا عن فارس فقتل بواسط وقاطع طاهر بلاد فارس على مال يحمله فقلده المكتفى ولايتها سنة تسعين

(الولايات فى النواحى)

كان أكثر النواحى فى دولة المعتضد مغلبا عليها كخراسان وماوراء النهر لابن سامان والبحرين للقرامطة ومصر لابن طولون وافريقية لابن الاغلب وقد ذكرنا من ولى الموصل وفى سنة خمس وثمانين ولى المعتضد عليها وعلى الجزيرة والثغور الشامية مولاه ثم ملك آمد من يد ابن الشيخ وجعلها لابنه على المكتفى وأنزله الرقة كما ذكرناه وعقد له على الثغور ثم عقد بعده للحسن بن على كوره وولى على فارس بدرا مولاه ومات اسحق بن أيوب بن عمر بن الخطاب الثعلبى العدوى أمير ديار ربيعة فولى المعتضد مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر وفى سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويين وتغلب على صنعاء فجمع له بنو يعفر وقاتلوه فهزموه وأسروا ابنه وتجافى نحو خمسين فارسا وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمعتضد وهلك ابن أبى الساج فى هذه السنة فولى أصحابه ابنه ديوداد ونازعه عمه يوسف بن رافع بابن أخيه وهزمه ومضى

الى بغداد على طريق الموصل واستقل يوسف بملك اذربيجان وعرض على ابن اخيه المقام عنده فأبى وقلد المعتضد لاول خلافته ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الجراح عوضا عن أحمد بن محمد بن الفرات وديوان المغرب على بن عيسى بن داود بن الجراح ومات وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب فولى ابنه أبا القاسم مكانه

(الصوائف)

وفى سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق من طرسوس فى البحر فغنم مراكب الروم وقتل فيها نحوا من ثلاثة آلاف وأحرقها وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم الى نهر الرحال فاسروه وفى سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن على كوره صاحب الثغور بالصائفة فغزا وفتح حصونا كثيرة وعاد بالاسرى فخرج الروم فى أثره برا وبحرا الى كيسوم من نواحى حلب فأسروا نحوا من خمسة عشر ألفا ورجعوا

(وفاة المعتضد وبيعة ابنه)

كان بدر مولى المعتضد عظيم دولته وكان القاسم بن عبيد الله الوزير يروم نقل الخلافة فى غير بنى المعتضد وفاوض فى ذلك بدرا أيام المعتضد فأبى ولم يمكن القاسم مخالفته فلما مات المعتضد كان بدر بفارس بعثه اليها المعتضد لما بلغه أن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غلب عليها فبعث بدرا وولاه فلما مات عقد الوزير البيعة لابنه المكتفى وخشى من بدر فيما اطلع عليه منه فأعمل الحيلة فى أمره وكان المكتفى أيضا يحقد لبدر كثيرا من منازعة معه أيام أبيه فدس الوزير الى القواد الذين مع بدر بمفارقته ففارقه العباس ابن عمر الغنوى ومحمد بن اسحق بن كنداج وخاقان العلجى وغيرهم فأحسن الملتقى اليهم وسار بدر الى واسط فوكل المكتفى بداره وقبض على أصحابه وأمر بمحو اسمه من الفراش والاعلام وبعث الحسن بن على كوره فى جيش الى واسط وعرض على بدر ماشاء من النواحى فقال لابد لى ان أشافه مولاى بالقول فخوف الوزير المكتفى غائلته ومنعه من ذلك وشعر أن بدرا بعث عن ابنه هلال فوكل به ثم بعث الوزير عن القاضى أبى عمر المالكى وحمله الامان الى بدر بخطه بأمانه وبعث الوزير من اعترضه بالطريق فقتله لست خلون من رمضان وحمل أهله شلوه الى مكة فدفن بها لوصيته بذلك وحزن القاضى أبو عمر لاخفار ذمته

(استيلاء محمد بن هرون على الرى ثم أسره وقتله)

قد تقدم لنا ذكر محمد بن هرون وأنه كان من قواد رافع بن هرثمة ونظمه اسمعيل بن أحمد صاحب ماوراء النهر فى قواده وبعثه لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان

وولاه اسمعيل عليها ثم انتقض ودعا بدعوة العلوية وبيض وساعده ابن حسان الديلمي وبعث اسمعيل العساكر لقتال ابن حسان فهزموه وكان على الري من قبل المكتفي اغرتمش التركي فأساء السيرة فبعث أهل الري الى محمد بن هرون أن يسير اليهم ويولوه فسار وحارب اغرتمش فهزمه وقتله وقتل ابنيه وأخاه كيغلغ من القواد واستولى على الري وبعث المكتفي مولاه خاقان المفلحي لولاية الري في جيش كثيف فلم يصلها وبعث المكتفي الى اسمعيل بولايته ومحاربة محمد بن هرون فسار اسمعيل اليه وهزمه فخرج عن الري الى قزوين وزنجان ثم لحق بطبرستان واستقر مع ابن مستجيزا ولما ملك اسمعيل الري ولى على جرجان مولاه فارس الكبير والزمه احضار محمد بن هرون فكاتبه فارس وضمن له صلاح الحال فقبل وانصرف عن الديلم الى بخارى فبعث اسمعيل من اعترضه وحمل الى بخارى مقيدا فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين

* (استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون) *

كان محمد بن سليمان من قواد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم فلحق بالمعتضد وصرفوه في الخدم وكانت القرامطة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طغج بن جف وقتلوا قوادهم وسار المكتفي اليهم فنزل الرقة وبعث محمد بن سليمان لحربهم ومعه الحسن بن حمدان والعساكر وبنو شيبان فلقيهم قرب حماة فهزمهم واتبعهم الى الكوفة وقبض في طريقه على أميرهم صاحب الشامة فبعث به الى المكتفي فرجع الى بغداد وخلف محمد بن سليمان في العساكر فتتبعهم وأسر جماعة منهم وبينما هو يروم العود الى بغداد جاءه كتاب بدر الحمامي مولى هرون بن خمارويه ومحمد فائق صاحب دمشق يستقدمانه الى البلاد لعجز هرون عنها فأنهى ذلك محمد بن سليمان عند عوده الى المكتفي فأعاده وأمده بالجنود والاموال وبعث دميانة غلام بازيار في الاسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مصر ولما وصل ودنا من مصر كاتب القواد وخرج اليه رئيسهم بدر الحمامي وتتابع منهم جماعة وبرز هرون لقتاله فحاربه أياما ثم وقعت بعض الايام في عسكره هيعة ركب لها ليسكنها فاصابته حربة مات منها واجتمع أصحابه على عمه شيبان وبذل الاموال فقاتلوا معه ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالامان فاجابوه وخالف شيبان الى مصر فاستولى عليها واستأمن اليه شيبان سرا فامنه ولحق به ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أموالهم وذلك في صفر سنة ثنتين وتسعين وأمره المكتفي بازالة آل طولون وأشياعهم من مصر والشام ففعل وسار بهم الى بغداد وولى المكتفي على مصر عيسى النوشري وخرج عليه ابراهيم الخليجي من قواد بني طولون يخلف عن محمد بن سليمان فخالفه وكثر جمعه وسار النوشري

الى الاسكندرية عجزا عن مدافعته واستولى الخليجى على مصر وبعث المكتفى بالجنود مع فاتك مولى المعتضد واحمد بن كيغلغ وبدر الحمامى من قواد بنى طولون فوصلوا سنة ثلاث وتسعين وتقدم أحمد بن كيغلغ وجماعة من القواد فلقيهم قرب العريش فهزمهم وقوى الامر وبلغ الخبر الى المكتفى فعسكر ظاهر بغداد وانتهى مده الى تكريت فلقيه كتاب فاتك فى شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجى بعد حروب متصلة وغنموا عسكره ثم هرب واختفى بفسطاط مصر وجاء من دل عليه فأمر المكتفى بحمله ومن معه الى بغداد فبعثوا بهم وحبسوا

(ابتداء دولة بنى حمدان)

وفى سنة ثنتين وتسعين عقد المكتفى على الموصل وأعمالها لابى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون العدوى الثعلبى فقدمها أول المحرم وجاء الصريخ من نينوى بان الاكراد الهدبانية ومقدمهم محمد بن سلال قد اغاروا على البلاد وعاثوا فخرج فى العساكر وعبر الجسر الى الجانب الشرقى ولقيهم على الحازر فقاتلهم وقتل من قواد سليمان الحمدانى ورجع عنهم وبعث الى الخليفة يستمده فابطأ عليه المدد الى ربيع من سنة أربع فلما جاءه المدد سار الى الهدبانية وهم مجتمعون فى خمسة آلاف بيت فارتحلوا امامه واعتصموا بجبل السلق المشرف على الزاب فحاصرهم وعرفوا حقه فخدعه أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة فى الطاعة والرهن وحث أصحابه خلال ذلك فى المسير الى اذربيجان واتبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعدا الى جبل القنديل فنال منهم وامتنعوا بذروته ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا باذربيجان ووفد أبو الهيجاء على المكتفى فانجده بالعسكر وعاد الى الموصل ثم سار الى الاكراد بجبل السلق فدخله وحاصرهم بقنته وطال حصارهم واشتد البرد وعدمت الاقوات وطلب محمد بن سلال النجاة باهله وولده فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهليهم وأمنهم ثم استأمن محمد بن سلال فأمنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الاكراد الحميدية مستأمنين واستقام أمر أبى الهيجاء بالموصل ثم انتقض سنة احدى وثلثمائة فبعث اليه المقتدر مؤنسا الخادم فجاء بنفسه مستأمنا ورجع به الى بغداد فقبله المقتدر وأكرمه وبقى ببغداد الى أن انتقض أخوه الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلثمائة وسارت العساكر فجاؤا به أسيرا فحبس المقتدر عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده وجميع اخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلثمائة

(أخبار ابن الليث بفارس)

قد تقدم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس وان المكتفى عقد له

عليها سنة تسعين ثم انه تشاغل باللهو والصيد وأعرض عن أمور ملكه ومضى فى بعض الايام الى سجستان فوثب على فارس الليث بن على بن الليث وسيكرى مولى عمرو بن الليث فاستوحش منها بعض قوادهما يعرف بأبى قابوس وفارقهما الى بغداد وأحسن المكتفى اليه ثم كتب اليه طاهر فى رد أبى قابوس اليه ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك

(الصوائف)

وفى سنة احدى وتسعين خرج الروم الى الثغور فى مائة ألف وقصد جماعة منهم الحدث ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة ففتح مدينة انطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مقاتلتهم وأسر مثلها واستنقذ من اسرى المسلمين مثلها وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم ألف دينار وفى سنة ثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة فعزل المكتفى أبا العشائر عن الثغور وولى رستم بن بردو فكان على يديه الفداء وفودى ألف من المسلمين ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقى فيها وفى سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبيا واستأمن بطريق من الروم فأسلم ثم عاود ابن كيغلغ الغزو وبلغ سكند وافتتحها وسار الى اللبس فبلغ خمسين ألف رأس وقتل من الروم خلقا ثم استأمن البطريق المتولى الثغور من جهة الروم الى المكتفى وخرج بمائتى أسير من المسلمين وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه فقتل الاسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم واجتمع الروم على محاربة البطريق اندوقس وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الاسرى فبلغوا اقونية وخربوها وانصرف الروم وأمرّ المسلمون فى طريقهم بحصن امدوس فخرج معهم بأهله وسار الى بغداد وفى سنة احدى وتسعين خرج الترك الى ما وراء النهر فى خلق لا يحصون فبعث اليهم اسمعيل عسكرا عظيما من الجند والمطوعة فكبسوهم واستباحوهم وفى سنة ثلاث وتسعين افتتح اسمعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم

(الولايات بالنواحى)

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحى على الرى ثم اسمعيل بن أحمد بن سامان بعده وولاية عيسى النوشرى على مصر بعد انتزاعها من بنى طولون وولاية أبى العشائر أحمد بن نصر

على طرسوس وعزل مظفر بن حاج عنها سنة تسعين ثم عزل أبى العشائر وولاية رستم ابن بردوس سنة ثنتين وتسعين وانتزاع الليث بن على بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد ان كان المكتفى عقد له عليها سنة تسعين وولاية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين وفى هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمن الى صنعاء فملكها واستباحها وتغلب على كثير من مدن اليمن وبعث المكتفى المظفر بن الحاج فى شوال من هذه السنة الى عمله باليمن فأقام به وفى سنة احدى وتسعين توفى الوزير أبو القاسم بن عبيد الله واستوزر مكانه العباس بن الحسن

(وفاة المكتفى وبيعة المقتدر)

ثم توفى المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد فى شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد ان عهد بالامر الى أخيه جعفر وكان الوزير العباس بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يوليه فأشار محمد بن داود ابن الجراح بعبد الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأى والادب وأشار أبو الحسين بن محمد ابن الفرات بجعفر بن المعتضد بعد أن أطال فى مفاوضته وقال له اتق الله ولا تول الامن خبرته ولا تول البخيل فيضيق على الناس فى الارزاق ولا الطماع فيشره الى أموال الناس ولا المتهاون بالدين فلا يجتنب المآثم ولا يطلب الثواب ولا تول من خبر الناس وعاملهم واطلع على أحوالهم فيستكثر على الناس نعمهم وأصلح الموجودين مع ذلك جعفر بن المعتضد قال ويحك وهو صبى فقال وما حاجتنا بمن لا يحتاج الينا ويستبد علينا ثم استشار على بن عيسى فقال اتق الله وانظر من يصلح فمالت نفس الوزير الى جعفر كما أشار ابن الفرات وكما أوصى أخوه فبعث صافيا الحدمى فأتى به من داره بالجانب الغربى ثم خشى عليه غائلة الوزير فتركه فى الحراقة وجاء الى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية ثم جاء به من الحراقة وأقعده على الاريكة وجاء الوزير والقواد فبايعوه ولقب المقتدر بالله وأطلق يد الوزير فى المال وكان خمسة عشر ألف ألف دينار فأخرج منه حق البيعة واستقام الامر

(خلع المقتدر بابن المعتز واعادته)

ولما بويع المقتدر وكان عمره ثلاث عشرة سنة استصغره الناس وأجمع الوزير خلعه والبيعة لابى عبد الله محمد بن المعتز وراسله فى ذلك فأجاب وانتظر قدوم نارس حاجب اسمعيل بن سامان كان قد انتقض الى مولاه وسار عنه فاستأذن فى القدوم الى بغداد وأذن له وقصد الاستعانة به على موالى المعتضد وأبطأ نارس عليه وهلك أبو عبد الله ابن المقتدر خلال ذلك فصرف الوزير وجهه لابى الحسين بن المتوكل فمات فاقر

المقتدر ثم بدا له وأجمع عزله واجتمع لذلك مع القواد والقضاة والكتاب وراسلوا عبد الله ابن المعتز فأجابهم على ان لا يكون قتال فأخبروه باتفاقهم وان لا منازع لهم وكان المتولون لذلك الوزير العباس بن الحسين ومحمد بن داود بن الجراح وأبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضى ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الاعجمى ووصيف بن صوارتكين ثم رأى الوزير أمره صالحا مع المقتدر فبدا له فى ذلك فأجمع الآخرون أمرهم واعترضه الحسين بن حمدان وبدر الاعجمى ووصيف فى طريق لبستانه فقتلوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين وخلعوا المقتدر من الغد وبايعوا لابن المعتز وكان المقتدر فى الحلبة يلعب الاكرة فلما بلغه قتل الوزير دخل الدار وأغلق الابواب وجاء الحسين بن حمدان الى الحلبة ليفتك به فلم يجده فقدم وأحضروا ابن المعتز فبايعوه وحضر الناس والقواد وأرباب الدواوين سوى أبى الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فلم يحضروا ولقب ابن المعتز المرتضى بالله واستوزر محمد بن داود بن الجراح وقلد على بن موسى الدواوين وبعث الى المقتدر بالخروج من دار الخلافة فطلب الامهال الى الليل وقال مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب الخال وسائر الحاشية لابد ان يبدى عذرا فيما أصابنا وباكر الحسين بن حمدان من الغد دار الخلافة فقاتله الغلمان والخدم من وراء السور وانصرف فلما جاء الليل سار الى الموصل بأهله وأجمع رأى أصحاب المقتدر على قصد ابن المعتز فى داره فتسلحوا وركبوا فى دجلة فلما رآهم أصحاب ابن المعتز اضطربوا وهربوا واتهموا الحسين بن حمدان انه قد واطأ المقتدر عليهم وركب ابن المعتز ووزيره محمد بن داود بن الجراح وخرجوا الى الصحراء ظنا منهم أن الجند الذين بايعوهم يخرجون معهم وانهم يلحقون بسامرا فيمتنعون فلما تفردوا بالصحراء رجعوا الى البلد وتسربوا فى الدور واختفى ابن الجراح فى داره ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبى عبد الله ابن الجصاص مستجيرا به وثار العيارون والسفل ينتهبون وفشا القتل وركب ابن عمرويه صاحب الشرطة وكان ممن بايع ابن المعتز فنادى بثار المقتدر مغالطا فقاتله فهرب واستتر وأمر المقتدر مؤنسا الخازن فزحف فى العسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين فقتله وقبض على القاضى أبى عمر على بن عيسى والقاضى محمد بن خلف ثم أطلقهم وقبض على القاضى أبى المثنى أحمد بن يعقوب قال له بايع المقتدر قال هو صبى فقتله وبعث المقتدر الى أبى الحسن بن الفرات كان مختفيا فأحضره واستوزره وجاء سوسن خادم ابن الجصاص فأخبر صافيا الحرمى مولى المقتدر بمكانه عندهم فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وحبس الى الليل ثم خصيت خصيتاه فمات وسلم الى أهله وأخذ ابن الجصاص وصودر على مال كثير وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستترا فقتل ونفى على بن عيسى بن على الى واسط واستأذن من ابن الفرات فى المسير الى مكة فسار

اليها على طريق البصرة واقام بها وصودر القاضى أبو عمر على مائة ألف دينار وسارت العساكر فى طلب الحسين بن حمدان الى الموصل فلم يظفروا به وشفع الوزير ابن الفرات فى ابن عمرويه صاحب الشرطة وابراهيم بن كيغلغ وغيرهم وبسط ابن الفرات الاحسان وادرّ الارزاق للعباسيين والطالبيين وأرضى القواد بالاموال ففرق معظم ما كان فى بيت المال وبعث المقتدر القاسم بن سيما وجماعة من القواد فى طلب الحسين بن حمدان فبلغوا قرقيسيا والرحبة ولم يظفروا به وكتب المقتدر الى أخيه أبى الهيجاء وهو عامل الموصل بطلبه فسار مع القاسم بن سيما والقواد ولقوه عند تكريت فهزموه وبعث مع اخيه ابراهيم يستأمن فأمنوه وجاؤا به الى بغداد فخلع عليه المقتدر وقلده على قم وقاشان وعزل عنها العباس بن عمرو الغنوى فسار اليها الحسين ووصل نارس مولى اسمعيل بن سامان فقلده المقتدر ديار ربيعة

(ابتداء دولة العبيديين من الشيعة بافريقية)

نسبة هؤلاء العبيديين الى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ابن اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق ولا يلتفت لانكار هذا النسب فكتاب المعتضد الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضى فى قوله

ألبس الذل فى بلاد الاعادى * وبمصر الخليفة العلوىّ
من أبوه أبى ومولاه مولا * ى اذا ضامنى البعيد القصىّ
لف عرقى بعرقه سيد النا * س جميعا محمد وعلىّ

وأما المحضر الذى ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح فى نسبهم وشهد فيه اعلام الائمة مثل القدورى والصهيرى وأبى العباس الابيوردى وأبى حامد الاسفراينى وأبى الفضل النسوى وأبى جعفر النسفى ومن العلوية المرتضى وابن البطخاوى وابن الازرق وزعيم الشيعة أبو عبد الله بن النعمان فهى شهادة على السماع وكان ذلك متصلا فى دولة العباسية منذ مائتين من السنين فاشيا فى أمصارهم وأعصارهم والشهادة على السماع فى مثله جائزة على أنها شهادة نفى ولا تعارض ما ثبت فى كتاب المعتضد مع أن طبيعة الوجود فى الانقياد لهم وظهور كلمتهم أدل شئ على صدق نسبهم وأما من جعل نسبهم فى اليهودية أو النصرانية لميمون القداح أو غيره فكفاه اثما تعرضه لذلك وأما دعوتهم التى كانوا يدعون لها فقد تقدم ذكرها فى مذاهب الشيعة من مقدمة الكتاب وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل علىّ على جميع الصحابة الى الزيدية القائلين بصحة امامة الشيخين مع فضل على ويجوّزون امامة المفضول وهو

مذهب زيد الشهيد وأتباعه والرافضة ويدعون بالامامية المتبرئين من الشيخين باهمالهما وصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بخلافة عليّ مع أنّ هذه الوصية لم تنقل من طريق صحيح قال بها أحد من السلف الذين يقتدى بهم وانما هي من أوضاع الرافضة وانقسم الرافضة بعد ذلك الى اثنى عشرية نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة الى تمام الاثنى عشر وهو محمد المهدي وزعموا أنه دخل سردابا وهم في انتظاره الى الآن والى الاسماعيلية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق الى ابنه اسمعيل ثم ساقوها في عقبه فنهم من انتهى بها الى عبيد الله هذا المهدي وهم العبيديون ومنهم من ساقها الى يحيى بن عبيد الله بن محمد المكتوم وهؤلاء طائفة من القرامطة وهي من كذباتهم ولا يعرف لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبيد الله وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وافريقية وسار بها الى افريقية رجلان يعرف أحدهما بالحلواني والآخر بالسفياني أنفذهما الشيعة الى هنالك وقالوا لهما انّ العرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر وسارا لذلك ونزلا أرض كتّامة أحدهما ببلد يسمى سوق حمار وفشت هذه الدعوة منهما في أهل تلك النواحي من البربر وخصوصا في كتّامة وكانوا يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أوصى الى عليّ بالخلافة بالنصوص الجلية وعدل عنها الصحابة الى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها ثم أوصى عليّ الى ابنه الحسن ثم الحسن الى أخيه الحسين ثم الحسين الى ابنه علي زين العابدين ثم زين العابدين الى ابنه محمد الباقر ثم محمد الباقر الى ابنه جعفر الصادق ثم جعفر الصادق الى ابنه اسمعيل الامام الى ابنه محمد ويسمونه المكتوم لانهم كانوا يكتمون اسمه حذرا عليه ثم أوصى محمد المكتوم الى ابنه جعفر المصدق وجعفر المصدق الى ابنه محمد الحبيب ومحمد الحبيب الى ابنه عبيد الله المهدي الذي دعا له أبو عبد الله الشيعي وكانت شيعهم منتشرين في الارض من اليمن الى الحجاز والبحرين والطرق وخراسان والكوفة والبصرة والطالقان وكان محمد الحبيب ينزل سلمية من أرض حمص وكان عادتهم في كل ناحية يدعون للرضا من آل محمد ويرومون اظهار الدعوة بحسب ما عليهم وكان الشيعة من النواحي يعملون مكيهم في أكثر الاوقات لزيارة قبر الحسين ثم يعرجون على سلمية لزيارة الائمة من ولد اسمعيل وكان باليمن من شيعتهم ثم بعده لائمة قوم يعرفون ببني موسى ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من جند وجاء محمد الى زيارة الامام محمد الحبيب فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار وهو كوفيّ الاصل وأمره باقامة الدعوة وأنّ المهديّ خارج في هذا الوقت فسار الى اليمن ونزل

على بني موسى وأظهر الدعوة هنالك للمهدي من آل محمد الذي ينعتونه بالنعوت المعروفة عندهم فاتبعه واستولى على كثير من نواحي اليمن وكان أبو عبد الله الحسن ابن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب وكان محتسبا بالبصرة وقيل انما المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم وأبو عبد الله يعرف بالعلم لانه كان يعرف مذهب الامامية الباطنية قد اتصل بالامام محمد الحبيب وخبر أهليته فأرسله الى أبي حوشب ولزم مجالسته وأفاد علمه ثم بعثه مع الحاج اليمني الى مكة وبعث معه عبد الله بن أبي ملا فأتى الموسم ولقي به رجالات كتامة مثل حريث الجيلي وموسى بن مكاد فاختلط بهم وعكفوا عليه لما رأوا عنده من العبادة والزهد ووجه اليهم بدرا من ذلك المذهب فاغتبط واغتبطوا وارتحل معهم الى بلدهم ونزل بها منتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين وعين لهم مكان منزله بفتح الاخيار وأن النص عنده من المهدي بذلك ولهجره المهدي وان أنصاره الاخيار من أهل زمانه وان اسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعينه واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فأبى ثم أطاعوه بعد فتن وحروب واجتمعوا على دعوته وكانوا يسمونه أبا عبد الله المشرقي والشيعي ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتله قام بنصرته الحسن بن هرون وسار به الى جبل ايكجان وأنزله مدينة تاصروت من بلد زرارة وقاتل من لم يتبعه بمن تبعه حتى استقاموا واجتمعوا على طاعته وبلغ خبره ابراهيم بن أحمد ابن الأغلب عامل افريقية بالقيروان فأرسل الى عامل ميلة يسأله عن أمره فحقره وذكر انه رجل يلبس الخشن ويأمر بالعبادة والخير فأعرض عنه حتى اذا اجتمع لابي عبد الله أمره زحف في قبائل كتامة الى بلد ميلة فملكها على الامان بعد الحصار فبعث ابراهيم ابن أحمد بن الاغلب ابنه الاحول في عسكرهم يجاوز عشرين ألفا فهزم كتامة وامتنع أبو عبد الله بجبل ايكجان وأحرق الاحول مدينة تاصروت ومدينة ميلة وعاد الى افريقية وبنى أبو عبد الله بجبل ايكجان مدينة سماها دار الهجرة ثم توفي ابراهيم ابن الاغلب صاحب افريقية وولي ابنه أبو العباس وقتل واستقر الامر لزيادة الله وكان الاحول حمل العساكر لحضوره فاستقدمه زيادة الله وقتله

(وفاة الحبيب وايصاؤه لابنه عبيد الله)

ولما توفي محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيد الله وقال له أنت المهدي وتهاجر بعدي هجرة بعيدة وترى محنا شديدة فقام عبيد الله بالامر وانتشرت دعوته وأرسل اليه أبو عبد الله الشيعي رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وانهم في انتظاره وشاع خبره فطلبه المكتفي فهرب هو وولده نزار الذي ولي بعده وتلقب بالقائم وخرج معه خاصته ومواليه

يريد المغرب وانتهى الى مصر وعليها يومئذ عيسى النوشرى فلبس عبيد الله زى التجار يستتر به وجاء كتاب المكتفى للنوشرى بالقبض عليه وفيه صفته وحليته فبعث العيون فى طلبه ونمى الخبر بذلك الى عبيد الله من بعض خواص النوشرى فخرج فى رفقة ورآه النوشرى وأحضره ودعاه للمؤاكلة فاعتذر بالصوم ثم امتحنه فلم تشهد له أحواله بشئ مما ذكر له عنه وقارن ذلك رجوع ابنه أبى القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له فلما رآه النوشرى وأخبر أنه ولد عبيد الله علم أن هذه الدالة فى طلب الضائع منافية للرقبة والخوف فخلى سبيله وجد المهدى فى السير وكان له كتب من الملاحم ورثها منقولة عن أبيه سرقت من رحله فى تلك الطريق ويقال ان ابنه أبا القاسم لما زحف الى مصر أخذها من بلاد برقة ولما انتهى المهدى وابنه الى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة قدم أبا العباس أخا أبى عبيد الله الشيعى الى أخيه بكتامة ومر بالقيروان وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم فقبض على أبى العباس وسأله فأنكر فحبسه وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدى ففاته وسار الى قسطنطينية فعدل عنها خشية على أبى العباس أخى الشيعى المعتقل بالقيروان وذهب الى سجلماسة وبها اليسع ابن مدرار فأكرمه ثم جاءه كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفى بأنه المهدى الذى داعيه فى كتامة فحبسه وبعث زيادة الله العساكر الى كتامة مع قريبه ابراهيم بن حبش وكانوا أربعين ألفا فانتهى الى قسطنطينية فأقام بها وهم متحصنون بجبلهم ستة أشهر ثم زحف اليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة فانهزم الى القيروان وكتب أبو عبد الله بالفتح الى المهدى وهو فى محبسه ثم زحف الى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالامان ثم الى مدينة بلزمة فملكها عنوة فبعث زيادة الله العساكر مع هرون الطبنى فانتهوا الى مدينة دار ملوك وكانوا قد أطاعوا الشيعى فهدمها هرون وقتل أهلها وسار الى الشيعى فانهزم من غير قتال وقتل وفتح الشيعى مدينة عيسى فزحف زيادة الله فى العساكر سنة خمس وتسعين ونزل الاربس ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع الى القيروان ليكون ردأ للعساكر فبعث الجيوش مع ابراهيم بن أبى الاغلب من قرابته ورجع وزحف أبو عبد الله الى باغاية فهرب عاملها وملكها ثم الى مدينة مرماجنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها ثم الى مدينة تيفاش فملكها على الامان واستأمن اليه القبائل من كل جهة فأمنهم وسار بنفسه الى مسكيانة ثم الى تبسة ثم الى مجانة ففتحها على الامان ثم سار الى القصرين من قمودة وأمن أهلها وسار يريد رقادة وبلغ الخبر الى ابراهيم بن أبى الاغلب وهو بالاربس أميرا على الجيش فخشى على زيادة الله برقادة لقلة عسكره وارتحل ذاهبا اليه وسار أبو عبد الله الى قسطنطينية فحاصرها وافتتحها

على الامان ورجع الى باغاية فأنزل بها عسكرا وعاد الى ايكجان فسار ابراهيم بن أبى الاغلب الى باغاية وحاصر أصحاب أبى عبد الله بها فبعث أبو عبد الله عساكره الى فج العرعار فألفوا ابراهيم قد عاد عنها الى الاربس ثم زحف أبو عبد الله الى ابراهيم سنة ست وتسعين فى مائة ألف مقاتل وبعث من عسكره من يأتى ابراهيم من خلفه وسار اليه فانهزموا واثخن فيهم أبو عبد الله بالقتل والاسر وغنم أموالهم وخيلهم وظهرهم ودخل الاربس فاستباحها ثم سار فنزل قودة وبلغ الخبر الى زيادة الله فهرب الى مصر وافترق أهل مدينة رقادة الى القيروان وسوسة ونهب قصور بنى الاغلب ووصل ابراهيم بن أبى الاغلب الى القيروان فنزل قصر الامارة وجمع الناس ووعدهم الحماية وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم فاعتذروا وخرجوا الى الناس فأخبروهم فثاروا به وأخرجوه وبلغ أبا عبد الله الشيعى هرب زيادة الله وهو بسبيبه فدخل الى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبى خنزير فساروا وأمنوا الناس وخرج أهل القيروان للقاء أبى عبد الله فأكرمهم وأمنهم ودخل رقادة فى رجب سنة ست وتسعين ونزل قصورها وفرق دورها على كتامة ونادى بالامان وتراجع الناس فأخرج العمال وطلب أهل الشر فهربوا وجمع أموال زيادة الله وسلاحه وأمر بحفظها وبحفظ جواريه واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين لهم أحدا ونقش على السكة من احد الوجهين بلغت حجة الله ومن الآخر تفرق أعداء الله وعلى السلاح عدة فى سبيل الله ورسم أفخاذ الخيل بالملك لله

(بيعة المهدى بسجلماسة)

ولما ملك أبو عبد الله افريقية لقيه أخوه أبو العباس منطلقا من اعتقاله فاستخلفه عليها وترك معه أبا زاكى تمام بن معارك من قواد كتامة وسار الى المغرب ففرق القبائل من طريقه وخافته زناتة فدخلوا فى طاعته ولما قرب من سجلماسة الى المهدى بحبسه يسأله عن حاله فأنكر ثم سأل ولده كذلك فأنكر وضرب رجاله فأنكروا ونمى الخبر الى أبى عبد الله فخشى عليهم وأرسل الى اليسع يتلطفه فقتل الرسل فأغذ أبو عبد الله السير وحاصره يوما وهرب اليسع من الليل هو وأصحابه وبنو عمه وخرج أهل البلد الى أبى عبد الله فجاء الى مجلس المهدى فأخرجه هو وابنه أبا القاسم وأركبهما ومشى مع رؤساء القبائل بين يديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح ثم أنزله بالمخيم وبعث فى أثر اليسع فجىء به فجلد ثم قتل وأقام بسجلماسة أربعين يوما ورجع الى افريقية ووصل الى رقادة فى ربيع من سنة ست وتسعين وجدد البيعة للمهدى واستولى على ملك بنى الاغلب بافريقية وملك مدرار بسجلماسة ونزل برقادة وتلقب بالمهدى أمير

المؤمنين ويبعث دعاته في الناس فحملوهم على مذهبهم فأجابوا الا قليلا عرض عليهم السيف وقسم الاموال والجواري في رجال كتامة وأقطعهم الاموال والاعمال ودوّن الدواوين وجبى الاموال وبعث العمال على البلاد فبعث على صقلية الحسن بن أحمد ابن أبي خنزير فوصل الى مازر في عيد الاضحى من سنة تسع وتسعين فاستقضى بها اسحق بن المنهال وأجاز البحر سنة ثمان وتسعين الى بسط قلورية فأثخن فيها وعاد وثار به أهل صقلية سنة تسع وتسعين فحبسوه واعتذروا الى المهدي لسوء سيرته فعذرهم وولى عليهم على بن عمر البلوي فوصل اليهم خاتمة السنة المذكورة

(أخبار ابن الليث بفارس)

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن على بن الليث وسكرى مولى عمر بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد ثم أخرج سكرى بعد ذلك الليث وانفرد بها وسار اليه طاهر بن محمد بن عمرو فواقعه وانهزم طاهر وأسر سبكرى وأسر أخاه يعقوب وبعث بهما الى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى وقد آمره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين ثم سار اليه الليث بن على من سجستان سنة سبع وتسعين فغلبه وملك فارس وهرب سبكرى الى أرجان وأمده المقتدر بمؤنس الخادم في العساكر فجاء الى أرجان وجاء الحسين بن حمدان من قم الى البيضاء في اعانته فسار للاقاته وأضل الطريق الى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس وكان سبكرى قد بعث أخاه الى شيراز ليحفظها فلما أشرف على العسكر ظنه عسكر أخيه فثاروا اليه واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيرا وأشار عليه أصحابه أن يقبض على سبكرى ويطلب من المقتدر ولاية فارس مكانه فوافقهم طاهر ودس اليه فلحق بشيراز وعاد مؤنس الى بغداد بالليث أسيرا والحسين بن حمدان الى عمله بقم ثم ان عبد الرحمن بن جعفر كاتب سبكرى استولى على أمره وحسده أصحابه وأكثروا السعاية فيه عند سبكرى فحبسه واستكتب مكانه اسمعيل بن ابراهيم اليمن فحمله على العصيان ومنع الحمل ودس عبد الرحمن بن جعفر من محبسه الى الوزير ابن الفرات بذلك فكتب الى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس فسار وأرسله سبكرى وأنسه وسأل منه الوساطة في أمره وشعر ابن الفرات بميل مؤنس الى بغداد وسار محمد بن جعفر فهزم سبكرى على شيراز فخاص الى قم وتحصن بها وحاصره محمد بن جعفر ثم خرج اليه فهزمه ثانية ودخل مفازة خراسان فلقيته عساكر اسمعيل الى بغداد فحبسا هنالك واستولى محمد ابن جعفر من القواد على فارس وولى عليها قبجا خادم الافشين ثم صارت ولايتها البدر ابن عبد الله الحمامى

وفي آخر

سنة تسع وتسعين ومائتين قبض حرمه وقامت الهيعة ببغداد ثلاثة أيام ثم سكنت وذلك لثلاث سنين وثلاثة أشهر من وزارته فاستوزر مكانه أبا على محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى فرتب الامور وولى على الدواوين ثم زاد قرفه لضيق صدره وطيشه وعدوله عن مذاهب الرياسة الى الوضاعة ومراجعة أصحاب الحاجات والحقوق الى ما يريد قضاءه منها وكثرة التولية والعزل وتجبيع أصحابه عليه فى اطلاق الاموال وانبساط الجاه بافساد الاحوال واعتزم المقتدر على عزله بأبى الحسين بن أبى الفضل فاستدعاه من اصبهان ثم قبض عليه وعلى أبى الحسن ببغداد وأهمل رأى الوزراء وصار يرجع الى قول النساء والخدم فطمع العمال فى الاطراف ثم أخرج ابن الفرات من محبسه وجعله فى بعض الحجر وأحسن اليه وصار يعرض عليه مطالعات العمال وأراد أن يستوزره ثم بدا له واستدعى على بن عيسى من مكة فاستوزره لاول سنة احدى وثلثمائة وقبض على الخاقانى وحبسه وعين حرسيا عليه وقام على بن عيسى بالوزارة وأصلح ما أفسده الخاقانى واستقامت الامور

(قيام أهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم الى طاعة المهدى)

قد ذكرنا ولاية على بن عمر على صقلية من عبد الله المهدى سنة تسع وتسعين ثم ان أهل صقلية انتقضوا عليه وولوا عليهم أحمد بن موهب ثم انتقضوا عليه وأرادوا قتله فدعا الى طاعة المقتدر وخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدى وبعث اسطولا الى ناحية ساحل افريقية فلقوا اسطول المهدى وعليه الحسن بن أبى خنزير فأحرقوه وقتلوا الحسن ووصلت خلع السواد والوية لابن موهب من بغداد ثم جاءت أساطيل المهدى فى البحر وفسد أمر ابن موهب ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلثمائة وأسروه وبعثوا به الى المهدى مع جماعة من أصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبى خنزير

(ولاية العهد)

وفى سنة احدى وثلثمائة ولى المقتدر ابنه أبا العباس العهد وهو الذى ولى الخلافة بعد القاهر وسمى بالراضى فولاه أبوه المقتدر العهد وهو ابن سنين وقلده مصر والمغرب واستخلف له عليها مؤنسا الخادم وولى ابنه الآخر عليا على الرى ودنباوند وقزوين وأذربيجان وأبهر

(ظهور الاطروش وملكه خراسان)

كان هذا الاطروش من ولد عمر بن على زين العابدين وهو الحسن بن على بن الحسين

ابن على بن عمر وكان قد دخل الى الديلم بعد قتل محمد بن زيد ولبث فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فأسلم على يديه منهم خلق كثير وبنى لهم المساجد وزحف بهم الى ثغور المسلمين أراهم مثل قزوين وسالوس فأطاعوه وهدم حصن سالوس ثم دعاهم الى غزو طبرستان وهى فى طاعة ابن سامان وكان اسمعيل بن أحمد لما انتقض بها محمد بن هرون وقبض عليه اسمعيل ولى عليها أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة وأظهر العدل وبالغ فى الاحسان الى العلوية الذين بها واستمال الديلم بالمهاداة والاحسان فاشتمل الناس عليه فلما دعاهم الحسن الى غزو طبرستان لم يجيبوه من أجل ابن نوح ثم ان أحمد ابن اسمعيل عزل ابن نوح عنها وولى عليها سلاما فأساء السيرة ولم يحسن سياسة الديلم فهاجوا عليه فقاتلهم وهزمهم واستعفى من ولايتها فعاد اليها ابن نوح وصلحت الحال كما كانت الى أن مات فولى عليها محمد بن ابراهيم بن صعلوك فأساء السيرة وتنكر للديلم فصادف الحسن منها الغرة ودعاهم الى غزو طبرستان فأجابوه وسار اليه ابن صعلوك على مرحلة من سالوس بشاطئ البحر فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف ولجأ الباقون الى سالوس فحاصرهم الاطروش حتى استأمنوا ورجع عنهم الى آمد ثم جاء الحسن بن القاسم العلوى الداعى صهر الاطروش الى أولئك المستأمنين فقتلهم واستولى الاطروش على طبرستان ولحق ابن صعلوك بالرى سنة احدى وثلثمائة وسار منها الى بغداد وكان الاطروش زيدى المذهب وجميع الذين أسلموا على يده فيما وراء اسعيد ولى الى آمد كلهم على مذهب الشيعة ثم ان الاطروش العلوى تنحى عن آمد الى سالوس بعد أن غلب عليها فبعث اليه صعلوك الرى من قبل ابن سامان جيشا فهزمهم وعاد الى آمد ثم زحفت اليه عساكر السعيد صاحب خراسان سنة أربع وثلثمائة فقتلوه وكان هذا الاطروش عادلا حسن السيرة لم ير مثله فى ايامه وأصابه الصمم من ضربة فى رأسه بالسيف فى الحرب وقال ابن مسكويه فى كتاب تجارب الامم ويقال فيه الحسن بن على الداعى وليس به وانما الداعى الحسن بن القاسم صهره وسنذكره فيما بعد وكان له من الولد أبو الحسن وكان قواده من الديلم جماعة منهم ابن النعمان وكانت له ولاية جرجان وما كان بن كالى وكان على استراباذ ومعراثم كان من قواد ولده من الديلم جماعة آخرون منهم اسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان بن كالى ومرداويج بن زياد من أصحاب اسفار واسكرى من أصحابه أيضا وبنو بويه من أصحاب مرداويج وسيأتى الخبر عن جميعهم ان شاء الله تعالى

(غلب المهدى على الاسكندرية ومسير مؤنس الى مصر)

وفى سنة ثنتين وثلثمائة بعث عبيد الله المهدى عساكره من افريقية الى الاسكندرية مع قائده خفاشة الكتامى فغلب عليها وسار الى مصر وبلغ المقتدر فبعث مؤنسا الخادم فى العساكر لمحاربته وأمده بالاموال والسلاح وسار اليهم وقاتلهم فهزمهم بعد وقائع متعددة قتل فيها من الفريقين وبلغ القتل والاسر من المغاربة سبعة آلاف ورجعوا الى المغرب

(انتقاض الحسين على ابن حمدان بديار ربيعة وأسره)

كان الحسين بن حمدان واليا على ديار ربيعة وطالبه الوزير على بن عيسى بالمال فدافعه وأمره بتسليم البلاد الى عمال السلطان فامتنع وكان مؤنس الخادم بمصر فى محاربة عساكر المهدى صاحب افريقية فجهز الوزير الى ابن حمدان رائقا الكبير فى عسكر سنة ثلاث وثلثمائة وكتب الى مؤنس أن يسير الى الجزيرة لقتاله بعد فراغه من أصحاب العلوى بمصر فسار رائق أولا وهزمه الحسين ولحق بمؤنس فأمره بالمقام بالموصل وسار نحو الحسين وتبعه أحمد بن كيغلغ وانتهى الى جزيرة ابن عمر والحسين بأرمينية ورجع الكثير من عسكره الى مؤنس ثم بعث مؤنس عسكرا فى أثره عليهم بليق ومعه سيما الجزرى وجاء الصقوانى واتبعوه فادركوه وقاتلوه فهزموه وجاؤا به أسيرا ومعه ابنه عبد الوهاب وأهله وكثير من أصحابه وعاد مؤنس الى بغداد على الموصل فحبسه المقتدر وأغار على أبى الهيجاء بن حمدان وجميع اخوته وحبسهم ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة ست تقريبا كما نذكر ان شاء الله تعالى

(وزارة ابن الفرات الثانية)

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوسا كما ذكرناه وكان المقتدر يشاوره ويرجع الى رأيه ويبغى بعض أصحاب المقتدر اعادته وبلغ ذلك الوزير على بن عيسى فاستعفى ومنعه المقتدر ثم جاءت فى بعض الايام قهرمانة القصر تناظره فى نفقات الحرم والحاشية وكسوتهم فألفته نائما فلم يوقظه لها أحد فرجعت وشكت الى المقتدر وأمه فقبض عليه فى ذى القعدة من سنة أربع وثلثمائة وأعاد ابن الفرات على أن يحمل الى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار فى كل يوم وقبض على الوزير من قبله على بن عيسى والخاقانى وأصحابهما وصادرهم أبو على بن مقلة وكان مختفيا منذ قبض على ابن الفرات فقدمه الآن واستخلصه

(خبر ابن أبى الساج بأذربيجان)

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبي الساج على ارمينية وأذربيجان منذ مهلك أخيه محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين وكان على الحرب والصلاة والاحكام وكان عليه مال يؤديه فلما ولي الخاقاني وعلي بن عيسى الوزارة والتاثت أمور يوسف في الاستبداد وأخر بعض المال واجتمع له ما بيده لذلك وبلغته نكبة الوزير علي بن عيسى فأظهر انّ العهد وصل اليه بولاية الريّ على يد علي بن عيسى وكان حميد بن صعلوك من قوّاد ابن سامان قد بعث على الريّ وما يليها وقاطع عليها بمال يحمله فسار اليه يوسف سنة أربع وثلثمائة فهرب الى خراسان واستولى يوسف على الريّ وقزوين وزنجان وكتب الى الوزير ابن الفرات بالفتح ويعتذر بأنه طرد المتغلبين ويذكر ما أنفق من ذلك وانه كان بأمر الوزير علي بن عيسى وعهده اليه بذلك فاستعظم المقتدر ذلك وسئل علي ابن عيسى فأنكر وقال سلوا الكتّاب والحاشية والعهد واللواء اللذين كان يسيرهما مع بعض القوّاد والخدام فكتب ابن الفرات بالنكير على يوسف وجهز العساكر لحربه مع خاقان المفلحي ومعه أحمد بن مسرور البلخي وسيما الخزري ونحرير الصغير وساروا سنة خمس وثلثمائة فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة فبعث المقتدر مؤنسا الخادم في جيش كثيف لمحاربته وعزل خاقان المفلحي عن أعمال الجبل وولاها نحريرا الصغير وسار مؤنس واستأمن له أحمد بن علي أخو صعلوك فأمّنه وأكرمه وبعث ابن أبي الساج في المقاطعة على أعمال الريّ بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجند والخدم فأبى له المقتدر من ذلك عقوبة على ما أقدم عليه وولى على ذلك العمل وصيفا البكتمري وطلب ابن أبي الساج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الريّ من أذربيجان وارمينية فأبى المقتدر الا أن يحضر في خدمته فلما يئس ابن أبي الساج زحف الى مؤنس وقاتله فانهزم مؤنس الى زنجان وقتل من قوّاده جماعة وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف في اردبيل وأقام مؤنس بزنجان بجميع العساكر ويستمد من المقتدر وابن أبي الساج يراسله في الصلح والمقتدر لا يجيب الى ذلك ثم قاتله مؤنس في فاتح سنة سبع وثلثمائة عند اردبيل فهزمه وأسره وعاد به الى بغداد أسيرا فحبسه المقتدر وولى مؤنس على الريّ ودنباوند وقزوين وابهر وزنجان علي بن وهسودان وجعل أموالها لرجاله وولى مؤنس على اصبهان وقم وقاشان أحمد بن علي بن صعلوك وسار عن أذربيجان فوثب سبك مولى يوسف بن أبي الساج فملكها واجتمع عليه عسكر فولى مؤنس بن محمد بن عبيد الفارقي وسار بمحاربة سبك فانهزم وعاد الى بغداد وتمكن سبك في أذربيجان وسأل المقاطعة على مائتي ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة فأجيب وعقد له عليها وكان مقيما بقزوين فقتله على مراسة ويلحق ببلاده فولى المقتدر

وصيفا البكتمرى مكانه على أعمال الرى وولى محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها ثم وثب أحمد بن على بن صعلوك صاحب اصبهان وقم على الرى فملكها وكتب اليه المقتدر بالنكير وأن يعود الى قم فعاد ثم أظهر الخلاف وأجمع المسير الى الرى وسار وصيف البكتمرى لحربه وأمر نحرير الصغير أن يسير مدد البكتمرى فسبقهم أحمد بن صعلوك الى الرى وملكها وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج وبعث الى نصر الحاجب ليصلح أمره بالمقاطعة على أعمال الرى بمائة وستين ألف دينار وينزل عن قم فكتب له بذلك وولى غيره على قم

(خبر سجستان وكرمان)

كانت سجستان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين ومائتين ثم تغلب عليها كثير بن أحمد بن صهفود من يده فكتب المقتدر الى عامل فارس وهو بدر بن عبد الله الحماى أن يرسل العساكر لمحاربته ويؤمر عليهم دركا ويجعل على الخراج بها زيد ابن ابراهيم فسارت العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسروا زيد بن ابراهيم وكتب كثير الى المقتدر بالبراءة من ذلك وطوية أهل سجستان وأرسل المقتدر أن يسير لقتاله بنفسه فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسمائة ألف دينار فى كل سنة فأجيب وقررت البلاد عليه وذلك سنة أربع وثلثمائة وانتقض فى هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد بن محمد المادرانى وسار منها الى شيراز يروم التغلب على فارس فسار اليه بدر الحمامى العامل وحاربه فقتله وحمل رأسه الى بغداد

(وزارة حامد بن العباس)

وفى سنة ست وثلثمائة قبض المقتدر على وزيره أبى الحسن بن الفرات بسبب شكوى الجند مطله أرزاقهم واعتذر بضيق الاموال للنفقة فى حروب ابن أبى الساج ونقص الارتفاع بخروج الرى عن ملكه فشغب الجند وركبوا وطلب ابن الفرات من الخليفة اطلاق مائتى ألف دينار من خاصته يستعين بها فنكر ذلك عليه لانه كان ضمن القيام بارزاق الاجناد وجميع النفقات المرتبة فاحتج بنقص الارتفاع وبالنفقة فى الحرب كما تقدم فلم يقبل ويقال سعى فيه عند المقتدر بأنه يروم ارسال الحسين بن حمدان الى أبى الساج فيحاربه واذا سار عنده اتفقا على المقتدر فقتل المقتدر ابن حمدان وقبض على ابن الفرات فى جمادى الآخرة وكان حامد بن العباس على الاعمال بواسط وكان منافرا لابن الفرات وسعى به عنده بزيادة ارتفاعه على ضمانه فخشيه حامد على نفسه وكتب الى نصر الحاجب والى والدة المقتدر بسعة نفسه وكثرة أتباعه وذلك

عند استيحاشه من ابن الفرات فاستقدمه من واسط وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن وأتباعهما واستوزر حامدا فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها وتحاشى عليه الدواوين فأطلق المقتدر على بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد فكان يراجعه واستبد بالامور دونه ولم يبق لحامد أمر عليه فأجابه ابن الفرات بأسفه منه وقال لشفيع اللؤلؤى قل لامير المؤمنين حامد انما حمله على طلب الوزارة أنى طالبته بأكثر من ألفى ألف دينار من فضل ضمانه فاستشاط حامد وزاد فى السفه فأنفذ المقتدر من ردّ ابن الفرات الى محبسه ثم صودر وضرب ابنه المحسن وأصحابه وأخذت منهم الاموال ثم انّ حامدا لما رأى استطالة على بن عيسى عليه وكثرة تصرّفه فى الوزارة دونه ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقراريّة بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز واصبهان واستأذنه فى الانحدار الى واسط لاستخراج ذلك فانحدر واسم الوزارة له وأقام على بن عيسى يدبر الامور فأظهر حامد فى الاموال وبسط المقتدر يده حتى خافه على بن عيسى ثم تحرّك السعر ببغداد فشغبت العامّة ونهبوا الغلال لانّ حامدا وغيره من القوّاد كانوا يخزنون الغلال وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه وفتقوا السجون ونهبوا دار الشرطة وأنفذ المقتدر غريب الحال فى العسكر فسكن الفتنة وعاقب المتصدّين للشرّ وأمر بفتح المخازن التى للحنطة وبيعها فرخص السعر وسكن الى منع الناس من بيع الغلال فى البيادر وخزنها فرفع الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد وردّ ذلك لعلى بن عيسى وسكن الناس

(وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم الى ابنه)

وفى سنة سبع وثلثمائة بعث المهدى صاحب افريقية أبا القاسم فى العساكر الى مصر فوصل الى الاسكندرية فى ربيع الآخر وملكها ثم سار الى مصر ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد وكتب الى أهل مكة فى طاعته فلم يجيبوا وبعث المقتدر مؤنسا الخادم الى مصر لمدافعته فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين وكان الظهور لمؤنس ولقب يومئذ بالمظفر ووصل من افريقية اسطول من ثمانين مركبا مددا للقائم وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وأمر المقتدر بأن يسير اليهم اسطول طرسوس فسار فى خمسة وعشرين مركبا وعليهم أبو اليمن ومعهم العدد والانفاط فغلبوا اسطول افريقية وأحرقوا أكثر مراكبه وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامى فى جماعة قتل أكثرهم وحبس سليمان بمصر وحمل يعقوب الى بغداد ثم هرب وعاد الى افريقية وانقطع المدد عن عسكر المغاربة فوقع الغلاء عندهم وكثر الموتان فى الناس والخيل

فارتحلوا راجعين الى بلادهم وسار عساكر مصر فى أثرهم حتى أبعدوا

(بقية خبر ابن أبي الساج)

قد تقدم لنا أن مؤنسا حارب يوسف بن أبي الساج عامل أذربيجان فأسره وحمله الى بغداد فحبس بها واستقر بعده فى عمله سبك مولاه ثم ان مؤنسا شفع فيه سنة عشر فأطلقه المقتدر وخلع عليه ثم عقد له على أذربيجان وعلى الرى وقزوين وأبهر وزنجان على خمسمائة ألف دينار فى كل سنة سوى أرزاق العساكر وسار يوسف الى أذربيجان ومعه وصيف البكتمرى فى العساكر ومر بالموصل فنظر فى أعمالها وأعمال ديار ربيعة وقد كان المقتدر تقدم اليه بذلك ثم سار الى أذربيجان وقد مات مولاه سبك فاستولى عليها وسار سنة احدى عشرة الى الرى وكان عليها أحمد بن على أخو صعلوك وقد اقتطعها كما قدمنا ثم انتقض على المقتدر وهادن ما كان بن كالى من قواد الديلم القائم بدعوة أولاد الاطروش فى طبرستان وجرجان فلما جاء يوسف الى الرى حاربه أحمد فقتله يوسف وأنفذ رأسه الى بغداد واستولى على الرى فى ذى الحجة وأقام بها مدة ثم سار عنها الى همذان فاتح ثلاث عشرة واستخلف بها مولاه مفلحا وأخرجه أهل الرى عنهم فعاد يوسف اليهم فى جمادى من سنته واستولى عليها ثانية ثم قلده المقتدر سنة أربع عشرة نواحى المشرق وأذن له فى صرف أموالها فى قواده وأجناده وأمره بالمسير الى واسط ثم منها الى هجر لمحاربة أبى طاهر القرمطى فسار يوسف الى طاهر وكان بها مؤنس المظفر فرجع الى بغداد وجعل له أموال الخراج بنواحى همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان لينفقها فى عسكره ويستعين بها على حرب القرامطة ولما سار من الرى كتب المقتدر الى السعيد نصر بن سامان بولاية الرى وأمره بالمسير اليها وأخذها من فاتك مولى يوسف فسار اليها فاتح أربع عشرة فلما انتهى الى جبل قارن منعه أبو نصر الطبرى من العبور وبذل له ثلاثين ألف دينار فترك سبيله وسار الى الرى فملكها من يد فاتك وأقام بها شهرين وولى عليها سيمجور الدوانى وعاد الى بخارى ثم استعمل على الرى محمد بن أبى صعلوك فأقام بها الى شعبان سنة ست عشرة وأصابه مرض وكان الحسن بن القاسم الداعى وما كان بن كالى أميرى الديلم فى تسليم الرى اليهما فقدما وسار عنها ومات فى طريقه واستولى الداعى والديلم عليها

(بقية الخبر عن وزراء المقتدر)

قد تقدم الكلام فى وزارة حامد بن العباس وان على بن عيسى كان مستبدا عليه

فى وزارته وكان كثيرا ما يطرح جانبه ويسيء فى توقيعاته على عماله وإذا اشتكى اليه أحد من نوابه يوقع على القصة انما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فلم يكف الظلم عن الرعية فأنف حامد من ذلك واستأذن فى المسير الى واسط للنظر فى ضمانه فأذن له ثم كثرت استغاثة الخدم والحاشية من تأخر أرزاقهم وفسادها فان على بن عيسى كان يؤخرها واذا اجتمعت عدة شهور أسقطوا بعضها وكثرت السعاية واستغاث العمال وجميع أصحاب الارزاق بأنه حط من أرزاقهم شهرين من كل سنة فكثرت الفتنة على حامد وكان الحسن ابن الوزير ابن الفرات متعلقا بمفلح الاسود خالصة الخليفة المقتدر وكان لابيه ويجرى بينه وبين حامد يوما كلام فأساء عليه حامد وحقد له وكتب ابن الفرات الى المقتدر وضمن له أموالا ان أطلقه واستوزره وقبض على على بن عيسى وحبسه فى مكانه وذلك سنة احدى عشرة وجاء حامد من واسط فبعث ابن الفرات من يقبض عليه فهرب من طريقه واختفى ببغداد ثم مضى الى نصر الحاجب سرا وسأل ايصاله الى المقتدر وأن يحبسه بدار الخلافة ولا يمكن ابن الفرات منه فاستدعى نصر الحاجب مفلحا الخادم حتى رققه على أمره وشفع له فى رفع المؤاخذة بما كان منه فمضى الى المقتدر وفاوضه بما أحب وأمر المقتدر باسلامه لابن الفرات فحبسه مدة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمال وناظره فيما وصل اليه من الجهات فأقر بنحو ألف ألف دينار وضمنه المحسن بن الفرات بخمسمائة ألف دينار فسلم اليه وعذبه أنواعا من العذاب وبعثه الى واسط ليبيع أمواله هنالك فهلك فى طريقه باسهال أصابه ثم صودر على بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار وعذبه المحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيأ وسيره ابن الفرات أيام عطلته وحبسه بعد أن كان رباه وأحسن اليه فقبض عليه مدة ثم أطلقه وقبض على ابن الجوزى وسلمه الى ابنه المحسن فعذبه ثم بعثه الى الاهواز لاستخراج الاموال فضربه الموكل به حتى مات وقبض أيضا على الحسين ابن أحمد وكان تولى مصر والشأم وعلى محمد بن على المادرانى وصادرهما على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وصادر جماعة من الكتاب سواهم ونكبهم وجاء مؤنس من غزاته فانهى اليه أفعال ابن الفرات وما هو يعتمده من المصادرات والنكايات وتعذيب ابنه للناس فخافه ابن الفرات وخوف المقتدر منه وأشار بسيره الى الشأم ليقيم هنالك بالثغر فبعثه المقتدر وأبعده ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغراه به وأطمعه فى ماله وكان مكثرا واستجار نصر بأم المقتدر ثم كثر الارجاف بابن الفرات فخاف وأنهى الى المقتدر بأن الناس عادوه لنصحه للسلطان واستيفاء حقوقه وركب هو وابنه المحسن الى المقتدر فأوصلهما اليه وأسمعهما وخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب ودخل

مفلح على المقتدر وأشار اليه بعزله فأسرّ اليه وفاقه على ذلك وأمر بتخلية سبيلهما واختفى المحسن من يومه وجاء نازوك وبليق من الغد فى جماعة من الجند الى دار ابن الفرات فاخرجوه حافيا حاسرا وحمل الى مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر ثم سلم الى شفيع اللؤلؤى فحبس عنده وصودر على ألف ألف دينار وذلك سنة ثنتى عشرة وكان عبد الله أبو القاسم بن على بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما تغير حال ابن الفرات سعى فى الوزارة وضمن فى ابن الفرات وأصحابه ألفى ألف دينار على يد مؤنس الخادم وهرون بن غريب الخال ونصر الحاجب فاستوزره المقتدر على كراهية فيه ومات أبوه على على وزارته وشفع اليه مؤنس الخادم فى اعادة على بن عيسى من صنعاء فكتب له فى العود وبمشارفة أعمال مصر والشأم وأقام المحسن بن الفرات مختفيا مدة ثم جاءت امرأة الى دار المقتدر تنادى بالنصيحة فأحضرها نصر الحاجب فدلت على المحسن فأحضره نازوك صاحب الشرطة فسلم للوزير وعذب بأنواع العذاب فلم يستخرج منه شئ فأمر المقتدر بحمله الى أبيه بدار الخلافة وجاء الوزير أبو القاسم الخاقانى الى مؤنس وهرون ونصر فحذرهم شأن ابن الفرات وغائلته بدار الخلافة وأغراهم به فوضعوا القوّاد والجند وقالوا لا بدّ من قتل ابن الفرات وولده ووافق هؤلاء على ذلك فأمر نازوك بقتلهما فذبحهما وجاء هرون الى الوزير الخاقانى يهنئه بذلك فأغمى عليه ثم أفاق وأخذ منه ألفى دينار وشفع مؤنس المظفر فى ابنيه عبد الله وأبى نصر فأطلقهما ووصلهما بعشرين ألف دينار ثم عزل الخاقانى سنة ثلاث عشرة لانه أصابه المرض وطال به وشغب الجند فى طلب أرزاقهم فوقفت به الاحوال وعزله المقتدر وولى مكانه أبا العباس الخصيبى وكان كاتبا لامّه فقام بالامر وأقرّ على بن عيسى على أعمال مصر والشأم فكان يتردّد اليهما من مكة ثم ان الخصيبى اضطربت أموره وضاقت الجباية وكان مدمنا للسكر مهملا للامور ووكل من يقوم عنه فآثروا مصالحهم وأضاعوا مصلحته وأشار مؤنس المظفر بعزله وولاية ابن عيسى فعزل لسنة وشهرين واستقدم على بن عيسى من دمشق وأبو القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى بالنيابة عنه الى أن يحضر فحضر أوّل سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة وطلب كفالات المصادرين والعمال وما ضمن من الاموال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب فاستحضرها شيأ بعد شئ وأدرّ الارزاق وبسط العطاء وأسقط أرزاق المغنين والمساخرة والندمان والصفاعنة وأسقط من الجند أصاغر الاولاد ومن ليس له سلاح والهرمى والزمنى وباشر الامور بنفسه واستعمل الكفاة وطلب أبا العباس الخصيبى فى المناظرة وأحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب وسأله عن أموال الخوارج

والنواحى والمصادرات وكفالاتها وما حصل من ذلك وما الواصل والبواقى فقال لا أعلم فسأله عن المال الذى سلمه لابن أبى الساج كيف سلمه بلا مصرف ولا منفق وكيف سلم اليه أعمال المشرق وكيف بعثه لبلاد الصراة بهجر هو وأصحابه من أهل الغلول والنصب فقال ظننت منهم القدرة على ذلك وامتنع ابن أبى الساج من المنفق فقال وكيف استجزت ضرب حرم المصادرين فسكت ثم سئل عن الخراج فخلط فقال أنت غررت أمير المؤمنين من نفسك فهلا استعذرت بعدم المعرفة ثم أعيد الى محبسه واستقر على بن عيسى فى ولايته ثم اضطربت عليه الاحوال واختلفت الاعمال ونقص الارتفاع نقصا فاحشا وزادت النفقات وزاد المقتدر تلك الايام فى نفقات الخدم والحرم ما لا يحصى وعاد الجند من الانبار فزادهم فى أرزاقهم مائتين وأربعين ألف دينار فلما رأى ذلك على بن عيسى ويئس من انقطاعه أو توقفه وخشى من نصر الحاجب فقد كان انحرف عنه لميل مؤنس اليه وما بينهما من المنافرة فى الدولة فاستعفى من الوزارة وألح فى ذلك وسكنه مؤنس فقال له أنت سائر الى الرقة وأخشى على نفسى بعدك ثم فاوض المقتدر نصرا الحاجب بعد مسير مؤنس فأشار بوزارة أبى على بن مقلة فاستوزره المقتدر سنة ست عشرة وقبض على على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأقام ابن مقلة بالوزارة وأعانه فيها أبو عبد الله البريدى لمودة كانت بينهما واستقرت حاله على ذلك ثم عزله المقتدر ونكبه بعد سنتين وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس كما نذكره وكان ابن مقلة متهما بالميل اليه فاتفق مغيبه فى بعض الوجوه فقبض عليه المقتدر فلما جاء مؤنس سأل فى اعادته فلم يجبه المقتدر وأراد قتله فمنعه واستوزر المقتدر سليمان بن الحسن وأمر على بن عيسى بمشاركته فى الاطلاع على الدواوين وصودر ابن مقلة على مائتى ألف دينار وأقام سليمان فى وزارته سنة وشهرين وعلى ابن عيسى يشاركه فى الدواوين وضاقت عليه الاحوال اضاقة شديدة وكثرت المطالبات ووقفت وظائف السلطان ثم أفرد السواد بالولاية فانقطعت مواد الوزير لانه كان يقيم من قبله من يشترى توقيعات الارزاق ممن لا يقدر على السعى فى تحصيلها من العمال والفقهاء وأرباب البيوت فيشتريها بنصف المبلغ فتعرض بعض من كان ينتمى لمفلح الخادم لتحصيل ذلك للخليفة وتوسط له مفلح فدافع لذلك وجاهر فى تحصيله من العمال فاختلت الاحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الاحوال لقطع منافع الوزراء والعمال التى كانوا يرتفقون بها واهمالهم أمور الناس بسبب ذلك وعاد الخلل على الدولة وتحرك المرشحون للوزارة فى السعاية وضمان القيام بالوظائف وأرزاق الجند وأشار مؤنس بوزارة أبى القاسم الكلواذى فاستوزره المقتدر فى رجب

من سنة تسع عشرة وأقام فى وزارته شهرين وكان ببغداد رجل من المخرقين يسمى الدانيالى وكان وراقا ذكيا محتالا يكتب الخطوط فى الورق ويداويها حتى تتم بالبلى وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز واشارات ويقسم له فيها من حظوظ الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب يوهم أنها من الحدثان القديم المأثور عن دانيال وغيره وأنها من الملاحم المتوارثة عن آبائه ففعل مثل ذلك بمفلح وكتب له فى الاوراق م م م وأن يكون له كذا وكذا وسأله مفلح عن الميم فقال هو كناية عنك لانك مفلح مولى المقتدر وناسب بينه وبين علامات مذكورة فى تلك الاوراق حتى طبقها عليه فشغف به مؤنس وأغناه وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبد الله ابن وهب فرمز اسمه فى كتاب وذكر بعض علاماته المنطبقة عليه وذكر انه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بنى العباس وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعادى وتعمر الدنيا فى أيامه وخلط ذلك فى الكتاب بحدثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر وقرأ الكتاب على مفلح فأعجبه وجاء بالكتاب الى المقتدر فأعجب به الآخر وقال لمفلح من تعلم بهذه القصة فقال لا أراه الا الحسين بن القاسم قال صدقت وانى لاميل اليه وقد كان المقتدر أراد ولايته قبل ابن مقلة وقبل الكلواذى فامتنع مؤنس ثم قال المقتدر لمفلح ان جاءتك رقعة منه بالسعى فى الوزارة فاعرضها على ثم سأل مفلح الدانيالى من أين لك الكتاب قال وراثة من آبائى وهو من ملاحم دانيال فأنهى ذلك الى المقتدر واغتبطوا بالحسين وبلغ الخبر اليه فكتب الى مفلح بالسعى فى الوزارة فعرض كتابه على المقتدر فأمره باصلاح مؤنس واتفق أن الكلواذى عمل حسابا بما يحتاج اليه من النفقات الزائدة على الحاصل فكانت سبعمائة ألف دينار وكتب عليه أهل الديوان خطوطهم وقال ليس لهذه جهة الا ما يطلقه أمير المؤمنين فعظم ذلك على المقتدر وأمر الحسين بن القاسم أن يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال وعرض كتابه على الكلواذى فاستقال وأذن للكلواذى لشهرين من وزارته وولى الحسين بن القاسم واشترط أن لا يشاركه على بن عيسى فى شئ من أموره واخراجه الصافية واختص به الحسين بن اليزيدى وابن الفرات والماولى واطلع على نقصان الارتفاع وكثرة الانفاق وضاق عليه الامر فتعجل الجباية المستقبلة وصرفها فى الماضية وبلغ ذلك هرون بن غريب الخال فأنهاه الى المقتدر فرتب معه الخصى واطلع على حسابه فألفى له حسبة ليس فيها رمزه فأظهر ذلك للمقتدر وجميع الكتاب واطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصى فيما قاله وقبض على الحسين بن القاسم فى شهر ربيع من سنة عشرين لسبعة أشهر من ولايته واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم اليه

الحسين فلم يؤاخذه باساءته ولم يزل على وزارته

(أخبار القرامطة فى البصرة والكوفة)

كان القرامطة قد استبد طائفة منهم بالبحرين وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى ورث ذلك عن أبيه واقتطعوا ذلك العمل بأسره عن الدولة كما نذكر فى أخبار دولتهم عند افرادها بالذكر فقصد أبو طاهر البصرة سنة احدى عشرة ومائتين وبها سبط مفلح فكبسها ليلا فى ألفين وسبعمائة وتسنموا الاسوار بالحبال وركب سبك فقتلوه ووضعوا السيف فى الناس فأفحشوا فى القتل وغرق كثير فى الماء وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوما وحمل ماقدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان وعاد الى هجر وولى المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفارقى فانحدر اليها بعد انصرافهم عنها ثم سار أبو طاهر القرمطى سنة ثنتى عشرة معترضا للحاج فى رجوعهم من مكة فاعترض أوائلهم ونهبهم وجاء الخبر الى الحاج وهم بفيد وقد فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهيجاء بن حمدان صاحب طريق الكوفة ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم وأسر أبا الهيجاء أحمد بن بدر من اخوال المقتدر ونهب الامتعة وسبى النساء والصبيان ورجع الى هجر وبقى الحاج ضاحين فى القفر الى أن هلكوا ورجع كثير من الحرم الى بغداد وأشغبوا واجتمع معهم حرم المنكوبين أيام ابن الفرات فكان ذلك من أسباب نكبته ثم أطلق أبو طاهر الاسرى الذين عنده ابن حمدان وأصحابه وأرسل الى المقتدر يطلب البصرة والاهواز فلم يجبه وسار من هجر لاعتراض الحاج وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيبانى فى ألف رجل من قومه وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج بمثل صاحب البحر وجنا الصفوانى وطريف اليشكرى وغيرهم فى ستة آلاف رجل فقاتل جعفر الشيبانى أولا وهزمه ثم اتبع الحاج الى الكوفة فهزم عسكرهم وفتك فيهم وأسر جنا الصفوانى وهرب الباقون وملك الكوفة وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم فى المسجد الى الليل ويبيت فى عسكره وحمل ماقدر عليه من الاموال والمتاع ورجع الى هجر ووصل المنهزمون الى بغداد فتقدم المقتدر الى مؤنس بالخروج الى الكوفة فسار اليها بعد خروجهم عنها واستخلف عليها ياقوتا ومضى الى واسط ليمانع أبا طاهر دونها ولم يحج أحد هذه السنة وبعث المقتدر سنة أربع عشرة عن يوسف بن أبى الساج من أذربيجان وسيره الى واسط لحرب أبى طاهر ورجع مؤنس الى بغداد وخرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة وجاء الخبر الى ابن أبى الساج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر اليها فسبقه أبو طاهر وهرب العمال عنها واستولى على الاترال والعلوفات التى أعدت بها ووصل

ابن أبى الساج ثامن شوّال بعد وصول أبى طاهر بيوم وبعث يدعوه الى الطاعة للمقتدر فقال لا طاعة الا لله فآذنه بالحرب وتزاحفوا يوما الى الليل ثم انهزم أصحاب ابن أبى الساج وأسروا ووكل أبو طاهر طبيبا يعالج جراحته ووصل المنهزمون بغداد فأرجفوا بالهرب وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة وقد سار القرامطة الى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات ثم قصد القرامطة الانبار ونزلوا غربى الفرات وجاؤا بالسفن من الحديثة فأجاز فيها ثلثمائة منهم وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الانبار وجاء الخبر الى بغداد فخرج الحاجب فى العساكر ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا فى نيف وأربعين ألف مقاتل الى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبى الساج فقاتلهم القرامطة وهزموهم وكان أبو طاهر قد نظر الى ابن أبى الساج وهو يستشرف الى الخلاص وأصحابه يشيرونه فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه وكثر الهرج ببغداد واتخذوا السفن بالانحدار الى واسط ومنهم من نقل متاعه الى حلوان وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر التطواف بالليل والنهار وقتل بعض الدعار فأقصروا عن ثم سار القرامطة عن الانبار فاتحة سنة ست عشرة ورجع مؤنس الى بغداد وسار أبو طاهر الى الرحبة فملكها واستباحها واستأمن اليه أهل قرقيسيا فأمنهم وبعث السرايا الى الاعراب بالجزيرة فنهبوهم وهربوا بين يديه وقدر اليهم الاتاوة فى كل سنة يحملونها الى هجر ثم سار أبو طاهر الى الرقة وقاتلها ثلاثا وبعث السرايا الى رأس عين وكفرتوثا وسنجار فاستأمنوا اليهم وخرج مؤنس المظفر من بغداد فى العسكر وقصد الرقة فسار أبو طاهر عنها الى الرحبة ووصلها مؤنس وسار القرامطة الى هيت فامتنعت عليهم فساروا الى الكوفة وخرج من بغداد نصر الحاجب وهرون بن غريب وبنى بن قيس فى العساكر اليها ووصلت جند القرامطة الى قصر ابن هبيرة ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحمد بن كيغلغ وعاد فمات فى طريقه وولى مكانه على عسكره هرون بن غريب وولى مكانه فى الحجابة ابنه أحمد ثم انصرف القرامطة الى بلادهم ورجع هرون الى بغداد فى شوّال من السنة ثم اجتمع بالسواد جماعات من أهل هذا المذهب بواسط وعين التمر وولى كل جماعة عليهم رجلا منهم فولى جماعة واسط حريث بن مسعود وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار الى وصرف العمال عن السواد وجبى الخراج وسار حريث الى أعمال الموفق وبنى بها دارا سماها دار الهجرة واستولى على تلك الناحية وكان صاحب الحرب بواسط بنى بن قيس فهزموه فبعث اليه المقتدر هرون ابن غريب فى العساكر والى قرامطة الكوفة صافيا البصرى فهزموهم من كل جانب

وجاؤا باعلامهم بيضاء عليها مكتوب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية وأدخلت الى بغداد منكوسة واضمحل أمر القرامطة بالسواد

(استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الاسود)

ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة تسع عشرة الى مكة وحج بالناس منصور الديلمي فلما كان يوم التروية نهب أبو طاهر أموال الحجاج وفتك فيهم بالقتل حتى في المسجد والكعبة واقتلع الحجر الاسود وحمله الى هجر وخرج اليه أبو مخلب أمير مكة في جماعة من الاشراف وسألوه فلم يسعفهم وقاتلوه فقتلهم وقلع باب البيت وأصعد رجلا يقتلع الميزاب فسقط فمات وطرح القتلى في زمزم ودفن الباقين في المسجد حيث قتلوا ولم يغسلوا ولا صلى عليهم ولا كفنوا وقسم كسوة البيت على أصحابه ونهب بيوت أهل مكة وبلغ الخبر الى المهدي عبيد الله بافريقية وكانوا يظهرون الدعاء له فكتب اليه بالنكير واللعن ويتهدده على الحجر الاسود فرده وما أمكنه من أموال الناس واعتذر عن بقية ما أخذوه بافتراقه في الناس

(خلع المقتدر وعوده)

كان من أول الاسباب الداعية لذلك ان فتنة وقعت بين ماجوريه هرون الخال ونازوك صاحب الشرطة في بعض مذاهب الفواحش فحبس نازوك ماجوريه هرون وجاء أصحابه الى محبس الشرطة ووثبوا بنائبه واخذوا أصحابهم من الحبس ورفع نازوك الامر الى المقتدر فلم يعد أحدا منهما لمكانهما منه فعاد الامر بينهما الى المقاتلة وبعث المقتدر اليهما بالنكير فاقصرا واستوحش هرون وخرج بأصحابه ونزل البستان النجمي وبعث اليه المقتدر يسترضيه فأرجف الناس أن المقتدر جعله أمير الامراء فشق ذلك على أصحاب مؤنس وكان بالرقة فكتبوا اليه فأسرع العود الى بغداد ونزل بالشماسية مستوحشا من المقتدر ولم يلقه وبعث ابنه أبا العباس ووزيره ابن مقلة لتلقيه وايناسه فلم يقبل وتمكنت الوحشة وأسكن المقتدر ابن خاله هرون معه في داره فازداد نفور مؤنس وجاء أبو العباس بن حمدان من بلاده في عسكر كبير فنزل عند مؤنس وتردد الامراء بين المقتدر ومؤنس وسار اليه نازوك صاحب الشرطة وجاءه بني بن قيس وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور وأعادها اليه مؤنس واشتمل عليه وجمع المقتدر في داره هرون بن عريب وأحمد بن كيغلغ والغلمان الحجرية والرجال المصافية ثم انتقض أصحاب المقتدر وجاؤا الى مؤنس وذلك في فتح سنة سبع عشرة فكتب مؤنس الى المقتدر بأن الناس ينكرون سرفه فيما أقطع الحرم والخدم

من الاموال والضياع ورجوعه اليهم فى تدبير ملكه يطالبه باخراجهم من الدار واخراج هرون بن غريب معهم وانتزاع ما فى أيديهم من الاموال والاملاك فأجاب المقتدر الى ذلك وكتب يستعطفه ويذكره البيعة ويخوفه عاقبة النكث وأخرج هرون الى الثغور الشامية والجزرية فسكن مؤنس ودخل الى بغداد ومعه ابن حمدان ونازوك والناس يرجفون بأنه خلع المقتدر فلما كان عشر محرم من هذه السنة ركب مؤنس الى باب الشماسية وتشاور مع أصحابه قليلا ثم رجعوا الى دار الخليفة بأسرهم وكان المقتدر قد صرف أحمد بن نصر القشورى عن الحجابة وقلدها ياقوتا وكان على حرب فارس فاستخلف مكانه ابنه أبا الفتح المظفر فلما جاء مؤنس الى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجبة والخدم والوزير وكل من بالدار ودخل مؤنس فأخرج المقتدر وأمه وولده وخواص جواريه فنقلهم الى داره واعتقلهم بها وبلغ الخبر هرون ابن غريب بقطربل فدخل الى بغداد واستتر ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد وبايعوه ولقبوه القاهر بالله وأحضروا القاضى أبا عمر المالكى عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع وقام ابن حمدان يتأسف له ويبكى ويقول كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل وآثرت قول الخدم والنساء على قولى ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك وأودع كتاب الخلع عند القاضى أبى عمر ولم يظهر عليه أحدا حتى سلمه الى المقتدر بعد عوده فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء ولما تم الخلع عمد مؤنس الى دار الخليفة فنهبها ومضى ابن نفيس الى تربة أم المقتدر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها الى القاهر وأخرج مؤنس على بن عيسى الوزير من الحبس وولى على بن مقلة الوزارة وأضاف الى نازوك الحجابة مع الشرطة وأقطع ابن حمدان حلوان والدينور وهمذان وكرمان والصيمرة ونهاوند وشيراز وماسبذان مضافا الى ما بيده من أعمال طريق خراسان وكان ذلك منتصف المحرم ولما تقلد نازوك الحجابة أمر الرجالة بتقويض خيامهم من الدار وأدالهم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك وتقدموا الى خلفاء الحجاب بأن يمنعوا الناس من الدخول الا أصحاب المراتب فاضطربت الحجرية لذلك فلما كان سابع عشر المحرم وهو يوم الاثنين بكر الناس الى الخليفة لحضور الموكب وامتلأت الرحاب وشاطئ دجلة بالناس وجاء الرجالة المصافية شاكى السلاح يطالبون بحق البيعة ورزق سنة وقد بلغ منهم الحنق على نازوك مبالغه وقعد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم وزعق الرجالة المصافية فنهى نازوك أصحابه أن يعرضوا لهم فزاد شغبهم وهجموا على الصحن المنيعى ودخل معهم من كان على الشط من العامة بالسلاح والقاهر جالس وعنده على بن مقلة الوزير ونازوك فقال لنازوك

اخرج اليهم فسكنهم فخرج وهو متحامل من الخمار فتقدم الى الرجالة للشكوى بحالهم ورأى السيوف فى أيديهم فهرب فحدث لهم الطمع فيه وفى الدولة واتبعوه فقتلوه وخادمه عجيفا ونادوا بشعار المقتدر وهرب كل من فى الدار من سائر الطبقات وصلبوا نازوك وعجيفا على شاطئ دجلة ثم ساروا الى دار مؤنس يطلبون المقتدر وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة وكانوا كلهم صنائع المقتدر وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له اخرج معى الى عشيرتى أقتل دونك فوجد الابواب مغلقة فقال له ابن حمدان قف حتى أعود اليك ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان وجاء الى الباب فوجده مغلقا والناس من ورائه فرجع الى القاهر وتمالأ بعض الخدام على قتله فقاتلهم حتى كشفهم ودخل فى بعض مسارب البستان فجاؤه فخرج اليهم فقتلوه وحملوا رأسه وانتهى الرجالة الى دار مؤنس يطلبون المقتدر فسلمه اليهم وحملوه على رقابهم الى دار الخلافة فلما توسط الصحن المنيعى اطمأن وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان وكتب لهما الامان بخطه وبعث فيهما فقيل له ان ابن حمدان قد قتل فعظم عليه وقال والله ما كان أحد بسيف فى هذه الايام غيره وأحضر القاهر فاستدناه وقبل رأسه وقال له لا ذنب لك ولو لقبوك المقهور لكان أولى من القاهر وهو يبكى ويتطارح عليه حتى حلف له على الامان فانبسط وسكن وطيف برأس نازوك وابن حمدان وخرج أبو نفيس هاربا من مكان استتاره الى الموصل ثم الى أرمينية ولحق بالقسطنطينية فتنصر وهرب أبو السرايا أخو أبى الهيجاء الى الموصل وأعاد المقتدر أبا على بن مقلة الى الوزارة وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم وبيع ما فى الخزائن بأرخص الاثمان وأذن فى بيع الاملاك لتتمة الاعطيات وأعاد مؤنسا الى محله من تدبير الدولة والتعويل عليه فى أموره ويقال انه كان مقاطعا للمقتدر وانه الذى دس الى المصافية والحجرية بما فعلوه ولذلك قعد عن الحضور الى القاهر ثم ان المقتدر حبس أخاه القاهر عند أمه فبالغت فى الاحسان اليه والتوسعة عليه فى النفقة والسرارى

* (أخبار قواد الديلم وتغلبهم على أعمال الخليفة) *

قد تقدم لنا الخبر عن الديلم فى غير موضع من الكتاب وخبر افتتاح بلادهم بالجبال والامصار التى تليها مثل طبرستان وجرجان وسارية وآمد واستراباذ وخبر اسلامهم على يد الاطروش وأنه جمعهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة احدى وثلثمائة وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعى صهره واستعمل منهم القواد على ثغورها فكان منهم ليلى بن النعمان كانت اليه ولاية جرجان عن الحسن بن القاسم الداعى سنة ثمان ثلاثين وكانت بين بنى سامان وبين بنى الاطروش والحسن بن القاسم الداعى وقواد

الديلم حروب هلك فيها ليلى بن النعمان سنة تسع وثلثمائة لان أمر الخلفاء كان قد انقطع عن خراسان وولوها لبنى سامان فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من الحروب ما أشرنا اليه ثم كانت بعد ذلك حرب مع بنى سامان فولاها من قوّاد الديلم شرخاب بن بهبودان وهو ابن عم ماكان بن كالى وصاحب جيش أبى الحسن الاطروش وقاتله سيمجور صاحب جيش بنى سامان فهزمه وهلك شرخاب وولى ابن الاطروش ماكان بن كالى على استراباذ فاجتمع اليه الديلم وقدّموه على أنفسهم واستولى على جرجان كما يذكر ذلك كله فى أخبار العلوية وكان من أصحاب ماكان هذا أسفار ابن شيرويه من قوّاد الديلم عن ماكان الى قوّاد بنى سامان فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع بنيسابور وبعثه فى الجنود لافتتاح جرجان وبها أبو الحسن بن كالى نائبا عن أخيه ماكان وهو بطبرستان فقتل أبو الحسن وقام بأمر جرجان على بن خرشيد ودعا اسفار ابن شيرويه الى حمايتها من ماكان فزحف اليهم من طبرستان فهزموه وغلبوه عليها ونصبوا أبا الحسن وعلى بن خرشيد فزحف ماكان الى اسفار وهزمه وغلبه على طبرستان ورجع الى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان ثم توفى بكر سنة خمس عشرة فولى نصر بن أحمد بن سامان اسفار بن شيرويه مكانه على جرجان وبعث اسفار عن مرداويج بن زيار الجيلى وقدّمه على جيشه وقصدوا طبرستان فملكوها وكان الحسن ابن القاسم الداعى قد استولى على الرىّ وأعمالها من يد نصر بن سامان ومعه قائده ماكان بن كالى فلما غلب اسفار على طبرستان زحف اليه الداعى وقائده ماكان فانهزما وقتل الداعى ورجع ماكان الى الرىّ واستولى اسفار بن شيرويه على طبرستان وجرجان ودعا لنصر بن أحمد بن سامان ونزل سارية واستعمل على آمد هرون بن بهرام ثم سار اسفار الى الرىّ فأخذها من يد ماكان بن كالى وسار ماكان الى طبرستان واستولى اسفار على سائر أعمال الرىّ وقزوين وزنجان وابهر وقم والكرخ وعظمت جيوشه وحدّثته نفسه بالملك فانتقض على نصر بن سامان صاحب خراسان واعتزم على حربه وحرب الخليفة وبعث المقتدر هرون بن غريب الحال فى عسكر الى قزوين فحاربه اسفار وهزمه وقتل كثيرا من أصحابه ثم زحف اليه نصر بن سامان من بخارا فراسله فى الصلح وضمان أموال الجباية فأجابه وولاه ورجع الى بخارا فعظم أمر اسفار وكثر عيثه وعسف جنده وكان قائده مرداويج من أكبر قوّاده قد بعثه اسفار الى سلار صاحب سميرم والطرم يدعوه الى طاعته فاتفق مع سلار على الوثوب باسفار وقد باطن فى ذلك جماعة من قوّاد اسفار ووزيره محمد بن مطرف الجرجانى ونمى الخبر الى اسفار وثار به الجند فهرب الى بيهق وجاء مرداويج من قزوين الى الرىّ وكتب

الى ما كان بن كالى يستدعيه من طبرستان ليظاهره على اسفار فقصد ما كان اسفار فهرب اسفار الى الري ليتصل بأهله وماله وقد كان أنزلهم بقلعة الموت وركب المفازة اليها ونمى الخبر الى مرداويج فسار لاعتراضه وقدم بعض قواده أمامه فلحقه القائد وجاء به الى مرداويج فقتله ورجع الى الري ثم الى قزوين وتمكن في الملك وافتتح البلاد وأخذ همذان والدينور وقم وقاشان واصبهان وأساء السيرة في أهل اصبهان وصنع سريرا من ذهب لجلوسه فلما قوى أمره نازع ما كان في طبرستان فغلبه عليها ثم سار الى جرجان فملكها وعاد الى اصبهان ظافرا وسار ما كان على الديلم مستنجدا بأبي الفضل الثائر بها وسار معه الى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل مرداويج بالقسم بن بايجين وهزمهم ورجع الثائر الى الديلم وسار ما كان الى نيسابور ثم سار الى الدامغان فصده عنها القسم فعاد الى خراسان وعظم أمر مرداويج واستولى على بلد الري والجبل واجتمع اليه الديلم وكثرت جموعه وعظم خرجه فلم يكفه ما في يده من الاعمال فسما الى التغلب على النواحي فبعث الى همذان الجيوش مع ابن أخته وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خلف فحاربهم وهزمهم وقتل ابن أخت مرداويج فسار من الري الى همذان وهرب عسكر الخليفة عنها وملكها مرداويج عنوة واستباحها ثم أمن بقيتهم وأنفذ المقتدر هرون بن غريب الخال في العساكر فلقيه مرداويج وهزمهم واستولى على بلاد الجبل وما وراء همذان وبعث قائده الى الدينور ففتحها عنوة وانتهت عساكره الى حلوان فقتل وسبى وسار هرون الى قرقيسيا فأقام بها واستمد المقتدر وكان معه اليشكري من قواد اسفار وكان قد استأمن بعد اسفار الى الخليفة وسار في جملته وجاء مع هرون في هذه الغزاة الى نهاوند لحمل المال اليه منها فلما دخلها استمدت عينه الى ثروة أهلها فصادرهم على ثلاثة آلاف ألف دينار واستخرجها في مدة اسبوع وجند بها جندا ومضى الى اصبهان وبها يومئذ ابن كيغلغ قبل استيلاء مرداويج عليها فقاتله أحمد وانهزم وملك اليشكري اصبهان ودخل اليها أصحابه وقام بظاهرها وسار أحمد بن كيغلغ في ثلاثين فارسا الى بعض قرى اصبهان وركب اليشكري ليطوف على السور فنظر اليهم فسار نحوهم فقاتلوه وضربه أحمد بن كيغلغ على رأسه بالسيف فقدّ المغفر وتجاوزه الى دماغه فسقط ميتا وقصد أحمد المدينة ففر أصحاب اليشكري ودخل أحمد الى اصبهان وذلك قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها فاستولى عليها وجدّد واله فيها مساكن أحمد ابن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي وبساتينه وجاء مرداويج في أربعين أو خمسين ألفا فنزلها وبعث جمعا الى الاهواز فاستولوا عليها والى خوزستان كذلك وجبى أموالها

وقسم الكثير منها فى أصحابه وادخر الباقى وبعث الى المقتدر يطلب ولاية هذه الاعمال واضافة همذان وماه الكوفة اليها على مائتى ألف دينار فى كل سنة فأجابه وقاطعه وولاه وذلك سنة تسع عشرة ثم دعا مرداويج سنة عشرين أخاه وشكمير من بلاد كيلان فجاء اليه بدويا حافيا بما كان يعانى من أحوال البداوة والتبذل فى المعاش ينكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش ثم صار الى ترف الملك وأحوال الرياسة فرقت حاشيته وعظم ترفهه وأصبح من عظماء الملوك وأعرفهم بالتدبير والسياسة

(ابتداء حال أبى عبد الله البريدى)

كان بداية أمره عاملا على الاهواز وضبط ابن ماكولا هذا الاسم بالموحدة والراء المهملة نسبة الى البريد وضبطه ابن مسكويه بالياء المثناة التحتانية والزاى نسبة الى يزيد بن عبد الله بن المنصور الحميرى كان جده يخدمه ولما ولى على بن عيسى الوزارة واستعمل العمال وكان أبو عبد الله قد ضمن الخاصة بالاهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فاتق من الاقتصار به وأخوه على هذا فلما وزر أبو على بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على أن يقلده أعمال الافائقة فقلده الاهواز جميعها غير السوس وجنديسابور وقلد أخاه أبا الحسن الفراتية وأخاهما أبا يوسف الخاصة والاسافل وضمن المال أبا يوسف السمسار وجعل الحسين بن محمد الماردانى مشرفا على أبى عبد الله فلم يلتفت اليه وكتب اليه الوزير بن مقلة بالقبض على بعض العمال ومصادرته فأخذ منه عشرة آلاف دينار واستأثر بها على الوزير فلما نكب ابن مقلة كتب المقتدر بخطه الى الحاجب أحمد بن نصر القسورى بالقبض على أولاد البريدى وأن لا يطلقهم الا بكتابه فقبض عليهم وجاء أبو عبد الله بكتاب المقتدر بخطه باطلاقهم وظهر تزويره فأحضرهم الى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار فأعطوها

(الصوائف أيام المقتدر)

سار مؤنس المظفر سنة ست وتسعين فى العساكر من بغداد الى الفرات ودخل من ناحية ملطية ومعه أبو الاغر السلمى فظفر وغنم وأسر جماعة وفى سنة سبع وتسعين بعث المقتدر أبا القاسم بن سيما للغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين وفى سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الثغور ودخل من ناحية طرسوس ومعه دميانة وحاصر حصن مليح الارمنى ففتحه وأحرقه وفى سنة ثلثمائة مات اسكندروس بن لاون ملك الروم وملك بعده ابنه قسطنطين ابن اثنتى عشرة سنة وفى سنة ثنتين وثلثمائة سار على بن عيسى

الوزير فى ألف فارس لغزو الصائفة مددا لبسر الخادم عامل طرسوس ولم يتيسر لهم الدخول فى المصيف فدخلوا شاتية فى كلب البرد وشدته وغنموا وسبوا وفى سنة ثنتين وثلثمائة غزا بسر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين وكان السبي نحوا من ألفى رأس وفى سنة ثلاث وثلثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بتشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين ابن حمدان مع مؤنس حتى قبض عليه كما مرّ وفى هذه السنة خرج الروم الى ناحية طرسوس والفرات فقاتلوا وقتلوا نحوا من ستمائة فارس وجاء مليح الارمنى الى مرعش فعاث فى نواحيها ولم يكن للمسلمين فى هذه السنة صائفة وفى سنة أربع بعدها سار مؤنس المظفر بالصائفة ومرّ بالموصل فقلد سبكا المفلحى باريدى وقردى من أعمال الفرات وقلد عثمان العبودى مدينة بلد وسنجار ووصيفا البكتمرى باقى بلاد ربيعة وسار الى ملطية فدخل منها وكتب الى أبى القاسم على بن أحمد بن بسطام أن يدخل من طرسوس فى أهلها ففتح مؤنس حصونا كثيرة وغنم وسبى ورجع الى بغداد فأكرمه المعتضد وخلع عليه وفى سنة خمس وثلثمائة وصل رسولان من ملك الروم الى المقتدر فى المهادنة والفداء فتلقيا بالاكرام وجلس لهما الوزير فى الابهة وصف الاجناد بالسلاح العظيم الشان والزينة الكاملة فأديا اليه الرسالة وأدخلهما من الغد على المقتدر وقد احتفل فى الابهة ما شاء فأجابهما الى ما طلب ملكهم وبعث مؤنسا الخادم للفداء وجعله أميرا على كل بلد يدخله الى أن ينصرف وأطلق الارزاق الواسعة لمن سار معه من الجنود وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للفدية وفيها غزا الصائفة جنا الصفوانى فغنم وغزا وسير ثمالى الخادم فى الاسطول فغنم وفى السنة بعدها غزا ثمالى فى البحر كذلك وجنا الصفوانى فظفر وفتح وعاد وغزا بشر الافشين بلاد الروم ففتح عدة حصون وغنم وسبى وفى سنة سبع غزا ثمالى فى البحر فلقى مراكب المهدى صاحب افريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم وأسر خادما للمهدى وفى سنة عشرة وثلثمائة غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصل على قاليقلا فأصاب من الروم. وسار أهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وعادوا وفى سنة احدى عشرة غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمالى فى البحر فغنم ألف رأس من السبى وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيأ كثيرا من الذهب والفضة وفى سنة ثنتى عشرة جاء رسول ملك الروم بالهدايا ومعه أبو عمر بن عبد الباقى يطلبان الهدنة وتقرير الفداء فأجيبا الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأثخنوا ورجعوا وفى سنة أربع عشرة خرجت الروم الى ملطية ونواحيها مع الدمستق ومليح الارمنى صاحب

الدروب وحاصروا ملطية وهربوا الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا وغزا أهل طرسوس بالصائفة فغنموا ورجعوا وفى سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمائة رجل صبرا وجاء الدمستق فى عساكر من الروم الى مدينة دبيل وبها نصر السبكى فحاصرها وضيق مخنقها واشتد فى قتالها حتى نقب سورها ودخل الروم اليها ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا فى أنعامهم فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها وكان رجل من رؤساء الاكراد يعرف بالضحاك فى حصن له يعرف بالجعبرى فتنصر وخدم ملك الروم فلقيه المسلمون فى سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه وفى سنة ست عشرة وثلثمائة خرج الدمستق فى عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب فى جامعها ورحل الى تدنيس ففعل بها كذلك وهرب أهل أردن الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا وفيها ظهر أهل ملطية على سبعمائة رجل من الروم والارمن دخلوا بلدهم خفية وقدمهم مليح الارمنى ليكونوا لهم عونا اذا حاصروها فقتلهم أهل ملطية عن آخرهم وفى سنة سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وآمد وارزن يستمدون المقتدر فى العساكر والا فيعطوا الاتاوة للروم فلم يمدهم فصالحوا الروم وملكوا البلاد وفيها دخل مفلح الساجى بلاد الروم وفى سنة عشرين غزا ثمال الى بلاد الروم من طرسوس ولقى الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف وغنم من الفضة والذهب شيأ كثيرا وغزا بالصائفة فى سنته فى حشد كثير وبلغ عمورية فهرب عنها من كان تجمع اليها من الروم ودخلها المسلمون فوجدوا من الامتعة والاطعمة كثيرا فغنموا وأحرقوا وتوغلوا فى بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخربون حتى بلغوا انكورية التى مصرها اهده وعادوا سالمين وبلغت قيمة السبى مائة ألف وستة وثلاثين ألف دينار وفى هذه السنة راسل ابن الريدانى وغيره من الارمن فى نواحى أرمينية وحثوا الروم على قصد بلاد الاسلام فساروا وخربوا نواحى خلاط وقتلوا وأسروا فسار اليهم مفلح غلام يوسف بن أبى الساج من أذربيجان فى جموع من الجند والمتطوعة فأثخن فى بلاد الروم حتى يقال ان القتلى بلغوا مائة ألف وخرب بلاد ابن الريدانى ومن وافقه وقتل ونهب ثم جاءت الروم الى سميساط فحصروها وأمدهم سعيد بن حمدان وكان المقتدر ولاه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من الروم فلما جاء رسول أهل سميساط اليهم فأجفل الروم عنها فسار الى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الارمنى صاحب الثغور الرومية وبنى بن قيس صاحب المقتدر الذى تنصر فلما أحسوا باقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يثب بهم أهلها وملكها سعيد

فاستخلف عليها وعاد الى الموصل

(الولايات على النواحي أيام المقتدر)

كان باصبهان عبد الله بن ابراهيم المسمعي عاملا عليها فخالف لاول ولاية المقتدر وجمع من الاكراد عشرة آلاف وأمر المقتدر بدرا الحمامي عامل اصبهان بالمسير اليه فسار اليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوفه عاقبة المعصية فراجع الطاعة وسار الى بغداد واستخلف على اصبهان وكان على اليمن المظفر بن هاج ففتح ما كان غلب عليه الحرثي باليمن وأخذ الحكمي من أصحابه وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان وسار أخوه الحسين بن حمدان وأوقع باعراب كلب وطي وأسر سنة أربع وتسعين ثم سار الى الاكراد المتغلبين على نواحي الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا الى رؤس الجبال وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين وصيف بن سوارتكين فحصره أعراب طي بالقتال وأوقعهم فهزمهم ومضى الى وجهه ثم أوقع بهم هنالك الحسن ابن موسى فأثخن فيهم وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكري غلام عمرو بن الليث فلما تغلب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلغ في سنة سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد اليشكري ثم جاء مؤنس فغلبه وأسره ورجع اليشكري الى عمله كما مر في خبره وفي سنة ست وتسعين وصل ناسر موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مر ذكره وفيها رجع الحسين بن حمدان من الخلاف وعقد له على قم وقاشان فسار اليها ونزل عنها العباس بن عمر الغنوي وفي سنة سبع وتسعين توفي عيسى النوشري عامل مصر وولى المقتدر مكانه تكين الخادم وفي سنة ثمان وتسعين توفي منيح خادم الافشين وهو عامل فارس وكان معه محمد بن جعفر الفريابي فاتامعا وولى على فارس عبد الله ابن ابراهيم المسمعي وأضيفت اليه كرمان وفيها وليت أم موسى الهاشمية قهرمة دار المقتدر وكانت تؤدي الرسائل عن المقتدر وأمه الى الوزراء وعن الوزراء اليهما وفي سنة تسع وتسعين كان على البصرة محمد بن اسحق بن كنداج وجاء اليه القرامطة فقاتلهم فهربوا وفي سنة ثلثمائة عزل ابراهيم بن عبد الله المسمعي عن فارس وكرمان ونقل اليها بدر الحمامي عامل اصبهان وولى على اصبهان على بن وهشودان وفيها ولى بشير الافشين طرسوس وفيها قلد أبو العباس بن المقتدر مصر والمغرب وهو ابن أربع سنين واستخلف له على مصر مؤنس المظفر وقلد معين الطولوني المعونة بالموصل ثم عزل واستعمل مكانه نحرير الصغير وفيها خالف ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان بالموصل فسار اليه مؤنس وجاء به على الامان ثم قلد الموصل سنة ثنتين وثلثمائة فاستخلف عليها وهو ببغداد ثم خالف أخوه الحسين سنة ثلثمائة وسار اليه مؤنس وجاء به أسيرا فحبس

وقبض المقتدر على أبي الهيجاء واخوته جميعا فحبسوا وفيها ولى الحسين بن محمد ابن عينونة عامل الخراج والضياع بديار ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر وفى سنة أربع عزل علي بن وهشودان صاحب الحرب باصبهان بمنافرة وقعت بينه وبين أحمد ابن شاه صاحب الخراج وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخي وأقام ابن وهشودان بنواحي الجبل ثم تغلب يوسف بن أبي الساج عليها كامرّ وسار اليه مؤنس سنة سبع فهزمه وأسره وولى على أصبهان وقم وقاشان وساوة أحمد بن علي بن صعلوك وعلى الري ودنباوند وقزوين وابهر وزنجان علي بن وهشودان استدعاه من الجبل فولاه ووثب به عمه أحمد بن مسافر صاحب الكرم فقتله بقزوين فاستعمل مكانه على الحرب وصيفا البكتمري وعلى الخراج محمد بن سليمان ثم سار أحمد بن صعلوك اليها فقتل محمد ابن سليمان وطرد وصيفا ثم قاطع على الاعمال بمال معلوم كامرّ وكان على أعمال سجستان كثير بن أحمد بهقور متغلبا عليها فسار اليه أبو الحامى عامل فارس فخافه كثير وقاطع على البلاد وعقد له عليها وكان على كرمان سنة أربع وثلثمائة أبو زيد خالد ابن محمد المارداني فانتقض وسار الى شيراز فقاتله بدر الحامى وقتله وفى هذه السنة قلد مؤنس المظفر عند مسيره الى الصائفة وانتهائه الى الموصل فولوا على بلد باريدى وقردى سبكا المفلحي وعلى مدينة بلد وسنجار وباكرى عثمان العبودي صاحب الحرب بديار مصر فولى مكانه وصيف البكتمري فعجز عن القيام بها فعزل وولى مكانه جنا الصفواني وكان على البصرة فى هذه السنة الحسن بن الخليل تولاها منذ سنين ووقعت فتن بينه وبين العامة من مضر وربيعة واتصلت وقتل منهم خلق ثم اضطروه الى الالحاق بواسط فاستعمل عليها أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعي ثم عزل السنة وولى سبكا المفلحي نيابة عن شفيع المقتدري وفى سنة ست وثلثمائة عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها نجيح الطولوني فأقام فى الارباع فقهاء يعمل أهل الشرطة بفتواهم فضعفت الهيبة بذلك وكثر اللصوص والعيارون وكبست دور التجار واختطفت ثياب الناس وفى سنة سبع وثلثمائة ولى ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة وولى بني بن قيس بلاد شهرزور واتسعت عليه فاستمد المقتدر وحاصرها ثم قلد الحرب بالموصل وأعمالها وكان على الموصل قبله محمد ابن اسحق بن كنداج وكان قد سار لاصلاح البلاد فوقعت فتنة بالموصل فرجع اليها فمنعوه الدخول فحاصرهم وعزله المقتدر سنة ثلاث وثلثمائة وولى مكانه عبد الله ابن محمد الغساني وفى سنة ثمان وثلثمائة ولى المقتدر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان على طريق خراسان والدينور وفيها ولى على دقوقا وعكبرا وطريق الموصل بدرا الشرابي وفى سنة تسع ولى المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب فسار اليها

وأوقع بالمخالفين من الاكراد المادرانية وفيها ولى داود بن حمدان على ديار ربيعة وفى سنة عشر عقد ليوسف بن أبى الساج على الرى وقزوين وابهر وزنجان وأذربيجان على تقدير العلوية كما مر وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة لانها كانت كثيرة المال وزوجت بنت أختها من بعض ولد المتوكل كان مرشحا للخلافة وكان محسنا فلما صاهرته أوسعت فى الشوار واليسار والعرس وسعى بها الى المقتدر انها استخلصت القواد فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة وجواهر نفيسة وفيها قتل خليفة نصر بن محمد الحاجب بالموصل قتله العامة فجهز العساكر من بغداد وسار اليها وفى سنة احدى عشرة ملك يوسف بن أبى الساج الرى من يد أحمد بن على صعلوك وقتله المقتدر وقد مر خبره وفيها ولى المقتدر بنى بن قيس على حرب اصبهان وولى محمد بن بدر المعتضدى على فارس مكان ابنه بدر عند ما هلك وفى سنة ثنتى عشرة ولى على اصبهان يحيى الطولونى وعلى المعاون والحرب بنهاوند سعيد بن حمدان وفيها توفى محمد بن نصر الحاجب صاحب الموصل وتوفى شفيع اللؤلؤى صاحب البريد فولى مكانه شفيع المقتدرى وفى سنة ثلاث عشرة فتح ابراهيم المسمعى عامل فارس ناحية القفص من حدود كرمان وأسر منهم خمسة آلاف وكان فى هذه السنة ولى على الموصل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وابنه ناصر الدولة خليفة فيها فأفسد الاكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان وكانت اليه فكتب اليه ابنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة بالانحدار الى تكريت للقائه فجاء فى الحشد وأوقع بالعرب والاكراد الجلالية وحسم علتهم وفيها قلد المقتدر يوسف بن أبى الساج أعمال الشرق وعزله عن أذربيجان وولاه واسط وأمده بالسير اليها لحرب القرامطة وأقطعه همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان للنفقة فى الحرب وجعل على الرى من أعماله نصر بن سامان فوليها وصار من عماله كما مر وفيها ولى أعمال الجزيرة والضياع بالموصل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأضيف اليه باريدى وقردى وما اليهما وفيها قتل ابن أبى الساج كما مر وفى سنة خمس عشرة مات ابراهيم المسمعى بالنوبندجان وولى المقتدر على مكانه ياقوت وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد وفى سنة ست عشرة عزل أحمد بن نصر القسورى عن حجبة الخليفة وولاها ياقوت وهو على الحرب بفارس واستخلف عليها ابنه أبا الفتح المظفر وفيها ولى على الموصل وأعمالها يونس المؤنسى وكان على الحرب بالموصل ابن عبد الله بن حمدان وهو ناصر الدولة فغضب وعاد الى الخلافة وقتل فى تلك الفتنة نازوك وأقر على أعمال قردى وباريدى التى كانت بيد أبى الهيجاء ابنه ناصر الدولة الحسن وعلى أعمال الموصل نحرير الصغير

ثم ولى عليها سعيدا ونصرا ابنى حمدان وهما أخوا أبى الهيجاء وولى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة وفى سنة ثمان عشرة صرف ابنا رائق عن الشرطة ووليها أبو بكر محمد بن ياقوت عن الحجبة وقلد أعمال فارس وكرمان وقلد ابنه المظفر اصبهان وابنه أبا بكر محمدا سجستان وجعل مكان ياقوت وولده فى الحجبة والشرطة ابراهيم ومحمد ابنا رائق فأقام ياقوت بشيراز وكان على بن خلف ابن طيان على الخراج فتعاقدا على قطع الحمل عن المقتدر الى أن ملك على بن بويه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين وفى هذه السنة غلب مرداويج على اصبهان وهمذان والرى وحلوان وقاطع عليها بمال معلوم وصارت فى ولايته

(استيحاش مؤنس من المقتدر الثانية ومسيره الى الموصل)

كان الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن وهب وزير المقتدر وكان مؤنس منحرفا عنه قبل الوزارة حتى أصلح بليق حاله عند مؤنس فوزر واختص به بنو البريدى وابن الفرات ثم بلغ مؤنسا أن الحسين قد واطأ جماعة من القواد فى التدبير عليه فتنكر له مؤنس وضاقت الدنيا على الحسين وبلغه ان مؤنسا يكبسه فانتقل الى دار الخلافة وكتب الحسين الى هرون بن غريب الخال يستقدمه وكان مقيما بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج وكتب الى محمد بن ياقوت يستقدمه من الاهواز فاستوحش مؤنس ثم جمع الحسين الرجال والغلمان الحجرية فى دار الخلافة وأنفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس وقدم هرون من الاهواز فخرج مؤنس مغاضبا للمقتدر وقصد الموصل وكتب الحسين الى القواد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة وسار مؤنس فى أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم وتقدم الوزير بقبض أملاكه وأملاك من معه واقطاعهم فحصل منه مال كثير واغتبط المقتدر به لذلك ولقبه عميد الدولة ورسم اسمه فى السكة وأطلق يده فى الولاية والعزل فولى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدى على مبلغ ضمنه وكتب الى سعيد وداود ابنى حمدان وابن أخيهما ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بمحاربة مؤنس فاجتمعوا على حربه الا داود فانه توقف لاحسان مؤنس اليه وتربيته اياه ثم غلبوا عليه فوافقهم على حربه وجمع مؤنس فى طريقه رؤساء العرب وأوهمهم أن الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة فنفر معه بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وزحف اليه بنو حمدان فى ثلاثين ألفا فهزمهم وملك مؤنس الموصل فى صفر من سنة عشرين وجاءته العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة فى احسانه وعاد ناصر الدولة بن حمدان الى خدمته

وأقام معه بالموصل ولحق سعد ببغداد

(مقتل المقتدر وبيعة القاهر)

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعة واجتمعت العساكر فانحدر الى بغداد لقتال المقتدر وبعث المقتدر الجنود مع أبي بكر محمد بن ياقوت وسعد بن حمدان فرجع عنهم العسكر الى بغداد ورجعوا وجاء مؤنس فنزل بباب الشماسية والقواد قبالته وندب المقتدر ابن خاله هرون بن غريب الى الخوارج لقتاله فاعتذر ثم خرج وطالبوا المقتدر بالمال لنفقات الجند فاعتذر وأراد أن ينحدر الى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والاهواز وفارس وكرمان فرده ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقواد والمصاحف مشهورة وعليه البردة والناس يحدقون به فانهزم أصحابه ولقيه علي بن بليق من أصحاب مؤنس فعظمه وأشار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وتركوه بالعراء فدفن هنالك ويقال ان علي بن بليق أشار اليهم بقتله ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده وقال والله لنقتلن جميعا وتقدم الى الشماسية وبعث من يحتاط على دار الخلافة وكان ذلك لخمس وعشرين سنة من خلافة المقتدر فاتسع الخرق وطمع أهل القاصية في الاستبداد وكان مهملا للامور في خلافته محكما للنساء والخدم في دولته مبذرا للاموال ولما قتل لحق ابنه عبد الواحد بالمدائن ومعه هرون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت وابراهيم بن رائق ثم اعتزم مؤنس على البيعة لولده أبي العباس وكان صغيرا فعذله وزيره أبو يعقوب اسمعيل النوبختي في ولاية صغير في حجر أمه وأشار بأخيه أبي منصور محمد بن المعتضد فأجاب مؤنس الى ذلك على كره وأحضر وبويع آخر شوال من سنة عشرين ولقبوه القاهر بالله واستحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق وابنه علي واستقدم أبا علي بن مقلة من فارس فاستوزره واستحجب علي بن بليق ثم قبض على أم المقتدر وضربها على الاموال فحلفت فأمرها بحل أوقافها فامتنعت فأحضر القضاة وأشهد بحل أوقافها ووكل في بيعها فاشتراها الجند من أرزاقهم وصادر جميع حاشية المقتدر واشتد في البحث عن ولده وكبس عليهم المنازل الى أن ظفر بأبي العباس الراضي وجماعة من اخوته وصادرهم وسلمهم علي بن بليق الى كاتبه الحسين بن هرون فأحسن صحبتهم وقبض الوزير ابن مقلة على البريدي واخوته وأصحابه وصادرهم على جملة من المال

(خبر ابن المقتدر وأصحابه)

قد ذكرنا ان عبد الواحد بن المقتدر لحق بعد مقتل أبيه بالمدائن ومعه هرون بن غريب

الخال ومفلح ومحمد بن ياقوت وابن رائق ثم انحدروا منها الى واسط وأقاموا بها وخشيهم القاهر على أمره واستأمن هرون بن غريب على أن يبذل ثلثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه فأمّنه القاهر ومؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهروبان وسار الى بغداد وسار عبد الواحد بن المقتدر فيمن معه من واسط ثم الى السوس وسوق الاهواز وطردوا العمال وجبوا الاموال وبعث مؤنس اليهم بليقا فى العساكر وبذل أبو عبد الله البريدى فى ولاية الاهواز خمسين ألف دينار فأنفقت فى العساكر وسار معهم وانتهوا الى واسط ثم الى السوس فجاز عبد الواحد ومن معه من الاهواز الى تستر ثم فارقه جميع القوّاد واستأمنوا الى بليق الا ابن ياقوت ومفلحا ومسرورا الخادم وكان محمد بن ياقوت مستبدّا على جميعهم فى الاموال والتصرّف فنفروا لذلك واستأمنوا لانفسهم ولابن المقتدر الى بليق فأمّنهم بعد أن استأمنوا لمحمد بن ياقوت وأذن لهم ثم استأمن هو على بليق الى أمان القاهر ومؤنس وساروا الى بغداد جميعهم فوفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لامّه المصادرة التى صادرها واستولى أبو عبد الله البريدى على أعمال فارس وأعاد اخوته الى أعمالهم

(مقتل مؤنس وبليق وابنه)

لما رجع محمد بن ياقوت من الاهواز واستخلصه القاهر واختصه لخلواته وشوراه وكانت بينه وبين الوزير ابن على بن مقلة عداوة فاستوحش لذلك ودس الى مؤنس ان محمد بن ياقوت يسعى به عند القاهر وانّ عيسى الطبيب سفيره فى ذلك فبعث مؤنس على بن بليق لاحضار عيسى وتقدّم على بن بليق بالاحتياط على القاهر فوكل به أحمد ابن زيرك وضيق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات الى القصر خشية ايصالهم الرقاع الى القاهر حتى كشفت أوانى الطعام ونقل بليق المحابيس من دار الخلافة الى داره وفيهم أم المقتدر فأكرمها على بن بليق وأنزلها عند أمّه فماتت فى جمادى من سنة احدى وعشرين وعلم القاهر أنّ ذلك من مؤنس وابن مقلة فشرع فى التدبير عليهم وكان طريف السبكرى ونشرى من خدم مؤنس قد استوحشا من مؤنس لتقدم بليق وابنه عليهما وكان اعتماد مؤنس على الساجية وقد جاؤا معه من الموصل ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك فداخلهم القاهر جميعا وأغراهم بمؤنس وبليق وبعث الى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله وكان مختصا بابن مقلة وصاحب رأيه فوعده بالوزارة فكان يطالعه بالاخبار وشعر ابن مقلة بذلك فأبلغوا الى مؤنس وبليق وأجمعوا على خلع

القاهر واتفق بليق وابنه علي وابن مقلة والحسن بن هرون على البيعة لابي أحمد بن المكتفي فبايعوه وحلفوا له وأطلعوا مؤنسا على ذلك فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا من واطأه من القواد والساجية (١) والحجرية فأبوا وهونوا عليه الامر في استعجال خلعه فأذن لهم فأشاعوا أن أبا طاهر القرمطي ورد الكوفة وندبوا علي بن بليق للمسير اليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر وابن مقلة كان نائما فلما استيقظ أعاد الكتاب الى القاهر فاستراب ثم جاءه طريف السبكري غلام مؤنس في زي امرأة مستنصحا فأحضره وأطلعه على تدبيرهم وبيعتهم لابي أحمد بن المكتفي فأخذ القاهر حذره وأكمن الساجية في دهاليز القصر وممراته وجاء علي بن بليق في خف من أصحابه واستأذن فلم يؤذن له وكان ذا خمار فغضب وأفحش في القول فأخرج الساجية في السلاح وشتموه وردوه وفر عنه أصحابه وألقى بنفسه في الطيار وعبر الى الجانب الغربي واختفى الوزير ابن مقلة والحسن بن هرون وركب طريف الى دار القاهر فأنكر بليق ما جرى لابنه وشتم الساجية وقال لا بد أن أستعدي الخليفة عليهم وجاء الى القاهر ومعه قواد مؤنس فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وجاء العسكر منكرين لذلك فاسترضاهم ووعدهم بالزيادة وباطلاق هؤلاء المحبوسين فافترقوا وبعث الى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله وولى طريف السبكري مكانه وأعطاه خاتمه وقال قد فوضت الى ابني عبد الصمد ما كان المقتدر فوضه الى ابنه محمد وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال كما كان مؤنس وأمض اليه وأحمله الى دار الخلافة مرفها عليه لئلا يجتمع اليه أهل الشر ويفسد ما بيننا وبينه فسار طريف الى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولاصحابه وحمله على الحضور عنده وهون عليه أمره وأن القاهر لا يقدر على مكروهه فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه وندم طريف على ما فعل واستوحش واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ووكل بدور مؤنس وبليق وابنه علي وابن مقلة وابن زيرك وابن هرون ونقل ما فيها وأحرقت دار ابن مقلة وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحجبة فتنكر له طريف السبكري والساجية فاختفى ولحق بابنه بفارس وكتب اليه القاهر بالعتب على ذلك وولاه الاهواز وكان الذي دعا طريفا السبكري الى الانحراف عن مؤنس وبليق أن مؤنسا رفع رتبة بليق وابنه عليه بعد ان كانا يخدمانه فأهملا جانبه ثم اعتزم بليق على أن يوليه مصر وفاوض في ذلك الوزير ابن مقلة فوافق عليه ثم أراد علي بن بليق عمل مصر لنفسه ومنع من ارسال طريف فتربص بهم وأما الساجية فكانوا مع مؤنس بالموصل وكان يعدهم ويمنيهم ولما

ولى القاهر واستبدّ بأمره لم يف لهم وكان من أعيانهم الخادم صندل وكان له بدار القاهر خادم اسمه مؤتمن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة فاستخلفه فلما شرع فى التدبير على مؤنس وبليق بعث مؤنسا هذا الى صندل يحث اليه تقديمه ويدخله فى أمر القاهر وازالة الحجر عنه فقصد الى صندل وزوجته وتلطف ووصف القاهر بما شاء من محاسن الاخلاق وحمل زوجته على الدخول الى دار القاهر حتى شافهها بما أراد ابلاغه الى صندل وداخل صندل فى ذلك سيما من قوّاد الساجية واتفقوا على مداخلة طريف السبكرى فى ذلك لعلمهم باستيحاشه من مؤنس فأجابهم على شريطة الابقاء على مؤنس وبليق وابنه وأن لا يزال مؤنس من مرتبته وتحالفوا على ذلك من الجانبين وطلب طريف عهد القاهر بخطه فكتب وزاد فيه أنه يصلى بالناس ويخطب لهم ويحج بهم ويغزو معهم ويقعد لكشف المظالم وغير ذلك من حسن السيرة وكان جماعة من الحجرية قد ابعدهم ابن بليق وأدال منهم بأصحابه فداخلهم طريف فى أمر القاهر فأجابوه ونمى الخبر بذلك الى ابن مقلة والى بليق وأرادوا القبض على قوّاد الساجية والحجرية ثم خشوا الفتنة ودبروا على القاهر فلم يصلوا اليه لاحتجابه عنهم بالمرض فوضعوا أخبار القرامطة كما قدّمناه ولما قبض القاهر على مؤنس ولى الحجابة سلامة الطولونى وعلى الشرطة أحمد بن خاقان واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله مكان ابن مقلة وأمر بالنداء على المستترين والوعيد لمن أخفى وطلب أبا أحمد بن المكتفى فظفر به وبنى عليه حائطا فمات ثم ظفر بعلى فقتله ثم شغب الجند فى شعبان ومعهم أصحاب مؤنس وثاروا ونادوا بشعاره وطلبوا اطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبى جعفر فعمد القاهر الى بليق فى محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين الى مؤنس فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤس ثم أودعت بالخزانة وقيل ان قتل على بن بليق تأخر عن قتل أبيه ومؤنس لانه كان مختفيا فلما ظفر به بعدهما قتله ثم بعث القاهر الى أبى يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى فأخذ من مجلس الوزير محمد بن القاسم وحبسه وارتاب الناس من شدّة القاهر وندم الساجية والحجرية على مداخلته فى ذلك الامر ثم قبض القاهر على وزيره أبى جعفر وأولاده وأخيه عبيد الله وخدمه لثلاثة أشهر ونصف من ولايته ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبى ثم استبد القاهر على طريف السبكرى واستخف به تخافه وتنكر ثم أحضره بعد أن قبض على الوزير أبى جعفر فقبض عليه وأودعه السجن الى أن خلع القاهر

(ابتداء دولة بنى بويه)

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الديلم وكان له أولاد على والحسن وأحمد فعلى أبو الحسن عماد الدولة والحسن أبو على ركن الدولة وأحمد أبو الحسن معز الدولة ونسبهم ابن ماكولا فى الساسانية الى بهرام جور بن يزدجرد وابن مسكويه الى يزدجرد بن شهريار وهو نسب مدخول لان الرياسة على قوم لا تكون فى غير أهل بلدهم كما ذكرنا فى مقدمة الكتاب ولما أسلم الديلم على يد الاطروش وملك بهم طبرستان وجرجان وكان من قواده ما كان بن كالى وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويج بن وزيار وكانوا ملوكا عظاما وازدحموا فى طبرستان فساروا والملك الارض عند اختلاط الدولة العباسية وضعفها وقصدوا الاستيلاء على الاعمال والاطراف وكان بنو بويه من جملة قواد ما كان بن كالى فلما وقع بينه وبين مرداويج من الفتنة والخلاف ما تقدم وغلبه مرداويج على طبرستان وجرجان عادوا الى مرداويج لتخف عنه مؤنتهم على أن يرجعوا اليه اذا اصلح أمره فساروا الى مرداويج فقبلهم وأكرمهم واستأمن اليه جماعة من قواد ما كان فقتلهم وأولادهم وولى على بن بويه على الكرج وكان أكبر اخوته وسار بجميعهم الى الرى وعليها وشمكير بن وزيار أخو مرداويج ومعه وزيره الحسين ابن محمد الملقب بالعميد فاتصل به على بن بويه وأهدى اليه بغلة كانت عنده ومتاعا وندم مرداويج على ولاية هؤلاء المستأمنة من قواد ما كان فكتب الى أخيه وشمكير بالقبض على الباقين وأراد أن يبعث فى اثر على بن بويه فخشى الفتنة وتركه ولما وصل على بن بويه الى الكرج استقام أمره وفتح قلاعا للخرمية ظفر منها بذخائر كثيرة واستمال الرجال وعظم أمره وأحبه الناس ومرداويج يومئذ بطبرستان ثم عاد الى الرى وأطلق مالا لجماعة من القواد على الكرج فوصلوا الى على بن بويه فأحسن اليهم واستمالهم وبعث اليهم مرداويج فدافعه فندم على اطلاقهم وبعث فيهم مرداويج أمراء الكرج فاستأمن اليه شيرزاد من أعيان قواد الديلم فقويت نفسه وسار الى اصبهان وبها المظفر بن ياقوت على الحرب فى عشرة آلاف مقاتل وأبو على بن رستم على الخوارج فأرسل على بن بويه يستعطفهما فى الانحياز الى طاعة الخليفة وخدمته والمسير الى الحضرة فلم يجيباه وكان أبو على أشد كراهة له فمات تلك الايام وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن اصبهان وكان فى أصحابه جيل وديلم واستأمنوا الى ابن بويه ثم اقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى على بن بويه على اصبهان وهو عماد الدولة وكان عسكره نحوا من تسعمائة وعسكر ابن ياقوت نحوا من عشرة آلاف وبلغ ذلك القاهر فاستعظمه وبلغ مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده وبعث الى عماد الدولة يخادعه يطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة ويخالفه أخوه وشمكير فى

العساكر وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن اصبهان وقصد ارجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامهرمز واستولى ابن بويه على ارجان وخالفه وشمكير أخو مرداويج الى اصبهان فملكها وأرسل القاهر الى مرداويج بأن يسلم اصبهان لمحمد ابن ياقوت ففعل وكتب أبو طالب يستدعيه ويهون عليه أمر ابن ياقوت ويغريه به فخشى ابن بويه من كثرة عساكر ياقوت وأمواله وأن يحصل بينه وبين ابنه تأهبات فتوقف فأعاد عليه أبو طالب وأراه أن مرداويج طلب الصلح من ابن ياقوت وخوفه اجتماعهما عليه فسار ابن بويه الى أرجان فى ربيع سنة احدى وعشرين ولقيتهم هنالك مقدمة ابن ياقوت فانهزمت فزحف ابن ياقوت اليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فجبى أموالها ولقى عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع الى أخيه وخشى عماد الدولة من اتفاق مرداويج مع ابن ياقوت فسار الى اصطخر واتبعه ابن ياقوت وشيعه الى قنطرة بطريق كرمان اضطروا الى الحرب عليها فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قواده الى ابن ياقوت فقتلهم فاستأمن أصحابه وانهزم ابن ياقوت واتبعه ابن بويه واستباح معسكره وذلك فى جمادى سنة ثنتين وعشرين وأبلى أخوه معز الدولة أحمد فى ذلك اليوم بلاء حسنا ولحق ابن ياقوت بواسط وسار عماد الدولة الى شيراز فملكها وأمن الناس واستولى على بلاد فارس وطلب الجند أرزاقهم فعجز عنها وعثر على صناديق من مخلف ابن ياقوت وذخائر بنى الصفار فيها خمسمائة ألف دينار فامتلأت خزائنه وثبت ملكه واستقر ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبد الله اليزيدى حتى قتل مرداويج عاد الى الاهواز ووصل عسكر مكرم وكانت عساكر ابن بويه سبقته فالتقوا بنواحى ارجان وانهزم ابن ياقوت فأرسل أبو عبد الله اليزيدى فى الصلح فأجابه ابن بويه واستقر ابن ياقوت بالاهواز ومعه ابن اليزيدى وابن بويه ببلاد فارس ثم زحف مرداويج الى الاهواز وملكها من يد ابن ياقوت ورجع الى واسط وكتب الى الراضى وكان بعد القاهر كما نذكره والى وزيره أبى على بن مقلة بالطاعة والمقاطعة فيما بيده من البلاد بأعمال فارس على ألف ألف درهم فأجيب الى ذلك وبعث اليه باللواء والخلع وعظم شأنه فى فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف غائلته وكان أخوه وشمكير قد رجع الى اصبهان بعد خلع القاهر وصرف محمد بن ياقوت عنها فسار اليها مرداويج للتدبير على عماد الدولة وبعث أخاه وشمكير على الرى وأعمالها

(خلع القاهر وبيعة الراضى)

ولما قتل القاهر مؤنسا وأصحابه أقام يتطلب الوزير أبا على بن مقلة والحسن بن هرون وهما مستتران وكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويغريانهم بالقاهر فانهم غروه

كما فعل بأصحابه قبلهم وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ويراسلهم ويجيء اليهم متنكرا ويغريهم ووضعوا على سيما أن منجما أخبره أنه ينكب القاهر ويقتله ودسوا الى معبر كان عنده أموالا على أن يحذره من القاهر فنفروا واستوحش وحفر القاهر مطامير في داره فقيل لسيما والقواد انما صنعت لكم فازدادوا نفرة وكان سيما رئيس الساجية فارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح وبعث الى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر وزحفوا الى الدور وهجموا عليه فقام من النوم ووجد الابواب مشحونة بالرجال فهرب الى السطح ودلهم عليه خادم فجاؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهام فنزل وجاؤا به الى محبس طريف السبكري فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمي بعد ذلك وذلك لسنة ونصف من خلافته وهرب الخصيبي وزيره وسلامة حاجبه وقد قيل في خلعه غير هذا وهو أن القاهر لما تمكن من الخلافة اشتد على الساجية والحجرية واستهان بهم فتشاكوا ثم خافه حاجبه سلامة لانه كان يطالبه بالاموال ووزيره الخصيبي كذلك وحفر المطامير في داره فارتابوا به كما ذكرنا وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير وأراد أن يستظهر بهم على الحجرية والساجية فتنكروا ذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب فأخرجهم من الدار وسلمهم لمحمد ابن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه اليهم فازداد الساجية والحجرية ريبة ثم تنكر لهم القاهر وصار يعلن بذمهم وكراهتهم فاجتمعوا لخلعه كما ذكرنا ولما قبض القاهر بعثوا عن أبي العباس بن المقتدر وكان محبوسا مع أمه فأخرجوه وبايعوه في جمادى سنة ثنتين وعشرين وبايعه القواد والناس وأحضر علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع واعتذر بالكبر وأشار بابن مقلة فأمنه واستوزره وبعث القضاة الى القاهر ليخلع نفسه فأبى فسمل وأمن ابن مقلة الخصيبي وولاه وولى الفضل بن جعفر بن الفرات نائبا عنه عن أعمال الموصل وقردى وبازبدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية وأجناد الشام وديار مصر يعزل ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك وولى الراضي على الشرطة بدرا الحمامي وأرسل الى محمد بن رائق يستدعيه وكان قد استولى على الاهواز ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية الى السوس وجنديسابور وقد ولي على أصبهان وهو يروم المسير اليها فلما ولي الراضي استدعاه للحجابة فسار الى واسط وطلب محمد بن ياقوت الحجابة فأجيب اليها فسار في اثر ابن رائق وبلغ ابن رائق الخبر فسار من واسط مسابقا لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب والمعادن في واسط مضافا الى ما بيده من البصرة والمعادن فعاد منحدرا في

دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعدا ودخل بغداد وولى الحجبة وصارت اليه رياسة الجيش ونظر فى أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه وأن لا ينفذوا توقيعا فى ولاية أو عزل أو اطلاق الا بخطه وصار نظر الوزير فى الحقيقة له وابن مقلة مكاثر بمجلسه مع جملتهم ومتميز عنهم فى الايثار والمجلس فقط

(مقتل هرون)

كان هرون بن غريب الخال على ماه الكوفة والدينور وماسبذان وسائر الاعمال التى ولاها القاهر اياه فلما خلع القاهر واستخلف الراضى رأى هرون أنه أحق بالدولة من غيره لانه ابن خال المقتدر فكاتب القواد ووعدهم وسار من الدينور الى خانقين وشكا ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية الى الراضى فأذن لهم فى منعه فراسلوه أولا بالممانعة والزيادة على ما فى يده من الاعمال فلم يلتفت اليهم وشرع فى الجباية فقويت شوكته فسار اليه محمد بن ياقوت فى العساكر وهرب عنه بعض أصحابه الى هرون وكتب الى هرون يستميله فلم يجب وقال لا بد من دخول بغداد ثم تزاحفوا لست بقين من جمادى الآخرة سنة ثنتين وعشرين فانهزم أولا أصحاب ابن ياقوت ونهب سوادهم وسار محمد حتى قطع قنطرة تبرين وسار هرون منفردا لاعتراضه فدخل فى بعض المياه وسقط عن فرسه ولحقه غلام لمحمد بن ياقوت فقطع رأسه وانهزم أصحابه وقتل قواده وأسر بعضهم ورجع ابن ياقوت الى بغداد ظافرا

(نكبة ابن ياقوت)

قد ذكرنا أنه كان نظر فى أمر الدواوين وصير ابن مقلة كالعاطل فسعى به عند القاضى واوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه فى جمادى سنة ثلاث وعشرين فجلس الخليفة على عادته وحضر الوزير وسائر الناس على طبقاتهم يريد تقليد جماعة من القواد للاعمال واستدعى ابن ياقوت للخدمة فى الحجبة على عادته فبادر وعدل به الى حجرة فحبس فيها به وبعث الوزير ابن مقلة الى دار محمد من يحفظها من النهب وأطلق يده فى أمور الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقيما بواسط فلما بلغه القبض على ابنه انحدر الى فارس لمحاربة ابن بويه وكتب يستعطف الراضى ويسأله ابقاء ابنه ليساعده على شأنه ولم يزل محمد محبوسا الى أن هلك سنة أربع عشرة فى محبسه

(خبر البريدى)

كان أبو عبد الله البريدى أيام ابن ياقوت ضامنا للاهواز فلما استولى عليها مرداويج وانهزم ابن ياقوت كما مر رجع البريدى الى البصرة وصار يتصرف فى أسافل الاهواز مع

كتابة ياقوت ثم سار الى ياقوت فأقام معه بواسط فلما قبض على ابن ياقوت وكتب ابن مقلة اليه والى ياقوت يعتذر عن قبض ابن ياقوت ويأمرهما بالمسير لفتح فارس فسار ياقوت على السوس والبريدى على طريق الماء حتى انتهيا الى الاهواز وكان الى أخويه أبى الحسن وأبى يوسف ضمان السوس وجندى سابور وادعيا ان دخل البلاد أخذه مرداويج وبعث ابن مقلة ثانيا لتحقق ذلك فوافاهم وكتب بصدقهم فاستولى ابن البريدى ما بين ذلك على أربعة آلاف ألف دينار ثم أشار أبو عبد الله بن على بن ياقوت بالمسير لفتح فارس وأقام هو لجباية الاموال فحصل منها بغيته وسار ياقوت فلقيه ابن بويه على ارجان فهزمه وسار الى عسكر مكرم واتبعه ابن بويه الى رامهرمز وأقام بها الى أن اصطلحا

(مقتل ياقوت)

قد تقدم لنا انهزام ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن بويه الى عسكر مكرم واستيلاء ابن بويه على فارس وكان أبو عبد الله البريدى بالاهواز ضامنا كما تقدم وكان مع ذلك كاتبا لياقوت وكان ياقوت يستنيم اليه ويثق به وكان مغفلا ضعيف السياسة فخادعه أبو عبد الله البريدى وأشار عليه بالمقام بعسكر مكرم وأن يبعث اليه بعض جنده الواصلين من بغداد تخفيفا للمؤنة وتحذيرا من شغبهم وبعث اليه أخاه بذلك أبا يوسف ودفع له من مال الاهواز خمسين ألف دينار ثم قطع عنه فضاق الحال عليه وعلى جنده وكان قد نزع اليه من أصحاب ابن بويه طاهر الجيل وكاتبه أبو جعفر الصيمرى ثم انصرف عنه لضيق حاله الى غربى تستر ليتغلب على ماه البصرة فكبسه ابن بويه وغنم معسكره واسر الصيمرى فشفع فيه وزيره وأطلقه فلحق بكرمان واتصل بعد ذلك بمعز الدولة ابن بويه واستكتبه ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب الى البريدى يشكو ضعفه واستطالة أصحابه فأشار عليه بارسالهم الى الاهواز متفرقين لقومهم فلما وصلوا اليه انتقى خيارهم ورد الباقين وأحسن الى من عنده وبعث ياقوت اليه فى طلب المعز فلم يبعث اليه فجاءه بنفسه فتلقاه وترجل اليه وقبل يده وأنزله بداره وقام فى خدمته أحسن مقام ووضع الجند على الباب يشغبون ويرومون قتله فأشار اليه بالنجاة فعاد الى عسكر مكرم فكتب اليه يحذره اتباعهم وأن عسكر مكرم على ثمانية فراسخ من الاهواز وأرى ان تتأخر بتستر فتتحصن بها وكتب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار وعذله خادمه مؤنس فى شأن ابن البريدى وأراه خديعته وأشار عليه باللحاق ببغداد وأنه شيخ الحجرية وقد كاتبوك فسر الى رياسة بغداد والا فتعاجل الى البريدى وتخرجه عن الاهواز فصم عن نصيحته وأبى من قبول السعاية فيه وتسايل أصحابه الى ابن البريدى

حتى لم يبق معه الا نحو الثمانمائة وجاءه ابنه المظفر ناجيا من حبس الراضي بعد أسبوع أطلقه وبعثه الى أبيه فأشار عليه بالمسير الى بغداد فان حصل على ما يريد والا فالى الموصل وديار ربيعة ويتملكها فأبى عليه أبوه ففارقه الى ابن البريدي فأكرمه ووكل به ثم حذر ابن البريدي غائلة ياقوت فبعث اليه بان الخليفة أمره بازعاجه من البلاد اما الى بغداد واما الى بلاد الجبل ليوليه بعض أعمالها فكتب يستمهله فأبى من المهلة وبعث العساكر من الاهواز وسار ياقوت الى عسكر مكرم ليكبس ابن البريدي هنالك فصبح البلد ولم يجده وجاءت عساكر ابن البريدي مع قائد أبي جعفر الجمال فقاتله من أمامه وأكمن آخرين من خلفه فانهزم وافترق أصحابه وجلس الى حائط متنكرا فعثر به قوم ابن البريدي فكشفوا وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه الى العسكر فدفنه الجمال وبعث البريدي الى تستر فحمل ما كان لياقوت هنالك وقبض على ابنه المظفر وبعثه الى بغداد واستبد بتلك الاعمال وذلك سنة أربع وعشرين

(مسير ابن مقلة الى الموصل واستقرارها لابن حمدان)

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان عاملا على الموصل فجاء عمه أبو العلاء سعيد فضمن الموصل وديار ربيعة سرا وسار اليها فظهر أنه في طلب المال من ابن أخيه وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقيه فخالفه الى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا علي بن مقلة بالمسير الى الموصل فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاث وعشرين فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوزان واتبعه الوزير الى جبل السن ثم عاد عنها الى الموصل وأقام في جبايتها وبعث ناصر الدولة الى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحث أباه في القدوم فكتب اليه بما أزعجه فسار من الموصل واستخلف عليها علي بن خلف بن طباب وماترد الديلمي من الساجية ودخل بغداد منتصف شوال وجمع ناصر الدولة ولقي ماترد الديلمي على نصيبين فهزمه الى الرقة وانحدر منها الى بغداد ولحقه ابن طباب واستولى ناصر الدولة حمدان على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذرت عليه

(نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة)

كان الوزير بن مقلة قد بعث سنة ثلاث وعشرين الى محمد بن رائق بواسط يطالبه بارتفاع أعمال واسط والبصرة وكان قد قطع الحمل فلما جاءه كتاب ابن مقلة كتب اليه جوابه يغالطه وكتب الى الراضي بالسعي في الوزارة وأنه يقوم بنفقات الدار وأرزاق الجند فجهز الوزير ابنه سنة أربع وعشرين لقصده وورى بالاهواز وأنفذ رسوله الى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها وباكر القصر لانفاذ الرسول فقبض عليه المظفر بن

ياقوت والحجرية وكان المظفر قد أطلق من محبسه وأعيد الى الحبة فاستحسن الراضى فعلهم واختفى أبو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه وأشار الى الحجرية والساجية بوزارة علىّ بن عيسى فامتنع وسار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره الراضى وصادر ابن مقلة ثم عجز عن تمشية الامور وضاقت عليه الجباية فاستعفى من الوزارة فقبض عليه الراضى وعلى أخيه على ثلاثة أشهر من وزارته واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى فصادر علىّ بن عيسى على مائة ألف دينار ثم عجز عن الوزارة وضاقت الاموال وانقطعت وطمع أهل الاعمال فيما بأيديهم فقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع ابن البريدى حمل الاهواز وأعمالها وانقطع حمل فارس لغلب ابن بويه عليها ولم يبق غير هذه الاعمال ونطاق الدولة قد تضايق الى الغاية وأهل الدولة مستبدون على الخلافة والاحوال متلاشية فتحير أبو جعفر وكثرت عليه المطالبات وذهبت هيبته فاختفى لثلاثة أشهر ونصف من وزارته واستوزر الراضى مكانه أبا القاسم سليمان ابن الحسن فكان حاله مثل حال من قبله فى قلة المال ووقوف الحال

(استيلاء ابن رائق على الخليفة)

ولما رأى الراضى وقوف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائق من واسط وكاتبه بأنه قد أجابه الى ما عرض من السعى فى الوزارة على القيام بالنفقات وارزاق الجند فسرّ ابن رائق بذلك وشرع يتجهز للمسير ثم أنفذ اليه الراضى الساجية وقلده امارة الجيش وجعله أمير الامراء وفوض اليه الخراج والدواوين والمعادن فى جميع البلاد وأمر بالخطبة له على المنابر وانحدر اليه الدواوين والكتاب والحجاب ولما جاءه الساجية قبض عليهم بواسط فى ذى الحجة من سنة أربع وعشرين ونهب رجالهم ودوابهم ومتاعهم ليوفر أرزاقهم على الحجرية فاستوحشوا الذلك وخيموا بدار الخلافة وأصعد ابن رائق الى بغداد وفوض الخليفة اليه وأمر الحجرية بتقويض خيامهم والرجوع الى منازلهم وأبطل الدواوين وصير النظر اليه فلم يكن الوزير ينظر فى شئ من الامور وبقى ابن رائق وكتابه ينظرون فى جميع الامور فبطلت الدواوين وبيوت الاموال من يومئذ وصارت لامير الامراء والاموال تحمل الى خزائنه ويتصرف فيها كما يريد ويطلب من الخليفة ما يريد وتغلب أصحاب الاطراف وزال عنهم الطاعة ولم يبق للخليفة الا بغداد وأعمالها وابن رائق مستبد عليه وأما باقى الاعمال فكانت البصرة فى يد ابن رائق وخوزستان والاهواز فى يد ابن البريدى وفارس فى يد عماد الدولة ابن بويه وكرمان فى يد على بن الياس والرى واصبهان والجبل فى يد ركن الدولة ابن بويه ووشمكير آخو مرداويج ينازعه فى هذه الاعمال والموصل وديار بكر ومضر

وربيعة في يد حمدان ومصر والشام في يد ابن طغج والمغرب وافريقية في يد العبيديين والاندلس في يد عبد الرحمن بن الناصر من ولد عبد الرحمن الداخل وما وراء النهر في يد بني سامان وطبرستان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد أبي الطاهر القرمطي ولم يبق لنا من الاخبار الا ما يتعلق بالخلافة فقط في نطاقها المتضايق أخيرا وان كانت مغلبة وهي أخبار ابن رائق والبريدي وأما غير ذلك من الاعمال التي اقتطعت كما ذكرناه فنذكر أخبارها منفردة ونسوق المستبدين دولا كما شرطناه أول الكتاب ثم كتب ابن رائق عن الراضي الى أبي الفضل بن جعفر بن الفرات وكان على الخراج بمصر والشام وظن أنه بوزارته تكون له تلك الجباية فوصل الى بغداد وولي وزارة الراضي وابن رائق جميعا

(وصول بجكم مع ابن رائق)

كان بجكم هذا من جملة مرداويج قائد الديلم ببلاد الجبل وكان قبله في جملة ما كان ابن كالي ومن مواليه وهبه له وزيره أبو علي الفارض ثم فارق ما كان مع من فارقه الى مرداويج وكان مرداويج قد ملك الري واصبهان والاهواز وضخم ملكه وصنع كراسي من ذهب وفضة للجلوس عليها هو وقواده ووضع على رأسه تاجا منظمة تاج كسرى وامر أن يخاطب بشاهنشاه واعتزم على قصد العراق والاستيلاء عليه وتجديد قصور كسرى بالمدائن وكان في خدمته جماعة من الترك ومنهم بجكم فأساء ملكهم وعسكرهم فقتلوه سنة ثلاث وعشرين بظاهر اصبهان كما نذكره في أخبارهم واجتمع الديلم والجيل بعده على أخيه وشمكير بن زيار وهو والد قابوس ولما قتل مرداويج افترق الاتراك فرقتين ففرقة سارت الى عماد الدولة بن بويه بفارس والاخرى وهي الاكثر سارت نحو الجبل عند بجكم فجبوا خراج الدينور وغيرها ثم ساروا الى النهروان وكاتبوا الراضي في المسير اليه فأذن لهم وارتاب الحجرية بهم فأمرهم الوزير بالرجوع الى بلد الجبل فغضبوا واستدعاهم ابن رائق صاحب واسط والبصرة فمضوا اليه وقدم عليهم بجكم وكان الاتراك والديلم من أصحاب مرداويج بخيانته جماعة منهم فأحسن اليهم والى بجكم وسماه الرائقي نسبة اليه وأذن له أن يكتبه في مخاطباته

(مسير الراضي وابن رائق لحرب ابن البريدي)

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الراضي في المسير الى واسط لطلب ابن البريدي في المال ليكون أقرب لمناجزته فانحدر في شهر محرم وارتاب الحجرية بفعله مع الساجية فتخلفوا ثم تبعوه فاعترضهم وأسقط أكثرهم من الديوان فاضطربوا وثاروا

فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وألجأهم الى بغداد فأوقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونهبت دورهم وقطعت أرزاقهم وقبضت أملاكهم وقتل ابن رائق من كان فى حبسه من الساجية وسار هو والراضى نحو الاهواز لاجلاء ابن البريدى منها وقدم اليه فى طلب الاستقامة وتوعده فجدد ضمان الاهواز بألف دينار فى كل شهر ويحمل فى كل يوم قسطه وأجابه الى تسليم الجيش لمن يسير الى قتال ابن بويه لنفرتهم عن بغداد وعرض ذلك على الراضى فأشار الحسين بن على النوبختى وزير ابن رائق بأن لا تقبل لانه خداع ومكر وأشار أبو بكر بن مقاتل باجابته وعقد الضمان على ابن البريدى وعاد ابن رائق والراضى الى بغداد فدخلاها أول صفر ولم يف ابن البريدى بحمل المال وأنفذ ابن رائق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش الى فارس ودس اليهم ابن البريدى أن يطلبوا منه المال ليتجهزوا به فاعتذر فشتموه وتهددوه بالقتل وأتى ابن البريدى فأشار عليه بالنجاء ثم سعى ابن مقاتل لابن البريدى فى وزارة ابن رائق عوضا عن الحسين النوبختى وبذل عنه ثلاثين ألف دينار فاعتذر له بسوابق النوبختى عنده وسعيه له وكان مريضا فقال له ابن مقاتل انه هالك فقال ابن رائق قد أعلمنى الطبيب أنه ناقه فقال الطبيب يراعيك فيه لقربه منك ولكن سل ابن أخيه على بن حمدان وكان النوبختى قد استناب ابن أخيه فى مرضه فأشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الامير اذا سأله بهلكه وأشار عليه أن يستوزره فلما سأله ابن رائق أيأسه منه فقال ابن رائق عند ذلك لابن مقاتل اكتب لابن البريدى يرسل من ينوب عنه فى الوزارة فبعث أحمد بن الكوفى واستولى مع ابن مقاتل على ابن رائق وسعوا لابن البريدى أبى يوسف فى ضمان البصرة وكان عامل البصرة من قبل ابن رائق محمد بن يزداد وكان شديد الظلم والعسف بهم فخادعه ابن البريدى وأنفذ أبو عبد الله مولاه اقبالا فى ألفى رجل وأقاموا فى حصن مهدى قريبا فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلب على البصرة وأقاما على ذلك وأقام ابن رائق شأن هذا العسكر فى حصن مهدى وبلغه أيضا أنه استخدم الحجريين الذين أذن لهم فى الانسياح فى الارض وأنهم اتفقوا مع عسكره على قطع الحمل وكاتبه يطردهم عنه فلم يفعل فأمر ابن الكوفى أن يكتب الى ابن البريدى بالكتاب على ذلك ويأمر باعادة العسكر من حصن مهدى فأجاب باعدادهم للقرامطة وابن يزداد عاجز عن الحماية وكان القرامطة قد وصلوا الى الكوفة فى ربيع الآخر وخرج ابن رائق فى العساكر الى حصن ابن هبيرة ولم يستقر بينهم أمر وعاد القرمطى الى بلده وسار ابن رائق الى واسط فكتب ابن البريدى الى عسكره بحصن مهدى أن يدخلوا البصرة ويملكوها من يد ابن يزداد وأمدهم بجماعة من الحجرية فقصدوا البصرة وقاتلوا ابن يزداد فهزموه ولحق

بالكوفة وملك اقبال مولى ابن البريدى وأصحابه البصرة وكتب ابن رائق الى البريدى يتهدده ويأمره باخراج أصحابه من البصرة فلم يفعل

(استيلاء بجكم على الاهواز)

ولما امتنع ابن البريدى من الافراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحرشى وبجكم مولاه وأمرهم بالمقام بالجامدة فتقدم بجكم عن بدر وسار الى السوس وجاءته عساكر البريدى مع غلامه محمد الجمال فى ثلاثة آلاف ومع بجكم مائتان وسبعون من الترك فهزمهم بجكم ورجع محمد بن الجمال الى ابن البريدى فعاقبه على انهزامه وحشد له العسكر فسار فى ستة آلاف ولقيهم بجكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال وركب ابن البريدى السفن ومعه ثلثمائة ألف دينار فغرق أصحابه وماله ونجا الى البصرة وأقام بالابلة وبعث غلامه اقبالا فلقى جماعة من أصحاب ابن رائق فهزمهم وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستعطفه فأبى فطلبوا البصرة خلف ليحرقها ويقتل كل من فيها فرجعوا مستبصرين فى قتاله وأقام ابن البريدى بالبصرة واستولى بجكم على الاهواز ثم بعث ابن رائق جيشه فى البحر والبر فانهزم عسكر البر واستولى عسكر الماء على الكلاء فهرب ابن البريدى فى السفن الى جزيرة أوال وترك أخاه أبا الحسين فى عسكر بالبصرة فدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فسار ابن رائق من واسط واستولى بجكم على الاهواز وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم وسار ابن عبد الله ابن البريدى من أوال الى عماد الدولة بن بويه بفارس فاطمعه فى العراق وبعث معه أخاه معز الدولة الى الاهواز فسير اليها ابن رائق مولاه بجكم على أن يكون له الحرب والخراج وأقام ابن البريدى على البصرة وزحفت اليه عساكرهم فاعجلوه عن تقويض خيامه فأحرقها وسار الى الاهواز مجردا وسبقته عساكره الى واسط وأقام عند بجكم أياما وأشير عليه بحبسه فلم يفعل ورجع ابن رائق الى واسط

(استيلاء معز الدولة على الاهواز)

لما سار ابو عبد الله بن البريدى من جزيرة أوال الى عماد الدولة ابن بويه بفارس مستجيرا به من ابن رائق وبجكم ومستنجدا عليهم طمع عماد الدولة فى الاستيلاء على العراق فسير معه أخاه معز الدولة أحمد بن بويه فى العسكر ورهن ابن البريدى عنده ولديه أبا الحسين محمدا وأبا جعفر الفياض وسار بجكم للقائهم فلقيهم بارجان فانهزم امامهم وعاد الى الاهواز وخلف جيشا بعسكر مكرم فقاتلهم معز الدولة ثلاثة عشر يوما ثم انفضوا ولحقوا بتستر وملك معز الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين

وسار بجكم من الاهواز الى تستر وبلغ الخبر الى ابن رائق بواسط فسار الى بغداد وجاء بجكم من تستر الى واسط ولما استولى معز الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم ولقيهم أهل الاهواز وساروا معهم اليها فأقاموا شهرا ثم طلب معز الدولة من ابن البريدي عسكره الذي بالبصرة ليسير بهم الى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير فأحضر منهم أربعة آلاف ثم طلب من عسكره الذين بحصن مهدي ليسير بهم في الماء الى واسط فارتاب ابن البريدي وهرب الى البصرة وبعث الى عسكرها الذين ساروا الى أصبهان وكانوا متوقفين بالسوس فرجعوا اليه ثم كتب الى معز الدولة أن يفرج له عن الاهواز ليتمكن من الجباية والوفاء بما لاخيه عماد الدولة وكان قد ضمن له الاهواز والبصرة بثمانية عشر ألف ألف درهم فرحل معز الدولة الى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله الى الاهواز ثم بعث الى معز الدولة بان يتأخر الى السوس فأبى وعلم بجكم بحالهم فبعث جيشا استولوا على السوس وجندي سابور وبقيت الاهواز بيد ابن البريدي ومعز الدولة بعسكر مكرم وقد ضاقت أحوال جنده ثم بعث اليه أخوه عماد الدولة بالمدد فسار الى الاهواز وملكها ورجع ابن البريدي الى البصرة وبجكم في ذلك مقيم بواسط وقد صرف همه الى الاستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد وقد أنفذ له ابن رائق علي بن خلف طباب ليسيروا الى الاهواز ويخرجوا ابن بويه ويكون بجكم على الحرب وابن خلف على الخراج فلم يلتفت بجكم لذلك واستوزر على ابن خلف وبجكم في أحوال واسط ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد ادبار الاحوال أطمع ابن رائق في مصر والشأم وقال أنا أجبيهما لك وعقد بينه وبين ابن طغج صهرا وسار أبو الفتح الى الشأم في ربيع الآخر وشعر ابن رائق بمحاولة بجكم عليه فبعث الى ابن البريدي بالاتفاق على بجكم على أن يضمن ابن البريدي واسط بستمائة ألف فنهض بجكم الى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار الى البصرة فبعث اليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف فهزمهم بجكم وارتاع ابن البريدي لذلك ولم يكن قصد بجكم الا الالفة فقط والتضرع لابن رائق فبعث اليه بالمسالمة وان يقلده واسط اذا تم أمره فاتفقا على ذلك وصرف نظره الى أمر بغداد

* (وزارة ابن مقلة ونكبته) *

ولما انصرف أبو الفتح بن الفرات الى الشأم استوزر الراضي أبا علي بن مقلة على سنن من قبله والامر لابن رائق وابن مقلة كالعارية وكتب له في أمواله واملاكه فلم يردها فشرع في التدبير عليه فكتب الى ابن رائق بواسط ووشمكير بالري يطمع كلا منهما في مكانه وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه واستدعى بجكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار فاطمعه الراضي على كره فكتب هو الى بجكم

يستحثه وطلب من الراضي أن ينتقل الى دار الخلافة حتى يتم الامر فأذن له وحضر متنكرا آخر ليلة من رمضان سنة ست وعشرين فأمر الراضي باعتقاله واطلع ابن رائق من الغد على كتبه فشكر ذلك له ابن رائق وأمر بابن مقلة في منتصف شوال فقطع ثم عولج وبرئ وعاد الى السعي في الوزارة والتظلم من ابن رائق والدعاء عليه فأمر بقطع لسانه وحبسه الى أن مات

(استيلاء بجكم على بغداد)

لم يزل بجكم يظهر التبعية لابن رائق ويكتب على أعلامه وتراسه بجكم الرائقي الى أن وصله كتاب ابن مقلة بأن الراضي قلده امرة الامراء فطمع وكاشف ابن رائق ومحا نسبه اليه من اعلامه وسلاحه وسار من واسط الى بغداد في ذي القعدة سنة ست وعشرين وكتب اليه الراضي بالرجوع فأبى ووصل الى نهر ديالى وأصاب ابن رائق في غربيه فانهزموا وعبروا النهر سبحا وسار ابن رائق الى عكبرا ودخل بجكم بغداد منتصف ذي القعدة ولقي الراضي من الغد وولاه أمير الامراء وكتب عن الراضي الى القواد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا وعاد ابن رائق الى بغداد فاختفى بها لسنة واحد عشر شهرا من امارته ونزل بجكم بدار مؤنس واستقر ببغداد متحكما في الدولة مستبدا على الخليفة

(دخول اذربيجان في طاعة وشمكير)

كان من عمال وشمكير على أعمال الجبل السيكرى بن مردى وكان مجاورا الاعمال اذربيجان وعليها يومئذ ديسم بن ابراهيم الكردى من أصحاب ابن أبي الساج فحدثت السيكرى نفسه بالتغلب عليها فجمع وسار اليها وخرج اليه ديسم فانهزم فاستولى على سائر بلاده الا أردبيل وهي كرسي اذربيجان فحاصرها السيكرى وضيق حصارها فراسلوا ديسم بالمشي لقتال السيكرى من ورائه ففعل وجاء يوم قتالهم من خلف فانهزم السيكرى الى موقان فأعانه اصبهبدها ابن دوالة وسار معه نحو ديسم فانهزم ديسم وقصد وشمكير بالري واستمده على أن يدخل في طاعته ويضمن له مالا في كل سنة فأجابه وبعث معه العسكر وبعث أصحاب السيكرى الى وشمكير بأنهم على الطاعة وشعر بذلك السيكرى فسار في خاصته الى أرمينية واكتسح في نواحيها ثم سار الى الزوزان من بلاد الارمن فاعترضوه وقتلوه ومن معه ورجع فلهم وقد ولوا عليهم سان بن السيكرى وقصدوا بلد طرم الارمني ليثأروا منهم بأصحابهم فقاتلهم طرم وأثخن فيهم وساروا الى ناصر الدولة بن حمدان وانحدر بعضهم الى بغداد وكان على المعادن باذربيجان

الحسين بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة فطلبه الى الموصل أصحاب العسكرى مع ابنه بعثهم ابن عمه باذربيجان لقتال ديسم فلم تكن لهم به طاقة ورجع الى الموصل واستولى ديسم على اذربيجان فى طاعة وشمكير

* (ظهور ابن رائق ومسيره الى الشأم) *

وفى سنة سبع وعشرين وثلثمائة سار بحكم الى الموصل وديار ربيعة بسبب ان ناصر الدولة بن حمدان أخر المال الذى عليه من ضمان البلاد فأقام الراضى بتكريت وسار بحكم ولقيه ناصر الدولة على ستة فراسخ من الموصل فانهزم واتبعه بحكم الى نصيبين ثم الى آمد وكتب الى الراضى بالفتح فسار من تكريت فى الماء الى الموصل وفارقه جماعة من القرامطة كانوا فى عسكره وكان ابن رائق يكاتبهم من مكان اكتنانه فلما وصلوا بغداد خرج ابن رائق اليهم واستولى عليها وطار الخبر الى الراضى فأصعد من الماء وسار الى الموصل وكتب الى بحكم بذلك فرجع عن نصيبين بعد ان استولى عليها وشرع أهل العسكر يتسللون الى بغداد فأهم ذلك بحكم ثم جاءت رسالة ابن حمدان فى الصلح وتعجيل خمسمائة ألف درهم فأجابوه وقرره ورجعوا الى بغداد ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد رسولا عن ابن رائق فى الصلح على أن يقلده الراضى طريق الفرات وديار مضر حران والرها وما جاورها وجندى قنسرين والعواصم فأجابه الراضى وقلده وسار الى ولايته فى ربيع الآخر وكان بحكم قد استناب بعض قواد الاتراك على الانبار واسمه بالبان وطلب تقليده طريق الفرات فتقلد وسار الى الرحبة ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على بحكم فسار اليه غازيا وكبسه بالرحبة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره فظفر به وأدخله بغداد على جمل وحبسه وكان آخر العهد به

* (وزارة ابن البريدى) *

قد تقدم لنا مسير الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الى الشأم ولما سار استناب بالحضرة عبد الله بن على البصرى وكان بحكم قد قبض على وزيره خلف بن طباب واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد فسعى فى وزارة ابن البريدى لبحكم حتى تم ذلك ثم ضمن ابن البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة ثم جاء الخبر بموت ابى الفتح بن الفرات بالرملة فسعى أبو جعفر بن شيرزاد فى وزارة أبى عبد الله للخليفة فعقد له الراضى بذلك واستخلف بالحضرة عبد الله بن على البصرى كما كان مع أبى الفتح

* (مسير ركن الدولة الى واسط ورجوعه عنها) *

لما استقر ابن البريدى بواسط بعث جيشا الى السوس وبها أبو جعفر الظهيرى وزير معز

الدولة أحمد بن بويه ومعز الدولة بالاهواز فتحصن أبو جعفر بقلعة السوس وعاث الجيش فى نواحيها وكتب معز الدولة الى أخيه ركن الدولة وهو على اصطخر قد جاء من اصبهان لما غلبه وشمكير عليها فلما جاء كتاب أخيه معز الدولة سار محمد الى السوس وقد رجع عنه جيش بن البريدى ثم سار الى واسط يحاول ملكها فنزل فى جانبها الشرقى وابن البريدى فى الجانب الغربى واضطرب عسكر ابن بويه واستأمن جماعة منهم الى ابن البريدى ثم سار الراضى وبجكم من بغداد الى واسط للامداد فرجع ركن الدولة الى الاهواز ثم الى رامهرمز وبلغه أن وشمكير قد أنفذ عسكره مددا لما كان بن كالى وان اصبهان خالية فسار اليها من رامهرمز وأخرج من بقى منها من أصحاب وشمكير وملكها فاستقر بها

(مسير بجكم الى بلاد الجبل وعوده الى واسط واستيلاؤه عليها)

كان بجكم قد أرسل ابن البريدى وصاهره واتفقا على أن يسير بجكم الى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمكير وأبو عبد الله بن البريدى الى الاهواز لأخذها من يد معز الدولة ابن بويه فسار بجكم الى حلوان وبعث اليه ابن البريدى بخمسمائة رجل مددا وبعث بجكم بعض أصحابه الى ابن البريدى يستحثه الى السوس والاهواز فأقام يماطله ويدافعه وبين له أنه يريد مخالفة بجكم الى بغداد فكتب اليه بذلك فرجع عن قصده الى بغداد وعزل ابن البريدى من الوزارة وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين بن مخلد وقبض على ابن شيرزاد الذى كان ساعيا له وتجهز الى واسط وانحدر فى الماء آخر ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وبعث عسكرا فى البر وبلغ الخبر ابن البريدى فسار عن واسط الى البصرة واستولى عليها بجكم وملكها

(استيلاء ابن رائق على الشأم)

قد تقدم لنا مسير ابن رائق الى ديار مضر وثغور قنسرين والعواصم فلما استقر بها حدثته نفسه بملك الشأم فسار الى حمص فملكها ثم سار الى دمشق وبها بدر بن عبد الله الاخشيذى ويلقب بدير فملكها من يده ثم سار الى الرملة ومنها الى عريش مصر يريد ملك الديار المصرية ولقيه الاخشيذ محمد بن طغج وانهزم أولا وملك أصحاب ابن رائق خيامه ثم خرج كمين الاخشيذ فانهزم ابن رائق الى دمشق وبعث الاخشيذ فى أثره أخاه أبا نصر بن طغج وسار اليهم ابن رائق من دمشق فهزمهم وقتل أبو نصر فكفنه ابن رائق وحمله مع ابنه مزاحم الى أخيه الاخشيذ بمصر وكتب يعزيه ويعتذر فأكرم الاخشيذ مزاحما واصطلح مع أبيه على أن تكون مصر للاخشيذ من حد الرملة وما

وراءها من الشأم لابن رائق ويعطى الاخشيذ عن الرملة فى كل سنة مائة وأربعين ألف دينار

(الصوائف ايام الراضى)

وفى سنة ثنتين وعشرين سار الدمستق الى سميساط فى خمسين ألفا من الروم ونازل ملطية وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها بالامان وبعثهم الى مأمنهم مع بطريق من بطارقته وتنصر الكثير منهم محبة فى أهليهم وأموالهم ثم افتتحوا سميساط وخربوا أعمالها وأخشوا فى اسطوله فى البحر ففتحوا بلد جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا باهلها ثم مروا بقرقيسيا من ساحل الشأم فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين وفى سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم فى ذى القعدة على يد ابن ورقاء الشيبانى البريدى فى ستة آلاف وثلثمائة أسير

*(الولايات أيام الراضى والقاهر قبله)

قد تقدم لنا أنه لم يبق من الاعمال فى تصريف الخلافة لهذا العهد الا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة وذكرنا استيلاء بنى بويه على فارس واصبهان وشمكير على بلاد الجبل وابن البريدى على البصرة وابن رائق على واسط وان عماد الدولة بن بويه على فارس وركن الدولة أخوه يتنازع مع وشمكير على اصبهان وهمذان وقم وقاشان والكرج والرى وقزوين واستولى معز الدولة أخوهما على الاهواز وعلى كرمان واستولى ابن البريدى على واسط وسار ابن رائق الى الشأم فاستولى عليها وفى سنة ثلاث وعشرين قلد الراضى ابنيه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب وفى سنة احدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الخاصكى بمصر وكان أميرا عليها وولى القاهر مكانه ابنه محمدا وثار به الجند فظفر بهم وفيها وقعت الفتنة بين بنى ثعلب وبنى أسد ومعهم طيئ وركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ومعه أبو الاعز بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم فوقعت ملاحاة قتل فيها أبو الاعز على يد رجل من ثعلب فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم الى الحديثة فلقيهم يانس غلام مؤنس واليا على الموصل فانضم اليه بنو ثعلب وبنو أسد وعادوا الى ديار ربيعة وفى سنة أربع وعشرين قلد الراضى محمد بن طغج أعمال مصر مضافا الى ما بيده من الشأم وعزل عنها أحمد بن كيغلغ

(وفاة الراضى وبيعة المتقى)

وفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة توفى الراضى أبو العباس أحمد بن المقتدر فى ربيع الاول منها لسبع سنين غير شهر من خلافته ولما مات أحضر بجكم ندماءه وجلساءه لينتفع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لعجمته وكان آخر خليفة خطب على المنبر

وان خطب غيره فنادر وآخر خليفة جالس السمر وواصل الندماء ودولته آخر دول الخلفاء فى ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجاب وكان بجكم يوم وفاته غائبا بواسط حين ملكها من يد ابن البريدى فانتظر فى الامور وصول مراسمه فورد كتابه مع كاتبه أبى عبد الله الكوفى يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين والقضاة والعلويين والعباسيين ووجوه البلد عند الوزير أبى القاسم سليمان بن الحسن ويشاورهم الكوفى فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضى مذهبه وطريقته فاجتمعوا وذكروا ابراهيم بن المقتدر واتفقوا عليه وأحضروه من الغد وبايعوا له آخر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وعرضت عليه الالقاب فاختار المتقى لله وأقر سليمان على وزارته كما كان والتدبير كله للكوفى كاتب بجكم وولى سلامة الطولونى على الحجبة

(مقتل بجكم)

كان أبو عبد الله البريدى بعد هربه الى البصرة من واسط أنفذ جيشا الى المذار فبعث الى لقائهم جيشا من واسط عليهم توزون انتخب له الكرة فظفر بجيش ابن البريدى ولقى بجكم خبره فى الطريق فسر بذلك وذهب يتصيد فبلغ نهر جور وعثر فى طريقه ببعض الاكراد فشره لغزوهم وقصدهم فى خف من أصحابه وهربوا بين يديه وهو يرشقهم بسهامه وجاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله واختلف عسكره فمضى الديلم فكانوا الفا وخمسمائة الى ابن البريدى وقد كان عزم على الهرب من البصرة فبعث لقدومهم وضاعف أرزاقهم وأدرها عليهم وذهب الاتراك الى واسط وأطلقوا بكتيك من حبسه وولوه عليهم فسار بهم الى بغداد فى خدمة المتقى وحصر ما كان فى دار بجكم من الاموال والدواوين فكانت ألف ألف ومائتا ألف دينار ومدة امارته سنتان وثمانية أشهر

(امارة البريدى ببغداد وعوده الى واسط)

لما قتل بجكم قدم الديلم عليهم بكشوار بن ملك بن مسافر ومسافر هو ابن سلار وصاحب الطرم الذى ملك ولده بعده اذربيجان وقاتلهم الاتراك فقتلوه فقدم الديلم عليهم مكانه كورتكين منهم وقدم الاتراك عليهم بكتيك مولى بجكم وانحدر الديلم الى أبى عبد الله بن البريدى فقوى بهم واصعدوا الى واسط وأرسل المتقى اليهم مائة وخمسين ألف دينار على أن يرجعوا عنها ثم قسم فى الاتراك فى أجناد بغداد أربعمائة ألف دينار من مال بجكم وقدم عليهم سلامة الطولونى وبرز بهم المتقى الى نهر ديالى آخر شعبان سنة ست وعشرين وسار ابن البريدى من واسط فأشفق أتراك بجكم ولحق بعضهم بابن البريدى وسار آخرون الى الموصل منهم توزون وجحجح واختفى سلامة الطولونى وأبو عبد الله الطولونى ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد أول رمضان ونزل بالشفيعى ولقيه الوزير

أبو الحسين بن ميمون والكتاب والقضاة وأعيان الناس وبعث اليه المتقى بالتهنئة والطعام وكان يخاطب بالوزير ثم قبض على الوزير أبى الحسين لشهرين من وزارته وحبسه بالبصرة وطلب من المتقى خمسمائة ألف دينار للجند وهدده بما وقع للمعتز والمستعين والمهتدى فبعث بها اليه ولم يلقه مدة مقامه ببغداد ولما وصله المال من المتقى شغب الجند عليه فى طلبه وجاء الديلم الى دار لاخيه ابى الحسين ثم انضم اليهم الترك وقصدوا دار أبى عبد الله فقطع الجسر ووثب العامة على أصحابه وهرب هو وأخوه وابنه أبو القاسم وأصحابهم وانحدروا الى واسط وذلك سلخ رمضان لاربعة وعشرين يوما من قدومه

(امارة كورتكين الديلمى)

ولما هرب ابن البريدى استولى كورتكين على الامور ببغداد ودخل الى المتقى فقلده امارة الامراء وأحضر على بن عيسى واخاه عبد الرحمن فدبرا الامور ولم يسمهما بوزارة واستوزر أبا اسحق محمد بن أحمد الاسكافى القراريطى وولى على الحجبة بدرا الجواشينى ثم قبض كورتكين على بكتيك مقدم الاتراك خامس شوال وغرقه واقتتل الاتراك والديلم وقتل بينهما خلق وانفرد كورتكين بالامر وقبض على الوزير أبى اسحق القراريطى لشهر ونصف من وزارته وولى مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى

(عود ابن رائق الى بغداد))

قد تقدم لنا أن جماعة من أتراك بجكم لما انفضوا عن المتقى ساروا الى الموصل ثم ساروا منها الى ابن رائق بالشام وكان من قوادهم تورون وجحجح وكورتكين وصيقوان فأطمعوه فى بغداد ثم جاءته كتب المتقى يستدعيه فسار آخر رمضان واستخلف بالشأم أبا الحسن أحمد بن على بن مقاتل وتنحى ناصر الدولة بن حمدان على طريقه ثم حمل اليه مائة ألف دينار وصالحه وبلغ الخبر الى أبى عبد الله بن البريدى فبعث اخوته الى واسط وأخرج الديلم عنها وخطبوا له بها وخرج كورتكين عن بغداد الى عكبرا فقاتله ابن رائق أياما ثم أسرى له ليلة عرفة فأصبح ببغداد من الجانب الغربى ولقى الخليفة وركب معه فى دجلة ووصل كورتكين آخر النهار فركب ابن رائق لقتاله وهو وجل واعتزم على العود الى الشأم ثم طائفة من عسكره ليعبروا دجلة ويأتوا من ورائهم وصاحت العامة مع ابن رائق بكورتكين وأصحابه ورجموهم فانهزموا واستأمن منهم نحو أربعمائة فقتلوا وقتل قواده وخلع المتقى على ابن رائق وولاه أمير الامراء وعزل الوزير أبا جعفر الكرخى لشهر من ولايته وولى مكانه أحمد الكوفى وظفر بكورتكين فحبسه بدار الخلافة

*(وزارة ابن البريدى واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقى الى الموصل) *

لما استقر ابن رائق فى امارة الامراء بدمشق ببغداد أخر ابن البريدى حمل المال من واسط فانحدر اليه فى العساكر فى عاشوراء من سنة ثلاثين وهرب بنو البريدى الى البصرة ثم سعى أبو عبد الله الكوفى بينهم وبين ابن رائق وضمن واسط بستمائة ألف دينار وبقاياها بمائتى ألف ورجع ابن رائق الى بغداد فشغبت عليه الجند وفيهم توزون وأصحابه ثم انفضوا آخر ربيع الى أبى عبد الله بواسط فقوى بهم وذهب ابن رائق الى مداراته فكاتبه بالوزارة واستخلف عليها أبا عبد الله بن شيرزاد ثم انتقض واعتزم على المسير الى بغداد فى جميع الاتراك والديلم وعزم ابن رائق على التحصن بدار الخلافة ونصب عليها المجانيق والعرادات وجند العامة فوقع الهرج وخرج بالمتقى الى نهر ديالى منتصف جمادى الآخرة وأتاهم أبو الحسين فى الماء والبر فهزمهم ودخل دار الخلافة وهرب المتقى وابنه أبو منصور وابن رائق الى الموصل لستة أشهر من امارته واختفى الوزير القراريطى ونهبت دار الخليفة ودور الحرم وعظم الهرج وأخذ كورتكين من محبسه فأنفذ الى واسط ولم يتعرضوا للقاهر وكان نزل أبو الحسن بدار الخلافة وجعل توزون على الشرطة بالجانب الغربى وأخذ رهائن القواد توزون وغيره وبعث بنسائهم وأولادهم الى أخيه عبد الله بواسط وعظم النهب ببغداد وتركت دورهم وفرضت المكوس فى الاسواق خمسة دنانير على الكر فغلت الاسعار وانتهى الى ثلثمائة دينار الكر وجاءت ميرة من الكوفة وأخذت فقيل انها العامل الكوفة وأخذها عامل بغداد وكان معه جماعة من القرامطة فقاتلهم الاتراك وهزموهم ووقعت الحرب بين العامة والديلم فقتل خلق من العامة واختفى العمال لمطاولة الجند الى الضواحى ينتهبون الزرع بسنبله عند حصاده وساءت أحوال بغداد وكثرت نقمات الله فيهم

*(مقتل ابن رائق وولاية ابن حمدان مكانه) *

كان المتقى قد بعث الى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على ابن البريدى عندما قصد بغداد فأمده بعسكر مع أخيه سيف الدولة فلقيه بتكريت منهزما ورجع معه الى الموصل وخرج ناصر الدولة عن الموصل حتى حلف له ابن رائق واتفقا بجاء وتركه شرقى دجلة وعبر اليه أبو منصور بن المتقى وابن رائق فبالغ فى تكرمتهما فلما ركب ابن المتقى قال لابن رائق أقم نتحدث فى رأينا فذهبا الى الاعتذار وألح عليه ناصر الدولة فاستراب وجذب يده وقصد الركوب فسقط فأمر ناصر الدولة بقتله والقائه فى دجلة وبعث الى المتقى بالعذر وأحسن القول وركب اليه فولاه أمير الامراء ولقبه ناصر الدولة وذلك مستهل شعبان من سنة ثلاثين وخلع على أخيه أبى الحسن ولقبه بسيف الدولة فلما قتل ابن

رائق سار الاخشيذ من مصر الى دمشق وبها محمد بن يزداد من قبل ابن رائق فاستأمن اليه وملك الاخشيذ دمشق وأقر ابن يزداد عليها ثم نقله الى شرطة مصر

(عود المتقى الى بغداد وفرار البريدى)

لما استولى أبو الحسين البريدى على بغداد وأساء السيرة كما مر امتلأت القلوب منه نفرة فلما قتل ابن رائق أخذ الجند فى الفرار عنه والانتقاض عليه ففر بجكم الى المتقى واعتزم توزون وأنوش تكين والاتراك على كبس أبى الحسين البريدى وزحف توزون لذلك فى الديلم فخالفه أنوش تكين فى الاتراك فذهب توزون الى الموصل فقوى بهم ابن حمدان والمتقى وانحدروا الى بغداد وولى ابن حمدان على أعمال الخراج والضياع بديار مضر وهى الرها وحران ولقيا أبا الحسن أحمد بن على بن مقاتل فاقتتلوا وقتل ابن مقاتل واستولى ابن طباب عليها ولما وصل المتقى وابن حمدان الى بغداد هرب أبو الحسين ابن البريدى منها الى واسط لثلاثة أشهر وعشرين يوما من دخوله واضطربت العامة وكثر النهب ودخل المتقى وابن حمدان فى العساكر فى شوال من السنة وأعاد أبا اسحق القراريطى الى الوزارة وولى توزون على الشرطة ثم سار اليهم أبو الحسين البريدى فخرج بنو حمدان للقائهم وانتهوا الى المدائن فأقام بها ناصر الدولة وبعث أخاه سيف الدولة وابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فاقتتلوا عنده أياما وانهزم سيف الدولة أولا ثم أمدهم ناصر الدولة بالقواد الذين كانوا معه وبجكم بالاتراك وعاودوا القتال فانهزم أبو الحسين الى واسط وأقصر سيف الدولة عن اتباعه لما أصاب أصحابه من الوهن والجراح وعاد ناصر الدولة الى بغداد منتصف ذى الحجة ثم سار سيف الدولة الى واسط وهرب بنو البريدى عنها الى البصرة فملكها وأقام بها

(استيلاء الديلم على اذربيجان)

كانت اذربيجان بيد ديسم بن ابراهيم الكردى من أصحاب يوسف بن أبى الساج وكان أبوه من أصحاب هرون الشارى من الخوارج ولما قتل هرون لحق باذربيجان وشرد فى الاكراد فولد له ديسم هذا فكبر وخدم ابن أبى الساج وتقدم عنده الى أن ملك بعدهم اذربيجان وجاء السيكرى خليفة وشمكير فى الجبل سنة ست وعشرين وغلبه على اذربيجان ثم سار هو الى وشمكير وضمن له طاعة ومالا واستمده فأمده بعسكر من الديلم وساروا معه فغلب السيكرى وطرده وملك البلاد وكان معظم جيشه الاكراد فتغلبوا على بعض قلاعه فاستكثر من الديلم وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما فاستظهر بهم وانتزع من الاكراد ما تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وكان وزيره أبو القاسم على بن جعفر قد ارتاب منه فهرب الى الطرم وبها محمد بن مسافر

من أمراء الديلم وقد انتقض عليه ابناه وهشودان والمرزبان واستوليا على بعض قلاعه ثم قبضا على أبيهما محمد وانتزعا أمواله وذخائره وتركاه فى حصنه سليبا فريدا فقصد على بن جعفر المرزبان وأطمعه فى أذربيجان فقلده وزارته وكانت نحلتهما فى التشيع واحدة لان على بن جعفر كان من الباطنية والمرزبان من الديلم وهم شيعة وكاتب على ابن جعفر أصحاب ديسم واستمالهم واستفسدهم عليه وخصوصا الديلم ثم التقتوا للحرب وجاء الديلم الى المرزبان واستأمن معهم كثير من الاكراد وهرب ديسم فى قل من أصحابه الى أرمينية واستجار بحاجق بن الديوانى فأجاره وأكرمه وندم على مافرط فى ابعاد الاكراد وهم على مذهبه فى الخارجية وملك المرزبان اذربيجان واستولى عليها ثم استوحش منه على بن جعفر وزير ديسم وتنكر له أصحاب المرزبان فأطمعه المرزبان فأخذ أموالهم وحملهم على طاعة ديسم وقتل الديلم عندهم من جند المرزبان ففعلوا وجاء ديسم فملكها وفر اليه من كان عند المرزبان حتى اشتد عليه الحصار واستصلح أثناء ذلك الوزير على بن جعفر ثم خرجوا من توزير ولحق ديسم باردبيل وجاء على بن جعفر الى المرزبان ثم حاصر المرزبان اردبيل حتى نزل له ديسم على الامان وملكها اصلحا وملك توزير كذلك ووفى له ثم طلب ديسم أن يبعثه الى قلعته بالطرم فبعثه بأهله وولده وأقام هنالك

(خبر سيف الدولة بواسط)

لما فر بنو البريدى عن واسط الى البصرة ونزل بها سيف الدولة أراد الانحدار خلفهم لانتزاع البصرة منهم واستمد أخاه ناصر الدولة فأمده بمال مع أبى عبد الله الكوفى وكان تورون وجحجج يستطيلان عليه فأراد الاستئثار بالمال فرده سيف الدولة مع الكوفى الى أخيه وأذن لتورون فى مال الجامدة ولجحجج فى مال المدار وكان من قبل يراسل الاتراك وملك الشام ومصر معه فلا يجيبونه ثم ثاروا عليه فى شعبان من سنة احدى وثلاثين فهرب من معسكره ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه وكان ناصر الدولة لما أخبره أبو عبد الله الكوفى بخبر أخيه فى واسط برز يسير الى الموصل وركب اليه المتقى يستمهله فوقف حتى عاد وأغذ السير لثلاثة عشر شهرا من امارته فثار الديلم والاتراك ونهبوا داره ودبر الامور أبو اسحق القراريطى من غير لقب الوزارة وعزل أبو العباس لاصبهانى لاحد وخمسين يوما من وزارته ثم تنازع الامارة بواسط بعد سيف الدولة تورون وجحجج واستقر الحال أن يكون تورون أميرا وجحجج صاحب الجيش ثم طمع ابن البريدى فى واسط واصعد اليها وطلب من تورون أن يضمنه اياها فرده ردا جميلا وكان قد سار جحجج لمدافعته فمر به الرسول فى طريقه وحادثه طويلا وسعى الى تورون

بأنه لحق بابن البريدى فأسرى اليه وكبسه منتصف رمضان فقبض عليه وجاء به الى واسط فسمله وبلغ الخبر الى سيف الدولة وكان لحق بأخيه فعاد الى بغداد منتصف رمضان وطلب المال من المتقى لمدافعة توزون فبعث أربعمائة ألف درهم وفرّقها فى أصحابه وظهر له من كان مستخفيا ببغداد وجاء توزون من واسط بعد ان تخلف بها كيغلغ فلما أحس به سيف الدولة رحل فمن انضم اليه من أجناد واسط وفيهم الحسن ابن هرون وسار الى الموصل ولم يعاود بنو حمدان بعدها بغداد

(امارة توزون ثم وحشته مع المتقى)

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها توزون آخر رمضان سنة احدى وثلاثين فولاه المتقى أمير الامراء وجعل النظر فى الوزارة لابى جعفر الكرخى كما كان الكوفى ولما سار توزون عن واسط خالفه اليها البريدى فملكها ثم انحدر توزون أول ذى القعدة لقتال البريدى وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار فى المراكب الى البصرة وحارب ابن البريدى حتى أشرفوا على الهلاك ثم احترقت مراكب عمان بحيلة دبرها بعض الملاحين ونهب منها مال عظيم ورجع يوسف بن وجيه مهزوما فى المحرم سنة ثنتين وثلاثين وهرب فى هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون فاشتمل عليه وكان توزون عند اصعاده من بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان ثم تنكر له فارتاب محمد وارتاب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من توزون خافا غائلته وخوفا المتقى كذلك وأوهماه أن البريدى ضمنه من توزون بخمسمائة ألف دينار التى أخذها من تركة بجكم وأن ابن شيرزاد جاء عن البريدى ليخلعه ويسلمه فانزعج لذلك وعزم على المسير الى ابن حمدان وكتبوا اليه أن ينفذ عسكرا يسير بصحبته

(مسير المتقى الى الموصل)

ولما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتوزون مع المتقى اتفق وصول ابن شيرزاد الى بغداد أول ثنتين وثلاثين فى ثلثمائة فارس وأقام بدست الامر والنهى لا يعرج على المتقى فى شئ وكان المتقى قد طلب من ناصر الدولة بن حمدان عسكرا يصحبه الى الموصل فبعثهم ابن عمه ابو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فلما وصلوا بغداد اختفى ابن شيرزاد وخرج المتقى اليهم فى حرمه وولده ومعه وزيره وأعيان دولته مثل سلامة الطولونى وأبى زكريا يحيى بن سعيد السوسى وأبى محمد الماردانى وأبى اسحق القراريطى وأبى عبد الله الموسوى وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وأبى نصر بن محمد بن ينال الترجمان وساروا الى تكريت وظهر ابن شيرزاد فى بغداد وظلم الناس وصادرهم وبعث الى توزون فى واسط بخبر المتقى فعقد ضمان واسط على ابن البريدى وتزوج ابنته وسار الى

بغداد وجاء سيف الدولة الى المتقى بتكريت ثم بعث المتقى الى ناصر الدولة يستحثه فوصل اليه فى ربيع الآخر وركب المتقى من تكريت الى الموصل وأقام هو بتكريت وسار توزون لحربه فتقدم اليه أخوه سيف الدولة فاقتتلوا أياما ثم انهزم سيف الدولة وغنم توزون سواده وسواد أخيه ولحقوا بالموصل وتوزون فى اتباعهم ثم ساروا عنها مع المتقى الى نصيبين ودخل توزون الموصل ولحق المتقى بالرقة وراسل توزون بأن وحشته لاجل ابن البريدى وان رضاه فى اصلاح بنى حمدان فصالحهما توزون وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم لكل سنة وعاد توزون الى بغداد وأقام المتقى وبنو حمدان بالرقة

(مسير ابن بويه الى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها)

كان معز الدولة بن بويه بالاهواز وكان ابن البريدى يطمعه فى كل وقت فى ملك العراق وكان قد وعده أن يمده واسط فلما أصعد توزون الى الموصل خالفه معز الدولة الى واسط وأخلف ابن البريدى وعده فى المدد وعاد توزون من الموصل الى بغداد وانحدر منها للقاء معز الدولة منتصف ذى القعدة من سنة ثنتين وثلاثين واقتتلوا بقباب حميد بضعة عشر يوما ثم تأخر توزون الى نهر ديالى فعبره ومنع الديلم من عبوره بمن كان معه من المقاتلة فى الماء وذهب ابن بويه ليصعد ويتمكن من الماء فبعث توزون بعض أصحابه فعبروا ديالى وكمنوا له حتى اذا صار مصعدا خرجوا عليه على غير أهبة فانهزم هو ووزيره الصيمرى وأسر منهم أربعة عشر قائدا واستأمن كثير من الديلم الى توزون ولحق ابن بويه والصيمرى بالسوس ثم عاد الى واسط ثانية فملكها ولحق أصحاب بنى البريدى بالبصرة

(قتل ابن البريدى أخاه ثم وفاته)

كان أبو عبد الله بن البريدى قد استهلك أمواله فى هذه النوائب التى تنوبه واستقرض من أخيه أبى يوسف مرة بعد مرة وكان أثرى منه ومال الجند اليه لثروته وكان يعيب على أخيه تبذيره وسوء تدبيره ثم نمى الخبر اليه أنه يريد المكر به والاستبداد بالامر وتنكر كل واحد منهما للآخر ثم أكمن أبو عبد الله غلمانه فى طريق أبى يوسف فقتلوه وشغب الجند لذلك فأراهم شلوه فافترقوا ودخل دار أخيه وأخذ ما فيها من الاموال وجواهر نفيسة كان باعها له بخمسين ألف درهم وكان أصلها لبجكم وهبها لبنته حين زوجها له وأخذها بجكم من دار الخلافة فاحتاج اليها أبو عبد الله بعد فباعها له وبخسه أبو يوسف فى قيمتها وكان ذلك من دواعى العداوة بينهما ثم هلك أبو عبد الله بعد مهلك أخيه بثمانية أشهر وقام بالامر بعده بالبصرة أخوهما أبو الحسن فأساء السيرة فى الجند فثاروا به ليقتلوه فهرب منهم الى هجر مستجيرا بالقرامطة وولوا عليهم بالبصرة

أبا القاسم ابن أخيه أبى عبد الله وأمدّ أبو طاهر القرمطى أبا الحسن وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم وأصلحوا بين أبى القاسم وعمه ودخل البصرة وسار منها الى توزون ببغداد ثم طمع يأنس مولى أبى عبد الله فى الرياسة وداخل بعض قوّاد الديلم فى الثورة بأبى القاسم واجتمع الديلم الى القائد وبعث أبو القاسم اليه يأنس فهمّ به ليفرد بالامر فهرب يأنس واختفى وتفرق الديلم واختفى القائد ثم قبض عليه ونفاه وقبض على يأنس بعد أيام وصادره على مائة ألف دينار وقتله ولما قدم أبو الحسين البريدى الى بغداد مستأمنا الى توزون فأمنه وطلب الامداد على ابن أخيه وبذل فى ذلك أموالا ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالاموال فأقره على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن توزون فى ابن شيرازد الى أن قبض عليه وضرب واستظهر أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى بفتاوى الفقهاء والقضاة باباحة دم أبى الحسين كانت عنده من ايام ناصر الدولة وأحضروا بدار المتقى وسئلوا عن فتاويهم فاعترفوا بأنهم أفتوا بها فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره وكان ذلك منتصف ذى الحجة من السنة وكان ذلك آخر أمر البريديين

(الصوائف أيام المتقى)

خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقى وانتهوا الى قرب حلب فعاثوا فى البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاث فى بلاد الروم وامتلأت أيدى عسكره من الغنائم وأسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين بعث ملك الروم الى المتقى يطلب منه منديلا فى بيعة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت فيه صورته وأنه يطلق فيه عددا كثيرا من أسرى المسلمين واختلف الفقهاء والقضاة فى اسعافه بذلك وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الاسر فأشار عليه على ابن عيسى باسعافه لخلاص المسلمين فأمر المتقى بتسليمه اليهم وبعث الى ملك الروم من يتسلم الاسرى وفى سنة ثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس فى البحر الى نواحى أذربيجان ودخلوا فى نهر الكر الى بردعة وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان فخرج فى جموع الديلم والمطوعة فقتلوهم وقاتلوهم فهزمهم الروس وملكوا البلد وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها ورماهم بعض العامة بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقى وغنموا أموالهم واستبدّوا بأولادهم ونسائهم واستنفر المرزبان الناس وزحف اليهم فى ثلاثين ألفا فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل أميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان وصابرهم ثم جاءه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد

ابن حمدان بلغ سلماس موجها الى أذربيجان بعثه اليها ابن عمه ناصر الدولة ليتملكها فجهز عسكرا لحصار الروس فى بردعة وسار الى قتال ابن حمدان فارتحل ابن حمدان راجعا الى ابن عمه باستدعائه بالانحدار الى بغداد لممات تورون وأقام العسكر على حصار الروس ببردعة حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه وطهر الله البلد منهم وفيها ملك الروم رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب ففارقوها

(الولايات أيام المتقى)

قد تقدم لنا انه لم يبق فى تصريف الخليفة الا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة والموصل لبنى حمدان واستولى معز الدولة على الاهواز ثم على واسط وبقيت البصرة بيد أبى عبد الله بن البريدى ثم استولى على بغداد مع المتقى بحكم ثم ابن البريدى ثم تورتكين الديلمى ثم ابن رائق ثانية ثم ابن البريدى ثانية ثم حمدان ثم تورون يختلفون على المتقى واحدا بعد واحد وهو مغلب لهم والحل والعقد والابرام والنقض بأيديهم ووزير الخليفة عامل من عمالهم متصرف تحت أحكامهم وآخر من دبر الامور أبو عبد الله الكوفى كاتب تورون وكان قبله كاتب ابن رائق وكان على الجبة بدر بن الجرسى فعزل عنها سنة ثلاثين وجعل مكانه سلامة الطولونى وولى بدر طريق الفرات فنزع الى الاخشيذ واستأمن اليه فولاه دمشق وكان من المستبدين فى النواحى يوسف ابن وجيه وكان صاحب الشرطة ببغداد أبا العباس الديلمى

(خلع المتقى وولاية المستكفى)

لم يزل المتقى عند بنى حمدان من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وثلاثين الى آخر السنة ثم آنس منهم الضجر واضطر لمراجعة تورون فأرسل اليه الحسن بن هرون وأبا عبد الله ابن أبى موسى الهاشمى فى الصلح وكتب الى الاخشيذ محمد بن طغج صاحب مصر يستقدمه فجاءه وانتهى الى حلب وبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة فارتحل عنها وتخلف عنه ابن مقاتل وقد كان صادره ناصر الدولة على خمسين ألف دينار فاستقدم الاخشيذ وولاه خراج مصر وسار الاخشيذ من حلب ولقى المتقى بالرقة وأهدى اليه والى الوزير بن الحسين بن مقلة وسائر الحاشية واجتهد به أن يسير معه الى مصر ليقيم خلافته هنالك فأبى لخوفه من تورون فلم يقبل وأشار على ابن مقلة أن يسير معه الى مصر فيحكمه فى البلاد فأبى وكانوا ينتظرون عود رسلهم من تورون فبعثوا اليهم بيمين تورون والوزير ابن شيرزاد بمحضر القضاة والعدول والعباسيين والعلويين وغيرهم من طبقات الناس وجاء الكتاب بخطوطهم بذلك

وتأكيد اليمين ففارق المتقى الاخشيذ وانحدر من الرقة فى الفرات آخر المحرم سنة ثلاث وثلاثين ولقيه تورون بالسندية فقبل الارض وقال قد وفيت بيمينى ووكل به وبأصحابه وأنزله فى خيمته ثم سمله لثلاث سنين ونصف من خلافته وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفى فبايعه الناس على طبقاتهم ولقب المستكفى وجىء بالمتقى فبايعه وأخذت منه البردة والقضيب واستوزر أبا الفرج محمد بن على السامرى فكان له اسم الوزارة على سنن من قبله والامور راجعة لابن شيرزاد كاتب تورون ثم خلع المستكفى على تورون وتوجه وحبس المتقى وطلب أبا القاسم الفضل بن المقتدر الذى لقب فيما بعد بالمطيع فاختفى سائر أيامه وهدمت داره

(وفاة تورون وامارة ابن شيرزاد)

وفى المحرم من سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مات تورون ببغداد لست سنين وخمسة أشهر من امارته وكان ابن شيرزاد كاتبه أيامه كلها وبعثه قبل موته لاستخلاص الاموال من هيت فلما بلغه خبر الوفاة عزم على عقد الامارة لناصر الدولة بن حمدان فأبى الجند من ذلك واضطربوا وعقدوا له الرياسة عليهم واجتمعوا عليه وحلفوا وبعث الى المستكفى ليحلف له فاجابه وحلف له بحضرة القضاة والعدول ودخل اليه ابن شيرزاد فولاه أمير الامراء وزاد فى الارزاق زيادة متسعة فضاقت عليه الاموال فبعث أبا عبد الله بن أبى موسى الهاشمى الى ابن حمدان يطالبه بالمال ويعده بامارة الامراء فانفذ اليه خمسمائة ألف درهم وطعاما وفرقها فى الجند فلم تكف ففرض الاموال على العمال والكتاب والتجار لارزاق الجند ومدت الايدى الى أموال الناس وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل وأخذ الناس فى الخلاص من بغداد ثم استعمل على واسط ينال كوشه وعلى تكريت الفتح السيكرى فسار الى ابن حمدان ودعا له شكرا فولاه عليهما من قبله

(استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة فى سلطانهم)

قد تقدم لنا استبداد أهل النواحى على الخلافة منذ أيام المتوكل ولم يزل نطاق الدولة العباسية يتضايق شيأ فشيأ وأهل الدولة يستبدون واحدا بعد واحد الى أن أحاطوا ببغداد وصاروا ولاة متعددة يفرد كل واحد منهم بالذكر وسياقة الخبر الى آخرها وكان من أقرب المستبدين الى مقر الخلافة بنو بويه باصبهان وفارس ومعز الدولة منهم بالاهواز وقد تغلب على واسط ثم انتزعت منه وبنو حمدان بالموصل والجزيرة وقد تغلب

على هيت وصارت تحت ملكهم ولم يبق للخلفاء الا بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات وأمراؤهم مع ذلك مستبدون عليهم ويسمون القائم بدولتهم أمير الامراء كما مر في أخبارهم الى أن انتهى ذلك الى دولة المتقي والقائم بها ابن شيرزاد وولي على واسط ينال كوشه كما قلنا فانحرف عن ابن شيرزاد وكاتب معز الدولة وقام بدعوته في واسط واستدعاه الى بغداد فزحف في عساكر الديلم اليها ولقيه ابن شيرزاد والاتراك وهربوا الى ابن حمدان بالموصل واختفى المستكفي وقدم معز الدولة كاتبه الحسن محمد المهلبي الى بغداد فدخلها وظهر الخليفة فظهر عنده المهلبي وجدد له البيعة عن معز الدولة أحمد بن بويه وعن أخويه عماد الدولة علي وركن الدولة الحسن وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سكته ثم جاء معز الدولة الى بغداد وملكها وصرف الخليفة في حكمه واختص باسم السلطان فبقيت أخبار الدولة انما تؤثر عنهم وان كان منها ما يختص بالخليفة فقليل فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي الى المتقي مندرجة في أخبار بني بويه والسلجوقية من بعدهم لعطلهم من التصرف الا قليلا يختص بالخلفاء نحن ذاكره ونرجئ بقية أخبارهم الى أخبار الديلم والسلجوقية الغالبين على الدولة عندما نفرد دولتهم كما شرطناه

{ الخبر عن الخلفاء من بني العباس المغلبين لدولة بني بويه من السلجوقية من بعدهم من لدن المستكفي الى المتقي وما لهم من الاحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها }

لما دخل معز الدولة بن بويه الى بغداد غلب على المستكفي وبقي في كفالته وكان المستكفي في سنة ثلاث وثلاثين قبلها قبض على كاتبه أبي عبد الله بن أبي سليمان وعلى أخيه واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي في خاص أمره وكان قبله كاتبا لابن حمدان وكان يكتب للمستكفي قبل الخلافة فلما نصب للخلافة قدم من الموصل فاستكتبه المستكفي في هذه السنة على وزيره أبي الفرج لاثنتين وأربعين يوما من وزارته وصادره على ثلثمائة ألف درهم ولما استولى معز الدولة ببغداد على الامر وبعث أبو القاسم البريدي صاحب البصرة ضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها

* (خلع المستكفي وبيعة المطيع) *

وأقام المستكفي بعد استيلاء معز الدولة على الامر أشهرا قلائل ثم بلغ معز الدولة أن المستكفي يسعى في اقامة غيره فتنكر له ثم أجلسه في يوم مشهود لحضور رسول من صاحب خراسان وحضر هو في قومه وعشيرته وأمر رجلين من نقباء الديلم جاآ ليقبلا يد المستكفي ثم جذباه عن سريره وساقاه ماشيا وركب معز الدولة وجاء به

الى داره فاعتقله بها واضطرب الناس وعظم النهب ونهب دار الخلافة وقبض على أبى أحمد الشيرازى كاتب المستكفى وكان ذلك فى جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته ثم بويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر وقد كان المستكفى طلبه حين ولى لاطلاقه على شأنه فى طلب الخلافة فلم يظفر به واختفى فلما جاء معز الدولة تحول الى داره واختفى عنده فلما قبض على المستكفى بويع له ولقب المطيع لله ثم أحضر المستكفى عنده فأشهد على نفسه بالخلع وسلم عليه بالخلافة ولم يبق للخليفة من الامر شئ البتة منذ أيام معز الدولة ونظر وزير الخليفة مقصور على اقطاعه ونفقات داره والوزارة منسوبة الى معز الدولة وقومه من الديلم شيعة للعلوية منذ اسلامهم على يد الاطروش فلم يكونوا من شيعة العباسية فى شئ ولقد يقال بأن معز الدولة اعتزم على نقل الخلافة منهم الى العلوية فقال له بعض أصحابه لا تول أحدا يشركك فى ملك كلهم فى محبته والاشتمال عليه وربما يصير لهم دونك فأعرض عن ذلك وسلبهم الامر والنهى وتسلم عماله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه وصار الخليفة انما يتناول منه ما يقطعه معز الدولة ومن بعده فما يسد بعض حاجاته نعم انهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد واجلالهم فى التحية والخطاب وكل ذلك طوع القائم على الدولة وكان يفرد فى كل دولة بنى بويه والسلجوقية بلقب السلطان مما لا يشاركه فيه أحد ومعنى الملك من تصريف القدرة واظهار الأبهة والعز حاصل له دون الخليفة وغيره وكانت الخلافة حاصلة للعباسى المنصوب لفظا مسلوبة معنى والله المدبر للامور لا اله غيره

(انقلاب حال الدولة بما تجدد فى الجباية والاقطاع)

لما استولى معز الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدد من الاستيلاء الذى لم يكن له فاضطر الى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها وأقطع قواده وأصحابه من أهل عصبيته وغير المساهمين له فى الامر جميع القرى التى بجانب السلطان فارتفعت عنها أيدى العمال وبطلت الدواوين واختلف حال القرى فى العمارة عما كان فى أيدى القواد والرؤساء حصل بهم لاهلها الرفق فزادت عمارتها وتوفر دخلها ولم تكن مناظرتهم فى ذلك ولا تقديره عليهم وما كان بأيدى العامة والاتباع عظم خرابه لما كان يعدم من الغلاء والنهب واختلاف الايدى وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعايا والحيف فى الجباية واهمال النظر فى تعديل القناطر والمشارب وقسم المياه على الارضين فاذا خربت قراهم ردوها وطلبوا العوض عنها فيصير الآخر منها الى ما صار اليه الاوّل ثم أمر معز الدولة قوّاده وأصحابه

بحماية الاقطاع والضياع وولاتها وصارت الجبايات لنظرهم والتعويل فى المرتفع على أخبارهم فلا يقدر أهل الدواوين والحسابات على تحقيق ذلك عليهم ولم يقف عند ذلك على غاية فبطلت الاموال وصار جمعها من المكوس والظلامات وعجز معز الدولة عن ذخيرة يعدها للنوائب سلطانه ثم استكثر من الموالى الاتراك ليجدع بهم من أنوف قومه وفرض لهم الارزاق وزادهم الاقطاع فعظمت غيرة قومه من ذلك وآل الامر الى المنافرة كما هو الشأن فى طبيعة الدول

(مسير ابن حمدان الى بغداد)

ولما استولى معز الدولة على بغداد وخلع المستكفى بلغ الخبر الى ناصر الدولة بن حمدان فشق ذلك عليه وسار من الموصل الى بغداد وانتهى الى سامرا فى شعبان سنة أربع وكان معز الدولة حين سمع قدوم عساكره مع ينال كوشه وقائد آخر فقتل القائد ولحق بناصر الدولة وجاء ناصر الدولة الى بغداد فأقام بها وخالفه معز الدولة الى تكريت فنهبها لانها من اعماله ثم عاد معز الدولة والمطيع فنزلوا بالجانب الغربى من بغداد وقاتلوا ناصر الدولة بالجانب الشرقى وتقدم ناصر الدولة الى الاعراب بالجانب الغربى بقطع الميرة عن معز الدولة فغلت الاسعار وعزت الاقوات ومنع ناصر الدولة من الخطبة للمطيع والمعاملة بسكته ودعا للمتقى وبيت معز الدولة مرارا وضاق الامر به واعتزم على ترك بغداد والعود الى الاهواز ثم أظهر الرحيل ذات ليلة وأمر وزيره أبا جعفر الصهيرى بالعبور فى أكثر العساكر وأقام بالكينة مكانه وجاء ينال كوشه لقتاله فانهزم واضطرب عسكر ناصر الدولة وأجفلوا وغنم الديلم أموالهم وأظهرهم ثم أمن معز الدولة الناس وعاد المطيع الى داره فى محرم سنة خمس وثلاثين وقام التورونية عليه فلما شعروا به نكروه وهموا بقتله فأسرى هاربا ومعه ابن شيرزاد وفر الى الجانب الغربى ثم لحق بالقرامطة فأجاروه وبعثوه الى الموصل ثم استقر الصلح بينه وبين الدولة كما طلب ولما فر عن الاتراك اتفقوا على تكين الشيرازى فولوه عليهم وقبضوا على من تخلف من كتابه وأصحابه وساروا فى اتباعه الى نصيبين ثم الى سنجار ثم الى الحديثة ثم الى السن ولحق هنالك عسكر معز الدولة مع وزيره أبى جعفر الصهيرى وقد كان استمده ناصر الدولة فسار ناصر الدولة وابن الصهيرى الى الموصل فنزلوا عليها وأخذ الصهيرى من ناصر الدولة ابن شيرزاد وحمله الى معز الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين

(استيلاء معز الدولة على البصرة)

وفى هذه السنة انتقض أبو القاسم البريدى بالبصرة فجهز معز الدولة الجيش جماعة

أعيانهم الى واسط - لقيهم جيش بن البريدى فى الماء على الظهر فانهزموا الى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين الى البصرة ومعه المطيع لاستنقاذها من يد أبى القاسم بن البريدى وسلكوا اليها البرية فبعث القرامطة يعذلون فى ذلك معز الدولة فكتب يتهددهم ولما قارب البصرة استأمنت اليه عساكر أبى القاسم وهرب هو الى القرامطة فأجاروه وملك معز الدولة البصرة ثم سار منها الى الاهواز لتلقى أخيه عماد الدولة وترك المطيع وأبا جعفر الصهيرى بالبصرة ولقى أخاه بأرّجان ثم عاد الى بغداد والمطيع معه وأراد السير الى الموصل فأرسل اليه ناصر الدولة فى الصلح وحمل المال فتركه ثم انتقض سنة سبع وثلاثين فسار اليه معز الدولة وملك الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين وأخذ معز الدولة فى ظلم الرعايا وعسفهم ثم بعث اليه أخوه ركن الدولة باصبهان بأنّ عسكر خراسان قصدت جرجان والرىّ واستمده فاضطر معز الدولة الى صلح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة وما ملكه سيف الدولة من الشأم دمشق وحلب على ثمانية آلاف ألف درهم ويخطب لعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة بنى بويه فاستقرّ الصلح على ذلك وعاد الى بغداد

* ابتداء أمر بنى شاهين بالبطيحة) *

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة وحصلت عنده جبايات فهرب الى البطيحة خوفا من الحكام وأقام بين القصب والآجام يقتات بصيد السمك والطير كشف سابلة البطيحة واجتمع عليه جماعة من الصيادين واللصوص ثم اشتد خوفه فاستأمن الى أبى القاسم بن البريدى صاحب البصرة تقلده جماعة الجامدة ونواحى البطائح وجمع السلاح واتخذ معاقل على تلال البطيحة وغلب على نواحيها وسرّح معز الدولة وزيره أبا جعفر الصهيرى سنة ثمان وثلاثين فقاتله وهرب واستأمن أهله وعياله ثم جاء الخبر الى معز الدولة بموت أخيه عماد الدولة بفارس واضطراب أحواله بها فكتب الى الصهيرى بالفرار الى شيراز لاصلاح الامور فسار اليها وعاد عمران بن شاه البطيحة واجتمع اليه أصحابه وقوى أمره وبعث معز الدولة الى قتاله روزبهان أعيان عسكره فأطال حصاره فى مضايق البطيحة ثم ناجزه الحرب فهزمه عمران وهزم عسكره وصار أصحابه يطلبون البذرقة والخفارة من جند السلطان فى السابلة وانقطع طريق البصرة الا على الظهر وكان الصهيرى قد هلك وولى مكانه المهلبى فكتب معز الدولة الى المهلبى وهو بالبصرة فصعد الى واسط وأمده بالقوّاد والسلاح وأطلق يده فى الانفاق فزحف الى البطيحة وضيق على عمران فانتهى الى مضايق خفية وأشار عليه روزبهان بمعاجلة القوم وكتب الى معز الدولة يشكو المطاولة من المهلبى فكتب اليه

معز الدولة بالاستبطاء فبادر الى المناجزة وتوغل فى تلك المضايق فانهزم وقتل من أصحابه وأسر ونجا هو سباحة فى الماء وأسر عمران أكابر القواد حتى صالحه معز الدولة وقلده البطائح وأطلق له أهله على أن يطلق القواد الذين فى أسره فأطلقهم

(موت الصيمرى ووزارة المهلبى)

كان أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى وزيرا لمعز الدولة وكان قد سار لقتال عمران واستخلف مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى فعرفت كفايته واصلاحه وأمانته وتوفى أبو جعفر الصيمرى محاصر العمران فولى معز الدولة مكانه أبا محمد المهلبى فأحسن السيرة وأزال المظالم وخصوصا عن البصرة فكان فيها شعب كثيرة من المظالم من أيام أبى البريدى وتنقل فى البلاد لكشف المظالم وتخليص الحقوق فحسن أثره ونقم عليه معز الدولة بعض الامور فنكبه سنة احدى وأربعين وحبسه فى داره ولم يعزله

(حصار البصرة)

قد تقدم لنا أن القرامطة أنكروا على معز الدولة مسيره الى البصرة على بلادهم وذكرنا ما دار بينهم فى ذلك ولما علم يوسف ابن وجيه استيحاشهم بعث اليهم يطمعهم فى النصرة واستمدهم فأمدوه وسار فى البحر سنة احدى وأربعين وبلغ الخبر الى الوزير المهلبى وقد قدم من شان الاهواز فسار الى البصرة وسبق اليها ابن وجيه وقاتله فهزمه وظفر بمراكبه

(استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده)

قد تقدم انا صالح معز الدولة مع ناصر الدولة على ألفى ألف درهم كل سنة فلما كانت سنة سبع وأربعين أخرج حمل المال فسار معز الدولة الى الموصل فى جمادى ومعه وزيره المهلبى فاستولى على الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين ومعه كتابه وجميع أصحابه وحاشيته ومن يعرف وجوه المنافع وأنزلهم فى قلعة كواشى وغيرها وأمر الاعراب بقطع الميرة عن الموصل فضاقت الابواب على عسكر معز الدولة فسار عن الموصل الى نصيبين واستخلف عليها سبكتكين الحاجب الكبير وبلغه فى طريقه أن أولاد ناصر الدولة بسنجار فى عسكر فبعث عسكرا فكبسوهم واشتغلوا بالنهب فعاد اليهم أولاد ناصر الدولة وهم غازون فاستلحموهم وسار ناصر الدولة عن نصيبين الى ميافارقين ورجع أصحابه الى معز الدولة مستأمنين فسار هو الى أخيه سيف الدولة بحلب فتلقاه وأكرمه وتراسلوا فى الصلح على ألفى ألف درهم وتسعمائة ألف درهم واطلاق من أسر

بسنجار وأن يكون ذلك فى ضمان سيف الدولة فتم بينهما وعاد معز الدولة الى العراق فى محرم سنة ثمان وأربعين

(بناء معز الدولة ببغداد)

أصاب معز الدولة سنة خمسين مرض اشفى منه حتى وصى واستوخم بغداد فارتحل الى كلواذا ليسير الى الاهواز وأسف أصحابه لمفارقة بغداد فأشاروا عليه ان يبنى لسكناه فى أعاليها فبنى دارا أنفق عليها ألف ألف دينار وصادر فيها جماعة من الناس

(ظهور الكتابة على المساجد)

كان الديلم كما تقدم لنا شيعة لاسلامهم على يد الاطروش وقد ذكرنا منع بنى بويه من تحويل الخلافة عن العباسية اليهم فلما كان سنة احدى وخمسين وثلثمائة أصبح مكتوبا على باب الجامع ببغداد لعن صريح فى معاوية ومن غصب فاطمة فدك ومن منع من دفن الحسن عند جده ومن نفى أباذر ومن أخرج العباس من الشورى ونسب ذلك الى معز الدولة ثم محى من الليلة القابلة فأراد معز الدولة اعادته فأشار المهلبى بأن يكتب مكان المحو لعن معاوية فقط والظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ثامن عشر ذى الحجة من هذه السنة أمر الناس باظهار الزينة والفرح لعيد الغدير من أعيان الشيعة وفى السنة بعدها أمر الناس فى يوم عاشوراء أن يغلقوا دكاكينهم ويقعدوا عن البيع والشراء ويلبسوا المسوح ويعلنوا بالنياحة وتخرج النساء مسبلات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن ولطمن خدودهن حزنا على الحسين ففعل الناس ذلك ولم يقدر أهل السنة على منعه لان السلطان للشيعة وأعيد ذلك سنة ثلاث وخمسين فوقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة ونهب الاموال

(استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح)

انحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين الى واسط لقتال عمران بن شاهين بالبطائح فأنفذ الجيش من هنالك مع أبى الفضل العباس بن الحسن وسار الى الابلة فأنفذ الجيش الى عمان وكان القرامطة قد استولوا عليها وهرب عنها صاحبها نافع وبقى أمرها فوضى فاتفق قاضيها وأهل البلد أن ينصبوا عليهم رجلا منهم فنصبوه ثم قتله بعضهم فولوا آخر من قرابة القاضى يعرف بعبد الرحمن بن أحمد بن مروان واستكتب على بن أحمد الذى كان وصل مع القرامطة كاتبا وحضر وقت العطاء فاختلف الزنج والبيض فى الرضا بالمساواة وبعدمها واقتتلوا فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب واستقر على

ابن أحمد أميرا فلما جاء معز الدولة الى واسط هذه السنة قدم عليه نافع الاسود صاحب عمان مستنجدا به فانحدر به من الابلة وجهز له المراكب لحمل العساكر وعليهم أبو الفرج محمد بن العباس بن فساغس وهى مائة قطعة فساروا الى عمان وملكوها تاسع ذى الحجة من سنة خمس وخمسين وقتلوا من أهلها وأحرقوا مراكبها وكانت تسعة وثمانين وعاد معز الدولة الى واسط وحاصر عمران وأقام هنالك فاعتل وصالح عمران وانصرف عنه

(وفاة الوزير المهلبى)

سار الوزير المهلبى فى جمادى سنة ثنتين وخمسين الى عمان ليفتحها فاعتل فى طريقه ورجع الى بغداد فمات فى شعبان قبل وصوله وحمل فدفن بها لثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته وقبض معز الدولة أمواله وذخائره وصارت اليه وحواشيه ونظر فى الامور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى وأبو الفرج محمد بن العباس ابن فساغس ولم يلقب أحد منهما بوزارة

(وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار)

ولما رجع معز الدولة الى بغداد اشتد مرضه فعهد بالسلطنة الى ابنه عز الدولة وتصدق وأعتق وتوفى فى ربيع من سنة ست وخمسين لثنتين وعشرين سنة من سلطنته وولى ابنه عز الدولة بختيار وقد كان أوصاه بطاعة عمه ركن الدولة وبطاعة ابنه عضد الدولة لانه كان أكبر سنا وأخبر بالسياسة ووصاه بحاجبه سبكتكين وبكاتبيه أبى الفضل العباس وأبى الفرج فخالف وصاياه وعكف على اللهو وأوحش هؤلاء ونفى كبار الديلم شرها فى اقطاعاتهم وشغب عليه الاصاغر فزادهم واقتدى بهم الاتراك وجاء أبو الفرج محمد بن العباس من عمان بعد أن سلمها الى نواب عضد الدولة الذين كانوا فى أمداده وخشى أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد فكان كما ظن ثم انتقض بالبصرة حبشى بن معز الدولة على أخيه بختيار سنة ست وخمسين فبعث الوزير أبو الفضل العباس فسار مورّيا بالاهواز ونزل واسط وكتب الى حبشى بأنه جاء ليسلمه البصرة وطلب منه المعونة على أمره فأنفذ اليه مائتى ألف درهم وأرسل الوزير خلال ذلك الى عسكر الاهواز أن يوافوه بالابلة لموعد ضربه لهم فوافوه وكبسوا حبشيا بالبصرة وحبسوه برامهرمز ونهبوا أمواله وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلد من الكتب وبعث ركن الدولة بتخليص حبشى ابن أخيه وجعله عند عضد الدولة فأقطعه الى أن مات سنة سبع وستين

(عزل أبى الفضل ووزارة ابن بقية)

لما ولى أبو الفضل وزارة بختيار كثر ظلمه وعسفه وكان محمد بن بقية من حاشية بختيار وكان يتولى له المطبخ فلما كثر شغب الناس من أبى الفضل عزله بختيار سنة ثنتين وستين وولى مكانه محمد بن بقية فانتشر الظلم أكثر وخربت النواحى وظهرت العيارون ووقعت الفتن بين الاتراك وبختيار فأصلح ابن بقية بينهم وركب سبكتكين بالاتراك الى بختيار ثم أفسد بينهم وتحرك الديلم على سبكتكين وأصحابه فأرضاهم بختيار بالمال ورجعوا عن ذلك

كان ناصر الدولة بن حمدان قد قبض عليه ابنه أبو ثعلب وحبسه سنة ست وخمسين وطمع فى المسير الى بغداد وجاء أخوه حمدان وابراهيم فازعين الى بختيار ومستنجدين به فشغل عنهما بما كان فيه من شأن البطيحة وعمان حتى اذا قضى وطره من ذلك وعزل أبا الفضل الوزير واستوزر ابن بقية حمله على ذلك وأغراه به فسار الى الموصل ونزلها فى ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ولحق ابو ثعلب بسنجار بأصحابه وكتابه ودواوينه ثم سار الى بغداد وبعث بختيار فى أثره الوزير ابن بقية وسبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين يحاربه فى ظاهرها ووقعت الفتنة داخل بغداد فى الجانب الغربى بين أهل السنة والشيعة واتفق سبكتكين وأبو ثعلب على أن يقبضا على الخليفة والوزير وأهل بختيار ويعود سبكتكين الى بغداد مستوليا وأبو ثعلب الى الموصل ثم اقصر سبكتكين عن ذلك وتوقف وجاءه الوزير ابن بقية وأرسلوا الى أبى ثعلب فى الصلح وأن يضمن البلاد ويرد على أخيه حمدان أقطاعه وأملاكه الا ماردين وعاد أبو ثعلب الى الموصل ورحل بختيار وسار سبكتكين للقائه واجتمع بختيار وأبو ثعلب على الموصل وطلب أبو ثعلب زوجته ابنة بختيار وأن يحط عنه من الضمان ويلقب لقبا سلطانيا فأجيب الى ذلك خشية منه ورحل بختيار الى بغداد وسر أهل الموصل برحيله لما نالهم منه وبلغه فى طريقه ان أبا ثعلب قتل قوما من أصحابه وكانوا استأمنوا البختيار وزحفوا لنقل أهلهم وأموالهم فاشتد ذلك عليه وكتب الى الوزير أبى طاهر بن بقية والحاجب ابن سبكتكين يستقدمهما فى العساكر فجاؤا وعادوا الى الموصل وعزم على طلبه حيث سار فأرسل أبو ثعلب فى الصلح وجاء الشريف أبو أحمد الموسوى والد الشريف الرضى وحلف على العلم فى قتل أولئك المستأمنة وعاد الصلح والاتفاق كما كان ورجع بختيار الى بغداد وبعث ابنته الى زوجها أبى ثعلب

(الفتنة بين بختيار وسبكتكين والاتراك)

كان بختيار قد قلت عنده الاموال وكثرت مطالب الجند وشغبهم فكان يحاول على جمع الاموال فتوجه الى الموصل لذلك ثم رجع فتوجه الى الاهواز ليجد ذريعة الى مصادرة عاملها وتخلف عنه سبكتكين والاتراك الذين معه ووقعت فتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز واقتتلوا ولج الاتراك فى طلب ثارهم وأشار عليه أصحاب الديلم بقبض رؤساء الاتراك وقوادهم ففعل وكان من جملتهم عامل الاهواز وكاتبه ونهبت أموالهم وبيوتهم ونودى فى البلد باستباحتهم وبلغ الخبر الى سبكتكين وهو ببغداد فنقض طاعة بختيار وركب فى الاتراك وحاصر داره يومين وأحرقها وأخذ أخويه وأمهما فبعثهم الى واسط فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وانحدر المطيع معهم فرده وترك الاتراك فى دور الديلم ونهبوها وثارت العامة مع سبكتكين لان الديلم كانوا شيعة وسفكت الدماء وأحرق الكرخ وظهر أهل السنة

(خلع المطيع وولاية الطائع)

كان المطيع قد أصابه الفالج وعجز عن الحركة وكان يتستر به وانكشف حاله بسبكتكين فى هذه الواقعة فدعاه الى أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة عبد الكريم ففعل ذلك منتصف ذى القعدة سنة ثلاث وستين لست وعشرين سنة ونصف من خلافته وبويع ابنه عبد الكريم ولقب الطائع

(الصوائف)

وعادت الصوائف منذ استبد ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وأعمالها وملك سيف الدولة أخوه مدينتى حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين فصار أمر الصوائف اليه فنذكرها فى أخبار دولتهم فقد كان لسيف الدولة فيها آثار وكان للروم فى أيامه جولات حسنت فيها مدافعته وأما الولايات فانقطعت منذ استيلاء معز الدولة على العراق وانقسمت الدولة الاسلامية دولا نذكر ولايات كل منها فى أخبارها عند انفرادها على ما شرطناه

(فتنة سبكتكين وموته وامارة افتكين)

لما وقع بختيار فى الاتراك بالاهواز ما وقع وانتقض سبكتكين ببغداد عمد بختيار الى من حبسه من الاتراك فأطلقهم وولى منهم على الاتراك ازادويه الذى كان عامل الاهواز وسار الى واسط للقائه واخويه وكتب الى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة يستنجدهما والى أبى تغلب بن حمدان فى المدد بنفسه ويسقط عنه مال

الاقطاع والى عمران بن شاهين بالبطيحة كذلك فجهز اليه عمه ركن الدولة العسكر مع وزيره أبى الفتح بن العميد وكتب الى ابن عمه عضد الدولة بالمسير معه فتثاقل وتربص ببختيار طمعا فى ملك العراق وأما عمران بن شاهين فدافع واعتذر بأن عسكره لا يفتكون فى الديلم لما كان بينهم وأما أبو تغلب فبعث أخاه أبا عبد الله الحسين فى عسكر الى تكريت فلما سار الاتراك عن بغداد الى واسط لقتال بختيار وجاء هو اليها ليقيم الحجة فى سقوط الاقطاع عنه ووجد الفتنة حامية بين العيارين فكف القسامة وانتظر ما يقع ببختيار فدخل بغداد وملكها ولما سار الاتراك الى واسط حملوا معهم خليفتهم الطائع لله وأباه المطيع المخلوع وانتهوا الى دير العاقول فهلك المطيع وسبكتكين معا وولى الاتراك عليهم افتكين من أكابر قوادهم وموالى معز الدولة فانتظم أمرهم وساروا الى واسط وحاصروا بها بختيار خمسين يوما حتى اشتد عليه الحصار وهو يستحث عضد الدولة

(نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده الى ملكه)

لما تتابعت كتب بختيار الى عضد الدولة باستحثاثه سار فى عساكر فارس وجاءه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه الى الاهواز فى عساكر الرى وساروا الى واسط وأجفل عنها افتكين والاتراك الى بغداد ورجع أبو تغلب الى الموصل ولما جاء عضد الدولة الى واسط سار الى بغداد فى الجانب الشرقى وسار بختيار فى الجانب الغربى وحاصروا الاتراك ببغداد من جميع الجهات وأرسل بختيار الى ضبة بن محمد الاسدى من أهل عين التمر والى أبى سنان وأبى تغلب بن حمدان بقطع الميرة والاغارة على النواحى فغلا السعر ببغداد وثار العيارون ووقع النهب وكبس افتكين المنازل فى طلب الطعام فعظم الهرج وخرج افتكين والاتراك للحرب فلقيهم عضد الدولة فهزمهم وقتل أكثرهم واستباحهم ولحقوا بتكريت وحملوا الخليفة معهم ودخل عضد الدولة الى بغداد فى جمادى سنة أربع وستين وحاول فى رد الخليفة الطائع فرده وأنزله بداره وركب للقائه الماء فى يوم مشهود ثم وضع الجند على بختيار فشغبوا عليه فى طلب أرزاقهم وأشار عليه بالغلظة عليهم والاستعفاء من الامارة وانه عند ذلك يتوسط فى الاصلاح فأظهر بختيار التخلى وصرف الكتاب والحجاب ثقة بعضد الدولة وتردد السفراء بينهم ثلاثا ثم قبض عضد الدولة على بختيار واخوته ووكل بهم وجمع الناس وأعلمهم بعجز بختيار ووعدهم بحسن النظر وقام بواجبات الخلافة وكان المرزبان بن بختيار أميرا بالبصرة فامتنع فيها على عضد الدولة وكتب الى ركن الدولة يشكو ما جرى على أبيه بختيار من ابنه عضد الدولة ووزيره ابن العميد فأصابه من ذلك المقيم المقعد حتى

لقد طرقه المرض الذى لم يستقل منه وكان ابن بقية وزير بختيار قد سار الى عضد الدولة وضمنه واسط وأعمالها فانتقض عليه بها وداخل عمران بن شاهين فى الخلافة فأجابه وكتب الى سهل بن بشر وزير افتكين بالاهواز وقد كان عضد الدولة ضمنه اياها وبعثه اليها مع جيش بختيار فاستماله ابن بقية وخرجت اليه جيوش عضد الدولة فهزمهم وكاتب أباه ركن الدولة بالاحوال وأوعز ركن الدولة اليه والى المرزبان بالبصرة على المسير بالعراق لاعادة بختيار واضطربت النواحى على عضد الدولة لانكار أبيه وانقطع عن مدد فارس وطمع فيه الاعداء فبعث أبا الفتح بن العميد الى أبيه يعتذر عما وقع وان بختيار عجز ولا يقدر على المملكة وانه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم ويبعث بختيار واخوته اليه لينزله بأى الاعمال أحب ويخير أباه فى نزوله العراق لتدبير الخلافة ويعود هو الى فارس وتهدد أباه بقتل بختيار واخوته وجميع شيعهم ان لم يوافق على واحدة من هذه فخاف ابن العميد غائلة هذه الرسالة وأشار بارسال غيره وأن يمضى هو بعدها كالمصلح فبعث عضد الدولة غيره فلما ألقى الرسالة غضب ركن الدولة ووثب الى الرسول ليقتله ثم رده بعد أن سكن غضبه وحمله الى عضد الدولة من الشتم والتقريع على ما فعله وعلى ما يطلب منه من كل صعب من القول وجاء ابن العميد على اثر ذلك فحجبه وتهدده ثم لم يزل يسترضيه بجهده واعتذر بأن قبوله لهذه الرسالة حيلة على الوصول اليه والخلاص من عضد الدولة وضمن له اعادة عضد الدولة الى فارس وتقرير بختيار بالعراق فأجاب عضد الدولة الى ذلك وأفرج عن بختيار ورده الى السلطنة على أن يكون نائبا عنه ويخطب عنه ويجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لعجز بختيار ورد عليهم ما أخذ لهم وسار الى فارس وأمر ابن العميد أن يلحق به بعد ثلاث فتشاغل مع بختيار باللذات ووعده أن يصير الى وزارته بعد ركن الدولة وأرسل بختيار عن ابن بقية فقام بأمر الدولة واحتجن الاموال فاذا طولب بها دس للجند فشغبوا حتى تنكر له بختيار واستوحش هو

(خبر افتكين)

ولما انهزم افتكين من عضد الدولة بالمدائن لحق بالشأم ونزل قريبا من حمص وقصد ظالم ابن موهوب أمير بنى عقيل العلوية بالشأم فلم يتمكن منه وسار افتكين الى دمشق وأميرها ريان خادم المعز لدين الله العلوى وقد غلب عليه الاحداث فخرج اليه مشيخة البلد وسألوه أن يملكهم ويكف عنهم شر الاحداث وظلم العمال واعتقاد الرافضة فاستحلفهم على ذلك ودخل دمشق وخطب فيها للطائع فى شعبان سنة أربع وستين ورجع أيدى العرب من ضواحيها وفتك فيهم وكثرت جموعه وأمواله وكاتب

المعز بمصر يداريه بالانقياد فكتب يشكره ويستدعيه ليوليه من جهته فلم يثق اليه فتجهز لقصده ومات فى طريقه سنة خمس وستين كما نذكر بقية خبره فى دولتهم

(ملك عضد الدولة بغداد وقتل بختيار)

ولما انصرف عضد الدولة الى فارس كما ذكرناه أقام بها قليلا ثم مات أبوه ركن الدولة سنة ست وستين بعد أن رضى عنه وعهد له بالملك كما نذكره فى خبره فلما مات شرع بختيار ووزيره ابن بقية فى استمالة أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة وحسنويه الكردى وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين فى عدوانه فسار عضد الدولة لطلب العراق واستمدّ حسنويه وابن حمدان فواعداه ولم يعداه فسار الى الاهواز ثم سار الى بغداد ولقيه بختيار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله ولحق بواسط وحمل اليه ابن شاهين أموالا وهدايا ودخل اليه مؤكدا للاستجارة به ثم صعد الى واسط وبعث عضد الدولة عسكرا الى البصرة فملكوها وكانت مضر شيعة له دون ربيعة وجمع بختيار ما كان له ببغداد والبصرة فى واسط وقبض على ابن بقية وأرسل عضد الدولة فى الصلح واختلفت الرسائل وجاءه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه فى ألف فارس مددا فانتقض وسار الى بغداد وسار عضد الدولة الى واسط ثم الى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهم مائة وعشرين سنة ثم دخلت سنة سبع وستين فقبض عضد الدولة على أبى الفتح بن العميدى وزير أبيه وجدع أنفه وسمل احدى عينيه لما بلغه عنه فى مقامه بالفرات عند بختيار ولما اطلع عليه من مكاتبته اياه فبعث الى أخيه فخر الدولة بالرى بالقبض عليه وعلى أهله فقبض عليه وأخذ داره بما فيها ثم سار عضد الدولة الى بغداد سنة سبع وستين وبعث الى بختيار يخيره فى الأعمال فأجاب الى طاعته وأمره بانفاذ ابن بقية اليه ففقأ عينيه وأنفذه وخرج عن بغداد بقصد الشأم ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها وضرب على بابه ثلاث نوبات ولم يكن شئ من ذلك لمن قبله وأمر بابن بقية فرمى بين الفيلة فقتلته ولما سار بختيار الى الشأم ومعه حمدان أخو أبى ثعلب وانتهوا الى عكبرا أحسن له حمدان وقصد الموصل وكان عضد الدولة قد استحلفه أن لا يدخل ولاية أبى ثعلب فنكث وقصدها وجاءته رسل أبى ثعلب بتكريت فى اسلام أخيه حمدان اليه فيمدّه بنفسه ويعيده الى ملكه فقبض على حمدان وبعثه مع نوابه بحبسه وسار أبو ثعلب اليه فى عشرين ألف مقاتل وزحفوا الى بغداد ولقيهما عضد الدولة فهزمهما وأسر بختيار فقتل صبرا فى عدة من أصحابه لاحدى عشرة سنة من ملكه

(استيلاء عضد الدولة على ملك بنى حمدان)

ثم سار عضد الدولة بعد الهزيمة ومقتل بختيار الى الموصل فلكها منتصف ذى القعدة من سنة سبع وستين وكان حمل معه الميرة والعلوفات فأقام فى رغد وبث السراة فى طلب أبى تغلب وراسله فى ضمان البلاد على عادته فلم يجبه فسار الى نصيبين ومعه المرزبان بن بختيار وأبو اسحق وطاهر أخو بختيار وأمهم فبعث عضد الدولة عسكرا الى جزيرة ابن عمر مع حاجبه أبى عمر طغان وعسكرا الى نصيبين مع أبى الوفاء طاهر بن محمد ففارقها أبو تغلب الى ميافارقين واتبعه أبو الوفاء اليها فامتنعت عليه ولحق أبو تغلب بأردن الروم ثم بالحسنية من أعمال الجزيرة وتتبع أبو تغلب قلاعه وأخذ أمواله فى كواشى وغيرها وعاد الى ميافارقين ثم سار عضد الدولة اليه بنفسه واستأمن اليه كثير من أصحابه ورجع الى الموصل وبعث العسكر فى اتباعه فدخل بلاده فصاهره وردّ الرومى الملك عليهم فى غير بيت الملك ليستعين به على أمره واتبعه عسكر عضد الدولة فهزمهم ونجا الى بلاد الروم لمساعدة ورد على شأنه لما يؤمّل من نصرته اياه واتفق ان وردا انهزم فيئس منه أبو تغلب وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين حتى فتح عضد الدولة جميع بلاده كما يذكر فى أخبار دولتهم واستخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد الى بغداد وانقطع ملك بنى حمدان عن الموصل حينا من الدهر

(وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة)

ثم توفى عضد الدولة فى شوال سنة ثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ملكه واجتمع القواد والامراء على ولاية ابنه كاليجار المرزبان وبايعوه ولقبوه صمصام الدولة وجاءه الطائع معزيا فى أبيه وبعث اخويه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه فانتقض أخوهم شرف الدولة بكرمان الى فارس وسبق اليها أخويه وملكها وأقاما بالاهواز وقطع خطبة صمصام الدولة أخيه وخطب لنفسه وتلقب تاج الدولة وبعث اليه صمصام الدولة عسكرا صحبة على بن دنقش حاجب أبيه وبعث شرف الدولة عسكره مع الامير أبى الاغرّ دبيس بن عفيف الاسدى والتقيا عند قرقوب فانهزم ابن دنقش فى ربيع سنة ثلاث وسبعين وأسر واستولى أبو الحسن على الاهواز ورامهرمز وطمع فى الملك ثم انّ اسفار بن كردويه من أكابر الديلم قام بدعوة شرف الدولة ببغداد سنة خمس وسبعين واستمال كثيرا من العسكر واتفقوا على ولاية أبى نصر بن عضد الدولة نائبا عن أخيه شرف الدولة وراسلهم صمصام الدولة فى الرجوع عن ذلك فلم يزدهم الا تماديا واجابه فولاذ بن مابدرار أنفة من متابعة اسفار وقاتله فهزمه وأخذ أبا نصر أسيرا

وأحضره عند أخيه صمصام الدولة واتهم وزيره ابن سعدان بمداخلتهم فقتله ومضى اسفار الى أبى الحسين بن عضد الدولة وباقى الديلم الى شرف الدولة وسار شرف الدولة الى الاهواز فملكها من يد أخيه الحسين ثم ملك البصرة من يد أخيه أبى طاهر وراسله صمصام الدولة فى الصلح فاتفقوا على الخطبة لشرف الدولة بالعراق وبعث اليه بالخلع والالقاب من الطائع

(نكبة صمصام الدولة وولاية أخيه شرف الدولة)

لما ملك شرف الدولة من يد أخيه أبى طاهر سار الى واسط فملكها وعمد صمصام الدولة الى أخيه أبى نصر وكان محبوسا عنده فأطلقه وبعثه الى أخيه شرف الدولة بواسط يستعطفه به فلم يلتفت اليه وجزع صمصام الدولة واستشار أصحابه فى طاعة أخيه شرف الدولة فخوفوه عاقبته وأشار بعضهم بالصعود الى عكبرا ثم منها الى الموصل وبلاد الجبل حتى يحدث من أمر الله فى فتنة بين الاتراك والديلم أو غير ذلك ما يسهل العود وأشار بعضهم بمكاتبة عمه فخر الدولة والمسير على طريق اصبهان فيخالف شرف الدولة الى فارس فربما يقع الصلح على ذلك فأعرض صمصام الدولة عن ذلك كله وركب البحر الى أخيه شرف الدولة فتلقاه وأكرمه ثم قبض عليه لاربع سنين من امارته وسار الى بغداد فى شهر رمضان من سنة ست وسبعين فوصلها وأخوه صمصام الدولة فى اعتقاله واستفحل ملكه واستطال الديلم على الاتراك بكثرتهم فانهم بلغوا خمسة عشر ألفا والاتراك ثلاثة آلاف ثم كثرت المنازعات بينهم وعض الديلم بالاتراك وأرادوا اعادة صمصام الدولة الى الملك ثم اقتتلوا فغلبهم الديلم وقتلوا منهم وغنموا أموالهم وسار بعضهم فذهب فى الارض ودخل الآخرون مع شرف الدولة الى بغداد وخرج الطائع لتلقيه وهنأه وأصلح شرف الدولة بين الفريقين وبعث صمصام الدولة الى فارس فاعتقل بها واستوزر شرف الدولة أبا منصور بن صالحان

(ابتداء دولة باد وبنى مروان بالموصل)

قد تقدم لنا ان عضد الدولة استولى على ملك بنى حمدان بالموصل سنة سبع وستين ثم استولى على ميافارقين وآمد وسائر ديار بكر من أعمالهم وعلى ديار مضر أيضا من أعمالهم سنة ثمان وستين وولى عليها أبا الوفاء من قواده وذهب ملك بنى حمدان من هذه النواحى وكان فى ثغور ديار بكر جماعة من الاكراد الحميدية مقدمهم أبو عبد الله الحسين بن دوشتك ولقبه باد وكان كثير الغزو بتلك البلاد واخافة سبلها وقال ابن الاثير حدثنى بعض أصدقائنا من الاكراد الحميدية أن اسمه باد وكنيته أبو شجاع

وان الحسين هو أخوه وان أوّل أمره انه ملك أرجيش من بلاد أرمينية فقوى اهـ

ولما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده وهمّ بقبضه ثم سأل عنه فافتقده وكف عن طلبه فلما مات عضد الدولة استفحل أمره واستولى على ميافارقين وكثير من ديار بكر ثم على نصيبين وقال ابن الاثير سار من أرمينية الى ديار بكر فملك ثم ميافارقين وبعث صمصام الدولة اليه العساكر مع أبى سعيد بهرام بن أردشير فهزمهم وأسر جماعة منهم فبعث عساكر أخرى مع أبى القاسم سعيد بن الحاجب فلقيهم فى بلد كواشى وهزمهم وقتل منهم وأسر ثم قتل الاسرى صبرا ونجا سعيد الى الموصل وباد فى اتباعه فثار به أهل الموصل نفورا من سوء سيرة الديلم فهرب منها ودخل باد وملك الموصل وحدّث نفسه بالمسير الى صمصام الدولة ببغداد وانتزاع بغداد من يد الديلم واحتفل فيه ولقيهم باد فى صفر من سنة أربع وسبعين فهزموه وملكوا الموصل ولحق باد بديار بكر وجمع عليه عساكر وكان بنو سيف الدولة بن حمدان بحلب قد ملكها معهم سعد الدولة ابنه بعد مهلكه فبعث اليه صمصام الدولة أن يكفيه أمر باد على أن يسلم اليه ديار بكر فبعث سعد الدولة اليه جيشا فلم يكن لهم طاقة وزحفوا الى حلب فبعث سعد الدولة من اغتاله فى مرقده بخيمته من البادية وضربه فاعتل واشفى على الموت وبعث الى سعد وزياد الاميرين بالموصل فصالحهما على أن تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباد ورجع زياد الى بغداد وهو الذى جاء بعساكر الديلم وانهزم باد أمامه ثم توفى سعد الحاجب بالموصل سنة سبع وسبعين فتجدد لباد الطمع فى ملكها وبعث شرف الدولة على الموصل أبا نصر خواشاذه فدخل الموصل واستمد العساكر والاموال فأبطأت عنه فدعا العرب من بنى عقيل وبنى نمير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها واستولى باد على طور عبدين وأقام بالجبل وبعث أخاه فى عسكر لقتال العرب فانهزم وقتل وبينما خواشاذه يتجهز لقتال باد جاءه الجند بموت شرف الدولة ثم جاء أبو ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان أميرين على الموصل من قبل بهاء الدولة وبقيت فى ملكهما الى سنة احدى وثمانين فبعث بهاء الدولة عسكرا مع أبى جعفر الحجاج بن هرمز فملكها وزحف اليه أبو الرواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل فقاتله وبالغ فى مدافعته واستمد بهاء الدولة فبعث اليه الوزير أبا القاسم على بن أحمد وسار أوّل سنة ثنتين وثمانين وكتب الى أبى جعفر بالقبض عليه بسعاية ابن المعلم وشعر الوزير بذلك فصالح أبا الرواد ورجع ووجد بهاء الدولة قد قبض على ابن المعلم وقتله

(وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة)

ثم توفى شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة فى جمادى سنة تسع وسبعين

لسنتين وثمانية أشهر من امارته ودفن بمشهد على بعد أن طالت علته بالاستسقاء وبعث وهو عليل الى أخيه صمصام الدولة بفارس فشمله وبعث ابنه أبا على الى بلاد فارس ومعه الخزائن والعدد وجماعة من الاتراك وسئل شرف الدولة فى العهد فلكه وأبى أن يعهد واستخلف أخاه بهاء الدولة لحفظ الامور فى حياته فلما مات قعد فى المملكة وجاء الطائع للعزاء وخلع عليه للسلطنة فأقر أبا منصور بن صالحان على وزارته وبعث أبا طاهر ابراهيم وأبا عبد الله الحسن ابنى ناصر الدولة بن حمدان الى الموصل وكان فى خدمة شرف الدولة فاستأذنا بهاء الدولة بعد موته فى الاصعاد الى الموصل فأذن لهما ثم ندم على مافرط فى أمرهما وكتب الى خواشاذه بمدافعتهما فامتنعا وجاآ ونزلا بظاهر الموصل وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك وخرجوا الى بنى حمدان وقاتلوا الديلم فهزموهم وقتل الديلم كثيرا منهم واعتصم الباقون بدار الامارة فأخرجوهم على الامان ولحقوا ببغداد وملك بنو حمدان الموصل وكان أبو على بن شرف الدولة لما انصرف الى فارس بلغه موت ابنه بالبصرة فبعث العيال والاموال فى البحر الى أرجان وسار هو اليها ثم سار الى شيراز فوافاه بها عمه صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقهما الموكلون بهما ومعهما فولاد وجاؤا الى شيراز واجتمع عليهم الديلم وخرج أبو على الى الاتراك فاجتمعوا عليه وقاتل صمصام الدولة والديلم أياما ثم سار الى نسا فلكها وقتل الديلم بها ثم سار الى أرجان وبعث الاتراك الى شيراز لقتال صمصام الدولة فنهبوا البلد وعادوا اليه بأرجان ثم بعث بهاء الدولة الى على ابن أخيه يستقدمه واستمال الاتراك سرا فحملوا أبا على على المسير اليه فسار فى جمادى سنة ثمانين فأكرمه ثم قبض عليه وقتله ثم وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم واقتتلوا خمسة أيام ثم راسلهم بهاء الدولة فى الصلح فلم يجيبوا وقتلوا رسله فظاهر الاتراك عليهم فغلبوهم واشتدت شوكة الاتراك من يومئذ وضعف أمر الديلم وصالح بينهم على ذلك وقبض على بعض الديلم وافترقوا

(خروج القادر الى البطيحة)

كان اسحق بن المقتدر لما توفى ترك ابنه أبا العباس أحمد الذى لقب بالقادر فجرت بينه وبين أخت له منازعة فى ضيعة ومرض الطائع مرضا مخوفا ثم أبل فسعت تلك الاخت بأخيها وانه طلب الخلافة فى مرض الطائع فأنفذ أبا الحسين بن حاجب النعمان فى جماعة للقبض عليه وكان بالحريم الطاهرى فغلبهم النساء عليه وخرج من داره متسترا ثم لحق بالبطيحة ونزل على مهذب الدولة فبالغ فى خدمته الى أن أتاه بشير الخلافة

(فتنة صمصام الدولة)

لما تغلب صمصام الدولة على بلاد فارس وجاء أبو على شرف الدولة الى عمه بهاء الدولة فقتله كما ذكرنا سار بهاء الدولة من بغداد الى خوزستان سنة ثمانين وثلثمائة قاصدا بلاد فارس واستخلف أبا نصر خواشاذه على بغداد ولما بلغ خوزستان أتاه نعى أخيه أبى طاهر فجلس للعزاء به ثم سار الى أرجان فملكها وأخذ ما فيها من الاموال وكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف درهم وكثيرا من الثياب والجواهر وشغب الجند لذلك فأطلق تلك الاموال كلها لهم ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عسكر صمصام الدولة فانهزموا وثبت أبو العلاء بن الفضل فى نواحى فارس ثم بعث صمصام الدولة عسكره وعليهم قولاد بن مابدان فهزموا أبا العلاء وعاد الى ارجان وجاء صمصام الدولة من شيراز الى قولاد ثم وقع الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان وما وراءها من ملك العراق وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع فى بلد صاحبه وتعاقدا على ذلك ورجع بهاء الدولة الى بغداد فوجد الفتنة بين أهل السنة والشيعة بجانب بغداد وقد كثر القتل والنهب والتخريب فأصلح ذلك وكان قبل سيره الى خوزستان قبض على وزيره أبى منصور بن صالحان واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير وكان الحكم والتدبير فى دولته لابى الحسين ابن المعلم

(خلع الطائع وبيعة القادر)

ثم ان بهاء الدولة قلت عنده الاموال وكثر شغب الجند ومطالباتهم وقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه وامتدت عيناه الى أموال الطائع وهم بالقبض عليه وحسن له ذلك أبو الحسين ابن المعلم الغالب على هواه فتقدم الى الطائع بالجلوس لحضوره فى خدمته فجلس وجاء بهاء الدولة على كرسى ثم جاء بعض الديلم يقبل يد الطائع فجذبه عن سريره وأخرجه ونهب قصور الخلافة وفشا النهب فى الناس وحمل الطائع الى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة احدى وثمانين لسبع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته وأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه الى البطيحة ليحضروا القادر بالله أبا العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ليبايعوه فجاؤا به بعد أن بايع مهذب الدولة صاحب البطيحة فى خدمته وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقيه فتلقوه بجبل ودخل دار الخلافة لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان وخطب له صبيحتها وكانت مدة اقامته بالبطيحة ثلاث سنين غير شهر ولم يخطب له بخراسان وأقاموا على بيعة الطائع فأنزله بحجرة من قصره ووكل عليه من يقوم بخدمته على أتم الوجوه وأجرى أحواله على ما كان عليه

فى الخلافة الى أن توفى سنة ثلاث وتسعين فصلى عليه ودفنه

(ملك صمصام الدولة الاهواز وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيا عليها)

قد تقدم لنا ما وقع بين بهاء الدولة وصمصام الدولة من الصلح على أن يكون له فارس ولبهاء الدولة خورستان وما وراءها وذلك سنة ثمان ولما كانت سنة ثلاث وثمانين تحيل بهاء الدولة فبعث أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز على أن يبعث اليه الجيوش مفترقة فاذا اجتمعت كبس بلاد فارس على حين غفلة وشعر صمصام الدولة بذلك قبل اجتماع العساكر فبعث عساكره الى خورستان ثم جاءت عساكر العراق والتقوا فانهزم ابو العلاء وحمل الى صمصام الدولة أسيرا فاعتقله وبعث بهاء الدولة وزيره أبا نصر ابن سابور الى واسط يحاول له جمع المال فهرب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة ثم كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير نصر بن سابور واستعفى واستوزر أبا القاسم على بن أحمد ثم هرب وعاد سابور الى الوزارة وأصلح الديلم ثم أنفذ بهاء الدولة عسكره الى الاهواز سنة أربع وثمانين وعليهم طغان التركى وانتهوا الى السوس فارتحل عنها أصحاب صمصام الدولة وملكها طغان وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر أصحاب صمصام الدولة الديلم ومعه تميم وأسد فزحف الى طغان بالاهواز وأسرى من تستر ليكبس الاتراك الذين مع طغان فقتل فى طريقه وأصبح دونهم على رأى منهم فركبوا لقتاله وأثخنوا فيه ثم قاتلوه فهزموه وفتكوا فى الديلم بالقتل حربا وصبرا وجاء الخبر الى بهاء الدولة بواسط فسار الى الاهواز فترك بها طغان ورجع ولحق صمصام الدولة بفارس فاستلحم من وجد بها من الاتراك وهرب فلهم الى كرمان واستأذنوا ملك السند فى اللحاق بأرضه فأذن لهم ثم ركب لتلقيهم فقتلهم عن آخرهم ثم جهز صمصام الدولة عساكره الى الاهواز مع العلاء بن الحسين وكان افتكين برامهرمز من قبل بهاء الدولة مكان أبى كاليجار المرزبان بن شهفيرون وجاء بهاء الدولة الى خورستان للعلاء قائد صمصام الدولة وكاتبه وكاتب افتكين وابن مكرم الى أن قرب منهم وملك البلد من أيديهم وأقاموا بظاهرها واستمدوا بهاء الدولة فأمدهم بثمانين من الاتراك فقتلوهم عن آخرهم وسار بهاء الدولة نحو الاهواز ثم عاد الى البصرة وعاد ابن مكرم الى عسكر مكرم والعلاء والديلم فى اتباعه الى أن جاوزوا تستر اليه فاقتتلوا طويلا وأصحاب بهاء الدولة من تستر الى رامهرمز وهم الاتراك وأصحاب صمصام الدولة من تستر الى ارجان فاقتتلوا ستة أشهر ورجعوا الى الاهواز ثم رحل الاتراك الى واسط واتبعهم العلاء قليلا ثم رجع وأقام بعسكر مكرم

(ملك صمصام الدولة البصرة)

لما رحل بهاء الدولة الى البصرة استأمن كثير من الديلم الذين معه الى العلاء نحو من أربعمائة فبعثهم مع قائده السكرستان الى البصرة وقاتلوا أصحاب بهاء الدولة ومال اليهم أهل البلد ومقدمهم أبو الحسن بن أبى جعفر العلوى وارتاب بهم بهاء الدولة فهرب الكثير منهم الى السكرستان وحملوه فى السفن فأدخلوه البصرة وخرج بهاء الدولة وأصحابه فكتب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يغريه بالبصرة فبعث اليها جيشا مع قائده عبد الله بن مرزوق فغلب عليها السكرستان وملكها لمهذب الدولة ثم عاد السكرستان وقاتلها وكاتب مهذب الدولة بالصلح والطاعة والخطبة له بالبصرة وأعطى ابنه رهينة على ذلك فأجابه وملك البصرة وعسف بهم وكان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة ثم ان العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخورستان توفى بعسكر مكرم فبعث مكانه أبا على اسمعيل بن أستاذ هرمز وسار الى جنديسابور فدفع عنها أصحاب بهاء الدولة وأزاح الاتراك عن ثغر خراسان جملة وعادوا الى واسط وكاتب جماعة منهم فنزعوا اليه ثم زحف اليهم أبو محمد مكرم والاتراك وجرت بينهم وقائع ثم انتقض أبو على اسمعيل بن أستاذ هرمز ورجع الى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط سنة ثمان وثمانين فاستوزره ودبر أمره واستدعاه الى مظاهرة قائده ابن مكرم بعسكر مكرم فسار اليه وكانت من اسمعيل خديعة تورّط فيها بهاء الدولة واستمد بدر بن حسويه فأمده ببعض الشئ وكاد يهلك ثم جاء الفرج بقتل صمصام الدولة

(مقتل صمصام الدولة)

كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستوليا على فارس كما ذكرناه وكان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين ببعض قلاع فارس فخرّدا الموكلين بهما فى القلعة وأخرجوا عنها واجتمع اليهما من الاكراد وكان جماعة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لما أسقطهم من الديوان فلحقوا بابنى بختيار وقصدوا ارجان وتجهز صمصام الدولة اليهم وكان أبو على ابن استاذ هرمز مقيما بنسا فثار به الجند وحبسه ابنا بختيار ثم نجا وقصد صمصام الدولة القلعة التى على شيراز ليمتنع فيها الى أن يأتيه المدد فلم يمكنه أن يأتيها من ذلك وأشار عليه باللحاق بأبى على بن أستاذ هرمز أو بالاكراد وجاءته منهم طائفة فخرج معهم بأمواله فنهبوه وسار الى الرودمان على مرحلتين من شيراز وجاء أبو النصر ابن بختيار الى شيراز فقبض صاحب الرودمان على صمصام الدولة وأخذه منه أبو نصر

وقتله فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين لتسع سنين من امارته على فارس

(استيلاء بهاء الدولة على فارس)

ولما قتل صمصام الدولة وملك ابنا بختيار بلاد فارس كتبا الى أبى على بن أستاذهرمز فى الاهواز بأخذ الطاعة لهما من الديلم ومحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو على بما كان من قتله أخويهما وأغرى الديلم بطاعة بهاء الدولة وراسله واستحلفه لهم خلف وضمن لهم غائلة الاتراك الذين معه وأغراهم بثأر أخيه من ابنى بختيار فدخلوا فى طاعته وجاءه وفد من أعيانهم فاستوثقوا منه وكتبوا الى من كان بالسوس منهم بذلك وركب بهاء الدولة الى نائب السوس فقاتلوه أولا ثم اجتمعوا عليه وساروا الى الاهواز ثم الى رامهرمز وارجان وملكوا سائر بلاد خورستان وسار أبو على بن اسمعيل الى شيراز وقاتلها وتسرب اليه أصحاب ابنى بختيار فاستولى على شيراز سنة تسع وثمانين ولحق أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم وأبو القاسم ببدر بن حسنويه ثم بالبطيحة وكتب أبو على الى بهاء الدولة بالفتح فجاء وترك شيراز وأحرق قرية الرودمان حيث قتل أخوه صمصام الدولة واستأصل أهلها وبعث عسكرا مع أبى الفتح الى جعفر بن أستاذهرمز الى كرمان فملكها ولما لحق أبو القاسم بن بختيار ببلاد الديلم كاتب من هنالك الديلم الذين بكرمان وفارس تسلهم فأجابوه وسار الى بلاد فارس واجتمع عليه كثير من الزط والديلم والاتراك ثم سار الى كرمان وبها أبو جعفر بن أستاذهرمز فهزمه الى السيرجان ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وأكثر كرمان وبعث بهاء الدولة الموفق بن على ابن اسمعيل فى العساكر الى جيرفت فاستأمن اليه من كان بها من أصحاب بختيار وملكها وتجرد فى جماعة من شجعان أصحابه لاتباع ابن بختيار فلحقه بدارين وقاتله فغدر به بعض أصحابه فقتله وحمل رأسه الى الموفق واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها وعاد الى بهاء الدولة فتلقاه وعظمه واستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه ولج الموفق فى ذلك فقبض عليه بهاء الدولة وكتب الى وزيره سابور بالقبض على ذويه ثم قتله سنة أربع وتسعين واستعمل بهاء الدولة أبا محمد مكرما على عمان

(الخبر عن وزراء بهاء الدولة)

قد ذكرنا ان بهاء الدولة كان استوزر أبا نصر بن سابور بن أردشير ببغداد وقبض على وزيره أبى منصور بن صالحان قبل مسيره الى خورستان وان أبا الحسن بن المعلم كان يدير دولته وذلك منذ سنة ثمانين فاستولى ابن المعلم على الامور وانصرفت اليه الوجوه فأساء السيرة وسعى فى أبى نصر خواشاده وأبى عبد الله بن طاهر فقبضهما بهاء

الدولة مرجعه من خورستان وشغب الجند وطلبوا تسليمه اليهم ولاطفهم فلم يرجعوا فقبض عليه وسلمه اليهم فقتلوه وذلك سنة ثنتين وثمانين ثم قبض على وزيره أبى نصر بالاهواز سنة احدى وثمانين واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ثم استوزر بعده أبا القاسم على بن أحمد وقبض عليه سنة ثنتين وثمانين لاتهامه بمداخلة الجند فى أمر ابن المعلم واستوزر أبا نصر بن سابور وأبا منصور بن صالحان جميعا وشغب الجند على أبى نصر ونهبوا داره سنة ثلاث وثمانين فاستعفى رفيقه ابن صالحان فاستوزر أبا القاسم على بن أحمد ثم هرب وعاد أبو نصر الى الوزارة بعد أن أصلح أمور الديلم فاستوزر مكانه الفاضل وقبض عليه سنة ست وثمانين واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير فبقى شهرين وفرق أموال بهاء الدولة فى القواد ثم العرب الى البطيحة فاستوزر بهاء الدولة مكانه عيسى بن ماسرخس

(ولاية العراق)

كان بهاء الدولة منذ استولى على فارس سنة تسع وثمانين أقام بها وولى على خورستان والعراق أبا جعفر الحجاج بن هرمز فنزل بغداد ولقبه عميد الدولة فساءت سيرته وفسدت أموال البلاد وعظمت الفتنة ببغداد بين الشيعة وأهل السنة وتطاول الدعار والعيارون فعزله بهاء الدولة سنة تسعين وولى مكانه أبا على الحسن بن أستاذ هرمز ولقبه عميد الجيوش فأحسن السيرة وحسم الفتنة وحمل الى بهاء الدولة أموالا جليلة ثم ولى مكانه سنة احدى وتسعين أبا نصر سابور وثار به الاتراك ببغداد فهرب منهم ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ والاتراك وكان أهل السنة مع الاتراك ثم مشى الاعلام بينهم فى الصلح فتهادنوا

(انقراض دول وابتداء أخرى فى النواحى)

وفى سنة ثمانين ابتدأت دولة بنى مروان بديار بكر بعد مقتل خالهم باد وقد مر ذكره وفى سنة ثنتين وثمانين انقرضت دولة بنى حمدان بالموصل وابتدئت دولة بنى المسيب من عقيب كما نذكرها وفى سنة أربع وثمانين انقرضت دولة بنى سامان من خراسان وابتدئت دولة بنى سبكتكين فيها وفى سنة تسع وثمانين انقرضت دولة بنى سامان مما وراء النهر وانقسمت بنو سبكتكين وملك القان ملك الترك وفى سنة ثمان وثمانين ابتدئت دولة بنى حسنويه الاكراد بخراسان وفى سنة تسع وتسعين كان ابتداء دولة بنى صالح بن مرداس من بنى كلاب بحلب كما نستوفى سياقة أخبارهم فى دولهم منفردة كما شرطناه

(ظهور بنى مزيد)

وفى سنة سبع وثمانين خرج أبو الحسن على بن مزيد فى قومه بنى أسد ونقض طاعة بهاء الدولة فبعث اليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم ثم بعث فى الصلح والاستقامة وراجع الطاعة ثم رجع الى انتقاضه سنة ثنتين وتسعين واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه بنى عقيب فحاصروا المدائن ثم بعث اليهم أبو جعفر الحجاج وهو نائب ببغداد العساكر فدفعوهم عنها وخرج الحجاج واستنجد خفاجة فجاء من الشأم وقاتل بنى عقيب وبنى أسد فهزموه ثم خرج اليهم ولقيهم بنواحى الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر واستباح ملك بنى مزيد وظهر فى بغداد فى مغيب أبى جعفر من الفتنة والفساد والقتل والنهب مالا يحصى فكان ذلك السبب فى أن بعث بهاء الدولة أبا على بن جعفر أستاذ هرمز كامرز ولقبه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمن الناس ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحى الكوفة وارتاب به أبو على فجمع الديلم والاتراك وخفاجة وسار اليه واقتتلوا بالنعمانية وذلك سنة ثلاث وتسعين فانهزم أبو جعفر وسار أبو على الى خورستان ثم الى السوس فعاد أبو جعفر الى الكوفة ورجع أبو على فى اتباعه فلم تزل الفتنة بينهما وكل واحد منهما يستنجد ببنى عقيب وبنى أسد وخفاجة حتى أرسل بهاء الدولة عن أبى على وبعثه الى البطيحة لفتنة بنى واصل كما نذكره فى دولتهم ولما كانت سنة سبع وتسعين جمع أبو جعفر وسار لحصار بغداد وأمده ابن حسنويه أمير الاكراد وذلك أن عميد الجيوش ولى على طريق خراسان أبا الفضل ابن عنان وكان عدوا لبدر بن حسنويه فارتاب لذلك واستدعى أبا جعفر وجمع له جموعا من أمراء الاكراد منهم هندى بن سعد وأبو عيسى شادى بن محمد ورزام بن محمد وكان أبو الحسن على بن مزيد الاسدى انصرف عن بهاء الدولة مغاضبا له فسار معهم وكانوا عشرة آلاف وحاصروا بغداد وبها أبو الفتح بن عنان شهرا ثم جاءهم الخبر بانهزام ابن واصل بالبطيحة الذى سار عميد الجيوش اليه فافترقوا وعاد ابن مزيد الى بلده وسار أبو جعفر الى حلوان وأرسل بهاء الدولة فى الطاعة وحضر عنده بتستر فأعرض عنه رعيا لعميد الجيوش

(فتنة بنى مزيد وبنى دبيس)

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيما عند أصهاره بنى دبيس فى جزيرتهم بخورستان فقتل أبو الغنائم بعض رجالاتهم ولحق بأخيه أبى الحسن فانحدر أبو الحسن اليهم فى ألفى فارس واستمد عميد الجيوش فأمده بعسكر من الديلم ولقيهم فانهزم أبو الحسن وقتل

أخوه أبو الغنائم

(ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل)

وفى أول المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل لصاحب مصر الحاكم العلوى فى جميع أعماله وهى الموصل والانبار والمدائن والكوفة فبعث القادر القاضى أبا بكر الباقلانى الى بهاء الدولة يعرفه فأكرمه وكتب الى عميد الجيوش بمحاورة قرواش وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها وسار عميد الجيوش لذلك فراجع قراوش الطاعة وقطع خطبة العلويين وكان ذلك داعيا فى كتابه المحضر بالطعن فى نسب العلوية بمصر شهد فيه الرضى والمرتضى وابن البطحاوى وابن الازرق والزكى وأبو يعلى عمر بن محمد ومن العلماء والقضاة ابن الاكفانى وابن الجزرى وأبو العباس الابيوردى وأبو حامد الاسفراينى والكستلى والقدورى والصهيرى وأبو عبد الله البيضاوى وأبو الفضل النسوى وأبو عبد الله النعمان فقيه الشيعة ثم كتب ببغداد محضر آخر بمثل ذلك سنة أربع وأربعين وزيد فيه انتسابهم الى الديصانية من المجوس وبنى القداح من اليهود وكتب فيه العلوية والعباسية والفقهاء والقضاة وعملت به نسخ وبعث بها الى البلاد

(وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك)

كان عميد الجيوش أبو على بن أبى جعفر أستاذ هرمز وكان أبو جعفر هذا من حجاب عضد الدولة وجعل ابنه أبا على فى خدمة ابن صمصام الدولة فلما قتل رجع الى خدمة بهاء الدولة ولما استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون بعثه بهاء الدولة عليها فأصلحها وقمع المفسدين ومات لثمان سنين ونصف من ولايته الى أول المائة الخامسة وولى بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فوصل بغداد وأحسن السياسة واستقامت الامور به واتفق لاول قدومه وفاة أبى الفتح محمد بن عنان صاحب طريق خراسان بحلوان لعشرين سنة من امارته وكان كثير الاجلاب على بغداد فلما توفى ولى ابنه أبو الشوك وقام مقامه فبعث فخر الملك العساكر لقتاله فهزموه الى حلوان ثم راجع الطاعة وأصلح حاله

(مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان)

كان فخر الملك أبو غالب من أعظم وزراء بنى بويه وولى نيابة بغداد لسلطان الدولة خمس سنين وأربعة أشهر ثم قبض عليه وقتله فى ربيع سنة ست وأربعمائة وولى مكانه أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش وسار سنة تسع الى بغداد وبرد من الطريق مع طراد بن دشير الاسدى فى طلب مهارش ومضر ابنى دشير وكان مضر قد

قبض عليه قديما بأمر فخر الملك فأراد أن يأخذ جزيرة بنى أسد منه ويوليها طرادا فساروا عن المدار واتبعهم ولحق الحسن بن دبيس آخرهم فأوقع به واستباحه ثم استأمن له مضر ومهارش فأمنهما وأشرك معهما طرادا فى الجزيرة ورجع وأنكر عليه سلطان الدولة فعله ووصل الى واسط والفتنة قائمة فأصلحها ثم بلغه اشتداد الفتن ببغداد فسار وأصلحها وكان أمر الديلم قد ضعف ببغداد وخرجوا الى واسط

* (الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبى الفوارس) *

قد ذكرنا ان سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس على كرمان فلما سار اليها اجتمع اليه الديلم وحملوه على الانتقاض وانتزاع الملك من يد أخيه فسار سنة ثمان الى شيراز ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه وعاد الى كرمان واتبعه سلطان الدولة فخرج هاربا من كرمان ولحق بمحمود بن سبكتكين مستنجدا به فأكرمه وأمده بالعساكر وعليهم أبو سعيد الطائى من أعيان قواده فسار الى كرمان وملكها ثم الى شيراز كذلك وعاد سلطان الدولة لحربه فهزمه وأخرجه من بلاد فارس الى كرمان وبعث الجيوش فى اثره فانتزعوا كرمان منه ولحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان وترك ابن سبكتكين لانه أساء معاملة قائده أبى سعيد الطائى ثم فارق شمس الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه وبعث اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالا وثيابا وعرض عليه المسير اليه فأبى وأرسل أخاه سلطان الدولة فى المراجعة وأعاده الى ولاية كرمان وقبض سلطان الدولة سنة تسع على وزير بن فانجس واخوته وولى مكانه أبا غالب الحسن بن منصور

* (خروج الترك من الصين) *

وفى سنة ثمان وأربعين خرجت من المفازة التى بين الصين وما وراء النهر أمم عظيمة من الترك تزيد على ثلثمائة ألف خيمة ويسمون الخيمة جذ كان ويتخذونها من الجلود وكان معظمهم من الخطا قد ظهروا فى ملك تركستان فرض ملكها طغان فساروا اليها وعاثوا فيها ثم أبل طغان واستنفر المسلمين من جميع النواحى وسار اليهم فى مائة وعشرين ألفا فهزموا أمامه واتبعهم مسيرة ثلاثة أشهر ثم كبسهم فقتل منهم نحوا من مائتى ألف وأسر مائة ألف وغنم من الدواب والبيوت وأوانى الذهب والفضة من معمول الصين ما لا يعبر عنه

* (ملك مشرف الدولة وغلبه على سلطان الدوله) *

لم يزل سلطان الدولة ثابت القدم فى ملكه بالعراق الى سنة احدى عشرة وأربعمائة

فشغب عليه الجند ونادوا بشعار أخيه مشرف الدولة فأشير عليه بحبسه فعف عن ذلك وأراد الانحدار الى واسط فطلبه الجند فى الاستخلاف فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق وسار الى الاهواز فلما بلغ تستر استوزر سهلان وقد كان اتفق مع أخيه مشرف الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره فاستوحش لذلك مشرف الدولة وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان ليخرجه من العراق فجمع أتراك واسط وأبا الاغر دبيس ابن على بن مزيد ولقى ابن سهلان عند واسط فهزمه وحاصره بها حتى اشتد حصاره وجهده الحصار فصالحه ونزل عن واسط فملكها فى ذى الحجة من سنة احدى عشرة وسار الديلم الذين بواسط فى خدمته وسار أخوه جلال الدولة أبو طاهر صاحب البصرة الى وفاقه وخطب له ببغداد وقبض على ابن سهلان وكحله وسار سلطان الدولة الى ارجان ثم رجع الى الاهواز وثار عليه الاتراك الذين هنالك ودعوا بشعار مشرف الدولة وخرجوا الى السابلة فأفسدوها وعاد مشرف الدولة الى بغداد فخطب له بها سنة ثنتى عشرة وطلب منه الديلم أن ينحدروا الى بيوتهم بخوزستان فبعث معهم وزيره أبا غالب فلما وصلوا الى الاهواز انتقضوا ونادوا بشعار سلطان الدولة وقتلوا أبا غالب لسنة ونصف من وزارته ولحق الاتراك الذين كانوا معه بطراد بن دبيس بالجزيرة وبلغ سلطان الدولة قتل أبى غالب وافتراق الديلم فأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الاهواز وملكها ثم وقع الصلح بينهما على يد أبى محمد بن أبى مكرم ومؤيد الملك الرخجى على أن تكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة واستوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجى ولقبه مويد الملك بعد قتل أبى غالب ومصادرة ابنه أبى العباس ثم قبض عليه سنة أربع عشرة بعد حول من وزارته بسعاية الاثير الخادم فيه واستوزر مكانه أبا القاسم الحسين ابن على بن الحسين المغربى كان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان وهرب الى مصر وخدم الحاكم فقتله وهرب ابنه أبو القاسم هذا الى الشأم وحمل حسان بن الفرج ابن الجراح الطائى على نقض طاعة الحاكم والبيعة لابى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة فاستقدمه الى الرملة وبايعه ثم خلفه وعاد الى مكة وقصد أبو القاسم العراق واتصل بالوزير فخر الملك وأمره القادر بابعاده فلحق بقرواش أمير الموصل وكتب له ثم عاد الى العراق وتنقلت به الحال الى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخجى وكان خبيثا محتالا حسودا ثم قدم مشرف الدولة الى بغداد سنة أربع عشرة ولقيه القادر ولم يلق أحدا قبله

(الخبر عن وحشة الاكراد وفتنة الكوفة)

كان الاثير عنبر الخادم مستوليا فى دولة مشرف الدولة الوزير أبى القاسم المغربى عديله فى حملها فنقم الاتراك عليهما وطلبوا من مشرف الدولة اخراجهما من بغداد خوفا على

انفسهما فخرج معهما غضبا على الاتراك ونزلوا على قرواش بالسندية واستعظم الاتراك ذلك وبعثوا بالاعتذار والرغبة وقال أبو القاسم المغربى دخل بغداد انما هو أربعمائة ألف وخرجها ستمائة فاتركوا مائة وأحتمل مائة فأجابوه الى ذلك خداعا وشعر بوصولهم فهرب لعشرة أشهر من وزارته ثم كانت فتنة بالكوفة بين العلوية والعباسية وكان لابى القاسم المغربى صهر وصداقة فى العلوية فاستعدى العباسيون المغربى عليهم فلم يعدهم لمكان المغربى وأمرهم بالصلح فرجعوا الى الكوفة واستمد كل واحد منهم خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم واقتتل العلوية والعباسية فغلبهم العلوية ولحقوا ببغداد ومنعوا الخطبة يوم الجمعة وقتلوا بعض قرابة العلوية الذين بالكوفة فعهد القادر للمرتضى أن يصرف أبا الحسن على بن أبى طالب ابن عمر عن نقابة الكوفة ويردها الى المختار صاحب العباسية وبلغ ذلك المغربى عند قرواش بسر من راى فشرع فى ارغام القادر وبعث القادر الى قرواش يطرده فلحق بابن مروان فى ديار بكر

(وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه جلال الدولة)

ثم توفى مشرف الدولة أبو على بن بهاء الدولة سنة ست عشرة فى ربيع لخمس سنين من ملكه وولى مكانه بالعراق أخوه أبو طاهر جلال الدولة صاحب البصرة وخطب له ببغداد واستقدم فبلغ واسط ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب ببغداد فى شوال لابن أخيه أبى كاليجار بن سلطان الدولة وهو بخورستان يحارب عمه أبا الفوارس صاحب كرمان وسمع جلال الدولة بذلك فبادر الى بغداد ومعه وزيره أبو سعد ابن ماكولا ولقيه عسكرها فردوه أقبح رد ونهبوا خزائنه فعاد الى البصرة واستحثوا أبا كاليجار فتباطأ لشغله بحرب عمه وسار الى كرمان لقتال عمه فملكها واعتصم عمه بالجبال ثم تراسلا واصطلحا على أن تبقى كرمان لابى الفوارس وتكون بلاد فارس لابى كاليجار

(قدوم جلال الدولة الى بغداد)

ولما رأى الاتراك اختلال الاحوال وضعف الدولة بفتنة العامة وتسلط العرب والاكراد بحصار بغداد وطمعهم فيها وأنهم بقوا فوضى وندموا على ما كان منهم فى رد جلال الدولة اجتمعوا الى الخليفة يرغبون اليه أن يحضر جلال الدولة من البصرة ليقيم أمر الدولة فبعث اليه القاضى أبا جعفر السمنانى بالعهد عليه وعلى القواد فسار جلال الدولة الى بغداد فى جمادى من سنة ثمان عشرة وركب الخليفة فى الطيار لتلقيه فدخل ونزل التجيبى وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات ومنعه الخليفة من ذلك فقطعه

مغاضبا ثم أذن له الخليفة فيه فأعاده وأرسل مؤيد الملك أباعلى الرخجى الى الاثير عنبر الخادم عند قرواش يستدعيه يعتذر عن الاتراك ثم شغب الاتراك عليه سنة تسع عشرة وحاصروه بداره وطلبوا من الوزير ابى على بن ماكولا أرزاقهم ونهبوا دوره ودور الكتاب والحواشى وبعث القادر من أصلح بينهم وبينه فسكن شغبهم ثم خالفوا أبا كاليجار بن سلطان الدولة الى البصرة فملكها ثم ملك كرمان بعد وفاة صاحبها قوام الدولة أبى الفوارس ابن بهاء الدولة كما نذكر فى أخبارهم فى دولتهم عند افرادها بالذكر فنستوفى أخبارهم ودول سائر بنى بويه وبنى وشمكير وبنى المرزبان وغيرهم من الديلم فى النواحى

(مسير جلال الدولة الى الاهواز)

كان نور الدولة دبيس بن على بن مزيد صاحب الحلة ولم تكن الحلة يومئذ بمدينة قد خطب لابى كاليجار لمضايقة المقلد بن أبى الاغر الحسن بن مزيد وجمع عليه منيعا أمير بنى خفاجة وعساكر بغداد فخطب هو لابى كاليجار واستدعاه لملك واسط وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالنعمانية وتركها وضيق عليه نور الدولة من كل جهة فتفرق ناس من أصحابه وهلك الكثير من أثقاله واستولى أبو كاليجار على واسط ثم خطب له فى البطيحة وأرسل الى قرواش صاحب الموصل وعنده الاثير عنبر يستدعيهما الى بغداد فانحدر عنبر الى الكحيل ومات به وقعد قرواش وجمع جلال الدولة عساكره ببغداد واستمد أبا الشوك وغيره وانحدر الى واسط وأقام هنالك من غير قتال وضاقت عليه الاحوال واعتزم أبو كاليجار على مخالفته الى بغداد وجاءه كتاب أبى الشوك بزحف عساكر محمود بن سبكتكين الى العراق ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم فأنفذ أبو كاليجار الكتاب لجلال الدولة فلم يثنه عن قصده ودخل الاهواز فنهبها وأخذ من دار الامارة مائتى ألف دينار واستباح العرب والاكراد سائر البلد وحمل حريم كاليجار الى بغداد وسبيا فماتت أمه فى الطريق وسار أبو كاليجار لاعتراض جلال الدولة وتخلف عنه دبيس لدفع خفاجة عن أصحابه واقتتلوا فى ربيع سنة احدى وعشرين ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفان ودبيس لما فارق أبا كاليجار وصل الى بلده وجمع اليه جماعة من قومه وكانوا منتقضين عليه بالجامعين فأوقع بهم وحبس منهم وردهم الى وفاقه ثم لقى المقلد بن أبى الاغر وعساكر جلال الدولة فانهزم امامهم وأسر جماعة من أصحابه وسار منهزما الى أبى سنان غريب بن مكين فأصلح حاله مع جلال الدولة وأعاده الى ولايته على ضمان عشرة آلاف دينار وسمع بذلك المقلد فجمع خفاجة ونهبوا النيل وسورا وأحرقوا منازلها ثم عبر المقلد الى أبى الشوك فأصلح أمره مع جلال

الدولة ثم بعث جلال الدولة سنة احدى وعشرين عسكره الى المدار فملكها من يد أصحاب أبى كاليجار واستباحوها وبعث أبو كاليجار عسكره لمدافعتهم فهزموهم وثار أهل البلد بهم فقتلوهم ولحق من نجا منهم بواسط وعادت المدار الى أبى كاليجار

* (استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا وانتزاعها منه) *

لما استولى جلال الدولة على واسط نزل بها ولده وبعث وزيره أبا على بن ماكولا الى البطائح فملكها ثم بعثه الى البصرة وبها أبو منصور بختيار بن على من قبل أبى كاليجار فسار فى السفن وعليهم أبو عبد الله الشرابى صاحب البطيحة فلقى بختيار وهزمه ثم سار الوزير أبو على فى اثره فى السفن فهزمه بختيار وسيق اليه أسيرا فأكرمه وبعثه الى أبى كاليجار فأقام عنده وقتله غلمانه خوفا منه انقيم منهم ما اطلع عليه وكان قد أحدث فى ولايته رسوما جائرة ومكوسا فاحشة ولما أصيب الوزير أبو على بعث جلال الدولة من كان عنده من جند البصرة فقاتلوا عسكر أبى كاليجار وهزموهم وملكوا البصرة ونجا من كان بها الى أبى منصور بختيار بالابلة وبعث السفن لقتال من بالبصرة فظفر بهم أصحاب جلال الدولة فسار بختيار بنفسه وقاتلهم وانهزم وقتل وأخذ كثير من السفهاء وعزم الاتراك بالبصرة على المسير الى الابلة وطلبوا المال من العامل فاختلفوا وتنازعوا وافترقوا ورجع صاحب البطيحة واستأمن آخرون الى أبى الفرج ابن مسافجس وزير أبى كاليجار وجاء الى البصرة فملكها ثم توفى بختيار ملك البصرة وقام بعده صهره أبو القاسم بطاعة أبى كاليجار فى البصرة ثم استوحش وانتقض وبعث بالطاعة لجلال الدولة وخطب له وبعث الى ابنه العزيز بواسط يستدعيه فسار اليه وأخرج عساكر أبى كاليجار وأقام معه الى سنة خمس وعشرين والحكم لأبى القاسم ثم أغراه الديلم به وانه يتغلب عليهم فأخرجه العزيز وامتنع بالابلة وحاربهم أياما وأخرج العزيز عن البصرة ولحق بواسط وعاد أبو القاسم الى طاعة أبى كاليجار

* (وفاة القادر ونصب القائم) *

ثم توفى القادر بالله سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة لاحدى وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته وكانت الخلافة قبلها قد ذهب رونقها بجسارة الديلم والاتراك عليها فأعاد اليها أبهتها وجدد ناموسها وكان له فى قلوب الناس هيبة ولما توفى نصب للخلافة ابنه أبو جعفر عبد الله وقد كان أبوه بايع له بالعهد فى السنة قبلها لمرض طرقه وأرجف الناس بموته فبويع الآن واستقرت له الخلافة ولقب القائم بأمر الله وأول من بايعه الشريف المرتضى وبعث القاضى أبا الحسن الماوردى الى أبى كاليجار ليأخذ عليه

البيعة ويخطب له فى بلاده فأجاب وبعث بالهدايا ووقعت لاول سنته فتنة بين أهل السنة والشيعة وعظم الهرج والنهب والقتل وخربت فيه أسواق وقتل كثير من جباة المكوس وأصيب أهل الكرخ وتطرق الدعار الى كبس المنازل ليلا وتنادى الجند بكراهية جلال الدولة وقطع خطبته ولم يجبهم القائم الى ذلك وفرق جلال الدولة فيهم الاموال فسكنوا وقعد فى بيته وأخرج دوابه من الاصطبل وأطلقها بغير سائس ولا حافظ لقلة العلف وطلب الاتراك منه أن يحملهم فى كل وقت فأطلقها وكانت خمسة عشر وفقد الجارى فطرد الطواشى والحواشى والاتباع وأغلق باب داره والفتنة تتزايد الى آخر السنة

(وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد)

ثم جاء الاتراك سنة ست وعشرين الى جلال الدولة فنهبوا داره وكتبه ودواوينه وطلبوا الوزير أبا اسحق السهيلى فهرب الى حلة غريب بن مكين وخرج جلال الدولة الى عكبرا وخطبوا ببغداد لابى كاليجار وهو بالاهواز واستقدموه فأشار عليه بعض أصحابه بالامتناع فاعتذر اليهم فأعادوا لجلال الدولة وساروا اليه معتذرين وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوما واستوزر أبا القاسم بن ماكولا ثم عزله واستوزر عميد الملك أبا سعيد عبد الرحيم ثم أمره بمصادرة أبى المعمر بن الحسين البساسيرى فاعتقله فى داره وجاء الاتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزقوا ثيابه وأدموه وركب جلال الدولة فأطفأ الفتنة وأخذ من البساسيرى ألف دينار وأطلقه واختفى الوزير ثم شغب الجند ثانيا فى رمضان وأنكروا تقديم الوزير أبى القاسم من غير علمهم وانه يريد التعرض لاموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه الى مسجد هنالك فوكلوا به فوثب العامة مع بعض القواد من أصحابه فأطلقوه وأعادوه الى داره وذهب هو فى الليل الى الكرخ بحرمه ووزيره أبو القاسم معه واختلف الجند فى أمره وأرسلوا اليه بأن يملكوا بعض أولاده الاصاغر وينحدر هو الى واسط وهو فى خلال ذلك يستميلهم حتى فرق جماعتهم وجاء الكثير اليه فأعادوه الى داره واستخلف البساسيرى فى جماعة للجانب الغربى سنة خمس وعشرين لاشتداد أمر العيارين ببغداد وكثرة الهرج وكفايته هو ونهضته ثم عاد أمر الخلافة والسلطنة الى أن اضمحل وتلاشى وخرج بعض الجند الى قرية فلقيهم اكراد وأخذوا دوابهم وجاؤا الى بستان القائم فتعللوا على عماله بأنهم لم يدفعوا عنهم ونهبوا ثمرة البستان وعجز جلال الدولة عن عقاب الاكراد وعقاب الجند وسخط القائم أمره وتقدم الى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل المراتب الدينية فرغب جلال الدولة من الجند أن يحملهم الى ديوان الخلافة فحملوا وأطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا فى حماية الجند وانتشر العرب

البساسيرى ببغداد للمستنصر العلوى صاحب مصر بجامع المنصور ثم بالرصافة وأمر بالأذان بحى على خير العمل وخيم بالزاهر وكان هوى البساسيرى لمذاهب الشيعة وترك أهل السنة للانحراف عن الاتراك فرأى الكندى المطاولة لانتظار السلطان ورأى رئيس الرؤساء المناجزة وكان غير بصير بالحرب فخرج لقتالهم فى غفلة من الكندى فانهزم وقتل من أصحابه خلق ونهب باب الازج وهو باب الخلافة وهرب أهل الحريم الخلافى فاستدعى القائم العميد الكندى للمدافعة عن دار الخلافة فلم يرعهم الا اقتحام العدو عليهم من الباب النوبى فركب الخليفة ولبس السواد والنهب قد وصل باب الفردوس والعميد الكندى قد استأمن الى قريش فرجع ونادى بقريش من السور فاستأمن اليه على لسان رئيس الرؤساء واستأمن هو أيضا معه وخرجا اليه وسارا معه ونكر البساسيرى على قريش نقضه لما تعاهدا عليه فقال انما تعاهدنا على الشركة فيما يستولى عليه وهذا رئيس الرؤساء لك والخليفة لى ولما حضر رئيس الرؤساء عند البساسيرى وبخه وسأله العفو فأبى منه وحمل قريش القائم الى معسكره على هيئته ووضع خاتون بنت أخى السلطان طغرلبك فى يد بعض الثقات من خواصه وأمره بخدمتها وبعث القائم ابن عمه مهارش فسار به الى بلده حديثة عان وأنزله بها وأقام البساسيرى ببغداد وصلى عيد النحر بالالوية المصرية واحسن الى الناس وأجرى أرزاق الفقهاء ولم يتعصب لمذهب وأنزل أم القائم بدارها وسهل جرايتها وولى محمود ابن الافرم على الكوفة وسقى الفرات وأخرج رئيس الرؤساء من محبسه آخر ذى الحجة فصلبه عند التجمى لخمسين سنة من تردده فى الوزارة وكان ابن ماكولا قد قبل شهادته سنة أربع عشرة وبعث البساسيرى الى المستنصر العلوى بالفتح والخطبة له بالعراق وكان هنالك أبو الفرج ابن أخى أبى القاسم المغربى فاستهان بفعله وخوفه عاقبته وأبطأت أجوبته مدة ثم جاءت بغير ما أمل وسار البساسيرى من بغداد الى واسط والبصرة فملكها وأراد قصد الاهواز فبعث صاحبها هزارسب بن شكر فأصلح أمره على مال يحمله ورجع البساسيرى الى واسط فى شعبان سنة احدى وخمسين وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى الى هزارسب وقد كان ولى بعد أباه على ما نذكر ثم جاء الخبر الى البساسيرى بظفر طغرلبك بأخيه وبعث اليه والى قريش فى اعادة الخليفة الى داره ويقيم طغرلبك وتكون الخطبة والسكة له فأبى البساسيرى من ذلك فسار طغرلبك الى العراق وانتهى الى قصر شيرين وأجفل الناس بين يديه ورحل أهل الكرخ بأهليهم وأولادهم برا وبحرا وكثر عيث بنى شيبان فى الناس وارتحل البساسيرى بأهله وولده سادس ذى القعدة سنة احدى وخمسين لحول كامل

أبى القاسم وأخذت أمواله وصودر على مائتى آلف دينار فأعطاها وجاء الملك أبو كاليجار البصرة فأقام بها أياما وولى فيها ابنه عز الملوك ومعه الوزير أبو الفرج ابن فسانجس ثم عاد الى الاهواز وحمل معه الظهير

(شغب الاتراك على جلال الدولة)

ثم شغب الاتراك على جلال الدولة سنة ثنتين وثلاثين وخيموا بظاهر البلد ونهبوا منها مواضع وخيم جلال الدولة بالجانب الغربى وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فاستمد دبيس بن مزيد وقرواش صاحب الموصل فأمدوه بالعساكر ثم صلحت الاحوال بينهم وعاد الى داره وطمع الاتراك وكثر نهبهم وتعديهم وفسدت الامور بالكلية

(ابتداء دولة السلجوقية)

قد تقدم لنا أن أمم الترك فى الربع الشرقى الشمالى من المعمور ما بين الصين الى تركستان الى خوارزم والشاش وفرغانة وما وراء النهر بخارا وسمرقند وترمذ وان المسلمين أزاحوهم أول الملة عن بلاد ما وراء النهر وغلبوهم عليها وبقيت تركستان وكاشغر والشاش وفرغانة بأيديهم يؤدون عليها الجزاء ثم أسلموا عليها فكان لهم بتركستان ملك ودولة نذكرها فيما بعد فان استفحالها كان فى دولة بنى سامان جيرانهم فيما وراء النهر وكان فى المفازة بين تركستان وبلاد الصين أمم من الترك لا يحصيهم الا خالقهم لاتساع هذه المفازة وبعد أقطارها فانها فيما يقال مسيرة شهر من كل جهة فكان هنالك احياء بادون منتجعون رحالة غذاؤهم اللحوم والالبان والذرة فى بعض الاحيان ومراكبهم الخيل ومنها كسبهم وعليها قيامهم وعلى الشاء والبقر من بين الانعام فلم يزالوا بتلك القفار مذودين عن العمران بالحامية المالكين له فى كل جهة وكان من أممهم الغز والخطا والتتر وقد تقدم ذكر هؤلاء الشعوب فلما انتهت دولة ملوك تركستان وكاشغر الى غايتها وأخذت فى الاضمحلال والتلاشى كما هو شأن الدول وطبيعتها تقدم هؤلاء الى بلاد تركستان فأجلبوا عليها بما كان غالب معاشهم فى تخطف الناس من السبل وتناول الرزق بالرماح شأن أهل القفر البادين وأقاموا بمفازة بخارا ثم انقرضت دولة بنى سامان ودولة أهل تركستان واستولى محمود بن سبكتكين من قواد بنى سامان وصنائعهم على ذلك كله وعبر بعض الايام الى بخارا فحضر عنده ارسلان ابن سلجوق فقبض عليه وبعث به الى بلاد الهند فحبسه وسار الى احيائه فاستباحها ولحق بخراسان وسارت العساكر فى اتباعهم فلحقوا باصبهان وهم صاحبها علاء الدولة ابن كاكويه بالغدر بهم وشعروا بذلك فقاتلوه باصبهان فغلبهم فانصرفوا الى أذربيجان

فقاتلهم صاحبها وهشودان من بني المرزبان وكانوا لما قصدوا اصبهان بقي فلهم بنواحي خوارزم فعاثوا في البلاد وخرج اليهم صاحب طوس وقاتلهم وجاء محمود بن سبكتكين فسار في اتباعهم من رستاق الى جرجان ورجع عنهم ثم استأمنوا فاستخدمهم وتقدمهم يغمر وأنزل ابنه بالري ثم مات محمود وولي أخوه مسعود وشغل بحروب الهند فانتقضوا وبعث اليهم قائدا في العساكر وكانوا يسمون العراقية وأمراؤهم يومئذ كوكتاش ومرقا وكول ويغمر وباصعكي ووصلوا الى الدامغان فاستباحوها ثم سمنان ثم عاثوا في أعمال الري واجتمع صاحب طبرستان وصاحب الري مع قائد مسعود وقاتلوهم فهزمهم الغز وفتكوا فيهم وقصدوا الري فملكوه وهرب صاحبه الى بعض قلاعه فتحصن بها وذلك سنة ست وعشرين وأربعمائة واستألفهم علاء الدولة بن كالويه ليدافع بهم ابن سبكتكين فأجابوه أولا ثم انتقضوا وأما الذين قصدوا أذربيجان منهم ومقدموهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا فاستألفهم وهشودان ليستظهر بهم فلم يحصل على بغيته من ذلك وساروا الى مراغة سنة تسع وعشرين فاستباحوها ونالوا من الاكراد الهذبانية فحاربوهم وغلبوهم وافترقوا فرقتين فرجع بوقا الى أصحابهم الذين بالري وسار منصور وكوكتاش الى همذان وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كالويه فظاهرهم على حصاره متى خسرو بن مجد الدولة يلم فلما جهده الحصار لحق باصبهان وترك البلد فدخلوها واستباحوها وفعلوا في الكرخ مثل ذلك وحاصروا قزوين حتى أطاعوهم وبذلوا لهم سبعة آلاف دينار وسار طائفة منهم الى بلد الارمن فاستباحوها وأثخنوا فيها ورجعوا الى أرمينية ثم رجعوا من الري الى حصار همذان فتركها أبو كاليجار وملكوها سنة ثلاثين ومعهم متى خسرو المذكور فاستباحوا تلك النواحي الى استراباذ وقاتلهم أبو الفتح بن أبي الشوك صاحب الدينور فهزمهم وأسر منهم وصالحوه على اطلاق أسراهم ثم مكروا بأبي كاليجار أن يكون معهم ويدبر أمرهم وغدروا به ونهبوه وخرج علاء الدولة من اصبهان فلقي طائفة منهم فأوقع بهم وأثخن فيهم وأوقع وهشودان بمن كان منهم في أذربيجان وظفر بهم الاكراد وأثخنوا فيهم وفرقوا جماعتهم ثم توفي كول أمير الفرق الذين بالري وكانوا لما أجازوا من وراء النهر الى خراسان بقي بمواطنهم الاولى هنالك طغرلبك بن ميكاييل بن سلجوق واخوته داود وسعوا وينال وحقري خرجوا الى خراسان من بعدهم وكانوا اشد منهم شوكة وأقوى عليهم سلطانا فسار ينال أخو طغرلبك الى الري فهربوا الى أذربيجان ثم الى جزيرة ابن عمر وديار بكر ومكر سليمان بن نصير الدولة بن مروان صاحب الجزيرة بمنصور بن غزغلي منهم فحبسه وافترق أصحابه وبعث قرواش صاحب الموصل اليهم

جيشه فطردهم وافترقت جموعهم ولحق الغز بديار بكر وأثخنوا فيها وأطلق نصير الدولة أميرهم منصورا من يده فلم ينتفع منهم بذلك وقاتلهم صاحب الموصل فحاصروه ثم ركب في السفين ونجا الى السند وملكوا البلد وعاثوا فيها وبعث قرواش الى الملك جلال الدولة يستنجده والى دبيس بن مزيد وأمراء العرب وفرض الغز على أهل الموصل عشرين ألف دينار فثار الناس بهم وكان كوكتاش قد فارق الموصل فرجع ودخلها عنوة في رجب سنة خمس وثلاثين وأفحش في القتل والنهب وكانوا يخطبون للخليفة ولطغرلبك بعده فكتب الملك جلال الدولة الى طغرلبك يشكو له بأحوالهم فكتب اليه ان هؤلاء الغز كانوا في خدمتنا وطاعتنا حتى حدث بيننا وبين محمود ابن سبكتكين ما علمتم ونهضنا اليه وساروا في خدمتنا في نواحي خراسان فتجاوزوا حدود الطاعة وملكة الهيبة ولا بد من انزال العقوبة بهم وبعث الى نصير الدولة بعده بكفهم عنه وسار دبيس بن مزيد وبنو عقيل الى قرواش صاحب الموصل وقعد جلال الدولة عن انجاده لما نزل به من الاتراك وسمع الغز بجموع قرواش فبعثوا الى من كان بديار بكر منهم واجتمعوا اليهم واقتتل الفريقان فانهزم العرب أول النهار ثم أتيحت لهم الكرة على الغز فهزموهم واستباحوهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا واتبعهم قرواش الى نصيبين ورجع عنهم فساروا الى ديار بكر وبلاد الارمن والروم وكثر عيثهم فيها وكان طغرلبك واخوته لما جاؤا الى خراسان طالت الحروب بينهم وبين عساكر بني سبكتكين حتى غلبوهم وحصل لهم الظفر وهزموا سباوشي حاجب مسعود آخر هزائمهم وملكوا هراة فهرب عنها سباوشي الحاجب ولحق بغزنة وزحف اليهم مسعود ودخلوا البرية ولم يزل في اتباعهم ثلاث سنين ثم انتهزوا فيه الفرصة باختلاف عسكره يوما على الماء فانهزموا وغنموا عسكره وسار طغرلبك الى نيسابور سنة احدى وثلاثين فملكها وسكن الشادياخ وخطب له بالسلطان الاعظم العمال في النواحي وكان الدعار قد اشتد ضررهم بنيسابور فسد أمرهم وحسم عللهم واستولى السلجوقية على جميع البلاد وسار يبقو الى هراة فملكها وسار داود الى بلخ وبها القوتناق حاجب مسعود فحاصره وعجز مسعود عن امداده فسلم البلد لداود واستقل السلجوقية بملك البلاد أجمع ثم ملك طغرلبك طبرستان وجرجان من يد أنوشروان بن منوجهر قابوس وضمنها أنوشروان بثلاثين ألف دينار وولى على جرجان مرداويج من أصحابه بخمسين الف دينار وبعث القائم القاضي أبا الحسن الماوردي الى طغرلبك فقرر الصلح بينه وبين جلال الدولة القائم بدولته ورجع بطاعته

* (فتنه قرواش مع جلال الدولة) *

كان قرواش قد أنفذ عسكره سنة احدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريت واستغاث بجلال الدولة وأمر قرواشا بالكف عنه فلم يفعل وسار لحصاره بنفسه وبعث الى الاتراك ببغداد يستفسدهم على جلال الدولة فاطلع على ذلك فبعث أبا الحرث ارسلان البساسيرى فى صفر سنة ثنتين وثلاثين للقبض على نائب قرواش بالسندسية واعترضه العرب فمنعوه ورجع وأقاموا بين صرصر وبغداد يفسدون السابلة وجمع جلال الدولة العساكر وخرج الى الانبار وبها قرواش فحاصرها ثم اختلفت عقيل على قرواش فرجع الى مصالحة جلال الدولة

(وفاة جلال الدولة وملك أبى كاليجار)

لما قلت الجبايات ببغداد مد جلال الدولة يده الى الجوالى فأخذها وكانت خاصة بالخليفة ثم توفى جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة فى شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة من ملكه ولما مات خاف حاشيته من الاتراك والعامة فانتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحابه الاكابر الى حرم دار الخلافة واجتمع القوّاد للمدافعة عنهم وكاتبوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة فى واسط بالطاعة واستقدموه وطلبوا حق البيعة فراوضهم فيها فكاتبهم أبو كاليجار عنها فعدلوا اليه وجاء العزيز من واسط وانتهى الى النعمانية فغدر به عسكره ورجعوا الى واسط وخطبوا لابى كاليجار وسار العزيز الى دبيس بن مزيد ثم الى قرواش بن المقلد ثم فارقه الى أبى الشوك فغدر به فسار الى نيال أخى طغرلبك فأقام عنده مدّة ثم قصد بغداد مختفيا فظهر على بعض أصحابه فقتله ولحق هو بنصير الدولة بن مروان فتوفى عنده بميافارقين سنة احدى وأربعين وأمّا أبو كاليجار فخطب له ببغداد فى صفر سنة ست وثلاثين وبعث الى الخليفة بعشرة آلاف دينار وبأموال أخرى فرقت الى الجند ولقبه القائم بمحيى الدين وخطب له أبو الشوك ودبيس بن مزيد ونصير الدولة بن مروان بأعمالهم وسار الى بغداد ومعه وزيره أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس وهمّ القائم لاستقباله فاستعفى من ذلك وخلع على أرباب الجيوش وهم البساسيرى والنساورى والهمام أبو اللقاء وأخرج عميد الدولة أبا سعيد من بغداد فمضى الى تكريت وعاد أبو منصور بن علاء الدولة بن كالويه صاحب اصبهان الى طاعته وخطب له على منبره انحرافا عن طغرلبك ثم راجعه بعد الحصار واصطلحا على مال يحمله وبعث أبو كاليجار الى السلطان طغرلبك فى الصلح وزوّجه ابنته فأجاب وتمّ بينهما سنة تسع وثلاثين

(وفاة أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم)

كان أبو كاليجار والمرزبان بن سلطان الدولة قد سار سنة أربعين الى نواحى كرمان وكان صاحبها بهرام بن لشكرستان من وجوه الديلم قد منع الحمل فتنكر له أبو كاليجار وبعث الى أبى كاليجار يحتمى به وهو بقلعة بردشير فملكها من يده وقتل بهرام بعض الجند ظاهر منهم على الميل لابى كاليجار فسار اليه ومرض فى طريقه ومات بمدينة جنابا فى سنة أربعين لاربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه ولما توفى نهب الاتراك معسكره وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مخيم الوزير أبى منصور وأرادوا نهبه فمنعهم الديلم وساروا الى شيراز فملكها ابو منصور واستوحش الوزير منه فلحق ببعض قلاعه وامتنع بها ووصل خبر وفاة أبى كاليجار الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز فبايع له الجند وبعث الى الخليفة فى الخطبة والتلقب بالملك الرحيم فأجابه الى ما سأل الا اللقب بالرحيم للمانع الشرعى من ذلك واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وكان بها أخوه أبو على واستولى أخوه أبو منصور كاذكرنا على شيراز فبعث الملك الرحيم أخاه أبا سعد فى العساكر فملكها وقبض على أخيه أبى منصور وسار العزيز بن جلال الدولة من عند قرواش الى البصرة فدافعه أبو لى بن كاليجار عنها ثم سار الملك الرحيم الى خوزستان وأطاعه من بها من الجند وكثرت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة

(مسير الملك الرحيم الى فارس)

ثم سار الملك الرحيم من الاهواز الى فارس سنة احدى وأربعين وخيم بظاهر شيراز ووقعت فتنة بين أتراك شيراز وبغداد فرحل أتراك بغداد الى العراق وتبعهم الملك الرحيم لانحرافه عن أتراك شيراز وكان أيضا منحرفا عن الديلم بفارس لميلهم الى أخيه فلاستون باصطخر وانتهى الى الاهواز فأقام بها واستخلف بارجان أخويه أبا سعد وأبا طالب فزحف اليهما أخوهما فلاستون وخرج الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز للقائهم فلقيهم وانهزم الى البصرة ثم الى واسط وسارت عساكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها ثم شغبوا على أبى منصور وجاء بعضهم الى الملك الرحيم فبعث الى بغداد واستقرا الجند الذين بها وسار الى الاهواز فملكها وأقام ينتظر عسكر بغداد ثم سار الى عسكر مكرم فملكها سنة ثنتين وأربعين ثم تقدم سنة ثلاث وأربعين ومعه دبيس بن مزيد والبساسيرى وغيرهما وسار هزارسب بن تنكير ومنصور بن الحسين الاسدى فيمن معهما من الديلم والاكراد من ارجان الى تستر فسبقهم الملك الرحيم اليها وغلبهم عليها ثم زحف فى عسكر هزارسب فوافاه أميره

أبو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجعوا ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر الى رامهرمز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكها فى ربيع سنة ثلاث وأربعين ثم بعث أخاه أباسعد فى العساكر الى بلاد فارس لان أخاه أبانصر خسرو كان باصطخر وضجر من تغلب هزارسب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب الى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث اليه أخاه أباسعد فأدخله اصطخر وملكه ثم اجتمع أبو منصور فلاستون وهزارسب ومنصور بن الحسين الاسدى وساروا للقاء الملك الرحيم بالاهواز واستمدوا السلطان طغرلبك وأبوا طاعته فبعث اليهم عسكرا وكان قد ملك اصبهان واستطال وافترق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه مثل البساسيرى ودبيس ابن مزيد والعرب والاكراد وبقى فى الديلم الاهوازية وبعض الاتراك من بغداد ورأى أن يعود من عسكر مكرم الى الاهواز ليتحصن بها وينتظر عسكر بغداد ثم بعث أخاه أباسعد الى فارس كما ذكرنا ليشغل أبامنصور وهزارسب ومن معهما عن قصده فلم يعرجوا على ذلك وساروا اليه بالاهواز وقاتلهم فانهزم الى واسط ونهب الاهواز وفقد فى الواقعة الوزير كمال الملك أبو المعالى عبد الرحيم فلم يوقف له على خبر وسار أبو منصور وأصحابه الى شيراز لاجل أبى سعد وأصحابه فلقيهم قريبا منها وهزمهم مرات واستأمن اليه الكثير منهم واعتصم أبو منصور ببعض القلاع واعيدت الخطبة بالاهواز للملك الرحيم واستدعاه الجند بها وعظمت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة فى غيبة الملك الرحيم واقتتلوا وبعث القائم نقيب العلويين ونقيب العباسيين لكشف الامر بينهما فلم يوقف على يقين فى ذلك وزاد الامر وأحرقت مشاهد العلماء من أهل البيت وبلغ الخبر الى دبيس بن مزيد فاتهم القائم بالمداهنة فى ذلك فقطع الخطبة له ثم عوتب فاستعتب وعاد الى حاله

* (مهادنة طغرلبك للقائم) *

قد تقدم لنا شأن الغز واستيلائهم على خراسان من يد بنى سبكتكين أعوام ثنتين وثلاثين ثم استيلاء طغرلبك على اصبهان من يد ابن كالويه سنة ثنتين وأربعين ثم بعث السلطان طغرلبك ارسلان بن أخيه داود الى بلاد فارس فافتتحها سنة ثنتين وأربعين واستلم من كان بها من الديلم ونزل مدينة نسا وبعث اليه القائم بأمر الله بالخلع والالقاب وولاه على ماغلب عليه فبعث اليه طغرلبك بعشرة آلاف دينار واعلاق نفيسة من الجواهر والثياب والطيب والى الحاشية بخمسة آلاف دينار وللوزير رئيس الرؤساء بألفين وحضروا العيد فى سنة ثلاث وأربعين ببغداد فأمر الخليفة بالاحتفال فى الزينة والمراكب والسلاح ثم سار الغز سنة أربع وأربعين الى شيراز

وبها الامير أبو سعد أخو الملك الرحيم فقاتلهم وهزمهم كما نذكر في أخبارهم

(استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه)

ثم بعث الملك الرحيم سنة أربع وأربعين جيوشه الى البصرة مع بصيرة البساسيرى فحاصروا بها أخاه أبا على وقاتلوا عسكره فى السفن فهزموهم وملكوا عليهم دجلة والانهر وجاء الملك الرحيم بالعسكر فى البرّ واستأمن اليه قبائل ربيعة ومضر فأمّنهم وملك البصرة وجاءته رسل الديلم بخوزستان بطاعتهم ومضى أخوه أبو على الى شط عثمان وتحصن به فسار اليه الملك الرحيم وملك عليه شط عثمان ولحق بعبادان وسار منها الى ارجان ثم لحق بالسلطان طغرلبك باصبهان فأكرمه وأصهر اليه وأقطع له وأنزله بقلعة من أعمال جرباذقان وولى الملك الرحيم وزيره البساسيرى على البصرة وسار الى الاهواز وأرسل منصور بن الحسين وهزارشب فى تسليم ارجان وتستر فتسلمها واصطلحا وكان المقدم على ارجان فولاد بن خسرو من الديلم فرجع الى طاعة الملك الرحيم سنة خمس وأربعين

(فتنة ابن أبى الشوك ثم طاعته)

كان سعدى بن أبى الشوك قد أعطى طاعته للسلطان طغرلبك بنواحى الرىّ وسار فى خدمته وبعثه سنة أربع وأربعين فى العساكر الى نواحى العراق فبلغ النعمانية وكثر عيثه وراسله ملد من بنى عقيل قرابة قريش بن بدران فى الاستظهار له على قريش ومهلهل أخى أبى الشوك فوعدهم فسار اليهم مهلهل وأوقع بهم على عكبرا فساروا الى سعدى وشكوا اليه وهو على سامرا فساروا وأوقع بعمه مهلهل وأسره وعاد الى حلوان وهمّ الملك الرحيم بتجهيز العساكر اليه بحلوان واستقدم دبيس بن مزيد لذلك ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين ببغداد من أهل الكرخ وأهل السنة ودخلها طوائف من الاتراك وعمّ الشرّ واطرحت مراقبة السلطان وركب القوّاد لحسم العلة فقتلوا علويا من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلهم العامّة وأضرم النار فى الكرخ بعض الاتراك فاحترق جميعه ثم بعث القائم وسكن الامر وكان مهلهل لما أسر سار ابنه بدر الى طغرلبك وابن سعدى كان عنده رهينة وبعث الى سعدى باطلاق مهلهل عند ذلك فامتنع سعدى من ذلك وانتقض على طغرلبك وسار من همذان الى حلوان وقاتلها فامتنعت عليه فكاتب الملك الرحيم بالطاعة ولحقه عساكر طغرلبك فهزموه ولحق ببعض القلاع هنالك وسار بدر فى اتباعه الى شهرزور ثم جاءه الخبر بأنّ جمعا من الاكراد والاتراك قد أفسدوا السابلة وأكثروا العيث فخرج اليهم

البساسيرى واتبعهم الى البوازيج وأوقع بالطوائف منهم واستباحهم وعبروا الزاب فلم يمكنه العود اليهم ونجوا

(فتنة الاتراك)

وفى سنة ست وأربعين شغب الاتراك على وزير الملك الرحيم فى مطالبة أرزاقهم واستعدوه عليه فلم يعدهم فشكوا من الديوان وانصرفوا مغضبين وباكروا من الغد لصار دار الخليفة وحضر البساسيرى واستكشف حال الوزير فلم يقف له على خبر وكبست الدور فى طلبه فكان ذلك وسيلة للاتراك فى نهب دور الناس واجتمع أهل المحال لمنعهم ونهاهم الخليفة فلم ينتهوا فهم بالرحلة عن بغداد ثم ظهر الوزير وانصفهم فى أرزاقهم فتمادوا على بغيهم وعسفهم واشتد عيث الاكراد والاعراب فى النواحى فخربت البلاد وتفرق أهلها وأغار أصحاب ابن بدران بالبرد وكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيب ونهبوها ونهبوا فى جملتها ظهرا وأنعاما للبساسيرى واختل أمر الملك والسلطنة بالكلية

(استيلاء طغرلبك على أذربيجان وعلى أرمينية والموصل)

سار طغرلبك سنة أربعين الى أذربيجان فأطاعه صاحب تبريز أبو منصور وشهودان ابن محمد وخطب له ورهن ولده عنده ثم أطاعه صاحب جنده أبو الاسوار ثم تتابع سائر النواحى على الطاعة وأخذ رهنهم وسار الى أرمينية فحاصر ملاذكرد وامتنعت عليه فخرب ما جاورها من البلاد وبعث اليه نصير الدولة بن مروان بالهدايا وقد كان دخل فى طاعته من قبل وسار السلطان طغرلبك لغزو بلاد الروم واكتسحها الى أن بلغ أردن الروم ورجع الى أذربيجان ثم الى الرى وخطب له قريش بن بدران صاحب الموصل فى جميع أعماله وزحف الى الانبار ففتحها ونهب ما فيها البساسيرى فانتقض لذلك وسار فى العساكر الى الانبار فاستعاده من يده

(وحشة البساسيرى)

كان أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المجلبان صاحبى قريش بن بدران وبعثهما الى القائم سرا من البساسيرى بما فعل بالانبار فانتقض البساسيرى لذلك واستوحش من القائم ومن رئيس الرؤساء وأسقط مشاهراتهم ومشاهرة حواشيهم وهم بهدم منازل بنى المجلبان ثم أقصر وسار الى الانبار وبها أبو القاسم بن المجلبان وجاءه دبيس بن مزيد عمدا له فحاصر الانبار وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة ومائة من بنى خفاجة

وأسر أبا الغنائم وجاء به الى بغداد فأدخله على جمل وشفع دبيس بن مزيد فى قتله وجاء الى مقابل التاج من دار الخليفة فقبل الارض وعاد الى منزله

(وصول الغز الى الدسكرة ونواحى بغداد)

وفى شوال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حلوان من الغز وهو ابراهيم ابن اسحق الى الدسكرة فافتتحها ونهبها وصادر النساء ثم سار الى رسغباد وقلعة البردان وهى لسعدى بن أبى الشوك وبها أمواله فامتنعت عليه فخرب ما حولها من القرى ونهبها وقوى طمع الغز فى البلاد وضعف أمر الديلم والاتراك ثم بعث طغرلبك أبا على ابن أبى كاليجار الذى كان بالبصرة فى جيش من الغز الى خورستان فاستولى على الاهواز وملكها ونهب الغز الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عناء

(استيلاء الملك الرحيم على شيراز)

وفى سنة سبع وأربعين سار فولاد الذى كان بقلعة اصطخر من الديلم وقد ذكرناه الى شيراز فملكها من يد أبى منصور فولاستون بن أبى كاليجار وكان خطب بها للسلطان طغرلبك فخطب فولاد بها للملك الرحيم ولاخيه أبى سعد يخادعهما بذلك وكان أبو سعد بأرّجان فاجتمع هو وأخوه أبو منصور على حصار شيراز فى طاعة أخيهما الملك واشتد الحصار على فولاد وعدمت الاقوات فهرب عنها الى قلعة اصطخر وملك الاخوان شيراز وخطبا لاخيهما الملك الرحيم

(وثوب الاتراك ببغداد بالبساسيرى)

قد ذكرنا تأكد الوحشة بين البساسيرى ورئيس الرؤساء ثم تأكدت سنة سبع وأربعين وعظمت الفتنة بالجانب الشرقى بين العامة وبين أهل السنة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحضروا الديوان حتى أذن لهم فى ذلك وتعرّضوا لبعض سفن البساسيرى منحدرة اليه بواسط وكشفوا فيها عن جرار خمر فجاؤا الى أصحاب الديوان الذين أمروا بمساعدتهم واستدعوهم لكسرها فكسروها واستوحش لذلك البساسيرى ونسبه الى رئيس الرؤساء واستفتى الفقهاء فى أنّ ذلك تعدّ على سفينته فأفتاه الحنفية بذلك ووضع رئيس الرؤساء الاعيان على البساسيرى باذن من دار الخلافة وأظهر معايبه وبالغوا فى ذلك ثم قصدوا فى رمضان دور البساسيرى باذن من دار الخلافة فنهبوها وأحرقوها ووكلوا بحرمه وحاشيته وأعلن رئيس الرؤساء بذمّ البساسيرى وانه يكاتب المستنصر صاحب مصر فبعث القائم الى الملك الرحيم

فأمر بابعاده فأبعده

(استيلاء السلطان طغرلبك على بغداد والخلعة والخطبة له)

قد ذكرنا من قبل رجوع السلطان طغرلبك من غزو الروم الى الرى ثم رجع الى همذان ثم سار الى حلوان عازما على الحج والاجتياز بالشأم لازالته من يد العلوية وأجفل الناس الى غربى بغداد وعظم الارجاف ببغداد ونواحيها وخيم الاتراك بظاهر البلد وجاء الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد البساسيرى عنه كما أمره القائم فسار الى بلد دبيس بن مزيد لصهر بينهما وبعث طغرلبك الى لقائهما بالطاعة والى الاتراك بالمقاربة والوعد فلم يقبلوا وطلبوا من القائم اعادة البساسيرى لانه كبيرهم ولما وصل الملك الرحيم سأل من الخليفة اصلاح أمره مع السلطان طغرلبك فأشار القائم بأن يقوض الاجناد خيامهم ويخيموا بالحريم الخلافى ويبعثوا جميعا الى طغرلبك بالطاعة فقبلوا اشارته وبعثوا الى طغرلبك بذلك فأجاب بالقبول والاحسان وأمر القائم بالخطبة لطغرلبك على منابر بغداد فخطب آخر رمضان من سنة سبع وأربعين واستأذن فى لقاء الخليفة وخرج اليه رؤساء الناس فى موكب من القضاة والفقهاء والاشراف وأعيان الديلم وبعث طغرلبك للقائم وزيره أبا نصر الكندرى وأبلغه رسالة القائم واستحلفه له وللملك الرحيم وأمراء الاجناد ودخل طغرلبك بغداد ونزل بباب الشماسية لخمس بقين من رمضان وجاء هنالك قريش بن بدران صاحب الموصل وكان من قبل فى طاعته

(القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بنى بويه)

ولما نزل طغرلبك بغداد وافترق أهل عسكره فى البلد يقضون بعض حاجاتهم فوقعت بينهم وبين بعض العامة منازعة فصاحوا بهم ورجموهم وظن الناس أن الملك الرحيم قد اعتزم على قتال طغرلبك فتواثبوا بالغز من كل جهة الا أهل الكرخ فانهم سألوا من وقع اليهم من الغز وأرسل عميد الملك وزير طغرلبك عن عدنان بن الرضى نقيب العلويين وكان مسكنه بالكرخ فشكره عن السلطان طغرلبك ودخل أعيان الديلم وأصحاب الملك الرحيم الى دار الخلافة نفيا للتهمة عنهم وركب أصحاب طغرلبك فقاتلوا العامة وهزموهم وقتلوا منهم خلقا ونهبوا سائر الدروب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصافة ودور الخلفاء وكان بها أموال الناس نقلت اليها للحرمة فنهب الجميع واشتد البلاء وعظم الخوف وأرسل طغرلبك الى القائم بالعتاب ونسبة ما وقع الى الملك الرحيم والديلم وانهم انحرفوا وكانوا برآء من ذلك وتقدم اليهم الخليفة بالحضور

عند طغرلبك مع رسوله فلما وصلوا الى الخيام نهبها الغز ونهبوا رسل القائم معهم ثم قبض طغرلبك على الملك الرحيم ومن معه وبعث بالملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها وكان ذلك لست سنين من ملكه ونهب فى تلك الهيعة قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب ونجا سليبا الى خيمة بدر بن المهلهل واتصل بطغرلبك خبره فأرسل اليه وخلع عليه وأعاده الى مخيمه وبعث القائم الى طغرلبك بانكار ما وقع فى اخفار ذمته فى الملك الرحيم وأصحابه وانه يتحول عن بغداد فأطلق له بعضهم بلكسكسالربه وأنزع الاقطاعات من يد أصحابه الملك الرحيم فلحقوا بالبساسيرى وكثر جمعه وبعث طغرلبك الى دبيس بالطاعة وانفاذ البساسيرى فخطب له فى بلاده وطرد البساسيرى فسار الى رحبة ملك وكاتب المستنصر العلوى صاحب مصر وأمر طغرلبك بأخذ أموال الاتراك الجند وأهملهم وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربى من تكريت الى النيل والجانب الشرقى الى النهروانات وخرب السواد وانجلى أهله وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارسب بن شكر بن عياض بثلثمائة وستين ألف دينار وأقطعه ارجان وأمره أن يخطب لنفسه بالاهواز دون ماسواها وأقطع أباعلى بن كاليجار ويسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ بزيادة الصلاة خير من النوم فى نداء الصبح وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل اليها فى شوال وتوفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بالله فى ذى القعدة من هذه السنة ثم انكح السلطان طغرلبك من القائم بالله خديجة بنت أخيه داود واسمها ارسلان خاتون وحضر للعقد عميد الملك الكندى وزير طغرلبك وأبو على ابن أبى كاليجار وهزارسب بن شكر بن عياض الكردى وابن أبى الشوك وغيرهم من أمراء الاتراك من عسكر طغرلبك وخطب رئيس الرؤساء وولى العقد وقبل الخليفة بنفسه وحضر نقيب النقباء أبو على بن أبى تمام ونقيب العلويين عدنان ابن الرضى والقاضى أبو الحسن الماوردى وغيرهم

(انتقاض أبى الغنائم بواسط)

كان رئيس الرؤساء سعى لابى الغنائم بن المحلبان فى ولاية واسط وأعمالها فوليها وصادر أعيانها وجند جماعة وتقوى بأهل البطيحة وخندق على واسط وخطب للمستنصر العلوى بمصر فسار أبو نصر عميد العراق لحربه فهزمه وأسر من أصحابه ووصل الى السور فحاصره حتى تسلم البلد ومر أبو الغنائم ومعه الوزير بن فسانجس ورجع عميد العراق الى بغداد بعد أن ولى على واسط منصور بن الحسين فعاد ابن فسانجس الى واسط وأعاد خطبة العلوى وقتل من وجده من الغز ومضى منصور بن الحسين الى المدار

وبعث يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء بحصار واسط فحاصرها وقاتله ابن فسانجس فهزمه وضيق حصاره واستأمن اليه جماعة من أهل واسط فملكها وهرب فسانجس واتبعوه فأدركوه وحمل الى بغداد في صفر سنة ست وأربعين فشهر وقتل

(الوقعة بين البساسيري وقطلمش)

وفي سلخ شوال من سنة ثمان وأربعين سار قطلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وجد بني قليج ارسلان ملوك بلاد الروم فسار ومعه قريش بن بدران صاحب الموصل لقتال البساسيري ودبيس وسار بهم الى الموصل وخطبوا بها للمستنصر العلوي صاحب مصر وبعث اليهم بالخلع وكان معهم جابر بن ناشب وأبو الحسن وعبد الرحيم وأبو الفتح ابن ورام ونصر بن عمر ومحمد بن حماد

(مسير طغرلبك الى الموصل)

لما كان السلطان طغرلبك قد ثقلت وطأته على العامة ببغداد وفشا الضرر والاذى فيهم من معسكره فكاتبه القائم يعظه ويذكره ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر ثم رأى رؤيا في ليلته كان النبي صلى الله عليه وسلم يوبخه على ذلك فبعث وزيره عميد الملك الى القائم بطاعة أمره فيما أمر وأخرج الجند من وراء العامة ورفع المصادرات ثم بلغه خبر وقعة قطلمش مع البساسيري وانحراف قريش صاحب الموصل الى العلوية فتجهز وسار عن بغداد لثلاثة عشر شهرا من نزوله عليها ونهبت عساكره أوانا وعكبرا وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر بن عيسى الى الدعوة العباسية وقبله السلطان ورجع عنه الى البوازيج فتوفي نصر وخافت أمه غريبة بنت غريب بن مكن أن يملك البلد أخوه أبو العشائر فاستخلفت أبا الغنائم ابن المجلبان ولحقت بالموصل ونزلت على دبيس بن مزيد وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع الى بغداد وسلم له تكريت وأقام السلطان بالبوازيج الى سنة تسع وأربعين وجاءه أخوه ياقوتي في العساكر فسار الى الموصل وأقطع مدينة بلد هزارسب بن شكر الكردي وأراد العسكر نهبها فمنعهم السلطان ثم أذن لهم في اللحاق الى الموصل وتوجه الى نصيبين وبعث هزارسب الى البرية في ألف فارس ليصيب من العرب فسار حتى قارب رحالهم وأكمن الكمائن وقاتلهم ساعة ثم استطرد لهم واتبعوه فخرجت عليهم الكمائن فانهزموا وأثخن فيهم الغز بالقتل والاسر وكان فيهم جماعة من بني نمير أصحاب حران والرقة وحمل الاسرى الى السلطان فقتلهم أجمعين ثم بعث دبيس

وقريش الى هزارشب يستعطف لهم السلطان فقبل السلطان ذلك منهما وورد أمر البساسيرى الى الخليفة ومعه الاتراك البغداديون وقتل ابن المقلد وجماعة من عقيل الى الرحبة وأرسل السلطان اليهما أبا الفتح بن ورام يستخبرهما فجاء بطاعتهما وبمسير هزارشب اليهما فأذن له السلطان فى المسير وجاء اليهما واستحلفهما وحثهما على الحضور فخافا وأرسل قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر ودبيس ابنه منصورا فأكرمهما السلطان وكتب لهما بأعمالهما وكان لقريش نهر الملك وباذروبا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين ثم سار السلطان الى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمر وبعث اليه يستعطفه ويبذل له المال وجاء ابراهيم نيال أخو السلطان وهو محاصر ولقيه الامراء والناس وبعث هزارشب الى دبيس وقريش يحذرهما فانحدر دبيس الى بلده بالعراق وأقام قريش عند البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم وشكا قطلمش ما أصاب أهل سنجار منه عند هزيمته أمام قريش ودبيس فبعث العساكر اليها وحاصرها ففتحها عنوة واستباحها وقتل أميرها على ابن مرجى وشفع ابراهيم فى الباقين فتركها وسلمها الله وسلم معها الموصل وأعمالها ورجع الى بغداد فى سنة تسع وأربعين فخرج رئيس الرؤساء للقائه عن القائم وبلغه سلامه وهديته وهى جام من ذهب فيه جواهر وألبسه لباس الخليفة وعمامته فقبل السلطان ذلك بالشكر والخضوع والدعاء وطلب لقاء الخليفة فأسعف وجلس له جلوسا فخما وجاء السلطان فى الحرقة قرب له المنازل من السهرية من مراكب الخليفة والقائم على سرير علوه سبعة أذرع متوشحا البردة وبيده القضيب وقبالته كرسى لجلوس السلطان فقبل الارض وجلس على الكرسى وقال له رئيس الرؤساء عن القائم أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وولاك ما ولاه الله من بلاده ورد اليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وأفيضت عليه الخلع وخوطب بملك المشرق والمغرب وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ودفع اليه كتاب العهد وخرج فبعث الى القائم خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا من الاتراك منتقين بخيولهم وسلاحهم الى ما فى معنى ذلك من الثياب والطيب وغيرهما

* (فتنة نيال مع أخيه طغرلبك ومقتله) *

كان ابراهيم نيال قد ملك بلاد الجبل وهمذان واستولى على الجهات من نواحيها الى حلوان أعوام سنة سبع وثلاثين ثم استوحش من السلطان طغرلبك بما طلب منه أن يسلم اليه مدينة همذان والقلاع فأبى من ذلك نيال وجمع جموعا وتلاقيا فانهزم

نيال وتحصن بقلعة سرماج فملكها عليه بعد الحصار واستنزله منها وذلك سنة احدى وأربعين وأحسن اليه طغرلبك وخيره بين المقام معه أو اقطاع الاعمال فاختار المقام ثم لما ملك طغرلبك بغداد وخطب له بها سنة سبع وأربعين أخرج اليه البساسيرى مع قريش بن بدران صاحب الموصل ودبيس بن مزيد صاحب الحلة وسار طغرلبك اليهم من بغداد ولحقه أخوه ابراهيم نيال فلما ملك الموصل سلمها اليه وجعلها لنظره مع سنجار والرحبة وسائر تلك الاعمال التى لقريش ورجع الى بغداد سنة تسع وأربعين ثم بلغه سنة خمسين بعدها أنه سار الى بلاد الجبل فاستراب به وبعث اليه يستقدمه بكتابه وكتاب القائم مع العهد الكندى فقدم معه وفى خلال ذلك قصد البساسيرى وقريش ابن بدران الموصل فملكاها وجفلوا عنها فاتبعهم الى نصيبين وخالفه أخوه ابراهيم نيال الى همذان فى رمضان سنة خمسين يقال ان العلوى صاحب مصر والبساسيرى كاتبوه واستمالوه وأطمعوه فى السلطنة فسار السلطان فى اتباعه من نصيبين وردّ وزيره عميد الملك الكندى وزوجته خاتون الى بغداد ووصل الى همذان ولحق به من كان ببغداد من الاتراك فحاصر همذان فى قلة من العسكر واجتمع لاخيه خلق كثير من الترك وحلف لهم أن لا يصالح طغرلبك ولا يدخل بهم العراق لكثرة نفقاته وجاءه محمد وأحمد ابنا أخيه ارباش بأمداد من الغز فقوى بهم ووهن طغرلبك فأفرج عنه الى الرىّ وكاتب الى ارسلان ابن أخيه داود وقد كان ملك خراسان بعد أبيه سنة احدى وخمسين كما يذكر فى أخبارهم فزحف اليه فى العساكر ومعه أخواه ياقوت وقاروت بك ولقيهم ابراهيم فيمن معه فانهزم وجىء به وبابنى أخيه محمد وأحمد أسرى الى طغرلبك فقتلهم جميعا ورجع الى بغداد لاسترجاع القائم

(دخول البساسيرى بغداد وخلع القائم ثم عوده)

قد ذكرنا أن طغرلبك سار الى همذان لقتال أخيه وترك وزيره عميد الملك الكندى ببغداد مع الخليفة وكان البساسيرى وقريش بن بدران فارقا الموصل عند زحف السلطان طغرلبك اليهما فلما سار عن بغداد لقتال أخيه بهمذان خالفه البساسيرى وقريش الى بغداد فكثر الارجاف بذلك وبعث عن دبيس بن مزيد ليكون حاجبه ببغداد ونزلوا بالجانب الشرقى وطلب من القائم الخروج معه الى احيائه واستدعى هزارسب من واسط للمدافعة واستمهل فى ذلك فقال العرب لا نشير فأشيروا بنظركم وجاء البساسيرى ثامن ذى القعدة سنة خمسين فى أربعمائة غلام على غاية من سوء الحال ومعه أبو الحسن بن عبد الرحيم وجاء حسين بن بدران فى مائة فارس وخيموا مفترقين عن البلد واجتمع العسكر والقوم الى عميد العراق وأقاموا ازاء البساسيرى وخطب

فى النواحى فنهبوها وأفسدوا السابلة وبلغوا جامع المنصور من البلد وسلبوا النساء فى المقبرة ولحق الوزير أبو سعيد وزير جلال الدولة بأبى الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبا القاسم فكثرت مطالبات الجند عليه فهرب وأخذه الجند وجاؤا به الى دار الملك حاسرا عاريا الامن قميص خلق وذلك لشهرين من وزارته وعاد سعيد بن عبد الرحيم الى الوزارة ثم ثار الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة وأخرجوه من بغداد بعد أن استمهلهم ثلاثا فأبوا ورموه بالحجارة فأصابوه ومضى الى دار المرتضى بالكرخ وسار منها الى رافع بن الحسين بن مكن بتكريت ونهب الاتراك داره وقلعوا أبوابها ثم أصلح القائم شأنه مع الجند وأعاده وقبض على وزيره أبى سعيد بن عبد الرحيم وهى وزارته السادسة وفى هذه السنة نهى القائم عن التعامل بالدنانير المغربية وتقدم الى الشهود ان لايذكروها فى كتب التعامل

(الصلح بين جلال الدولة وأبى كاليجار)

ترددت الرسل سنة ثمان وعشرين بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار حتى انعقد بينهما الصلح على يد القاضى أبى الحسن الماوردى وأبى عبد الله المردوسنى واستحلف كل واحد منهما للآخر وأظهر جلال الدولة سنة تسع وعشرين من القائم الخطاب بملك الملوك فرد ذلك الى الفتيا وأجازه القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى أبو عبد الله الصيمرى والقاضى بن البيضاوى وأبو القاسم الكرخى ومنع منه القاضى أبو الحسن الماوردى ورد عليهم فأخذ بفتواهم وخطب له بملك الملوك وكان الماوردى من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد اليه ثم انقطع عنه بهذه الفتيا ولزم بيته من رمضان الى النحر فاستدعاه جلال الدولة وحضر خائفا وشكره على القول بالحق وعدم المحاباة وقد عدت الى ماتحب فشكره ودعا له وأذن للحاضرين بالانصراف معه وكان الاذن لهم تبعا له

(استيلاء أبى كاليجار على البصرة)

وفى سنة احدى وثلاثين بعث أبو كاليجار عساكره الى البصرة مع العادل أبى منصور مسافيه وكانت فى ولاية الظهير أبى القاسم بن وليها بعد بختيار انتقض عليه مرة ثم عاد وكان يحمل الى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت دولته ثم تعرض ملا الحسين بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان فكاتب أبا كاليجار وضمن البصرة بزيادة ثلاثين ألف دينار وبعث أبو كاليجار العساكر مع ابن مسافيه كما ذكرنا وجاء المدد من عمان الى البصرة وملكوها وقبض على الظهير

من دخوله وكثر الهرج فى المدينة والنهب والاحراق ورحل طغرلبك الى بغداد بعد أن أرسل من طريقه الاستاذ أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك الى قريش بن بدران بالشكر على فعله فى القائم وفى خاتون بنت أخيه زوجة القائم وأن أبا بكر بن فورك جاء باحضارهما والقيام بخدمتهما وقد كان قريش بعث الى مهارش بأن يدخل معهم الى البرية بالخليفة ليصد ذلك طغرلبك عن العراق ويتحكم عليه بما يريد فأبى مهارش لنقض البساسيرى عهوده واعتذر بأنه قد عاهد الخليفة القائم بما لا يمكن نقضه ورحل بالخليفة الى العراق وجعل طريقه على بدران بن مهلهل وجاء أبو فورك الى بدر فحمله معه الى الخليفة وأبلغه رسالة طغرلبك وهداياه وبعث طغرلبك للقائه وزيره الكندرى والامراء والحجاب بالخيام والسرادقات والمقربات بالمراكب الذهبية فلقوه فى بلد بدر ثم خرج السلطان فلقيه بالنهروان واعتذر عن تأخره بوفاة أخيه داود بخراسان وعصيان ابراهيم بهمذان وانه قتله على عصيان وأقام حتى رتب أولاد داود فى مملكته وقال انه يسير الى الشأم فى اتباع البساسيرى وطلب صاحب مصر فقلده القائم سيفه اذ لم يجد سواه وأبدى وجهه للامراء فحيوه وانصرفوا وتقدم طغرلبك الى بغداد فجلس فى الباب النوبى مكان الحاجب وجاء القائم فأخذ طغرلبك بلجام بغلته الى باب داره وذلك لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين وسار السلطان الى معسكره وأخذ فى تدبير أموره

(مقتل البساسيرى)

ثم أرسل السلطان طغرلبك خمارتكين فى ألفين الى الكوفة واستقر معه سرايا بن منيع فى بنى خفاجة وسار السلطان طغرلبك فى اثرهم فلم يشعر دبيس وقريش والبساسيرى وقد كانوا نهبوا الكوفة الا والعساكر قد طلعت عليهم من طريق الكوفة فاجفلوا نحو البطيحة وسار دبيس ليرد العرب الى القتال فلم يرجعوا ومضى معهم ووقف البساسيرى وقريش فقتل من أصحابهما جماعة وأسر أبو الفتح بن ورام ومنصور بن بدران وحماد بن دبيس وأصاب البساسيرى سهم فسقط عن فرسه وأخذ رأسه لمنكبرز وأتى العميد الكندرى وحمله الى السلطان وغنم العسكر جميع أموالهم وأهليهم وحمل رأس البساسيرى الى دار الخلافة فعلق قبالة النوبى فى منتصف ذى الحجة ولحق دبيس بالبطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم وكان هذا البساسيرى من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة اسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث ونسبه فى الترك وهذه النسبة المعروفة له نسبة الى مدينة بفارس حرفها الاول متوسط بين الفاء والباء والنسبة اليها فسوى ومنها أبو على الفارسى صاحب الايضاح وكان أولا ينسب اليها فلذلك قيل فيه

هز بساسيرى (١)

(مسير السلطان الى واسط وطاعة دبيس)

ثم انحدر السلطان الى واسط أول سنة ثنتين وخمسين وحضر عنده هزارشب بن شكر من الاهواز وأصلح حال دبيس بن مزيد وصدقة بن منصور بن الحسين أحضره ما عند السلطان وضمن واسط أبو على بن فضلان بمائتى ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد سابور بن المظفر وأصعد السلطان الى بغداد واجتمع بالخليفة ثم سار الى بلد الجبل فى ربيع سنة ثنتين وخمسين وأنزل ببغداد الامير برسو شحنة وضمن أبو الفتح المظفر بن الحسين فى ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار ورد الى محمود الاخرم امارة بنى خفاجة وولاه الكوفة وسقى الفرات وخواص السلطان بأربعة آلاف دينار فى كل سنة

(وزارة القائم)

ولما عاد القائم الى بغداد ولى أبا تراب الاثيرى على الانهار وحضور المراكب ولقبه حاجب الحجاب وكان خدمه بالحديثة ثم سعى الشيخ أبو منصور فى وزارة أبى الفتح بن أحمد ابن دارست على أن يحمل مالا فأجيب وأحضر من الاهواز فى منتصف ربيع من سنة ثلاث وخمسين فاستوزره وكان من قبل تاجرا لابى كاليجار ثم ظهر عجزه فى استيفاء الاموال فعزله وعاد الى الاهواز وقدم اثر ذلك أبو نصر بن جهير وزير نصير الدولة بن مروان نازعا منه الى الخليفة القائم فقبله واستوزره ولقبه فخر الدولة

(عقد طغرلبك على ابنة الخليفة)

كان السلطان طغرلبك قد خطب من القائم ابنته على يد أبى سعد قاضى الرى سنة ثلاث وخمسين فاستنكف من ذلك ثم بعث أبا محمد التميمى فى الاستعفاء من ذلك والا فيشترط ثلثمائة ألف دينار وواسط وأعمالها فلما ذكر التميمى ذلك للوزير عميد الملك بنى الامر على الاجابة قال ولا يحسن الاستعفاء ولا يليق بالخليفة طلب المال وأخبر السلطان بذلك فسر به وأشاعه فى الناس ولقب وزيره عميد الملك وأتى أرسلان خاتون زوجة القائم ومعه مائة ألف ألف دينار وما يناسبها من الجواهر والجوار وبعث معهم قرامردين كاكويه وغيره من امراء الرى فلما وصلوا الى القائم استشاط وهم بالخروج من بغداد وقال له العميد ما جعل لك فى الاول بين الامتناع والاقتراح وخرج مغضبا الى النهروان فاستوقفه قاضى القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وكتب من الديوان الى خمارتكين من أصحاب السلطان بالشكوى من عميد الملك وجاء الجواب بالرفق ولم يزل عميد الملك يريض الخليفة وهو يتمنع الى أن رحل فى جمادى من سنة

أربع وخمسين ورجع الى السلطان وعرّفه بالحال ونسب القضية الى خمارتكين فتنكر له السلطان وهرب واتبعه أولاد ينال فقتلوه بثأر أبيهم وجعل مكانه سارتكين وبعث للوزير بشأنه وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف بالعتب وطلب بنت أخي زوجة القائم فأجاب الخليفة حينئذ الى الاصهار وفوّض الى الوزير عميد الكندري عقد النكاح على ابنته للسلطان وكتب بذلك الى أبي الغنائم المجلبان فعقد عليها في شعبان من تلك السنة بظاهر تبريز وحمل السلطان للخليفة أموالا كثيرة وجواهر لولي العهد وللمخطوبة وأقطع ما كان بالعراق لزوجته خاتون المتوفاة للسيدة بنت الخليفة وتوجه السلطان في المحرم سنة خمس وخمسين من ارمينية الى بغداد ومعه من الامراء أبو علي بن أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارو أبو منصور بن قرامرد بن كاكويه وخرج الوزير ابن جهير فتلقاه ونزل عسكره بالجانب الغربي ونادى الناس بهم وجاء الوزير ابن العميد لطلب المخطوبة فأفرد له القائم دور السكاه وسكنى حاشيته وانتقلت المخطوبة اليها وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان فقبل الارض وحمل لها مالا كثيرا من الجواهر وأولم أياما وخلع على جميع امرائه وأصحابه وعقد ضمان بغداد على أبي سعد الفارسي بمائة وخمسين ألف دينار وأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابي سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن فضلان بمائتي ألف

(وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن أخيه داود)

ثم سار السلطان طغرلبك من بغداد في ربيع الآخر الى بلد الجبل فلما وصل الري أصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة خمس وخمسين وبلغ خبر وفاته الى بغداد فاضطربت واستقدم القائم مسلم بن قريش صاحب الموصل ودبيس بن مزيد وهزارشب صاحب الاهواز وبني ورام وبدر بن مهلهل فقدموا وأقام أبو سعد الفارسي ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلال وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب النواحي وسار دبيس بن مزيد وبنو خفاجة وبنو ورام والاكراد لقتاله ثم استتيب ورجع الى الطاعة وتوفي أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد والجاوانية وحمل العامة السلاح لقتال الاعراب فكانت سببا لكثرة الذعار ولما مات طغرلبك بايع عميد الدولة الكندري بالسلطنة لسليمان بن داود وجعفر بك وكان ربيب السلطان طغرلبك خلف أخاه جعفر بك داود على أمه وعهد اليه بالملك فلما خطب له اختلف عليه الامر وسار باغي سيان واردم الى قزوين فخطب لاخيه الب ارسلان وهو محمد بن داود وهو يومئذ صاحب خراسان ووزيره نظام الملك سار الى المذكور ومال الناس اليه وشعر

الكندرى باختلال أمره فخطب بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان وزحف الب ارسلان فى العساكر من خراسان الى الرى فلقيه الناس جميعا ودخلوا فى طاعته وجاء عميد الملك الكندرى الى وزيره نظام الملك فخدمه وهاداه فلم يغن عنه وخشى السلطان غائلته فقبض عليه سنة ست وخمسين وحبسه بمرو الروذ ثم بعث بعد سنة من محبسه بقتله فى ذى الحجة من سنة سبع وخمسين وكان من اهل نيسابور كاتبا بليغا فلما ملك طغرلبك نيسابور وطلب كاتبا فدله عليه الموفق والد أبى سهل فاستكتبه واستخلصه وكان خصيا يقال ان طغرلبك خصاه لانه تزوج بامرأة خطبها له وعطى عليه فظفر به فخاصره وأقره على خدمته وقيل أشاع عند أعدائه أنه تزوجها ولم يكن ذلك فخصى نفسه ليأمن من غائلته وكان شديد التعصب على الشافعية والاشعرية واستأذن السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان ثم أضاف اليهم الأشعرية فاستعظم ذلك أئمة السنة وفارق خراسان أبو القاسم القشيرى ثم أبو المعالى الى مكة فأقام أربعة سنين يتردد بين الحرمين يدرس ويفتى حتى لقب امام الحرمين فلما جاءت دولة الب ارسلان أحضرهم نظام الملك وزيره فأحسن اليهم وأعاد السلطان الب ارسلان السيدة بنت الخليفة التى كانت زوجة طغرلبك الى بغداد وبعث فى خدمتها الامير ايتكين السليمانى وولاه شحنة بغداد وبعث معها أيضا أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق لطلب الخطبة ببغداد فمات فى طريقه وكان من رؤساء الشافعية بنيسابور وبعث السلطان مكانه العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا فى طريقه فبعث وزيره نظام الملك وخرج عميد الملك ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم وجلس لهم القائم جلوسا فخما فى جمادى الاولى من سنة ست وخمسين وساق الرسل تقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت اليهم الخلع بمشهد من الناس ولقب ضياء الدولة وأمر بالخطبة له على منابر بغداد وأن يخاطب بالولد المؤيد حسب اقتراحه فأرسل الى الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فأرسل اليه بنقجوان من اذربيجان وبايع وانتقض على السلطان الب ارسلان من السلجوقية صاحب هراة وصغانيان فسار اليهم وظفر بهم كما نذكر فى أخبارهم ودولتهم عند افرادها بالذكر انتهى

(فتنة قطلمش والجهاد بعدها)

كان قطلمش هذا من كبار السلجوقية وأقربهم نسبا الى السلطان طغرلبك ومن أهل بيته وكان قد استولى على قونية واقصراى وملطية وهو الذى بعثه السلطان طغرلبك أول ما ملك بغداد سنة تسع وأربعين لقتال البساسيرى وقريش ابن بدران صاحب الموصل ولقيهم على سنجار الرى فجهز الب ارسلان العساكر من نيسابور فى المحرم من سنة سبع وخمسين وساروا على المفارقة فسبقوا قطلمش الى الرى وجاء كتاب السلطان اليه

ولقيه فلم يثبت ومضى منهزما واستباح السلطان عسكره قتلا وأسرا وأجلت الواقعة عنه قتيلا فحزن له السلطان ودفنه ثم سار الى بلاد الروم معتزما على الجهاد ومر باذربيجان ولقيه طغرتكين بن أمراء التركمان في عشيرة وكان ممارسا للجهاد فحثه على قصده وسلك دليلا بين يديه فوصل الى نخجوان على نهر ارس وأمر بعمل السفن لعبوره وبعث عساكر لقتال خوى وسلماس من حصون اذربيجان وسار هو في العساكر فدخل بلاد الكرخ وفتح قلاعها واحدة بعد واحدة كما نذكر في أخبارهم ودوخ بلادهم وأحرق مدنهم وحصونهم وسار الى مدينة انى من بلاد الديلم فافتتحها وأثخن فيها وبعث بالبشائر الى بغداد وصالحه ملك الكرخ على الجزية ورجع الى اصبهان ثم سار منها الى كرمان فأطاعه أخوه قاروت بن داود جعفربك ثم سار الى مرو وأصهر اليه خاقان ملك ما وراء النهر بابنته لابنه ملكشاه وصاحب غزنة بابنته لابنه الآخر انتهى

(العهد بالسلطنة لملكشاه بن الب ارسلان)

وفي سنة ثمان وخمسين عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه واستحلف له الامراء وخلع عليهم وأمر بالخطبة له في سائر أعماله وأقطع بلخ لاخيه سليمان وخوارزم لاخيه ارغو ومرو لابنه ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس ومازندران للامير اينانج بيغو وجعل ولاية تنشوران ونواحيها لمسعود بن ارتاش وكان وزيره نظام الملك قد ابتدأ سنة سبع وخمسين بناء المدرسة النظامية ببغداد وتمت عمارتها في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وعين للتدريس بها الشيخ ابا اسحق الشيرازي واجتمع الناس لحضور درسه وتخلف لانه سمع أن في مكانها غصبا وبقي الناس في انتظاره حتى يئسوا منه فقال الشيخ أبو منصور لا ينفصل هذا الجمع الا عن تدريس وكان أبو منصور الصباغ حاضرا فدرس وأقام مدرسا عشرين يوما حتى سمع أبو اسحق الشيرازي بالتدريس فاستقر بها

(وزراء الخليفة)

كان فخر الدولة ابن جهير وزير القائم كما ذكرناه ثم عزله سنة ستين وأربعمائة فلحق بنور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وبعث القائم عن أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع وكان يكتب لهزارسب بن عوض صاحب الاهواز فاستقدمه ليوليه الوزارة فقدم ومات في طريقه وشفع دبيس بن مزيد في فخر الدولة بن جهير فأعيد الى وزارته سنة احدى وستين في صفر

(الخطبة بمكة)

وفى سنة ثنتين وستين خطب محمد بن أبى هاشم بمكة للقائم وللسلطان الب ارسلان وأسقط خطبة العلوى صاحب مصر وترك حى على خير العمل من الاذان وبعث ابنه وافدا على السلطان بذلك فأعطاه ثلاثين ألف دينار وخلع نفيسة ورتب كل سنة عشرة آلاف دينار

(طاعة دبيس ومسلم بن قريش)

كان مسلم بن قريش منتقضا على السلطان وكان هزارشب بن شكر بن عوض قد أغرى السلطان بدبيس بن مزيد ليأخذ بلاده فانتقض ثم هلك هزارشب سنة ثنتين وستين باصبهان منصرفا من وفادته على السلطان بخراسان فوفد دبيس على السلطان ومعه مشرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وخرج نظام الملك لتلقيهما وأكرمهما السلطان ورجعا الى الطاعة

(الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها)

كان محمود بن صالح بن مرداس قد استولى هو وقومه على مدينة حلب وكانت للعلوى صاحب مصر فلما رأى اقبال دولة الب ارسلان وقوتها خافه على بلده فحملهم على الدخول فى دعوة القائم وخطب له على منابر حلب سنة ثلاث وستين وكتب بذلك الى القائم فبعث اليه نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى بالخلع ثم سار السلطان الب ارسلان الى حلب ومر بديار بكر فخرج اليه صاحبها ابن مروان وخدمه بمائة ألف دينار ومر بآمد فامتنعت عليه وبالرها كذلك ثم نزل على حلب وبعث اليه صاحبها محمود مع نقيب النقباء طراد بالاستعفاء من الحضور فالح فى ذلك وحاصره فلما اشتد عليه الحصار خرج ليلا الى السلطان ومعه أمه منيعة بنت رثاب النميرى ملقيا بنفسه فأكرمه السلطان وخلع عليه وأعاده الى بلده فقام بطاعته

(واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره)

كان ملك الروم فى القسطنطينية وهو ارمانوس قد خرج سنة ثنتين وستين الى بلاد الشأم فى عساكر كثيفة ونزل على منبج ونهبها وقتل أهلها وزحف اليه محمود بن صالح ابن مرداس وابن حسان الطائى فى بنى كلاب وطيء ومن اليهم من جموع العرب فهزمهم وطال عليه المقام على منبج وعزت الاقوات فرجع الى بلاده واحتشد وسار فى مائتى ألف من الزنج والروم والروس والكرخ وخرج فى احتفال الى أعمال خلاط ووصل الى ملازجرد وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خوى من اذربيجان عند عوده من حلب فتشوق الى الجهاد ولم يتمكن من الاحتشاد فبعث أثقاله وزوجته مع نظام الملك

الى همذان وسار فيمن حضر من العساكر وكانوا خمسة عشر ألفا ووطن نفسه على الاستماتة فلقيت مقدمته عند خلاط جموع الروسية فى عشرة آلاف فانهزموا وجىء بملكهم الى السلطان فجدعه وبعث بالاسلاب الى نظام الملك ليرسلها الى بغداد ثم تقارب العسكران وجنح السلطان للمهادنة فأبى ملك الروم فاعتزم السلطان وزحف وأكثر من الدعاء والبكاء وعفر وجهه بالتراب ثم حمل عليهم فهزمهم وامتلأت الارض بأشلائهم واسر الملك ارمانوس جاء به بعض الغلمان أسيرا فضربه السلطان على رأسه ثلاثا ووبخه ثم فاداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعلى أن يطلق كل أسير عنده وأن تكون عساكر الروم مددا للسلطان متى يطلبها وتم الصلح على ذلك لمدة خمسين سنة وأعطاه السلطان عشرة آلاف دينار وخلع عليه وأطلقه ووثب ميخاييل على الروم فملك عليهم مكان ارمانوس فجمع ما عنده من الاموال فكان مائتى ألف دينار وجىء بطبق مملوء بجواهر قيمته تسعون ألفا ثم استولى ارمانوس بعد ذلك على أعمال الارمن وبلادهم

(شحنة بغداد)

قد ذكرنا أن السلطان الب ارسلان ولى لاول ملكه ايتكين السليمانى شحنة بغداد سنة ست وخمسين فأقام فيها مدة ثم سار الى السلطان فى بعض مهماته واستخلف ابنه مكانه فأساء السيرة وقتل بعض المماليك الدارية فأنفذ قميصه من الديوان الى السلطان وخوطب بعزله وكان نظام الملك يعنى به فكتب فيه بالشفاعة وورد سنة أربع وستين فقصد دار الخلافة وسأل العفو فلم يجب وبعث الى تكريت ليسوغها باقطاع السلطان فبرز المرسوم من ديوان الخلافة بمنع ذلك ولما رأى السلطان ونظام الملك اصرار القائم على عزله بعث السلطان مكانه سعد الدولة كوهرابين اتباعا لمرضاة الخليفة ولما ورد بغداد خرج الناس للقائه وجلس له القائم واستقر شحنة

(مقتل السلطان ألب أرسلان وملك ابنه ملكشاه)

سار السلطان الب ارسلان محمد الى ماوراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين وذلك سنة خمس وستين وعبر على جسر عقده على جيحون فى نيف وعشرين يوما وعسكره تزيد على مائتى ألف وجىء له بمستحفظ القلاع ويعرف بيوسف الخوارزمى فأمر بعقابه على ارتكابه فأفحش فى سب السلطان فغضب وأمر باطلاقه ورماه بسهم فأخطأه فسير اليه يوسف وقام السلطان عن سريره فعثر ووقع فضربه بسكينة وضرب سعد الدولة ودخل السلطان خيمته جريحا وقتل الاتراك يوسف هذا ومات السلطان من جراحته

عاشر ربيع سنة خمس وستين لتسع سنين ونصف من ملكه ودفن بمرو عند أبيه وكان كريما عادلا كثير الشكر لنعمة الله والصدقة واتسع ملكه حتى قيل فيه سلطان العالم ولما مات وقد أوصى بالملك لابنه ملكشاه فجلس للملك وأخذ له البيعة وزيره نظام الملك وأرسل الى بغداد فخطب له على منابرها وكان الب ارسلان أوصى أن يعطى أخوه قاروت بك أعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وكان بكرمان وأن يعطى ابنه اياس بن الب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وعهد بقتال من لم يقص بوصيته وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر الجسر فى ثلاثة أيام وزاد الجند فى أرزاقهم سبعمائة ألف دينار ونزل نيسابور وأرسل الى ملوك الاطراف بالطاعة والخطبة فأجابوا وأنزل أخاه اياس بن الب ارسلان ببلخ وسار الى الرى ثم فوض الى نظام الملك وأقطعه مدينة طوس التى هى منشؤه وغيرها ولقبه ألقابا منها أتابك ومعناها الامير الوالد فحمل الدولة بصرامة وكفاية وحسن سيرة وبعث كوهرا بين الشحنة الى بغداد سنة ست وستين لاقتضاء العهد فجلس له القائم وعلى رأسه حافده وولى عهده المقتدى بأمر الله وسلم الى سعد الدولة كوهرا بين عهد السلطان ملكشاه بعد ان قرأ الوزير أوله فى المحفل وعقد له اللواء بيده ودفعه اليه

(وفاة القائم ونصب المقتدى للخلافة)

ثم توفى القائم بأمر الله أبو جعفر بن القادر افتصد منتصف شعبان من سنة سبع وستين ونام فانفجر فصاده وسقطت قوته ولما أيقن بالموت أحضر حافده أبا القاسم عبد الله ابن ابنه ذخيرة الدين محمد وأحضر الوزير ابن جهير والنقباء والقضاة وغيرهم وعهد له بالخلافة ثم مات لخمس وأربعين سنة من خلافته وصلى عليه المقتدى وبويع بعهد جده وحضر بيعته مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة وأبو اسحق الشيرازى وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل ولما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم عقب ذكر غيره لان ابنه ذخيرة الدين أبا العباس محمدا توفى فى حياته ولم يكن له غيره فاغتمد القائم لذلك ثم جاءت جاريته ارجوان بعد موته لستة أشهر بولد ذكر فعظم سرور القائم به ولما كانت حادثة البساسيرى حمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران وهو ابن أربع سنين وأعاده عند عود القائم الى داره فلما بلغ الحلم عهد له القائم بالخلافة ولما تمت بيعته لقب المقتدى وأقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية جده القائم بذلك وبعث ابن عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة فى رمضان من سنة سبع وستين

وبعث معه من الهدايا ما يجل عن الوصف وقدم سعد الدولة كوهرابين سنة ثمان وستين الى بغداد شحنة ومعه العميد أبو نصر ناظرا فى أعمال بغداد وقدم مؤيد الملك ابن نظام الملك سنة سبعين للاقامة ببغداد ونزل بالدار التى بجوار مدرستهم

(عزل الوزير ابن جهير ووزارة أبى شجاع)

كان أبو نصر بن الاستاذ أبى القاسم القشيرى قد حج سنة تسع وستين فورد بغداد منصرفا من الحج ووعظ الناس بالنظامية وفى رباط شيخ الشيوخ ونصر مذهب الاشعرى فأنكر عليه الحنابلة وكثر تعصب من الجانبين وحدثت الفتنة والنهب عند المدرسة النظامية فأرسل مؤيد الملك الى العميد والشحنة فحضروا فى الجند وعظمت الفتنة ونسب ذلك الى الوزير فخر الدولة بن جهير وعظم ذلك على عضد الدولة فأعاد كوهرابين الى الشحنة ببغداد وأوصاه المقتدى بعزل فخر الدولة من الوزارة وأمر كوهرابين بالقبض على أصحابه فبلغ الخبر الى بنى جهير فبادر عميد الدولة ابن الوزير الى نظام الملك يستعطفه ولما بلغ كوهرابين رسالة الملك الى المقتدى أمر فخر الدولة بلزوم منزله ثم جاء ابنه عميد الدولة بعد ما استصلح نظام الملك فى الشفاعة لهم فأعيد عميد الملك الى الوزارة دون أبيه فخر الدولة وذلك فى صفر سنة ثنتين وسبعين

(استيلاء تتش بن الب ارسلان على دمشق وابتداء دولته ودولة بنيه فيها)

كان أتسز بهمزة وسين وزاى ابن ابق الخوارزمى من أمراء السلطان ملك شاه وقد سار سنة ثلاث وستين الى فلسطين من الشأم ففتح مدينة الرملة ثم حاصر بيت المقدس وفتحها من يد العلويين أصحاب مصر وملك ما يجاورها ما عدا عسقلان ثم حاصر دمشق حتى جهدها الحصار فرجع وبقى يردد الغزوات اليها كل سنة ثم حاصرها سنة سبع وستين وبها المعلى بن حيدرة من قبل المستنصر العبيدى فأقام عليها شهرا ثم أقلع ديار أهل دمشق بالمعلى لسوء سيرته فهرب الى بانياس ثم الى صور ثم أخذ الى مصر وحبس بها ومات محبوسا واجتمعت المصامدة بعد هربه من دمشق وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى ولقبوه زين الدولة ثم اختلفوا عليه ووقعت الفتنة وغلت الاسعار ورجع أتسز الى حصارها فنزل عنها انتصار على الامان وعوضه عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل وخطب فيها أتسز للمقتدى العباسى فى ذى القعدة سنة ثمان وستين وتغلب على أكثر الشأم ومنع من الاذان بحى على خير العمل ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها ثم انهزم من غير قتال ورجع الى دمشق وقد انتقض عليه أكثر الشأم فشكر لاهل دمشق صونهم لمخلفه وأمواله

ورفع عنهم خراج سنة وبلغه ان أهل القدس وثبوا بأصحابه ومخلفه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فسار اليهم وقاتله فملكهم عنوة وقتلهم فى كل مكان الامن كان عند الصخرة ثم ان السلطان ملكشاه أقطع أخاه تاج الدولة تتش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشأم وما يفتحه من نواحيها فسار الى حلب سنة احدى وسبعين وحاصرها وضيق عليها وكانت معه جموع كثيرة من التركمان وكان صاحب مصر قد بعث عساكره مع قائده نصير الدولة لحصار دمشق فأساطوا بها وبعث أتسز الى تتش وهو على حلب يستمده فسار اليه وأجفلت العساكر المصرية عن دمشق وجاء اليها تتش فخرج أتسز للقائه بظاهر البلد فتجنى عليه حيث يستعد للقائه وقبض عليه وقتله لوقته وملك البلد وأحسن السيرة فيها وذلك سنة احدى وسبعين فيما قال الهمذانى وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ان ذلك كان سنة ثنتين وسبعين وقال ابن الاثير والشاميون فى هذا الاسم افسلس والصحيح أنه أتز وهو اسم تركى

(سفارة الشيخ أبى اسحق الشيرى عن الخليفة)

كان عميد العراق أبو الفتح بن أبى الليث قد ساء سيرة وأساء الى الرعاية وعسفهم واطرح جانب الخليفة المقتدى وحواشيه فاستدعى المقتدى الشيخ أبا اسحق الشيرازى وبعثه الى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك بالشكوى من ابن العميد فسار لذلك ومعه جماعة من أعيان الشافعية منهم أبو بكر الشاشى وغيره وذلك سنة خمس وخمسين وتنافس أهل البلاد فى لقائه والتمسح بأطرافه والتماس البركة فى ملبوسه ومركوبه وكان أهل البلاد اذا مر بهم يتساءلون اليه ويزدحمون على ركابه وينشدون على موكبه كل أحد ما يناسب ذلك وصل الامر باهانة ابن العميد ورفع يده عما يتعلق بحواشى المقتدى وجرى بينه وبين امام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ذكرها الناس فى كتبهم انتهى

(عزل ابن جهير عن الوزارة وامارته فى ديار بكر)

ثم ان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير عزله الخليفة المقتدى عن الوزارة ووصل من قبل السلطان ونظام الملك يطلب بنى جهير فأذن لهم فساروا بأهلهم الى السلطان فلقاهم كرامة وبرا وعقد لفخر الدولة على ديار بكر مكان بنى مروان وبعث معه العساكر سنة وأعطاه الآلة وأذن له أن يخطب فيها لنفسه ويكتب اسمه فى السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين ثم بعث اليه السلطان سنة سبع وسبعين بمدد العساكر مع الامير ارتق بن اكسب جد أصحاب ماردين لهذا العهد وكان ابن مروان

قد استمد فخر الدولة بن جهير بنواحيها وكان معه جماعة من التركمان فتقدموا الى قتال مشرف الدولة وانهزم أمامهم وغنم التركمان من كان معه من احياء العرب ودخل آمد فحصره بها فخر الدولة وأرتق فراسل ارتق وبذل له مالا على الخروج من ناحيته فأذن له وخرج ورجع ابن جهير الى ميافارقين ومعه بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب الحلة والنيل والجامعين وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه الى العراق وسار هو الى خلاط وكان السلطان لما بلغه انهزام مشرف الدولة وحصاره بآمد بعث عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير فى عسكره الى الموصل ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل وكاتب امراء التركمان بطاعته وساروا الى الموصل فملكوها وسار السلطان بنفسه اليها وقارن ذلك خلوص مشرف الدولة من حصار آمد فراسل مؤيد الدولة بن نظام الملك وهو على الرحبة وأهدى له فسعى له عند السلطان وأحضره وأهدى للسلطان سوابق خيله وصالحه وأقره على بلاده وعاد الى خراسان ولم يزل فخر الدولة بن جهير فى طلب ديار بكر حتى ملكها فأنفذ اليه زعيم الرؤساء القاسم سنة ثمان وسبعين وحاصرها وضيق عليها حتى غدر بها بعض أهل العسكر من خارج وملكها وعمد أهل البلد الى بيوت النصارى بينهم فنهبوها بما كانوا عمال بنى مروان وكان لهم جور على الناس وكان فخر الدولة مقيما على ميافارقين محاصرا لها وجاء سعد الدولة كوهرائين فى العسكر مددا من عند السلطان فخرج فى حصارها وسقط بعض الايام جانب من سورها فدهش أهل البلد وتنادوا بشعار السلطان ملك شاه واقتحم فخر الدولة البلد واستولى على ما كان لبنى مروان وبعث بأموالهم الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فلحقه باصبهان سنة ثمان وسبعين ثم بعث فخر الدولة أيضا عسكرا الى جزيرة ابن عمر وحاصروها حتى جهدهم الحصار فوثب طائفة من أهل البلد بعاملها وفتحوا الباب ودخل مقدم العسكر فملك البلد ودخل سنة ثمان وسبعين وانقرضت دولة بنى مروان من ديار بكر واستولى عليها فخر الدولة بن جهير ثم أخذها السلطان من يده وسار الى الموصل فتوفى بها وكان مولده بها واستخدم لبركة بن مقلد وسفر عنه الى ملك الروم ثم سار الى حلب ووزر لمعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ثم الى مروان بديار بكر فوزر له ولولده ثم سار الى بغداد ووزر للخليفة كما مرّ فى آخر ما ذكرناه وتوفى سنة ثلاث وثمانين انتهى

(خبر الوزارة)

لما عزل الخليفة المقتدى عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين رتب فى الديوان أبا الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ثم استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين فلم يزل فى الوزارة الى سنة أربع وثمانين فتعرض لابى سعد بن سمحاء اليهودى كان وكيلا للسلطان ونظام

الملك وسار كوهرابين الشحنة الى السلطان باصبهان فمضى اليهودى فى ركابه وسمع المقتدى بذلك فخرج توقيعه بالزام أهل الذمة بالغيار فأسلم بعضهم وهرب بعضهم وكان ممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وقرابته ولما وصل كوهرابين وأبو سعد الى السلطان وعظمت سعايتهما فى الوزير أبى شجاع فكتب السلطان ونظام الملك الى المقتدى فى عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وولى مكانه أبا سعد ابن موصلايا الكاتب وبعث المقتدى ليهما فى عميد الدولة بن جهير فبعثا به اليه واستوزره سنة أربع وثمانين وركب اليه نظام الدولة فهنأه بالوزارة فى بيته وتوفى الوزير أبو شجاع سنة ثمان وثمانين

(استيلاء السلطان على حلب)

قد ذكرنا من قبل استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب وخطبة صاحبها محمود ابن صالح بن مرداس على منابره باسمه سنة ثلاث وستين ثم عاد بعد ذلك الى طاعة العلوية بمصر ثم انقضت دولة بنى مرداس بها وعادت رياستها شورى فى مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكبيرهم ابن الحثيثى واستقر ملك سليمان ابن قطلمش ببلاد الروم وملك انطاكية سنة سبع وسبعين وتنازع مع مشرف الدولة ابن قريش ملك حلب وتزاحفا فقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش سنة تسع وسبعين وكتب الى أهل حلب يستدعيهم الى طاعته فاستمهلوه الى أن يكاتبوا السلطان ملك شاه فان الكل كانوا فى طاعته وكتبوا الى تتش أخى السلطان وهو بدمشق أن يملكوه فسار اليهم ومعه ارتق بن أكسب كان قد لحق به عندما جاء السلطان الى الموصل وفتحها خشية مما فعله فى خلاص مسلم بن قريش من حصار آمد فأقطعه تتش بيت المقدس فلما جاء تتش الى حلب وحاصر القلعة وبها سالم بن مالك بن بدران بن عم مشرف الدولة مسلم بن قريش وكان ابن الحثيثى وأهل حلب قد كاتبوا السلطان ملك شاه أن يسلموا اليه البلد فسار من اصبهان فى جمادى سنة تسع وستين ومر بالموصل ثم بحران فتسلمها وأقطعها محمد بن مسلم بن قريش ثم بالرها فملكها من يد الروم ثم بقلعة جعفر فحاصرها وملكها من يد بعض بنى قشير ثم بمنبج فملكها ثم عبر الفرات الى حلب فأجفل أخوه تتش الى البرية ومعه ارتق ثم عاد الى دمشق وكان سالم بن مالك ممتنعا بالقلعة فاستنزله منها وأقطعه قلعة جعبر فلم تزل بيده وبيد بنيه حتى ملكها منهم نور الدين العادل وبعث الى السلطان بالطاعة على شيراز وولى السلطان على حلب قسيم الدولة صاحب شيراز نصر بن على بن منقذ الكنانى وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب وفامية فأقر على شيراز وولى السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل ورحل

الى العراق وطلب أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثى فحمله معه وأنزله بديار بكر فتوفى فيها بحال املاق ودخل السلطان بغداد فى ذى الحجة من سنة تسع وسبعين وأهدى الى المقتدى وخلع عليه الخليفة وقد جلس له فى مجلس حفل ونظام الملك قائم يقدم أمراء السلطان واحدا بعد واحد آخر للسلام للخليفة ويعرّف بأسمائهم وأنسابهم ومراتبهم ثم فوّض الخليفة المقتدى الى السلطان أمور الدولة وقبل يده وانصرف ودخل نظام الملك الى مدرسته فجلس فى خزانة الكتب واسمع جزء حديث وأملى آخر وأقام السلطان ببغداد شهرا ورحل فى صفر من سنة ثمانين الى اصبهان وجاء الى بغداد مرة أخرى فى رمضان من سنة أربع وثمانين ونزل بدار الملك وقدم عليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة اقسنقر من حلب وغيرهما من أمراء النواحى وعمل ليلة الميعاد من سنة خمس وثمانين لم ير أهل بغداد مثله وأخذ الامراء فى بناء الدور ببغداد لسكناهم عند قدومهم فلم تمهلهم الايام لذلك

(فتنة بغداد)

كانت مدينة بغداد قد احتفلت فى كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة فى العالم منذ مبدء الخليقة فيما علمناه واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون من الرها وأعيا على الحكام امرهم وربما أركبوا العساكر لقتالهم ويثخنون فيهم فلم يحسم ذلك من عللهم شيأ وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف فى الامامة ومذاهبها وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبيه فى الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام أحمد وحاشاه منه فيقع الجدال والنكير ثم يفضى الى الفتنة بين العوام وتكرر ذلك منذ حجر الخلفاء ولم يقدر بنو بويه ولا السلجوقية على حسم ذلك منها لسكنى أولئك بفارس وهؤلاء باصبهان وبعدهم عن بغداد والشوكة التى تكون بها حسم العلل لاتفاقهم وانما تكون ببغداد شحنة تحسم ما خف من العلل ما لم ينته الى عموم الفتنة ولم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لاشتغالهم بما هو أعظم منه فى الدولة والنواحى وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا همتهم عن العظائم اليهم فاستمرت هذه العلة ببغداد ولم يقلع عنها الى أن اختلفت جدتها وتلاشى عمرانها وبقى طراز فى ردائها لم تذهبه الايام

(مقتل نظام الملك وأخباره)

كان من أبناء الدهاقين بطوس أبو على الحسين بن على بن اسحق فشب وقرأ بها وسمع

الحديث الكبير وتعلق بالاحكام السلطانية وظهرت فيها كفايته وكان يعرف بحسن الطوسى وكان أميره الذى يستخدمه يصادره كل سنة فهرب منه الى داود جقرى بك وطلبه مخدومه الامير فمنعه وخدم أبا على بن شاذان متولى الاعمال ببلخ لجغرى بك أخى السلطان طغرلبك وهو والد السلطان الب ارسلان ولما مات أبو على وقد عرف نظام الملك هذا بالكفاية والامانة أوصى به الب ارسلان فأقام بأمور دولته ودولة ابنه ملكشاه من بعده وبلغ المبالغ كما مر واستولى على الدولة وولى أولاده العمال وكان فيمن ولاه منهم ابن ابنه عثمان جمال وولى على مرو وبعث السلطان اليها شحنة من أعظم أمرائه وقع بينه وبين عثمان نزاع فحملته الحداثة والادلال بجاهه على أن قبض على الامير وعاقبه فانطلق الى السلطان مستغيثا وامتعض لها السلطان وبعث الى نظام الملك بالنكير مع خواصه وثقاته فحملته الدالة على تحقيق تعديد حقوقه على السلطان واطلاق القول فى العتاب والتهديد بطوارق الزمن وأرادوا طى ذلك عن السلطان فوشى به بعضهم فلما كان رمضان من سنة خمس وثمانين والسلطان على نهاوند عائدا من اصبهان الى بغداد وقد انصرف الملك يومه ذلك من خيمة السلطان الى خيمته فاعترضه صبى قيل انه من الباطنية فى صورة مستغيث فطعنه بسكينة فمات وهرب الصبى فأدرك وقتل وجاء السلطان الى خيمة نظام الملك يومه وسكن أصحابه وعسكره وذلك لثلاثين سنة من وزارته سوى ما وزر لابيه الب ارسلان أيام امارته بخراسان

(وفاة السلطان ملكشاه وملك ابنه محمود)

لما قتل نظام الملك على نهاوند كما ذكرناه سار السلطان لوجهه ودخل بغداد آخر رمضان من سنته ولقيه الوزير عميد الدولة بن جهير واعتزم السلطان أن يولى وزارته تاج الملك وهو الذى سعى بنظام الملك وكانت قد ظهرت كفايته فلما صلى السلطان العيد عاد الى بيته وقد طرقه المرض وتوفى منتصف شوال فكتمت زوجته تركمان خاتون موته وأنزلت أموالها وأموال أهل الدولة بحريم دار الخلافة وارتحلت الى اصبهان وسلوا السلطان معها فى تابوته وقد بذلت الاموال للامراء على طاعة ابنها محمود والبيعة له فبايعوه وقدمت من طريق قوام الدولة كربوقا الذى ملك الموصل من بعد ذلك فسار بخاتم السلطان لنائب القلعة وتسلمها ولما بايعت لولدها محمود وعمره يومئذ أربع سنين بعثت الى الخليفة المقتدى فى الخطبة له فأجابها على شرط أن يكون أنز من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك وأن يصدر عن رأى الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمال وجباية الاموال فأبت أو [illegible] قبول هذا الشرط حتى جاءها الامام أبو حامد الغزالى

وأخبرها أنّ الشرع لا يجيز تصرفاته فأذعنت لذلك فخطب لابنها آخر شوّال من السنة ولقب ناصر الدولة والدين وكتب الى الحرمين الشريفين فخطب له بهما

(ثورة بركيارق بملك شاه)

كانت تركان خاتون عند موت السلطان ملك شاه قد كتمت موته وبايعت لابنها محمود كما قلناه وبعثت الى اصبهان سرّا فى القبض على بركيارق ابن السلطان ملك شاه خوفا من أن ينازع ابنها محمودا فحبس فلما ظهر موت ملك شاه وثب مماليك بركيارق نظام الملك على سلاح كان له باصبهان وثاروا فى البلد وأخرجوا بركيارق من محبسه وبايعوه وخطبوا له باصبهان وكانت أمّه زبيدة بنت عم ملك شاه وهو ياقوتى خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود وكان تاج الملك قد تقدّم الى اصبهان وطالبه العسكر بالاموال فطلع الى بعض القلاع لينزل منها المال وامتنع منها خوفا من مماليك نظام الملك ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان جاءها فقبلت عذره وكان بركيارق لما أقامت خاتون ابنها محمودا باصبهان خرج فيمن معه من النظامية الى الرىّ واجتمع معه بعض أمراء أبيه وبعثت خاتون العساكر الى قتاله وفيهم أمراء ملك شاه فلما تراءى الجمعان هرب كثير من الامراء الى بركيارق واشتدّ القتال فانهزم عسكر محمود وخاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق فى أثرهم فحاصرهم بها

(مقتل تاج الملك)

كان الوزير تاج الملك قد حضر مع عسكر خاتون وشهد وقعة بركيارق فلما انهزموا سار الى قلعة يزدجرد فحبس فى طريقه وحمل الى بركيارق وهو محاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فأجمع أن يستوزره وأصلح هو النظامية وبذل لهم مائتى ألف دينار واسترضاهم بها ونمى ذلك الى عثمان نائب نظام الملك فوضع الغلمان الاصاغر عليه الطالبين ثار سيدهم وأغراهم فقتلوه وقطعوه قطعا وذلك فى المحرّم سنة ست وثمانين ثم خرج الى بركيارق من اصبهان وهو محاصر لها عز الملك أبو عبد الله بن الحسين بن نظام الملك وكان على خوارزم ووفد على السلطان ملك شاه قبل مقتل أبيه ثم كان ملكهما فأقام هو باصبهان وخرج الى بركيارق وهو يحاصرها فاستوزره وفوّض اليه أمر دولته انتهى

(الخطبة لبركيارق ببغداد)

ثم قدم بركيارق بغداد سنة ست وثمانين وطلب من المقتدى الخطبة فخطب له على

منابرها ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير اليه الخلع فلبسها وتوفى المقتدى وهو مقيم ببغداد

* وفاة المقتدى ونصب المستظهر للخلافة) *

ثم توفى المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله في منتصف محرم سنة سبع وثمانين وكان موته فجأة أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ووضعه ثم قدم اليه طعام فأكل منه ثم غشى عليه فمات وحضر الوزير فجهزوا جنازته وصلى عليه ابنه أبو العباس أحمد ودفن وذلك لتسع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته وكانت له قوة وهمة لولا أنه كان مغلبا وعظمت عمارة بغداد في أيامه وأظن ذلك لاستفحال دولة بني طغرلبك ولما توفى المقتدى وحضر الوزير أحضر ابنه أبا العباس أحمد الحاشية فبايعوه ولقبوه المستظهر وركب الوزير الى بركيارق وأخذ بيعته للمستظهر ثم حضر بركيارق لثالثة من وفاته ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وأخوه بهاء الملك وأمر السلطان بأرباب المناصب فجمعوا وحضر النقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني والغزالي والشاشي وغيرهم فجلسوا في العزاء وبايعوا

* (أخبار تتش وانتقاضه وحروبه ومقتله) *

قد ذكرنا فيما تقدم أن تتش ابن السلطان ألب ارسلان استقل بملك دمشق وأعمالها وانه وفد على السلطان ملكشاه ببغداد قبل موته وانصرف وبلغه خبر وفاته بهيت فملكها وسار الى دمشق فجمع العساكر وزحف الى حلب فأطاعه صاحبها قسيم الدولة اقسنقر وسار معه وكتب الى ناغيسان صاحب انطاكية والى بزار صاحب الرها وحران يشير عليهم بطاعة تتش حتى يصلح حال أولاد ملكشاه فقبلوا منه وخطبوا له في بلادهم وساروا معه فحصر الرحبة وملكها في المحرم سنة ست وثمانين وخطب فيها لنفسه ثم فتح نصيبين عنوة وعاث فيها وسلمها لمحمد بن مشرف الدولة وسار يريد الموصل ولقيه الكافي فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فاستوزره وبعث الى ابراهيم بن مشرف الدولة مسلم بن قريش وهو يومئذ ملك الموصل يأمره بالخطبة له وتسهيل طريقه الى بغداد فأبى من ذلك وزحف اليه تتش وهو في عشرة آلاف واقسنقر على ميمنته وتوزران على ميسرته وابراهيم في ستين ألفا والتقوا فانهزم ابراهيم وأخذ أسيرا وقتل جماعة من أمراء العرب صبرا وملك تاج الدولة تتش الموصل وولى عليها على ابن مشرف الدولة وأمه صفية عمة تتش وبعث الى بغداد يطلب مساعدة كوهرايين

الشحنة فجاء العذر بانتظار الرسل من العسكر فسار الى ديار بكر وملكها ثم الى اذربيجان وبلغ خبره الى بركيارق وقد استولى على همذان والرى فسار لمدافعته فلما التقى العسكران جنح اقسنقر الى بركيارق وفاوض توران فى ذلك وانهما انما اتبعا تتش حتى يظهر أمر أولاد ملكشاه فوافقه على ذلك وسارا معا الى بركيارق فانهزم تتش وعاد الى دمشق واستفحل بركيارق وجاء كوهرائين يعتذر من مساعدته لتتش فى الخطبة فلم يقبله وعزله وولى الامير ينكبرد شحنة بغداد مكانه ثم خطب لبركيارق ببغداد كما قدمناه ومات المقتدى ونصب المستظهر ولما عاد تتش من اذربيجان الى الشأم جمع العساكر وسار الى حلب لقتال اقسنقر وبعث بركيارق كربوقا الذى صار أمير الموصل مددا لاقسنقر ولقيهم تتش قريبا من حلب فهزمهم وأسر اقسنقر فقتله صبرا ولحق توران وكربوقا بحلب وحاصرهما تتش فملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حران والرها فى الطاعة وكانتا لتوران فامتنعوا فبعث برأسه اليهم وأطاعوه وحبس كربوقا فى حمص الى أن أطاعه رضوان بعد قتل أبيه تتش ثم سار تتش الى الجزيرة فملكها ثم ديار بكر ثم خلاط وارمينية ثم اذربيجان ثم سار الى همذان فملكها وكان بها فخر الدولة نظام الملك سار من حران لخدمة بركيارق فلقيه الامير تاج من عسكر محمود بن ملكشاه باصبهان فنهب ماله ونجا بنفسه الى همذان وصادف بها تتش وشفع فيه باغسيان وأشار بوزارته فاستوزره وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من المستظهر وبعث يوسف بن آبق التركمانى شحنته الى بغداد فى جمع من التركمان فمنع من دخولها وكان بركيارق قد سار الى نصيبين وعبر دجلة فوق الموصل الى اربل ثم الى بلد سرخاب بن بدر حتى اذا كان بينه وبين عمه تسعة فراسخ وهو فى ألف رجل وعمه فى خمسين ألفا فبيته بعض الامراء من عسكر عمه فانهزم الى اصبهان وبها محمود ابن أخيه وقد ماتت أمه تركمان خاتون فأدخله امراء محمود واحتاطوا عليه ثم مات محمود سلخ شوال من سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على الامر وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة واستمال الامراء فرجعوا اليه وكثر جمعه وكان تتش بعد هزيمة بركيارق قد اختلف عليه الامراء وراسل امراء اصبهان يدعوهم الى طاعته فواعدوه انتظار بركيارق وكان قد أصابه الجدرى فلما أبل نبذوا اليه عهده وساروا مع بركيارق من اصبهان وأقبلت اليهم العساكر من كل مكان وانتهوا الى ثلاثين ألفا والتقوا قريبا من الرى فانهزم تتش وقتله بعض أصحاب اقسنقر وكان قد حبس وزيره فخر الملك بن نظام الملك فأطلق ذلك اليوم واستفحل أمر بركيارق وخطب له ببغداد

(ظهور السلطان ملكشاه والخطبة له ببغداد)

كان السلطان بركيارق قد ولى على خراسان وأعمالها أخاه لابيه سنجر فاستقل بأعمال خراسان كما نذكر في أخبار دولتهم عند انفرادها بالذكر وانما نذكر هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة والخطبة لهم ببغداد لان مساق الكلام هنا انما هو عن أخبار دولة بنى العباس ومن وزر لهم أو تغلب خاصة وكان لسنجر بن ملكشاه أخ شقيق اسمه محمد ولما هلك السلطان ملكشاه سار مع أخيه محمود وتركان خاتون الى اصبهان فلما حاصرهم بركيارق لحق به أخوه محمد هذا وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأقطعه دجلة وأعمالها وبعث معه قطلغ تكين أتابك فلما استوى على أمره قتله أنفة من حجره ثم لحق به مؤيد الملك بن عبيد الله بن نظام الملك كان مع الامير انز وداخله فى الخلاف على السلطان بركيارق فلما قتل أنز كما نذكر فى أخبارهم لحق مؤيد الملك بمحمد ابن السلطان ملكشاه وأشار عليه ففعل وخطب لنفسه واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك أن السلطان بركيارق قتل خاله مجد الملك البارسلانى فاستوحش منه أمراؤه ولحقوا بأخيه محمد وسار بركيارق الى الرى واجتمع له بها عساكر وجاء عز الملك منصور بن نظام الملك فى عساكر وبينما هو فى الرى اذ بلغه مسير أخيه محمد اليه فأجفل راجعا الى اصبهان فمنعه أهلها الدخول فسار الى خورستان وجاء السلطان محمد الى الرى أول ذى القعدة من سنة ثنتين وتسعين ووجد ام بركيارق بها وهى زبيدة خاتون فحبسها مؤيد الملك وقتلها واستفحل ملك محمد وجاءه سعد الدولة كوهرايين شحنة بغداد وكان مستوحشا من بركيارق وجاء معه كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب ابن بدر صاحب كنكور فلقوه جميعا بقم وسار كربوقا وجكرمس معه الى اصبهان ورد كوهرايين الى بغداد فى طلب الخطبة من الخليفة وأن يكون شحنة بها فأجابه المستظهر الى ذلك وخطب له منتصف ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين ولقب غياث الدنيا والدين

(اعادة الخطبة لبركيارق)

لما سار بركيارق مجفلا من الرى الى خورستان امام أخيه محمد وأمير عسكره يومئذ ينال بن أنوش تكين الحسامى ومعه جماعة من الامراء أجمع المسير الى العراق فسار الى واسط وجاءه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ثم سار الى بغداد فخطب له بها منتصف صفر من سنة ثلاث وتسعين ولحق سعد الدولة كوهرايين ببعض الحصون هنالك ومعه ابو الغازى بن ارتق وغيره من الامراء وأرسل الى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثهما فى الوصول فبعث اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب الجزيرة فلم يرضه وطلب جكرمس العود الى بلده فأطلقه ثم نزع كوهرايين ومن معه من الامراء

الى بركيارق باغراء كربوقا صاحب الموصل وكاتبوه فخرج اليهم ودخلوا معه بغداد واستوزره الاعز ابو المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة ابن جهير وزير الخليفة وطالبه بأموال ديار بكر والموصل فى ولايته وولاية أبيه وصادره على مائة وستين ألف دينار حملها اليه وخلع المستظهر على السلطان بركيارق واستقر أمره

(المصاف الاول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرايين والخطبة لمحمد)

ثم سار بركيارق من بغداد الى شهرزور لقتال أخيه محمد واجتمع اليه عسكر عظيم من التركمان وكاتبه رئيس همذان بالمسير اليه فعدا عنه ولقى أخاه محمدا على فراسخ من همذان ومحمد فى عشرين ألف مقاتل ومعه الامير سرخو شحنة اصبهان وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومع بركيارق فى القلب وزيره أبو المحاسن وفى ميمنته كوهرايين وصدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وفى ميسرته كربوقا وغيره من الامراء فحمل كوهرايين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد فانهزموا حتى نهبت خيامهم ثم حملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت وحمل محمد معهم فانهزم بركيارق ورجع كوهرايين للمنهزمين فكبا به فرسه وقتل وافترقت عساكر بركيارق وأسر وزيره أبو المحاسن فأكرمه مؤيد الملك وأنزله وأعاده الى بغداد ليخاطب المستظهر فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ففعل وخطب له ببغداد منتصف رجب سنة ثلاث وتسعين وابتداء أمر كوهرايين أنه كان لامرأة بخوزستان وصار خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة وحظى عنده وكان يستعرض حوائج تلك المرأة وأصاب أهلها منه خيرا وأرسله أبو كاليجار مع ولده أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى محبسه بقلعة طبرك ولما مات أبو نصر سار الى خدمة السلطان الب أرسلان فحظى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وكان حاضرا معه يوم قتله يوسف الخوارزمى ووقاه بنفسه ثم بعثه ابنه ملك شاه الى بغداد لاحضار الخلع والتقليد واستقر شحنة ببغداد الى أن قتل ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الكلمة وكمال القدرة وخدمة الامراء والاعيان وطاعتهم انتهى

(مصاف بركيارق مع أخيه سنجر)

ولما انهزم السلطان بركيارق من أخيه محمد لحق بالرى واستدعى شيعته وأنصاره من الامراء فلحقوا به ثم ساروا الى اسفراين وكاتب الامير داود حبشى بن التونتاق يستدعيه وهو صاحب خراسان وطبرستان ومنزله بالدامغان فأشار عليه باللحاق

بنيسابور حتى يأتيه فدخل نيسابور وقبض على رؤسائها ثم أطلقهم وأساء التصرّف ثم أعاد الكتاب الى داود حبشى بالاستدعاء فاعتذر بأنّ السلطان سنجر زحف اليه فى عساكر بلخ ثم سأل منه المدد فسار بركيارق اليه فى ألف فارس وهو فى عشرين ألفا والتقوا بسنجر عند النوشجان وفى ميمنة سنجر الامير برغش وفى ميسرته كوكر ومعه فى القلب رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانهزم أصحابه ونهب عسكرهم وكادت الهزيمة تتم عليهم ثم حمل برغش وكوكر على عسكر بركيارق وهم مشتغلون بالنهب فانهزموا وانهزم بركيارق وجاء بعض التركمان بالامير داود حبشى أسيرا الى برغش فقتله ولحق بركيارق بجرجان ثم بالدامغان وقطع البرية الى اصبهان بمراسلة أهلها فسبقه أخوه محمد اليها فعاد سميرهم انتهى

(عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ووفاته)

قد ذكرنا أنّ وزير السلطان بركيارق وهو الاغر أبو المحاسن أسر فى المصاف الاوّل بين بركيارق ومحمد وانّ مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد أطلقه واصطنعه وضمنه عمارة بغداد وحمله طلب الخطبة لمحمد ببغداد من المستظهر فخطب له وكان فيما حمله للمستظهر عزل وزيره عميد الدولة بن جهير وبلغ ذلك عميد الدولة فأرسل من يعترض الاغر ويقتله فامتنع بعقربابل ثم صالحه ذلك الذى اعترضه وطلب لقاءه فلقيه ودس الاغر الى ابى الغازى بن ارتق وكان وصل معه وسبقه الى بغداد فرجع اليه ليلا ويئس منه ذلك الذى اعترضه ووصل الاغر بغداد وبلغ الى المستظهر رسالة مؤيد الدولة فى عزل عميد الدولة فقبض عليه فى رمضان من سنة ثلاث وتسعين وعلى اخوته وصودر على خمسة وعشرين ألف دينار وبقى محبوسا بدار الخلافة الى أن هلك فى محبسه

(المصاف الثانى بين بركيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق)

قد ذكرنا أنّ بركيارق لما انهزم امام أخيه محمد فى المصاف الاوّل سار الى اصبهان ولم يدخلها فمضى الى عسكر مكرم الى خورستان وجاءه الاميران زنكى والبكى ابنا برسق ثم سار الى همذان فكاتبه اياز من كبار أمراء محمد بما كان استوحش منه فجاءه فى خمسة آلاف فارس وأغراه باللقاء فارتحل لذلك ثم استأمن اليه سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة فاجتمع له خمسون ألفا من المقاتلة وبقى أخوه فى خمسة عشر ألفا ثم اقتتلوا أوّل جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وأصحاب محمد يغدون على محمد شيأ فشيأ مستأمنين ثم انهزم آخر النهار وأسر وزيره مؤيد الملك وأحضره عند بركيارق غلام لمجد الملك البارسلانى ثار منه مولاه فلما حضر وبخه بركيارق وقتله وبعث الوزير أبو

المحاسن من يسلم اليه أمواله وصادر عليها قرابته والى غير بغداد من بلاد العجم ويقال كان فيما أخذ له قطعة من البلخش زنة احدى وأربعين مثقالا ثم سار بركيارق الى الرى ولقيه هنالك كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد واجتمعت اليه نحو من مائة ألف فارس حتى ضاقت بهم البلاد فتفرق العساكر وعاد دبيس الى أبيه وسار كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتا كان خرج على السلطان هنالك وسار اياز الى همذان ليقضي الصوم عند أهله ويعود فبقى بركيارق فى خف من الجنود وكان محمد أخوه لما انهزم لجهات همذان سار الى شقيقه بخراسان فانتهى الى جرجان وبعث يطلب منه المدد فأمده بالمال أولا ثم سار اليه بنفسه الى جرجان وسار معه الى الدامغان وخرب عسكر خراسان ما مروا به من البلاد وانتهوا الى الرى واجتمعت اليهم النظامية وبلغهم افتراق العساكر عن بركيارق فأغذوا اليه السير فرحل الى همذان فبلغه أن اياز راسل محمدا فقصد خوزستان وانتهى الى تستر واستدعى بنى برسق فقعدوا عنه لما بلغهم مراسلة اياز للسلطان فسار بركيارق نحو العراق وكان اياز راسل محمدا فى الكون معه فلم يقبله فسار من همذان ولحق بركيارق الى حلوان وساروا جميعا الى بغداد واستولى محمد على مخلف اياز بهمذان وحلوان وكان شيأ مما لا يعبر عنه وصادر جماعة من أصحاب اياز من أهل همذان ووصل بركيارق الى بغداد منتصف ذى القعدة سنة أربع وتسعين وبعث المستظهر لتلقيه أمين الدولة بن موصلايا فى المراكب وكان بركيارق مريضا فلزم بيته وبعث المستظهر فى عيد الاضحى الى داره منبرا خطب عليه باسمه وتخلف بركيارق عن شهود العيد لمرضه وضاقت عليه الاموال فطلب الاعانة من المستظهر وحمل اليه خمسين ألف دينار بعد المراجعات ومد يده الى أموال الناس وصادرهم فضجوا وارتكب خطيئة شنعاء فى قاضى جبلة وهو أبو محمد عبد الله بن منصور وكان من خبره أن أباه منصورا كان قاضيا بجبلة فى ملكة الروم فلما ملكها المسلمون وصارت فى يد أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس أقره على القضاء بها وتوفى فقام ابنه أبو محمد هذا مقامه ولبس شعار الجندية وكان شهما فهم ابن عمار بالقبض عليه وشعر فانتقض وخطب للخلفاء العباسية وكان ابن عمار يخطب للعلوية بمصر وطالت منازلة الفرنج بحصن جبلة الى أن ضجر أبو محمد هذا وبعث الى صاحب دمشق وهو يومئذ طغتكين الاتابك أن يسلم اليه البلد فبعث ابنه تاج الملوك بورى وتسلم منه البلد وجاء به الى دمشق وبذل لهم فيه ابن عمار ثلاثين ألف دينار دون أمواله فلم يرضوا باخفار ذمتهم وسار عنهم الى بغداد ولقى بها بركيارق فأحضره الوزير أبو المحاسن وطالبه

فى الاثنين ألف دينار فأجاب وأحالهم على منزله بالانبار فبعث الوزير من أتاه بجميع ما فيه وكان لا يعبر فكانت من المنكرات التى أتاها بركيارق ثم بعث الوزير الى صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب حلب يطلب منه ألف ألف دينار متخلفة من مال الجباية وتهدده عليها فغضب وانتقض وخطب لمحمد وبعث اليه بركيارق الامير اياز يستقدمه فلم يجب وبعث الى الكوفة وطرد عنها نائب بركيارق واستضافها اليه

(استيلاء محمد على بغداد)

قد ذكرنا استيلاء محمد على همذان فى آخر ذى الحجة من سنة أربع وتسعين ومعه أخوه سنجر وذهب بركيارق الى بغداد فاستولى عليها وأساء السيرة بها وبلغ الخبر الى محمد فسار من همذان فى عشرة آلاف فارس ولقيه بحلوان أبو الغازى بن أرتق شحنته ببغداد فى عساكره وأتباعه وكان بركيارق فى شدة من المرض قد أشرف على الهلاك فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربى حتى اذا وصل محمد بغداد وتراآى الجمعان من عدوتى دجلة ذهب بركيارق وأصحابه الى واسط ودخل محمد بغداد وجاءه توقيع المستظهر بالانتقاض مما وقع به بركيارق وخطب له على منابر بغداد وجاءه صدقة بن منصور صاحب الحلة فأخرج الناس للقائه ونزل سنجر بدار كوهرايين واستوزر محمد بعد مؤيد الملك خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين فقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين انتهى

(المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم)

ثم ارتحل السلطان وأخوه سنجر عن بغداد منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين وقصد سنجر خراسان ومحمد همذان فاعترض بركيارق خاص الخليفة المستظهر وأبلغه القبيح فاستدعى المستظهر محمدا لقتال بركيارق فجاء اليه وقال أنا أكفيكه ورتب أبا المعالى شحنة ببغداد وكان بركيارق بواسط كما قلنا فلما أبل من مرضه عبر الى الجانب الشرقى بعد جهد وصعوبة لفرار الناس من واسط لسوء سيرتهم ثم سار الى بلاد بنى برسق حتى أطاعوا واستقاموا وساروا معه فاتبع أخاه محمدا الى نهاوند وتصافوا يومين ومنعهما شدة البرد من القتال ثم اجتمع اياز والوزير الاعز من عسكر بركيارق وبلداجى وغيرهم من الامراء من عسكر محمد وتفاوضوا فى شكوى ما نزل بهم من هذه الفتنة ثم اتفقوا على أن تكون السلطنة بالعراق لبركيارق ويكون لمحمد من البلاد الحيرة وأعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل على أن يمده بركيارق بالعسكر متى احتاج اليه على من يمتنع عليه منها وتحالفا على ذلك وافترقا فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين ثم سار

بركيارق الى ساوة ومحمد الى قزوين وبدا له في الصلح واتهم الامراء الذين سعوا فيه وأسر الى رئيس قزوين أن يدعوهم الى صنيع عنده وغدر بهم محمد فقتل بعضا وسمل بعضا وأظهر الفتنة وكان الامير ينال بن أنوش تكين قد فارق بركيارق وأقام مجاهدا للباطنية في الجبال والقلاع فلحق محمدا وسار معه الى الري وبلغ الخبر الى بركيارق فأغذ اليه السير في ثمان ليال واصطفوا في التاسع وكلا الفريقين في عشرة آلاف مقاتل وحمل سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آوة من أصحاب بركيارق على ينال بن أنوش تكين فهزمه وانهزم معه عسكر محمد وافترقوا فلحق فريق بطبرستان وآخر بقزوين ولحق محمد باصبهان في سبعين فارسا واتبعه اياز والبكي بن برسق فجاء الى البلد وبها نوابه فلم ما تشعث من السور وكان من بناء علاء الدين بن كاكويه سنة تسع وعشرين لقتال طغرلبك وحفر الخنادق وأبعد مهواها وأجرى فيها المياه ونصب المجانيق واستعد للحصار وجاء بركيارق في جمادى ومعه خمسة عشر ألف فارس ومائة ألف من الرجل والاتباع فحاصرها حتى جهدهم الحصار وعدمت الاقوات والعلوفة فخرج محمد عن البلد في عيد الاضحى من سنته في مائة وخمسين فارسا ومعه ينال ونزل في الامراء وبعث بركيارق في اتباعه الامير اياز وكانت خيل محمد ضامرة من الجوع فالتفت الى اياز يذكره العهود فرجع عنه بعد ان نهب منه خيلا ومالا وأخذ علمه وجنده وعاد الى بركيارق ثم شد بركيارق في حصار اصبهان وزحف بالسلاليم والدبابات وجمع الايدي على الخندق فطمه وتعلق الناس بالسور فاستمات أهل البلد ودفعوهم وعلم بركيارق امتناعها فرحل عنها ثامن عشر ذي الحجة وجر عسكرا مع ابنه ملكشاه وترشك العوالي على البلد القديم الذي يسمى شهرستان وسار الى همذان بعد ان كان قتل على اصبهان وزيره الاعز أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني اعترضه في ركوبه من خيمته الى خدمة السلطان متظلم فطعنه وأشواه ورجع الى خيمته فمات وذهب للتجار الذين كانوا يعاملونه أموال عظيمة لان الجباية كانت ضاقت بالفتن فاحتاج الى الاستدانة ونذر منه التجار لذلك ثم عامله بعضهم فذهب مالهم بموته وكان أخوه العميد المهذب أبو محمد قد سار الى بغداد لينوب عنه حين عقد الامراء الصلح بين بركيارق ومحمد فقبض عليه الشحنة ببغداد أبو الغازي ابن ارتق وكان على طاعة محمد

* (الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق) *

كان ابو الغازي بن ارتق شحنة ببغداد وولاه عليها السلطان محمد عند استيلائه في المصاف الاول وكان طريق خراسان اليه فعاد بعض الايام منها الى بغداد وضرب فارس من أصحابه بعض الملاحين بسهم في ملاحات وقعت بينهم عند العبور فقتله

ثارت بهم العامة وأمسكوا القاتل وجاؤا به الى باب النوبة فى دار الخلافة ولقيهم ولد ى الغازى فاستنقذه من أيديهم فرجوه وجاء الى أبيه مستغيثا وركب الى محلة الملاحين فنهبها وعطف عليه العيارون فقتلوا من أصحابه وركبوا السفن للنجاة فهرب الملاحون وتركوهم فغرقوا وجمع ابو الغازى التركمانى لنهب الجانب الغربى فبعث اليه المستظهر قاضى القضاة والكيا الهراسى مدرس النظامية بالامتناع من ذلك فاقتصر ابو الغازى اثناء ذلك متمسكا بطاعة السلطان محمد فلما انهزم محمد وانطلق من حصار اصبهان واستولى بركيارق على الرى بعث فى منتصف ربيع الاول من سنة ست وتسعين من همذان كمشتكين القيصرانى شحنة الى بغداد فلما سمع أبو الغازى بعث الى أخيه سقمان بحصن كيفا يستدعيه للدفاع وجاء سقمان ومر بتكريت فنهبها ووصل كمشتكين ولقيه شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعاجلة ووصل الى بغداد منتصف ربيع وخرج أبو الغازى وأخوه سقمان الى دجيل ونهبا بعض قراها واتبعهما طائفة من عسكر كمشتكين ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمشتكين الى سيف الدولة صدقة بالحلة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يجب وكشف القناع وسار الى جسر صرصر فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من السلاطين واقتصر على الخليفة فقط وبعث سيف الدولة صدقة الى ابى الغازى وسقمان بأنه جاء لنصرتهما فعادوا الى دجيل وعاثوا فى البلاد واجتمع لذلك حشد العرب والاكراد مع سيف الدولة وبعث اليه المستظهر فى الاصلاح وخيموا جميعا بالرملة وقاتلهم العامة وبعث الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى وتاج رؤساء الرياسة ابن الموصلايا الى سيف الدولة بكف الايدى عن الفساد فاشترطوا خروج كمشتكين القيصرانى شحنة بركيارق واعادة الخطبة للسلطان محمد فتم الامر على ذلك وعاد سيف الدولة الى الحلة وعاد القيصرانى الى واسط وخطب بها لبركيارق فسار اليه صدقة وابو الغازى وفارقها القيصرانى فاتبعه سيف الدولة ثم استأمن ورجع اليه فأكرمه وخطب للسلطان محمد بواسط وبعده لسيف الدولة وابى الغازى واستناب كل واحد ولده ورجع ابو الغازى الى بغداد وسيف الدولة الى الحلة وبعث ولده منصورا الى المستظهر يخطب رضاه عما كان منه فى هذه الحادثة فأجيب الى ذلك

* (استيلاء ينال على الرى بدعوة السلطان محمد ومسيره الى العراق) *

كانت الخطبة بالرى للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من الحصار باصبهان بعث ينال بن أنوش تكين الحسامى الى الرى ليقيم الخطبة له بها فسار ومعه أخوه على وعسف الرعايا ثم بعث السلطان بركيارق اليه برسق بن برسق فى العساكر

فقاتله على الرى وانهزم نيال وأخوه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين وذهب على الى قزوين وسلك نيال على الجبال الى بغداد وتقطع أصحابه فى الاوعار وقتلوا ووصل الى بغداد فى سبعمائة رجل وأكرمه المستظهر واجتمع هو وأبو الغازى وسقمان ابنا ارتق بمشهد أبى حنيفة فاستحلفوه على طاعة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة واستحلفوه على ذلك واستقر نيال ببغداد فى طاعة السلطان محمد وتزوج أخت أبى الغازى كانت تحت تاج الدولة تتش وعسف بالناس وصادر العمال واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل وبعث اليه المستظهر مع القاضى الدامغانى بالنهى عن ذلك وتقبيح فعله ثم مع ابلغازى فأجاب وحلف على كف أصحابه ومنعهم واستمر على قبح السيرة فبعث المستظهر الى سيف الدولة صدقة يستدعيه لكف عدوانه فجاء الى بغداد فى شوال من سنة ست وتسعين وخيم بالمجمى ودعا نيالا للرحلة عن العراق على أن يدفع اليه وعاد الى الحلة وسار نيال مستهل ذى القعدة الى أوانا ففعل من النهب والعسف أقبح مما فعل ببغداد فبعث المستظهر الى صدقة فى ذلك فأرسل ألف فارس وساروا اليه مع جماعة من أصحاب المستظهر وأبى الغازى الشحنة وذهب نيال أمامهم الى أذربيجان قاصدا الى السلطان محمد ورجع أبو الغازى والعساكر عنه

(المصاف الخامس بين السلطانين)

كانت كنجة وبلاد أرزن للسلطان محمد وعسكره مقيم بها مع الامير غزعلى فلما طال حصاره باصبهان جاؤا لنصرته ومعهم منصور بن نظام الملك ومحمد ابن أخيه مؤيد الملك ووصلوا الى الرى آخر ذى الحجة سنة خمس وتسعين وفارقه عسكر بركيارق ثم خرج محمد من اصبهان فساروا اليه ولقوه بهمذان ومعه نيال وعلى ابنا أنوشتكين فاجتمعوا فى ستة آلاف فارس وسار نيال وأخوه على الرى وأزعجهم عنها عساكر بركيارق كما مر ثم جاءهم الخبر فى همذان بزحف بركيارق اليهم فسار محمد الى بلاد شروان ولما انتهى الى أردبيل بعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتى وكان أميرا على بيلقان من أذربيجان وكان أبوه اسمعيل خال بركيارق وانتقض عليه أول أمره فقتله فكان مودود يطالبه بثار أبيه وكانت أخته تحت محمد فبعث اليه وجاءه الى بيلقان وتوفى مودود اثر قدومه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين فاجتمع عسكره على الطاعة لمحمد وفيهم سقمان القطبى صاحب خلاط وأرمينية ومحمد بن غاغيسا كان أبوه صاحب انطاكية وكان الب أرسلان ابن السبع الاحمر ولما بلغ بركيارق اجتماعهم لحربه أغذ السير اليهم فوصل وقاتلهم على باب خوى من أذربيجان من المغرب الى العشاء ثم حمل اياز من أصحاب بركيارق على عسكر محمد فانهزموا وسار الى خلاط ومعه سقمان القطبى

ولقيه الامير علي صاحب ارزن الروم ثم سار الى   وبها منوجهر أخو فضلون الروادي ثم سار الى تبريز ولحق محمد بن يزيد الملك بديار بكر وسار منها الى بغداد وكان من خبره انه كان مقيما ببغداد مجاورا للمدرسة النظامية فشكا الجيران منه الى أبيه فكتب الى كوهرائين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ثم سار سنة ثنتين وتسعين الى محمد الملك الباسلاني وأبوه حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يدعو لنفسه ثم سار بعد أن قتل محمد الملك الى والده مؤيد الملك وهو وزير السلطان محمد ثم قتل أبوه واتصل هو بالسلطان وحضر هذه الحروب كما ذكرنا وأمّا السلطان بركيارق بعد هزيمة محمد فانه نزل جبلا بين مراغة وتبريز وأقام به حولا   كان خليفة المستظهر سديد الملك أبو المعالى   كما ذكرناه ثم قبض عليه منتصف رجب سنة ست وتسعين وحبس بدار الخلافة مع أهله كانوا قد وردوا عليه من اصبهان وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة لانه كان يتصرّف فى أعمال السلاطين وليست فيها هذه القوانين ولما قبض عاد أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا الى النظر فى الديوان وبعث المستظهر عن زعيم الرؤساء أبى القاسم بن جهير من الحلة وكان ذهب اليها فى السنة قبلها مستجيرا بسيف الدولة صدقة لانّ خاله أمين الدولة أبى سعد بن الموصلايا كان الوزير الاعز وزير بركيارق يشيع عنه أنه الذى يحمل المستظهر على موالاة السلطان محمد والخطبة له دون بركيارق فاعتزل أمين الدولة الديوان وسار ابن أخته هذا أبو القاسم بن جهير مستجيرا بصاحب الحلة فاستقدمه الخليفة الآن وخرج أرباب الدولة لاستقباله وخلع عليه للوزارة ولقبه قوام الدولة ثم عزله على رأس المائة الخامسة واستجار بسيف الدولة صدقة بن منصور ببغداد فأجازه وبعث عنه الى الحلة وذلك لثلاث سنين ونصف من وزارته وناب فى مكانه القاضى أبو الحسن بن الدامغانى أياما ثم استوزر مكانه أبا المعالى بن محمد بن المطلب فى المحرم سنة احدى وخمسمائة ثم عزله سنة ثنتين باشارة السلطان محمد وأعاده باذنه على شريطة العدل وحسن السيرة وأن لايستعمل أحدا من أهل الذمّة ثم عزل فى رجب من سنة ثنتين وخمسين واستوزر أبا القاسم بن جهير سنة تسع وخمسين واستوزر بعده الربيع أبا منصور بن الوزير أبى شجاع محمد ابن الحسين وزير السلطان

(الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد)

ولما تطاولت الفتنة بين السلطانين وكثر النهب والهرج وخربت القرى واستطال الامر عليهم وكان السلطان بركيارق بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها

وبلاد اران وأرمينية واصبهان والعراق جميعه الا تكريت واما البطائح فبعضها لهذا وبعضها لهذا والخطبة بالبصرة لهما جميعا وأما خراسان من جرجان الى ما وراء النهر فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد فلما استبصر بركيارق فى ذلك ورأى تحكم الامراء عليه وقلة المال جنح الى الصلح وبعث القاضى أبا المظفر الجرجانى الحنفى وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين الى أخيه محمد فى الصلح فوصلا اليه بمراغة وذكراه ووعظاه فأجاب الى الصلح على أن السلطان لبركيارق ولا يمنع محمدا من اتخاذ الآلة ولا يذكر أحد منهما مع صاحبه فى الخطبة فى البلاد التى صارت اليه وتكون المكاتبة من وزيريهما فى الشؤن لا يكاتب أحدهما الآخر ولا يعارض أحد من العسكر فى الذهاب الى أيهما شاء ويكون للسلطان محمد من نهر اسبندرو الى الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم وأن يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله فى حلفه وبلاده والسلطنة كلها وبقية الاعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق وبعث محمد الى أصحابه باصبهان بالافراج عنها الاصحاب أخيه وجاؤا بحريم محمد اليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق الى خدمته فامتنعوا فأكرمهم وحمل حريم أخيه وزودهم بالاموال وبعث العساكر فى خدمتهم ثم بعث السلطان بركيارق الى المستظهر بما استقر عليه الحال فى الصلح بينهم وحضر أبو الغازى بالديوان وهو شحنة محمد وشيعته الا أنه وقف مع الصلح فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها المستظهر وخطب له على منابر بغداد وواسط فى جمادى سنة سبع وتسعين وتنكر الامير صدقة صاحب الحلة الخطبة لبركيارق وكان شيعة لمحمد وكتب الى الخليفة بالنكير على أبى الغازى وأنه سائر لاخراجه عن بغداد فجمع أبو الغازى التركمان وفارق بغداد الى عقرقوبا وجاء سيف الدولة صدقة ونزل مقابل التاج وقبل الارض وخيم بالجانب الغربى وأرسل اليه أبو الغازى يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه بحلوان فى جملة بلاده التى وقع الصلح عليها وبغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فقبل ورضى وعاد الى الحلة وبعث المستظهر فى ذى القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والخطير وزير بركيارق وبعث معهما العهد له بالسلطنة واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا

(وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملكشاه)

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام باصبهان أشهرا وطرقه المرض فسار الى بغداد فلما بلغ بلد يزدجرد اشتد مرضه وأقام بها أربعين يوما حتى أشفى على الموت فأحضر ولده ملكشاه وجماعة الامراء وولاه عهده فى السلطنة وهو ابن خمس سنين

وجعل الامير اياز اتابكه وأوصاهم بالطاعة لهما واستحلفهم على ذلك وأمرهم بالمسير الى بغداد وتخلف عنهم ليعود الى اصبهان فتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وبلغ الخبر الى ابنه ملكشاه والامير اياز على اثنى عشر فرسخا من بلد يزدجرد فرجعوا وحضروا تجهيزه وبعثوا به الى اصبهان للدفن بها فى تربة أعدها وأحضر اياز السرادقات والخيام والخفر والشمسة وجميع آلات السلطنة فجعلها لملكشاه وكان أبو الغازى شحنة بغداد وقد حضر عند السلطان بركيارق باصبهان فى المحرم وحثه على المسير الى بغداد فلما مات بركيارق سار مع ابنه ملكشاه والامير اياز ووصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر فى خمسة آلاف فارس وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير لتلقيهم فلقيهم بديالى وأحضر أبو الغازى والامير طمايدل بالديوان وطلبوا الخطبة لملكشاه بن بركيارق فأجاب المستظهر الى ذلك وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه ونثرت الدنانير عند الخطبة

(وصول السلطان محمد الى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل اياز) *

كان محمد بعد صلحه مع أخيه بركيارق قد اعتزم على المسير الى الموصل ليتناولها من يد جكرمس لما كانت من البلاد التى عقد عليها وكان بتبريز ينتظر وصول أصحابه من أذربيجان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره فى حفظ اصبهان ثم رحل فى صفر سنة ثمان وتسعين يريد الموصل وسمع جكرمس فاستعد للحصار وأمر أهل السواد بدخول البلد وجاء محمد فحاصره وبعث اليه كتب أخيه بأن الموصل والجزيرة من قسمته وأراه ايمانه بذلك ووعده بأن يقره على ولايتها فقال جكرمس قد جاءتنى كتب بركيارق بعد الصلح بخلاف هذا فاشتد محمد فى حصاره وقتل بين الفريقين خلق ونقب السور ليلة فأصبحوا وأعادوه ووصل الخبر الى جكرمس بوفاة بركيارق عاشر جمادى فاستشار أصحابه ورأى المصلحة فى طاعة السلطان محمد فأرسل اليه بالطاعة وأن يدخل اليه وزيره سعد الملك فدخل وأشار عليه بالحضور عند السلطان فحضر وأقبل السلطان عليه ورده لجيشه لما توقع من ارتياب أهل البلد بخروجه وأكثر من الهدايا والتحف للسلطان ولوزيره ولما بلغ وفاة أخيه بركيارق سار الى بغداد ومعه سقمان القطبى نسبة الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتا بن داود وداود هو جقريبك وأبو الب ارسلان وسار معه جكرمس وصاحب الموصل وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صاحب الحلة قد جمع عسكرا خمسة عشر ألفا من الفرسان وعشرة آلاف رجل وبعث ولديه بدران ودبيس الى السلطان محمد يستحثه على بغداد ولما سمع الامير اياز بقدومه خرج هو وعسكره وخيموا خارج بغداد

واستشار أصحابه فصمموا على الحرب وأشار وزيره أبو المحاسن بطاعة السلطان محمد وخوفه عاقبة خلافه وسفه آراءهم فى حربه وأطمعه فى زيادة الاقطاع وتردد اياز فى أمره وجمع السفن عنده وضبط المشار ووصل السلطان محمد آخر جمادى من سنة ثمان وتسعين ونزل بالجانب الغربى وخطب له هنالك ولملكشاه بالجانب الشرقى واقتصر خطيب جامع المنصور على الدعاء للمستظهر ولسلطان العالم فقط وجمع اياز أصحابه لليمين فأبوا من المعاودة وقالوا لا فائدة فيها والوفاء انما يكون بواحدة فارتاب اياز بهم وبعث وزيره الصفى أبا المحاسن الى السلطان محمد فى الصلح وتسليم الامر فلقى أولا وزيره سعد الملك أبا المحاسن سعد بن محمد وأخبر فأحضره عند السلطان محمد وأدى رسالة اياز والعذر عما كان منه أيام بركيارق فقبله السلطان وأعتبه وأجابه الى اليمين وحضر من الغد القاضى والنقيبان واستحلف الكيا الهراسى مدرس النظامية بحضر القاضى وزير اياز بحضرهم لملكشاه ولاياز وللامراء الذين معه فقال أما ملكشاه فهو ابنى وأما اياز والامراء فأحلف لهم الا ينال بن أنوش وساروا واستحلفه الكيا الهراسى مدرس النظامية بحضر القاضى والنقيبين ثم حضر اياز من الغد ووصل سيف الدولة صدقة وركب السلطان للقائهما وأحسن اليهما وعمل اياز دعوة فى داره وهى دار كوهراين وحضر عنده السلطان وأتحفه بأشياء كثيرة منها حبل البلخش الذى كان أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان اياز قد تقدم الى غلمانه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان وحضر عندهم بعض الصفاعين فأخذوا معه فى السخرية وألبسوه درعا تحت قميصه وجعلوا يتناولونه بأيديهم فهرب منهم الى خواص السلطان ورآه السلطان متسلحا فأمر بعض غلمانه فالتمسوه وقد وجدوا السلاح فارتاب ونهض من دار اياز ثم استدعاه بعد أيام ومعه جكرمش وسائر الامراء فلما حضر وقف عليهم بعض قواده وقال لهم ان قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش قصد ديار بكر ليملكها فأشيروا بمن نسيره لقتاله فأشاروا جميعا بالامير اياز وطلب هو به بسيف الدولة صدقة معه فاستدعى اياز وصدقة ليفاوضهم فى ذلك فنهضوا اليه وقد أعد جماعة من خواصه لقتل اياز فلما دخلوا ضرب اياز فقطع رأسه ولف شلوه فى مشلح وألقى على الطريق وركب عسكره فنهبوا داره وأرسل السلطان لحمايتها فافترقوا واختفى وزيره ثم حمل الى دار الوزير سعد الملك وقتل فى رمضان من سنته وكان من بيت رياسة بهمذان وكان اياز من مماليك السلطان ملكشاه وصار بعد موته فى جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان شجاعا حسن الرأى فى الحرب واستبد السلطان محمد بالسلطنة وأحسن السيرة ورفع

الضرائب وكتب بها الالواح ونصبت فى الاسواق وعظم فساد التركمان بطريق خراسان وهى من أعمال العراق فبعث أبو الغازى بن ارتق شحنة بغداد بدل ابن أخيه بهرام بن ارتق على ذلك البلد فحماه وكف الفساد منه وسار الى حصن من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه ثم ولى السلطان محمد سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان معه فى حروبه وأقطع الامير قاياز الكوفة وأمر صدقة صاحب الحلة أن يحمى أصحابه من خفاجة ولما كان شهر رمضان من سنة ثمانية وتسعين عاد السلطان محمد الى اصبهان وأحسن فيهم السيرة وكف عنهم الايدى العادية

(الشحنه ببغداد)

كان السلطان قد قبض سنة ثنتين وخمسين على أبى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابن الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهما وصادرهما على مال يحملانه وأرسل مجاهد الدين لقبض المال وأمره بعمارة دار الملك فاضطلع بعمارتها وأحسن السيرة فى الناس وقدم السلطان اثر ذلك الى بغداد فشكر سيرته وولاه شحنة بالعراق وعاد الى اصبهان

(وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

ثم توفى السلطان محمد بن ملكشاه آخر ذى الحجة من سنة احدى وخمسمائة وقد كان عهد لولده محمود وهو يومئذ غلام محتلم وأمره بالجلوس على التخت بالتاج والسوارين وذلك لثنتى عشرة سنة ونصف من استبداده بالملك واجتماع الناس عليه بعد أخيه وولى بعده ابنه محمود وبايعه أمراء السلجوقية ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور ابن الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين وزير أبيه وبعث الى المستظهر فى الخطبة فخطب له على منابر بغداد منتصف المحرم سنة ثنتى عشرة وكان اقسنقر البرسقى مقيما بالرحبة استخلف بها ابنه مسعودا وسار الى السلطان محمد يطلب الزيادة فى الاقطاع والولاية ولقيه خبر وفاته قريبا من بغداد فمنعه بهروز الشحنة من دخولها وسار الى اصبهان فلقيه بحلوان توقيع السلطان محمود بأن يكون شحنة بغداد لسعى الامراء له فى ذلك تعصبا على مجاهد الدين بهروز وغيرة منه لمكانه عند السلطان محمد ولما رجع اقسنقر الى بغداد هرب مجاهد الدين بهروز الى تكريت وكانت من أعماله ثم عزل السلطان محمود اقسنقر وولى شحنة بغداد الامير منكبرس حاكما فى دولته باصبهان فبعث نائبا عنه ببغداد والعراق الامير حسين بن أروبك أحد أمراء الاتراك ورغب البرسقى من المستظهر بالعناية فلم يتوقف فسار اقسنقر اليه وقاتله وانهزم الامير حسين

وقتل أخوه وعاد الى عسكر السلطان وذلك فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة

* (وفاة المستظهر وخلافة المسترشد) *

ثم توفى المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله أبو القاسم عبد الله بن القائم بالله فى منتصف ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة وخمسمائة لاربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر من خلافته وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل وكان ولى عهده منذ ثلاث وعشرين سنة وبايعه أخوه أبو عبد الله محمد وهو المقتفى وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وتولى أخذ البيعة القاضى أبو الحسن الدامغانى وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا للمسترشد وأحمد بن أبى داود للواثق والقاضى أبو على اسمعيل ابن اسحق للمعتضد ثم عزل المسترشد قاضى القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبى منصور وخاطبه أبوه وزير السلطان محمود وابنه محمد فى شأنه فاستوزره ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عميد الدولة أبا على بن صدقة وهو عم جلال الدين أبى الرضى بن صدقة وزير الراشد ولما اشتغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الامير أبو الحسن فى السفن مع ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن ومنها الى الحلة فأكرمه دبيس وأهم ذلك المسترشد وبعث الى دبيس فى اعادته مع النقيب على بن طراد الزينبى فاعتذر بالذمام وأنه لا يكرهه فخطب النقيب أبا الحسن أخا الخليفة فى الرجوع فاعتذر بالخوف وطلب الامان ثم حدث من البرسقى ودبيس ما نذكره فتأخر ذلك الى صفر من سنته وهى سنة ثلاث عشرة فسار أبو الحسن بن المستظهر الى واسط وملكها فبادر المسترشد الى ولاية العهد لابنه جعفر المنصور ابن اثنتى عشرة سنة فخطب له وكتب الى البلاد بذلك وكتب الى دبيس بمعاجلة أخيه أبى الحسن فانه فارق ذمامه فبعث دبيس العساكر الى واسط فهرب منها وصادفوه عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد والاتراك عنه وقبض عليه بعض العرب وجاؤا به الى دبيس فأكرمه المسترشد وأمنه وأنزله أحسن نزل

انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود
ثم مصالحته واستقرار جكرمس شحنة ببغداد

كان السلطان محمد قد أنزل ابنه مسعودا بالحلة وجعل معه جيوش بك اتابك فلما ملك السلطان محمود بعد وفاة أبيه ثم ولى المسترشد الخلافة بعد أبيه وكان دبيس صاحب الحلة مرضا فى طاعته وكان اقسنقر البرسقى شحنة بالعراق كما ذكرناه أراد قصد الحلة

وأخلى دبيس عنها وجمع لذلك جموعا من العرب والاكراد وبرز من بغداد فى جمادى سنة ثنتى عشرة وبلغ الخبر الى الملك مسعود بالموصل بان العراق خال من الحامية فأشار عليه أصحابه بقصد العراق للسلطنة فلا مانع دونها فسار فى جيوش كثيرة ومعه وزيره فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس وسيأتى خبره وقسيم الدولة زنكى بن اقسنقر ابن الملك العادل وصاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوى بن خراسان التركمانى صاحب البوازيج ولما قربوا من العراق خافهم اقسنقر البرسقى لمكان حيوس بك من الملك المسعود وأتاهو فقد كان أبوه محمد جعله أتابك لابنه مسعود فسار البرسقى لقتالهم وبعثوا اليه الامير كرباوى فى الصلح وأنهم انما جاؤا نجدة له على دبيس فقبل وتعاهدوا ورجعوا الى بغداد كما مر خبره وسار البرسقى لقتاله فاجتمع مع دبيس بن صدقة واتفقا على المعاضدة وسار الملك مسعود ومن معه الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس ثم بلغهم كثرة جموعهما فعاد الملك مسعود والبرسقى وحيوس بك وعبروا نهر صرصر وحفظ المخاضات وأفحش الطائفتان فى نهب السواد واستباحته بنهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى ودجيل وبعث المسترشد الى الملك مسعود والبرسقى بالنكير عليهم فأنكر البرسقى وقوع شىء من ذلك واعتزم على العود الى بغداد وبلغه ان دبيس ومنكبرس قد جهزا العساكر اليها مع منصور أخى دبيس وحسن بن أوربك ربيب منكبرس فأغذ السير وخلف ابنه عز الدين مسعودا على العسكر بصرصر واستصحب عماد الدين زنكى بن اقسنقر وجاؤا بغداد ليلا فمنعوا عساكر منكبرس ودبيس من العبور ثم انعقد الصلح بين منكبرس والملك مسعود وكان سببه أن حيوس بك كاتب السلطان محمود وهو بالموصل فى طلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب الرسول بأنه أقطعهم أذربيجان ثم بلغه قصدهم بغداد فاتهمهم بالانتقاض وجهز العساكر الى الموصل وسقط الكتاب بيد منكبرس وكان على أم الملك مسعود فبعث به الى حيوس بك وداخله فى الصلح والرجوع عما هم فيه فاصطلحوا واتفقوا وبلغ الخبر الى البرسقى فجاء الى الملك مسعود وأخذ ماله وتركه وعاد الى بغداد فخيم بجانب منها وجاء الملك مسعود وحيوس بك فخيما فى جانب آخر وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما كذلك وتفرق على البرسقى أصحابه وجموعه وسار عن العراق الى الملك مسعود فأقام معه واستقر منكبرس شحنة ببغداد وعاد دبيس الى الحلة وأساء منكبرس السيرة فى بغداد بالظلم والعسف وانطلاق أيدى أصحابه بالفساد حتى ضجر الناس وبعث عنه السلطان محمود فسار اليه وكفى الناس شره

(انتقاض الملك طغرل على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل قد اقطعه أبوه السلطان محمد سنة اربع وخمسين وخمسمائة ساوة واوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير وكان قد افتتح كثيرا من قلاع الاسماعيلية فاتسع ملك طغرل بها ولما مات السلطان محمد بعث السلطان محمود الامير كنتبغرى أتابك طغرل وأمره أن يحمله اليه وحسن له المخالفة فانتقض سنة ثلاث عشرة فبعث اليه السلطان بثلاثين ألف دينار وتحف ووعده باقطاع كثيرة وطلبه فى الوصول فمنعه كنتبغرى وأجاب بأننا فى الطاعة ومعنا العساكر والى أى جهة أراد السلطان قصدنا فاعتزم السلطان على المسير اليهم وسار من همذان فى جمادى سنة ثلاث عشرة فى عشرة آلاف غازيا وجاء النذير الى كنتبغرى بمسيره فأجفل هو وطغرل الى قلعة سرجهان وجاء السلطان الى العسكر بزنجان فنهبه وأخذ من خزانة طغرل ثلثمائة ألف دينار وأقام بزنجان وتوجه منها الى الرى وكنتبغرى من سرجهان بكنجة وقصده أصحابه وقويت شوكته وتأكدت الوحشة بينه وبين أخيه السلطان محمود

• (الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر) *

كان الملك سنجر أميرا على خراسان وما وراء النهر منذ أيام شقيقه السلطان محمد الاولى مع بركيارق ولما توفى السلطان محمد جزع له جزعا شديدا حتى أغلق البلد للعزاء وتقدم للخطبة بذكر آثاره ومحاسن سيره من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وبلغه ملك ابنه محمود مكانه وتغلب الامراء عليه فنكر ذلك واعتزم على قصد بلد الجبل والعراق وأتى له محمود بن أخيه وكان يلقب بناصر الدين فتلقب بمعز الدين لقب أبيه ملك شاه وبعث اليه السلطان محمود بالهدايا والتحف مع شرف الدولة أنوشروان ابن خالد وفخر الدولة طغايرك بن أكفربن وبذل عن مازندان مائتى ألف دينار كل سنة فتجهز لذلك ونكر على محمود تغلب وزيره أبى منصور وأمير حاجب على بن عمر عليه وسار وعلى مقدمته الامير أنز وجهز السلطان محمود على بن عمر حاجبه وحاجب أبيه فى عشرة آلاف فارس وأقام هو بالرى فلما قارب الحاجب مقدمة سنجر مع الامير أنز بجرجان راسله باللين والخشونة وان السلطان محمدا وصانا بتعظيم أخيه سنجر واستحلفنا على ذلك الا أنا لا نقضى على زوال ملكنا ثم تهدده بكثرة العساكر وقوتها فرجع انز عن جرجان واتبعه بعض العساكر فنالوا منه وعاد على بن عمر الى السلطان محمود فشكره وأشار عليه أصحابه بالمقام بالرى فلم يقبل ثم ضجر وسار الى جرقان وتوافت اليه الامداد من العراق منكبرس شحنة بغداد فى عشرة آلاف فارس ومنصور أخو دبيس وأمراء البلخية وغيرهم وسار الى همذان فأقام بها وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر مكانه أبا طالب السميرى ثم جاء السلطان سنجر الى الرى فى عشرين ألفا وثمانية عشر

فيلا ومعه ابن الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير أنز والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وكان صهر محمد وسنجر على أختهما واختص بمحمد ودعاه محمود فتأخر عنه فأقطع بلاده لقراجا الساقى الذى ولى بعد ذلك فارس وسار علاء الدولة الى سنجر وعرفه حال السلطان محمود واختلاف أصحابه وفساد بلاده فزحف اليه السلطان محمود من همذان فى ثلاثين ألفا ومعه على بن عمر أمير حاجب ومنكبرس وأتابكه غزغلى وبنو برسق وسنجق البخارى وقراجا الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح والتقيا على ساوة فى جمادى سنة ثلاث عشرة فانهزمت عساكر السلطان سنجر أولا وثبت هو بين الفيلة والسلطان محمود واجتمع أصحابه اليه وبلغ الخبر الى بغداد فأرسل دبيس بن صدقة الى المسترشد فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له آخر جمادى وقطعت خطبة محمود بعد الهزيمة الى اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرى والامير على بن عمر وقراجا واجتمعت عليه العساكر وقوى أمره وسار السلطان سنجر من همذان ورأى قلة عساكره فراسل ابن أخيه فى الصلح وكانت والدته وهى جدة محمود تحرضه على ذلك فأجاب اليه ثم وصل اليه اقسنقر البرسقى الذى كان شحنة بغداد وكان عند الملك مسعود من يوم انصرافه عنها وجاء رسوله من عند السلطان محمود بأن الصلح انما وافق عليه الامراء بعد عود السلطان سنجر الى خراسان فأنف من ذلك وسار من همذان الى الكرج وأعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح وأن يكون ولى عهده فأجاب الى ذلك وتحالفا عليه وجاء السلطان محمود الى عمه سنجر ونزل فى بيت والدته وهى جدة محمود وحمل اليه هدية حفلة وكتب السلطان سنجر الى أعماله بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود وكتب الى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع البلاد سوى الرى لئلا تحدث محمودا نفسه بالانتقاض ثم قتل السلطان محمود الامير منكبرس شحنة بغداد لانه لما انهزم محمود وسار الى بغداد ليدخلها منعه دبيس فعاد فى البلاد ورجع وقد استقر فى الصلح فقصد السلطان مستجيرا به فأبى من اجارته ومؤاخذته وبعثه الى السلطان محمود فقتله صبرا لما كان يستبد عليه بالامور وسار شحنة الى بغداد على زعمه فحقد له ذلك وأمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز شحنة بالعراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل به ثم قتل السلطان محمود حاجبه على بن عمر وكان قد استخلفه ورفع منزلته فكثرت السعاية فيه فهرب الى قلعة عند الكرخ كان بها أهله وماله ثم لحق بخوزستان وكان بيد بنى برسق فاقتضى عهودهم وسار اليهم فلما كان على تستر بعثوا من يقبض عليه فقاتلهم فلم يقدر عنه وأسروه واستأذنوا السلطان محمودا

فی آخر بقا أمر بقتله وحمل رأسه الیه

● (انتقاض الملك مسعود علی أخیه السلطان محمود والفتنة بینهما) ●

كان الملك مسعود قد استقر بالموصل وأذربیجان منذ صالحه السلطان محمود علیها بأول ملكه وكان اقسنقر البرسقی مع الملك مسعود منذ فارق شحنة بغداد وأقطعه مراغة مضافة الی الرحبة وكان دبیس یكاتب حیوش بك الاتابك فی القبض علیه وبعثه الی مولاه السلطان محمود ویبذل لهم المال علی ذلك وشعر بذلك البرسقی ففارقه الی السلطان محمود وعاد الی جمیل رأیه فیه وكان دبیس مع ذلك یعزی الاتابك حیوش بك بالخلاف علی السلطان محمود ویعدهم من نفسه المناصرة لینال باختلافهم فی تمهید سلطانه ما ناله أبوه باختلاف بركیارق ومحمد وكان أبو المؤید محمد بن أبی اسمعیل الحسین بن علی الاصبهانی یكتب للملك محمود ویرسم الطغری وهی العلامة علی مراسیمه ومنها هباته وجاء والده أبو اسمعیل من اصبهان فعزل الملك مسعود وزیره أبا علی بن عمار صاحب طرابلس واستوزره مكانه سنة ثلاث عشرة فحسن له الخلاف الذی كان دبیس یكاتبهم فیه ویحسنه لهم وبلغ السلطان محمودا خبرهم فكتب یحذرهم فلم یقبلوا وخلعوا وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وذلك سنة أربع عشرة وكانت عساكر السلطان محمود مفترقة فبادروا الیه والتقوا فی عقبة استراباذ منتصف ربیع الاول والبرسقی فی مقدمة محمود وأبلی یومئذ واقتتلوا یوما كاملا وانهزمت عساكر مسعود فی عشیته وأسر جماعة منهم وفیهم الوزیر الاستاذ أبو اسمعیل الطغرائی فأمر السلطان بقتله لسنة من وزارته وقال هو فاسد العقیدة وكان حسن الكتابة والشعر وله تصانیف فی الكیمیاء وقصد الملك مسعود بعد الهزیمة جبلا علی اثنی عشر فرسخا من مكان الوقعة فاختفی فیه وبعث یطلب الامان من أخیه فبعث الیه البرسقی یؤمنه ویحضره وكان بعض الامراء قد لحق به فی الجبل وأشار علیه باللحاق بالموصل واستمداد دبیسا فسار لذلك وأدركه البرسقی علی ثلاثین فرسخا من مكانه وأمنه عن أخیه وأعاده الیه فأمر العساكر للقائه وبالغ فی اكرامه وخلطه بنفسه وأما أتابكه حیوش بك فلما افتقد السلطان مسعود سار الی الموصل وجمع العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخیه فسار الی الزاب ثم جاء السلطان بهمذان فأمنه وأحسن الیه وأما دبیس فلما بلغه خبر الهزیمة عاث فی البلاد وأخربها وبعث الیه المسترشد بالتنكیر فلم یقبل فكتب بشأنه الی السلطان محمود وخاطبه السلطان فی ذلك فلم یقبل وسار الی بغداد وخیم ازاء المسترشد وأظهر انه یثأر منهم بأبیه ثم عاد عن بغداد ووصل السلطان فی رجب فبعث دبیس الیه زوجته بنت عمید الدولة بن جهیر بمال وهدایا

نفيسة وأجيب الى الصلح على شروط امتنع منها فسار اليه السلطان فى شوال ومعه ألف سفينة ثم استأمن الى السلطان فأمنه وأرسل نساءه الى البطيحة وسار الى أبى الغازى مستجيرا به ودخل السلطان الحلة وعاد عنها ولم يزل دبيس عند أبى الغازى وبعث أخاه منصورا الى أصحابه من أمراء النواحى ليصلح حاله مع السلطان فلم يتم ذلك وبعث اليه أخوه منصور يستدعيه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان بالاعتذار والوعد بالطاعة فلم يقبل منه وسارت اليه العساكر مع سعد الدولة بن تتش ففارق الحلة ودخلها سعد وأنزل بالحلة عسكرا وبالكوفة آخر ثم راجع دبيس الطاعة على أن يرسل أخاه منصورا رهينة فقبل ورجع العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(اقطاع الموصل للبرسقى وميافارقين لابى الغازى)

ثم أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالها والجزيرة وسنجار وما يضاف الى ذلك للامير اقسنقر البرسقى شحنة بغداد وذلك انه كان ملازما للسلطان فى حروبه ناصحا له وهو الذى حمل السلطان مسعودا على طاعة أخيه محمود وأحضره عنده فلما حضر جيوش بك وزيره عند السلطان محمود من الموصل بقيت بدون أمير فولى عليها البرسقى سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمره بمجاهدة الفرنج فأقام فى امارتها دهرا هو وبنوه كما يأتى فى أخبارهم ثم بعث الامير أبو الغازى بن ارتق ابنه حسام الدين تمرتاش شافعا فى دبيس بن صدقة وأن يضمن الحلة بألف دينار وفرس فى كل يوم ولم يتم ذلك فلما انصرف عن السلطان أقطع أباه أبا الغازى مدينة ميافارقين وتسلمها من يد سقمان صاحب خلاد سنة خمس عشرة وبقيت فى يده ويد بنيه الى أن ملكها منهم صلاح الدين ابن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة كما يذكر فى أخبارهم

(طاعة طغرل لاخيه السلطان محمود)

قد تقدم ذكر انتقاض الملك طغرل بساوة وزنجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة أتابكه كتبغرى وان السلطان محمودا المشار اليه أزعجه الى كنجة وسار الى أذربيجان يحاول ملكها ثم توفى أتابكه كتبغرى فى شوال سنة خمس عشرة وكان اقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة فطمع فى رتبة كتبغرى وسار الى طغرل واستدعاه الى مراغة وقصدوا أردبيل فامتنعت عليهم فجاؤا الى تبريز وبلغهم أن السلطان أقطع أذربيجان لجيوش بك وبعثه فى العساكر وأنه سبقهم الى مراغة فعدلوا عنها وكاتبوا صاحب زنجان فأجابهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم مرادهم وراسلوا السلطان فى الطاعة

واستقر حالهم وأما جيوس بك فوقعت بينه وبين الامراء من عسكره منافرة فسعوا به عند السلطان فقتله بتبريز فى رمضان من سنته وكان تركيا من مماليك السلطان محمد وكان حسن السيرة مضطلعا بالولاية ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد قد عاثوا فى نواحيها وأخافوا سبلها فأوقع بهم وحصر قلاعهم وفتح الكثير منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد النسوية وبلد النحسة حتى خاف الاكراد واطمأن الناس وأمنت السبل

(أخبار دبيس مع المسترشد)

قد ذكرنا مسير العساكر الى دبيس مع برسق الكركوى سنة أربع عشرة وكيف وقع الاتفاق وبعث دبيس أخاه منصورا رهينة فجاء برتقش به الى بغداد سنة ست عشرة ولم يرض المسترشد ذلك وكتب الى السلطان محمود بأن دبيس لا يصلحه شئ لانه مطالب بثأر أبيه وأشار بأن يبعث عن البرسقى من الموصل لتشديد دبيس ويكون شحنة ببغداد فبعث اليه السلطان وأنزله شحنة ببغداد وأمره بقتال دبيس فأقام عشرين شهرا ودبيس معمل فى الخلافة ثم أمره المسترشد بالمسير اليه واخراجه من الحلة فاستقدم البرسقى عساكره من الموصل وسار الى الحلة ولقيه دبيس فهزم عساكره ورجع الى بغداد فى ربيع من سنة ست عشرة وكان معه فى العسكر مضر بن النفيس بن مذهب الدولة أحمد بن أبى الخير عامل البطيحة فغدا عليه عمه المظفر بن عماد بن أبى الخير فقتله فى انهزامهم وسار الى البطيحة فتغلب عليها وكاتب دبيس فى الطاعة وأرسل دبيس الى المسترشد بطاعته وأن يبعث عماله لقرى الخاص يقبضون دخلها على أن يقبض المسترشد على وزيره جلال الدين بن على بن صدقة فتم بينهما ذلك وقبض المسترشد على وزيره وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضى الى الموصل وبلغ الخبر بالهزيمة الى السلطان محمود فقبض على منصور أخى دبيس وحبسه وأذن دبيس لاصحاب الاقطاع بواسط فى المسير الى اقطاعهم فنعهم الاتراك بها فجهز اليهم عسكرا مع مهلهل ابن أبى العسكر وأمر مظفر بن أبى الخير عامل البطيحة بمساعدته وبعث البرسقى المدد الى أهل واسط فلقيهم مهلهل بن أبى المظفر فهزموه وأسروه وجماعة من عسكره واستلحموا كثيرا منهم وجاء المظفر أبو الخير على أثره وأكثر النهب والعيث وبلغه خبر الهزيمة فرجع وبعث أهل واسط بتذكرة وجدوها مع مهلهل بخط دبيس فأمره بالقبض على المظفر فمال اليهم وانحرف عن دبيس ثم بلغ دبيس ان السلطان محمودا سمل أخاه منصورا فانتقض ونهب ما كان للخليفة باعماله وسار أهل واسط الى النعمانية فأجلوا عنها أصحاب دبيس وتقدم المسترشد الى البرسقى بالمسير لحرب دبيس

فسار لذلك كما نذكر ثم أقطع السلطان محمود مدينة واسط للبرسقي مضافة الى ولاية الموصل فبعث عماد الدين زنكي بن اقسنقر ولد نور الدين العادل

(نكبة الوزير ابن صدقة وولاية نظام الملك)

قد ذكرنا آنفا أن دبيس اشترط على المسترشد في صلحه معه القبض على وزيره جلال الدين أبي علي بن صدقة فقبض عليه في جمادى سنة ست عشرة وأقام في نيابة الوزارة شرف الدين علي بن طراد الزينبي وهرب جلال الدين أبو الرضى ابن أخي الوزير الى الموصل وبعث السلطان محمود الى المسترشد في أن يستوزر نظام الدولة أبا نصر أحمد بن نظام الملك وكان السلطان محمود قد استوزر أخاه شمس الملك عثمان عندما قتل الباطنية بهمذان وزيره الكمال أبا طالب السميري فقبل المسترشد اشارته واستوزر نظام الملك وقد كان وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم داره ببغداد فلما وزر وعلم ابن صدقة أنه يخرجه طلب من المسترشد أن يسير الى سليمان بن مهارش بحديثة عانة فأذن له فسار ونهب في طريقه وأسر ثم خلص الى مأمنه في واقعة عجيبة ثم قتل السلطان محمود وزيره شمس الملك فعزل المسترشد أخاه نظام الدين أحمد عن وزارته وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة الى مكانه

(واقعة المسترشد مع دبيس)

كان دبيس في واقعته مع البرسقي قد أسر عفيفا الخادم ثم أطلقه سنة سبع عشرة وحمله الى المسترشد رسالة بخروج البرسقي للقتال يتهدده بذلك على ما بلغه من عمل أخيه وحلف لينهبن بغداد فاستطار المسترشد غضبا وأمر البرسقي بالمسير لحربه فسار في رمضان من سنته ثم تجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان ابن مهارش صاحب الحديثة في بني عقيل وقرواش بن مسلم وغيرهما ونهب دبيس نهر الملك من خاص الخليفة ونودي في بغداد بالنفير فلم يتخلف أحد وفرقت فيهم الاموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد في عشر ذي الحجة وبرز لاربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ووزيره معه نظام الدين ونقيب الطالبين ونقيب النقباء علي بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم فنزل بخيمة وبلغ البرسقي خروجه فعاد بعسكره اليه ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك واستحلف البرسقي والامراء على المناصحة وسار فنزل المباركة وعبى البرسقي أصحابه للحرب ووقف المسترشد وراء العسكر في خاصته وعبى دبيس أصحابه صفا واحدا وبين يديهم

الاماء تعزف وأصحاب الملاهى وعسكر الخليفة تجاذب القراءة والتسبيح مع جنباته ومع اعلامه كرباوى خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة البرسقى أبو بكر ابن الياس مع الامراء البلخية فحمل عنتر بن أبى العسكر من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فدحرجها وقتل ابن أخى أبى بكر ثم حمل ثانية كذلك فحمل عماد الدين زنكى ابن اقسنقر فى عسكر واسط على عنتر بن أبى العسكر فأسره ومن معه وكان من عسكر المسترشد كمين متوار فلما التحم الناس خرج الكمين واشتد الحرب وجرد المسترشد سيفه وكبر وتقدم فانهزمت عساكر دبيس وجىء بالاسرى فقتلوا بين يدى الخليفة وسبى نساؤهم ورجع الخليفة الى بغداد فى عاشوراء من سنة سبع عشرة وذهب دبيس وخفى أثره وقصد غزية من العرب فأبوا من ذلك ايثار الرضا المسترشد والسلطان فسار الى المشقر من البحرين فأجابوه وسار بهم الى البصرة فنهبوها وقتلوا أميرها وتقدم المسترشد للبرسقى بالانحدار اليه بعد أن عنفه على غفلته عنه وسمع دبيس ففارق البصرة وبعث البرسقى عليها زنكى بن اقسنقر فأحسن حمايتها وطرد العرب عن نواحيها ولحق دبيس بالافرنج فى جعبر وحاصر معهم حلب فلم يظفروا وأقلعوا عنها سنة ثمان عشرة فلحق دبيس بطغرل ابن السلطان محمد وأغراه بالمسترشد وبملك العراق كما نذكر

(ولاية برتقش شحنة بغداد)

ثم ان المسترشد وقعت بينه وبين البرسقى منافرة فكتب الى السلطان محمود فى عزله عن العراق وابعاده الى الموصل فأجابه الى ذلك وأرسل الى البرسقى بالمسير الى الموصل لجهاد الافرنج وبعث اليه بابن صغير من أولاده يكون معه وولى على شحنة بغداد برتقش الزكوى وجاء نائبه الى بغداد فسلم اليه البرسقى العمل وسار الى الموصل بابن السلطان وبعث الى عماد الدين زنكى أن يلحق به فسار الى السلطان وقدم عليه بالموصل فاكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

(وصول الملك طغرل ودبيس الى العراق)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة من الشأم الى الملك طغرل فأحسن اليه ورتبه فى خاص أمرائه وجعل دبيس يغريه بالعراق ويضمن له ملكه فسار لذلك سنة تسع عشرة ووصلوا دقوقا فكتب مجاهد الدين مهروز من تكريت الى المسترشد بخبرهما فتجهز الى دفاعهما وسار اليهما وأمر برتقش الزكوى الشحنة أن يستنفر ويستبعد فبلغت عدة العسكر اثنى عشر ألفا سوى أهل بغداد وبرز خامس صفر سنة تسع عشرة وسار

فنزل الخالص وعدل طغرل الى طريق خراسان وأكثرت عساكره النهب ونزل رباط جلولاء وسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى العساكر فنزل الدسكرة وجاء المسترشد فنزل معه وتوجه طغرل ودبيس فنزلا الهارونية واتفقا أن يقطعا جسر النهروان فيقيم دبيس على المعابر ويخالفهم طغرل الى بغداد ثم عاقتهم جميعا وأتى المطر وأصابت طغرل الحمى وجاء دبيس الى النهروان ليعبر وقد لحقهم الجوع فصادف احمالا من البر والاطعمة جاءت من بغداد للمسترشد فنهبها وأرجف فى معسكر المسترشد ان دبيس ملك بغداد فأجفلوا من الدسكرة الى النهروان وتركوا أثقالهم ولما حلوا بالنهروان وجدوا دبيس وأصحابه نياما فاستيقظ وقبل الارض بين يدى المسترشد وتذلل فهم بصلحه ووصل الوزير ابن صدقة فثناه عن ذلك ثم مد المسترشد الجسر وعبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوما وسار دبيس الى طغرل ثم اعتزموا على المسير الى السلطان سنجر ومروا بهمذان فعاثوا فى أعمالها وصادروا واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المسترشد والشحنة برتقش

(الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود)

ثم وقعت بين برتقش الزكوى وبين نواب المسترشد نبوة فبعث اليه المسترشد يتهدده فخافه على نفسه وسار الى السلطان محمود فى رجب سنة عشرين فحذر منه وانه ثاور العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه وأشار بمعاجلته قبل أن يستفحل أمره ويمتنع عليه فسار السلطان نحو العراق فبعث اليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما فيها من الغلاء من فتنة دبيس وبذل له المال وأن يسير الى العراق مرة أخرى فارتاب السلطان وصدق ماظنه برتقش وأغذ السير فعبر المسترشد الى الجانب الغربى مغضبا يظهر الرحيل عن بغداد اذ قصدها السلطان وصانعه السلطان بالاستعطاف وسؤاله فى العود فأبى فغضب السلطان ودخل نحو بغداد وأقام المسترشد بالجانب الغربى وبعث عفيفا الخادم من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن اقسنقر وكان على البصرة كما ذكرناه فسار اليه وهزمه وقتل من عسكره ونجا عفيف الى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسد أبواب دار الخلافة الا باب النوبى ووصل السلطان فى عشر ذى الحجة من سنة عشرين ونزل باب الشماسية ومنع العسكر عن دور الناس وراسل المسترشد فى العود والصلح فأبى ونجا جماعة من عسكر السلطان فنهبوا التاج فى أول المحرم سنة احدى وعشرين فضج العامة لذلك واجتمعوا وخرج المسترشد والشمسية على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الطبول ونفخ الابواق ونادى بأعلى صوته يا لهاشم ونصب الجسر

وعبر الناس دفعة واحدة وكان فى الدار رجال مختفون فى السراديب فخرجوا على العسكر وهم مشتغلون فى نهب الدار فأسروا جماعة منهم ونهب العامة دور أصحاب السلطان وعبر المسترشد الى الجانب الشرقى فى ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت ليلا ومنعوا بغداد عنهم واعتزموا على كبس السلطان محمود وجاء عماد الدين زنكى من البصرة فى حشود عظيمة ملأت البر والبحر فاعتزم السلطان على قتال بغداد وأذعن المسترشد الى الصلح فاصطلحوا وأقام السلطان ببغداد الى ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ومرض فأشير عليه بمفارقة بغداد فارتحل الى همذان ونظر فيمن يوليه شحنة العراق مضافا الى ما بيده ويثق به فى سد تلك الخلة وحمل اليه الخليفة عند رحيله الهدايا والتحف والالطاف فقبل جميعها ولما أبعد السلطان عن بغداد قبض على وزيره أبى القاسم على بن الناصر النشاباذى لاتهامه بممالأة المسترشد واستوزر مكانه شرف الدين أنوشروان بن خالد وكان مقيما ببغداد فاستدعاه وأهدى اليه الناس حتى الخليفة وسار من بغداد فى شعبان فوصل الى السلطان باصبهان وخلع عليه ثم استعفى لعشرة أشهر وعاد الى بغداد ولم يزل الوزير أبو القاسم محبوسا الى أن جاء السلطان سنجر الى الرى فى السنة بعدها فأطلقه وأعاده الى وزارة السلطان

* (أخبار دبيس مع السلطان سنجر) *

لما وصل دبيس الى السلطان سنجر ومعه طغرل أغرياه بالمسترشد والسلطان محمود وانهما عاصيان عليه وسهلا عليه أمر العراق فسار الى الرى واستدعى السلطان محمودا يختبر طاعته بذلك فبادر للقائه ولما وصل أمر سنجر العساكر فتلقوه وأجلسه معه على سريره وأقام عنده مدة وأوصاه بدبيس أن يعيده الى بلده ورجع سنجر الى خراسان منتصف ذى الحجة ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سار الى بغداد فقدمها فى تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين واسترضى المسترشد لدبيس فرضى عنه على شريطة أن يوليه غير الحلة فبذل فى الموصل مائة ألف دينار وشعر بذلك زنكى فجاء بنفسه الى السلطان وهجم على الستر متذمما وحمل الهدايا وبذل مائة ألف فأعاده السلطان الى الموصل وأعاد بهروز شحنة على بغداد وجعلت الحلة لنظره وسار السلطان الى همذان فى جمادى سنة ثلاث وعشرين ثم مرض السلطان فلحق دبيس بالعراق وحشد المسترشد لمدافعته وهرب بهروز من الحلة فدخلها دبيس فى رمضان من سنة ثلاث وعشرين وبعث السلطان فى اثره الاميرين اللذين ضمناه وهما كزل والاحمديلى فلما سمع دبيس بهما أرسل الى المسترشد يستعطفه وتردد الرسل وهو يجمع الاموال والرجال

حتى بلغ عسكره عشرة آلاف ووصل الاحمديلي بغداد فى شوّال وسار فى اثر دبيس ثم جاء السلطان الى العراق فبعث اليه دبيس بالهدايا وبذل الاموال على الرضا فأبى ووصل الى بغداد ودخل دبيس البرية وقصد البصرة فأخذ ما كان فيها للخليفة والسلطان وجاءت العساكر فى اتباعه فدخل البرية انتهى

(وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم منازعته عمومه واستقلال مسعود)

ثم توفى السلطان محمود فى شوّال من سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه واتفق وزيره أبو القاسم النشاباذى واتابكه اقسنقر الاحمديلى على ولاية ابنه داود مكانه وخطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان ونواحيها ثم سكنت فسار الوزير بأمواله الى الرىّ ليأمن فى ايالة السلطان سنجر ثم انّ الملك داود سار فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين من همذان الى زنكان وبعث الى المسترشد ببغداد فى الخطبة وأتاه الخبر بأنّ عمه مسعودا سار من جرجان الى تبريز وملكها فسار اليه وحصره فى تبريز الى سلخ المحرّم من سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وأفرج داود عن تبريز وخرج السلطان مسعود بها واجتمعت عليه العساكر فانتقض وسار الى همذان وأرسل الى المسترشد فى الخطبة فأجابهم جميعا بأنّ الخطبة للسلطان سنجر صاحب خراسان ويعين بعده من يراه وبعث الى سنجر بأنّ الخطبة انما ينبغى أن تكون لك وحدك فوقع ذلك منه أحسن موقع وكاتب السلطان مسعود عماد الدين زنكى صاحب الموصل فأجابه وسار اليه وانتهى الى المعشوق وبينما هم فى ذلك اذ سار قراجا الساقى صاحب فارس وخورستان بالملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد وكان اتابكه فدخل بغداد فى عسكر كبير ونزل دار السلطان واستحلفه المسترشد لنفسه ووصل مسعود الى عباسة فبرزوا للقائه وجاءهم خبر عماد الدين زنكى فعبر قراجا الى الجانب الغربى للقائه وواقعه فهزمه وسار منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين فهيأ له الجسر للعبور وعبر فأمن وسار لوجهه وجاء السلطان مسعود من العباسة للقاء أخيه سلجوق ومن معه مدلا بمكان زنكى وعسكره من ورائهم وبلغه خبر انهزامهم فنكص على عقبه وراسل المسترشد بأنّ السلطان سنجر وصل الىّ وطلب الاتفاق من المسترشد وأخيه سلجوق شاه وقراجا على قتال سنجر على أن يكون العراق للمسترشد يتصرّف فيه نوابه والسلطنة لمسعود وسلجوق شاه ولى عهده فأجابوه الى ذلك وجاء الى بغداد فى جمادى الاولى سنة ست وعشرين وتعاهدوا على ذلك

(واقعة مسعود مع سنجر وهزيمته وسلطنة طغرل)

لما توفى السلطان محمود وولى ابنه داود مكانه نكر ذلك عمه السلطان سنجر عليهم وسار الى بلاد الجبل ومعه طغرل ابن أخيه السلطان محمد كان عنده منذ وصوله مع دبيس فوصل الى الرى ثم الى همذان وسار السلطان مسعود وأخوه سلجوق وقراجا الساقى اتابك سلجوق للقائه وكان المسترشد قد عاهدهم على الخروج وألزموه ذلك ثم ان السلطان سنجر بعث الى دبيس وأقطعه الحلة وأمره بالمسير الى بغداد وبعث الى عماد الدين زنكى بولاية شحنكية بغداد والسير اليها فبلغ المسترشد خبر مسيرهما فرجع لمدافعتهما وسار السلطان مسعود وأصحابه للقاء السلطان سنجر ونزل استراباذ فى مائة ف من العسكر فخاموا عن لقائه ورجعوا أربع مراحل فاتبعهم سنجر وتراءى الجمعان عند الدينور ثامن رجب فاقتتلوا وعلى ميمنة مسعود قراجا الساقى وكزل وعلى ميسرته برتقش باردار ويوسف حاروس فحمل قراجا الساقى فى عشرة آلاف على السلطان سنجر حتى تورط فى مصافه فانعطفوا عليه من الجانبين وأخذ أسيرا بعد جراحات وانهزم مسعود وأصحابه وقتل بعضهم وفيهم يومئذ يوسف حاروس وأسر آخرون فيهم قراجا فأحضر عند السلطان سنجر فوبخه ثم أمر بقتله وجاء السلطان مسعود اليه فأكرمه وعاتبه على مخالفته وأعاده أميرا الى كنجة وولى الملك طغرل ابن أخيه محمدا فى السلطنة وجعل وزيره أبا القاسم النشاباذى وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان ووصل نيسابور فى عشرى رمضان من سنته وأما الخليفة فرجع الى بغداد كما قلناه لمدافعة دبيس وزنكى وبلغه الخبر بهزيمة السلطان مسعود فعبر الى الجانب الغربى وسار الى العباسة ولقيهما بحصن البرامكة آخر رجب وكان فى ميمنته جمال الدولة اقبال وفى ميسرته مطر الخادم فانهزم اقبال لحملة زنكى وحمل الخليفة ومطر على دبيس فانهزم وتبعه زنكى فاستمرت الهزيمة عليهم وافترقوا ومضى دبيس الى الحلة وكانت بيد اقبال وجاءه المدد من بغداد فلقى دبيس وهزمه ثم تخلص بعد الجهد وقصد واسط وأطاعه عسكرها الى أن خلت سنة سبع وعشرين فجاءهم اقبال وبرتقش باردار وزحفوا فى العساكر برا وبحرا فانهزمت أهل واسط ولما استقر طغرل بالسلطنة وعاد عمه سنجر الى خراسان لخلاف أحمد خان صاحب ماوراء النهر عليه وكان داود ببلاد اذربيجان وكنجة فانتقض وجمع العساكر وسار الى همذان وبرز اليه طغرل وفى ميمنته ابن برسق وفى ميسرته كزل وفى مقدمته اقسنقر وسار اليه داود وفى ميمنته برتقش الزكوى والتقيا فى رمضان سنة ست وعشرين فأمسك برتقش عن القتال واسترابت التركمان منه فنهبوا خيمته واضطرب عسكر داود لذلك فهرب اتابكه اقسنقر الاحمديلى واستمرت الهزيمة عليهم وأسر برتقش الزكوى ومضى داود

ثم قدم بغداد ومعه اتابكه اقسنقر الاحمديلي فأنزله الخليفة بدار السلطان وأكرمه ولما بلغ السلطان مسعودا هزيمة داود ووصوله الى بغداد قدم اليها وخرج داود لتلقيه وترجل له عن فرسه ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر سنة سبع وعشرين وخطب له على منابر بغداد ولداود بعده واتفقا مع المسترشد الى اذربيجان وان يمدهما وسارا لذلك وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وحاصر جماعة من الامراء باردبيل ثم هزمهم وقتل منهم وسار الى همذان وبرز أخوه طغرل للقائه فانهزم واستولى مسعود على همذان وقتل اقسنقر قتله الباطنية ويقال بدسيسة السلطان محمود ولما انهزم طغرل قصد الرى وبلغ قم ثم عاد الى اصبهان ليمتنع بها وسار أخوه مسعود للحصار فارتاب طغرل بأهل أصبهان وسار الى بلاد فارس فاتبعه مسعود واستأمن اليه بعض أمراء طغرل فارتاب بالباقين وانهزم الى الرى فى رمضان من سنته واتبعه مسعود فلحقه بالرى وقاتله فانهزم طغرل وأسر جماعة من أمرائه وعاد مسعود الى همذان ظافرا وعندما قصد طغرل الرى من فارس قتل فى طريقه وزيره أبا القاسم النشاباذى فى شوال من سنته لموجدة وجدها عليه

(مسير المسترشد لحصار الموصل)

لما انهزم عماد الدين زنكى امام المسترشد كما قلناه لحق بالموصل وشغل سلاطين السلجوقية فى همذان بالخلاف الواقع بينهم وجماعة من امراء السلجوقية الى بغداد فرارا من الفتنة فتقوى بهم المسترشد وبعث الى عماد الدين زنكى بعض شيوخ الصوفية من حضرته فأغلظ له فى الموعظة فأهانه زنكى وحبسه فاعتزم المسترشد على حصار الموصل وبعث بذلك الى السلطان مسعود وسار من بغداد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين فى ثلاثين ألف مقاتل ولما قارب الموصل فارقها زنكى ونزل بها نائبه نصير الدين جقر ولحق بسنجر وأقام يقطع المدد والميرة عن عسكر المسترشد حتى ضاقت بهم الامور وحاصرها المسترشد ثلاثة أشهر فامتنعت عليه ورحل عائدا الى بغداد فوصل يوم عرفة من سنته يقال ان مطرا الخادم جاء من عسكر السلطان مسعود لانه قاصد العراق فارتحل لذلك

(مصاف طغرل ومسعود وانهزام مسعود)

ولما عاد مسعود الى همذان بعد انهزام اخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود باذربيجان فسار اليه وحصره ببعض قلاعها فخالفه طغرل الى بلاد الجبل واجتمعت عليه العساكر ففتح كثيرا من البلاد وقصد مسعودا وانتهى الى قزوين فسار مسعود للقائه وهرب من عسكره جماعة كان طغرل قد داخلهم واستمالهم فولى مسعود

منهزما آخر رمضان سنة ثمان وعشرين واستأذن المسترشد فى دخول بغداد وكان نائبه باصبهان البقش السلامى ومعه أخوه سلجوق شاه فلما بلغهم خبر الهزيمة لحقوا ببغداد ونزل سلجوق بدار السلطان وبعث اليه الخليفة بعشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بعدهم ولقى فى طريقه شدة وأصحابه بين راجلين وركاب فبعث اليهم المسترشد بالمقام والخيام والاموال والثياب والآلات وقرب اليهم المنازل ونزل مسعود بدار السلطنة ببغداد منتصف شوّال سنة ثمان وأقام طغرل بهمذان

(وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود)

ولما وصل مسعود الى بغداد أكرمه المسترشد ووعده بالمسير معه لقتال أخيه طغرل وازاح علل عسكره واستحثه لذلك وكان جماعة من أمراء السلجوقية قد ضجروا من الفتنة ولحقوا بالمسترشد فساروا معه ودس اليهم طغرل بالمواعيد فارتاب المسترشد ببعضهم واطلع على كتاب طغرل اليه وقبض عليه ونهب ماله فلحق الباقون بالسلطان وبعث فيهم المسترشد فمنعهم السلطان فحدثت بينهم الوحشة لذلك وبعث السلطان الى الخليفة يلزمه المسير معه وبيناهما على ذلك اذ جاءه الخبر بوفاة طغرل فى المحرّم من سنة تسع وعشرين فسار السلطان مسعود الى همذان وأقبلت اليه العساكر فاستولى عليها وأطاعه أهل البلاد واستوزر شرف الدين أنوشروان خالدا وكان قد سار معه بأهله

(فتنة السلطان مسعود مع المسترشد)

لما استولى السلطان مسعود على همذان استوحش منه جماعة من أعيان الامراء منهم برتقش وكزل وسنقر والى همذان وعبد الرحمن بن طغرلبك ففارقوه ودبيس بن صدقة معهم واستأمنوا الى الخليفة ولحقوا بخورستان وتعاهدوا مع برسق على طاعة المسترشد وحذر المسترشد من دبيس وبعث شديد الدولة بن الانبارى بالامان للامراء دون دبيس ورجع دبيس الى السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد فأكرمهم المسترشد واشتدّت وحشة السلطان مسعود لذلك ومنافرته للمسترشد فاعتزم المسترشد على قتاله وبرز من بغداد فى عشرى رجب وأقام بالشفيع وعصى عليه صاحب البصرة فلم يجبه وأمراء السلجوقية الذين بقوا معه يحرضونه على المسير فبعث مقدّمته الى حلوان ثم سار من شعبان واستخلف على العراق اقبال الخادم فى ثلاثة آلاف فارس ولحقه برسق بن برسق فبلغ عسكره سبعة آلاف فارس وكان أصحاب الاعراب يكاتبون المسترشد بالطاعة فاستصلحهم مسعود ولحقوا به وبلغ عسكره خمسة عشر

ألفا وتسلل اليه كثير من عسكر المسترشد حتى بقى فى خمسة آلاف وبعث اليه داود ابن السلطان محمود من اذربيجان بأن يقصد الدينور ليلقاه بها بعسكره فعجل اللقاء السلطان مسعود وسار وفى ميمنته برتقش بازدار وكور الدولة سنقر وكزل وبرسق ابن برسق وفى ميسرته جاولى برسق وسراب سلار واعلبك الذى كان قبض عليه من امراء السلجوقية بموافقتهم السلطان

عاشر رمضان سنة تسع وعشرين وانحازت ميسرة المسترشد اليه وانطبقت عساكره عليه وانهزم أصحاب المسترشد وأخذ هو أسيرا بموكبه وفيهم الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى وقاضى القضاة والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم وأنزل المسترشد فى خيمة وحبس الباقون بقلعة سرحاب وعاد السلطان الى همذان وبعث الامير بك آى المحمدى الى بغداد شحنة فوصل سلخ رمضان ومعه عميد فقبضوا أملاك الخليفة وأخذوا غلاته وضج الناس ببغداد وبكوا على خليفتهم وأعول النساء ثم عمد العامة الى المنبر فكسروه ومنعوا من الخطبة وتعاقبوا الى الاسواق يحثون التراب على رؤسهم وقاتلوا أصحاب الشحنة فأثخن فيهم بالقتل وهرب الوالى والحاجب وعظمت الفتنة ثم بلغ السلطان فى شوال أن داود ابن أخيه محمود عصى عليه بالمراغة فسار لقتاله والمسترشد معه وتردد الرسل بينهما فى الصلح

* (مقتل المسترشد وخلافة الراشد) *

قد ذكرنا مسير المسترشد مع السلطان مسعود الى مراغة وهو فى خيمة موكل به وترددت الرسل بينهما وتقرر الصلح على أن يحمل مالا للسلطان ولا يجمع العساكر لحرب ولا فتنة ولا يخرج من داره فانعقد على ذلك بينهما وركب المسترشد وحملت الغاشية بين يديه وهو على العود الى بغداد فوصل الخبر بموافاة رسول من السلطان سنجر فتأخر مسيره لذلك وركب السلطان مسعود للقاء الرسول وكانت خيمة المسترشد منفردة عن العسكر فدخل عليه عشرون رجلا أو يزيدون من الباطنية فقتلوه وجدعوه وصلبوه وذلك سابع عشر ذى القعدة من سنة تسع وعشرين لسبع عشرة ونصف من خلافته وقتل الرجال الذين قتلوه وبويع ابنه أبو جعفر بعهد أبيه اليه بذلك فجددت له البيعة ببغداد فى ملا من الناس وكان اقبال خادم المسترشد فى بغداد فلما وقعت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربى وأصعد الى تكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز ثم بعد مقتل المسترشد بأيام قتل دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر السلطان مسعود غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه فضربه وأسقط رأسه واجتمع الى أبيه صدقة بالحلة عساكره ومماليكه واستأمن اليه قطلغ تكين وأمر السلطان مسعود بك

آى شحنة بغداد فأخذ الحلة من يد صدقة فبعث بعض عسكره الى المدائن وخام عن اقبانه حتى قدم السلطان الى بغداد سنة احدى وثلاثين فقصده وصالحه ولزم بابه

(الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاق الموصل وخلعه)

وبعد بيعة الراشد واستقراره فى الخلافة وصل برتقش الزكوى من عند السلطان محمود يطلب من الراشد ما استقر على أبيه من المال أيام كونه عندهم وهو أربعمائة ألف دينار فأجابه بأنه لم يخلف شيأ وان ماله كان معه فنهب ثم نمى الى الراشد أن برتقش تهجم على دار الخلافة وفتش المال فجمع الراشد العساكر وأصلح السور ثم ركب برتقش ومعه الامراء البلخية وجاؤا لهجم الدار وقاتلهم عسكر الخليفة والعامة فساروا الى طريق خراسان وانحدر بك آى الى خراسان وسار برتقش الى البندنيجين ونهبت العامة دار السلطان واشتدت الوحشة بين السلطان والراشد وانحرف الناس عن طاعة السلطان الى الخليفة وسار داود ابن السلطان فى عسكر اذربيجان الى بغداد ونزل بدار السلطان فى صفر من سنة ثلاثين ووصل عماد الدين زنكى من من الموصل ووصل برتقش باردار صاحب قزوين والبقش الكبير صاحب اصبهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة وابن برسق وابن الاحديلى وجعل الملك داود برتقش باردار شحنة ببغداد وقبض الراشد على ناصح الدولة أبى عبد الله الحسن بن جهير استادار وعلى جمال الدين اقبال وكان قدم اليه من تكريت فتنكر له أصحابه وخافوه وشفع زنكى فى اقبال الخادم فأطلقه وصار عنده وخرج الوزير جلال الدين أبو الرضا ابن صدقة الى لقاء زنكى فأقام عنده ثم شفع فيه وأعاده الى وزارته ولحق قاضى القضاة الزينبى بزنكى أيضا وسار معه الى الموصل ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض بك آى ونهب ماله فانحدر زنكى اليه وصالحه ورجع الى بغداد ثم سار السلطان داود نحو طريق خراسان ومعه زنكى لقتال السلطان مسعود وبرز الراشد أول رمضان وسار الى طريق خراسان ورجع بعد ثلاث وأرسل الى داود والامراء بالعود وقتال مسعود من وراء السور وراسلهم مسعود بالطاعة والموافقة فأبوا وتبعهم الخليفة فى ذلك وجاء مسعود فنزل على بغداد وحصرهم فيها وثار العيارون وكثر الهرج وأقاموا كذلك نيفا وخمسين وامتنعوا وأقلع السلطان عنهم ثم وصله طرنطاى صاحب واسط بالسفن فعاد وعبر الى الجانب الغربى فاضطرب الراشد وأصحابه وعاد داود الى بلاده وكان زنكى بالجانب الغربى فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وأمن الناس واستدعى القضاة والفقهاء والشهود وعرض عليهم يمين الراشد بخطه انى متى جندت جندا او خرجت واقيت

أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فافتوا بخلعه ووافقهم على ذلك أصحاب المناصب والولايات واتفقوا على ته فتقدم السلطان بخلعه وقطعت خطبته ببغداد وسائر البلاد فى ذى القعدة من سنة ثلاثين لسنة من خلافته

(خلافة المقتفى)

ولما قطعت خطبة الراشد استشار السلطان مسعود أعيان بغداد فيمن يوليه فأشاروا بمحمد بن المستظهر فقدم اليهم بعمل محضر فى خلع الراشد وذكروا ما ارتكبه من أخذ الاموال ومن الافعال القادحة فى الامامة وختموا آخر المحضر بان من هذه صفته لا يصلح أن يكون اماما وحضر القاضى أبو طاهر بن الكرخى فشهد واعتمده بذلك وحكم بخلعه ونفذه القضاة الآخرون وكان قاضى القضاة غائبا عند زنكى بالموصل وحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبى وصاحب المخزن ابن العسقلانى وأحضر أبو عبد الله بن المستظهر فدخل اليه السلطان والوزير واستخلفاه ثم أدخلوا الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء فبايعوه ثامن عشر ذى الحجة ولقبوه المقتفى واستوزر شرف الدين على بن طراد الزينبى وبعث كتاب الحكم بخلع الراشد الى الآفاق وأحضر قاضى القضاة أبا القاسم على بن الحسين فأعاده الى منصبه وكمال الدين حمزة بن طلحة صاحب المخزن كذلك

(فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود والراشد للحرب ومقتل الراشد)

ولما بويع للمقتفى والسلطان مسعود ببغداد بعث عساكره بطلب الملك داود فلقيه عند مراغة فانهزم داود وملك قرا سنقر اذربيجان ثم قصد داود خورستان واجتمع عليه من عساكر التركمان وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل وحاصر تستر وكان السلطان سلجوق شاه بواسط بعث الى أخيه مسعود يستنجده فأنجده بالعساكر وسار الى تستر فقاتله داود وهزمه وكان السلطان مسعود مقيما ببغداد مخافة أن يقصد الراشد العراق من الموصل وكان قد بعث لزنكى نخطب للمقتفى فى رجب سنة احدى وثلاثين وسار الراشد من الموصل فلما بلغ خبر مسيره الى السلطان مسعود أذن للعسكر فى العود الى بلادهم وانصرف صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان زوجه ابنته ثم قدم على السلطان مسعود جماعة الامراء الذين كانوا مع الملك داود مثل البقش السلامى وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر خمارتكين شحنة همذان فرضى عنهم وولى البقش شحنة بغداد فظلم الناس وعسفهم ولما فارق الراشد زنكى من الموصل سار الى اذربيجان وانتهى

الى مراغة وكان بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان مسعود فاجتمعوا الى منكبرس صاحب فارس وتعاهدوا على بيعة داود وان يردوا الراشد الى الخلافة فأجابهم الراشد الى ذلك وبلغ الخبر الى السلطان فسار من بغداد فى شعبان سنة ثنتين وثلاثين وبلغهم قبل وصوله وصول الراشد اليهم فقاتلهم بخورستان فانهزموا وأسر منكبرس صاحب فارس فقتله السلطان مسعود صبرا وافترقت عساكره للنهب وفى طلب المنهزمين ورآه بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك فى فل من الجنود فحملوا عليه وقتل بوزابة جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس وابن قراسنقر الاتابك صاحب اذربيجان وعنتر بن أبى العسكر وغيرهم كان قبض عليهم لاول الهزيمة وأمسكهم عنده فلما بلغه قتل منكبرس قتلهم جميعا وانصرف العسكران منهزمين وقصد مسعود أذربيجان وداود همذان وجاء اليه الراشد بعد الوقعة وأشار بوزابة وكان كبير القوم بمسيرهم فسار بهم الى فارس فملكها وأضافها الى خورستان وسار سلجوقشاه ابن السلطان مسعود ليملكها فدافعه عنها البقش الشحنة ومطر الخادم أمير الحاج وثار العيارون أيام تلك الحرب وعظم الهرج ببغداد ورحل الناس عنها الى البلاد فلما انصرف سلجوقشاه واستقر البقش الشحنة فتك فيهم بالقتل والصلب ولما قتل صدقة بن دبيس ولى السلطان على الحلة محمدا أخاه وجعل معه مهلهلا أخا عنتر بن أبى العسكر يدبره ولما وصل الراشد والملك داود الى خورستان مع الامراء على ما ذكرنا وملكوا فارس ساروا الى العراق ومعهم خوارزمشاه فلما قاربوا الجزيرة خرج السلطان مسعود لمدافعتهم فافترقوا ومضى الملك داود الى فارس وخوارزمشاه الى بلاده وبقى الراشد وحده فسار الى اصبهان فوثب عليه فى طريقه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه فى القيلولة خامس عشر رمضان سنة ثنتين وثلاثين ودفن بشهرستان ظاهر اصبهان وعظم أمر هذه الفتنة واختلفت الاحوال والمواسم وانقطعت كسوة الكعبة فى هذه السنة من دار الخلافة من قبل السلاطين حتى قام بكسوتها تاجر فارسى من المترددين الى الهند أنفق فيها ثمانية عشر ألف دينار مصرية وكثر الهرج من العيارين حتى ركب زعماؤهم الخيول وجمعوا الجموع وتستر الوالى ببغداد بلباس ابن أخيه سراويل الفتوة عن زعيمهم ليدخل فى جملتهم وحتى هم زعيمهم بنقش اسمه فى سكة بانبار فحاول الشحنة والوزير على قتله فقتل ونسب أمر العيارين الى البقش الشحنة لما أحدث من الظلم والعسف فقبض عليه السلطان مسعود وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر بقتله فقتل ثم قدم السلطان مسعود فى ربيع

سنة ثلاث وثلاثين فى الشتاء وكان يشتى بالعراق ويصيف بالجبال فلما قدم أزال المكوس وكتب بذلك فى الالواح فنصبت فى الاسواق وعلى أبواب الجامع ورفع عن العامة نزول الجند عليهم فكثر الدعاء له والثناء عليه

(وزارة الخليفة)

وفى سنة أربع وثلاثين وقع بين المقتفى ووزيره على بن طراد الزينبى وحشة بما كان يعترض على المقتفى فى أمره فخاف واستجار بالسلطان مسعود فأجاره وشفع الى المقتفى فى اعادته فامتنع وأسقط اسمه من الكتب واستناب المقتفى ابن عمه قاضى القضاة والزينبى ثم عزله واستناب شديد الدولة الانبارى ثم وصل السلطان الى بغداد سنة ست وثلاثين فوجد الوزير شرف الدين الزينبى فى داره فبعث وزيره الى المقتفى شفيعا فى اطلاق سبيله الى بيته فأذن له انتهى

(الشحنة ببغداد)

وفى سنة ست وثلاثين عزل مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد وولى كزل أميرا آخر من مماليك السلطان محمود فكان على البصرة فأضيف اليه شحنكية بغداد ولما وصل السلطان مسعود الى بغداد ورأى تبسط العيارين وفسادهم أعاد بهروز شحنة ولم ينتفع الناس بذلك لان العيارين كانوا يتمسكون بالجاه من أهل الدول فلا يقدر بهروز على منعهم وكان ابن الوزير وابن قاروت صهر السلطان يقاسمانهم فيما يأخذون من النهب واتفق سنة ثمان وثمانين أن السلطان أرسل نائب الشحنكية ووبخه على فساد العيارين فأخبره بشأن صهره وابن وزيره فأقسم ليصلبنه ان لم يصلبهما فأخذ خاتمه على ذلك وقبض على صهره ابن قاروت فصلبه وهرب ابن الوزير وقبض على أكثر العيارين وافترقوا وكفى الناس شرهم

(انتقاض الاعياص واستبداد الامراء على الامير مسعود وقتله اياهم)

وفى سنة أربعين سار بوزابة صاحب فارس وخورستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد والتقى بوزابة الامير عباس صاحب الرى وتآمرا فى الانتقاض على السلطان مسعود وملكا كثيرا من بلاده فسار السلطان مسعود عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل والخادم مطر وجماعة من غلمان بهروز وسار معه الأمير عبد الرحمن طغرلبك وكان حاجبه ومتحكما فى دولته وكان هواه مع ذينك الملكين فسار السلطان وعبد الرحمن حتى تقارب

العسكران فلق سليمان شاه أخاه مسعود الخنق عليه وجرى عبد الرحمن فى الصلح بين الفريقين وأضيفت وظيفة أذربيجان وأرمينية الى ما بيده وسار أبو الفتح ابن هرارشب وزيرا السلطان مسعود ومعه وزير بوزابة فاستبدوا على السلطان وحجروه عن التصرف فيما بيده وكان بك ارسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك خالصة للسلطان بما كان من تربيته فداخلوه واستولوا به على هوى السلطان بكل معنى وكان صاحب خلخال وبعض أذربيجان فلما عظم تحكمه أسر السلطان الى خاص بك بقتل عبد الرحمن فدس ذلك الى جماعة من الامراء وقتلوه فى موكبه ضربه بعضهم بمقرعة حديد فسقط الى الارض ميتا وبلغ الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الرى فى عسكر أكثر من عسكره فامتعض لذلك فتلطف له السلطان واستدعاه الى داره فلما انفرد عن غلمانه أمر به فقتل وكان عباس من غلمان السلطان محمود وولى الرى وجاهد الباطنية وحسنت آثاره فيهم وكان مقتله فى ذى القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وبلغ مقتل عباس الى بوزابة فجمع عساكره من فارس وخورستان وسار الى اصبهان فحاصرها ثم سار الى السلطان مسعود والتقيا بمرج قراتكين فقتل بوزابة قيل بسهم أصابه وقيل أخذ أسيرا وقتل صبرا وانهزمت عساكره الى همذان وخراسان

(انتقاض الامراء ثانية على السلطان)

ولما قتل السلطان من قتل من أمرائه استخلص الامير خاص بك وأنفذ كلمته فى الدولة ورفع منزلته فحسده كثير من الامراء وخافوا غائلته وساروا نحو العراق وهم ايلدكز المسعودى صاحب كنجة واراني وقيصر والبقش كون صاحب أعمال الجبل وقتل الحاجب وطرنطاى المحمودى شحنة واسط وابن طغايرك ولما بلغوا حلوان خاف الناس بأعمال العراق وعنى المقتفى باصلاح السور وبعث اليهم بالنهى عن القدوم فلم ينتهوا ووصلوا فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقى وفارق مسعود جلال الشحنة بغداد الى تكريت ووصل اليهم على ابن دبيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربى وجند المقتفى أجنادا وقاتلوهم مع العامة فكانوا يستطردون للعامة والجند حتى يبعدوا ثم يكرون عليهم فيثخنوا فيهم ثم كثر عيثهم ونهبهم ثم اجتمعوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وترددت الرسل ورحلوا الى النهروان وعاد مسعود جلال الشحنة من تكريت الى بغداد وافترق هؤلاء الامراء وفارقوا العراق والسلطان مع ذلك مقيم ببلاد الجبل وأرسل عمه سنجر الى الرى سنة أربع وأربعين فبادر اليه مسعود وترضاه فأعتبه وقبل عذره ثم جاءت

سنة أربع وأربعين جماعة أخرى من الامراء وهم البقش كون والطرنطاى وابن دبيس وملك شاه ابن السلطان محمود فراسلوا المقتفى فى الخطبة لملك شاه فلم يجبهم وجمع العساكر وحصن بغداد وكاتب السلطان مسعودا بالوصول الى بغداد فشغله عمه سنجر الى الرى ولما علم البقش مراسلة المقتفى الى مسعود نهب النهروان وقبض على على بن دبيس وهرب الطرنطاى الى النعمانية ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال ورحل البقش كون من النهروان وأطلق ابن دبيس

(وزارة المقتفى)

وفى سنة أربع وأربعين استوزر المقتفى يحيى بن هبيرة وكان صاحب ديوان الزمام وظهرت منه كفاية فى حصار بغداد فاستوزره المقتفى

(وفاة السلطان مسعود وملك ملك شاه ابن أخيه محمود)

ثم توفى السلطان مسعود أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وعشرين سنة من بيعته وعشرين من عوده بعد منازعة اخوته وكان خاص بك بن سلمكرى متغلبا على دولته فبايع لملك شاه ابن أخيه السلطان محمود وخطب له بالسلطنة فى همذان وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية عن بغداد وبعث السلطان ملك شاه الامير شكاركرد فى عسكر الى الحلة فدخلها وسار اليه مسعود جلال الشحنة وأظهر له الاتفاق ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحلة وأظهر المقتفى اليه العساكر مع الوزير عون الدولة والدين بن هبيرة فعبر الشحنة اليهم الفرات وقاتلهم فانهزموا وثار أهل الحلة بدعوة المقتفى ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد الى تكريت ودخل ابن هبيرة الحلة وبعث العساكر الى الكوفة وواسط فملكوها وجاءت عساكر السلطان الى واسط فغلبوا عليها عسكر المقتفى فتجهز بنفسه وانتزعها من ايديهم وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فى عشر ذى القعدة ثم ان خاص بك المتغلب على السلطان ملك شاه استوحش وتنكر وأراد الاستبداد فبعث عن الملك محمد ابن السلطان محمد بخورستان سنة ثمان وأربعين فبايعه أول صفر وأهدى اليه وهو مضمر القتل فسبقه السلطان محمد لذلك وقتله ثانى يوم البيعة ايدغدى التركمانى المعروف بشملة من أصحاب خاص بك ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلم يقبل فلما قتل خاص بك نهب شملة عسكره ولحق بخورستان وكان خاص بك صبيا من التركمان اتصل بالسلطان مسعود واستخلصه وقدمه على سائر الامراء

(حروب المقتفى مع أهل الخلاف وحصار البلاد)

ثم بعث المقتفى عساكره لحصار تكريت مع ابن الوزير عون الدين والأمير ترشك من خواصه وغيرهما ووقع بينه وبين ابن الوزير منافرة خشى لها ترشك على نفسه فصالح الشحنة صاحب تكريت وقبض على ابن الوزير والامراء وحبسهم صاحب تكريت وغرق كثير منهم وسار ترشك والشحنة الى طريق خراسان فعاثوا فيها وخرج المقتفى فى اتباعهم فهربوا بين يديه ووصل تكريت وحاصرها أياما ثم رجع الى بغداد و بعث سنة تسع وأربعين تكريت فى ابن الوزير وغيره من المأسورين فقبض على الرسول فبعث اليهم عسكرا فامتنعوا عليه فسار المقتفى بنفسه فى صفر من سنته وملك تكريت وامتنعت عليه القلعة فحاصرها ورجع فى ربيع ثم بعث الوزير عون الدين فى العساكر لحصارها واستكثر من الآلات وضيق عليها ثم بلغه الخبر بأن شحنة مسعود وترشك وصلا فى العساكر ومعهم الامير البقش كون وانهما استحثا الملك محمدا القصد العراق فلم يتهيأ له فبعث هذا العسكر معهم وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فسار المقتفى للقائهم وبعث الشحنة مسعود عن ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت فأحضره عنده ليقاتل به المقتفى والتقوا عند عقرباب فتنازلوا ثمانية عشر يوما ثم تناجزوا آخر رجب فانهزمت ميمنة المقتفى الى بغداد ونهبت خزائنه وثبت هو واشتد القتال وانهزمت عساكر العجم وظفر المقتفى بهم وغنم أموال التركمان وسبى نساءهم وأولادهم ولحق البقش كون ببلد الحلو وقلعة الماهكين وارسلان بن طغرل ورجع المقتفى الى بغداد أول شعبان وقصد مسعود الشحنة وترشك بلد واسط للعيث فيها فبعث المقتفى الوزير ابن هبيرة فى العساكر فهزمهم ثم عاد فلقبه المقتفى سلطان العراق وارسلان بن طغرل و بعث اليه السلطان محمد فى احضاره عنده ومات البقش فى رمضان من سنته وبقى ارسلان مع ابن البقش وحسن الخازندار فحملاه الى الجبل ثم سار به الى الركن زوج أمه وهو أبو البهلوان وارسلان وطغرل الذى قتله خوارزم شاه وكان آخر السلجوقية ثلاثتهم اخوة لام ثم سار المقتفى سنة خمسين الى دقوقا فحاصرها أياما ثم رجع عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل تجهز لمدافعته عنها فرحل

(استيلاء شملة على خورستان)

قد ذكرنا من قبل شأن شملة وأنه من التركمان واسمه ايدغدى وانه كان من أصحاب خاص بك التركمانى وهرب يوم قتل السلطان محمد صاحبه خاص بك بعد أن حذره منه فلم يتقبل ونجا من الواقعة فجمع جموعا وسار يريد خورستان وصاحبها يومئذ ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد و بعث المقتفى عساكره لذلك فلقيهم شملة فى رجب وهزمهم وأسر وجوههم ثم أطلقهم و بعث الى الخليفة يعتذر فقبل عذره وسار الى خورستان

فملكها من يد ملك شاه ابن السلطان محمود

(اشارة الى بعض أخبار السلطان سنجر بخورستان ومبدا دولة بنى خوارزم شاه)

كان السلطان سنجر من ولد السلطان ملك شاه لصلبه ولما استولى بركيارق بن ملك شاه على خورستان سنة تسعين وأربعمائة من يد عمه ارسلان أرغون كما نذكر فى أخبارهم عند تفردها مستوفى ولى عليها أخاه سنجر وولى على خوارزم محمد بن انوش تكين من قبل الامير داود حبشى بن اليوساق ثم لما ظهر السلطان محمد ونازع بركيارق وتعاقبا فى الملك وكان سنجر شقيقا لمحمد فولاه على خراسان ولم يزل عليها ولما اختلف أولاد محمد من بعده كان عقيد أمرهم وصاحب شوراهم اذا خلف له ببغداد مقدما اسمه على اسم سلطان العراق منهم سنة ثم خرجت أمم الخطا من الترك من مفازة الصين وملكوا ما وراء النهر من يد الخانية ملوك تركستان سنة ست وثلاثين كما نذكر فى أخبارهم وسار سنجر لمدافعتهم فهزموه فوهن لذلك فاستبد عليه خوارزم شاه ببعض الشئ وكان الخطا لما ملكوا بلاد تركستان أزعجوا الغز عنها الى خراسان وهم بقية السلجوقية هنالك وأجاز السلجوقية لاول دولتهم الى خراسان فملكوها وبقى هؤلاء الغز بنواحى تركستان فأجازوا امام الخطا الى خراسان وأقاموا السلطان بها حتى عتوا وعواثم كثر عيثهم وفسادهم وسار اليهم السلطان سنجر سنة ثمان وأربعين فهزموه واستولوا عليه وأسروه وملكوا بلاد خراسان وافترق أمراؤه على النواحى ثم ملكوه وهو أسير فى أيديهم ذريعة لنهب البلاد واستولوا به على كثير منها وهرب من أيديهم سنة احدى وخمسين ولم يقدر على مدافعتهم ثم توفى سنة ثنتين وخمسين وافترقت بلاد خراسان على أمرائه كما نذكر فى أخبارهم ثم تغلب بنو خوارزم شاه عليها كلها وعلى اصبهان والرى من ورائها وعلى أعمال غزنة من يد بنى سبكتكين وشاركهم فيها الغور بعض الشيعة وقام بنو خوارزم شاه مقام السلجوقية الى أن انقرضت دولتهم على يد جنكزخان ملك التتر من أمم الترك فى أوائل المائة السابعة كما نذكر ذلك كله فى أخبار كل منهم عند ما نفردها بالذكر ان شاء الله تعالى

{الخطبة ببغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد بن محمود}

كان سليمان بن محمد عند عمه سنجر بخراسان منذ أعوام وقد جعله ولى عهده وخطب له بخراسان فلما غلب الغز على سنجر وأسروه تقدم سليمان شاه على العساكر ثم غلبتهم الغز فلحق بخوارزم شاه فصاهره أولا بابنة أخيه ثم تنكر فسار الى اصبهان فمنعه شحنتها من

الدخول فسار الى قاشان فبعث اليه السلطان محمد شاه بن محمود فقصد اللحف ونزل على السيد محسن وبعث الى المقتفى ليستأذنه فى القدوم وبعث زوجته وولده رهنا على الطاعة والمناصحة فأذن له وقدم فى خف من العساكر ثلثمائة أو نحوها وأخرج الوزير عون الدين بن هبيرة ولده لتلقيه ومعه قاضى القضاة والنقباء ودخل وعلى رأسه الشمسة وخلع عليه ولما كان المحرم من سنة احدى وخمسين حضر عند المقتفى بحضر قاضى القضاة وأعيان العباسيين واستحلفه على الطاعة وأن لا يتعرض للعراق ثم خطب له ببغداد وبلقب أبيه السلطان محمد وبعث عسكرا نحو ثلاثة آلاف واستقدم داود صاحب الحلة فجعل له أمر الحجابة وسار نحو الجبل فى ربيع وسار المقتفى الى حلوان وسار الى ملك شاه بن محمود أخى سليمان صاحب خورستان فاستحلفه لسليمان شاه وجعله ولى عهده وأمدهما بالمال والاسلحة وساروا الى همذان واصبهان وجاءهم المذكر صاحب بلاد أران فكثر جمعهم وبلغ خبرهم السلطان محمد بن محمود فبعث الى قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ونائبه زين الدين ليستنجدهما فأجاباه وسار للقاء سليمان شاه وأصحابه فالتقوا فى جمادى وانهزم سليمان شاه وافترقت عساكره وسار المذكر الى بلاده وسار سليمان شاه الى بغداد وسلك على شهرزور فاعترضه زين الدين على كوجك نائب قطب الدين بالموصل وكان مقطع شهرزور الامير بران من جهة زين الدين فاعترضاه وأخذاه أسيرا وحمل زين الدين الى الموصل فحبسه بقلعتها وبعث الى السلطان محمد بالخبر

(حصار السلطان محمد بغداد)

كان السلطان محمد قد بعث الى المقتفى فى الخطبة له ببغداد فامتنع من اجابته ثم بايع لعمه سليمان وخطب له وكان ما قدمناه من أمره معه ثم سار السلطان محمد من همذان فى العساكر نحو العراق فقدم فى ذى الحجة سنة احدى وخمسين وجاءته عساكر الموصل مددا من قبل قطب الدين ونائبه زين الدين واضطربت الناس ببغداد وأرسل المقتفى عن فضلوا بواش صاحب واسط فجاء فى عسكره وملك مهلهل الحلة فاهتم ابن هبيرة بأمر الحصار وجمع السفن تحت الناحى وقطع الجسر وأجفل الناس من الجانب الغربى ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وفرق المقتفى السلاح فى الجند والعامة ومكثوا أياما يقتتلون ومد السلطان جسرا على دجلة فعبر على الجانب الشرقى حتى كان القتال فى الجانبين ونفدت الاقوات فى العسكر واشتد القتال والحصار على أهل بغداد لانقطاع الميرة والظهر من عسكر الموصل لان نور الدين محمود بن زنكى وهو أخو قطب الدين الاكبر بعث الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة ثم بلغ

السلطان محمدا ان أخاه ملكشاه والمذكر صاحب بلاد أران وارسلان ابن الملك طغرل بن محمد ساروا الى همذان وملكوها فارتحل عن بغداد فى آخر ربيع سنة ثنتين وخمسين وسار الى همذان وعاد زين الدين كوجك الى الموصل ولما قصد السلطان محمد همذان صار ملكشاه والمذكر ومن معهما الى الرى فقاتلهم شحنتها اينانج وهزموه وأمده السلطان محمد بالامير سقمان بن قيماز فسار لذلك ولقيهما منصرفين عن الرى قاصدين بغداد فقاتلهما وانهزم أمامهما فسار السلطان فى اثرهما الى خورستان فلما انتهى الى حلوان جاءه الخبر بأن المذكر بالدينور وبعث اليه اينانج بأنه استولى على همذان وأعاد خطبته فيها فافترقت جموع ملكشاه والمذكر وفارقهم شملة صاحب خورستان فعادوا هاربين الى بلادهم وعاد السلطان محمد الى همذان

(حروب المقتفى مع أهل النواحى)

كان سنقر الهمذانى صاحب اللحف وكان فى هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان فسار المقتفى لحربه فى جمادى سنة ثلاث وخمسين وضمن له الامير خلطوا براس اصلاحه فسار اليه خاله على أن يشرك المقتفى معه فى بلد اللحف الامير ازغش المسترشدى فأقطعه لهما جميعا ورجع ثم عاد سنقر على ازغش وأخرجه وانفرد ببلده وخطب للسلطان محمد فسار اليه خلطوا براس من بغداد فى العساكر وهزمه وملك اللحف وسار سنقر الى قلعة الماهكى للامير قايماز العميدى ونزلها فى أربعمائة ألف فارس ثم سار اليه سنقر سنة أربع وخمسين فهزمه ورجع الى بغداد فخرج المقتفى الى النعمانية وبعث العساكر مع ترشك فهرب سنقر فى الجبال ونهب ترشك مخلفه وحاصر قلعة الماهكى ثم عاد الى البندنيجين وبعث بالخبر الى بغداد ولحق سنقر بملكشاه فأمده بخمسمائة فارس وبعث ترشك الى المقتفى فى المدد فأمده وبعث اليه سنقر فى الاصلاح فحبس رسوله وسار اليه فهزمه واستباح عسكره ونجا سنقر جريحا الى بلاد العجم فأقام بها ثم جاء بها سنة أربع وخمسين الى بغداد وألقى نفسه تحت التاج فرضى عنه المقتفى وأذن له فى دخول دار الخلافة ثم زحف الى قايماز السلطانى فى ناحية بادرايا سنة ثلاث وخمسين فهزمه وقتله وبعث المقتفى عساكره لقتال شملة فلحق بملكشاه

(وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سلطان شاه ثم ارسلان بن طغرل)

ثم ان السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه لما رجع عن حصار بغداد أصابه مرض السل وطال به وتوفى بهمذان فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين لسبع سنين ونصف من ملكه وكان له ولد فيئس من طاعة الناس له ودفعه لاقسنقر الاحمديلى وأوصاه عليه فرحل به الى

مراغة ولما مات السلطان محمد اختلف الامر فيمن يولونه ومال الاكثر الى سليمان شاه عمه وطائفة الى ملكشاه أخيه وطائفة الى ارسلان بن السلطان طغرل الذى مع الدكز ببلاد أران وبادر ملكشاه أخوه فسار من خورستان ومعه شملة التركمانى ودكلا صاحب فارس ورحل الى اصبهان فأطاعه ابن الخجندى وأنفق عليه الاموال وبعث الى عساكر همذان فى الطاعة فلم يجيبوه وأرسل أكابر الامراء من همذان الى قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل فى سليمان شاه المحبوس عنده ليولوه عليهم وذلك أول سنة خمس وخمسين فأطلقه على أن يكون اتابكاله وجمال الدين وزيره وزيرا وجهزه بجهاز السلطنة وبعث معه نائبه زين الدين على كوجك فى عسكر الموصل فلما قاربوا بلاد الجبل وأقبلت العساكر من كل جهة على السلطان سليمان فارتاب كوجك لذلك وعاد الى الموصل فلم ينتظم أمر سليمان ودخل همذان وبايعوا له وخطب له ببغداد وكثرت جموع ملكشاه باصبهان وبعث الى بغداد فى الخطبة وان يقطع خطبة عمه ويراجع القواعد بالعراق الى ما كانت فوضع عليه الوزير عون الدين بن هبيرة جارية بعث بها اليه فسمته فمات سنة خمس وخمسين فأخرج أهل اصبهان أصحابه وخطبوا لسليمان شاه وعاد شملة الى خراسان فملك كل ما كان ملكشاه تغلب عليه منها واستقر سليمان شاه بتلك البلاد وشغل باللهو والسكر ومنادمة الصفاعين وفوض الامور الى شرف الدين دواداره من مشايخ السلجوقية كان ذا دين وعقل وحسن تربية فشكا الامراء اليه فدخل عليه وعذله وهو سكران فأمر الصفاعين بالرد عليه وخرج مغضبا وصحا سليمان فاستدرك أمره بالاعتذار فأظهر القبول واجتنب الحضور عنده وبعث سليمان الى اينانج صاحب الرى يستقدمه فاعتذر بالمرض الى أن يفيق ونمى الخبر الى كربازه الخادم فعمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء وقبض عليه وعلى وزيره أبى القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدى وعلى أصحابه فى شوال من سنة ست وخمسين فقتل وزيره وخواصه وحبسه أياما وخرج اينانج صاحب الرى ونهب البلاد وحاصر همذان وبعث كردباز الى الدكز يستدعيه ليبايع لربيبه ارسلان شاه بن طغرل فسار فى عشرين ألف فارس ودخل همذان وخطب لربيبه ارسلان شاه بن طغرل بالسلطنة وجعل الدكز اتابكاله وأخاه من أمه البهلوان بن الدكز حاجبا وبعث الى المقتفى فى الخطبة وان تعاد الامور الى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فطرد رسوله وعاد اليه على أقبح حالة وبعث الى اينانج صاحب الرى فحالفه على الاتفاق وصاهره فى ابنته على البهلوان وجاءت اليه بهمذان وكان الدكز من مماليك السلطان مسعود وأقطعه اران وبعض اذربيجان ولم يحضر شيأ من الفتنة وتزوج أم ارسلان شاه

وزوجه طغرل فولدت له محمدا البهلوان وعثمان كزل ارسلان ثم بعث الدكز الى اقسنقر الاحديلي صاحب مراغة في الطاعة لارسلان شاه ربيبه فامتنع وهدّدهم بالبيعة للطفل الذي عنده محمود بن ملك شاه وقد كان الوزير ابن هبيرة أطمعه في الخطبة لذلك الطفل فيما بينهم فجهز الدكز العساكر مع ابنه البهلوان وسار الى مراغة واستمد اقسنقر شاه ارمن صاحب خلاط فأمده بالعساكر والتقى اقسنقر والبهلوان فانهزم البهلوان وعاد الى همذان وعاد اقسنقر الى مراغة ظافرا وكان ملك شاه بن محمود لما مات باصبهان مسموما كما ذكرنا لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعه ابنه محمود فقبض عليه صاحب فارس زنكي بن دكلا السلغري بقلعة اصطخر ولما بعث الدكز الى بغداد في الخطبة لربيبه ارسلان وشرع الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة في التصريف بينهم بعث ابن دكلا وأطمعه في الخطبة لمحمود بن ملك شاه الذي عنده ان ظفر بالدكز فأطلقه ابن دكلا وبايع له وضرب الطبل على بابه خمس نوب وبعث الى اينانج صاحب الري فوافقه وسار اليه في عشرة آلاف وبعث اليه اقسنقر الاحديلي وجمع الدكز العساكر وسار الى اصبهان يريد بلاد فارس وبعث الى صاحبها زنكي بن دكلا في الطاعة لربيبه ارسلان فأبى وقال ان المقتفي أقطعني بلاده وأنا سائر اليه واستمد المقتفي وابن هبيرة فواعدوه وكاتبوا الامراء الذين مع الدكز بالتوبيخ على طاعته والانحراف عنه الى زنكي بن دكلا صاحب فارس واينانج صاحب الري وبدأ الدكز بقصد اينانج ثم بلغه أن زنكي بن دكلا نهب سميرم ونواحيها فبعث عسكرا نحوا من عشرة آلاف فارس لحفظها فلقيهم زنكي فهزمهم فبعث الدكز عن عساكر اذربيجان فجاء بها ابنه كزل ارسلان وبعث زنكي بن دكلا العساكر الى اينانج ولم يحضر بنفسه خوفا على بلاد شملة صاحب خوزستان ثم التقى الدكز واينانج في شعبان سنة ست وخمسين فانهزم اينانج واستبيح عسكره وحاصره الدكز ثم صالحه ورجع الى همذان

{ وفاة المقتفي وخلافة المستنجد وهو أول الخلفاء المستبدين على أمرهم من بني العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان }

ثم توفي المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر في ربيع الاول سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم فحكم على عسكره وأصحابه فيما بقي لمملكتهم من البلدان بعد استبداد الملوك في الاعمال والنواحي ولما اشتد مرضه تطاول كل من أم ولده الى ولاية ابنها وكانت أم المستنجد تخاف عليه وأم أخيه على تروم ولاية ابنها واعتزمت على قتل المستنجد واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جواريها وآتت كل

واحدة منهن سكينا لتقتله وأمسكت هي وابنها سيفين وبلغ الخبر الى يوسف المستنجد فأحضر استاذدار أبيه وجماعة من الفراشين وأفرغ السلاح ودخل معهم الدار وثاربه الجوارى فضرب احداهن وأمسكهن فهربوا وقبض على أخيه على وأمه فحبسهما وقسم الجوارى بين القتل والتغريق حتى اذا توفى المقتفى جلس للبيعة فبايعه أقاربه وأولهم عمه أبو طالب ثم الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضى القضاة وأرباب الدولة والعلماء وخطب له وأقر ابن هبيرة على الوزارة وأصحاب الولايات على ولايتهم وأزال المكوس والضرائب وقرب رئيس الرؤساء وكان استاذدار فرفع منزلته عبد الواحد المقتفى وبعث عن الامير ترشك سنة ست وخمسين من بلد اللحف وكان مقتطعا بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا فى نواحى البندنيجين فامتنع من المجئ وقال يأتينى العسكر وأنا أقاتل بهم فبعث اليه المستنجد العساكر مع جماعة من الامراء فقتلوه وبعثوا برأسه الى بغداد ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماهكى من يد مولى سنقر الهمذانى ولاه عليها سنقر وضعف عن مقاومة التركمان والاكراد حولها فاستنزله المستنجد عنها بخمسة عشر ألف دينار وأقام ببغداد وكانت هذه القلعة أيام المقتدر بأيدى التركمان والاكراد

(فتنة خفاجة)

اجتمعت خفاجة سنة ست وخمسين الى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وكان مقطع الكوفة أرغش وشحنة الحلة قيصر وهما من مماليك المستنجد فمنعوهما فعاثوا فى تلك البلاد والنواحى فخرجوا اليهم فى أثرهم واتبعوهم الى الرحبة فطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش ولا قيصر فقاتلوهم فانهزمت العساكر وقتل قيصر وخرج أرغش ودخل الرحبة فاستأمن له شحنتها وبعثوه الى بغداد ومات أكثر الناس عطشا فى البرية وتجهز عون الدين بن هبيرة فى العساكر لطلب خفاجة فدخلوا البرية ورجع وانتهت خفاجة الى البصرة وبعثوا بالعذر وسألوا الصلح فأجيبوا

(اجلاء بنى أسد من العراق)

كان فى نفس المستنجد بالله من بنى أسد أهل الحلة لفسادهم ومساعدتهم السلطان محمد فى الحصار فأمر يزدن بن قماج باجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطائح فجمع العساكر وأرسل الى ابن معروف فقدم السفن وهو بأرض البصرة فجاء فى جموع وحاصرهم وطاولهم فبعث المستنجد يعاتبه ويتهمه بالتشيع فجهز هو وابن معروف فى قتالهم وسد مسالكهم فى الماء فاستسلموا وقتل منهم أربعة آلاف ونودى عليهم

بالامن الحلة فتفرقوا فى البلاد ولم يبق بالعراق منهم أحد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى ابن معروف

(الفتنة بواسط وماجرت اليه)

كان مقطع البصرة منكبرس من موالى المستنجد وقتله سنة تسع وخمسين وولى مكانه كمشتكين وكان ابن سنكاه ابن أخى شملة صاحب خورستان فانتهز الفرصة فى البصرة ونهب قراها وأمر كمشتكين بقتاله فعجز عن اقامة العسكر وأصعد ابن سنكاه الى واسط ونهب سوادها وكان مقتطعها خلطوابرس فجمع وخرج لقتاله واستمال ابن سنكاه الامراء الذين معه فخذلوه وانهزم وقتله ابن سنكاه سنة احدى وستين ثم قصد البصرة سنة ثنتين وستين ونهب جهتها الشرقية وخرج اليه كمشتكين وواقعه وسار ابن سنكاه الى واسط وخافه الناس ولم يصل اليها

(مسير شملة الى العراق)

سار شملة صاحب خورستان الى العراق سنة ثنتين وستين وانتهى الى قلعة الماهكى وطلب من المستنجد اقطاع البلاد واشتط فى الطلب فبعث المستنجد العساكر لمنعه وكتب اليه يحذره عاقبة الخلاف فاعتذر بأن الدكزور بيبه السلطان ارسلان شاه أقطعا الملك الذى عنده وهو ابن ملك شاه بلاده البصرة وواسط والحلة وعرض التوقيع بذلك وقال أنا أقنع بالثلث منه فأمر المستنجد حينئذ بلعنه وانه من الخوارج وتعبت العساكر الى ارغمش المسترشدى بالنعمانية والى شرف الدين أبى جعفر البلدى ناظر واسط ليجتمعا على قتال شملة وكان شملة أرسل مليح ابن أخيه فى عسكر لقتال بعض الاكراد فركب اليه ارغمش وأسره وبعض أصحابه وبعث الى بغداد وطلب شملة الصلح فلم يجب اليه ثم مات ارغمش من سقطة سقطها عن فرسه وبقى العسكر مقيما ورجع شملة الى بلاده لاربعة أشهر من سفره

(وفاة الوزير يحيى)

ثم توفى الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن المظفر بن هبيرة سنة ستين وخمسمائة فى جمادى الاولى وقبض المستنجد على أولاده وأهله وأقامت الوزارة بالنيابة ثم استوزر المستنجد سنة ثلاث وستين شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى ناظر واسط وكان عضد الدين أبو الفرج بن دبيس قد تحكم فى الدولة فأمره المستنجد بكف يده وأيدى أصحابه وطالب الوزير أخاه تاج الدين بحساب عمله بنهر الملك من أيام المقتفى وكذلك فعل بغيره فخافه العمال وأهل الدولة وحصل بذلك أموال جمة

(وفاة المستنجد وخلافة المستضىء)

كان الخليفة المستنجد قد غلب على دولته استاذدار عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وكان أكبر الامراء ببغداد وكان يرادفه قطب الدين قايماز المظفري ولما ولى المستنجد أبا جعفر البلدى على وزارته غص من استاذدار وعارضه فى احكامه فاستحكمت بينهما العداوة وتنكر المستنجد لاستاذدار وصاحبه قطب الدين فكانا يتهمان بأن ذلك بسعاية الوزير ومرض المستنجد سنة ست وستين وخمسمائة واشتد مرضه فصيلا فى اهلاكه يقال انهما واضعا عليه الطبيب وعلم أن هلاكه فى الحمام فأشار عليه بدخوله فدخله وأغلقوا عليه بابه فمات وقيل كتب المستنجد الى الوزير ابن البلدى بالقبض على استاذدار وقايماز وقتلهما وأطلعهما الوزير على كتابه فاستدعيا يزدن وأخاه تنامش وفاوضاهما وعرضا عليهما كتابه واتفقوا على قتله فحملوه الى الحمام وأغلقوا عليه الباب وهو يصيح الى أن مات تاسع ربيع من سنة ست وستين لاحدى عشرة سنة من خلافته ولما أرجف بموته قبل أن يقبض ركب الامراء والاجناد متسلحين وغشيتهم العامة واحتفت بهم وبعث اليه استاذدار بأنه انما كان غشيا عرض وقد أفاق أمير المؤمنين وخف ما به فخشى الوزير من دخول الجند الى دار الخلافة فعاد الى داره وافترق الناس فعند ذلك أغلق استاذدار وقايماز أبواب الدار وأحضرا ابن المستنجد أبا محمد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضىء بأمر الله وشرطا عليه أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذدار وقطب الدين قايماز أمير العسكر فأجابهم الى ذلك وبايعه أهل بيته البيعة الخاصة ثم توفى المستنجد وبايعه الناس من الغد فى التاج البيعة العامة وأظهر العدل وبذل الاموال وسقط فى يد الوزير وندم على ما فرط واستدعى للبيعة فلما دخل قتلوه وقبض المستضىء على القاضى ابن مزاحم وكان ظلوما جائرا واستصفاه ورد الظلامات منه على أربابها وولى أبا بكر بن نصر بن العطار صاحب المخزن ولقبه ظهير الدين

(انقراض الدولة العلوية بمصر وعود الدعوة العباسية اليها)

ولاول خلافة المستضىء كان انقراض الدولة العلوية بمصر والخطبة بها للمستضىء من بنى العباس فى شهر المحرم فاتح سنة سبع وستين وخمسمائة قبل عاشوراء وكان آخر الخلفاء العبيديين بها العاضد لدين الله من أعقاب الحافظ لدين الله عبد المجيد وخافوا المستضىء معه ثامن خلفائهم وكان مغلبا لوزارته واستولى شاور منهم وثقلت وطأته عليهم فاستقدم ابن شوار من أهل الدولة من الاسكندرية وفر شاور الى الشام مستنجدا

بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى من اقسنقر وكان من مماليك السلجوقية وأمرائهم المقيمين للدعوة العباسية وكان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن الكردى هو وأبوه نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه في جماعة من الاكراد فى خدمته نور الدين محمود بالشام فلما جاءه شاور مستنجدا بعث معه هؤلاء الامراء الايوبية وكبيرهم أسد فأعاده الى وزارته وقتل الضرغام ولم يوف له وشاور بما ضمن له عند مسيره الشأم فى نجدته وكان الفرنج قد ملكوا سواحل مصر والشأم وزاحموا ما يليهم من الاعمال وضيقوا على مصر والقاهرة ان ملكوا بلبيس وايلة عند العقبة واستولوا على الدولة العلوية فى الضرائب والطلبات وأصبحوا مأوى لمن يخرج عن الدولة وداخلهم شاور فى مثل ذلك فارتاب به العاضد وبعث عز الدين مستصرخا به على الفرنج فى ظاهر أمره ويسرحون فى ارتعاء من ابادة شاور والتمكن منه فوصل لذلك وولاه العاضد وزارته وقلده ما وراء بابه فقتل الوزير شاور وحسم داءه وكان مهلكه قريبا من وزارته يقال لسنة ويقال لخمسين يوما فاستوزر العاضد مكانه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين فقام بالامر وأخذ فى اصلاح الاحوال وهو يعد نفسه وعمه من قبله نائبا عن نور الدين محمود بن زنكى الذى بعثه وعمه للقيام بذلك ولما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين ضعف أمر العاضد وتحكم صلاح الدين فى اموره وأقام خادمه قراقوش للولاية عليه فى قصره والتحكم عليه فبعث اليه نور الدين محمود الملك العادل بالشأم أن يقطع الخطبة للعاضد ويخطب للمستضىء ففعل ذلك على توقع النكير من أهل مصر فلما وقع ذلك ظهر منه الاغتباط وانمحت آثار الدولة العلوية وتمكنت الدولة العباسية فكان ذلك مبدأ الدولة لبنى أيوب بمصر ثم ملكوا من بعدها أعمال نور الدين بالشأم واستضافوا اليمن وطرابلس الغرب واتسع ملكهم كما يذكر فى أخبارهم ولما خطب للمستضىء بمصر كتب له نور الدين محمود من دمشق مبشرا بذلك فضربت البشائر ببغداد وبعث بالخلع الى نور الدين وصلاح الدين مع عماد الدين صندل من خواص المقتفوية وهو استاذ دار المستضىء فجاء الى نور الدين بدمشق وبعث الخلع الى صلاح الدين وللخطباء بمصر وباسلام السواد واستقرت الدعوة العباسية بمصر الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم بعث نور الدين محمود الى المستضىء رسوله القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزورى قاضى بلاده يطلب التقليد لما بيده من الاعمال وهى مصر والشأم والجزيرة والموصل وبما هو فى طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم التى لقليج ارسلان وان يقطع صريفين ودرب هارون من بلاد سواد العراق كما كانتا لابيه فأكرم الرسول وزاد فى الاحسان

اليه وكتب له بذلك

(خبر يزدن من امراء المستضيء)

كان يزدن قد ولاه المستضيء الحلة فكانت في أعماله وكانت حمايتها لخفاجة وبني حزن منهم فجعلها يزدن لبني كعب منهم وأمرهم الغضبان ضب بنو حزن وأغاروا عليهم على السواد وخرج يزدن في العسكر لقتالهم ومعه الغضبان وعشيرة بنو كعب فبينما هم ليلة يسيرون رمى الغضبان بسهم فمات فعادت العساكر الى بغداد وأعيدت حفاطة السواد الى بني حزن ثم مات يزدن سنة ثمان وستين وكانت واسط من أقطاعه فأقطعت لاخيه ايتامش ولقب علاء الدين

(مقتل سنكاه بن أحمد اخي شملة)

قد ذكرنا في دولة المستنجد فتنة سنكاه هذا وعمه شملة صاحب خورستان ثم جاء ابن سنكاه الى قلعة الماهكي فبنى بازائها قلعة ليتمكن بها من تلك الاعمال فبعث المستضيء العسكر من بغداد لمنعه فقاتلهم واشتد قتاله ثم انهزم وقتل وعلق رأسه ببغداد وهدمت القلعة

(وفاة قايماز وهربه)

قد ذكرنا شأن قطب الدين قايماز وانه الذي بايع للمستضيء وجعله أمير العسكر وجعله عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وزيرا ثم استفحل أمر قايماز وغلب على الدولة وحمل المستضيء على عزل عضد الدين أبي الفرج من الوزارة فلم يمكنه مخالفته وعزله سنة سبع وستين فأقام معزولا وأراد الخليفة سنة تسع وتسعين ان يعيده الى الوزارة فمنعه قطب الدين من ذلك وركب فأغلق المستضيء أبواب داره مما يلي بغداد وبعث الى قايماز ولاطفه بالرجوع فيما هم به من وزارة عضد الدين فقال لا بد من اخراجه من بغداد فاستجار برباط شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل فأجاره واستطال قايماز على الدولة وأصهر على علاء الدين يتامش في أخته فزوجها منه وحملوا الدولة جميعا ثم سخط قايماز ظهير الدين بن العطار صاحب المخزن وكان خاصا بالخليفة وطلبه فهرب فاحرق داره وجمع الامراء فاستحلفهم على المظاهرة وأن يقصدوا دار المستضيء ليخرجوا منها ابن العطار فقصد المستضيء على سطح داره وخدامه يستغيثون ونادى في العامة بطلب قايماز ونهب داره فهرب من ظهر بيته ونهبت داره وأخذ منها ما لا يحصى من الاموال واقتتل العامة على ولحق قايماز بالحلة وتبعه الامراء وبعث اليه المستضيء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الحلة الى الموصل تخوفا من

عوده الى بغداد فيعود استيلاؤه لمحبة العامة فيه وطاعتهم له فسار الى الموصل وأصابه ومن معه فى الطريق عطش فهلك الكثير منهم وذلك فى ذى الحجة من سنة سبعين وأقام صهره علاء الدين تنامش بالموصل ثم استأذن الخليفة فى القدوم الى بغداد فقدم وأقام بها عاطلا بغير اقطاع وهو الذى حمل قايماز على ما كان منه وولى الخليفة استاذ داره سنجر المقتفوى ثم عزله سنة احدى وسبعين وولى مكانه أبا الفضل هبة الله بن على ابن الصاحب

(فتنة صاحب خورستان)

قد ذكرنا أن ملك شاه بن محمود ابن السلطان محمد استقر بخورستان وذكرنا فتنة شملة مع الخلفاء ثم مات شملة سنة سبعين وملك ابنه مكانه ثم مات ملك شاه بن محمود وبقى ابنه بخورستان فجاء سنة ثنتين وسبعين الى العراق وخرج الى البندنجين وعاث فى الناس وخرج الوزير عضد الدين أبو الفرج فى العساكر ووصل عسكر الحلة وواسط مع طاش تكين أمير الحاج وعز على وساروا للقاء العدو وكان معه جموع من التركمان فاجفلوا ونهبتهم عساكر بغداد ثم ردهم الملك ابن ملك شاه وأوقعوا بالعسكر أياما ثم مضى الملك الى مكانه وعادت العساكر الى بغداد

(مقتل الوزير)

قد ذكرنا أخبار الوزير عضد الدين أبى الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة كان أبوه استاذ دار المقتفى ولما مات ولى ابنه مكانه ولما مات المقتفى أقره المستنجد ورفع قدره ثم استوزره المستضىء وكان بينه وبين قايماز ما قدمناه وأعاده المستضىء للوزارة فلما كانت سنة ثلاث وسبعين استأذن المستضىء فى الحج فأذن له وعبر دجلة فسافر فى موكب عظيم من أرباب المناصب واعترضه متظلم ينادى بظلامته ثم طعنه فسقط وجاء ابن المعوذ صاحب الباب ليكشف خبره فطعن الآخر وحملا الى بيتهما فماتا وولى الوزير ظهير الدين أبو منصور ابن نصر ويعرف بابن العطار فاستولى على الدولة وتحكم فيها

(وفاة المستضىء وخلافة الناصر)

ثم توفى المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين لتسع سنين ونصف من خلافته وقام ظهير الدين العطار فى البيعة لابنه أبى العباس أحمد ولقبه الناصر لدين الله فقام بخلافته وقبض على ظهير الدين بن العطار وحبسه واستصفاه ثم أخرجه من عشر ذى القعدة من محبسه ميتا وفطن به العامة

فتناوله العامة وبعثوا به وتحكم فى الدولة استاذ دار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وكان تولى أخذ البيعة للناصر مع ابن العطار وبعث الرسل الى الآفاق لاخذ البيعة وسار صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصبهان والرى فامتنع من البيعة فأغلظ له صدر الدين فى القول وحرض اصحابه على نقض طاعته ان لم يبايع فاضطر الى البيعة والخطبة ثم قبض سنة ثلاث وثمانين على استاذ دار أبى الفضل ابن الصاحب وقتله من أجل تحكمه وأخذ له أموالا عظيمة وكان الساعى فيه عند الناصر عبيد الله بن يونس من أصحابه وصنائعه فلم يزل يسعى فيه عند الناصر حتى أمر بقتله واستوزر ابن يونس هذا ولقبه جلال الدين وكنيته أبو المظفر ومشى أرباب الدولة فى خدمته حتى قاضى القضاة

(هدم دار السلطنة ببغداد وانقراض ملوك السلجوقية)

قد ذكرنا فيما تقدم ملك ارسلان شاه بن طغرل ربيب الدكز واستيلاء الدكز عليه وحروبه مع اينانج صاحب الرى ثم قتله سنة أربع وستين واستولى على الرى ثم توفى الدكز الاتابك بهمذان سنة ثمان وستين وقام مكانه ابنه محمد البهلوان وبقى أخوه السلطان ارسلان بن طغرل فى كفالته ثم مات سنة ثلاث وستين ونصب البهلوان مكانه ابنه طغرل ثم توفى البهلوان سنة ثنتين وثمانين وفى مملكته همذان والرى واصبهان وأذربيجان وأرانيه وغيرها وفى كفالته السلطان طغرل بن ارسلان ولما مات البهلوان قام مكانه أخوه كزل ارسلان ويسمى عثمان فاستبد طغرل وخرج عن الكفالة ولحق به جماعة من الامراء والجند واستولى على بعض البلاد ووقعت بينه وبين كزل حروب ثم قوى أمر طغرل وكثر جمعه وبعث كزل الى الناصر يحذره من طغرل ويستنجده ويبذل الطاعة على ما يختاره المستضىء رسوله فأمر بعمارة دار السلطنة ليسكنها وكانت ولايتهم ببغداد والعراق قد انقطعت منذ أيام المقتفى فأكرم رسول كزل ووعده بالنجدة وانصرف رسول طغرل بغير جواب وأمر الناصر بهدم دار السلطنة ببغداد فمحى أثرها ثم بعث الناصر وزيره جلال الدين أبا المظفر عبيد الله بن يونس فى العساكر لانجاد كزل ومدافعة طغرل عن البلاد فسار لذلك فى صفر لسنة أربع وثمانين واعترضهم طغرل على همذان قبل اجتماعهم بكزل واقتتلوا ثامن ربيع وانهزمت عساكر بغداد وأسروا الوزير ثم استولى كزل على طغرل وحبسه ببعض القلاع ودانت له البلاد وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم قتل على فراشه سنة سبع وثمانين ولم يعلم قاتله

(استيلاء الناصر على النواحى)

توفى الامير عيسى صاحب تكريت سنة خمس وثمانين قتله اخوته فبعث الناصر العساكر فحصروها حتى فتحوها على الامان وجاؤا باخوة عيسى الى بغداد فسكنوها وأقطع لهم السلطان ثم بعث سنة خمس وثمانين عساكره الى مدينة غانة فحاصروها مدة وقاتلوها طويلا ثم جهدهم الحصار فنزلوا عنها على الامان واقطاع عينوها ووفى لهم الناصر بذلك

(نهب العرب البصرة)

كانت البصرة فى ولاية طغرل مملوك الناصر كان مقطعها واستناب بها محمد بن اسمعيل واجتمع بنو عامر بن صعصعة سنة ثمان وثمانين وأميرهم عميرة وقصدوا البصرة للنهب والعيث وخرج اليهم محمد بن اسمعيل فى صفر فقاتلهم سائر يومه ثم ثلموا فى الليل ثلما فى السور ودخلوا البلد وعاثوا فيها قتلا ونهبا ثم بلغ بنى عامر أن خفاجة والمنتفق ساروا لقتالهم فرحلوا اليهم وقاتلوهم فهزموهم وغنموا أموالهم وعادوا الى البصرة وقد جمع الامير أهل السواد فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة فنهبوها ورحلوا عنها

(استيلاء الناصر على خورستان ثم اصبهان والرى وهمذان)

كان الناصر قد استناب فى الوزارة بعد أسر ابن يونس مؤيد الدين أبا عبد الله محمد ابن على المعروف بابن القصاب وكان قد ولى الاعمال فى خورستان وغيرها وله فيها الاصحاب ولما توفى صاحبها شملة واختلف أولاده راسله بعضهم فى ذلك فطلب من الناصر أن يرسل معه العساكر ليملكها فأجابه وخرج فى العساكر سنة احدى وتسعين وحارب أهل خورستان فملك أولا مدينة تستر ثم ملك سائر الحصون والقلاع وأخذ بنى شملة ملوكها فبعث بهم الى بغداد وولى الناصر على خورستان طاش تكين مجير الدين أمير الحاج ثم سار الوزير الى جهات الرى سنة احدى وتسعين وجاءه قطلغ اينانج بن البهلوان وقد غلبه خوارزم شاه وهزمه عند زنجان وملك الرى من يده وجاء قطلغ الى الوزير مؤيد ورحل معه الى همذان وبها ابن خوارزم شاه فى العساكر فأجفل عنها الى الرى وملك الوزير همذان ورحل فى اتباعهم وملك كل بلد مروا بها الى الرى وأجفل عسكر خوارزم الى دامغان وبسطام وجرجان ورجع الوزير الى الرى فأقام بها ثم انتقض قطلغ بن البهلوان وطمع فى الملك فامتنع بالرى وحاصره الوزير فخرج عنها الى مدينة آوه فمنعهم الوزير منها ورحل الوزير فى أثرهم من الرى الى همذان وبلغه

ان قطلغ قصد مدينة الكرج فسار اليه وقاتله وهزمه ورجع الى همذان فجاء رسول خوارزم شاه محمد تكش بالنكير على الوزير فى أخذ البلاد وبطلب اعادتها فلم يجبه الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه الى همذان وقد توفى الوزير ابن القصاب خلال ذلك فى شعبان سنة ثنتين وتسعين فقاتل العساكر التى كانت معه بهمذان وهزمهم وملك همذان وترك ولده باصبهان وكانوا يبغضون الخوارزمية فبعث صدر الدين الخجندى رئيس الشافعية الى الديوان ببغداد يستدعى العساكر لملكها فجهز الناصر العساكر مع سيف الدين طغرل يقطع بلد اللحف من العراق وسار فوصل اصبهان ونزل ظاهر البلد وفارقها عسكر الخوارزمية فملكها طغرل وأقام فيها الناصر وكان من مماليك البهلوان ولما رجع خوارزم شاه الى خراسان واجتمعوا واستولوا على الرى وقدموا عليهم كركجه من أعيانهم وساروا الى اصبهان فوجدوا بها عسكر الناصر وقد فارقها عسكر الخوارزمية فملكوا اصبهان وبعث كركجه الى بغداد بالطاعة وأن يكون له الرى وساوه وقم وقاشان ويكون للناصر اصبهان وهمذان وزنجان وقزوين فكتب له بما طلب وقوى أمره ثم وصل الى بغداد أبو الهيجاء السمين من أكابر أمراء بنى أيوب وكان فى اقطاعه بيت المقدس وأعماله فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل بن صلاح الدين عزلوا أبا الهيجاء عن القدس فسار الى بغداد فأكرمه الناصر وبعثه بالعساكر الى همذان سنة ثلاث وتسعين فلقى بها أزبك بن البهلوان وأمير علم وابنه سطلمش وقد كاتبوا الناصر بالطاعة فداخل أمير علم وقبض على ازبك وابن سطلمش بموافقته وأنكر الناصر ذلك على أبى الهيجاء وأمره باطلاقهم وبعث اليهم بالخلع فلم يأمنوا وفارقوا أبا الهيجاء فخشى من الناصر ودخل الى اربل لانه كان من أكرادها ومات قبل وصوله اليها وأقام كركجه ببلاد الجبل واصطنع رفيقه ايدغمش واستخلصه ووثق به فاصطنع ايدغمش المماليك وانتقض عليه آخر المائة السادسة وحاربه فقتله واستولى على البلاد ونصب أزبك بن البهلوان للملك وكفله ثم توفى طاش تكين أمير خورستان سنة ثنتين وستمائة وولى الناصر مكانه صهره سنجر وهو من مواليه وسار سنجر سنة ثلاث وستمائة الى جبال تركستان جبال منيعة بين فارس وعمان واصبهان وخورستان وكان صاحب هذه الجبال يعرف بأبى طاهر وكان للناصر مولى اسمه قشتمر من أكابر مواليه ساءه وزير الدولة ببعض الاحوال فلحق بأبى طاهر صاحب تركستان فأكرمه وزوجه بابنته ثم مات أبو طاهر فأطاع أهل تلك الولاية قشتمر وملك عليهم وبعث الناصر الى سنجر صاحب خورستان يعضده فى العساكر فسار اليه وبذل له الطاعة على البعد فلم يقبل منه فلقيه وقاتله فانهزم سنجر وقوى قشتمر

على أمره وأرسل الى ابن دكلا صاحب فارس والى ايدغمش صاحب الجبل فاتفق معهما على الامتناع على الناصر واستمر حاله

(عزل الوزير نصير الدين)

كان نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى من أهل الرى من بيت امارة وقدم الى بغداد عندما ملك الوزير ابن القصاب الرى فأقبل عليه الخليفة وجعله نائب الوزارة ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن فتحكم فى الدولة وأساء الى أكابر موالى الناصر فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع سنة ثلاث وستمائة وكان أميرا ففارق الحاج ومضى الى الشأم وبعث الى الناصر ان الوزير يتنى عليك مواليك ويريد أن يدعى الخلافة فعزله الناصر وألزمه بيته وبعث من كل شئ ملكه ويطلب الاقامة بالمشهد فأجابه الناصر بالامان والاتفاق وان المعزلة لم تكن لذنب وانما أكثر الاعداء المقالات فوقع ذلك واحترز لنفسه موضعا ينتقل اليه موقرا محترما فاختار ايالة الناصر خوفا أن يذهب الاعداء بنفسه ولما عزل عاد سنقر أمير الحاج وعاد أيضا قشتمر وأقيم نائبا فى الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن اسمينا الواسطى ولم يكن له ذلك التحكم وقارن ذلك وفاة صاحب المخزن ببغداد أبو فراس نصر بن ناصر ابن مكى المدائنى فولى مكانه أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين أبى الفرج بن رئيس الرؤساء وأعلى محله وذلك فى المحرم سنة خمس وستمائة ثم عزل آخر السنة لعجزه ثم عزل فى ربيع من سنة ست وستمائة فخر الدين بن اسمينا ونقل الى المخزن وولى نيابة الوزارة مكانه مكين الدين محمد بن محمد بن بدر القمر كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين

(انتقاض سنجر بخورستان)

قد ذكرنا ولاية سنجر مولى الناصر على خورستان بعد طاش تكين أمير الحاج ثم استوحش سنة ست وستمائة واستقدمه الناصر فاعتذر فبعث اليه العساكر مع مؤيد الدين نائب الوزارة وعز الدين بن نجاح الشرابى من خواص الخليفة فلما قاربته العساكر لحق بصاحب فارس أتابك سعد بن دكلا فأكرمه ومنعه ووصلت عساكر الخليفة خورستان فى ربيع من سنته وبعثوا الى سنجر فى الرجوع الى الطاعة فأبى وساروا الى ارجان لقصد ابن دكلا بشيراز والرسل تتردد بينهم ثم رحلوا فى شوال يريدون شيراز فبعث ابن دكلا الى الوزير والشرابى بالشفاعة فى سنجر واقتضاء الامان له فأجابوه الى ذلك وأعادوا سنجر الى بغداد فى المحرم سنة ثمان وستمائة ودخلوا به مقيدا وولى الناصر مولاه ياقوتا أمير الحاج على خورستان ثم أطلق الناصر سنجر فى صفر

من سنة ثمان وستمائة وخلع عليه

{استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصبهان وهرب ايدغمش ثم مقتله ومقتل منكلي وولاية اغلمش}

قد ذكرنا استيلاء ايدغمش من أمراء البهلوانية على بلاد الجبل همذان واصبهان والرى وما اليها فاستفحل فيها وعظم شأنه وتخطى الى أذربيجان وأرانيه فحاصر صاحبها أزبك بن البهلوان ثم خرج سنة ثمان وستمائة منكلي من البهلوانية ونازعه الملك وأطاعه البهلوانية فاستولى على سائر تلك الاعمال وهرب شمس الدين ايدغمش الى بغداد وأمر الناصر بتلقيه فكان يوما مشهودا وخشي منكلي من اتصاله فأوفد ابنه محمدا فى جماعة من العسكر وتلقاه الناس على طبقاتهم وقد كان الناصر شرع فى امداد ايدغمش فأمده وسار الى همذان فى جمادى من سنة عشر ووصل الى بلاد ابن برجم من التركمان الايوبية وكان الناصر عزله عن امارة قومه وولى أخاه الاصغر فبعث الى منكلي بخبر ايدغمش فبعث العساكر بطلبه فقتلوه وافترق جمعه وبعث الناصر الى أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأرانيه يغريه به وكان مستوحشا منه وأرسل أيضا الى جلال الدين صاحب الموت وغيرها من قلاع الاسماعيلية من بلاد العجم بمعاضدة أزبك على أن يقتسموا بلاد الجبل وجمع الخليفة العساكر من الموصل والجزيرة وبغداد وقدم على عسكر بغداد مملوكه مظفر الدين وجه السبع واستقدم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك وهو على اربل وشهرزور وأعمالها وجعله مقدم العساكر جميعا وساروا الى همذان فهرب منكلي الى جبل قريب الكرج وأقاموا عليه يحاصرونه ونزل منكلي فى بعض الايام فقاتل أزبك وهزمه الى مخيمه ثم جاء من الغد وقد طمع فيهم فاشتدوا فى قتاله وهزموه فهرب عن البلاد أجمع وافترقت عساكره واستولت العساكر على البلاد وأخذ جلال الدين ملك الاسماعيلية منها ما عينته القسمة وولى أزبك بن البهلوان على بقية البلاد اغلمش مملوك أخيه وعادت العساكر الى بلادها ومضى منكلي منهزما الى مدينة ساوة فقبض عليه الشحنة بها وقتله وبعث أزبك برأسه الى بغداد وذلك فى جمادى سنة ثنتى عشرة

(ولاية حافد الناصر على خورستان)

كان للناصر ولد صغير اسمه على وكنيته أبو الحسن قد رشحه لولاية العهد وعزل عنها ابنه الاكبر وكان هذا أحب ولده اليه فمات فى ذى القعدة سنة عشر فتفجع له وحزن عليه حزنا لم يسمع بمثله وشمل الاسف عليه الخاص والعام وكان ترك ولدين لقبهما المؤيد

والموفق فبعثهما الناصر الى تستر من خورستان بالعساكر فى المحرم سنة ثلاث عشرة وبعث معهما مؤيد الدين نائب الوزارة وعزل مؤيد الدين الشرابى فأقاما بها أياما ثم أعاد الموفق مع الوزير والشرابى الى بغداد فى شهر ربيع وأقام المؤيد بتستر

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطبة له ببغداد)

كان اغلمش قد استولى على بلاد الجبل كما ذكرناه واستفحل أمره وقوى ملكه فيها ثم قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة وكان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وارث ملك السلجوقية قد استولى على خراسان وما وراء النهر فطمع فى اضافة هذه البلاد اليه فسار فى عساكره واعترضه صاحب بلاد فارس أتابك سعد بن دكلا على اصبهان وقد ساقه من الطمع فى البلاد مثل الذى ساقه فقاتله وهزمه خوارزم وأخذه أسيرا ثم سار الى ساوة فملكها ثم قزوين وزنجان وابهر ثم همذان ثم اصبهان وقم وقاشان وخطب له صاحب أذربيجان وأرانيه وكان يبعث فى الخطبة الى بغداد ولا يجاب فاعتزم الآن على المسير اليها وقدم أميرا فى خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حلوان فنزلها ثم أتبعه بأمير آخر فلما سار عن همذان سقط عليهم الثلج وكادوا يهلكون وتخطف بقيتهم بنو برجم من التركمان وبنو عكا من الاكراد واعتزم خوارزم شاه على الرجوع الى خراسان وولى على همذان طابسين وجعل امارة البلاد كلها لابنه ركن الدين وأنزل معه عماد الملك المساوى متوليا أمور دولته وعاد الى خراسان سنة خمس عشرة وأزال الخطبة للناصر من جميع أعماله

(اجلاء بنى معروف عن البطائح)

كان بنو معروف هؤلاء من ربيعة ومقدمهم معلى وكانت رحالهم غربى الفرات قرب البطائح فكثر عيثهم وافسادهم السابلة وارتفعت شكوى أهل البلاد الى الديوان منهم فرسم للشريف سعد متولى واسط وأعمالها أن يسير الى قتالهم واجلائهم فجمع العساكر من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة فهزمهم واستباحهم وتقسموا بين القتل والاسر والغرق وجات الرؤس الى بغداد فى ذى القعدة سنة عشر

(ظهور التتر)

ظهرت هذه الامة من أجناس الترك سنة ست عشرة وستمائة وكانت جبال طمغاج من أرض الصين بينها وبين بلاد تركستان ما يزيد على ستة أشهر وكان ملكهم يسمى

جنكزخان من قبيلة يعرفون نوحى فسار الى بلاد تركستان وماوراء النهر وملكها من أيدى الخطا ثم حارب خوارزم شاه الى أن غلبه على ما فى يده من خراسان وبلاد الجبل ثم تخطى أرانيه فملكها ثم ساروا الى بلاد شروان وبلد اللان واللكز فاستولوا على الامم المختلفة بتلك الاصقاع ثم ملكوا بلاد قفجاق وسارت طائفة أخرى الى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان فملكوا ذلك كله فى سنة أو نحوها وفعلوا من العيث والقتل والنهب مالم يسمع بمثله فى غابر الازمان وهزموا خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فلحق بجزيرة فى بحر طبرستان فامتنع بها الى أن مات سنة احدى وعشرين سنة من ملكه ثم هزموا ابنه جلال الدين بغزنة واتبعه جنكزخان الى نهر السند فعبر الى بلاد الهند وخلص منهم وأقام هنالك مدة ثم رجع سنة ثنتين وعشرين الى خورستان والعراق ثم ملك أذربيجان وأرمينية الى أن قتله المظفر حسبما نذكر ذلك كله مقسما بين دولتهم ودولة بنى خوارزم شاه أو مكررا فيهما فهنالك تفصيل هذا المحل من أخبارهم والله الموفق بمنه وكرمه

(وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه)

ثم توفى أبو العباس أحمد الناصر بن المستضىء فى آخر شهر رمضان سنة ثنتين وعشرين سنة وستمائة لسبع وأربعين سنة من خلافته بعد أن عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره وذهبت احدى عينيه وضعف بصر الاخرى وكانت حاله مختلفة فى الجد واللعب وكان متفننا فى العلوم وله تآليف فى فنون منها متعددة ويقال انه الذى أطمع التتر فى ملك العراق لما كانت بينه وبين خوارزم شاه من الفتنة وكان مع ذلك كثيرا ما يشتغل برمى البندق واللعب بالحمام المناسيب ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من أهل بغداد وكان له فيها سند الى زعمائها يقتصه على من يلبسه اياها وكان ذلك كله دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم ولما توفى بويع ابنه أبو نصر محمد ولقب الظاهر وكان ولى عهده عهد له أولا سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم خلعه من العهد وعهد لاخيه الصغير على لميله اليه وتوفى سنة ثنتى عشرة فاضطر الى اعادة هذا فلما بويع بعد أبيه أظهر من العدل والاحسان ما حمد منه ويقال انه فرق فى العلماء ليلة الفطر التى بويع فيها مائة ألف دينار

(وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر)

ثم توفى الظاهر أبو نصر محمد فى منتصف رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة لتسعة أشهر ونصف من ولايته وكانت طريقته مستقيمة وأخباره فى العدل مأثورة ويقال انه قيل

وقائه كتب بخطه الى الوزير توقيعا يقرؤه على أهل الدولة فجاء الرسول به وقال أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم وأنفذ مثال ثم لا يتبين له أثر بل أنتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال ثم تناولوا الكتاب وقرؤه فاذا فيه بعد البسملة انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا وقد غفرنا لكم ماسلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السنة واظهار الباطل الجلى فى صورة الحق الخفى حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكا للاغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل وأنياب أسد مهيب تنطقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم ماطلتم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن فقد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وفقركم غنى وباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من أصر ولا ينتقم الا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه يخاف الله فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم فى طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله فى أرضه وأمنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفى بويع ابنه أبو جعفر المستنصر وسلك مسالك أبيه الا أنه وجد الدولة اختلفت والاعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت أو عدمت فضاقت عن أرزاق الجند وأعطياتهم فأسقط كثيرا من الجند واختلفت الاحوال وهو الذى أعاد له محمد بن يوسف بن هود دعوة العباسية بالاندلس آخر دولة الموحدين بالمغرب فولاه عليها وذلك سنة تسع وعشرين وستمائة كما نذكر فى أخبارهم ولآخر دولته ملك التتر بلاد الروم من يد غياث الدين كيخسرو آخر ملوك بنى قليج ارسلان ثم تخطوها الى بلاد أرمينية فملكوها ثم استأمن اليهم غياث الدين فولوه من قبلهم وفى طاعتهم كما نذكر فى أخبارهم ان شاء الله تعالى انتهى

(وفاة المستنصر وخلافة المستعصم آخر بنى العباس ببغداد)

لم يزل هذا الخليفة المستنصر ببغداد فى النطاق الذى بقى لهم بعد استبداد أهل النواحى كما قدمنا ثم انحل أمرهم من هذا النطاق عروة وغلب التتر سائر البلاد وتغلبوا على ملوك النواحى ودولهم أجمعين ثم زاحموهم فى هذا النطاق وملكوا أكثره ثم توفى المستنصر سنة احدى وأربعين لست عشرة سنة من خلافته وبويع بالخلافة ابنه عبد الله ولقب المستعصم وكان فقيها محدثا وكان وزيره ابن العلقمى رافضيا وكانت الفتنة ببغداد لاتزال متصلة بين الشيعة وأهل السنة وبين الحنابلة وسائر أهل المذاهب وبين العيارين والدعار والمفسدين مبدأ الامراء الاول فلا تتجدد فتنة

بين الملوك وأهل الدول الا ويحدث فيما بين هؤلاء ما يعني أهل الدولة خاصة زيادة لما يحدث منهم أيام سكون الدول واستقامتها وضاقت الاحوال على المستعصم فأسقط أهل الجند وفرض أرزاق الباقين على البياعات والاسواق وفي المعايش فاضطرب الناس وضاقت الاحوال وعظم الهرج ببغداد ووقعت الفتن بين الشيعة وأهل السنة وكان مسكن الشيعة بالكرخ في الجانب الغربي وكان الوزير ابن العلقمي منهم فسطوا بأهل السنة وأنفذ المستعصم ابنه أبا بكر وركن الدين الدوادار وأمرهم بنهب بيوتهم بالكرخ ولم يراع فيه ذمة الوزير فآسفه ذلك وتربص بالدولة وأسقط معظم الجند يموه بأنه يدافع التتر بما يتوفر من أرزاقهم في الدولة وزحف هلاكو ملك التتر سنة ثنتين وخمسين الى العراق وقد فتح الري واصبهان وهمذان وتتبع قلاع الاسماعيلية ثم قصد قلعة الموت سنة خمس وخمسين فبلغه في طريقه كتاب ابن الصلايا صاحب اربل وفيه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم الى هلاكو يستحثه لقصد بغداد ويهون عليه أمرها فرجع عن بلاد الاسماعيلية وسار الى بغداد واستدعى أمراء التتر فجاء بجو مقدم العسكر ببلاد الروم وقد كانوا ملكوها ولما قاربوا بغداد برز لقتالهم ايبك الدوادار في العساكر فانكشف التتر أولا ثم تدامروا فانهزم المسلمون واعترضتهم دون بغداد أوحال مياه من بثوق انفتحت من دجلة فتبعهم التتر دونها وقتل الدوادار وأسر الامراء الذين معه ونزل هلاكو بغداد وخرج اليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالامان الى المستعصم وانه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم شدخا بالعمد ووطأ بالاقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين وركب الى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها أياما وخرج النساء والصبيان وعلى رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعون ويقال ان الذي أحصي ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة وكانت شيأ لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح في كتب الفرس وعلومهم واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها نارا فلم يوافقه أهل مملكته ثم بعث العساكر الى ميافارقين فحاصروها سنين ثم جهدهم الحصار واقتحموها عنوة وقتل حاميتها جميعا وأميرهم من بني أيوب وهو الملك ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب وبايع له صاحب الموصل وبعث بالهدية والطاعة وولاه على عمله

ثم بعث بالعساكر الى اربل فحاصرها وامتنعت فرحل العساكر عنها ثم وصل اليه صاحبها ابن الصلايا فقتله واستولى على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة كلها وتاخم الشأم جميع جهاته حتى زحف اليه بعد كما نذكر وانقرض أمر الخلافة الاسلامية لبنى العباس ببغداد وأعاد لها ملوك الترك رسما جديدا فى خلفاء نصبوهم هنالك من اعقاب الخلفاء الاولين ولم يزل متصلا لها العهد على ما نذكر الآن ومن العجب أن يعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب فى ذكر ملاحمه وكلامه على القرآن الذى دل على ظهور الملة الاسلامية العربية أن انقراض أمر العرب يكون أعوام الستين والستمائة فكان كذلك وكانت دولة بنى العباس من يوم بويع للسفاح سنة ثنتين وثلاثين ومائة الى أن قتل المستعصم سنة خمس وستمائة خمسمائة سنة وأربعا وعشرين وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

لز لو له لد لج لب لا ل كط كح

المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي الراشد بن المسترشد بن المستظهر المقتدى بأمر الله بن محمد

كو كه

بن القائم بن القادر

كد كج كب كا ك يط يح يز يو يه يد يج يب يا ى

الطائع بن المطيع المستكفي المتقي الراضي القاهر المرتضى بالله المقتدر المكتفي بن المعتضد المعتمد المهتدي المعتز المستعين المنتصر بن المتوكل

ط

الواثق

ح ز و ه د ج ب

بن المعتصم المأمون الامين بن الرشيد الهادي بن المهدي بن المنصور السفاح محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

{الخبر عن الخلفاء العباسيين المنصوبين بمصر من بعد انقراض الخلافة ببغداد ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم}

لما هلك المستعصم ببغداد واستولى التتر على سائر الممالك الاسلامية فافترق شمل الجماعة وانتثر سلك الخلافة وهرب القرابة المرشحون وغير المرشحين من قصور بغداد فذهبوا في الارض طولا وعرضا ولحق بمصر كبيرهم يومئذ أحمد بن الخليفة الظاهر وهو عم المستعصم وأخو المستنصر وكان سلطانها يومئذ الملك الظاهر بيبرس ثالث ملوك الترك بعد بني أيوب بمصر والقاهرة فقام على قدم التعظيم وركب لتلقيه وسر بقدومه وكان وصوله سنة تسع وخمسين فجمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة وحضر القاضي يومئذ تاج ابن بنت الاعز فأثبت نسبه في بيت الخلفاء بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة ولم يكن شخصه خفيا وبايع له الظاهر وسائر الناس ونصبه للخلافة الاسلامية ولقبوه المستنصر وخطب له على المنابر ورسم اسمه في السكة وصدرت المراسم السلطانية بأخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان وفوض هو للسلطان الملك الظاهر سائر أعماله وكتب تقليده بذلك وركب السلطان ثاني يومه الى خارج البلد ونصب خيمة يجتمع الناس فيها فاجتمعوا وقرأ كتاب التقليد وقام السلطان بأمر هذا الخليفة ورتب له أرباب الوظائف والمناصب الخلافية من كل طبقة وأجرى الارزاق السنية وأقام له الفسطاط والآلة ويقال أنفق عليه في معسكره ذلك ألف ألف دينار من الذهب العين واعتزم على بعثه الى بلاد العراق لاسترجاعه ممالك الاسلام من يد أهل الكفر وقد كان وصل على اثر الخليفة صاحب الموصل وهو اسمعيل الصالح بن لؤلؤ أخرجه التتر من ملكه بعد مهلك أبيه فامتدح له الملك الظاهر ووعده باسترجاع ملكه وخرج آخر هذه السنة مشيعا للخليفة ولصالح بن لؤلؤ ووصل بهما الى دمشق فبالغ هنالك في تكرمتهما وبعث معهما أميرين من أمرائه مددا لهما وأمرهما أن ينتهيا معهما الى الفرات فلما وصلوا الفرات بادر الخليفة بالعبور وقصد الصالح بن لؤلؤ الموصل واتصل الخبر بالتتر فجردوا العساكر لقاءه والتقى الجمعان بغانة وصدموه هنالك فصادمهم قليلا ثم تكاثروا عليه فلم يكن له بهم طاقة وأبلى في جهادهم طويلا ثم استشهد رحمه الله وسارت عساكر التتر الى الموصل فحاصروا الصالح اسمعيل بها سبعة أشهر وملكوها عليه عنوة وقتل رحمه الله وتطلب السلطان بمصر الملك الظاهر بعده آخر من أهل هذا البيت يقيم برسم الخلافة الاسلامية وبينما هو يسائل الركبان عن ذلك اذ وصل رجل من بغداد ينتسب الى الراشد بن المسترشد قال صاحب حماة في تاريخه عن نسابة مصر انه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الامير أبي علي ابن الامير حسن بن الراشد.

وعند العباسيين السليمانيين فى درج نسبهم الثابت أنه أحمد بن أبى بكر بن على بن أحمد بن الامام المسترشد انتهى كلام صاحب حماة ولم يكن فى آبائه خليفة فيما بينه وبين الراشد وبايع له بالخلافة الاسلامية ولقبه الحاكم وفوض هو اليه الامور العامة والخاصة وخرج هو له عن العهدة وقام حافظا لسياج الدين باقامة رسم الخلافة وعمرت بذكره المنابر وزينت باسمه السكة ولم يزل على هذا الحال أيام الظاهر بيبرس وولديه بعده ثم أيام الصالح قلاون وابنه الاشرف وطائفة من دولة ابنه الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة ونصب ابنه أبو الربيع سليمان للخلافة بعده ولقبه المستكفى وحفظ به الرسم وحضر مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للقاء التتر فى النوبتين اللتين لقيهم فيها فاستوحش منه السلطان بعض أيامه وأنزله بالقلعة وقطعه عن لقاء الناس عاما أو نحوه ثم أذن له فى النزول الى بيته ولقائه الناس اذا شاء وكان ذلك سنة ست وثلاثين ثم تجددت له الوحشة وغربه الى قوص سنة ثمان وثلاثين ثم هلك الخليفة أبو الربيع سنة أربعين قبل مهلك الملك الناصر رحمهما الله تعالى وكان عهد بالخلافة لابنه أحمد فبويع له ولقب الحاكم ثم بدا للسلطان فى امضاء عهد أبيه بذلك فعزله واستبدل منه بأخيه ابراهيم ولقبه الواثق وكان مهلك الناصر لاشهر قريبة من ذلك فأعادوا أحمد الحاكم ولى عهد أبيه سنة احدى وأربعين وأقام فى الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين وهلك رحمه الله فولى من بعده أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ولم يزل مقيما لرسم الخلافة الى أن هلك لعشرة أعوام من خلافته سنة ثلاث وستين ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل فأقام برسم الخلافة وحضر مع السلطان الاشرف شعبان ابن حسين بن الملك الناصر عام انتقض عليه الترك فى طريقه الى الحج وفسد أمره ورجع الفل الى مصر وطلبه أمراء الترك فى البيعة له بالسلطنة مع الخلافة فامتنع من ذلك ثم خلعه ايبك من أمراء الترك المستبدين أيام سلطانه بالقاهرة سنة تسع وتسعين لمغاضبة وقعت بينهما ونصب للخلافة زكريا ابن عمه ابراهيم الواثق فلم يطل ذلك وعزل زكريا لايام قليلة وأعاده الى منصبه الى أن كانت واقعة قرط التركمانى من أمراء العساكر بمصر ومداخلته للمفسدين فى الثورة بالسلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق سنة خمس وثمانين وسعى عند السلطان بأنه ممن داخله قرط هذا فاسترابه وحبسه بالقلعة سنة ستين وأدال منه بعمر ابن عمه الواثق ابراهيم ولقبه فأقام ثلاثا أو نحوها ثم هلك رحمه الله آخر عام ثمانية وثلاثين ونصب السلطان عوضه أخاه زكريا الذى كان ايبك نصبه كما قدمنا ذكره ثم حدثت فتنة يلبغا الناصرى صاحب حلب سنة احدى وتسعين وسبعمائة وتعالى على السلطان بحبسه الخليفة وأطال النكير

فى ذلك فأطلق السلطان الخليفة محمدا المتوكل من محبسه بالقلعة وأعاده الى الخلافة على رسمه الاول وبالغ فى تكرمته وجرت فيما بين ذلك خطوب نذكر أخبارها مستوفاة فى دولة الترك المقيمين لرسم هؤلاء الخلفاء بمصر وانما ذكرنا هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة فقط دون أخبار الدولة والسلطان وهذا الخليفة المتوكل المنصوب الآن لرسم الخلافة والمعين لاقامة المناصب الدينية على مقتضى الشريعة والمبرك بذكره على منابر هذه الايالة تعظيما لابهم الظاهر وجريا على سنن التبرك بسلفهم ولكمال الايمان فى محبتهم وتوفية لشروط الامامة سعتهم وما زال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحى يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمصر ويكاتبون فى ذلك ملوك الترك بها من بنى قلاوون وغيره فيجيبونهم الى ذلك ويبعثون اليهم بالتقليد والخلع والابهة ويمدون القائمين بأمورهم بمواد التأييد والاعانة بمن الله وفضله

(فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

٤ بعث معاوية العمال الى الامصار
٥ قدوم زياد
٦ عمال ابن عامر على الثغور
٧ عزل ابن عامر
٧ استلحاق زياد
٨ ولاية زياد البصرة
٩ طوائف الشام
١٠ وفاة المغيرة
١٤ وفاة زياد
١٥ ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة
١٥ العهد ليزيد
١٦ عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير
١٧ ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان
١٧ بقية الصوائف
١٩ بيعة يزيد
٢١ عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد
٢١ مسير الحسين الى الكوفة ومقتله
٢٣ مسيرة المختار الى الكوفة وأخذها من ابن المطيع بعد وقعة كربلاء
٢٤ مسيرة ابن زياد الى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه
٢٦ شأن المختار مع ابن الزبير
٢٨ مقتل ابن زياد
٢٩ مسير مصعب الى المختار وقتله اياه
٣١ خلاف عمر بن سعيد الاشرف ومقتله
٣٣ مسير عبد الملك الى العراق ومقتل مصعب
٣٥ أمر زفر بن الحرث بقرقيسيا
٣٦ مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها

المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي

أحمد المستنصر

أول من بويع بمصر من العباسيين

محمد المتوكل بن أبي بكر المعتضد بن سليمان المستكفي بن أحمد الحاكم بن أبي بكر بن أحمد المسترشد بن المستظهر

أحمد الحاكم

عمر بن ابراهيم الواثق

تم الجزء الثالث ويليه الجزء
الرابع أوله أخبار
الدولة العلوية

م

صحيفة
٧٢ فتح جرجان وطبرستان
٧٤ وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز
٧٥ عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله
٧٥ ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان
٧٦ وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد
٧٦ احتيال يزيد بن المهلب ومقتله
٨٠ ولاية مسلمة على العراق وخراسان
٨٠ العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد
٨٠ غزوة الترك
٨١ غزوة الصغد
٨٢ ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان
٨٣ ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر
٨٤ ولاية عبد الواحد القسري على المدينة ومكة
٨٤ عزل الحريشي وولاية مسلم الكلبي على خراسان
٨٥ وفاة يزيد وبيعة هشام
٨٥ غزو مسلم الترك
٨٦ ولاية أسد القسري على خراسان
٨٦ ولاية أشرس على العراق
٨٦ عزل أشرس
٨٨ عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد
٨٩ مقتل الجراح الحكمي
٨٩ وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان
٩١ ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد
٩١ ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان
٩٢ خروج الحرث بن سريج بخراسان
٩٢ ولاية أسد القسري الثانية بخراسان
٩٣ مقتل خاقان
٩٦ وفاة أسد

صحيفة

٤٠ ولاية المهلب حرب الازارقة
٤٠ ولاية اسد بن عبد الله على خراسان
٤١ ولاية الحجاج العراق
٤٢ وقوع أهل البصرة بالحجاج
٤٤ مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج
٤٤ ضرب السكة الاسلامية
٤٥ مقتل بكير بن وشاح بخراسان
٤٦ مقتل بحير بن زياد
٤٦ ولاية الحجاج على خراسان وسجستان
٤٧ أخبار ابن الاشعث ومقتله
٥٣ بناء الحجاج مدينة واسط
٥٤ عزل يزيد عن خراسان
٥٤ مقتل موسى بن خازم
٥٧ البيعة للوليد بالعهد
٥٨ وفاة عبد الملك وبيعة الوليد
٥٩ ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره
٦٠ عمارة المسجد
٦٠ فتح السند
٦١ فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم
٦٤ خبر يزيد بن المهلب واخوته
٦٥ ولاية خالد القسري على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها وقتله
٦٥ وفاة الحجاج
٦٦ أخبار محمد بن القاسم بالسند
٦٧ فتح مدينة كاشغر
٦٨ وفاة الوليد وبيعة سليمان
٦٨ مقتل قتيبة بن مسلم
٦٩ ولاية يزيد بن المهلب خراسان
٧٠ أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية

صحيفة

٩٦ ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد
٩٧ ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد
٩٨ ظهور زيد بن علي ومقتله
١٠٠ ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية
١٠٣ وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد
١٠٤ ولاية نصر للوليد على خراسان
١٠٤ مقتل يحي بن زياد
١٠٥ مقتل خالد بن عبد الله القسري
١٠٦ مقتل الوليد وبيعة يزيد
١٠٩ ولاية منصور بن جمهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر
١١٠ انتقاض أهل اليمامة
١١٠ اختلاف أهل خراسان
١١١ أمان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرث
١١٢ انتقاض مروان لمقتل الوليد
١١٢ وفاة يزيد وبيعة أخيه ابراهيم
١١٢ مسير مروان الى الشأم
١١٣ انتقاض الناس على مروان
١١٥ ظهور عبد الله بن معاوية
١١٥ غلبة الكرماني على مرو وقتله الحرث بن شريح
١١٧ ظهور الدعوة العباسية بخراسان
١١٩ مقتل الكرماني
١٢٠ اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم
١٢١ مقتل عبد الله بن معاوية
١٢٤ مسير قحطبة للفتح
١٢٥ هلاك نصر بن سيار
١٢٥ استيلاء قحطبة على الري
١٢٦ استيلاء قحطبة على اصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور
١٢٧ حرب السفاح ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة

صحيفة

١٢٨ بيعة السفاح
١٣٠ مقتل ابراهيم بن الامام
١٣٠ هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر
١٣٣ بقية الصوائف فى الدولة الاموية
١٣٤ عمال بنى أمية على النواحى
١٤١ الخبر عن الخوارج وذكر أوليتهم وتكرر خروجهم فى الملة الاسلامية
١٤٨ خبر ابن الحر ومقتله
١٥٠ حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج
١٥٢ حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج
١٥٩ خروج المطرف والمغيرة بن شعبة
١٦٠ اختلاف الازارقة
١٦٢ خروج سودب
١٦٦ خبر أبى حمزة وطالب واسحق
١٧٠ الدولة الاسلامية بعد افتراق الخلافة
١٧٠ مبدأ دولة الشيعة
١٧٣ الخبر عن بنى العباس من دول الاسلام فى هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية
أمرهم وانشاء دولتهم والالمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم
١٧٣ دولة السفاح
١٧٤ حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله
١٧٦ مقتل أبى سلمة بن الخلال وسليمان بن كثير
١٧٦ عمال السفاح
١٧٨ الثوار بالنواحى
١٧٩ حج أبى جعفر وأبى مسلم
١٨٠ موت السفاح وبيعة المنصور
١٨٠ انتقاض عبد الله بن على وهزيمته
١٨٥ حبس عبد الله بن على
١٨٥ وقعة الراوندية
١٨٦ انتقاض خراسان ومسير المهدى اليها

صحيفة

١٨٧ أمر بنى العباس
١٩٠ ظهور محمد المهدى ومقتله
١٩٤ شأن ابراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله
١٩٦ بناء مدينة بغداد
١٩٧ العهد للمهدى وخلع عيسى بن موسى
١٩٨ خروج استادسيس
١٩٨ ولاية هشام بن عمر التغلبى على السند
١٩٩ بناء الرصافة للمهدى
١٩٩ مقتل معن بن زائدة
١٩٩ العمال على النواحى أيام السفاح والمنصور
٢٠٢ الصوائف
٢٠٤ وفاة المنصور وبيعة المهدى
٢٠٦ ظهور المقنع ومهلكه
٢٠٧ الولاة أيام المهدى
٢٠٨ العهد للهادى وخلع عيسى
٢٠٨ فتح باربد من السند
٢٠٩ حج المهدى
٢٠٩ نكبة الوزير أبى عبد الله
٢١٠ ظهور دعوة العباسية بالاندلس وانقطاعها
٢١٠ غزو المهدى
٢١١ العهد لهرون
٢١١ نكبة الوزير يعقوب بن داود
٢١٢ مسير الهادى الى جرجان
٢١٢ العمال بالنواحى
٢١٣ الصوائف
٢١٤ وفاة المهدى وبيعة الهادى
٢١٥ ظهور الحسين المقتول بفخ
٢١٦ حديث الهادى فى خلع الرشيد

صحيفة

٢١٧ وفاة الهادى وبيعة الرشيد
٢١٨ خبر يحيى بن عبد الله فى الديلم
٢١٨ ولاية جعفر بن يحيى مصر
٢١٩ الفتنة بدمشق
٢٢٠ فتنة الموصل ومصر
٢٢٢ ايداع كتاب العهد
٢٢٣ أخبار البرامكة ونكبتهم
٢٢٤ الصوائف وفتوحاتها
٢٢٧ الولاية على النواحى
٢٢٨ خلع رافع بن الليث بما وراء النهر
٢٢٩ وفاة الرشيد وبيعة الامين
٢٣١ أخبار رافع وملوك الروم
٢٣١ الفتنة بين الامين والمأمون
٢٣٢ خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله
٢٣٤ مسير ابن جبلة الى طاهر ومقتله
٢٣٤ بيعة المأمون
٢٣٤ ظهور السفيانى
٢٣٥ مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال
٢٣٦ أمر عبد الملك بن صالح وموته
٢٣٦ خلع الامين واعادته
٢٣٧ استيلاء طاهر على البلاد
٢٣٧ بيعة الحجاز للمأمون
٢٣٨ حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الامين
٢٤٢ ظهور ابن طباطبا العلوى
٢٤٤ بيعة محمد بن جعفر بمكة
٢٤٥ مقتل هرثمة
٢٤٥ انتقاض بغداد على الحسن بن سهل
٢٤٦ أمر المطوعة

صحيفة

٢٤٧ العهد لعلي الرضا والبيعة لابراهيم بن مهدى
٢٤٩ قدوم المأمون الى العراق
٢٥١ ولاية طاهر على خراسان ووفاته
٢٥٢ ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربته نصر بن شيث
٢٥٢ الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدى
٢٥٣ انتقاض مصر والاسكندرية
٢٥٣ العمال بالنواحى
٢٥٥ الصوائف
٢٥٦ وفاة المأمون وبيعة المعتصم
٢٥٧ ظهور صاحب الطالقان
٢٥٧ حرب الزط
٢٥٧ بناء سامرا
٢٥٨ نكبة الفضل بن مروان
٢٦٢ فتح عمورية
٢٦٤ حبس العباس بن المأمون ومهلكه
٢٦٥ انتقاض مازيار وقتله
٢٦٧ ولاية ابن السيد على الموصل
٢٦٨ نكبة الافشين ومقتله
٢٧٠ ظهور المبرقع
٢٧٠ وفاة المعتصم وبيعة الواثق
٢٧١ وقعة بغا فى الاعراب
٢٧٢ مقتل أحمد بن نصر
٢٧٢ الفداء والصائفة
٢٧٢ وفاة الواثق وبيعة المتوكل
٢٧٣ نكبة الوزير بن الزيات ومهلكه
٢٧٣ نكبة ايتاخ ومقتله
٢٧٤ شأن ابن البعيث
٢٧٥ بيعة العهد

صحيفة

٢٧٥ ملك محمد بن ابراهيم
٢٧٥ انتقاض أهل أرمينية
٢٧٦ عزل ابن ابى دواد وولاية ابن أكثم
٢٧٦ انتقاض أهل حمص
٢٧٧ اغارة البجاة على مصر
٢٧٧ الصوائف
٢٧٨ الولاية فى النواحى
٢٧٩ مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه
٢٨٠ الخبر عن الخلفاء من بنى العباس أيام الفتنة وتغلب الاولياء وتضايق نطاق الدولة باستبداد الولاة فى النواحى من لدن المنتصر الى أيام المستكفى
٢٨٢ دولة المنتصر
٢٨٣ وفاة المنتصر وبيعة المستعين
٢٨٤ فتنة بغداد وسامرا
٢٨٤ مقتل أتامش
٢٨٤ ظهور يحيى بن عمر ومقتله
٢٨٥ ابتداء الدولة العلوية بطبرستان
٢٨٦ مقتل باغر
٢٨٧ بيعة المعتز وحصار المستعين
٢٩٠ خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك
٢٩٢ أخبار مساور الخارجى
٢٩٣ مقتل وصيف ثم بغا
٢٩٣ ابتداء دولة الصفار
٢٩٥ ابتداء دولة ابن طولون بمصر
٢٩٥ استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد
٢٩٦ خبر كرخ اصبهان وأبى دلف
٢٩٦ خلع المعتز وموته وبيعة المهتدى
٢٩٧ مسير موسى بن بغا الى سامرا ومقتل صالح بن وصيف
٣٠٠ الصوائف منذ ولاية المنتصر الى آخر أيام المهتدى

صحيفة
٣٠١ أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته
٣٠٣ خلع المهتدى وقتله وبيعة المعتمد
٣٠٥ ظهور العلوية بمصر والكوفة
٣٠٦ بقية أخبار الزنج
٣٠٦ مسير المولد لحربهم
٣٠٧ مقتل منصور الخياط
٣٠٧ مسير الموفق لحرب الزنج
٣٠٧ مقتل البحرانى قائد الزنج
٣٠٨ مسير ابن بغا لحرب الزنج
٣٠٨ استيلاء الصفار على فارس وطبرستان
٣٠٩ استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بنى طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان
٣١٠ استيلاء الحسن بن زيد على جرجان
٣١٠ فتنة الموصل
٣١٠ حروب ابن واصل بفارس
٣١١ مبدأ دولة بنى سامان وراء النهر
٣١٢ مسير الموفق الى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد
٣١٢ وقعة الصفار والموفق
٣١٣ سياقة أخبار الزنج
٣١٦ استيلاء الصفار على الاهواز
٣١٦ استيلاء الزنج على واسط
٣١٧ استيلاء ابن طولون على الشأم
٣١٨ موت يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه
٣١٩ أخبار الزنج مع اغرتمش
٣١٩ استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة
٣٢٠ وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنيعة والمنصورة
٣٢١ حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها
٣٢٦ استيلاء الموفق على الجهة الغربية

صحيفة

٣٢٧ استيلاء الموفق على الجهة الشرقية
٣٢٧ مقتل صاحب الزنج
٣٢٨ ولاية ابن كنداج على الموصل
٣٢٩ حروب الخوارج بالموصل
٣٣٠ أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستانى
٣٣٠ مغاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لاجل ذلك
٣٣١ وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشأم
٣٣٢ وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه
٣٣٣ فتنة ابن كنداج وابن أبى الساج وابن طولون
٣٣٤ أخبار عمرو بن الليث
٣٣٤ مسير الموفق الى اصبهان والجبل
٣٣٥ قبض الموفق على ابنه أبى العباس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه أبى العباس بالامر بعده
٣٣٥ ابتداء أمر القرامطة
٣٣٦ فتنة طرسوس
٣٣٧ فتنة أهل الموصل مع الخوارج
٣٣٧ الصوائف أيام المعتمد
٣٣٩ الولايات بالنواحى أيام المعتز
٣٤٦ وفاة المعتمد وبيعة المعتضد
٣٤٦ مقتل رافع بن الليث
٣٤٧ خبر الخوارج بالموصل
٣٤٧ ايقاع المعتضد ببنى شيبان واستيلاؤه على ماردين
٣٤٧ الولاية على الجبل واصبهان
٣٤٨ عود حمدان الى الطاعة
٣٤٨ هزيمة هرون الشارى ومهلكه
٣٤٩ خبر ابن الشيخ بآمد
٣٥٠ خبر ابن أبى الساج
٣٥٠ ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشأم

صحيفة
٣٥١ استيلاء ابن ماسان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله
٣٥٢ استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوى ومقتله
٣٥٢ ولاية على بن المعتضد على الجزيرة والثغور
٣٥٣ حرب الاعراب
٣٥٣ تغلب ابن الليث على فارس واخراج بدر اياه
٣٥٣ الولايات فى النواحى
٣٥٤ الصوائف
٣٥٤ وفاة المعتضد وبيعة ابنه
٣٥٤ استيلاء محمد بن هرون على الرى ثم أسره وقتله
٣٥٥ استيلاء المكتفى على مصر وانقراض دولة ابن طولون
٣٥٦ ابتداء دولة بنى حمدان
٣٥٦ أخبار ابن الليث بفارس
٣٥٧ الصوائف
٣٥٧ الولايات بالنواحى
٣٥٨ وفاة المكتفى وبيعة المقتدر
٣٥٨ خلع المقتدر بابن المعتز واعادته
٣٦٠ ابتداء دولة العبيديين من الشيعة بافريقية
٣٦٢ وفاة الحبيب وايصاؤه لابنه عبيد الله
٣٦٤ بيعة المهدى بسجلماسة
٣٦٥ أخبار ابن الليث بفارس
٣٦٦ قيام أهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم الى طاعة المهدى
٣٦٦ ولاية العهد
٣٦٦ ظهور الاطروش وملكه خراسان
٣٦٧ غلب المهدى على الاسكندرية ومسير مؤنس الى مصر
٣٦٨ انتقاض الحسين على ابن حمدان بديار ربيعة وأسره
٣٦٨ وزارة ابن الفرات الثانية
٣٦٨ خبر ابن أبى الساج بأذربيجان
٣٧٠ خبر سجستان وكرمان

صحيفة
٣٧٠ وزارة حامد بن العباس
٣٧١ وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم الى ابنه
٣٧٢ بقية خبر ابن أبى الساج
٣٧٢ بقية الخبر عن وزراء المقتدر
٣٧٧ أخبار القرامطة فى البصرة والكوفة
٣٧٩ استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الاسود
٣٧٩ خلع المقتدر وعوده
٣٨١ أخبار قواد الديلم وتغلبهم على أعمال الخليفة
٣٨٤ ابتداء حال أبى عبد الله البريدى
٣٨٤ الصوائف أيام المقتدر
٣٨٧ الولايات على النواحى أيام المقتدر
٣٩٠ استيحاش مؤنس من المقتدر الثانية ومسيره الى الموصل
٣٩١ مقتل المقتدر وبيعة القاهر
٣٩١ خبر ابن المقتدر وأصحابه
٣٩٢ مقتل مؤنس وبليق وابنه
٣٩٤ ابتداء دولة بنى بويه
٣٩٦ خلع القاهر وبيعة الراضى
٣٩٨ مقتل هرون
٣٩٨ نكبة ابن ياقوت
٣٩٨ خبر البريدى
٣٩٩ مقتل ياقوت
٤٠٠ مسير ابن مقلة الى الموصل واستقرارها لابن حمدان
٤٠٠ نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة
٤٠١ استيلاء ابن رائق على الخليفة
٤٠٢ وصول بحكم مع ابن رائق
٤٠٢ مسير الراضى وابن رائق لحرب ابن البريدى
٤٠٤ استيلاء بحكم على الاهواز
٤٠٤ استيلاء معز الدولة على الاهواز

صحيفة

٤٠٥ وزارة ابن مقلة ونكبته
٤٠٦ استيلاء بجكم على بغداد
٤٠٦ دخول أذربيجان فى طاعة وشمكير
٤٠٧ ظهور ابن رائق ومسيره الى الشأم
٤٠٧ وزارة ابن البريدى
٤٠٧ مسير ركن الدولة الى واسط ورجوعه عنها
٤٠٨ مسير بجكم الى بلد الجبل وعوده الى واسط واستيلاؤه عليها
٤٠٨ استيلاء ابن رائق على الشأم
٤٠٩ الصوائف أيام الراضى
٤٠٩ الولايات أيام الراضى والقاهر قبله
٤٠٩ وفاة الراضى وبيعة المتقى
٤١٠ مقتل بجكم
٤١٠ امارة البريدى ببغداد وعوده الى واسط
٤١١ امارة كورتكين الديلمى
٤١١ عود ابن رائق الى بغداد
٤١٢ وزارة ابن البريدى واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقى الى الموصل
٤١٢ مقتل ابن رائق وولاية ابن حمدان مكانه
٤١٣ عود المتقى الى بغداد وفرار البريدى
٤١٣ استيلاء الديلم على أذربيجان
٤١٤ خبر سيف الدولة بواسط
٤١٥ امارة توزون ثم وحشته مع المتقى
٤١٥ مسير المتقى الى الموصل
٤١٦ مسير ابن بويه الى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها
٤١٦ قتل ابن البريدى أخاه ثم وفاته
٤١٧ الصوائف أيام المتقى
٤١٨ الولايات أيام المتقى
٤١٨ خلع المتقى وولاية المستكفى
٤١٩ وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد

صحيفة

٤١٩ استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانهم
٤٢٠ الخبر عن الخلفاء من بني العباس المغلبين لدولة بني بويه من السلجوقية من بعدهم من لدن المستكفي الى المتقي ومالهم من الاحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها
٤٢٠ خلع المستكفي وبيعة المطيع
٤٢١ انقلاب حال الدولة بما تجدد في الجباية والاقطاع
٤٢٢ مسير ابن حمدان الى بغداد
٤٢٢ استيلاء معز الدولة على البصرة
٤٢٣ ابتداء أمر بني شاهين بالبطيحة
٤٢٤ موت الصيمري ووزارة المهلبي
٤٢٤ حصار البصرة
٤٢٤ استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده
٤٢٥ بناء معز الدولة ببغداد
٤٢٥ ظهور الكتابة على المساجد
٤٢٥ استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح
٤٢٦ وفاة الوزير المهلبي
٤٢٦ وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار
٤٢٧ عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية
٤٢٧ الفتنة بين بختيار وسبكتكين والاتراك
٤٢٨ خلع المطيع وولاية الطائع
٤٢٨ الصوائف
٤٢٨ فتنة سبكتكين وموته وامارة افتكين
٤٢٩ نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده الى ملكه
٤٣٠ خبر افتكين
٤٣١ ملك عضد الدولة بغداد وقتل بختيار
٤٣٢ استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان
٤٣٢ وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة
٤٣٣ نكبة صمصام الدولة وولاية أخيه شرف الدولة

صحيفة

٤٣٣ ابتداء دولة باد وبني مروان بالموصل
٤٣٤ وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة
٤٣٥ خروج القادر الى البطيحة
٤٣٦ فتنة صمصام الدولة
٤٣٦ خلع الطائع وبيعة القادر
٤٣٧ ملك صمصام الدولة الاهواز وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيا عليها
٤٣٨ ملك صمصام الدولة البصرة
٤٣٨ مقتل صمصام الدولة
٤٣٩ استيلاء بهاء الدولة على فارس
٤٣٩ الخبر عن وزراء بهاء الدولة
٤٤٠ ولاية العراق
٤٤٠ انقراض دول وابتداء أخرى في النواحي
٤٤١ ظهور بني مزيد
٤٤١ فتنة بني مزيد وبني دبيس
٤٤٢ ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل
٤٤٢ وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك
٤٤٢ مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان
٤٤٣ الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس
٤٤٣ خروج الترك من الصين
٤٤٣ ملك مشرف الدولة وغلبه على سلطان الدولة
٤٤٤ الخبر عن وحشة الاكراد وفتنة الكوفة
٤٤٥ وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه جلال الدولة
٤٤٥ قدوم جلال الدولة الى بغداد
٤٤٦ مسير جلال الدولة الى الاهواز
٤٤٧ استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا وانتزاعها منه
٤٤٧ وفاة القادر ونصب القائم
٤٤٨ وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد
٤٤٩ الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار

صحيفة

٤٤٩ استيلاء أبى كاليجار على البصرة
٤٥٠ شغب الاتراك على جلال الدولة
٤٥٠ ابتداء دولة السلجوقية
٤٥٢ فتنة قرواش مع جلال الدولة
٤٥٣ وفاة جلال الدولة وملك أبى كاليجار
٤٥٤ وفاة أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم
٤٥٤ مسير الملك الرحيم الى فارس
٤٥٥ مهادنة طغرلبك للقائم
٤٥٦ استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه
٤٥٦ فتنة ابن أبى الشوك ثم طاعته
٤٥٧ فتنة الاتراك
٤٥٧ استيلاء طغرلبك على أذربيجان وعلى أرمينية والموصل
٤٥٧ وحشة البساسيرى
٤٥٨ وصول الغز الى الدسكرة ونواحى بغداد
٤٥٨ استيلاء الملك الرحيم على شيراز
٤٥٨ وثوب الاتراك ببغداد بالبساسيرى
٤٥٩ استيلاء السلطان طغرلبك على بغداد والخلعة والخطبة له
٤٥٩ القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بنى بويه
٤٦٠ انتقاض أبى الغنائم بواسط
٤٦١ الوقعة بين البساسيرى وقطلمش
٤٦١ مسير طغرلبك الى الموصل
٤٦٢ فتنة ينال مع أخيه طغرلبك ومقتله
٤٦٣ دخول البساسيرى بغداد وخلع القائم ثم عوده
٤٦٥ مقتل البساسيرى
٤٦٦ مسير السلطان الى واسط وطاعة دبيس
٤٦٦ وزارة القائم
٤٦٦ عقد طغرلبك على ابنة الخليفة
٤٦٧ وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن أخيه داود

صحيفة
٤٦٨ فتنة قطلمش والجهاد بعدها
٤٦٩ العهد بالسلطنة لملكشاه بن الب ارسلان
٤٦٩ وزراء الخليفة
٤٦٩ الخطبة بمكة
٤٧٠ طاعة دبيس ومسلم بن قريش
٤٧٠ الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها
٤٧٠ واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره
٤٧١ شحنة بغداد
٤٧١ مقتل السلطان الب ارسلان وملك ابنه ملكشاه
٤٧٢ وفاة القائم ونصب المقتدى للخلافة
٤٧٣ عزل الوزير ابن جهير ووزارة أبى شجاع
٤٧٣ استيلاء تتش بن الب ارسلان على دمشق وابتداء دولته ودولة بنيه فيها
٤٧٤ سفارة الشيخ أبى اسحق الشيرازى عن الخليفة
٤٧٤ عزل ابن جهير عن الوزارة وامارته على ديار بكر
٤٧٥ خبر الوزارة
٤٧٦ استيلاء السلطان على حلب
٤٧٧ فتنة بغداد
٤٧٧ مقتل نظام الملك وأخباره
٤٧٨ وفاة السلطان ملكشاه وملك ابنه محمود
٤٧٩ ثورة بركيارق بن ملكشاه
٤٧٩ مقتل تاج الملك
٤٧٩ الخطبة لبركيارق ببغداد
٤٨٠ وفاة المقتدى ونصب المستظهر للخلافة
٤٨٠ أخبار تتش وانتقاضه وحروبه ومقتله
٤٨١ ظهور السلطان ملكشاه والخطبة له ببغداد
٤٨٢ اعادة الخطبة لبركيارق
٤٨٣ المصاف الاول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرابين والخطبة لمحمد
٤٨٣ مصاف بركيارق مع أخيه سنجر

صحيفة

٤٨٤ عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ووفاته
٤٨٤ المصاف الثانى بين بركيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق
٤٨٦ استيلاء محمد على بغداد
٤٨٦ المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم
٤٨٧ الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق
٤٨٨ استيلاء ينال على الرى بدعوة السلطان محمد ومسيره الى العراق
٤٨٩ المصاف الخامس بين السلطانين
٤٩٠ الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد
٤٩١ وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملكشاه
٤٩٢ وصول السلطان محمد الى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل اياز
٤٩٤ الشحنة ببغداد
٤٩٤ وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود
٤٩٥ وفاة المستظهر وخلافة المسترشد
٤٩٥ انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار جكرمس شحنة بغداد
٤٩٦ انتقاض الملك طغرل على أخيه السلطان محمود
٤٩٧ الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر
٤٩٩ انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما
٥٠٠ اقطاع الموصل للبرسقى وميافارقين لابى الغازى
٥٠٠ طاعة طغرل لاخيه السلطان محمود
٥٠١ أخبار دبيس مع المسترشد
٥٠٢ نكبة الوزير ابن صدقة وولاية نظام الملك
٥٠٢ واقعة المسترشد مع دبيس
٥٠٣ ولاية برتقش شحنة بغداد
٥٠٣ وصول الملك طغرل ودبيس الى العراق
٥٠٤ الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود
٥٠٥ أخبار دبيس مع السلطان سنجر
٥٠٦ وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم منازعته عمومه واستقلال مسعود

صحيفة

٥٠٦ واقعة مسعود مع سنجر وهزيمته وسلطنة طغرل
٥٠٨ مسير المسترشد لحصار الموصل
٥٠٨ مصاف طغرل ومسعود وانهزام مسعود
٥٠٩ وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود
٥٠٩ فتنة السلطان مسعود مع المسترشد
٥١٠ مقتل المسترشد وخلافة الراشد
٥١١ الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاقه بالموصل وخلعه
٥١٢ خلافة المقتفي
٥١٢ فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود والراشد للحرب ومقتل الراشد
٥١٤ وزارة الخليفة
٥١٤ الشحنة ببغداد
٥١٤ انتقاض الاعياص واستبداد الامراء على الامير مسعود وقتله اياهم
٥١٥ انتقاض الامراء ثانية على السلطان
٥١٦ وزارة المقتفي
٥١٦ وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه ابن أخيه محمود
٥١٦ حروب المقتفي مع أهل الخلاف وحصار البلاد
٥١٧ استيلاء شملة على خورستان
٥١٨ اشارة الى بعض أخبار السلطان سنجر بخورستان ومبدأ دولة بني خوارزمشاه
٥١٨ الخطبة ببغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد ابن محمود
٥١٩ حصار السلطان محمد بغداد
٥٢٠ حروب المقتفي مع أهل النواحي
٥٢٠ وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سلطان شاه ثم ارسلان بن طغرل
٥٢٢ وفاة المقتفي وخلافة المستنجد وهو أول الخلفاء المستبدين على أمرهم من بني العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان

صحيفة

٥٢٣ فتنة خفاجة
٥٢٣ اجلاء بني أسد من العراق
٥٢٤ الفتنة بواسط وما جرت اليه
٥٢٤ مسير شملة الى العراق
٥٢٤ وفاة الوزير يحيى
٥٢٥ وفاة المستنجد وخلافة المستضىء
٥٢٥ انقراض الدولة العلوية بمصر وعود الدعوة العباسية اليها
٥٢٧ خبر يزدن من أمراء المستضىء
٥٢٧ مقتل سنكاه بن أحمد أخي شملة
٥٢٧ وفاة قايماز وهربه
٥٢٨ فتنة صاحب خورستان
٥٢٨ مقتل الوزير
٥٢٨ وفاة المستضىء وخلافة الناصر
٥٢٩ هدم دار السلطنة ببغداد وانقراض ملوك السلجوقية
٥٣٠ استيلاء الناصر على النواحي
٥٣٠ نهب العرب البصرة
٥٣٠ استيلاء الناصر على خورستان ثم اصبهان والري وهمذان
٥٣٢ عزل الوزير نصير الدين
٥٣٢ انتقاض سنجر بخورستان
٥٣٣ استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصبهان وهرب ايدغمش ثم مقتله ومقتل منكلي وولاية اغلمش
٥٣٣ ولاية حافد الناصر على خورستان
٥٣٤ استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطبة له ببغداد
٥٣٤ اجلاء بني معروف عن البطائح
٥٣٤ ظهور التتر
٥٣٥ وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه
٥٣٥ وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر
٥٣٦ وفاة المستنصر وخلافة المستعصم آخر بني العباس ببغداد

صحيفة
٥٤٠ الخبر عن الخلفاء العباسيين المنصوبين بمصر من بعد انقراض الخلافة ببغداد ومبادى امورهم وتصاريف أحوالهم
٥٤٣ خلفاء العباسيين بمصر بعد بغداد

(تمت)

023 000